

لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

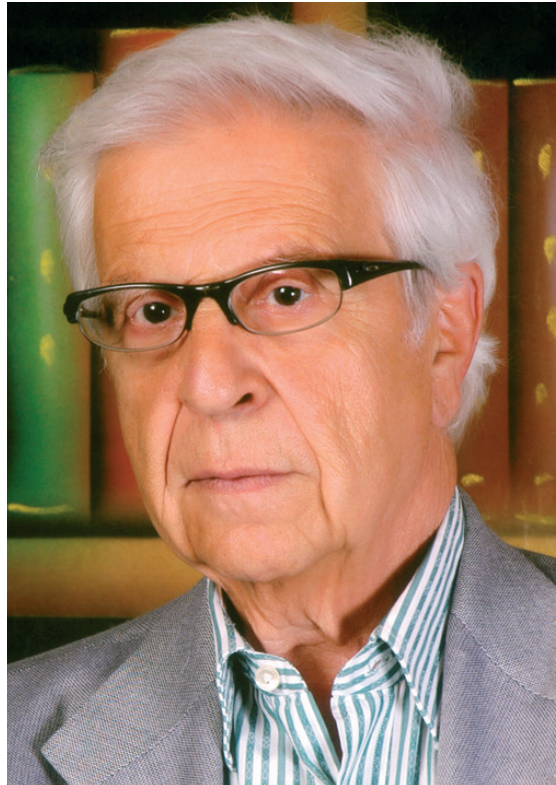
لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقالات فؤاد مطر

في الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT جريدة العرب الدولية

صحيفة العرب الدولية - الأولى

المجلد الثالث: (2006-2012)



محتويات المجلد الثالث

37 الشيخ الكبير في الإمارة الصغيرة.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 5 يناير (كانون الثاني) 2006

مقاربة تاريخية لإنجازات الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم والنهضة العمرانية في دبي، وكيف أن الإمارة الصغيرة تحولت إلى معجزة عمرانية. (كان ذلك قبل الأزمة الكبرى التي كُشف عنها عشية عيد الأضحى للعام الميلادي 2009)

37 ظاهرتا السوبر ستار السياسي الذكوري.. والإجتياح الأنثوي لقمة السلطة.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 24 يناير (كانون الثاني) 2006

تأملات في مسألة ترشيح بعض القيادات الفلسطينية المسجونة في الزنازين الإسرائيلية كمرشحين للمجلس التشريعي الفلسطيني، وإستحضار للتنافس السياسي في لبنان والعراق ومصر، مع ما يرافق ذلك من وصول بعض النساء إلى سدة الحكم في ألمانيا وفنلندا وتشيلي

39 عبد الله بن عبد العزيز وعبد الناصر: بين صين الشرق... وهند.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – الإثنين 31 يناير (كانون الثاني) 2006

مقارنة بين جولة الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى الشرق الأقصى وما قام به الرئيس جمال عبد الناصر سابقاً، مع تحديد الفارق في أولويات كلا القائد

41 كلارك «البعثي»... سورياً وعراقياً.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – الخميس 13 فبراير (شباط) 2006

وجهة نظر حول المصادفة التي جمعت رامزي كلارك وويسلي كلارك بقيادة حزب البعث بشقيه العراقي والسوري، وشرّح للأسباب التي أوجبت هذه الصُدفة التاريخية

43 فلسطين الثانية في ضيافة الكرملين الرابع.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – 2 مارس (آذار) 2006

حول نقطة تحوّل في المعادلة الفلسطينية – الإسرائيلية الدولية وإستضافات في الكرملين لقياديين فلسطينيين

45 قمة الخرطوم العربية: وهل من «نعمات» كثيرة.. بعد «اللاءات» الثلاثة؟.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – السبت 18 مارس (آذار) 2006

رؤية سياسية مقارنة بين قمة الخرطوم التي دشنت اللاءات الثلاثة: لا صلح، لا إعراف، لا تفاوض، والقمة الجديدة التي تستضيفها وسط إلزامية التنازل عن بعض الحقوق من القادة العرب

46 60 سنة من القمم: من قبل تهجير الجامعة وإلى إستعادتها من الغربة القسرية.....

صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 28 مارس (آذار) 2006

قراءة للقمم العربية بدءاً من العام 1946 وصولاً إلى قمة الجزائر عام 2005، وكيف أن قمة الخرطوم عام 1967 وقمة بيروت 2002 كانتا الإبتداء فيما طغى النمط العادي على القرارات الناتجة عن القمم الأخرى

- 48.....الرابحون والخاسرون من قمة الخرطوم التي إنتهت عملياً نصف عادية
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 4 أبريل (نيسان) 2006
نظرة حول النتائج العادية التي خرجت بها قمة الخرطوم، وتحديد لأبرز الفائزين ومنهم الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي جُدد له، ورئيس الوزراء التركي رجب طيّب أردوغان الذي حضر القمة للمرة الأولى
- 50.....هل تصبح شرم الشيخ... «عاصمة كل العرب»
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 11 أبريل (نيسان) 2006
وجهة نظر حول التصريح الذي أدلى به وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل ودعا فيه إلى انعقاد القمة العربية الدورية في "شم الشيخ" فقط، وقراءة إستشرافية لحال القاهرة بعد أن أصبحت شرم الشيخ موقعاً سياسياً وسياحياً
- 51.....إيران النووية: مهب التساؤلات
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 18 أبريل (نيسان) 2006
تساؤلات في شأن الإنجاز النووي الإيراني ربطاً بالإنجاز النووي الباكستاني الذي فوائده للأمة موضع تساؤلات أيضاً
- 53.....من عبد الناصر إلى نجاد: هل من بداية لتعطيل هذه اللغة؟
صحيفة "الشرق الأوسط" - 25 أبريل (نيسان) 2006
حول التهديد الذي أطلقه الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد بقطع أيدي من يتجرأ على المساس بالإنجاز النووي ضد من أسماهم الطواغيت، ومقاربة هذا الحدث من ردة فعل الرئيس جمال عبد الناصر إزاء الموقف الأميركي من إتفاق تزويد مصر بالقمح
- 54.....لغز الجنرالات في الحالة السورية - اللبنانية
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 2 مايو (أيار) 2006
وجهة نظر بشأن التمديد للرئيس السابق إميل لحود وكيف أنه إلتزم بالإستراتيجية السورية المرسومة تجاه لبنان، وتساؤل عما إذا كان الجنرال ميشال سليمان خليفة لحود سيسلك النهج نفسه
- 56.....اللعبة الإيرانية.. والدور السوداني
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 9 مايو (أيار) 2006
قراءة لزيارة عمر البشير إلى طهران في الوقت الذي يتصاعد فيه إحتمال توجيه ضربة عسكرية ضد الجمهورية الإسلامية في إيران
- 58.....هوامش على شطارة «السنيرة البريطاني»
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 16 مايو (أيار) 2006
نظرة سياسية لزيارة رئيس الوزراء السابق فؤاد السنيورة إلى بريطانيا وكيفية إستقباله، ومقاربة هذه الزيارة من الزعامة الشنية التي كان يحظى بها الرئيس الشهيد رفيق الحريري
- 59.....الحياد الحل: للوطن الصغير لبنان.. والوطن الأصغر فلسطين
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 30 مايو (أيار) 2006
متابعة لإقتراح الحياد للبنان وفلسطين وشرح لأهم الإيجابيات التي من الممكن أن يستفيد منها البلدان في حال تمّ تطبيق ذلك
- 63.....فلسطين المحايدة بعد فلسطين المجاهدة
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 6 يونيو (حزيران) 2006
بعد الإقتراح بشأن جعل لبنان دولة محايدة، دعوة إلى تطبيق ذلك على فلسطين أيضاً بعدما وصلت وسائل التحرير إلى طريق لا جدوى منه في المدى المنظور

- 66.....الحياذ للبنان وفلسطين: محاسن هذه الصيغة كثيرة ولا مساوى لها
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 13 يونيو (حزيران) 2006
متابعة لإقتراح الحياذ للبنان وفلسطين وشرح لأهم الإيجابيات التي من الممكن أن يستفيد منها البلدان في حال تم تطبيق ذلك
- 68.....أمثلة خليجية من ثلاثة أولياء عهود برسم بشّار وبعض اللبنانيين
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 20 يونيو (حزيران) 2006
تأملات في سياسة التعقل التي تسلكها المملكة العربية السعودية إزاء بعض ملفاتها العالقة لا سيما مع اليمن، ودعوة أهل القرار في لبنان وسوريا إلى الأخذ بهذا النهج المعتدل بدل الإستمرار في حالة التأزم التي يعيشها البلدان
- 70.....عاجل: إستيضاحات وبلاغات خليجية ضد ثلاثة وزراء لبنانيين
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 4 يوليو (تموز) 2006
إقتراحات مقّمة إلى وزراء الصحة والداخلية والسياحة في لبنان في ضوء بعض التجاوزات التي لفتت نظر بعض السواح الخليجيين إليها، وتساؤلات حول التهاون من قبل حكومة فؤاد السنيورة في معالجة بعض السلبيات التي تزجج اللبنانيين والعرب
- 72.....ضغط يوئد الانفجار.. وآخر يوئد ولاية رئاسية
صحيفة "الشرق الأوسط" - 8 يوليو (تموز) 2006
وجهة نظر حول المشهد الرئاسي العربي ومحاولة البعض البقاء على كرسي الحكم أطول فترة ممكنة وما ينتج عنه من تعجير مستدام للأزمات العربية
- 74....."حزب الله" و"حماس": العتب الكبير على الحزب والعتب الأكبر على الحركة
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 15 يوليو (تموز) 2006
قراءة لتداعيات العدوان الإسرائيلي على لبنان يوم 12 تموز/ يوليو 2006 وما نتج عنه من تدمير للبنى التحتية، وتساؤلات حول أسباب تنفيذ عملية الوعد الصادق التي قام بها «حزب الله» في بداية موسم الصيف، وعتب على حركة "حماس" لأنها لم تستغل فوزها في الإنتخابات لتحقيق التسوية مع إسرائيل
- 77.....ويلات الإنفرادات الخطيرة قبل الإنفراد الأخطر
صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 24 يوليو (تموز) 2006
تأكيد جديد على ضرورة الحياذ لكل من لبنان وفلسطين والذي فرضه الوضع الأمني المستجد بسبب التقرد بالقرار من قبل «حزب الله» وما نتج عنه من عدوان إسرائيلي
- 78.....لبنان والآخرين: النجدة أولاً والتنظير ثانياً.. والمساءلة لاحقاً
صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 13 أغسطس (آب) 2006
دعوة إلى مساعدة لبنان بعد الكارثة التي تعرّض لها إثر العدوان الإسرائيلي ومطالبة بالكف عن التنظير والتفرغ لتقديم المساعدة للناس الذين تضرروا من الحرب والتمني على السيد حسن نصرالله لو يتوجه بالشكر إلى بعض الدول العربية التي أمدت لبنان بالمساعدات
- 79.....مقتضيات «الشراكة الإستراتيجية» من الملك عبد العزيز إلى الملك عبدالله
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 17 أغسطس (آب) 2006
تأملات في زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى تركيا وتحديد أهم معالمها الإستراتيجية ومقاربتها من الشراكة السعودية مع الولايات المتحدة التي دشّنها الملك المؤسس عبد العزيز لمواجهة السياسة البريطانية

82.....فن تعقيد الأمور السهلة.. لبنانياً وفلسطينياً

صحيفة "الشرق الأوسط" – الجمعة 25 أغسطس (آب) 2006

حول العناد السياسي لبعض القيادات اللبنانية والفلسطينية، ورصد لأهم عوامل التعقيد التي تعيق العديد من القضايا من بينها تشكيل حكومة الوحدة الوطنية في فلسطين ومشكلة سلاح «حزب الله» في لبنان

84.....فرصة للتصحيح التاريخي والجغرافي معاً

صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 29 أغسطس (آب) 2006

قراءة في الوعد الذي لم يُنفَّذه الحزب الجمهوري في ما يتعلق بنقل السفارة الأميركية إلى القدس في حال فوز جورج دبليو بوش بالرئاسة

85.....الخطفنة» بعد «اللبنة».. وقَبْل «العقلنة»

صحيفة "الشرق الأوسط" – الخميس 5 سبتمبر (أيلول) 2006

نظرة حول سياسة خطف الجنود الإسرائيليين من قِبَل حركة "حماس" و"حزب الله" من أجل مقايضتهم بالأسرى في السجون الإسرائيلية، وكيف أن الخطفنة أدت إلى كارثة في غزة ولبنان

87.....لبنان: نيل المطالب.. التي تؤخذ بالاعتصام

صحيفة "الشرق الأوسط" – الخميس 7 سبتمبر (أيلول) 2006

تأملات في إعتصام أعضاء البرلمان اللبناني من أجل فك الحصار الإسرائيلي على لبنان براً وبحراً، ومقاربة هذه الواقعة من بعض التساؤلات التي يطرحها البعض عن قطع بعض الدول العربية علاقتهم مع إسرائيل نتيجة الإعتداءات الصهيونية المتكررة على فل

89.....مع ذكرى جديدة لليوم الوطني: عبق الذكرى من ذكرى المؤسس

صحيفة "الشرق الأوسط" – السبت 23 سبتمبر (أيلول) 2006

قراءة تاريخية لبعض الوقائع التي حدثت في عهد الملك عبد العزيز في الوقت الذي تحتفل فيه المملكة بيوومها الوطني

91.....حالة عربية: لماذا لا تفضيل للمعارضة.. من المحيط إلى الخليج؟

صحيفة "الشرق الأوسط" – الخميس 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2006

نظرة في مسائل الحكم والحكام وكيف يتصرف بعض الرؤساء الآتين من الثكنات إلى السرايات

93.....من غازي القصيبي إلى زيد بن رعد: ضحايا المناكفة العربية الخشنة

صحيفة "الشرق الأوسط" – السبت 21 أكتوبر (تشرين الأول) 2006

قراءة سياسية لانتخاب الأمين العام للأمم المتحدة التي أوصلت بان كي مون إلى هذا المنصب وكيف أن قطر قامت بترشيحه بدل التصويت لابن أمتها الأمير زيد بن رعد في الوقت الذي يواجه الإسلام صعوبات كثيرة

94.....نكهة جديدة للتعامل البريطاني مع لبنان

صحيفة "الشرق الأوسط" – الخميس 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 2006

تأملات حول تعيين فرانسيس غاي سفيرة لبريطانيا في لبنان مع تحديد المواصفات التي تتميز بها من بينها إتقان اللغة العربية، ومقاربة ذلك من الأجواء السياسية والدينية التي يمر بها لبنان

96.....ملتقى النكابات: «المصري - الروسي» و«السوداني - الصيني»

صحيفة "الشرق الأوسط" – الخميس 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2006

حول التحدي للولايات المتحدة الذي سجّله الرئيس المصري حسني مبارك بزيارته لموسكو، وتكرار التجربة نفسها من قِبَل الرئيس السوداني عمر البشير في زيارته للصين حاملاً معه ملف دارفور

- 98.....أميركا بعد العراق: رؤوس أينعت وحن قُطأها.
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2006
وجهة نظر حول إقالة وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد الذي كان أحد أهم المنظرين للغزو الأميركي للعراق
- 99.....أيهما أهون الحزين للعرب والمسلمين؟
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 2006
حول السياسة الخارجية الأميركية التي إتبعها الحزب الجمهوري حيال العرب والمسلمين وما نتج عنها من أزمات متعددة أخطرها إحتلال العراق، وكيف أن الحزب الديمقراطي الذي من المرجح أن يفوز في الإنتخابات الرئاسية المقبلة، هو الأقرب للمطالب العربية والإسلامية
- 101.....إغتيال بيار الجميل: قرار صعب وخيار أصعب ومصير أكثر صعوبة
صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 2006
مقاربة للتداعيات السياسية على لبنان بعد إغتيال النائب والوزير بيار أمين الجميل التي تشبه أقدار عائلته أقدار عائلة كنيدي الأميركية، ودعوة إلى «حزب الله» من أجل التخفيف من حدة التعبئة
- 102.....ضجيج في قلب بيروت.. وصلاة هادئة في المسجد الأزرق
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 2 ديسمبر (كانون الأول) 2006
مقارنة بين الإعتصام في وسط بيروت والمبادرة الإيجابية التي اتخذها رئيس الحكومة التركية رجب طييب أردوغان لإستقبال البابا بندكت السادس عشر بعد أن أجرى تعديلات على زيارته المقررة إلى الخارج
- 104.....الوصفة السودانية المخطوفة
صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 22 ديسمبر (كانون الأول) 2006
عندما تأتي من طرف سوداني وصفة تبعث حالة من الانفراج في الوضع اللبناني يمهد السبيل للتجاوز
- 109.....صدّام... رافض الفرص
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 18 يناير (كانون الثاني) 2007
قراءة تاريخية للفرص التي أضاعها الرئيس صدّام حسين لإبعاد الحرب عن العراق، وكيف أنه إعتبر الرسائل الأميركية خلال مرحلة الرئيس بوش الأب إيداناً دولياً لإجتياح الكويت. وتستشهد المقالة باللقاء الأخير الذي جمع صدّام والسفيرة الأميركية إيريل غلاسبي التي قالت: "لا علاقة لأميركا بالخلاف الحدودي العراقي- الكويتي"
- 111.....تسويد وجه لبنان
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 25 يناير (كانون الثاني) 2007
مقارنة بين الأوضاع الأمنية التي مر بها لبنان عشية مؤتمر باريس 3 واليمن الذي حصل على المليارات من الدول المانحة
- 113.....لبنان.. من سرداب الخلاف إلى الهواء الطلق
صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 5 فبراير (شباط) 2007
تأملات في أوضاع خلافية يعيشها لبنان أعقبها انفراجات ناشئة عن مساعدات مالية أنقذت لبنان من إختناقات
- 115.....من عبد العزيز إلى عبد الله: فلسطين السعودية... إبناً عن أب.
صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 19 فبراير (شباط) 2007
تأملات في أهمية القضية الفلسطينية بالنسبة إلى السعودية من الملك عبد العزيز إلى الملك عبدالله، والمحاولات التي بذلتها المملكة لإرساء السلام بين الفلسطينيين بعد المبادرة العربية في قمة بيروت وما تلاها من دعوة لحركتي "فتح" و"حماس" لرأب الخلاف بينهما

117 سجاجيد وشطرنج وملاكمة

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 27 فبراير (شباط) 2007

تساؤلات حول التحدي الذي تخوضه إيران الثورة مع المجتمع الدولي على خلفية ملفها النووي، وكيف أن ورثة الإمام آية الله الخميني لا يستغلون مواردهم الإقتصادية وينجرفون في تحديهم للولايات المتحدة، ومحاولة لتقديم سيناريو حول مآلات التشابك بين طهران وواشنطن

119 بارحة بوش الأب.. ويوم بوش الابن

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 6 مارس (آذار) 2007

مقارنة لأحوال المنطقة العربية بين أيام الرئيس جورج بوش الأب ثم في أيام ابنه الرئيس. وفي الزمنين كانت هذه الأحوال على درجة من السوء

120 لبنان العقدة والحل: لماذا لا يكون الوزير الحادي عشر الأمير الوليد؟

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 13 مارس (آذار) 2007

قراءة لحشيات إقتراح رئيس الوزراء فؤاد السنيورة بأن يكون الأمير الوليد بن طلال "الوزير الملك" لحل أزمة بتشكيل الحكومة

121 تصيين القاهرة.. خطوة خطوة

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 20 مارس (آذار) 2007

إقتراح لحل المشكلة الأزلية التي تعاني منها مصر بسبب إرتفاع نسبة السكان والتي توارثها قادة ثورة يوليو رئيساً بعد رئيس دون أن تصل إلى حل. والإقتراح المقدم حول تحديد النسل يقترن بالتجربة الصينية على أن يترافق ذلك مع تمهيدات أزهرية

123 قمة الرياض: مشهد مستحب

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 25 مارس (آذار) 2007

تمنيات حول إستضافة القمة العربية في الرياض للرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إستناداً إلى سابقة مشاركة رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان. هذا التمني يقترن بحالة التوتر الديني والإقليمي والسياسي الذي تعيشه المنطقة

125 طهران ولندن.. تجاذبات القط والفأر

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 3 أبريل (نيسان) 2007

تساؤلات عن جدوى إحتجاز إيران لعناصر البحرية البريطانية الخمسة عشر بتهمة دخول المياه الإقليمية، وإختفاء الجنرال الإيراني علي رضا عسكري، ومقارنة هذه الأحداث مع الذي جرى سابقاً في العراق بعد قرار إعدام بازوفت بتهمة التجسس لصالح بريطانيا

127 نيسان بوش الأب مع صدام.. ونيسان بوش الابن مع بشار

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 10 أبريل (نيسان) 2007

مقارنة بين نيسانين: الأول نيسان بوش الأب مع صدام حسين عام 1990 ونيسان بوش الابن مع بشار الأسد عام 2007

129 شرقاً وغرباً.. موسم رناسي مزدهر

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 24 أبريل (نيسان) 2007

حول موسم مزدهر من الإنتخابات الرئاسية يتصدره من الجانب العربي الرئيسان علي عبدالله صالح وبشار الأسد

131 العمة اللبنانية.. والإضاعة السعودية

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 1 مايو (أيار) 2007

حول عمة لبنانية بالغة الثقل على نفوس اللبنانيين كان الإعتماد لتخفيف وطأتها على طول بال السفير الدكتور عبدالعزيز خوجة

132 أهمية المرجعية العربية الضامنة

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 8 مايو (أيار) 2007

قراءة لأزمة الحدود السودانية التي كان آخرها مع تشاد، وكيف نجحت الوساطة السعودية التي قام بها الملك عبد الله في التخفيف من حدتها، ودعوة إلى تطبيق الاتفاق الموقع بين الرئيس السوداني عمر البشير ونظيره التشادي إدريس ديبي

133 الرئاسة النعمة.. والنقمة

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 22 مايو (أيار) 2007

وجهة نظر حول أسباب إختيار الفرنسيين لـ نيكولا ساركوزي رئيساً لهم وهو من أصل مجري بدلاً من سيغولين رويال الفرنسية الأصل

135 المحكمة بـ «الممتنع السهل» دول صديقة و«الثالث غير المعطل»

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 5 يونيو (حزيران) 2007

مقارنة بين قرار مجلس الأمن في إنشاء المحكمة الدولية الخاصة برئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، وكيف إمتنعت دول صديقة مثل الصين وروسيا وقطر وجنوب أفريقيا وأندونيسا عن التصويت، وبين الثالث الضامن أو المعطل الذي تنادي به المعارضة اللبنانية

137 أمثولات أبو عبد المحسن

صحيفة "الشرق الأوسط" - 11 يونيو (حزيران) 2007

كلمة حق في رجل الفكر والسياسة والنصح الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري لمناسبة رحيله تاركاً أمثولات برسم كثيرين ما أحوجهم إلى الأخذ بجوهرها

138 في إنتظار تحرير ساحة رياض الصلح وشارع علي عبد اللطيف

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 12 يونيو (حزيران) 2007

حول تخييم المعارضة اللبنانية في ساحة رياض الصلح، وتداعيات ذلك على الأوضاع الإقتصادية والنفسية، ودعوة الجيش إلى إعلان حالة الطوارئ لدواع أمنية، ومقارنة هذا المشهد مع التسوير الإسمتي لمبنى السفارة الأميركية في السودان الواقع في شارع علي عبد اللطيف الزعيم السوداني الذي قاد ثورة الـ 24

139 لبنان المُستباح والزعامات المحروسة في سجونها مخافة القتل

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 25 يونيو (حزيران) 2007

وجهة نظر حول الأوضاع الأمنية المضطربة في لبنان منذ إغتيال الرئيس رفيق الحريري، وكيف اضطرت بعض القيادات اللبنانية إلى إختيار السجن الإجباري مخافة تعرّضهم للقتل، وتسأول يتعلق بالذين تمّ إغتيالهم على إعتبار أنهم الفريق الذي يناصب الحكم السوري الخصام والإستفزاز

141 في مسألة «الوحدة الوطنية».. والإلتزام بالعهد

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 2 يوليو (تموز) 2007

إستحضار لرؤية الأمير سلمان بن عبد العزيز حول الوحدة الوطنية، ودعوة لبعض الأطراف اللبنانية ولحركة "حماس" التي إرتدت عن إتفاق مكة، للأخذ بها والتنازل عن المصالح الشخصية من أجل الوطن

143 «الإنقلابات الدينية».. بعد الإنقلابات العسكرية!

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 17 (تموز) 2007

تأملات في ظاهرة في ما يمكن تسميته «الإنقلابات الدينية» التي لا تختلف كثيراً عن الإنقلابات العسكرية في بعض دول العالم الثالث

144.....كساد في موسم رد الجمال.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 28 يوليو (تموز) 2007

حول الثنائية الحزبية الشيعية في لبنان وسيطرتها على التمثيل الشيعي، وكيف أن الطوائف الأخرى لديها تعددية في الاتجاهات السياسية خلافاً لما هو سائد داخل الثنائي، وتساؤل حول التأثير السوري - الإيراني على "حزب الله" و"حركة أمل" وموقفهما من دعم الحريري لهما

146.....فرنسا: الإستقواء بالعرب من الخليج إلى المتوسط.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 2 أغسطس (آب) 2007

قراءة للصيغة التي طرحها الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي حول "إتحاد المتوسط"، ومحاولة تفسير الإهتمام الرسمي الفرنسي بعرب المتوسط خلال حقبة فرنسوا ميتران وجاك شيراك، وكيف أن ساركوزي تخطى سلفيه لدعم زعامته الأوروبية

147.....أخلاقيات ناصر المنقور وتجربته.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 4 أغسطس (آب) 2007

كلمة حق في شخصية سعودية متميزة (وهو الشيخ ناصر المنقور) كانت ذات حضور كثير الرقي في المجالين السياسي والوزاري والدبلوماسي

148.....لا يحدث.. إلا في لبنان.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 23 أغسطس (آب) 2007

وجهة نظر حول السجال السياسي والحزبي المتدني بين الأطياف اللبنانية، وكيف أن هذه الظاهرة تفاقمت بعد إغتيال رفيق الحريري

150.....لحد وبوش.. وزيجات ما قبل الإنصراف النهائي.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 30 أغسطس (آب) 2007

مقارنة في شأن زيجات رئاسية تمت في أميركا بوش ولبنان إميل لحود قبل إنصراف كل منهما من خارج الأبهة الرئاسية

151.....ساركوزي اليعرّبي... رافض الـ "حماسّتان".

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 6 سبتمبر (أيلول) 2007

حول الإنفتاح الفرنسي على القضايا العربية، وسعي نيكولا ساركوزي عبر نهجه اليعرّبي إلى الحوار مع سورية ورفضه لقيام "حماسّتان" في فلسطين وتأكيد على أهمية الشراكة مع دول المتوسط

153.....مجرد مداخلة مع الأمير طلال بن عبد العزيز تستبق اليوم الوطني.

كُتبت لـ صحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ الأحد 9 سبتمبر (أيلول) 2007

تساؤلات برسم الأمير طلال بن عبد العزيز بعد دعوته لإنشاء أحزاب سياسية في السعودية عشية اليوم الوطني للمملكة، وكيف أن التجربة الحزبية في العالم العربي لم تكن لمصلحة الوطن والمواطن

156.....تركيا أتاتورك الحديثة.. وتركيا أردوغان الأحدث.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 18 (أيلول) 2007

وجهة نظر حول الصراع السياسي في تركيا بين التيار الإسلامي المعتدل بزعامة أردوغان والتيار العلماني الذي تترأسه الطبقة العسكرية، وكيف أدى هذا التوتر إلى إعتراض الجيش على حجاب زوجة عبدالله غول رئيس تركيا الحديثة

157 لو أنهم يُصغون إلى حكمته

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 25 سبتمبر (أيلول) 2007

في مناسبة حلول اليوبيل الماسي لتوحيد المملكة العربية السعودية، قراءة للدور الريادي الذي يقوم به الملك عبد الله بن عبد العزيز في رأب الصدع في أي بلد عربي أو إسلامي من فلسطين إلى لبنان إلى السودان ودعوة لقادة العرب إلى الأخذ بحكمته

159 السيد حسن بين الممكن والمستحيل

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 9 أكتوبر (تشرين الأول) 2007

نظرة حول ما كان يتوقعه اللبنانيون من السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" في "يوم القدس" لجهة فك التخييم في محيط السرايا الحكومي

161 بوتين: حكاية رئيس مسكون بالتحرش

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2007

إحاطة سياسية عامة بالظروف التي أوصلت الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى الحكم، وكيف دفعته هذه الظروف إلى محاولة تعزيز مكانته الدولية

163 من لبنان إلى السودان.. إقتباسات ملعونة

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 23 أكتوبر (تشرين الأول) 2007

مقارنة بين السودان ولبنان وكيف أن العناد السياسي لبعض الأطراف في البلدين أدى إلى تعطيل تسوية القضايا العالقة

164 زيارة الملك عبدالله وواجب تصحيح الخطيئة

كُتبت لـ صحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ الثلاثاء 23 أكتوبر (تشرين الأول) 2007

قراءة تاريخية لزيارة الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى بريطانيا ومقارنة زيارته من الموقف الذي إتخذه الملك عبد العزيز بالنسبة إلى القضية الفلسطينية خلال لقائه مع كلٍ من فرانكلين روزفلت وونستون تشرشل

166 سباق المفاجآت

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2007

تساؤلات حول إعلان الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد أن بلاده تمتلك ثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم، ودعوة إلى التأمل في إقتراح الملك عبدالله بن عبد العزيز لإنشاء مجمع لتخصيب اليورانيوم في بلد محاييد

167 خليج الطفرة العلمية والمعرفية

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2007

متابعة بالعين المجردة السياسية للطفرة العلمية في الخليج وتحديداً في السعودية بعد وضع حجر الأساس لـ "جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية"

168 سودانان إثنان.. وشقيقان لا يتطابقان

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 2007

وجهة نظر حول مسألة الوحدة بين جنوب السودان وشماله وكيف أن إتفاقية السلام أفضت إلى تكريس الشرخ بين الأطراف السياسية المتنازعة

170.....القمة الخليجية.. والمشاركة النجادية.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 6 ديسمبر (كانون الأول) 2007
كيف أن مشاركة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد في قمة خليجية فاجأت معظم قادة دول مجلس التعاون، وكانت كمن يدعو نفسه إلى المشاركة

171.....الحكم.. والحكمة.. والحاكم.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 13 ديسمبر (كانون الأول) 2007
عندما كادت واقعة تتعلق بمعلمة بريطانية في مدرسة سودانية خاصة وتتمحور حول فتوى خمينية في حق سلمان رشدي تتحول إلى إزمة بين السودان وبريطانيا

173.....ساعدوا سوريا على إستضافة القمة الدورية!

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 27 ديسمبر (كانون الأول) 2007
أهمية أن تستضيف دمشق التي تعيش أياماً بالغة التعقيد قمة عربية دورية تخفف بعض الشيء من محنة يتزايد خطرها

179.....شخصية 2007: حواء باكستان... وأدم لبنان.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 3 يناير (كانون الثاني) 2008
نظرة على شخصية العام 2007 التي كانت تستحقها بإمتياز بين نظير بوتو في باكستان وعدد من رموز السياسة في لبنان

1800.....لبنان: نموذج لثقافة العناد.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 28 يناير (كانون الثاني) 2008
واقعة حول ثقافة العناد والمعاندين لدى اللبنانيين ضمن سياق ما يرويه رئيس مجلس النواب نبيه بري حول هذه الثقافة

182.....«الرؤية البوشية» لـ «الهلل البشري»!

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 9 فبراير (شباط) 2008
حول جولة أفريقية قام بها الرئيس الأميركي جورج بوش الابن لم تشمل السودان نظام البشير وبذلك إزدادت الأزمة بينهما تفاقمًا

183.....مصر و"حماس": وراء الأزمة ما وراءها.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 24 فبراير (شباط) 2008
تأملات في العلاقات المضطربة بين مصر والفلسطينيين زمن ياسر عرفات، والحالة المستجدة بعد انفصال حركة "حماس" عن القيادة الفتاوية الرسمية، والتحذيرات التي أطلقتها القيادات الأمنية المصرية حول عدم المساس بأمن المحروسة

185.....التنحي الثوري الذي لا يكتمل: فيديل كاسترو بعد جمال عبد الناصر.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 21 فبراير (شباط) 2008
مقارنة تاريخية بين تنحي الزعيم الكوبي فيديل كاسترو وقرار الرئيس جمال عبد الناصر الإستقالة إثر هزيمة 5 يونيو/ حزيران 1967 ثم ما لبث أن تراجع عنها

187.....ما ينفع سوريا غير المستكبرة.....

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 1 مارس (آذار) 2008
قراءة لسياسة المحاور التي تتبعها سوريا الأسدية، وإستحضار لتجربة الوحدة العربية مع مصر، ومقاربة هذه التجربة من العلاقات اللبنانية- السورية بعد الإنسحاب من لبنان

188 تأملات في "الظاهرة السلمانية"

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 13 مارس (آذار) 2008

حول الكلمة التي ألقاها قائد الجيش ميشال سليمان في مناسبة إحتفالية تكريماً للمؤسسة العسكرية، وكيف أن الخطاب المتميز بنكهته "الرئاسية" جاء متوازناً وممهداً لتوليته رئاسة الجمهورية

190 عبد الله بن عبد العزيز: قمة في المبدئية.. وأمثولة في العطاء والوفاء

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 24 مارس (آذار) 2008

تأملات في الخطاب الذي ألقاه الملك عبدالله بن عبد العزيز في مجلس الشورى، وإستحضار للخطاب الذي تلاه في قمة الرياض عام 2007 ودعوته إلى محاسبة الذات، وكيف أن هذه القمة في المبدئية دفعته إلى تكريم الشيخ الراحل عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري في مهرجان الجنادرية

192 جولة الترميم... لمعالجة التصدّع

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 8 أبريل (نيسان) 2008

دعوة إلى الرئيس السوري بشار الأسد للبدء في محاولة جمع الصف العربي بعد أن كان عنوان قمة دمشق "قمة التضامن" وذلك لمناسبة ترؤسه للقمة العربية لمدة سنة

193 تأملات في المكابدة الروسية - الجنبلاطية

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 19 أبريل (نيسان) 2008

قراءة لزيارة السفير الروسي لدى لبنان سيرغي بوكين للشخصية الدرزية المثيرة للإنتباه الوزير السابق وئام وهاب في بلدة الجاهلية وردّة فعل الزعيم الدرزي الأهم وليد كمال جنبلاط عليها

195 عمرو موسى بين التمثيلية اللبنانية والدعم التمثيل المصري - السعودي لدوره

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 5 مايو (أيار) 2008

عندما حاول عمرو موسى كأمين عام للجامعة العربية الترفق بلبنان لكن لا يتجاوب معه رموز العمل السياسي والحزبي بما يفيد الوطن

196 قليل من الفضفضة وكثير من الصبر

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 17 مايو (أيار) 2008

تأملات في أحداث السابع من أيار في بيروت والقوضى التي عصفت بالعاصمة من جانب عناصر مسلحة من "حزب الله" و"حركة أمل"، ودعوة إلى إرساء قواعد المواطنة وأن الإحتجاج بالسلاح لن يُنتج الحلول للأزمة اللبنانية

198 صدمة من فؤاد السنيورة المستعجل وفرصة لـ بشار المتردد

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 27 مايو (أيار) 2008

حول جولة رئيس الوزراء السابق فؤاد السنيورة في أرجاء الوسط التجاري بعد الخروج بإتفاق الدوحة، بذل مواساته للعائلات اللبنانية التي أصيبت بالفاجعة إثر الأيام السوداء التي ضربت العاصمة يوم 7 أيار/ مايو 2008

199 النجادية التي أينعت والد "لاريجانية" التي حان مجيئها للتروس

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 9 يونيو (حزيران) 2008

وجهة نظر حول تكرار الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بشأن المحرقة الإسرائيلية، خلال مشاركته في قمة الغذاء المنعقدة في روما، ودعوة إلى إستبدال هذا التكرار بالتأكيد على المبادرة العربية التي أطلقها الملك عبد الله بن عبد العزيز

- 201 تأملات في محنة "البيارتة" بعد رفيق الحريري، صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 15 يونيو (حزيران) 2008
- في الوقت الذي تحظى فيه الإمارات وقطر بأهمية سياسية وإماراتية مالية، نستحضر الدور الريادي لبيروت الذي عمل الرئيس رفيق الحريري على تحقيقه كعاصمة للثقافة والاقتصاد، وكيف أن إستشهاده كان محنة بالنسبة إلى البيارتة
- 203 مصر وحكاية "رغيف العيش": من هدية الملك فهد إلى الزرع في السودان، صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 20 يونيو (حزيران) 2008
- مقاربة تاريخية لأزمة القمح المتعاقبة في مصر وكيف ساهمت السعودية خلال مرحلة الملك فهد بن عبد العزيز بدعم مصر لصناعة الرغيف، وذلك لمناسبة دعوة من مصر إلى إستئناف فكرة زراعة القمح في السودان
- 205 صلوات العطار الروحي لإصلاح الفساد السياسي، صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 30 يونيو (حزيران) 2008
- حول القمة الروحية - السياسية التي إستضافها القصر الجمهوري اللبناني، ودعوة للمرجعات الروحية كي تكون شاهداً أميناً على الصراع الدائر بين رموز العمل السياسي
- 206 الإعوجاج النجادي والتملص البشّاري، صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 4 يوليو (تموز) 2008
- تساؤلات حول العناد الإيراني في وجه المجتمع الدولي، وقراءة للمحاولات التي يقوم بها الرئيس السوري بشار الأسد لفكّ عزلة بلاده بدءاً من فرنسا وإنعكاسات هذه المسألة على العلاقات الإيرانية/ السورية
- 207 سكون في سوريا "المفاوضة" وضجيج في العراق المصافح، صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 11 يوليو (تموز) 2008
- قراءة لجلسات التفاوض الهادئة بين سوريا وإسرائيل عبر البوابة التركية، وصخب في العراق بعد المصافحة بين جلال طالباني ووزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك
- 209 عبدالله بن عبد العزيز المبشّر من قلب أوروبا بعالم أفضل، صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 5 أغسطس (آب) 2008
- تأملات في الخطاب الذي ألقاه الملك عبد الله بن عبد العزيز خلال إفتتاحه "المؤتمر العالمي للحوار في مدريد"، وكيف دعا في كلمته إلى أهمية الحوار بين الديانات ونبذ العنف والبغضاء وإستبدال الصراع بالوئام
- 211 وصفة الدكتور معمر للمكابّر أمام المستكبر، صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 14 أغسطس (آب) 2008
- وجهة نظر حول النصيحة التي قدّمها الرئيس الليبي معمر القذافي لأهل الحكم في إيران ودعوته إلى عدم المكابرة وتحدي المجتمع الدولي لأن إستمرار هذا النهج سيجعلها تواجه المصير ذاته الذي واجهه العراق الصّدّامي
- 212 تحية السيد حسن الألفية لبيروت... وتراثها كما يرويه صائب بك، صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 27 أغسطس (آب) 2008
- حول التحية التي ألقاها السيد حسن نصرالله للعاصمة بيروت خلال الذكرى الثانية للعدوان الإسرائيلي على لبنان ومقارنتها بمواقف رئيس الوزراء اللبناني الأسبق المرحوم صائب سلام الذي كان يهتم بالشخصية البيروتية وتراثها

- 213 تأملات سياسية وشعرية في القلق السعودي المستديم على لبنان
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 10 سبتمبر (أيلول) 2008
- قراءة للإهتمام السعودي في لبنان وإستحضار لبعض القصائد التي ألقاها السفير السعودي عبد العزيز خوجة يعبر فيها عن قلقه من الأحداث التي عصفت بـ طرابلس العاصمة الثانية للبنان
- 215 "الرفيقان" بشّار وفلاديمير: مَنْ يستدرج مَنْ؟
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 24 سبتمبر (أيلول) 2008
- تأملات في العلاقات الروسية - السورية إثر الأحداث التي عصفت بـ جورجيا، ودعوة من الرئيس بشّار من أجل العودة إلى الجمع العربي
- 217 السعودية بين عماد يشكر وعماد يفترى
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 24 أكتوبر (تشرين الأول) 2008
- مقارنة بين النهج السياسي الذي إعتمده العماد ميشال سليمان لبناء علاقات متينة مع الرياض وبين الأسلوب الذي إتبعه الجنرال ميشال عون حين تحدث عن التبعية السياسية من جانب لبنان للمملكة العربية السعودية والإدارة الأميركية
- 219 المد الروسي والجزر الأميركي
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 30 أكتوبر (تشرين الأول) 2008
- مقاربة بين الأزمة المالية التي عصفت بالولايات المتحدة وبين السعي الروسي إلى شق طريقه في إتجاه الفورة النفطية داخل أميركا اللاتينية
- 220 الأمثلة الأميركية للأنظمة الطاعنة في البقاء
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 2008
- تأملات في حالة التجدد الرئاسية الأميركية إثر فوز الرئيس أوباما مقارنة بحال أغلب الرئاسات العربية الباقية في الحكم مدى الحياة
- 222 "سفينة عبد الله": إصعد تسلّم... وأسلّك تفز
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 2008
- تأملات في فحوى الخطاب الذي ألقاه الملك عبد الله بن عبد العزيز في الدورة الثانية لـ "مؤتمر حوار الأديان" في مقر الأمم المتحدة وذلك بعد دعوته إلى إنشاء لجنة تُوصل الحوار
- 224 "حرب القبائل" في لبنان وفلسطين
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 3 ديسمبر (كانون الأول) 2008
- حول الشرخ السياسي في لبنان وفلسطين وكيف أثرت الأطياف السياسية في البلدين تغليب النقاتل على التفاهم
- 225 هل هذا وقت التصريحات "العدوانية"؟!
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 11 ديسمبر (كانون الأول) 2008
- حول السعي المصري لعقد مؤتمر الحوار بين السلطة الوطنية الفلسطينية وحركة "حماس"، والقرار الذي إتخذه قادة "حماس" بعدم المشاركة
- 226 الطواف الملاييني بين مكة والمدينة والطواف البشّاري - العوني بين دمشق وحلب
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 23 ديسمبر (كانون الأول) 2008
- وجهة نظر حول زيارة العماد ميشال عون إلى سوريا والتكريم الإستثنائي الذي حظي به من الرئيس بشّار الأسد في الوقت الذي يحتفل المسلمون بعيد الأضحى

تأملات في البركان الغراوي ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

- صحيفة "الشرق الأوسط" – السبت 3 يناير (كانون الثاني) 2009
قراءة بالعين السياسية المجردة للمجزرة التي تعرض لها أهل غزة إثر العدوان الإسرائيلي، والمواقف غير الحازمة التي إتخذتها بعض الدول العربية والإسلامية بهذا الشأن
- 232 ظروف الرئيس حسني من ظروف السيد حسن.
صحيفة "الشرق الأوسط" – الإثنين 12 يناير (كانون الثاني) 2009
إستحضار للمعارك التي خاضتها مصر المقاومة ضد إسرائيل، وكيف أن السيد حسن نصرالله وجّه كلاماً خشناً إنتقد فيه توجهات السياسة الخارجية المصرية في شأن الصراع العربي/ الإسرائيلي
- 234 لعبة الإستدراج من عبد الناصر إلى خالد مشعل.
صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 20 يناير (كانون الثاني) 2009
مقاربة حول إستدراج إسرائيل الرئيس عبدالناصر إلى الحرب وإستدراج مماثل من جانبها لقائد حركة «حماس» خالد مشعل، وكيف إنتهى أمر الإستدراجين
- 236 "وصفة عبد الله" للتوكل العربي.
صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 26 يناير (كانون الثاني) 2009
حول جهود الملك عبد الله بن عبد العزيز لرأب الصدع في العلاقات العربية، وحول الكلمة التي ألقاها في القمة الإقتصادية في الكويت، ودعوته إلى إبقاء الموقف العربي من إسرائيل تحت خط الثوابت التي حددها في مبادرته التي أطلقها من القمة العربية الدورية في بيروت
- 238 المُمهلون في الأرض.. قبل غزة وبعدها.
صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 3 فبراير (شباط) 2009
إستغراب للموقف الأوروبي في شأن العدوان الإسرائيلي على غزة، وقراءة مجرّدة للخطاب الذي ألقاه إسماعيل هنية رئيس "حكومة غزة الحمساوية
- 240 الثأر الخميني.. والثأر الحريري.
صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 17 فبراير (شباط) 2009
مقارنة بين ثأر من جانب الخميني حققه بإسقاط نظام الشاه وثأر لإعتقال رفيق الحريري متروك للمحكمة الدولية إتخاذ العقاب في شأنه
- 242 خطوة خطوة على صراط عبد الله بن عبد العزيز.
صحيفة "الشرق الأوسط" – الثلاثاء 3 مارس (آذار) 2009
حول الجهود التي يبذلها الملك عبدالله بن عبد العزيز من أجل إيجاد حل للقضية الفلسطينية، وحول المبادرة المصرية لتسوية النزاع بين "فتح" و"حماس"
- 244 يسألونك عن السودان و... "إنقاذه".
صحيفة "الشرق الأوسط" – السبت 14 مارس (آذار) 2009
تساؤلات عن المسألة السودانية المعقدة وموقف الرئيس السوداني عمر البشير من المحكمة الجنائية، وطريقة تصرّفه مع المجتمع الدولي كتصرّف جنرال مع أفراد فرقة عسكرية

- 246 ختامها نصيحة من قلب عبد العزيز خوجه
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 26 مارس (آذار) 2009
تأملات في ما أنجزه الدكتور عبد العزيز خوجه حين كان سفيراً للمملكة العربية السعودية في لبنان وقدرته على مواجهة المزاج السياسي اللبناني قبل تعيينه وزيراً للإعلام والثقافة
- 248 من "المستشار الثالث عشر" إلى الرئيس عمر البشير
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 9 أبريل (نيسان) 2009
وجهة نظر حول منازلة الرئيس السوداني عمر البشير بشأن المحكمة الجنائية ودفاعه عن التهمة التي ألصقت به وإقتراحات في شأن ما يمكن أن يفعله لإنقاذ ما يمكن إنقاذه
- 250 إشرافات في زمن عبدالله بن عبد العزيز
صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 20 أبريل (نيسان) 2009
قراءة لإنجازات الملك عبدالله بن عبد العزيز الداخلية والعربية والدولية، في مناسبة مهرجان الثقافة والتراث (الجنادرية)
- 252 مواسم التحرش بالمحروسة و... الحارسة
كُتبت لصحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ أبريل (نيسان) 2009
مقاربة بين تحرش الحكم الإيراني بمصر على خلفية الأزمة بين "حزب الله" والحكم المصري والذي حدث سابقاً حين هاجم العراق البعثي قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز
- 256 حكاية "الحاج بنديكتوس" والشاهدين العدلين
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 16 مايو (أيار) 2009
تساؤلات حول رد فعل بعض الشخصيات الدينية في منتدى الحوار الذي عُقد في روما على الكلمة التي ألقاها قاضي قضاة فلسطين الشيخ تيسير التميمي ودعوته الكنيسة الكاثوليكية إلى إدانة الجرائم الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني
- 257 أميركا سبتمبر الأخضر بعد الأغبر؟
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 26 مايو (أيار) 2009
قراءة إستباقية للزيارة التي قام بها الرئيس الأمريكي باراك أوباما إلى مصر بعد زيارة لتركيا
- 259 خارطة طريق أوباما لملاقاة مبادرة عبدالله بن عبد العزيز
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 30 مايو (أيار) 2009
حول أسباب تعثر التسوية السورية - الإسرائيلية بسبب العدوان على غزة والجهود التي بذلتها تركيا لإنضاجها، وتساؤل عما إذا كان باراك أوباما سيعمل على ملاقة المبادرة العربية خلال زيارته لمصر
- 260 التيسير السعودي بأسلوب علي عسيري
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 6 يونيو (حزيران) 2009
نظرة على الدور السعودي في لبنان بأسلوب السفير الجديد علي عسيري الذي زار كافة القيادات اللبنانية بعدما تركت بعض الشوائب بصمة على ذاكرة كثيرين
- 262 لبنان العجيب... وبرلمانه الأعجب
صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 8 يونيو (حزيران) 2009
وجهة نظر حول البرلمان اللبناني عشية الإنتخابات النيابية وكيف أن نوابه لم يمارسوا مهامهم الحقيقية ككل بلد

- 263 الكلام المُحَنَّن والكلام المُجَنَّن في بلاد آية الله.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 23 يونيو (حزيران) 2009
قراءة لثورة الاصلاحيين في إيران إثر الإنتخابات الرئاسية، وتساؤل حول دور المرشد علي خامنئي وكيف أنه حدد خياره سلفاً قبل إجراء الإنتخابات
- 265 المملكة المرجع وعبد الله بن عبد العزيز المرجعية.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 1 يوليو (تموز) 2009
بعد مرور أربعة أعوام على تولي الملك عبدالله بن عبد العزيز مقاليد الحكم، مقارنة سياسية للإنجازات الإصلاحية في المملكة، والإهتمام السعودي بالقضايا العربية والإسلامية
- 266 لبنان السلاح والرئاسات: إنطباعات من دمشق.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 11 يوليو (تموز) 2009
نظرة في شأن ظاهرة إستعمال السلاح في العاصمة بيروت إبتهاجاً ببعض المناسبات السياسية، ورسالة حول إرتياح دمشق للوضع اللبناني المستقر بعد لقاء بعض القيادات السورية
- 268 تأملات في حركة فقدت المبررات.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 25 يوليو (تموز) 2009
مقاربة تاريخية لما آلت إليه حركة عدم الإنحياز التي إستضافتها مصر في شرم الشيخ بعد 45 سنة من إستضافتها في الإسكندرية وتساؤل حول جدوى وفعالية هذه الحركة
- 270 زائر أميركا "غير المنحاز" رئيس حركة فقدت المبررات.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 15 أغسطس (آب) 2009
حول زيارة الرئيس حسني مبارك إلى الولايات المتحدة بعد مرور خمسة أعوام، وإطلالة حول موجبات حركة عدم الإنحياز، مع لمحة تاريخية عن دورها أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر
- 273 يا لثارات الأخ معمر!.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 27 أغسطس (آب) 2009
تأملات حول النهج الثأري الذي إتبعه الرئيس الليبي معمر القذافي بدءاً بالسادات وصولاً إلى إيطاليا مروراً بسويسرا
- 275 سوريا والعراق: التباغض يعيد نفسه.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 7 سبتمبر (أيلول) 2009
نظرة حول مقومات التعاون الإستراتيجي التي تم الإتفاق عليه بين دمشق وبغداد في آب/ أغسطس 2009، وكيف أن الحكومة العراقية استدعت سفيرها في سوريا إثر أحداث أمنية وقعت في المنطقة الخضراء كما لو أن تاريخ الخلاف بين البلدين يعيد نفسه
- 280 لبنان الديمقراطية... ودكتاتورية التعطيل.....
صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 17 سبتمبر (أيلول) 2009
مقارنة بين الحريري الأب خلال تكليفه في تشكيل الحكومة قبل سبع عشرة سنة وبين الحريري الابن الذي تتعثر خطوات تأليفه للحكومة عكس ما حدث مع والده، وكيف أن الديمقراطية التي يتحدث عنها بعض الأطراف السياسية تحولت إلى ديكتاتورية

- 282 عبد الله بن عبد العزيز.. ووصية الـ 220 سنة
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 22 سبتمبر (أيلول) 2009
- إستحضار لوصية الملك عبد العزيز آل سعود في ذكرى اليوم الوطني السعودي، وكيف أن وصيته جاءت لتعبر عن الأولويات التي حددها لأبنائه تجاه دور المملكة، ودعوته لهم للإهتمام بقضايا الأمتين العربية والإسلامية
- 284 سلطان التهدة والتوازن والباب المفتوح
- كُتبت لـ صحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ سبتمبر (أيلول) 2009
- في الوقت الذي تعلقو اللهجة الإيرانية في مخاطبة المجتمع الدولي، نستحضر النهج المتوازن الذي إتبعه الأمير سلطان بن عبد العزيز عندما كان وزيراً للدفاع ثم بعد مبايعته ولياً للعهد
- 286 معادلة س. س. ودبلوماسية ع. م.
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 6 أكتوبر (تشرين الأول) 2009
- وجهة نظر حول اللقاء الذي جمع بين الوزيرين عبد العزيز خوجة ومحسن بلال وكيف أن لغة الحوار المتوازن شكّلت إيذاناً بعودة الدفء إلى العلاقات السعودية - السورية والذي كان الملف اللبناني أحد أهم أسبابها
- 288 "أبو حافظ" ما بعد إنزياح الأثقال عن الكاهل
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 27 أكتوبر (تشرين الأول) 2009
- تساؤل عما إذا كانت القمة السعودية - السورية التي إستضافها الرئيس بشار يوم 7 أكتوبر 2009 ستريح عن كاهله أثقالاً كثيرة
- 290 لجنة التطبيع.. وتساؤلات "المثقف المصري الفصيح"
- صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 31 أكتوبر (تشرين الأول) 2009
- قراءة لواقعة إخفاق وزير الثقافة المصري فاروق حسني بمنصب المدير العام لمنظمة اليونيسكو، وشرح للأسباب التي أثارت جدلاً حول هذه المسألة ومقارنتها بالتجربة التي مر بها الدكتور غازي القصيبي
- 292 انفصال الجنوبيين عن شماليهما لا قدر الله.. وتأتي البقية
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 12 نوفمبر (تشرين الثاني) 2009
- وجهة نظر حول حيثيات المسألة السودانية وأسباب تعثر الوحدة بين الشمال والجنوب التي سيتم الإستفتاء عليها في مطلع 2011
- 294 تخريجة أزهرية - محجوبية لـ «يوم المريخ»
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 2009
- مقاربة سياسية للخلاف الرياضي بين مصر والجزائر على خلفية لعبة كرة القدم وما سببته من تأزيم في العلاقات بين البلدين، ودعوة إلى حكومة "الإنقاذ" في السودان لإعتماد أسلوب يحول دون حدوث أزمة
- 296 صدمات ذوي القربى.. وأحدثها «العرب الكروي»
- صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 26 نوفمبر (تشرين الثاني) 2009
- قراءة في التدايعات التي نشأت عن فوزى في القاهرة ثم في الخرطوم خلال المباريتين اللتين حدثتا بين المنتخب المصري والمنتخب الجزائري وكيف كادت العلاقات الشعبية والسياسية والمصالح الاقتصادية تنهار بين البلدين
- 298 الإبتسامة السلطانية.. «كلمة سر» الأيام الصعبة
- صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 19 ديسمبر (كانون الأول) 2009
- تساؤل عما إذا كانت إبتسامة لاحظها الناس على محيا الأمير سلطان بن عبدالعزيز هي بمثابة مؤشر إلى تفاؤل بإنفراج أزمت

303 إحتجاب الهلال النجادي وإستطلاع رؤية البدر الأردوغاني.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 26 يناير (كانون الثاني) 2010

ملاحم تصدّع في الجبهة الداخلية الإيرانية وإلى درجة أن الجمهورية الإسلامية باتت جمهوريتين، جمهورية يترأسها نجاد وجمهورية الظل

305 كوارث وفواجع عدم التوقع.. من عبد الناصر إلى أوباما.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 9 فبراير (شباط) 2010

كيف أن الرئيس الأميركي باراك أوباما يجاهر بعدم توقّعه لمشاكل من الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي

307 الصديق السوري.. والضيق الإيراني.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 2 مارس (آذار) 2010

عندما يقول الرئيس الإيراني نجاد عبّر الهاتف كلاماً للرئيس السوري بشار ويكون رأي الثاني غير منسجم مع الرأي الأول

310«يوم الرياض» في اليمن.. باطلالة الملك عبدالله بن عبد العزيز.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 9 مارس (آذار) 2010

نظرة على لفظة لها طابع النخوة من جانب الملك عبد الله بن عبدالعزيز إزاء اليمن الخارج في الأشهر الأولى من العام 2010 من حالة تمرد حوثي

312 قمة العقيد العميد العنيد في مواجهة الغياب والتغيب.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 24 مارس (آذار) 2010

تأملات في أحوال عاشها العقيد معمر القذافي في خضم إنهماكه بإستضافته الأولى للقمة العربية الدورية. وكيف تعامل مع حالة صدام مزدوجة سويسرية - لبنانية

314 النمر الإسلامي والنمر الهندوسي.. والإنحياز الإيجابي إلى التنمية والسلام.

صحيفة «الشرق الأوسط» - 24 أبريل (نيسان) 2010

تأملات في زيارة تاريخية قام بها الأمير سلمان بن عبد العزيز للهند من الثلاثاء 24 إلى الجمعة 27 يناير (كانون الثاني) 2006، مصحوباً بوفد من رجال الأعمال على نحو ما سبق أن فعل الملك عبدالله بن عبد العزيز

317 إحتلال مرفوض وآخر مبغوض.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 10 مايو (أيار) 2010

عندما قال وزير خارجية الإمارات الشيخ عبد الله بن زايد في معرض التعليق على إحتلال إيران للجزر الثلاث «إن الإحتلال هو الإحتلال ولا توجد أرض عربية أعلى من أرض عربية أخرى»

319 بشّار التنموي.. ونجاد النووي.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 18 مايو (أيار) 2010

يوم وضع الرئيس نجاد، ومن على منبر الأمم المتحدة، حليف إيران الرئيس بشّار أمام إخراجات لا تتناسب مع تطلعاته

322 زيارة يزهو بها البيت الأبيض.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 3 يوليو (تموز) 2010

قراءة ما بين سطور كلمات تبادلها الملك عبدالله بن عبد العزيز والرئيس باراك أوباما وجاءت مفرداتها في منأى عن التكلف وطقوس البروتوكول وذلك خلال زيارة قام بها الملك إلى واشنطن وبدا البيت الأبيض مزهواً بها

322 «أيلول الأبيض».. والله أعلم.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 15 يوليو (تموز) 2010
رؤية إفتراضية بأن تحدث بين عيد الفطر وعيد الأضحى للعام 2010 ملامح "أيلول الأبيض" يبدد من الذاكرة تداعيات
"أيلول الأسود"

324 آبار وآثار.. وبينهما جامعة الملك عبد الله.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 27 يوليو (تموز) 2010
قراءة في قرار غير متوقع أصدره مجلس الوزراء السعودي يوم 17 أبريل 2000 وقضى بإنشاء «الهيئة العليا للسياحة»، ذات
مجلس إدارة برئاسة الأمير (الراحل) سلطان بن عبدالعزيز

325 قمة تغليب الحكمة على الغفوان.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 19 أغسطس (آب) 2010
عندما إمتنع لبنان عن التصويت على قرار يقضي بفرض العقوبات على إيران وكان ذلك دون القدرة على تحمّل مثل هذه
الخطوة غير الموضوعية

327 معادلة «س.س» الحنطوية.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 9 سبتمبر (أيلول) 2010
كيف أن إحتراق حقول من القمح في روسيا إنعكس فوراً على الشعب المصري الذي وفّق إحصاءات إفتراضية يحتاج يومياً
إلى 35 مليون رغيف

329 بشّار ما بين لواء المرشد و«لواء السيد».....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 30 سبتمبر (أيلول) 2010
قراءة في زيارة قام بها الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إلى دمشق يوم السبت 2010/9/18 وإقتصرت على لقاء الرئيسين بشّار
الأسد ونجاد في صالون الشرف في المطار، وكيف أن هذا اللقاء تزامن في الوقت نفسه مع "عرضة" في مطار رفيق الحريري
الدولي حيث إستقبل "حزب الله" اللواء جميل السيد العائد إلى بيروت من باب الطائرة إلى صالون الشرف

330 خير الإقتراحات وأصوبها ما إقترحه الأمير سعود.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 13 أكتوبر (تشرين الأول) 2010
حول إقتراح من جانب وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل طرحه من على منبر الأمم المتحدة متضمناً التعهد من
جانب أميركا عدم إستخدام «الفيتو»

332 العالم الثالث يداوي جراح العالم الأول.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 2010
يوم بدت بعض دول العالم الأول وبالذات إيطاليا وبريطانيا أنها تحتاج إلى إستثمارات من بعض دول العالم الثالث وأبرزها
دولة قطر

334 الشفافية النهج... والجَزَع الحق.....

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 2010
حول حالة جَزَع أصابت المجتمع السعودي بعدما بتّ الديوان الملكي مساء الجمعة 12 نوفمبر 2010 بياناً حول وعكة
صحية أصابت الملك عبد الله بن عبد العزيز

336.....نجد النوي المهموم بعد عرفات بالتنازل

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 2010

كيف أن ما يحلم به الرئيس الإيراني أحمد نجاد المتطلع، من خلال تنشيط التنازل، إلى دولة الـ 150 مليون نسمة، مثل
تطلع لم يفارق خاطر الرئيس ياسر عرفات الذي كان يحلم بالدولة الفلسطينية التي طالما رآها على بُعد مرمى الحجر

338.....عاشورانيات سياسية ومن العيار الأثقل

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 13 ديسمبر (كانون الأول) 2010

تأملات في مجالس عاشورائية في لبنان حُفّلت بمفردات لاتصل بمعنى الشهادة ومعنى التضحية ومنها عبارة أحدهم «روحوا
بُطّوا البحر»

339.....هل تعود مصر والسودان (الشمال) حثة واحدة

صحيفة «الشرق الأوسط» - 27 ديسمبر (كانون الأول) 2010

نظرة على زيارة قام بها الرئيسان حسني مبارك ومعمّر القذافي إلى الخرطوم يوم الثلاثاء 21 ديسمبر/ كانون الأول 2010 ولم
يجدا ما يقولانه للرئيس عمر البشير بحضور الرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز حول إستفتاء انفصال الجنوب عن
السودان سوى التعبير عن الأسف للصدمة التي من المؤكد ستحدث

345.....هذا الـ «ينابر» الأسود بفعل ذلك «السيد» الأبيض

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 15 يناير (كانون الثاني) 2011

حول هدية انفصال جنوب السودان عن شماله التي أهداها الرئيس "الإنقاذي" عمر حسن البشير إلى الجنوبيين وكأنها هدايا
الأوطان مثل هدايا "بابا نويل" لمناسبة عيد ميلاد السيد المسيح

346.....عن اللي جرى وقد يجري

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 25 يناير (كانون الثاني) 2011

كيف أن طول بقاء الحاكم في السلطة، كما في اليمن ومصر والجزائر وليبيا السودان وسوريا، ولاية رئاسية بعد
أخرى يشكّل في بعض جوانبه إحساساً شعبياً بضرورة الإنصراف بالحسنى إذا أمكن وبالإكراه على الرئيس إذا عاند
متمترساً بالسلطة

348.....زيجات اللغز اللبني من الخلع إلى المساكنة إلى المتعة

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 1 فبراير (شباط) 2011

حول برامج تبثها بعض الفضائيات وتتضمن عبارات لإطراف سياسية وحزبية لا تلتزم التأدب بالحد الأدنى ومع ذلك لا
يردعها رادع عن مواصلة البث

350.....«المهمّشون في مصر» و«الفورة الشبابية»

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 9 فبراير (شباط) 2011

حول ظاهرة عشرات الألوف من المصريين المهمّشين الذين يعيشون في ظروف بالغة السوء فيما طبقة رجال الأعمال
تزداد إكتنازاً

352.....الإعترض المحترم والإستفتاء المأمول

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 21 فبراير (شباط) 2011

كيف أن من حق جيل الشباب أن يتباهى أمام العالم بأنه كان النموذج الواعي للإعترض وأن صوته كان الصوت المسموع

354.....الإستحلال الممكنان في مصر: التحرير والتغيير

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 2 مارس (آذار) 2011

حول مشهد التغيير الذي حصل في مصر وبدا للوهلة الأولى أنه مستحيل لكن حدة الغضب الناشئ عن الفساد جعلت المستحيل ممكناً

356.....الإجتثاث المصري بعد العراقي

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 12 مارس (آذار) 2011

رؤية في ظاهرة الإجتثاث التي بدأت في العراق ضد البعثيين وأخذت طريقها بعد ذلك إلى بقية ديار "ثورات" ما إصطلح على تسميته "الربيع العربي"، وكيف أن هذه الظاهرة تجعل الوحدة الوطنية في مأزق

357.....بشّار التغيير الفوري لإستباق التغيير القهري

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 31 مارس (آذار) 2011

حول الوصفة الخليجية السعودية - الكويتية - العُمانية بالذات التي وجد فيها الرئيس بشّار الأسد في بدايات العام 2011 علاجاً للضيق الشعبي من واقع الحال

358.....كي لا تزلزل الأرض السورية زلزالها

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 7 أبريل (نيسان) 2011

كيف أن الرئيس بشّار الأسد يعيش في ظل عاصفة التغيير العاتية في المنطقة، وضِعاً فيه كثير الشبه من الوضع الذي عاشه الرئيس (الراحل) أنور السادات في السنوات الثلاث التي سبقت حرب أكتوبر 1973

360.....مسعى عبد الله بن عبد العزيز من «البيت العتيق» إلى «البيت التوفيق»

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 14 أبريل (نيسان) 2011

قراءة في مسعى الملك عبدالله بن عبد العزيز المتمثل بالإقتراح الذي عرّضه "مجلس التعاون لدول الخليج العربية" القاضي بدعوة أطراف النزاع في اليمن إلى مؤتمر حوار ينعقد في الرياض بهدف التوصل إلى تسوية النزاع

361.....عن أي أمين عام يبحثون وعن أي قمة يتحدثون!

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 5 مايو (أيار) 2011

تأملات في ثلاثة إنعقاد القمة الخليجية وكذلك في تعيين الأمين العام لدول المجلس بالمقارنة مع التعقيدات التي تحدث بالنسبة إلى القمم العربية وتعيين الأمين العام للجامعة

363.....القمة الورطة على بساط الريح بين معمر والمالكي

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 12 مايو (أيار) 2011

كيف أن من غرائب الأحوال العربية أن "رئيس الأمة" بحكم ترؤسه القمة العربية الدورية وفق الترتيب الأبجدي منذ 18 مارس/ آذار 2010 وحتى 27 مارس 2011 كان في الوقت نفسه يقاسي ويلات إنتفاضة عليه وأن الدول الشقيقة شبه مجمعة على ضرورة إنصرافه. كما أن المذاهب توحدت حول إن غيابه عن الساحة يحقّق هدوءاً تقتضيه الأمة

366.....من المصالحة الروحانية إلى المصالحة المخبرانية

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 1 يونيو (حزيران) 2011

تأملات في المصالحة الروحانية بين "فتح" و"حماس" التي رعاها الملك عبدالله في مكة المكرمة في 8 فبراير/ شباط 2011 ومع الأسف أضاعها الشقيقان الفلسطينيان اللودان، والمصالحة الأخرى التي تمت بين طرفين يوم الأربعاء 4 مايو/ أيار 2011 في مقر جهاز المخابرات المصرية في حدائق القبة في القاهرة، ومن دون أن يعني ذلك أن هذه المصالحة ستصمد

367 لحظة مفرحة في مشهد متوحش.....

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ يونيو (حزيران) 2011

حول لحظة مفرحة ذات معانٍ كثيرة إستوقفتني ككاتب في المشهد العربي - الإسلامي الكئيب المتوحش. وهذه اللحظة تتجسد في الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي جمع حوله الأبناء والأحفاد لمناسبة زفاف كريمة ابنه الغائب الحاضر الأمير فهد رحمه الله على الأمير طلال بن عبد العزيز بن بندر. وميزة هذه اللحظة ذات الطابع الإجتماعي تمثلت بالإنعقاد جيلين من أبناء وأحفاد حول جد كثير التميز

368 قبل أن يفوت الأوان ويندم بشّار.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 9 يونيو (حزيران) 2011

كيف أنه من المفروض المأمول في الرئيس السوري الدكتور بشّار الأسد أن يعيد النظر نوعياً وبحيث يصبح منتتماً إلى الجمهور العريض الذي يطالب بالتغيير والحياة الكريمة وبسلطة القانون المتجرد بدلاً لسلطة الأمن المتجبر

370 جنرالان... وتفريطان.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 14 يوليو (تموز) 2011

نظرة على جنرالين عربيين قرطاً أسوأ تقرّيط في بلديهما: الأول هو الرئيس علي عبدالله صالح الذي وضع اليمن في مهب الفوضى فلم يعد سعيداً والثاني هو الرئيس عمر حسن البشير الذي كان ختام السودان إنكساراً إلى قطعتين وتحت راية "ثورة الإنقاذ"

371 وصفة الحكيم المداوي.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 13 أغسطس (آب) 2011

كلمات عبر الأثير قالها يوم الأحد 7 أغسطس 2011 الملك عبد الله بن عبدالعزيز إلى «الأشقاء في سوريا العروبة والإسلام» وبدأت كما لو أنها وصفة من الحكيم المداوي

374 مقايضة.. فتعوم «مصر الثورية».....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 23 أغسطس (آب) 2011

كيف أن من شأن تنازل الرئيس حسني مبارك وعائلته وبعض أركان نظامه عن الثروات والممتلكات التي جنوها خلال عملهم الرسمي الأخذ بالقول: عفا الله عما مضى

375 الضغط الذي لا يؤلّد الانفجار.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 30 أغسطس (آب) 2011

نظرة على الذي يحدث في العالم العربي من حركات إحتجاج وغضب وضيق صدر وعدم قدرة على التحمل وكيف أن ذلك سينتهي كما إنتهى الحال في الإتحاد السوفياتي عندما إستطاع غورباتشوف من خلال أسلوب "التغيير بالحكمة" هزّ أساسات العقيدة الماركسية وإسقاط الأمبراطورية السوفياتية

377 التسديد بعد التسليف للملعوب الأطلسي.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 3 سبتمبر (أيلول) 2011

كيف أن حقيقة باتت واضحة مثل نور الشمس في ضوء الذي جرى في ليبيا وكيف أن سلوكيات الحاكم العربي تتسبب أحياناً بإستدعاء الأجانب على وجه السرعة فيحققون مآربهم على حساب مستقبل الشعب

379 أوباما ومشاركوه المغفور أو عظام الأمور.....

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 8 سبتمبر (أيلول) 2011

حول موقف متأرجح وكثير التذبذب للرئيس أوباما الذي وعد كثيراً وبالذات وبالنسبة إلى الموضوع الفلسطيني لكنه لم يف بما وعد

381 كُتِبَ «الكَيْفُ الثوري» في المحرسة المتسالمه

كُتِبَ لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 12 سبتمبر (أيلول) 2011
نظرة على سلوكيات المصريين وكيف أن بعضهم أجاز لنفسه الإساءة إلى جيش البلاد في معرض الإبتهاج بـ "الثورة" التي
لولا حماية الجيش لها لما كان لنظام الرئيس حسني مبارك أن يتهاوى

384 ملك الأخبار الطيبة

كُتِبَ لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأحد 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2011
كيف أن الصفة التي إنتصت بخادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز أنه "ملك الأخبار الطيبة" التي لا تقتصر على
الداخل السعودي وإنما تشمل الأمتين

386 رسالة لبنانية لمعاودة السعي السعودي

كُتِبَ لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2011
عندما بدت المشاركة اللبنانية الشاملة والتميزة من جانب كل رموز الطوائف والأطياف اللبنانية في حفل الإستقبال الذي
أقامه علي عواض عسيري بأنها رسالة لبنانية لمعاودة السعي السعودي من أجل شد وأصر الوضع اللبناني

388 رَبُّ غَضْبَةٍ نافعة

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2011
كيف أن كلاماً قاله الدكتور عصام شرف رئيس وزراء مصر "ثورة 25 يناير" عبّر فضائية تركية كان من نوع الغضب التي
ربما تنفع. ومما قاله "إن معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ليست شيئاً مقدساً وبنودها قابلة للنقاش إذا ما تطلّب الأمر
ذلك وبما يفيد مصلحة المنطقة وعملية السلام"

390 إبتسامه أبو خالد

كُتِبَ لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 22 أكتوبر (تشرين الأول) 2011
مرثية موضوعية لرحيل الأمير سلطان بن عبد العزيز هذا الإستثنائي بين رجال الدولة المبتسم دائماً والذي كان الوحيد بين
أولياء العهود في ممالك العالم الذي يمتلك الدور والشراكة في صناعة القرار وتلك إحدى الصيغ التي أرادها الملك عبد العزيز
للأبناء أولياء العهد من بعده

392 أمير الدفاع عن المملكة... وأخواتها

كُتِبَ لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2011
قراءة في معنى تعيين الملك عبد الله بن عبد العزيز أخاه الأمير سلمان وزيراً للدفاع يوم السبت 5-11-2011 خلفاً لولي العهد
الراحل الأمير سلطان بن عبد العزيز وكيف جاءت نوعية أداء اليمين أمام الملك في اليوم التالي تُضفي المزيد من الأهمية
على الخطوة

393 بشّار الحائر وسط التاءات الثلاث

كُتِبَ لـ صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2011
كيف أن الرئيس بشّار الأسد والرئيس علي عبد الله صالح يديران الأزمة كلّ في بلده بالطريقة التي إستمر الرئيس معمر
القذافي يديرها حتى الإجهاز عليه

395 الحنكة أحياناً يمانية.. والنخوة دائماً سعودية

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 2011
إستناداً إلى ما هو حاصل في اليمن يصبح جائزاً القول إن الحنكة أحياناً يمانية وإن النخوة دائماً سعودية تجاه الجار اليمني

396 **كي لا تُفاجأ بـ "الجمهورية العربية السورية - التركية"**

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 11 ديسمبر (كانون الأول) 2011

كيف أنه إذا بقي العناد من جانب النظام البشّاري سيد الموقف والتعامل مع الأزمة وكأنما هي سلعة بين بائع يريد تسويق بضاعته وبين تاجر يتشاطر لكي يشتري بأفضل الأسعار، فإننا قد نفاجأ ذات يوم بقيام "الجمهورية السورية - التركية" وعلى نحو مفاجأة سابقة حدثت وما تزال مستمرة وهي "الجمهورية العراقية - الأميركية"

398 **مطالب عرب «اللوبي المصري»**

صحيفة «الشرق الأوسط» - 25 ديسمبر (كانون الأول) 2011

تأملات في مشهد ينطبق عليه قول الشاعر حول المضحكات الأشبه بالبكاء ويتمثل في أن نزق بعض المتعاطين أو المهلوسين من أبناء مصر "الثوريين" تسببوا في إحراق "المجمع العلمي" و"الجمعية الجغرافية المصرية" وما في داخل هذا المبنى من وثائق وخرائط ومخطوطات ورسوم تراثية ونادرة

403 **الإتحاد الأمنية.. والحل المتيسر**

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 1 يناير (كانون الثاني) 2012

حول الدعوة الطيبة من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز للإنتقال بدول الخليج من حالة التعاون إلى الإتحاد

405 **السلامة لصاحب «القلب العجيب»**

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 15 يناير (كانون الثاني) 2012

تمنيات بعبارات وجدانية من جانب الكاتب (فؤاد مطر) بالسلامة للدكتور عبدالعزيز خوجة وزير الثقافة والإعلام السعودي الذي خضع لعملية جراحية في «قلبه العجيب»

406 **الكر والفر بين السودان وليبيا**

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 24 يناير (كانون الثاني) 2012

تأملات في طبيعة العلاقات بين «القارتين» العربيتين السودان وليبيا التي هي دائماً عدا إستثناءات إما عاصفة أو عبارة عن غزوات وكل ذلك على حساب الإستقرار والتنمية

409 **الإنصراف بالتي هي أمكن برسم بشّار**

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 4 فبراير (شباط) 2012

قراءة للوضع السوري كما كان عليه في الشهر الأول من العام 2012، وكيف أن الإنصراف بالتي هي أمكن من جانب الرئيس بشّار الأسد مع الإعتذار على نحو ما فعل الرئيس اليمني علي عبدالله صالح هو أكرم تسوية يمكن أن تكون موضع ترحيب

410 **المضافات الممكنة لبشّار المتحى**

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 12 فبراير (شباط) 2012

... وإشارة إفتراضية إلى دول يمكن أن تشكّل عواصمها أو مدن فيها ملاذاً لإستضافة الرئيس بشّار الأسد كلاجئ سياسي ولعائلته ومن يصطحب في حال هو قرر كحل للأزمة التي تعصف بسوريا وبنظامه أن يتتحى

413 **حكاية قمة سينة حظ الإنعقاد**

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 17 مارس (آذار) 2012

إستعادة لظروف القمة العربية الدورية التي بسبب الوضع الأمني في العراق لم تتمكن بغداد من إستضافتها في الموعد الأول المحدد وهو 28 مارس 2011. ثم تكرر التأجيل إلى أن إستقر أمر عقدها يوم 28 مارس 2012 إنما على غير المستوى الكامل المأمول

415 يوم إنقلابت سوريا للمرة الأولى

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 31 مارس (آذار) 2012

إستحضار لحدث تاريخي يتمثل في الإنقلاب العسكري الأول في العالم العربي والذي قام به يوم الأربعاء 30 مارس/ آذار 1949 الزعيم حسني الزعيم منهيأ به الحكم الإستقلالي للجمهورية السورية برئاسة شكري القوتلي

417 إنقلاب بلا دماء... ولا «شبيحة»

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 23 أبريل (نيسان) 2012

... ومزيد من القراءة لوقائع ذلك الإنقلاب الذي قام به حسني الزعيم ومن دون سفك دماء أو مطاردات للناس من "شبيحة" النظام وهو ما تميز به واقع الإنتفاضة السورية على النظام الذي يقوده بشّار الأسد

419 دمشق المُنقلبة وبيروت المحتضنة

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 30 أبريل (نيسان) 2012

... وكيف روى رئيس وزراء نظام الرئيس شكري القوتلي ظروف الإنقلاب العسكري الأول مع إضاءة على أهمية دور العاصمة اللبنانية بيروت كمحتضنة لضحايا الإنقلاب وبالذات شكري القوتلي وخالد العظم اللذان أمضيا بقية حياتهما حتى الوفاة في بيروت

420 الملاذ الآمن.. غير آمن

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 8 مايو (أيار) 2012

إفتراض بأنه إذا وصلت الأمور إلى أنه لا مجال لإنقاذ النظام البشّاري، أن يحدث في لبنان «إنقلاب سوري - لبناني» وعندها قد يرى الرئيس بشّار الإقامة في «لبنانه الآمن وغير الآمن»

422 تأملات في "أسلحة" عربية راقية وإنسانية

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 21 مايو (أيار) 2012

حول نماذج من أسلحة الضغط التي لا تقل فاعليتها أهمية عن سلاح النفط الذي سبق إستعماله رداً على هزيمة 1967 ومن هذه الأسلحة سلاح الإنتفاضة في فلسطين و"سلاح الأمعاء الخاوية" فضلاً عن سلاح "مبادرة السلام العربية"

424 كوابيس ثورية من سوريا إلى ليبيا

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 31 مايو (أيار) 2012

كيف أن بعض الإجراءات الثورية كانت بمثابة كوابيس. وتتمثل الإجراءات بقوانين أصدرتها ثورة 23 يونيو 1952 وتأميمات في بداية الحكم الثوري في الجزائر شملت صالونات حلقة، وتأميمات ومصادرات تسرّع الحكم الجديد في ليبيا بعد إسقاط حكم الرئيس معمر القذافي في إستصدارها وراوحت بين السجن ومصادرة الممتلكات ومنع السفر لرموز فاعلة في الحياة الإقتصادية والمجتمع الفكري والثقافي

425 الهموم اللبنانية والإهتمامات السعودية.. رسالة فزيارة فلقاء

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 13 يونيو (حزيران) 2012

حول رسالة ذات صفة نخوية بعث بها الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى الرئيس اللبناني ميشال سليمان

427 الأمير نايف ضامن الأمان لحجاج بيت الله الحرام

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 18 يونيو (حزيران) 2012

قراءة للدور المتميز لولي العهد السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز الذي توفي يوم السبت 16 يونيو/ حزيران 2012 وجرى دفنه في رحاب مكة المكرمة وهو الذي كان موصوفاً بأنه ضامن الأمان لحجاج بيت الله الحرام

429 «الدينوقراطية».. الحل المستقر لمصر وغيرها.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 1 يوليو (تموز) 2012

كيف أن الحكم الذي يجمع بين الدين والديمقراطية والذي يمكن تسميته بالـ "دينوقراطية" من الجائز الافتراض أنه يشكل الحل المستقر لمصر وغيرها وذلك في ضوء فوز "الإخواني" العريق الدكتور محمد مرسي برئاسة جمهورية مصر والذي يجوز تشبيه فوزه من حيث المفاجأة غير المتوقعة بفوز باراك "الإفريقيي" السحنة والوالد" برئاسة الولايات المتحدة

431 ما يحدث في السعودية ويتمناه العرب.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 8 يوليو (تموز) 2012

قراءة في الإنتقال السلس للمناصب القيادية من أمراء راحلين إلى أشقاء لهم وكيف أن المبايعه من جانب الشعب للمسؤولين الجدد تكتسب صفة الإستفتاء . ونعني بالإنتقال السلس يعني تعيين الأمير سلمان بن عبد العزيز ولياً للعهد خلفاً لشقيقه الأمير نايف الذي توفي فجأة والذي كان توليه ولاية العهد خلفاً لشقيقه الأمير سلطان ضمن طقوس الإنتقال السلس والذي يتمناه الكثيرون من العرب حيث الصراعات على أشدها دماً وتدميراً وإزهاقاً للأرواح هي السائدة في أكثر من دول عربية وإسلامية أحدثها سوريا بعد اليمن ومصر وليبيا والسودان

433 من الصهر المحظوظ حسين إلى الخُل الوفي مُناف.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 18 يوليو (تموز) 2012

مقارنة إستشرافية بين الفريق حسين كامل الصهر المحظوظ للرئيس صدام حسين والعמיד مصطفى طلاس الخُل الوفي للرئيس بشار الأسد. وموجب هذه المقارنة أن حسين كامل لجأ تحت جناح الظلام مع زوجته رغد إبنة الرئيس صدام وبعض أفراد العائلة إلى عمان تاركاً عمه الرئيس صدام في أخرج حال وأن مُناف مصطفى طلاس غادر سوريا فجأة متخلياً عن صديقه الرئيس بشار الذي لا تختلف ظروفه عن تلك التي عاشها الرئيس صدام

435 كأننا أمام حرب «فيتنام» بطبعة سورية.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 22 يوليو (تموز) 2012

كيف أنه عند التأمل في التطورات السورية وإستحضار ما حدث في ستينات القرن العشرين في فيتنام يتكون مشهد يعكس رؤية خلاصتها أن الذي يحدث في سوريا قريب الشبه بما حدث في فيتنام

437 كي لا تسقط سوريا ليبقى النظام.. قراءة في حوار.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 29 يوليو (تموز) 2012

حول ما يمكن أن ينتهي إليه الرئيس بشار الأسد في حال إستحضر قول للرسول صَلَّى الله عليه وسلّم وقول للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

439 الوحدة الوطنية بمفهوم سلمان بن عبد العزيز.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 2 أغسطس (آب) 2012

قراءة لـ مفهوم الأمير سلمان بن عبد العزيز ومن قبل أن يصبح وليّ عهد المملكة العربية السعودية، للوحدة الوطنية من حيث المعاني وما يمكن أن تحققه للمجتمع

441 ليبيا.. إنتقال للسلطة وتوق إلى الإتحاد «الخامل».

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 12 أغسطس (آب) 2012

حول إنتقال ليبيا من مرحلة قادها مصطفى عبد الجليل إلى مرحلة جديدة حيث بات «المؤتمر الوطني العام» المنبثق عن إنتخابات 7 يوليو 2012 هو رأس السلطة في البلاد

- 443 **بشار وبوتين.. رد الجميل المكروم**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 18 أغسطس (آب) 2012
 من المحطات اللافتة في العلاقة السورية - الروسية أن الرئيس بشار ساند موقف الرئيس بوتين في حربه على جورجيا صيف 2008 وأن بوتين يرد الجميل السوري عام 2011
- 444 **يومان إسلاميان بامتياز**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 26 أغسطس (آب) 2012
 إنطباعات عن القمة الإسلامية الإستثنائية التي عُقدت في رحاب مكة المكرمة يوم الثلاثاء 14 أغسطس/ آب 2012 بدعوة من الملك عبد الله بن عبد العزيز وكانت المحنة السورية تزداد تعقيداً
- 446 **الإبراهيمي الحاضر.. والنصّاح المغيّبون**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 2 سبتمبر (أيلول) 2012
 نظرة على أحوال الحاضر السوري المتغير في ضوء مهمة المبعوث الأممي العربي الأخضر الإبراهيمي الذي يمكن أن يكون البديل للنصّاح المغيّبين وبما يُمكن تحقيق تسوية للمحنة السورية
- 448 **سوريا المغلوبة على أمرها**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 11 سبتمبر (أيلول) 2012
 نظرة مشوبة بالحزن على ما آلت إليه أحوال سوريا التي إشتدت المحنة عليها وتزايدت النزف إقتصاداً وجراحاً
- 450 **الحوار المرفوض والصراع المقبول**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 16 سبتمبر (أيلول) 2012
 تمنيات للأخضر الإبراهيمي بأن لا يصيبه وهو يحاول إيجاد تسوية للمحنة السورية ما سبق أن أصاب ابن بلده الدبلوماسي محمد الصديق بن يحي بسبب تعاطيه مع المحنة العراقية - الإيرانية
- 452 **تلاقي الفرحتين في يوم الوطن**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 23 سبتمبر (أيلول) 2012
 كيف أن فرحة شعب في اليوم الوطني مدعاة للإعتزاز عند المقارنة بين أوضاع مستقرة وحالات فوضى تعيشها دول أخرى.
- 454 **الفيلم السوري السيئ والفيلم الأميركي الأسوأ**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 30 سبتمبر (أيلول) 2012
 مقارنة بين الذي يحدث من حالات إحتراب في سوريا بين النظام وأطراف منتقضة عليه وبين تداعيات نشأت عن الفيلم الأميركي السيء في حق الرسول العربي (صلّى الله عليه وسلّم)
- 456 **بشار ومشعل: ختامها فراق**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 11 أكتوبر (تشرين الأول) 2012
 قراءة في ما إنتهت إليه العلاقة بين النظام البشاري والرجل الأول في حركة «حماس» خالد مشعل الذي إبتعد فجأة عن النظام
- 458 **سوريا «الرجل المريض» في عهدة «أطباء مرضى»**
 صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 14 أكتوبر (تشرين الأول) 2012
 كيف أن سوريا تحولت عملياً نتيجة إستمرار المواجهة بين النظام والمنتقذين عليه إلى أنها باتت «الرجل المريض» في المنطقة شأنها شأن تركيا في زمن مضى

460 تحليلات «أرذات الدولة» وتحويمات «طيارة السيد»

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 21 أكتوبر (تشرين الأول) 2012
قراءة في الأحوال الناشئة لبنانياً وسورياً وإيرانياً وإسرائيلياً عن طائرة الإستطلاع «التي أهدتها» إيران إلى «حزب الله»، فأطلقها هذا الأخير إنما ليس كتحويلات طائرات «طيران الشرق الأوسط»

462 الهدنة.. الهدنة.. ولو كمن يتجرع السم

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 28 أكتوبر (تشرين الأول) 2012
كيف أن تحقيق هدنة في العراك المتواصل بين النظام السوري والمنتقذين عليه بات ضرورياً ومستحباً لمناسبة عيد الأضحى... وحتى لو كانت هذه الهدنة كمن يتجرع السم

463 غزة الشيخ حمد وموزة.. ولبنان الشيخين أحمد وعبدالله

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 30 أكتوبر (تشرين الأول) 2012
قراءة في زيارة مثيرة للإهتمام كما للاستغراب قام بها أمير دولة قطر حمد بن خليفة آل ثاني وبرفقته زوجته الحاضرة دائماً في القرار القطري الشيخة موزة.. وإستحضار قصيدة تناسب المقام نظمها الراحل المفكر عبد الله القصيبي ودونها بخط يده رجل الدولة اليمني المرموق الأستاذ أحمد محمد نعمان

أمثلة من تناوؤروس إلى الراعي

466 والسيستاني والقرضاوي وغيرهم

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012
حول رؤية لافتة للانتباه من بطريك الأقباط الأرثوذكس والكراسة المرقسية تواؤروس الذي ولمجرد تتويجه بطريكاً قال: إنه سيكون رجل دين فقط لأن الربط بين الدين والسياسة «يُفسد الدين ويُفسد السياسة»

468 تأملات ومطالب في الذكرى العاشورية

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 28 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012
حول واقعة مؤسفة حدثت في مدينة صيدا عاصمة جنوب لبنان في زمن مناسبة حزبية وكادت الواقعة هذه تتسبب في إشعال مواجهة سنوية - شيعية

469 كأنها إستنساخ لـ «حرب السادات» و«ثغرة كيسينجر»

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012
إستحضار لظروف مواجهة بين مصر الساداتية وإسرائيل حدثت في أكتوبر 1973، وكيف أن ظروفها قريبة الشبه هي تلك التي حدثت في نوفمبر 2012 بين حركة «حماس» وإسرائيل

471 المحرّم على مرسي المحلل لمن سبقوه

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 2 ديسمبر (كانون الأول) 2012
نظرة على ما أصاب الرئيس الإخواني الدكتور محمد مرسي من إستهانات إلى درجة الإهانات، وهذا لم يحدث للذين سبقوه في تاريخ مصر الجمهورية

473 مصر تتشقق وسوريا تنتشر وفلسطين تتوالد

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 9 ديسمبر (كانون الأول) 2012
كيف أن مصر عاشت ظروفها بدت فيها وكأنها تتشقق وكيف أن سوريا أيضاً بدت أنها على مشارف التناثر فيما فلسطين تتوالد

الحلال المبعوض... «دولة شمال العراق» و«دولة جنوب لبنان».....476

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 16 ديسمبر (كانون الأول) 2012

عندما لاحت في أفق المشهد العربي احتمالات الإنتقال الجدي في الحديث حول «دولة شمال العراق» و«دولة جنوب لبنان» من التنظير إلى التطبيق المتدرج

بعد «خراب سوريا».. «خراب البصرة» من قبل.....478

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 23 ديسمبر (كانون الأول) 2012

كان يقال في الماضي «بعد خراب البصرة» إلى أن دخلت سوريا في أتون أبشع الحروب الأهلية على الإطلاق وبات يقال «بعد خراب سوريا»

الخليجيون يتحدثون قولاً وفِعْلاً والآخرين يتقاصفون كلاماً ورصاصاً.....480

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 30 ديسمبر (كانون الأول) 2012

قراءة في الدعوة السعودية من أجل الإنتقال بدول المجلس الخليجي من التعاون إلى الإتحاد. وكيف عبّر وليّ العهد الأمير سلمان بن عبدالعزيز عن ذلك في قمة البحرين

المقالات من يناير 2006 إلى ديسمبر 2006



اسرای

الحياة الحل: للوطن الصغير لبنان.. والوطن الأصغر

[illegible]

فلسطين الجاهلة بعد فلسطين الجاهلة

[illegible]

لبنان : نيل الطالبي... التي تؤخذ بالاعتصام

[illegible]

فن تعقيد الأمور السهلة.. لبنانيا وفلسطينيا

[illegible]

«الخطيئة» بعد «البسنة»... وقبل «العقيدة»

[illegible]

عبد الله بن عبد العزيز وعبد القادر بين صين الشرق.. وهنبله

[illegible]

حالة عربية: لماذا لا تفضيل للمعارضة.. من المحيط إلى الخليج؟



بعضی از اینها در حال حاضر در زندان هستند و بعضی دیگر در تبعیدند. اینها همگی در جریان مبارزه با رژیم پهلوی و در پی آزادی ایران بودند. اینها همگی در جریان مبارزه با رژیم پهلوی و در پی آزادی ایران بودند.

ضجيج في قلب بيروت .. وصلاة هائلة في السجد الأزرق



میں نے اس وقت تک نہیں دیکھا تھا کہ ایک شخص کی آنکھوں میں اتنی باتیں چھپی ہوئی ہوں۔ اس نے کہا کہ میں نے اپنے آپ کو بہت کمایا ہے۔ میں نے کہا کہ میں نے اپنے آپ کو بہت کمایا ہے۔ میں نے کہا کہ میں نے اپنے آپ کو بہت کمایا ہے۔

ملتقى النكبات: المصري، الروسي، والسوداني، الصيني

[illegible]

وبالذات الانفرادات الطفيلية قبل الانشطار الأخطر

[illegible]

الله بن عبد العزيز وعبد القادر بن صالح



بعضی از این افراد در جریان اعتراضات به کشته شدن مهسا امینی در شهرهای مختلف ایران، از جمله تهران، مشهد و شیراز، دستگیر شدند. این افراد در زندانهای مختلف نگهداری میشوند و برخی از آنها با شکنجه و آزار مواجه شدهاند.

حالة عربية: لماذا لا تفضيل للمعارضة.. من المحيط إلى الخليج؟



بعضی از اینها در حال حاضر در زندان هستند و بعضی دیگر در تبعیدند. اینها همگی در جریان مبارزه با رژیم پهلوی و برای آزادی ایران کوشش کرده و در راه آزادی ایران جان خود را فدا کرده اند. اینها همگی در راه آزادی ایران کوشش کرده و در راه آزادی ایران جان خود را فدا کرده اند.

ضجيج في قلب بيروت .. وصلاة هائلة في السجد الأزرق

[illegible]

ملتقى النكبات: المصري، الروسي، والسوداني، الصيني

[illegible]

الشيخ الكبير في الإمارة الصغيرة

يرحل الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم وهو على عكس بعض حالات الحكم في العالم العربي، مطمئناً كل الإطمئنان إلى أنه بسبب الاستقرار وتآلف قلوب الإخوة وإستحضار أمثولة والدهم الشيخ راشد، الذي وضع حجر الأساس للبناء الشامخ الذي نراه اليوم، ترك إمارة غدت قلعة للإستثمار والسياحة والأعمال على ضفاف الخليج، الذي لم يعد ثائراً.

ومع أن الشيخ مكتوم الذي إسمه على إسم العائلة كان يرتقي البقاء في الظل، مثله مثل بعض أولي الأمر في الخليج الذين اختاروا راحة البال على ضوضاء الصراعات، إلا أنه كان إذا جاز التشبيه، ضابط الإيقاع لأوركسترا عملية البناء التي أسند مسؤولياتها إلى شقيقه الشيخ محمد، فكان لـ الأخير طبعة الحداثة للطبعة التقليدية للبناء، كما كانت عليه الحال أيام والده الشيخ راشد. وللتفضيل من جانب الشيخ مكتوم لعدم التشاؤف وعدم البقاء دائماً تحت الضوء كما البعض جعله موضع إرتياح الناس في دبي مواطنين ووافدين. كما أن هذا السلوك من جانبه، كان نقطة قوة في برنامج التطوير الكبير للإمارة الصغيرة، التي غدت في نظر محيطها الخليجي، مثل موناكو في نظر محيطها الأوروبي، مع بعض التميز والإستثناءات.

ونتذكر مع كثيرين كيف أن الشيخ مكتوم، كان في إجتماعات القمم الخليجية، ذلك الودود الذي يقلقه توتر يحدث أحياناً أو أزمة تبلغ ذروة التعقيد أحياناً أخرى، فيسارع وبعيداً عن الأضواء إلى لملمة تداعيات كانت تحدث، مطمئناً إلى أن مسعاه موضع إرتياح ومفردات كلامه مصاغة بروح يتقاسمها التسامح وطيبة القلب مع الحرص على أن تبقى القلوب متآلفة.

ومع أن الشيخ مكتوم كان شغوفاً بالأمور التراثية والرياضات والخيول، إلا أن العين كانت ساهرة في إستمرار على أسرع خطط تنمية، تحدث في الإمارة الصغيرة. وهو عندما فوّض الشقيق الثالث بمهمة إعمار دبي، بعدما كان أوكل إليه منصب ولاية العهد وبرضى الشقيق الثاني حمدان، فإنما سجل بذلك خطوة على طريق الإدارة الواقعية لشؤون الدولة. وجاءت نجاحات الشقيق الأصغر الشيخ محمد، وعلى نحو ما هي عليه دبي الآن تؤكد أمثولة بالغة الأهمية وهي أن التراتبية التي هي

قاعدة يمكن أن تسلك طريق الإستثناء أحياناً، ومن دون أن تهتز أساسات البنیان.

والذي يلفت الإنتباه، هو أن الشيخ مكتوم لاقى وجه ربه وهو في أستراليا، النقطة الأبعد عن امارته، التي حزنّت عليه كثير الحزن، ليس فقط لأن حضوره كان بالغ الرقة، وإنما لأن وفاته جاءت وهو في بدايات العمر الثاني، وأنه كان على رغم متاعب سابقة في القلب، يشعر بأن صحته على ما يرام. وفي أستراليا كما في دبي، كان يعنيه الخلود إلى الصحراء متأملاً أو صائداً أو مستحضراً من سكونها ما يبعث الطمأنينة في النفس.

كما أن الذي يلفت الإنتباه، هو أن رحيله يأتي كما رحيل صديقه رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قبل سنة، عشية العيد الفضيل. الشيخ زايد قبل عيد الفطر والشيخ مكتوم بعد سنة قبل عيد الأضحى.. وكأنما كُتب على دولة الإمارات أن لا تقرح في المناسبتين مفقدة بعض أحبائها الذين أغدقوا عليها إهتماماً ملحوظاً، فبات البناء شامخاً والصحارى تكتسب بعض الاخضرار، والابراج تعلو جاعلة من أبو ظبي، ثم من دبي حالة من التطور المدهش، وستزداد علواً مع الهمم الطموحة للجيل الثاني الذي بدأ في أبو ظبي مع الشيخ خليفة بن زايد، وها هو يبدأ في دبي مع الشيخ محمد، وكلاهما سيواصل من النقطة المتقدمة التي تركها الجيل الذي رحل.

وبالنسبة إلى دبي بالذات، فإن الشيخ مكتوم يتركها وقد أخذت «المعجزة المكتومية» شكلها الواضح، وإلى درجة انها في غضون عقد من الزمن، ستصبح عند الحديث عن المعجزات الإقتصادية والعمرانية مثل «المعجزة الكورية» و«المعجزة الماليزية»، وهذا ما سيأخذه على عاتقه الشيخ محمد، الذي إستبق «المعجزة الحربية» في لبنان.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 5 يناير (كانون الثاني) 2006

* * *

ظاهرتا السوبر ستار السياسي الذكوري..

والإجتياح الأنثوي لقمة السلطة

الشمال شمال، والجنوب جنوب، وكأنهما لن يلتقيا..

بهذه القناعة يخرج المرء وهو يتابع هذا الشريط المأساوي من الحوار الحربي بين شرعيتي الوحدة: شرعية الشمال بشخص الرئيس علي عبد الله صالح، وشرعية الجنوب بشخص نائب الرئيس علي سالم البيض.

سيدخل يوم الأربعاء 25 يناير 2006، التاريخ الفلسطيني على أنه اليوم، الذي خاض فيه الانتخابات البرلمانية مناضلون قابعون في الزنازين الإسرائيلية، وهو ما لم يحدث في أي حركة نضالية عربية أو إسلامية أو دولية، وهذا نوع من التكريم لمناضلين يقبع بعضهم داخل الزنازين الإسرائيلية منذ أكثر من ربع قرن. واستناداً إلى قوائم الترشيحات التي سبقت يوم الانتخاب فإن «حركة فتح» رشحت أربعة أبرزهم مروان البرغوثي، الذي يطيب لمريديه ولعارفيه ومتابعي إيقاع نضاله إعتباره «مانديلا الفلسطيني»، تشبهاً بالزعيم الجنوب أفريقي الذي أمضى ربع قرن داخل زنازين حكم الرجل الأبيض في البلاد، ثم خرج بعد ذلك زعيماً على مستوى القارة السمراء ورئيساً للبلاد ما لبث أن تنازل طوعاً وزهداً، كما سوار الذهب من قبل في السودان، لنائبه منصرفاً إلى التشير بالتسامح من خلال زيارات يقوم بها إلى عدد من دول شرق العالم وغربه مسدداً بالمساعي الحميدة المخلصة ديوناً في ذمته لبعض الذين ساندوه في زمن السجن الجائر، وفي طليعة هؤلاء العقيد معمر القذافي. وما نقصده بالتسديد ليس دفع أموال لأن المساندين في بحبوحة، ولأنه أصلاً من الناس الذين لا خيل لديهم يهدونها ولا مال، وإنما النطق كلاماً ونصائح تتسم بحكمة غابت عن معظم أهل القرار في العالم، فباتوا مع الظلم ضد العدل ومع الباطل ضد الحق. وإذا كان كثيرون من الذين أسداهم مانديلا النصيح بصيغة التمني لم يأخذوا بالنصيحة، فهذا لا يعني أن الناصح كان على خطأ والمنصوح على حق، وإنما لأن هذا الأخير كان معانداً لا يتقبل برحابة صدر حقائق الأمور وأهمية المرونة في ممارسة الحكم. ولن نعدد كل أسماء المنصوحين إذ يكفيهم ما أصاب بلادهم ونظام البعض منهم من ويلات مكتفين، وعلى سبيل المثال لا الحصر، بذكر إسم الرئيس العراقي صدام حسين الذي يكابد مع بعض رفاق إمبراطوريته البعثية داخل زنازين أميركا البوشية في العراق المحتل.

وتكريم المناضلين القابعين في الزنازين الإسرائيلية بإدراج أسماء النخبة منهم كمرشحين للمجلس التشريعي

الفلسطيني الثاني، لا يقتصر على الحركة التاريخية "فتح" ذلك أن «حركة حماس» رشحت ثلاثة عشر أسيراً، وأن «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» رشحت 11 أسيراً، أبرزهم أمينها العام أحمد سعدات. كما أن فصائل صغيرة تعاونت مجتمعة ورشحت أحد أبرز الأسرى إبراهيم أبو حجلة العضو في المكتب السياسي لـ «الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين»، الذي يُمضي حكماً بالسجن مدى الحياة.

الظاهرة لافتة وإذا حدثت مفاجأة، وهذا احتمال وارد، وفاز هؤلاء المرشحون الأسرى، أو على الأقل فاز البعض منهم، فإن الفائزين يمكن إعتبارهم «سوبرستار» البرلمانيين العرب. ونقول ذلك على أساس أن ظاهرة آل «سوبرستار» هي شاعلة متابعي بعض الفضائيات العربية حيث ينتظرون بلهفة من سيكون، أو تكون، «سوبر ستار» الغناء للعام الحالي، الذي ربما يكون عام المآسي الكبرى في حال إستحكم العناد برؤوس أركان الإدارة الأميركية وقرر هؤلاء بمساندة بعض الحكومات الأوروبية، إعتبار إيران ذات التطلعات النووية حالة «انتفاضة إسلامية» من نوع قد تكون له محاذيره ولذا يجب قمعه.. ومن قبل إكتمال الخطة التي يعمل عليها أهل الحكم الإيراني، وهي إنشاء «جبهة في وجه الإستكبار والتسلط»، أي في وجه أميركا تحميها القوة النووية الإيرانية، ومن هنا جاءت زيارة كبيرهم كموقع رسمي، أي الرئيس محمود أحمددي نجاد إلى سوريا، التي خف إليها من لبنان قطبا الزعامة الشيعية الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله ورئيس «حركة أمل» نبيه بري، الذي هو أيضاً رئيس البرلمان اللبناني. وفي حال كُتب لهذه «الجبهة» أن تقوم مستقطبة إلى جانبها أيضاً فلسطينيي الإعتراض، أي الذين ليسوا على يمين السلطة الوطنية الفلسطينية ولا على يسارها، وإنما هم في مواجهتها ومتربصون وراءها، فإن الرئيس نجاد الذي جاء فوزه بالرئاسة الإيرانية ضد المنافس المعمم الشيخ هاشمي رافسنجاني يؤكد أنه «سوبر ستار» المجتمع السياسي الإيراني، سيدخل تاريخ الحقبة الراهنة من الصراع على أنه «سوبر ستار» المنطقة.. لكن شرط أن يصمد كرئيس أو تكتمل مقومات «الجبهة» التي يسعى إليها، فلا تطرأ عليها ترجعات وبالذات من أطراف تملك من الحذاقة والقدرة على المناورة السياسية ما يجعلها ترى أن المطالب تؤخذ أحياناً وفقاً وليس غالباً.

وكاد علي بن فليس الذي إنتفض على علمه الرماية عبد العزيز بوتفليقة، فقرر وقد اشتد ساعده إنتزاع الرئاسة الجزائرية منه أن يكون «سوبر ستار» المجتمع السياسي المغاربي، لولا أن الرأي العام الجزائري إرتأى أن «سي عبد العزيز» هو الأفضل ما دام لدى الرجل مشروعه الوئامي فأبقى عليه وبنسبة كبرى، وبذلك غدا بوتفليقة هو ذلك آل «سوبر ستار»، لكن الفرحة لم تكتمل نتيجة التوعك الصحي الخطير، الذي أصيب به وليست واضحة حتى بيان طبي مطمئن وحاسم مدى خطورة هذا التوعك.

وبعدما إستطاع النجم الساطع في الحزب الوطني الحاكم في مصر جمال حسني مبارك، تفويض ظاهرة ايمن نور الذي كان مطروحاً شخصه برسم التداول من جانب أوساط في المجتمع السياسي المصري - الأميركي ثم إنتهى به المطاف راسباً في الإختبار، وسجيناً بتهمة يغلب عليها الطابع الكيدي، إذا بـ «الإخوان المسلمين» يسجلون مفاجأة لم تكن واردة في الحسابان المصري، وتتمثل بفوزهم الذي كان سيأتي أكثر إبهاراً لولا بعض الملاعب.

وبعدما تأجلت في ضوء الإنتخابات العراقية وخسارة إباد علاوي 15 مقعداً، ربما لأنه أراد أن يكون شيعياً وسنياً في الوقت نفسه وحافظاً الود لبني قومه البعثيين متصدياً للإجتثاثيين، الذين لا يرضون بأقل من الثأر مما فعله البعث بهم نتيجة من هو «سوبر ستار» المرحلة الجديدة، فإن العراق سيبقى حتى إشعار آخر من دون هذا آل «سوبر» خصوصاً أن عبد العزيز الحكيم الذي سعى من أجل أن يكون في البرلمان العراقي رئيس كتلة تضم على الأقل 138 مقعداً، وبذلك يصبح ببعض التحالفات فرضاً من يترأس الحكومة وحاصلاً على موافقة أي مشاريع قرارات يمكنه طرحها، وبذلك تفوز عند التصويت بأغلبية ما هو أكثر من الصوت الواحد، إلا أنه لم يحصل على أكثر من 128 مقعداً.

وحتى الآن تبدو الأمور غير محسومة في إسرائيل بعد الذي أصاب ديناصورها أرييل شارون، وستبقى كذلك إلى حين إجراء الإنتخابات بعد شهرين. وعندها نعرف من سيكون الوريث أو البديل لهذا الديناصور وهل هو «كديمي» ما أو «ليكودي» آخر أو زعيم «حزب العمل» عمير بيريتس.

أما في لبنان فإن الأحوال لا تسر نتيجة كثرة الفائزين

بـ «سوبر ستار» المرحلة السياسية وأبرزهم سعد الحريري ووليد جنبلاط وميشال عون وسامير ججع وحسن نصرالله ونبيه بري، إلا أن الحيوية التي يشهدها المجتمع السياسي اللبناني نتيجة إطلاقات هؤلاء ومشاكساتهم وصراخهم وولاءات بعضهم الخارجية، تترك إنطباعاتاً بأن آل «سوبر ستار» ليس بالضرورة أن يكون شخصاً، وإنما يجوز أن يكون في بعض الأحيان حالة، طبيعية كانت هذه الحالة أو شاذة أو إستثنائية، على نحو الحالة في السودان المتمثلة بـ «إنفاق السلام» الذي كان إتخاذ القرار في شأنه مثل الخطوة التي يتخذها صاحب القرار وتقضي بإعلان حالة الحرب. ومن المبكر إعتبار الحالة الخدمية المثيرة مقدمة لتكريس صاحبها «سوبر ستار» المجتمع السياسي السوري الآتي على أجنحة دولية، علماً بأن الجدل في شأن ظروف إنشقاق عبد الحليم خدام يفوق الحماسة من جانب أطراف المعارضة السورية للإلتفاف حوله.

يبقى أن هذه التأملات التي أركّز فيها على أحوالنا العربية لا تجعل المرء يتناسى الظاهرة المستجدة على المجتمع السياسي الدولي، والمتمثلة بالإجتياح الانثوي لقم السلطة على نحو ما حدث في ألمانيا وفنلندا وليبيريا وتشيلي ونيوزيلندا. والآتيات على ما يبدو كثيرات، وربما تكون إحداهن بعد أربع سنوات هيلاري كلنتون أو كوندوليزا رايس على القمة في أميركا.. وبذلك يصبح فوزهن مثل كيدهن أكثر من عظيم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 24 يناير (كانون الثاني) 2006

عبدالله بن عبد العزيز وعبد الناصر:

بين صين الشرق... وهند

غطّت جولة الملك عبدالله بن عبد العزيز في الدول الكبرى في الشرق الأقصى، الصين والهند، تليهما من حيث الكبر والأهمية ماليزيا وباكستان، وتجيء على قاعدة من القراءة المتأنية لواقع الحال الدولي، وتغطية للسؤال حول كيف أن حصّر الشراكة على مدى أكثر من نصف قرن في دول دون أخرى، بات مثل كفة ميزان تميل دائماً لمصلحة هذه الدول التي نشير إليها، وهي

تحديداً الولايات المتحدة والدول الأوروبية عموماً، مع بعض التفاوت حسب أهمية هذه الدولة أو تلك. وهذا الحصر كانت له في الماضي ربما بعض مبرراته على أساس أن دولة مثل الصين على سبيل المثال دولة ماركسية، وأن التنمية فيها لا تشجع على التعامل معها، وحتى في موضوع التخاطب فإن الوسيلة شبه معدومة، لكن صين الحاضر حالة مختلفة تماماً، فالماركسية تتراجع ببطء إنما من دون إحداث صدمات وفي الوقت نفسه هنالك رضى في نفوس المليار نسمة الموزعين على «القارة الصينية» إذا جازت التسمية، فإرتاحت الصين بعض الشيء من أثقال خُرَاسها القدامى المتعصبين للعقيدة الماركسية، وإختارت الطريق الثالث بين الماركسية والرأسمالية وإستتبّت ما يجوز إعتباره مبادئ أولية للإشتراكية المقبولة البعيدة عن ثغرات سرقة المال العام والفساد على نحو ما حدث وما زال يتواصل في بعض الأنظمة الإشتراكية في دول العالم الثالث وبالذات العربية من هذه الدول، وأماننا مثال «هونغ كونغ» و«شنغهاي»، وعلى الطريق محطات أخرى.

ومن هنا سيتكاثر الصينيون في ضوء زيارة الملك عبدالله بن عبد العزيز، كون هذه الزيارة مثل فتح بوابة للصين على العالم العربي تختلف في عوائدها عن تلك الحاصلة عليها حتى الآن نتيجة علاقات قديمة بين فقراء العرب أمثال السودان، الذي كان المبكر وإن من باب إغاظه السوفييات في السبعينات في تمثين أواصر العلاء مع الصين، مستحضرين على سبيل المثال قيام صين ماوتسي تونغ وشو ان لأي ببناء «قاعة الصداقة» في الخرطوم للسودان الذي ترأسه جعفر نميري رداً على زيارة قام بها إلى الصين، التي لا يزورها الحكام العرب وبكلفة لا تتجاوز ثمن طائرة حربية سوفياتية واحدة، كما أن الصين وفي إطار حل العقدة المستحكمة في النفس والمشار إليها تواصل تقديم نفسها على أنها الحل التكنولوجي المتوسط الثمن لكل شعوب العالم، وأنها القادرة على انتاج ابتكارات الغرب الأميركي والغرب الأوروبي من الثياب إلى الكهربائيات إلى وسائل النقل إلى الألعاب وغيرها.. وقريبا السيارات وصولاً إلى التكنولوجيا الأكثر تقدماً وأهمية، وتسويق كل ذلك بربع الثمن الذي تضعه الدول الغربية لهذا الإنتاج على أنواعه.

والشاهد هنا أن الصين ستكون خلال فترة زمنية قد

لا تتجاوز ربع قرن، ذات حضور دولي مبهر وربما قد تصبح الدولة الأولى في حال حدث إنهيار للإمبراطورية الأميركية.

من هنا فإنه عندما يقوم الملك عبدالله بن عبد العزيز بزيارة الصين بادئاً بها جولته على الدول النمر في الشرق الأقصى، فإنه يضيف إلى البنیان ما سبق أن وضع حجر الأساس له قبل نصف قرن الرئيس جمال عبد الناصر، وتلك رؤية رجال الدولة المتميزين مع فارق أن ما كان يتطلع إليه عبد الناصر كان شراكة سياسية، بينما الذي يريده عبدالله بن عبد العزيز هو تصويب مبدأ الشراكة مع العالم. وعلى هذا الأساس فإن التجاوب الذي حصل عليه عبد الناصر من ماوتسي تونغ وشو ان لاي، حصل عليه عبدالله بن عبد العزيز من جين تاو الرئيس الحالي المتوسط العمر للصين، ومن وزير الخارجية ناشو شينغ، اللذين لم يخفيا تأثرهما كما الرأي العام الصيني بأن الملك عبدالله بدأ جولته بالصين أي بالنقطة الأبعد، وبأنه قال لهم إن المملكة العربية السعودية «ملتزمة بالصين الواحدة» وهو أمر له حساسيته البالغة لدى القيادة الصينية التي أكثر ما يزجها من أي حكومة في العالم، أن تعتبر هذه الحكومة أن هنالك أيضاً صين تايوان. وهذا الإنزعاج وصل إلى ذروته قبل أيام رداً على موقف بالمعنى المشار إليه صدر عن سيف الإسلام معمر القذافي. وعندما نتحدث عن التجاوب نأخذ في الإعتبار أن الشراكة السياسية التي أرادها عبد الناصر من الصين لإستكمال بناء «حركة عدم الإنحياز» جعلته لا يتطرق إلى وُضْع المسلمين في الصين الذين كانوا زمنذاك حوالى سبعين مليوناً ويعيشون ظروفاً صعبة على صعيد الممارسة الدينية، كون النظام الماركسي متشدداً في موضوع الدين، في حين يرى الملك عبدالله بن عبد العزيز أن تاريخ الإسلام في الصين الذي يعود إلى 1300 سنة على نحو ما تشير إلى ذلك المصادر التاريخية، وتزايد عدد المسلمين الذي يوازي عدد سكان دول الخليج مجتمعة، بما فيها العراق وإيران، تستوجب إدراج أوضاع «الإسلام الأصفر» في جانب من المحادثات، ذلك أن الأمر مسؤولية تجاه مسلمي الصين الذين هم كنسبة يشكلون سدس عدد سكان أمة المليار ونصف المليار مسلم. ولا نستبعد صدور خطوات عن القيادة الصينية الحسيفة تتعلق بهؤلاء، كأن يكون لهم

مسجدهم الكبير في بكين، فضلاً عن مساجد أخرى في المقاطعات التي يعيشون فيها، وتكون لهم أيضاً أكاديمية إسلامية تُبدهم مناهجها عن افكار التعصب، علماً بأن هؤلاء ما زالوا على درجة من النقاء في فهمهم للإسلام وممارستهم لطقوسه.

ما يُقال في شأن المحطة الصينية للملك عبدالله بن عبد العزيز يُقال أيضاً بالنسبة إلى المحطة الهندية التي كان للمملكة فيها موطئ قدم إلى جانب موطئ القدم المصري. ونقول ذلك مستحضرين الزيارة التي قام بها الملك سعود بن عبد العزيز عام 1955 إلى نيودلهي، وردّ البانديت نهرو عليها بالمثل زائراً الرياض عام 1956 وفتحاً بذلك الطريق أمام المزيد من التلاقي السعودي - الهندي، الذي كان قابلاً للتطور سياسياً واقتصادياً، لولا أن ابنة نهرو أنديرا غاندي التي شغلت منصب رئاسة الحكومة لقيت حتفها إغتيالاً ودخلت الهند في دوامة صراعات ثأرية ومذهبية لم تهدأ بعد بالشكل النهائي. وكما أن تطلعات عبد الناصر بالنسبة إلى الصين كانت ذات منحى سياسي، فإنها بالنسبة إلى الهند كانت كذلك بدليل أن التجانس في التفكير وفي الدور المأمول بين عبد الناصر ونهرو، ساعد على قيام حركة عدم الانحياز. أما بالنسبة إلى الملك عبدالله بن عبد العزيز فإن عنصر التنوع في المشاركة وعلى الأساس الإستراتيجي وتبادل مشاريع الإستثمار هو الذي يتقدم على الهموم السياسية. ومن أجل ذلك فإن ما أصاب تطلعات عبد الناصر لن يصيب تطلعات عبدالله بن عبد العزيز، من دون أن يعني ذلك أن المناخ السياسي الذي سينشأ عن المحطة الثانية للجولة وهي الهند، والفتات ذات التميز على صعيد نوعية الإستقبال الذي لقيه الملك والكلام الذي سمعه من القادة الهنود سيساهم ولا بد في تحقيق انفراجات في الصراع الباكستاني - الهندي الشبيه في بعض جوانبه بما هو حاصل بين لبنان وسورية، وذلك لأن الصراع الأول شأنه شأن الثاني يفترق إلى بذل المساعي الحميدة المتجردة والحريصة. وبعد زيارة الملك عبدالله للهند اكتملت نقطة الحرص عنده بالنسبة إلى الهند بعدما كانت حكرًا على باكستان التي جاءت المحطة الأخيرة للملك في جولته بعد المحطة الثالثة ماليزيا التي تصلح تجربتها الصناعية أمثلة لمن يريد البناء الذي يدوم.

خلاصة القول إن الجولة إستثنائية في ظروف إستثنائية

يقوم بها رجل دولة إستثنائي، سبق أن وضع على طاولة المجتمع الدولي مبادرة كان من الصعب إبتكارها، ونعني بها «المبادرة العربية» في شأن الصراع مع إسرائيل، ورؤية كان من الأصعب بلورتها ونعني بها «بلاغ مكة». وهو في طرُق أبواب الشرق الأقصى كان يبعث برسالة إلى الذين استأثروا في الماضي بالشراسة، مفادها أن الصين ليست تتيماً يخيف وإنما هي دولة يمكن الإعتماد عليها وأنها تطلب الود... بينما آخرون يُكثرون من المطالب المستعصية ومن دون أن يقدّموا ما يراعي المشاعر ويريح الضمائر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 31 يناير (ك) 2006

* * *

كلارك «البعثي»... سورياً وعراقياً

مصادفة في منتهى الغرابة، وهي أنه مثلما هنالك للبعث العراقي وزير أميركي سابق هو المحامي رامزي كلارك، فإن للبعث السوري شخصية سياسية أميركية مرموقة من العائلة نفسها هو ويسلي كلارك.

هذه المصادفة يمكن تقديمها على النحو الذي يؤكد التوضيح وجه الغرابة فيها. فبالنسبة إلى كلارك الصّدّامي نشير إلى أن علاقة صداقة نشأت بين رامزي كلارك والرئيس صدام حسين في زمن الحصار الذي فرضه الرئيس جورج بوش الأب على العراق بعد حربه لتحرير الكويت والذي ورثه الرئيس بيل كلنتون وأورثه أيضاً إلى الرئيس جورج بوش الابن بعدما كان النظام الصّدّامي غداً على أهبة الخل. وكان رامزي كلارك من جملة شخصيات أميركية وأوروبية، أبرزها النائب البريطاني جورج غالوي والروسي جيرونوفسكي، تتردد على العراق وتبعث بعض الحيوية المعنوية في شرايين النظام الصّدّامي التي بدأت تتشقق بالتدرج. وفي زيارته كان رامزي كلارك يدلي ببعض التصريحات التي يريد من ورائها القول ما معناه انه يمثل ضمير الشعب الأميركي مع ملاحظة ان هذا الضمير الذي لم يتحرك ما فيه الكفاية لدرء تداعيات الحصار في زمن بوش الأب بقي على الحال نفسها طوال سنوات رئاسة كلنتون إنما من دون أن تقتر همة كلارك البعثي العراقي الذي كان بدأ يقترب من سن

الشيخوخة. وحيث ان الرجل ليس عنده ما يفعله على صعيد المؤازرة سوى الذي فعله فإنه بعدما اسقطت القوات الأميركية النظام وتلا ذلك إعتقال الرئيس صدام مع كبار رموز نظامه وزجهم في السجن الخاص بهم في محيط مطار العاصمة مقدمة لمثولهم أمام «المحكمة الخاصة»، سجّل وقفة مؤازرة ملحوظة تمثلت في انضمامه إلى مجموعة من المحامين العرب والأوروبيين. لكن هذه المجموعة كانت تقتصر إلى أميركي وجاءت مشاركة رامزي كلارك بقية المحامين المشار إليهم في الدفاع عن صدام المقيّد بالأغلال تجعل هيئة الدفاع ذات طابع دولي، وهو ما من شأنه أن يفيد معنوياً، ذلك أن وسائل الإعلام الأميركية والأجنبية عموماً لا تستوقفها هذه المسألة لكن الجموع الصدامية كانت ترى العكس وتعتبر أنه ما دام هنالك أميركي يدافع عن رئيسهم فهذا يعني أن للرئيس الواقع أمام المحكمة أنصاراً داخل أميركا نفسها التي خاضت الحرب ضد عراقه وأسقطت نظامه. وهذه حال الرأي العام عموماً في دول العالم الثالث.

أما بالنسبة إلى كلارك البشّاري فنشير إلى أنه في الوقت الذي يعيش النظام أزمة حادة مع المجتمع الدولي وأزمة أكثر حدة مع الإدارة الأميركية، ولا يجد هذا النظام من يرد عنه موجات القذائف الكلامية الإتهامية من شخصيات فاعلة في القرار الأميركي، تأتيه النجدة يوم الأربعاء 1 فبراير (شباط) 2006 ولأسباب غير مفهومة دواعيها من الجنرال ويسلي كلارك المرشح السابق للانتخابات الرئاسية الأميركية الذي قال في كلمة ألقاها أمام «مؤسسة أميركا الجديدة» في واشنطن حملت عنوان «حال الإتحاد الحقيقية - 2006» وتناول فيها الموضوع النووي الإيراني والعلاقة السورية - الإيرانية عموماً «إن سوريا اليوم تمثّل فرصة تاريخية للولايات المتحدة، بدلاً من الإكتفاء بتهديدها يجب أن نتحدث مباشرة مع بشّار الأسد ونشجعه على وضع أسس الإنفتاح الإقتصادي والسياسي والانتقال التدريجي ووقف تسلل المتمردين من سوريا إلى العراق وإنهاء رعاية المؤسسات الإرهابية التي تدعمها إيران في مقابل تثبيت حكمه خلال التحقيقات التي تجريها الأمم المتحدة. ومثل هذا الأمر سيحقق لنا تقدماً أكبر في مواجهة سعي إيران الثابت لإمتلاك سلاح نووي...». ويبدو كلام كلارك البشّاري منصفاً وموضوعياً، بالمقارنة مع كلام أركان الإدارة الأميركية، بدءاً من الرئيس بوش الذي صنّف في

«خطاب الإتحاد» يوم الأربعاء النظام في سوريا بأنه «غير ديمقراطي مثله مثل النظام في بورما وزيمبابوي وكوريا الشمالية وإيران»، مروراً بالتصريحات الحادة لوزيرة الخارجية كوندوليزا رايس ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد وعدد من أعضاء مجلسي النواب والشيوخ وصولاً إلى مدير الإستخبارات القومية الأميركية جون نيغروبونتي الذي قال في اليوم التالي (الخميس 2 - 2006) كلاماً في منتهى الخشونة جاء فيه «إن النظام السوري قد يواجه، نتيجة مواصلة التدخل في لبنان، تحديات داخلية وضغوطاً متعددة من شأنها أن تطرح أسئلة حول قدرة بشّار الأسد على القيادة والحكم وأن تؤدي إلى انهياره، وذلك يتصل في المحصلة النهائية بالتحقيق الذي تجريه الأمم المتحدة في إغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري...». ولكن نقطة الضعف في كلام كلارك البشّاري أن الرجل شأنه شأن كلارك الصّدّامي لا يملك من مقومات التأثير سوى إبداء الرأي وذلك لأن أي صفة خارج المنصب الرسمي في الإدارة، كما نيغروبونتي على سبيل المثال، أو عضوية الكونغرس أو ملكية مؤسسة إعلامية كبرى، لا يكون لها أي فعالية... أي بما معناه إن صفة مرشح سابق لرئاسة الجمهورية لا يمكن تصريفها في بورصة التأثير في صناعة القرار أو تعديل ما هو قائم. أما على صعيد الرأي العام المحلي السوري فإن كلام كلارك البشّاري هو مثل كلام كلارك الصّدّامي من حيث أن قطاعات من الرأي العام ستقول وسط زحمة حالات التأزم التي يعيشها النظام السوري ما معناه أن هنالك من كان يمكن أن يترأس أميركا يدعو إلى الأخذ بأسلوب الحوار مع رئيسنا. ولو أن كلارك البشّاري ومن قبله كلارك الصّدّامي كانا من المحسوبين على بعض أهل القرار في الإدارة البوشية لجاز الافتراض بأن ما يفعله الإثنان يندرج ضمن سيناريو تقضي اللعبة السياسية بأن تتم ممارسته وفق قاعدة تعدد الأدوار بمعنى أن طرفاً يتشدد وآخر يتودد وفي النهاية تصب النتيجة في مصلحة المايسترو الذي يقود اللاعبين. ويبقى أن هذا الذي يحدث من جانب شخصيتين أميركيتين غير عاديتين نحو البعث الصّدّامي والبعث البشّاري لا يحدث إزاء إيران التي تتحدى الإدارة البوشية ويسجل رئيسها محمود أحمددي نجاد أعلى درجات التحدي، مخاطباً في أكثر من مناسبة حكّام أميركا وأوروبا قائلاً «إن إيران

ليست في حاجة إلى الغرب بل أنكم أنتم الذين تحتاجون إلى إيران ويجب أن يُنزع سلاحكم بسبب الحروب التي أثّرتموها في العالم...»، ولا يحدث إزاء فنزويلا التي وصل التحدي برئيسها هوغو تشافيز إلى درجة التلويح بإغلاق مصافي النفط الفنزويلية في الولايات المتحدة وبيع النفط المخصص للأسواق الأميركية إلى جهات أخرى إذا قطعت أميركا العلاقات مع بلاده، وهذا بعدما كان في السابق عرض تقديم المساعدات إلى الفقراء والمشردين فيها وإلى التحريض عليها في دول أخرى من القارة اللاتينية وإلى المضي في إبرام صفقات سلاح أبرزها واحدة مع إسبانيا لا يريد الرئيس بوش إتمامها... فألى التجريح الشخصي متمثلاً بقول تشافيز في خطاب له لمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لتوليته الحكم عبر إنقلاب عسكري «إن سلوك الرئيس الأميركي الإمبريالي القاتل الفاشي لا حدود له. أعتقد أن هتلر سيكون طفلاً رضيعاً إذا ما قورن بجورج بوش...». ومن غرائب الصدف أن التحدي النجادي والتحدي التشافيزي اللذين أشرنا إليهما، حدثا في يوم واحد هو الإثنين 2006/2/6. أما لماذا لا يحدث مع إيران وفنزويلا فلأن البعث الصّدّامي والبعث البشّاري لم يتجاوزا الخط الأحمر في التعرض لأميركا بينما ذهب الإيرانيون منذ ان وصل نجاد إلى الحكم بعيداً في هذا الشأن... وذهب تشافيز أبعد بعدما قررت الإدارة الأميركية قبل ثلاث سنوات قلب نظام حكم تشافيز المترعب على كرسي الرئاسة منذ أربع عشرة سنة قد تتلوها أربع عشرة أخرى يكون خلالها بوش الابن ورئيسان لاحقان غادروا البيت الأبيض. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 13 فبراير (شباط) 2006

* * *

فلسطين الثانية في ضيافة الكرملين الرابع

مرة أخرى يشكّل الكرملين نقطة تحوّل في المعادلة الفلسطينية - الإسرائيلية - الدولية. في أولى أيام الحكم الشيوعي وعندما كان الإتحاد السوفياتي نداءً للولايات المتحدة وشريكاً أساسياً ومناصفة في القرار الدولي، إستضاف الكرملين عام 1968 ياسر عرفات

الذي كان من ضمن أعضاء الوفد الذين إصطحبهم الرئيس جمال عبد الناصر في زيارته إلى موسكو، بناء على إقتراح من الكاتب والصحافي الأستاذ محمد حسنين هيكل. ويومها قدّم الرئيس المصري لزعماء الكرملين (بريجنيف وكوسيجين وبودغورني) الشخص الذي سمعوا أنه بدأ من خلال تنظيم ثوري يحمل إسم «فتح» النضال لإستعادة الحق الفلسطيني من إسرائيل. وبعد هذا اللقاء تطورت العلاقة السوفياتية - الفلسطينية وعزز محاولات تطويرها الرئيس عبد الناصر الذي بدأ يرى أن «حركة فتح» يمكن أن تشكل قوة مضافة الى مشروعه السياسي القومي. وسارت علاقات «فتح» نحو المزيد من التحسن مع عبد الناصر الذي كان في إستمرار يبدى إهتماماً ملحوظاً نحو قادتها الذين يترددون على القاهرة ويجتمع بهم. ولن تطيل الحديث حول تلك المرحلة الحافلة بالكثير من الرؤى السياسية والنضالية مكتفين بالإشارة إلى أن عبد الناصر وعلى رغم الجرح المعنوي الذي أصابه من القيادة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات بعد قبوله مبادرة روجرز ومطالبة الرئيس بأن يرتاح ما دام النضال قد أتعبه على حد ما قاله بعض قادة «فتح» وفصائل فلسطينية يسارية الهوى، بادر وهو المتوكل إلى إنقاذ أبو عمار ورفاقه من الحصار الأردني في سبتمبر (أيلول) 1970، وذلك من خلال قمة إستضافها في القاهرة، وأوكلت الى الرئيس السوداني جعفر نميري والشيخ سعد العبدالله السالم الصُّباح، وكان زمناً وزيراً للداخلية، التوجه إلى عمان لإنقاذ عرفات ورفاقه المحاصرين والإتيان بهم الى القاهرة للمشاركة في القمة جنباً الى جنب مع الملك حسين الذي فوجئ بالخطوة وتقبّلها مضطراً ومسايراً. وكانت المحاولة ناجحة بإمتياز ودفع عبد الناصر حياته ثمناً لأنه في نهاية القمة التي إستغرقت يومين إصابته أزمة قلبية حادة وهو يودّع أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصُّباح ثم ما لبث أن توفي بعد أربع ساعات من الإصابة التي حدثت يوم 28 سبتمبر 1970، وقيل أيضاً انه قد يكون تعرّض للتسميم من أحدهم خلال إقامته في فندق «هيلتون» مقر إقامة الملوك والرؤساء المشاركين في القمة.

المرة الثانية التي سيستضيف فيها الكرملين، وهو الرابع بعد الأول الذي أشرنا إليه والثاني كرملين غورباتشوف والثالث كرملين يلتسين، رمزاً فلسطينياً

هذه الحمى السياسية ورد الفعل الأهو من جانب إسرائيل لا جدوى منها، ويا ليت «الأهوجيين» الأميركيين الذين ملأوا الدنيا ضجيجاً وتهديدات بحجب المساعدات والإسرائيليين الذين وضعوا برسم الإغتيال الرئيس «الحماسي» الأول إسماعيل هنية الآتي إلى كرسي الرئاسة من المخيم ومدرسة «الاونروا»، التي يتعلم فيها الأولاد اللاجئين القاطنون في المخيم ثم من معهد الأزهر الديني في غزة، متخرجاً في نهاية المطاف التعليمي من كلية التربية في الجامعة الإسلامية بقسم اللغة العربية... هكذا بأسلوب عصابات المافيا، يقرأون بتعمق ما كتبه الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر الشاهد على نزاهة وصول «حماس» بالأسلوب الديمقراطي إلى الحكم، في صحيفة «واشنطن بوست» قبل أيام آملاً من كلامه الموضوعي تبريد أولئك الذين يرغبون، وبالذات الرئيس بوش، الذي قال باستخفاف «من الأسهل أن يستشهد المرء من أن يصبح رئيس بلدية أو وزيراً»، وأولئك الذين يزدبون في تل أبيب والغرقى في خضم التهديدات والتطيرات والتحفظات والمخاوف وكأنما هم المجنى عليهم... وليسوا الجناة. فالزيارة ستتم. والرئيس بوتين لن يزود زواره بالصواريخ والخبراء والمدرسين العسكريين ولن يبرم تحالفاً معهم، وإنما على ما يجوز الافتراض سيشرح عملية إنتقال فلسطين الثانية أي فلسطين «الحماسية»، التي خلفت «فلسطين الفتاوية»، من «الثورة» إلى «الدولة»، وإعتبار صيغة الإئتلاف الموسع مع حركة «فتح» وسائر التنظيمات الفلسطينية والمستقلين، هي الأفضل من أجل تعزيز المطلب الفلسطيني الشامل، وهو الدولة وعاصمتها القدس. وبدل ان تتفعل إسرائيل وتسجل الموقف السلبي من المبادرة الروسية، ثم تهدد بإرتكاب جريمة قتل رئيس الوزراء الفلسطيني المقبل، فإن من مصلحتها تشجيع الخطوة، ليس فقط بالترحيب الكلامي وإنما بخطوات تؤكد فيها انها راغبة بأن تعيش بسلام مع الفلسطينيين. وهي إن فعلت ذلك ترتاح وترتاح الآخرين... وبالذات الحلفاء الذين ضاقوا ذرعاً بها وبمسلسل إخراجها لهم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 2 مارس (آذار) 2006

* * *

ثورياً بالغ الأهمية ستكون بعد أيام حيث سيلبي رئيس المكتب السياسي لـ «حركة حماس» خالد مشعل وإسماعيل هنية أول رئيس حكومة «حماسي» دعوة وجهها إليهما الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ورحبت بها «حماس» خير ترحيب. وأهمية هذه الدعوة أن بوتين اطلقها خلال زيارة إلى مدريد التي سبق أن إستضافت في نوفمبر (تشرين الثاني) 1991 المؤتمر الدولي للسلام الذي دعا إليه الرئيس جورج بوش الأب، لكن الذين خلفوه بعثوا النتائج، وحدثت الدعوة البوتينية من دون التشاور مع الشركاء الدوليين الكبار، أميركا وبريطانيا وفرنسا والصين ودول الأطلسي عموماً. كما أن أهميتها تكمن في إنقسام صف الشركاء حولها وبالذات بعدما أبدت فرنسا ترحيباً بالمبادرة متجاوزة العتب نتيجة المباغته من جانب الرئيس بوتين. وبعد فرنسا ستكون هنالك دول أخرى مرحبة وإن على مضض.

وإلى ذلك أن أهمية المبادرة تتمثل في قول بوتين في معرض توضيح الغرض من الدعوة «إننا لم نعتبر حماس يوماً منظمة إرهابية. واليوم يتعين ان نعترف بأن حماس وصلت إلى السلطة في فلسطين نتيجة لانتخابات شرعية ويتعين علينا إحترام إختيار الشعب الفلسطيني...». ومثل هذا الكلام يعني أن الرئيس بوتين يملك مشروعية الدعوة، أي أنه يدعو حركة ستسلم السلطة وأنه عدا هذه الصفة لن يستقبلها بدليل انه لم يفعل ذلك من قبل.

ما يلفت الإنتباه هو هذه العاصفة الإحتجاجية التي أثارها إسرائيل وإلى حد ما الإدارة الأميركية. ففي إسرائيل قال بعض المسؤولين من وزراء ونواب ما معناه «إن زيارة قيادة حماس إلى موسكو فضيحة دولية وطعنة في ظهر إسرائيل...». وقال آخرون أن الموقف الروسي يشكل تحطيماً للسياسة التي تبلورها إسرائيل ازاء حماس...». وذهب البعض وفي ذروة إرتفاع درجة الحمى السياسية إلى التلويح بالرد الكيدي وإن بصيغة التساؤل: «ماذا ستفعل موسكو إذا وجَّهنا الدعوة إلى ممثلي الشيشان لزيارة إسرائيل...». أما الإدارة الأميركية فأرأت أن يطلب بوتين من خالد مشعل ومن سيرافقه من الحماسيين «إلتزام شروط اللجنة الرباعية التي دعت حركة «حماس» إلى الإعتراف بحق إسرائيل في الوجود...».

قمة الخرطوم العربية: وهل من «نعمات» كثيرة.. بعد «اللاءات» الثلاثة..؟

يوم إستضافت الخرطوم من 29 أغسطس (آب) إلى أول سبتمبر (أيلول) 1967 القمة الإستثنائية وكانت السادسة في تاريخ القمم العربية، منذ الأولى التي إستضافها الملك فاروق في انشاص يومي 28 و29 مايو (أيار) 1946، لم يكن يتصور الإنسان العربي أن هذا التجمع الذي يضم ملوك الأمة ورؤساءها سيخرج من المؤتمر وقد أحدث صدمة إيجابية رداً على الصدمة السلبية المتمثلة بهزيمة 5 يونيو (حزيران) 1967. وكانت الصدمة الإيجابية مزدوجة: إصرار على التمسك بالثوابت من خلال لاءات ثلاثة: لا صلح. لا إعراف. لا تفاوض. وسخاء نفطي تقاسمت مبالغه ثلاث دول نفطية بغرض إزالة آثار العدوان من خلال الدعم العسكري لمصر وسوريا والأردن، فكانت حصة المملكة العربية السعودية خمسين مليون جنيه إسترليني والكويت 55 مليوناً والمملكة الليبية 30 مليوناً.

أبرز معالم تلك القمة ذات الدعم الإسترليني الذي كان زمنذاك متفوقاً على الدولار الأميركي أن الحنكة السودانية تمثلت في ثنائي لم يتكرر على مدى 39 سنة، يملك طرفاه من بُعد النظر ورقة التخاطب والنأي عن توظيف الخلاف والصراع ما جعل أكثر حالات الخصومة العربية تصبح بين مطار الخرطوم وداخل «فندق السودان» على ضفاف ملتقى النيلين الأبيض والأزرق، حالة من الود وإلى درجة ان بيت الشعر القائل ما معناه أنه بعدما إحترب الطرفان وسالت دماؤهما إقتحمت القرى الساحة وفاضت الدموع التي كانت عبارة عن مزيج من الفرح بعودة الوفاق والحزن على زمن حفلت سنواته بأبغض الكلام وأشرس التحديات وأسوأ المشاكسات.

وحالة الخصومة التي نشير إليها هي الخصومة الناصرية - السعودية من أجل اليمن وحوله. وسبق تاريخ العقود الخمسة من التاريخ العربي الحديث يذكر بالخير ذلك المليون الجلابي ونعني به أبناء السودان الذين تقاطروا بعفوية إلى الشارع الممتد بين مطار الخرطوم و«فندق السودان»، وإصطفوا على الجانبين بكل إحترام وهذوء مرتدين جلابيهم وعمائمهم البيضاء لكي يقولوا ما معناه نحن مع مصر والسعودية المتفاهمتين والمتعاونتين. ولقد

قرأ الزعيمان الكبيران رسالة هؤلاء ولم يعرفا إلا بعد حين أن الأزهريّة - المحجوبية هي من إبتكر صيغة في منتهى البساطة لتوجيه رسالة ود إلى الملك فيصل بن عبد العزيز والرئيس جمال عبد الناصر، مضمونها أن العاصمة المثلة ليست مجرد مكان لذلك اللقاء لأنها غير مؤهلة لإستضافة مثل هذا الجمع على مستوى القمة، حيث لا قصور ضيافة ولا فنادق أكثر من ثلاث نجوم، ولكنها صدر مفتوح لكي يحل الوفاق المصري - السعودي محل الخلاف الذي إستحكمت جولاته متسببة بأرق وطني لكل عربي من المحيط إلى الخليج. وكانت الصيغة التي إبتكرها الرئيس إسماعيل الأزهري والرئيس محمد أحمد محجوب رحمهما الله هي أن يكون موعد وصول كل من الملك فيصل والرئيس عبد الناصر متقارباً جداً ثم ينطلق موكبهما في سيارتين واحدة تقل الملك والأزهري والثانية تقل عبد الناصر ومحمد أحمد محجوب. وعندما سارت السيارتان بين ضفتي الكتلة البشرية السودانية الهائلة ولاحظ الإثنان كيف أن الشعب السوداني يكاد ينوب من فرحة اللقاء وليس فقط من شدة الحر، فإنهما إعتبرا أن عليهما رد التحية بمثلها أو بأحسن منها. وهنا جاءت براعة محجوب في حُسن التخاطب يقول للإثنين وراء الكواليس ثم أمام الجمع الذي إنتعشت حيوية أقطابه وبلغه سياسية راقية تتضمن بيت شعر من هنا وحكمة تراثية من جهة أخرى، الكلام الذي يجعل القلوب متألفة. وهنا بدأت القمة تسلك طريق النجاح. وفي تلك القمة كان هنالك رفض بالإجماع للهزيمة والإستسلام للإسرائيليين. وكان هنالك تأكيد على وحدة العمل الجماعي وعلى التنسيق وتصفية الشوائب، وعلى التمسك بميثاق التضامن العربي الذي سبق أن وضعوا توقيعه عليه في القمة العربية الثالثة التي إستضافها الحسن الثاني في الدار البيضاء من 13 إلى 17 سبتمبر (أيلول) 1965. ومنذ تلك القمة بدأ العاهل المغربي يكتسب صفة تميزه عن غيره من القادة العرب ولازمته حتى وفاته، وهي أنه خير مضيف للقمم الصعبة. كما أنهم أطلقوا وبصيغة الإتفاق الذي لا تحفظات من طرف عليه شعار «عدم الصلح مع إسرائيل وعدم الإعراف بها وعدم التفاوض معها» وهو الشعار الذي بات يُعرف بـ «اللاءات الثلاثة» وصمد بضعة سنوات، ثم جاء الرئيس أنور السادات يخلف عبد الناصر الذي توفي وهو يخطط لإزالة آثار العدوان ممثلثاً ثقة بما حظي به في قمة الخرطوم، ثم يصلح ويعترف ويفاوض على خلفية إنتصار مبرر للجيش

60 سنة من القمم: من قبل تهجير الجامعة والى إستعادتها من الغربة القسرية

بين ولادة مؤسسة القمة العربية في مزرعة الملك فاروق في «انشاص»، الشبيبة بمزرعة الرئيس جورج بوش الابن في «كراوفورد»، يومي 28 و29 مايو (أيار) 1946، وبين الدورة الخامسة للقمة العربية الدورية في الخرطوم يومي 28 و29 مارس (آذار) 2006، ستون سنة من عدم الوفاق العربي الذي يهدي إلى سواء السبيل.

وطوال هذه السنوات بدت القمم الثلاثون التي عقدها الملوك والرؤساء، وكما لو أنها مناسبات يلتقي فيها هؤلاء لتأكيد إستحالة الوفاق الذي نشير إليه والإلتفاف حول قضية واحدة من شأنها إظهار الصف على درجة من التوحد. وحيث أن هنالك قاعدة وهنالك إستثناء، فإن القمّتين الوحيدتين اللتين بدا فيهما الإجماع ممكناً كانتا سعوديتين الإحياء والسعي. الأولى عندما أضاء الملك فيصل بن عبد العزيز، النور الأخضر في القمة الإستثنائية في الخرطوم من 29 أغسطس (آب) إلى 1 سبتمبر (أيلول) 1967، من خلال مصالحة تاريخية مع الرئيس جمال عبد الناصر وجاءت الإضاءة في صيغة القرار المالي الأكبر في تاريخ العمل العربي المشترك والذي قضى بتخصيص بضعة ملايين من الجنيهات الإسترلينية تُدفع في شكل أقساط كل ثلاثة أشهر إلى كل من مصر وسورية والأردن وإلى حين إزالة آثار العدوان الذي لم يتفوق على رغم إتفاقية السلام التي أبرمها الرئيس أنور السادات عام 1978 مع مناحيم بيغن برعاية الرئيس جيمي كارتر.

أما القمة الثانية التي بدا فيها الإجماع ممكناً، ومن خلال الإحياء والسعي السعوديين، فكانت تلك التي إستضافها تجبيراً الشيخ زايد بن سلطان في بيروت يومي 28 و29 مارس 2002، وأثمرت إجماعاً على أفكار كان الأمير عبدالله بن عبد العزيز، وليّ العهد زمنذاك، طرحها كرؤية للصراع العربي - الإسرائيلي، وغدت في تلك القمة «مبادرة عربية» خببت الإدارة الأميركية الظن العربي بأنها ستدعمها لأنها تنذل الصعاب أمام «خارطة الطريق» البوشية لذلك الصراع.

لكن الدعم المطلوب لم يحدث عملاً بأسلوب المروغة الأميركية والتحايل الإسرائيلي.

المصري الذي عبر قناة السويس، وأمكنه تسجيل ضربات موجعة في الجيش الذي ذاع صيته على أنه محصن ضد الهزيمة.

وقررت القمة أيضاً إعادة النظر في خطوة كان تم إعتمادها للمرة الأولى في التاريخ العربي الحديث، وهي إستعمال سلاح النفط. ورأى أهل القمة انه ما دام هنالك التزام دفع مبلغ آل 135 مليون جنيه إسترليني سنوياً ومقدماً عن كل ثلاثة أشهر منتصف أكتوبر (تشرين الأول) 1967 وحتى إزالة آثار العدوان، فإن وقف ضخ النفط قد يؤثر على هذه الإلتزامات، ومن أجل ذلك إتفقوا على عدم الأخذ به.

ما نريد قوله هنا أن المصالحة العربية كحالة لا بد منها للعمل العربي المشترك بدأت من قمة الخرطوم عام 1967. وما نحن بعد تسع وثلاثين سنة نرى الوضع العربي وقد باتت أحواله لا تسر خاطر، كما أن عليه من جهة أخرى مواكبة المستجدات في الوضع الدولي وبحيث انه لم يعد هنالك المجال للرحب من أجل إعتبار الرفض بصيغة «لا» هو الحل. وفي ضوء ذلك فإن العاصمة المثلثة التي إستضافت جمعاً عربياً من أهل القمة، لم يبق من بين فرسانه على قيد الحياة أحد، أمكنه بكل ثقة إتخاذ قرارات جريئة وقول كلمة «لا» بصوت عال وضمن بيان مبنوث، هي نفسها التي ستستضيف جمعاً من جيل آخر من القادة العرب سيؤكّدون «نعمات» كثيرة ليس بالضرورة أن تكون بديلاً ونقيضاً لـ «اللآءات» الثلاثة، وإنما هي نوع من التعبير الإضطرابي حتى إذا كان على حساب العنفوان القومي والوطني. ومن بين «النعمات» الكثيرة ثلاثة لا بد منها هي: نعم للتوافق ونعم لقبول الممكن ونعم للأمر الواقع الدولي ومن ضمنه الإعتراف بإسرائيل... إنما شريطة أن ينال كل صاحب حق بعض حقه ما دام نيل الحقوق لا يتحقق بالتمني وما دامت الدنيا الدولية بالنسبة إلى الحقوق العربية تؤخذ غالباً من جانب المجتمع الدولي الظالم، حتى إذا كانت سجناء في أريحا مأسوراً فيه من يمكن أن يصبح يوماً ما مثل إسماعيل هنية، الذي دفعت به «حركة حماس» المنتصرة بالإرادة الشعبية إلى أن يتأسس حكومة فلسطين... ولو كره الكارهون.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 18 مارس (آذار) 2006

* * *

عدا القمة الإستثنائية في الخرطوم صيف 1967، والقمة الدورية العادية في بيروت ربيع 2002، كانت القمم العربية في معظمها عادية من حيث النتائج، عدا قمة إستثنائية في بغداد من 2 إلى 5 نوفمبر (تشرين الثاني) 1978، قضت بإسقاط عضوية مصر في الجامعة العربية ونقل الامانة العامة إلى تونس، وكان قرارها هذا الناشئ عن حالة مزاج سياسي يفتقر إلى بعض التعقل، وبداية مرحلة تغييب الدولة الاكبر عن القرار السياسي العربي، فضلاً عن أنه أسس لمشاعر ثأرية مارسها أهل الحكم المصري بعدما إستعادت مصر العضوية. ومن هذه الحالات الثأرية تلك القمة الإستثنائية التي دعا الرئيس مبارك إلى عقدها في القاهرة يومي 9 و10 أغسطس 1990، وأقرت المشاركة مع القوات الأميركية وغيرها من قوات دول أوروبية وإسلامية في إخراج القوات العراقية من الكويت بالقوة. في ضوء ما أوردناه، وبعد إستحضار لكل القمم العربية، ما الذي يمكن إستنتاجه سوى الدهشة من تتاقل العزيمة. وهذه القمم هي للتذكير: قمة التأسيس في انشاص 1946، ثم قمة مناصرة مصر ضد العدوان الثلاثي وتأييد نضال الشعب الجزائري وقمة إنبعث لقاءات القمة في القاهرة في يناير (كانون الثاني) 1964 بدعوة من عبد الناصر بعد تغييب دام ثماني سنوات، ثم إستكمالاً في الإسكندرية في سبتمبر من العام نفسه، وبعد ذلك قمة الدار البيضاء في سبتمبر 1965، تلتها «أم القمم» في الخرطوم التي أشرنا إليها، ثم قمة الرباط في ديسمبر (كانون الأول) 1969، وقمة ليست شاملة في القاهرة في سبتمبر 1970 لمعالجة النزاع الأردني - الفلسطيني، ثم بعد ثلاث سنوات قمة الجزائر في نوفمبر 1973، وكانت حدثت الحرب التي قادها السادات وحقق فيها القوات المصرية إنتصاراً نوعياً على إسرائيل، ثم قمة الرباط في أكتوبر (تشرين الأول) 1974، تلتها قمة إستثنائية غير شاملة في الرياض شبيهة بالقمة التي دعا إليها عبد الناصر وكان رحيله في يومها الأخير.

وقبل القمة الإستثنائية في بغداد في نوفمبر 1978 والتي قضت بإسقاط عضوية مصر من الجامعة العربية كانت القاهرة إستضافت في أكتوبر 1977 قمة صادقت على قرارات قمة الرياض في شأن وقف إطلاق النار في لبنان وإرسال قوة ردع عربية وهي خطوة غير مسبقة أسست بعد ذلك للخطوة المماثلة لإرسال قوات عربية

لتحرير الكويت والتي تم إعتمادها في «قمة الثأر المصري» من العراق الصدامي الذي كان وراء إسقاط العضوية في القمة التي إستضافتها بغداد في العام التالي (نوفمبر 1978). بعد هذه القمة بدأت مرحلة «الجامعة المغتربة» أو «الجامعة المهجرة» التي في ظلها عُقدت في نوفمبر 1979 في المقر الجديد للأمانة العامة (تونس)، التي تولاهما الشاذلي القليبي أول امين عام غير مصري مؤسساً بذلك للتوجه المتواصل التطرق إليه بين فترة وأخرى والذي يدعو إلى أن يكون المقر دائماً (أي في القاهرة) على أن يكون الأمين العام بالتداول. وبالقمة المشار إليها بدأت مرحلة القمم التي تراجعت فيها إهتمام الملوك والرؤساء العرب بالشأن الفلسطيني يتقدم عليه الإهتمام بتداعيات الحرب العراقية - الإيرانية، ومستلزمات هذا الإهتمام من دعم سياسي ومالي للحرب مع الأخذ في الإعتبار إنقسام الصف في هذا الشأن بين مناصرين للعراق الصدامي ومؤازرين لإيران الخمينية.. إنما مع رجحان كفة الطرف الأول. وهذا الذي نشير إليه بدا واضحاً في قمة عمان (نوفمبر 1980) وفي قمة فاس (سبتمبر 1982) التي أضافت إلى الهم العراقي - الإيراني خطوة نوعية إزاء الصراع العربي - الإسرائيلي، متمثلاً بإقرار قمة فاس المشروع الذي عُرف بـ «مشروع الملك فهد» للسلام العربي - الإسرائيلي، وهو المشروع الذي أسس للرؤية التي عبّر عنها الملك عبدالله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد وغدت على نحو ما أسلفنا «مبادرة عربية». ومن قبل أن يصبح حديث الإرهاب طبقاً رئيسياً على الموائد العربية والدولية، كانت القمة الإستثنائية التي إستضافها الحسن الثاني (ملك إستضافة القمم الصعبة الإنعقاد) في الدار البيضاء في سبتمبر 1985 تتخذ من جملة التوصيات واحدة تدين الإرهاب بكل أشكاله وكأنما كان هنالك في الأفق ما يشير إلى أن المنطقة مقبلة على حالات من الإرهاب لا مثيل له، نالت المملكة العربية السعودية ومصر ولبنان والأردن القسم الأكبر من أذيته.. هذا عدا الإرهاب الشاروني الذي لم يبلغ شراسسته إرهاب آخر. وإستكمالاً لقمة فاس التي أقرت مشروع الملك فهد طالبت القمة الإستثنائية في الجزائر (يونيو/حزيران 1988) بعقد مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية مع التأكيد على حق الفلسطينيين في إقامة دولة، وكأنما هذه القمة كانت حجر الأساس لذلك المؤتمر الذي إستضافه الرئيس

تصدر عنها غير مُلزمة. لعل وعسى ينصرف الملوك والرؤساء إلى يؤكد أن مؤسسة القمة على موعد مع مفاجأة الترميم... وإن طال التأجيل لذلك.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 28 مارس (آذار) 2006

* * *

الرابحون والخاسرون من قمة الخرطوم التي إنتهت عملياً نصف عادية

ثلاثة خرجوا رابحين من القمة العربية الدورية في الخرطوم التي إنعقدت بصعوبة وتبعثرت بسهولة مماثلة بعدما لم يُعدّ يتحمل بعض رؤساء الوفود البقاء للمشاركة في الجلسة العلنية الختامية.

الرابحون الثلاثة، وحسب تسلسل مقياس الربح كانوا: الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى الذي فاز بالتركية، حيث لم يرشح أحد نفسه للمنصب وإن كان هنالك كثيرون يمنون النفس به. وبعدها تم التجديد لخمس سنوات فإنه لا أمل لأي طامح إلى هذا المنصب إلا إذا سارت الأمور فجأة في اتجاه فرط الصيغة الراهنة للجامعة والبحث في صيغة بديلة. والتجديد للأمين العام عمرو موسى ليس بذلك الأمر المستغرب ذلك أن حالة التجديد والتمديد سائدة من المحيط إلى الخليج. وما دام الأمين العام يقوم بتسيير الأمور وتسييرها وبما ترتاح إليه الأنظمة فلا موجب في هذه الحال للخروج على مبدأ الإبقاء على الشخص تجديداً أو تمديداً.

الرابح الثاني كان رئيس وزراء تركيا رجب طيّب أردوغان الذي باغت أمة العرب بحضوره ضيف شرف في القمة. والمباغته سببها ان هذا التقليد غير مسبوق، إذ إن الذين يشاركون عادة كمراقبين هم بعض أمناء المنظمات الإقليمية ويكون لحضورهم رونق عندما يلتئم الشمل العربي، أي بما معناه يكون كل ملوك الأمة ورؤسائها مشاركين في القمة وبذلك تترك المشاركة مظهراً توحدياً من حق أهل المؤتمر التباهي به أمام الآخرين. أما أن يشارك الرئيس أردوغان، بينما ثلث أهل القمة غير مشاركين فهذا أمر أثار الإستغراب، وكانت له تفسيرات كثيرة من بينها أن رئيس تركيا التي تزداد

جورج بوش الأب في مدريد رداً لجمائل المشاركة العربية والإسلامية في حربه لإسترجاع الكويت من العراق، لكن مردود المؤتمر كان دون ما في إستطاعة أميركا أن تفعله.. ولا تفعل.

بالقمة الإستثنائية في الدار البيضاء في مايو 1989، تبدأ إستعادة مصر من غربتها القسرية إلى المشاركة في القمم العربية. وبهذه العودة تدخل القضايا العربية في نفق لا نوافذ تهوية له.

وهذا كان واضحاً في تسع قمم، أربع منها إستثنائية هي قمة بغداد (مايو 1990)، تلتها بعد ذلك قمة القاهرة (أغسطس 1990) التي إنقسم فيها العرب أسوأ إنقسام نتيجة مواجهة الإحتلال العراقي للكويت، وهو ما أوضحناه في سطور سابقة، ثم قمة إستثنائية لاحقة أخرى وفي القاهرة (يونيو 1996) تلتها قمة إستثنائية أخرى في القاهرة (مارس 2000) قررت إنشاء صندوق لدعم إنتفاضة الأقصى وآخر لحماية الحرم الثالث رداً على استهانة إسرائيل بهذا المسجد المقدس. أما القمم الخمس الباقية فكانت دورية وعادية بعدما تقرر إعتداد الترتيب الأبجدي في الإنعقاد وفي يومي 28 و29 مارس من كل سنة فكانت الأولى من نصيب الأردن (مارس 2001) تليها الثانية (مارس 2002) من نصيب دولة الإمارات لكن الشيخ زايد جبرها هدية إلى لبنان، فالثالثة في شرم الشيخ (مارس 2003) بعد إستحالة عقدها في تونس، لكن إصرار الرئيس زين العابدين بن علي على الإنعقاد في بلاده جعل هذه القمة ذات رأسين مصري أولاً ثم تونسي، وجاءت بعد ذلك قمة الجزائر (مارس 2005) تعيد التذكير بقمة بيروت التي إنطلقت منها بالإجماع المبادرة العربية فنتألم بتفصيل هذه المبادرة مع إضافة تتعلق بضرورة إصلاح الجامعة العربية.

خلاصة القول، ان مؤسسة القمة خلال ستة عقود كانت في نظر الشعوب دون التطلعات، فلا هي منعت غزواً، ولا هي مارست دوراً أو ضغطاً، ولا هي إسترجعت حقاً مسلوباً. وما هو أهم من ذلك أن أحاديث الشعوب حول القمم تتسم قمة بعد أخرى باللامبالاة. ومن هنا فإما ترميم هذه المؤسسة وإما الأخذ بإقتراح الرئيس مبارك الذي رأى، وبينما أهل الحكم السوداني يستعدون لإستضافة حصتهم من الصيغة الدورية للإنعقاد، ان القمم الثنائية أو الثلاثية التشاورية وبعيداً عن طقوس الإعداد والإستضافة تبقى أفضل. وهي أفضل بالفعل إذ ما نفع القمة إذا كانت اللهفة إلى المشاركة فيها باهتة وكانت التوصيات التي

صعوداً، جاء يشهد على جيرانه العرب الذين يزدادون نفوراً، ومن بينها أيضاً أن تركيا هي التي يمكن أن تحاصر الطموح الإيراني إلى جعل العراق جرمياً يدور في الفلك الشيوعي وبذلك تصبح هواجس أهل السنة كوابيس وحالة من القلق، لا شفاء من الصُداق الذي ينشأ عنه، والذي قد يتحول إلى تصدُّع في بنية المجتمع وتركيبته التقليدية. بل إن ما يزيد في الإستغراب أن أردوغان لم يكتف بالحضور التشريفاتي وإنما كانت له في الكواليس صولات وجولات.

ويبقى الرابع الثالث من القمة، هو السودان الذي خرج موعوداً.. إنما من دون تحديد أرقام أو مواعيد على نحو ما نالته مصر والأردن وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية من قمة الخرطوم صيف 1967 ومن قمم لاحقة. وهذا سببه أن المساندة المالية للخيار العسكري الأفريقي في «دارفور» على نحو ما يفضل الحكم السوداني تختلف عن المساندة المالية العربية لقضايا أكثر سخونة. وهكذا فإن الذي حدث في هذا الشأن هو تقديم الأهم على المهم.

عدا ذلك، فإن كفة الخسارة كانت ملأى بالخاسرين بدءاً بلبنان الذي أدى رئيسه، رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، وصلة كلامية لا علاقة لها بالديمقراطية والتنوع من قريب أو من بعيد، وإنما هي من نوع الردح الذي يتم تبادله عبر هوانم الشرفات. وإلى لبنان كانت الجدية خاسرة هي الأخرى. وعندما يغادر عدد من رؤساء الوفود الخرطوم ومن قبل أن يتم إختتام المؤتمر فهل هنالك ما هو أكثر إستهانة بالأصول. ولكنه الضجر العربي والمشاركة في مؤتمر يتطلع الرأي العام إليه بأمل تغيير واقع الحال نحو الأحسن فإذا به يشكّل صدمة للناس.

ويبقى أمران: الأول هو أنني في لحظات من المقارنة بين القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم صيف 1967 وبين القمة الدورية يومي 28 و29 مارس، شعرتُ ببعض الأسى في النفس وأنا أرى الفندق الذي حل فيه ملوك ورؤساء الأمة خلال انعقاد قمة 1967 بات مسكوناً من خبراء النفط الصينيين بعدما إشتريت بلادهم هذا الفندق الذي شهدت قاعاته معجزة النخوة العربية التي لم تتكرر، وباتت الأحرف الصينية مطبوعة بشكل مجسم على واجهته. أما الفندق الآخر المجاور «الفندق الكبير» الذي شهد في ذلك العام صولات وجولات العشرات من نجوم الدبلوماسية العربية الذين صاغوا للملوك والرؤساء

قرارات تاريخية، وبياناً ختامياً من نوع ما قل ودل، فقد بات مملوكاً من شركات النفط الماليزية التي تخوض مع الشركات الصينية والهندية وغيرها مغامرة العثور على ثروة القرن الواحد والعشرين من تحت أرض السودان الذي هو إذا جازت التسمية «القارة السادسة»، ومن مياه بحره الأحمر حيث تقيد التقارير أن الذهب والنفط موجودان بكثرة وينتظران المغامر... إنما الذي يصبر على الضيم الأميركي في صيغة المقارعة أو التحرش. وكما «تصين» فندق ملوك العرب ورؤسائهم، و«تمليز» الفندق الآخر المكمل دوره للفندق الذي خرجت منه القرارات الصعبة وحدثت في داخله المصالحة الناصرية - السعودية المستحيلة والتي كانت زمنذاك بمثل استحالة المصالحة السعودية - الليبية الآن، فإن هناك رابحاً كبيراً إنما ليس من القمة وإنما من السودان، وهو العقيد القذافي الذي كان يريد أن ينجز له البناؤون الفندق الضخم الذي تبنيه جماهيريته على أرض حديقة الحيوان المجاورة للفندقين التاريخيين والتي تتوسط «قاعة الصداقة» التي إحتضنت القمة الدورية. ولكن البنائين لم يلبوا رغبة القذافي الذي حصلت بلاده على أرض الحديقة مقابل تسديد ديون على السودان لأن مثل هذه التلبية تحتاج إلى شخص مثل الرئيس الشهيد رفيق الحريري الذي أنجز في 11 شهراً فندقاً في الطائف لمؤتمر قمة إسلامي إستضافته المملكة العربية السعودية.

أما الأمر الثاني فهو أثار إستغرابي وإستغراب كثيرين من المشاركين في القمة الدورية لعدم إهتمام «أهل الإنقاذ» بالفن التشكيلي السوداني الذي يدعو إلى الإعتراف وكيف انهم لم يغتتموا فرصة انعقاد القمة ومؤتمرات وندوات أخرى كثيرة، من بينها «ندوة التعاون العربي - الأفريقي» التي رعاها بعناية ودقة ملحوظتين السفير صديق أبو عاقلة مدير الشؤون السياسية في وزارة الخارجية السودانية، وانتهت ناجحة بإمتياز، لكي يزيتوا جدران القاعات بلوحات التشكيليين السودانيين. وبالنسبة إلى الرئيس عمر البشير بالذات، فإنني كنت أتمنى أن يفعل ما كان يفعله الرئيس رفيق الحريري، رحمة الله عليه، الذي إغتتم مناسبة انعقاد القمة العربية الدورية الثانية في بيروت، وكذلك القمة الفرنكوفونية، وأهدى المشاركين العشرات من لوحات الفنانين التشكيليين، وهو تقليد يتبعه حيث أنه يقتني لوحات الرسامين ليقدمها هدايا إلى كبار المسؤولين العرب والدوليين الذين يزورونه أو يزورهم وبذلك يحقق لهؤلاء

الإستمرارية، فضلاً عن أنه يطعمهم من جوع إلى العطاء ويأمنهم من خوف التوقف عن الإبداع.

وخلاصة القول، إن القمة الدورية العادية في الخرطوم، كان المطلوب بحكم واقع حال الأمة، أن تكون إستثنائية، فإذا بها تنتهي نصف عادية كنتائج، وعادية من حيث التسمية... لا أكثر ولا أقل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 4 أبريل (نيسان) 2006

* * *

هل تصبح شرم الشيخ...

«عاصمة كل العرب»

كانت القمة العربية في إستمرار، ومنذ أن بعث الرئيس جمال عبد الناصر الحياة عام 1964 في هذه المؤسسة، مشكلة من حيث الإنعقاد ومشكلة من حيث مكان الإنعقاد. فهي تتحصر ببعض القادة ودولهم وينشأ عن ذلك عتب دفين في نفوس الذين لا يحظون بشرف إستضافة القمة في عواصم بلادهم، ذلك أن الإنعقاد يحقق للدولة المضيفة وحاكمها مجداً يحتاج إليه لإطفاء لهيب المعارضين من جهة ولتأمين التروس لكل أقرانه قادة الأمة. ولعل سوريا كانت دائماً في طليعة العاتيين لأن القمة العربية لم تنعقد ولو لمرة واحدة في عاصمة الأمويين بينما هنالك من إستضافها بدل المرة الواحدة مرات.

وكانت القمة العربية بعدما إستقر الأمر على ضرورتها مشكلة في بعض الأحيان لكثيرين من القادة العرب.. وبالذات عندما يمارس بعض هؤلاء حقه في الدعوة إلى قمة إستثنائية تبحث في مأزق يعيشه ويكون الآخرون، أو آخرون غير مهئين بما فيه الكفاية للخوض في تعقيدات ذلك المأزق وما يحتاجه الطرف الذي يعيشه من قرارات، هي إما فوق القدرة وإما تحت خط الإقتناع. وعندما دخلت القمة «الإستثنائية» مدار الإحراج للبعض فإنها تعطلت لسنوات قبل أن يستقر الأمر على صرف النظر عن الإستثناء والأخذ بمبدأ دورية الإنعقاد، وبذلك لا يعود هنالك من يعتب لأن القمة لا تُستضاف في بلده، ولا يتعب لأن مسؤوليته

تتحصر في الإستضافة، أمام مسؤولية ما يتم إتخاذ من قرارات أو ما تعذر إتخاذ هذه مسؤولية الجميع.

ثم جاءت القمة الدورية العادية في الخرطوم يومي 28 و29 مارس (آذار) 2006 لتترك إنطباعاً بأن هذا الترحال يقوم به أولو الأمر العربي من بلد إلى آخر، بات يبعث على الإحراج أحياناً نتيجة خلاف في الرأي أو يتسبب بالضجر معظم الأحيان. فقد غاب عنها ثلث أهل القرار ففقدت بذلك الوهج والقرار الحاسم. وعندما صدر البيان الختامي ثم الإعلان التقليدي، وفيهما أن كل ملوك ورؤساء الأمة إجتمعوا في الخرطوم وتدارسوا، مع أن الثلث الفاعل منهم لم يحضر ولم يتدارس، فإن ما يشبه الصدمة حدث في نفوس الرأي العام العربي، ومن دون أن يقتنع أحد بأن هذا الذي جاء في إستهلالية البيان الختامي هو عبارة تقليدية جاهزة دائماً عند صياغة أي بيان ختامي، ومن دون التوقف عند مَنْ غاب أو مَنْ حضر. ذلك أن الجميع حاضرون سواء بأشخاصهم أو بمن يمثلهم. وإتسعت رقعة الصدمة عندما جاء البيان الختامي كثير الطول قليل الأهمية وأنه أشبه بالخطب الإرتجالية التي يلقيها بعض الحكام الثوريين وأشهرهم فيديل كاسترو أمام الجماهير.. مع ملاحظة أن بين القادة العرب من يطيب له التطويل عندما يخطب. كما إتسعت أكثر عندما غادر البعض بداعي ضيق النفس أو ضيق الصدر القمة ومن دون حضور الجلسة الختامية.

هذا السلوك بدا لكاتب وصحافي مثل حالي غطى ميدانياً معظم مؤتمرات القمة منذ قمة جمال عبد الناصر عام 1964 وإنهاء بقمة عمر حسن البشير عام 2006، وأحتفظ بأوراق عن ثماني عشرة قمة، كمؤشر إلى أن قمة الخرطوم هي آخر القمم العربية الدورية، وأن البحث جار عن صيغة بديلة. وبعد إنتهاء أعمال القمة العادية كتسمية ونصف العادية كنتائج، وتواتر الأنباء عن أن هنالك توجهاً لتثبيت مكان الإنعقاد في شرم الشيخ، وبناء مقر في هذا المنتجع السياحي لإستضافة الملوك والرؤساء، غدا واضحاً أن لا ترحال بعد الخرطوم للملوك والرؤساء وأن وجهتهم بعد الآن ستكون: إلى شرم الشيخ... يا عرب.

وفي مؤتمره الصحافي الذي عقده في الرياض يوم الأربعاء 5 أبريل (نيسان) 2006 قال وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل الذي ترأس وفد المملكة

إلى قمة الخرطوم «إن إنعقاد القمة العربية في شرم الشيخ سيسهل ويخفف الأعباء خصوصاً الأعباء التي يتحملها سكان القاهرة المزدهمة عندما تُغلق الشوارع وتُغلق».

في أي حال أن إقامة مركز لإستضافة مؤتمرات القمة العربية في منتجع سياحي مثل شرم الشيخ ليست فكرة تدعو إلى الإستهجان، فما هم الأوروبيون إختاروا على سبيل المثال لبرلمانهم الذي يتكون من 732 مقعداً مقراً في ستراسبورغ. لكن إستضافة القمة في شرم الشيخ تعني أن للجامعة العربية مقرها الصيفي أو فلنقل المقر السياحي بعد المقر السياسي في القاهرة. ومن يدري فقد نباغت ذات يوم بما يفيد أن مبنى الجامعة إشتريته شركة «هيلتون» أو شركة إستثمار عربية أو دولية وأقامت على انقاضه مبنى ضخماً حافلاً بالأسواق ودور السينما والمطاعم وبداخله الفندق الأفخم في مسلسل الفنادق التي تزداد إشادتها في طول العالم العربي وعرضه.. وعلى خلفية أن الزمن الراهن هو للسياحة وليس للسياسة.

وما هو أكثر أهمية أن شرم الشيخ باتت محط انظار السياحة العربية والدولية بعدما كانت قبل أربعة عقود نقطة التفجر. وتستعيد ذاكرتنا تلك الشرارة التي إنطلقت منها الأزمة الشهيرة الناشئة عن سوء تقدير للموقف والمتمثلة في أن الأمم المتحدة سحبت في مايو (أيار) 1967 القوات الدولية المرابطة في شرم الشيخ، وعلى نحو ما لم يطلبه عبد الناصر عندما حرك القوات المصرية إلى هناك في خطوة إستهدفت تخفيف التهديد الإسرائيلي لسوريا، وبهذا الإجراء من جانب الأمين العام للمنظمة الدولية يوثانت غدت السفن الإسرائيلية في مرمى نيران القوات المصرية وكانت بعد ذلك حرب 5 يونيو التي قصفت هيبة الناصرية في الصميم. ولكن ثمة تساؤلات:

هل أن شرم الشيخ أكثر أماناً من القاهرة بعد العمليات الإرهابية التي إستهدفت قبل أشهر مراكز وفنادق في هذا المنتجع، لكي تكون «عاصمة كل العرب» من منطلق التفرد بإستضافة قممهم ومؤتمراتهم؟ وهل أن إقامة المركز في شرم الشيخ هو إستباق لإجتماعات عربية - إسرائيلية آتية ذات يوم على نحو ما سبق حدوثه من باب الإختبار ومن الأفضل أمنياً ومعنوياً إبعادها عن العاصمة العربية؟

وهل أن هنالك موافقة عربية بالإجماع على هذه الفكرة، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يتم الإعلان عنها في قمة الخرطوم؟

وإذا كانت هنالك دول عربية تمنى النفس بإنعقاد القمة فيها عملاً بالترتيب الأبجدي الذي تم إعتماده حتى قمة الخرطوم وقالت انها تصر على إستضافة دورها في عاصمة بلدها، فما هو الرد على ذلك وهل ترتضي هذه الدولة التغير المستجد أم أنها تقاطع؟

وخلاصة الأمر في إنتظار إجابات عن هذه التساؤلات، أن مشكلة مؤسسة القمة لم تكن أبداً في الإنعقاد وإنما في الهمة وفي العزيمة وفي تأدية الواجب القومي على أكمل وجه.

وهكذا الحال من البداية وسط كروم العنب الفاروقية في المزرعة الملكية في «أنشاص» قبل ستة عقود، إلى بحر شرم الشيخ ورمال شواطئها التي تطيب للذين يسبحون مع التيار... وليس ضده.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 11 أبريل (نيسان) 2006

* * *

إيران النووية: مهب التساؤلات

من الطبيعي ان نتساءل ونحن نتابع الإنجاز النووي الإيراني: هل أن الإنجاز النووي الباكستاني افاد الأمة في شيء؟ وهل ان الإنجاز الجديد في حال وصل إلى نهايته سيعوّض امة المليار ونصف المليار مسلم عما لم يحققه إنجاز اخواننا الباكستانيين؟

الإفادة التي نشير إليها هي تحرير القدس والحرم الثالث الذي من دون استعادته، فإن شأن أهل القرار في الأمة ليس في المستوى المطلوب ولا في مستوى الامكانيات والقدرات. والإفادة هي في رد السهام التي تستهدف الإسلام كدين وكادت الحملة على هذا الدين تصل إلى حد تصنيفه دين الإرهاب وأن كل مسلم هو إرهابي حتى يثبت العكس. والإفادة هي أيضاً في تحقيق تنمية في مجتمعات الأمة تتقل دولها من التخلف إلى التقدم. والإفادة بالنسبة إلى الأخ العربي هي في مساعدة الشعب الفلسطيني على أن تتحقق له دولته وعاصمتها القدس.

تلك هي الإفادة وهي في مجمل بنودها لم تلق من القدرة النووية الباكستانية أي مكسب. وبدل أن تحقق هذه القدرة في الحد الأدنى لباكستان في أن تكون هي الدولة السادسة في مجلس الأمن للدول الدائمة العضوية وتمثل الأمة في هذا المجلس ما دامت تملك القوة النووية شأنها في ذلك شأن الدول الخمس أميركا وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا، فإنها كما هو واقع الحال ليست فاعلة في أي شأن يخدم الأمة. وبدل أن تكون عنصر ضغط على إسرائيل يفيد في جعل إسرائيل توقف عدوانها المستمر على الشعب الفلسطيني وتجبرها على الالتزام بعملية السلام وتترك المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية على حد سواء لأصحابها المتدينين المؤمنين فإننا نرى جنرالها برويز مشرف يرمي بباكستان القوة النووية الوحيدة في الأمة في خضم التطبيع مع إسرائيل المعتدية ومن دون أي شروط فاعلة عدا الادعاء بأن هذا التطبيع هو لمصلحة الحق الفلسطيني. أي حق هذا!

وفي الوقت نفسه ان القبضة الأميركية على باكستان النووية وتكرار المخاوف من أن يأتي إلى الحكم فيها «منطرفون» على أساس أن كل وطني هو في نظر الإدارة الأميركية «منطرف» في الحد الأدنى و«إرهابي» في الحد الأقصى، تجعلنا نفترض ان السكوت على إمتلاك باكستان للقوة النووية هو بفعل الاطمئنان إلى انها قوة تحت السيطرة. وعندما تكون كذلك فإنها لا تعود لمصلحة شعبها ولا لمصلحة القضايا التي تهم الأمة.

من هنا نجد انفسنا نتساءل: هل ان إيران ستكون نقيض باكستان في حال إكتمال قدرتها النووية وبحيث يتم الإعلان بعد تسعة أشهر، على نحو ما تقيد بعض المعلومات الإستخبارية الغربية، عن أن قبلتها باتت جاهزة أو أنها بادرت إلى اجراء التجربة في صحرائها التي سبق أن تحطمت على رمالها محاولة الرئيس كارتر تحرير الرهائن الأميركيين من السفارة في طهران؟

وإلى ذلك، هل أن الإدارة الأميركية التي بين صقورها من سبق أن عاشوا مذلة فشل محاولة كارتر ومن لا تعنيهم في شيء بعض التحفظات الأوروبية والتمنيات الروسية، ويفضلون جحيم الحل بالقصف الصاروخي الجاهزة خطته على جنة الحل الدبلوماسي، ستحسم الأمر وبذريعة أن القدرة النووية الإيرانية تهدد ربع مليون أميركي يرابطون أو يقيمون في العراق ودول الخليج.. هذا فضلاً عن الذريعة

الدائمة وهي أن إيران النووية تشكل تهديداً لإسرائيل؟ من الصعب افتراض ما ستنتهي إليه الأمور بمعنى هل تُترك إيران تواصل العمل على تحقيق الخطوة التالية من الإنجاز النووي وبذلك يتم التأكد مما إذا كانت تبغي المردود السلمي من القدرة النووية أم أنها تتطلع إلى تغيير ميزان القوى. وفي ضوء ذلك يتم التعامل معها بإحدى الصيغتين: إما التسليم بإنجازها والعمل على تحويل قدرات إيران النووية إلى الصالح الأميركي على نحو ما هو حاصل في باكستان، وهذا يعني تكثيف عملية الخلطة في النظام إلى أن يقفز فجأة «برويزها» الإيراني ليستولي على السلطة مستنداً إلى حيثيات من بينها ان السلاسة في التعامل مع المجتمع الدولي تبقى أفضل من التحدي، وأن تقادي اصابة إيران بالعدوان، تدميراً كان أو مجرد شظايا، يبقى أفضل حتى في نظر أولئك الذين هَلَّلُوا وصَفَّقُوا وكَبَّرُوا وهم يستمعون إلى بشرى الإنجاز النووي كمرحلة أولى من رئيسهم محمود أحمددي نجاد الذي لا يبدو مقتنعاً بأن العناد الأميركي المقرون بالمؤازرة الدولية قد يتسبب بـ «هيروشيما إيرانية» لن تُشفى جراحها وتداعياتها الأطروحات الثورية. تلك صيغة. وفي حال أمكن إستيلاء آل «برويز» الإيراني فإن إيران النووية تصبح مثل باكستان النووية في حالة تدجين كقوة مساندة لقضايا الأمة وكعنصر ضغط على المجتمع الدولي الذي لا يتفهم أمانى المسلمين وإخوانهم العرب، وفي الوقت نفسه يبالغ في تفهم مقتضيات العدوان الإسرائيلي اليومي على الفلسطينيين وإستباحة المقدسات الإسلامية والمسيحية. ونقول ذلك لأن التوظيف الفاعل للقدرة النووية الباكستانية غير حاصل، وكل ما نسمعه هو التعبير عن مخاوف من ان يصل إلى الحكم في باكستان إسلاميون وعندئذ يمكنهم إستعمال القنبلة النووية الإسلامية في غير ما يرتضي المجتمع الدولي.

أما الصيغة الثانية المحتمل الأخذ بها كبديل لعدم تكرار واقعة تدمير مفاعل تموز العراقي الذي رفضت الإدارة الأميركية ومعها إسرائيل، أو من أجل إسرائيل، الإقتناع بأنه للأغراض السلمية فكان تدميره شر تدمير، وعلى مرأى ومسمع الجميع ومن دون أن يرف جفن للمعتدين، ففي التعامل مع إيران يمثل التعامل مع كوريا الشمالية، أي الحصار إنما مع عدم ترك النافذة العراقية مفتوحة على نحو ما هي عليه وإغلاق النافذة السورية تماماً. وهذه الصيغة ينطبق عليها القول السائر مع إستبدال كلمة الحديد وبحيث يصبح: لا يفِل العناد البوشي.. إلا العناد النجادي.

ونختم بالتساؤل: أليس القلق العربي السائد الآن ما كان يحدث لو أن القدرة المالية السعودية ساعدت التطلعات النووية المصرية في الستينيات، ولو أن سوريا إستبدلت التعارك العقائدي مع العراق بالتعاون على تحقيق إنجاز نووي شبيه بالإنجاز النووي الإيراني؟
ثم ماذا بعد الآن؟

هل تبقى دول الإقتدار العربي تطالب بجعل المنطقة خالية من السلاح النووي؟ وما فائدة المطالبة ما دامت إختزلت إيران المحظور واضعة المنطقة في مهبط التساؤلات وبحيث أن المطلوب بات تحليل التملك النووي... وليس على الإطلاق حظره.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 18 أبريل (نيسان) 2006

* * *

من عبد الناصر إلى نجاد:

هل من بداية لتعطيل هذه اللغة؟

هنالك لغة كلام عربية وإسلامية مع المجتمع الدولي أن أوان تعطيلها. فهي ليست جذابة على الإطلاق، وهي لم تحقق أي مطلب. وإذا كان بعض متحدثيها يرون أنها تقيد في تعبئة نفوس الجماهير، بحيث يزداد إشتعال حناجرها احتفاءً بالمتحدثين وإعجاباً بقدرتهم على المقارعة، فإن الإيجابيات والسلبيات تقاس بالمردود. ونحن استناداً إلى وقائع كثيرة كانت لغة التخاطب التي نشير إليها هي السائدة، نرى أن المردود جاء سلبيلاً لأن الزرع لم يكن ضمن الأصول.

مناسبة هذا الكلام، ان الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد هدد بـ «قطع الأيدي» في معرض الحديث عن إستعداد الثورة الإيرانية لحماية إنجازها النووي. وقبل هذا النوع من العقاب النجادي كان الرئيس الإيراني اطلق أنواعاً أخرى من العقاب سيتم إنزاله بـ «الطواغيت»، وإذا نحن احصينا العبارات التي قالها الرئيس المشتعل حماسة، وأضفنا إليها عبارات وردت على ألسنة تلامذة آخرين في المدرسة الثورية الإيرانية من علمانيين ورجال دين، لوصلنا إلى استنتاج بأن الشعب في أميركا من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، مهدد من إيران النووية، وان الصواريخ التي

تعرضها، على نحو ما كان يحدث في الاستعراضات العسكرية أيام الإتحاد السوفياتي، وكذلك في الاستعراضات العسكرية الصدامية التي سبقت حرب بوش الأب، ثم تواصلت في شكل آخر في زمن الحصار أيام كلنتون ثم قبل حرب بوش الابن، ستجعل الديار الأميركية، حجراً وبشراً، عصفاً مأكولاً. أما لماذا هذا التمادي في الاستعراضات المتلازمة مع لغة الكلام التهيجية فلغرض في النفس الإيرانية يصعب إعتباره ضرورة وطنية. ولو أن اخواننا أهل الثورة الإيرانية اعتمدوا قاعدة «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب»، فإن هذا الحذر العربي والدولي منهم لن يكون على الجدية التي نلمسها. والسكوت لا يعني عدم البوح بما في النفوس من النوايا والخبائيا. بل ان بضعة أحاديث في الصحف الأجنبية، ومقابلات من على شاشات الفضائيات موجهة إلى المجتمع الدولي المستثار والأشقاء العرب المتخوفين من التدايعات، عدواناً على إيران كانت، أو أخطاء فنية ينتج عنها تسرب وبذلك يتسبب الإنجاز النووي بالكوارث على أنواعها، كانت أفضل بكثير من صيحات التهديد بـ «قطع الأيدي»، ومن التهديدات المبطنة التي أمطر بها الشيخ هاشمي رفسنجاني جيرانه الخليجيين والتي تنتسب إلى أسلوب التهديد نفسه، الذي إعتد به الرئيس صدام أيام دعا القادة العرب إلى قمة في بغداد بغرض التصدي لما فعله الرئيس أنور السادات مبرراً بزيارته إسرائيل، مروراً بحملته على معارضيه المصريين والعرب، وصولاً إلى إبرام إتفاقية كامب ديفيد. ثم يفاجأ هؤلاء بأن ما يطلبه السيد النائب وبالتنسيق مع الرئيس (زمنذاك) أحمد حسن البكر، هو ترويع المشاركين مما قد يصيبهم من مكاره حتى وهم في غرف نومهم، إذا كانوا لن يؤدبوا مصر أشد تأديب رداً على الإجتهااد الساداتي.. الذي كان هو الآخر إجتهااداً متسرعاً وشبهياً بمفردات لغة طالما إستعملها «الرئيس المؤمن» ضد الآخرين، مصريين وعرباً، ووصلت إلى حد قوله ذات مرة أنه «سيفرم» الذين لا يخضعون لمشيتته.. وهو لفظ مبغوض هو الآخر، ردد مثيلاً له قبل شهرين رئيس الجمهورية اللبنانية الجنرال إميل لحود الآتي إلى سدة الرئاسة من أجواء التكنات العسكرية ضابطاً متدرجاً حتى منصب قيادة الجيش، حيث أنه في جلسة لمجلس الوزراء، قال مخاطباً وزير الداخلية الذي إسمه أحمد فتفت «انني

سأفتنك»، أي يجعله فتناً. وبالمقارنة فإن «الفتنة» مثل «الفرم» مع إختلاف الوسيلة، حيث الفرم يتم بالسواطير فيما «الفتنة» تتم بالأصابع. ولو أن الشيخ الذي يشغل منصب «رئيس هيئة تشخيص مصلحة النظام»، والذي طالما أربكت وجهات نظره الرئيس السابق محمد خاتمي كونه فاز بـ «الشرعية الشعبية»، بينما رفسنجاني شغل منصب رئاسة الجمهورية بـ «الشرعية الثورية»، وتنفيذاً لصيغة المحاصصة، قال للجيران الخليجيين الكلام الذي يطفئ نار المخاوف المشتعلة في الصدور من شرور النووي الإيراني في حال، لا سمح الله، حدث عدوان، وهذا وارد، أو حدث خطأ تسريب وجّل تقنية لا تخطئ ما دام حدث ما هو أشد من الخطأ في تشرنوبل (زمن الاتحاد السوفياتي)، فإنه هدد بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا قرر المجتمع الدولي أن يعتدي، وكأنما هذا المعتدي يحتاج إلى موافقة مسبقة وأختام تأشيرة للعدوان. وكان الأخرى بالرئيس الشيخ التشخيصي أن يقول للروس الذين ساعدوا في الإنجاز النووي الإيراني، أن حمايته وكذلك الدفاع عن إيران هي مسؤولية صواريخكم العابرة للقارات وقواعدكم الممثلة بكل أنواع الأسلحة المتطورة، بما في ذلك النووي والذري والهيدروجيني. وفي علم البناء، فإن المهندس الذي يصمم والمقاول الذي يبني يتحملان مسؤولية التصدع في البنيان، وبصرف النظر عما إذا كان آيلاً للسقوط مثل بعض الأبنية المصرية. وفي هذه الحال من حق صاحب المشروع أن يحتكم إلى القضاء الذي يسجن المقاول فيما نقابة المهندسين تسحب بطاقة العضوية من المهندس أو تقوم بتجميد نشاطه بضع سنوات. لكن بدل ما يجب قوله للروس قاله الشيخ رفسنجاني للجيران الخليجيين القلقين أشد القلق على ما يمكن أن يصيبهم في الحالتين: في حالة العدوان على إيران وفي حال التسريب الشعاعي.

وفي كلامه المنمق شكلاً، الملغوم بالتهديد ضمناً، بدا الشيخ رفسنجاني الرئيس السابق، مثل الرئيس الحالي محمود أحمددي نجاد، مع الأخذ في الاعتبار أنه قد يكون في ما يفعله يمارس فعل المزايدة. والمزايدة أحياناً مثل الفتنة أشد من القتل... وبالذات عندما تُصاغ باللغة التي نقول أن أوان تعطيلها لكثرة ما تسببت به من خيبات أمل وفواجع معنوية ومادية. ونختم بواقعة أنجبت أخرى، وفي الواقعتين ما يؤكد مضار مفردات لغة الكلام التي أن أوان

تعطيلها. والواقعة التي نشير إليها حدثت في الستينيات وتتمثل بحالة غضب إنتابت الرئيس عبد الناصر بعدما بلغه أن إتفاق تزويد مصر بالقمح الأميركي قد لا يتجدد إحتجاجاً على إسقاط الدفاع الجوي المصري طائرة ركاب مدنية صغيرة تقل شخصية تكسائية نفطية ذات شأن، وهو صديق للرئيس جونسون بعدما كان خلف الرئيس جون كينيدي. وبدل أن يترث عبد الناصر ويتأكد مما نقله إليه علي صبري في هذا الشأن وهو أن السفير الأميركي قال للوزير الناصري كمال رمزي ستينو «إنني لا أستطيع بحث موضوع تجديد إتفاق تزويدكم بالقمح لأننا لا نستطيع سلوككم»، فإنه إغتتم فرصة وجوده وسط الجماهير في السويس إحتقلاً بعيد النصر وألقى خطاباً جاء فيه «يقول السفير الأميركي أن سلوكنا غير مقبول. طيب حنقول لهم اللي ما يحبوش سلوكنا يروحوا يشربوا...»، وسكت لحظة ثم تابع موجهاً السؤال إلى الجماهير: «يشربوا من ايه؟». وهتفت الجماهير «يشربوا من البحر». وتفاعل عبد الناصر مع الجو الجماهيري، فأضاف: «وإذا لم يكفهم البحر الأبيض لرواء غليلهم فليشربوا البحر الأحمر...».

لم يشرب الأميركيان لا من البحر الأبيض ولا من البحر الأحمر، وإنما سقونا المر العلقم. الوقائع كثيرة والعبارات أكثر. ولا مجال للتطويل، وإنما للمطالبة مرة أخرى بأن هنالك لغة كلام، أو لغة تخاطب عربية وإسلامية، أن أوان تعطيلها... وإلى الأبد.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 25 أبريل (نيسان) 2006

لغز الجنرالات

في الحالة السورية - اللبنانية

من حق الأخ العربي في ديار الوطن وفي دنيا الاغتراب بين أوروبا وأفريقيا، وصولاً إلى كندا وأميركا وأستراليا، أن نفسر له بين الحين والآخر بعض الألغاز في المسألة اللبنانية، ذلك انه يسمع ويرى على شاشات الفضائيات الكثير في شأنها، إلا انه لا يجد تفسيراً لها.

وببقى اللغز الذي يتعلق برئيس الجمهورية الجنرال إميل لحود هو اللغز الذي لا يضاهي لغزيتته سوى لغز «أبو الهول». فعند إختياره هو بالذات، من جانب الحكم السوري، وكان الرئيس حافظ الأسد ما زال على قيد الحياة، ليكون رئيساً للجمهورية وإختيار خلف له بالذات هو الجنرال ميشال سليمان ليكون قائداً للجيش، فعلى أساس أن سليمان اللبناني يكون مستقبلاً مثل سليمان المصري، أي الجنرال عمر سليمان، خلفاً للرئيس حسني مبارك وهذا ما تريده أميركا لترسيخ برنامجها المتوازن في المنطقة. ولقد سار الخيار السوري على النحو الأفضل ولم يحدث أن تجاوز الجنرال لحود الإستراتيجية المرسومة بدقة من جانب الرئيس الأسد الأب وبحيث أن الأمور بقيت تحت خط الرضى بالنسبة إلى أمرين مهمين: الأول أن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية المسيحي الماروني إميل لحود حليف «حزب الله» الشيعي وحركة «أمل» الشيعية كونهما القوتين الضاربتين في العمق اللبناني للحكم السوري المتحالف عن نصف اقتناع ونصف ضرورة مع النظام الثوري في إيران. ولقد كان الرئيس لحود عند حسن الظن السوري به بالمعنى الإيجابي لـ «الظن»، إذ طوال سنوات الولاية الرئاسية الأولى لم يصدر عن الرئيس أي كلام يخرج عن نطاق الرؤية السورية للعلاقة التحالفية المطلوبة وهي أن المقاومة المتمثلة بـ «حزب الله» هي التي قامت بواجب التحرير، وأن مهمتها لم تنته بإنسحاب القوات الإسرائيلية، تنفيذاً للقرار 425 الصادر عن مجلس الأمن، من الجنوب، ولن تنتهي إلا بعد تحقيق الإنسحاب الكامل من «مزارع شبعا» و«تلال كفرشوبا». أما الأمر الثاني المهم فهو أن يكون قائد الجيش الخلف الجنرال ميشال سليمان متقهماً لما هو مطلوب فلا يتجاوز مع الأطراف التي تطالب بإرسال قوات من الجيش إلى الجنوب محل قوات «حزب الله».. أي بما معناه إخراج الحزب كورقة فاعلة في اليد السورية من كفة ميزان القوى. وبصرف النظر عما إذا كان الجنرال سليمان كعسكري مقتنعاً بذلك أو أنه غير مقتنع، لكن احتمال التروؤس بعد لحود يجعل عدم الاقتناع أمراً ثانوياً، إلا أنه في النهاية انتهج الرؤية السياسية للمسألة، وبذلك بقي دور الجيش اللبناني ضمن الرؤية السورية مع توضيحات بين الحين والآخر لمساوئ إرسال الجيش النظامي إلى مناطق الحدود.

جاءت الوفاة المباعة للرئيس حافظ الأسد، ومن قبل ذلك مقتل الإبن باسل الذي أعدّه لكي يخلفه كونه، أي الأب، في وضع صحي على درجة من الدقة، تحدث إرتباكاً في الوضع، ذلك أن التسوية السورية - الإسرائيلية الموعود بها من جانب الإدارة الأميركية في زمن كلنتون لم تتحقق في حياة الأسد الأب، ثم دخلت مع بوش الإبن مرحلة المراوغة في عهد الأسد الإبن الدكتور بشّار الذي وجد نفسه مضطراً للانتقال بعد مقتل شقيقه، في حادث ربما يكون مدبراً وربما هو حادث سير عادي، من مجال التخصص الطبي في أمراض العيون إلى مجال إستيعاب دروس مكثفة في مجال إدارة شؤون البلاد وعدم التقريط بلبنان مهما كلف الأمر.. وبالذات لبنان على نحو ما سارت عليه الأحوال في السنوات اللحدية، لأنه ما دام النظام ممسكاً بلبنان وبالذات برئاساته الثلاث: الجمهورية ومجلس النواب ورئاسة الحكومة، ومعها «حزب الله»، فإن قدرة النظام على التفاوض مع إسرائيل في حال ارتأت الإدارة الأميركية إنجاز التسوية المرجاة تكون قوية. كما أن هذه الإدارة ومعها إسرائيل ستطرقان الباب السوري من أجل الحل إما على نحو ما حدث مع مصر في الحد الأقصى، أو من خلال مقايضات يكون فيها الأمر الواقع السوري في لبنان مقبولاً. وعندما قاربت ولاية لحود على الإنتهاء ولم يحدث طرق الباب على النحو المأمول، فإن الرئيس بشّار في ضوء نصيحة من الوالد أو رؤية توافقية من مراكز القوى الفاعلة في النظام ارتأى التمديد للرئيس المتفهم والمتعاون إميل لحود، مستنداً في ذلك إلى سابقة التمديد التي أرادها الأسد الأب للرئيس الياس الهراوي في إنتظار إكتمال خطة التجانس في العقيدة العسكرية للجيش اللبناني مع شقيقه الجيش السوري، والتي أتقن تنفيذ مراحلها الأولية قائد الجيش إميل لحود. وهو، أي الرئيس بشّار، فعل ذلك لأن الإدارة الأميركية ليس فقط لم تطرق الباب من أجل التسوية وإنما هي لم تسأله حتى رأيه في من سيخلف لحود، وكان يرى أن السؤال معناه الإقرار بالدور السوري في المعادلة اللبنانية في ما يخص رئاسة الجمهورية.

بعد التمديد الذي أفرز وضعاً سياسياً خطيراً في لبنان دخلت الإدارة الأميركية بكل عزيمة وعلى المكشوف على خط الأزمة بين أطراف سياسية لبنانية والنظام في سورية، وبدأت تتشط في اتجاه إسقاط هذا

النظام من خلال إضعاف شأنه في لبنان لكي تحل محله. وجاءت واقعة إغتيال الرئيس رفيق الحريري تشكل الفرصة المناسبة للإنقضاض على الشأن السوري فكان الإنسحاب العسكري الإضطرابي الذي يعتبره الرئيس بشار عودة للقوات.. أي مثل تصنيف ما حدث لمصر يوم 5 يونيو 1967 بأنها «نكسة» وليست هزيمة. وهنا بدأ العمل لإقتلاع الشأن السوري بدءاً بإجبار رئيس الجمهورية إميل لحود على الإستقالة. ولذا يمكن القول إن هذه الإستقالة في حال حدوثها تكون مثل إنسحاب القوات السورية. كما أن حدوثها يعني أن رئاسة الجمهورية لا تعود خياراً أو قراراً سورياً، ويعني أن رئيس الجمهورية البديل لا يمكن أن يقول، كما درج الرئيس لحود على القول، إن مهمة «حزب الله» كحركة مقاومة لا تنتهي إلا بعودة الفلسطينيين من لبنان إلى وطنهم فلسطين، الأمر الذي يعني ان التحالف مع «حزب الله» قائم. ومع الرئيس البديل يتم إنسحاب القوات الإسرائيلية من «مزارع شبعا» و«تلال كفرشوبا» على نحو إنسحاب إسرائيل بالحسنى من «طابا» في مصر. وفي ضوء هذا الإنسحاب يصبح ترسيم الحدود مع سوريا برسم التنفيذ ويتم حسم هوية تلك المزارع، فإما هي لبنانية ويكون لبنان ربح أرضاً لم تعد محتلة، وإما هي أرض سوريا تدخل ضمن صفقة التسوية مع الحكم البشاري وبعد ذلك يصبح تبادل التمثيل الدبلوماسي أمراً لا بد منه. أما «حزب الله» فإنه في هذه الحال يكون أدى قسطه للعلى... إنما من دون أن يخلد إلى النوم، وإنما يتصرف بعد الجهاد العظيم لتحرير الأرض إلى الجهاد الأعظم لتأهيل الحزبيين والمحازبين بأنهم لبنانيون أباً عن جد وأن مسؤولية كل لبناني من الجنوب إلى الشمال إلى البقاع مروراً بالعاصمة بيروت هي تبرئة الذمة نحو الوطن والشروع في بنائه... والحفاظ عليه من لعبة الأعداء وتلاعب الأصدقاء ولُعاب بعض الأشرقاء.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 2 مايو (أيار) 2006

* * *

اللعبة الإيرانية.. والدور السوداني

على اصضاء قعقعة التصريحات النارية للرئيس

الإيراني محمود أحمددي نجاد التي كانت تتخللها تصريحات بالحدة نفسها لمرشد الثورة آية الله خامنئي تتضمن الاصرار على مواصلة العمل في المشروع النووي وتهديد المصالح الأميركية في حال حدث العدوان الذي تتزايد احتمالات حدوثه من جانب أميركا - بريطانيا - إسرائيل عملياً ومن جانب الأطراف الثلاثة ومؤازرة المجتمع الدولي سياسياً، يحط الرئيس السوداني عمر البشير رحاله في إيران مختقراً بذلك العزلة التي تريد أميركا فرضها على النظام الإيراني غير عابئ بما يمكن أن تفعله الإدارة الأميركية به وتحدد في موضوع التفاوض حول دارفور خصوصاً ان الزيارة البشرية حدثت في وقت كانت جلسات التفاوض التي تستضيفها «ابوجا» بدأت وسط منطق متشدد من جانب الدارفوريين الذين يتطلعون إلى مكاسب من النوع الذي حصل عليه الجنوبيون.

ومع ان زيارة البشير مقررة منذ ثلاثة أشهر بما يعني ان الزائر الرفيع الشأن لم يكن بعد رئيساً للقمّة العربية التي إستضافتها الخرطوم في إطار دورية الإنعقاد يومي 28 و29 مارس (آذار) 2006، إلا ان تلبية البشير لها بعدما كان إستضاف قمتين: واحدة لم ينل منها ما كان يصبو إليه وهو الرئاسة الأفريقية، وقمة ثانية ترأسها بحكم التقليد المتبع وبات بموجبها «رئيساً» لكل العرب على مدى سنة كاملة، جاءت بمثابة لحظة ارادت إيران النووية توظيفها على أفضل ما يكون عليه التوظيف أخذة في الإعتبار ان الزائر المرموق سيكون بحكم ما جرى التوافق في شأنه خلال انعقاد القمة الأفريقية في الخرطوم رئيساً للاتحاد الأفريقي إنما بعد ترؤس النيجيري اوبا سانجو الاتحاد لمدة عام.

في لقائه بالمرشد خامنئي بحضور الرئيس نجاد لاحظ البشير إهتماماً به يتجاوز التصور وفوجئ بقطبي القرار الإيراني يعرضان عليه تصدير «الإعجاز» النووي الأمر الذي جعله يستحضر وعوداً إيرانية سابقة لم يتم تنفيذها بما في ذلك ما يتعلق بطريق سريع وضعت الدراسات من أجل تنفيذه وتم التفاهم من حيث المبدأ على تمويله لكن المروحة البشرية بين تطبيب الخاطر الأميركي والتحدي في بعض الأحيان للتعامل الخشن من جانب إدارة الرئيس بوش مع الموضوع السوداني جعلت الإيرانيين يعيدون النظر في ما وعدوا به إنما من دون الإعلان عن إلغاء التعهد. ولقد إستعصى على

البشير تفسير هذا السخاء النووي من جانب إيران الذي يشبه في بعض موجباته ذلك السخاء النفطي من جانب الحكم الصدامي في زمن الحصار الأميركي البوشي للعراق، عندما أعلن ذلك الحكم عن إستعداده لتزويد الدول العربية والأفريقية ودول العالم الثالث قاطبة بالنفط العراقي مجاناً شرط أن تأخذ هذه الدول على عاتقها أمر إرسال السفن التي تنقل النفط. وكان الغرض هو كسر الحصار الذي لم ينكسر، ذلك أن الحصار الأميركي بحراً على العراق محكم إلى درجة لا يمكن لأي ناقلة إختراقه. وفي نهاية الأمر ذهب العرض الصدامي إدراج الرياح إلى أن جاءت حكاية «الكوبونات» تحل مشكلة الحاصلين عليها أكثر مما تحل مشكلة الحكم.

وغالب الإعتقاد أن هذا السخاء النووي من جانب إيران يعود إلى إحتمال أن تتعرض البلاد إلى عدوان يستهدف تدمير المنشآت النووية الإيرانية من دون التمييز بين ما هو سلمي وما هو أكثر إقتراباً من الحربي، وفي هذه الحال فإن أفضل وسيلة للحفاظ على ما تم إنجازه هو التصدير وإلى مناطق لا تطلها الآلة العدوانية وليس هنالك ما هو أمن نسبياً مثل السودان، ونقول ذلك على أساس أن الجنوب اللبناني الواقع تحت سيطرة «حزب الله» مستهدف، كما أن سوريا هي الأخرى مستهدفة ولا يمكن تهريب الإنجاز النووي إليها. ومثل هذا التهريب من الأمور المألوفة في ساعات الخطر. وهنالك واقعتان في هذا الشأن حدثتا خلال حربين مضيتا.. فعندما إعتدت إسرائيل يوم 5 يونيو (حزيران) 1967 على مصر وإستهدفت في الدرجة الأولى القواعد الجوية وما عليها من طائرات فإن الطيار المسؤول عن القاعدة الجوية في اسوان مذكور أبو العز بادر إلى تهريب أربع طائرات حربية إلى السودان وهي الطائرات الوحيدة التي سلمت من العدوان الإسرائيلي وإستعادتها مصر بكل الرضى والصيانة وبذلك كانت خميرة إعادة بناء السلاح الجوي المصري. أما الواقعة الثانية فحدثت في زمن حرب بوش الأب على العراق وكانت واقعة تثير الدهشة ذلك أن الرئيس صدام حسين الخارج حديثاً من حرب طاحنة مع إيران الخمينية دامت ثماني سنوات أصدر أوامر بتهريب المقاتلات العراقية إلى إيران التي استقبلتها وأوتها لكنها لم تعتبرها أمانة وإنما رهينة ولقد بذل العراق جهداً ملحوظاً من أجل استعادة طائراته الحربية من إيران إلا أن الإيرانيين

أدرجوا الحالة في قائمة الثأر الحافلة بالأسباب الموجبة. وتجدر الإشارة إلى أن تهريب الطائرات الحربية تواكب مع توزيع الطائرات المدنية بين تونس والأردن. ونخلص إلى القول ان زيارة الرئيس البشير إلى طهران دفع جزءاً من ثمنها في مفاوضات «دارفور» حيث ان الدرافوريين بإيعاز من الإدارة الأميركية أو بحذاقة من جانبهم امكنهم استتساخ الأسلوب الذي إعتمه الجنوبيون في تفاوضهم مع «حكم الإنقاذ» وها هم في المرحلة الانتقالية يملون شروطاً بدا من الصعب على المفاوض البارع علي عثمان طه عدم التجاوب معها وذلك لأن عدم التجاوب يعني الفشل وهو أمر لا يريده لنفسه صانع إتفاق السلام مع الجنوب. وما سيحدث بعد طي صفحة دارفور هو ان الإدارة الأميركية ستفتح صفحة جديدة يتم بموجبها نقت المزيد من ريش «الإنقاذ» الذي كان صغيراً وها هو بعد الذي انتهى إليه أمر الجنوب ثم أمر دارفور بات مطالباً بتوضيح مسألة اساسية تتعلق بالتسمية نفسها وهل ان «الإنقاذ» كان من أجل ان ينتهي السودان كيانات قابلة لان تصبح جمهوريات مستقلة، خصوصاً ان هناك حالة أخرى ستعقب حالة دارفور. وقد يقال ان أهل الحكم السوداني ارادوا استباق ما قد يحدث من خلال الورقة النووية الإيرانية ومن أجل ذلك جاءت زيارة الرئيس البشير لطهران في وقت يتزايد الضجيج الدولي وتتزايد احتمالات المواجهة. لكن إستعمال هذه الورقة من شأنه أن يفيد لو أن البشير ذهب عارضاً مسعى لتهدئة الحدة التي تتسم بها التصريحات الإيرانية وفي الوقت نفسه تبديد المخاوف الدولية والقلق الخليجي. وهو لو استبق الزيارة بتصريح في هذا المعنى أو لو أنه لمجرد وصوله إلى طهران قال انه يزورها كرئيس للقمة العربية وليس فقط كرئيس للسودان وان الهدف من هذه الزيارة هو العمل على استباق حريق يمكن أن ينشأ ولا تسلم منه اصابع الجميع، لكان وجد ان الأمة ستشكر له سعيه وان المجتمع الدولي سيكون أكثر رفقا بالوضع السوداني، فضلاً عن أنه بذلك يؤكد انه يمثل كل السودان وليس فقط شيوخ «الإنقاذ» وجماهيره وذلك لأن الجنوب بدأ من النائب الأول وصولاً إلى بقية المسؤولين الجنوبيين هم مع أميركا وليسوا مع «الإنقاذ» وان الدرافوريين هم في الحالة نفسها. لكن البشير لم يفعل ذلك وذهب يستمع إلى عرض يقوم على تصدير «الإنجاز» النووي

الإيراني الذي يعيد إلى الأذهان حكاية «تصدير الثورة» التي ولدت حرباً مع العراق. وما يحدث الآن وحتى اشعار آخر هو من تداعيات تلك الحرب الصغرى التي ربما تؤسس للحرب الكبرى. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 9 مايو (أيار) 2006

* * *

هوامش على شطارة

«السنيرة البريطانية»

على رغم أن فؤاد السنيرة ليس مرجعية سياسية كتلك التي كان عليها رفيق الحريري، فإن رئيس الحكومة اللبنانية لقي في إطلالته الأولى، بصفته الرئيس الثالث في «الترويكا»، اللبنانية على بريطانيا من يصغي إليه بإهتمام وليس فقط بمقتضيات البروتوكول. والقول إن السنيرة ليس مرجعية سياسية سببه أن رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري لم يؤهل خلال سنوات زعامته السياسية والسنية على حد سواء من يكون خلفاً له في الزعامتين وذلك لأن مسألة العمر لم تكن تشغل باله كونه بدأ العمل السياسي وهو في الخامسة والأربعين الأمر الذي يعني أن هنالك، لولا الإغتيال الذي حدث، أمامه ربع قرن على الأقل من التعاطي في الشأن السياسي وبحيث يحقق أمنية العمر على نحو ما كنت أسمعه يقولها لي في الفترة القصيرة بين إقصائه من ترؤس الحكومة وبين إستعادة التروؤس والزعامة السنية المطلقة. كما أن سبب القول يتصل بالحرص الطبيعي لمن هم في وضعه، على أن ينحصر التأهيل بالأبناء الذين ستساعدتهم الثروة الطائلة على إختصار الطريق نحو التزعم متمنياً أن يكون أحدهم مثل وليد جنبلاط مع خصوصية تراعي الإلتزام المذهبي والعلاقة مع السعودية والنأي عن مسألة اليسار والإشتراكية. وهو في نظرته هذه كان كثير القلق من أن لا تصيب زعامته في ما يخص الجيل الوارث ما أصاب رائد الزعامة السياسية السنية رياض الصلح الذي لم ينعم الله عليه بالأبناء وأن علياء من بين البنات الخمس لم تواصل لأن المحرمات في هذا الشأن كثيرة أو ربما لأن وقوع لبنان في المصيدة

السورية بعد الفخ الفلسطيني حجب قدرات هذه الإبنة المتمكنة والتي هجرت نفسها إلى خارج لبنان، تقيم في فرنسا. كما أن رفيق الحريري كان كثير القلق من أن لا يصيب زعامته ما أصاب الزعامة التي تقاسم شأنها إبننا عبد الحميد كرامي (رشيده ثم عمر) وما أصاب زعامة صائب سلام التي هي على طريق الإندثار.

جاء رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيرة إلى بريطانيا ليجد أن التعامل معه كان جيداً عموماً.. لكن على أساس أنه ليس مرجعية بالمطلق. وعند المقارنة بين إطلالة الرئيس رفيق الحريري على بريطانيا وبين إطلالته يمكن تلمس الفرق وكيف أن السنيرة كان في بعض الإستفسارات من جانب المسؤولين البريطانيين يتصرف على أساس أنه يجب أن يتشاور مع مرجعيته، أي مع النائب سعد الحريري، قبل أن يوضح ما هو غامض بعض الشيء بالنسبة إلى طارحي الإستفسارات. لكن ثقافته وعمق تجربته المالية والوهج الذي ما زال يتفاعل في نفسه من زيارته إلى واشنطن ولندن والتي لم يتوقع ولا توقعت المرجعية الحزبية أن تكون زيارة تاريخية، جعلت المسؤولين البريطانيين يصفون لمسات إهتمام بالزائر بدءاً بوزير المالية غوردون براون الذي من النادر إشغال نفسه بمحادثات مع أهل السياسة الزوار، لكنه أصغى بإهتمام إلى السنيرة ربما على أساس أن طوني بليز قد يغادر رئاسة الحكومة البريطانية مضطراً أو مرغماً لا بطل، وفي هذه الحال فإن براون هو من سيخلفه عن حزب العمال في زعامة الحزب وبالتالي في رئاسة الحكومة وبذلك يكون للرئيس البريطاني المحتمل براون رئيس حكومة عربية متميز هو فؤاد السنيرة على إعتبار أن هذا الأخير باق ما دام أمر ترحيل رئيس الجمهورية إميل لحود غير متيسر. ويمكن القول إن السنيرة الذي يحب التعلم وبالذات من أهل المجتمع الدولي، أخذ من لقائه ببراون الذي يشاركه فن وضع الميزانيات الدقيقة للدولة وشطارة إبتكار الضرائب عندما يكون العجز على أهبة تجاوز الخط الأحمر، أمثلة لا بد سيضيفها إلى قاموسه وهي إختصار الشرح والتحديد الفوري للمتطلبات. ودليلنا على ذلك أن براون إستعمل خلال اللقاء مع السنيرة عبارة «حدد ما هو المطلوب» ثلاث مرات. وكان يفترض بالسنيرة أن يكون مثل اللبيب الذي من الإشارة يفهم، لكن ضبابية الوضع اللبناني وحساسية المرجعية التي سبق أن أشرنا إليها

جعلناه لا يحدد وجعلنا صدر براون لا يضيق فيقول مرة ثانية ثم ثلاثة للسنيرة «حدد ما هو المطلوب».

وإذا كان السنيرة سيقس حرارة الإهتمام بالمقارنة مع الذي حدث معه في واشنطن ثم في نيويورك، فإن زيارة بريطاني كانت جافة بعض الشيء وإن كان السفير البريطاني في بيروت جايمس واط والمحب للبنان عموماً مع محبة اكسترا للبنان الدرزي بذل جهداً ملحوظاً من أجل أن يعود السنيرة مجبوراً الخاطر شاعراً بدفع يأتيه من أهل الحكم البريطاني الذين هم في تعاملهم مع زوارهم العرب على درجة من البرودة. ومن هنا يمكن النظر إلى لفتات صدرت عن بلير الذي لم يكتف بالتحدث مع السنيرة وإنما أبقاء إلى الغداء، كما أنه وجد إهتماماً نسبياً في موضوع فكرة إنسحاب إسرائيل من مزارع شبعا وتلال كفرشوبا التي يتولى السنيرة تسويقها دولياً طالبا مساعدة المجتمع الدولي للضغط على إسرائيل كي تتسحب وبذلك لا تعود مشكلة «حزب الله» وعمليات المقاومة ضرورية ويتسلم الجيش اللبناني تبعاً لذلك مهمة التواجد في المناطق التي يقتصر الوجود المسلح فيها على «جيش حزب الله». وعن هذه الفكرة تتفرع أمور أخرى من بينها «السلاح الفلسطيني» الذي لا يعود مسموحاً به خارج المخيمات، وتزويد الجيش اللبناني ببعض احتياجاته من الأسلحة والمعدات وهو أمر لن تبخل به بريطانيا إنما بحيث لا يأتي على هامش التنسيق الأمريكي - البريطاني خصوصاً أن لبنان يعتمد على أميركا من حيث التسليح والتدريب. لكن في الوقت نفسه هنالك عشرة خبراء بريطانيين سيتولون درس متطلبات الأمن اللبناني ورفع تقرير عن المهمة التي يقومون بها في لبنان وعلى الطبيعة.

وقد يقال: وماذا بالنسبة إلى المساعدات المالية وبما من شأنه تخفيف عبء الديون المستحقة على لبنان وهو المطلب التقليدي للمسؤولين اللبنانيين الذين يقومون بجولات خليجية ودولية. والرد على ذلك هو أن بريطانيا لا تقدم مساعدات مالية لكنها في المؤتمرات والمنديات الاقتصادية والمالية الدولية يمكن أن تساعد كأن تزكي لدى اليابان وألمانيا وغيرهما المطالب المتعلقة بلبنان. وهذا حصل السنيرة من أهل الحكم البريطاني على وعد في شأنه.

ويبقى من هذه الهوامش إثنان. الأول يتعلق بمحاولة السفير السوري لدى بريطانيا سامي الخيمي الذي هو في الأصل من خارج الكادر الدبلوماسي السوري

التقليدي ومن «لوبي المعلوماتية البشاري» فتح نافذة قد تخدم الزيارة التي طال أمد قيام السنيرة بها إلى دمشق وذلك بسبب الإستهانة السورية بالرجل وهذا ما جعله يقول خلال زيارته لمكاتب «الشرق الأوسط» في لندن أنه «لن يستجدي الزيارة» ومن دون أن يكمل ما في قرارة نفسه من مشاعر كأن يقول أنه يريد إستقباله في دمشق بمثل إستقبال الإدارة الأميركية في واشنطن ثم إستقبال الحكومة البريطانية له في لندن.

ولقد تمثّل فتح النافذة بطلب السفير السوري أبا، اللبناني أماً، والمتطلع إلى دور أعلى بحكم الخط السالك له مع الرئيس بشار الإجتماع بالسنيرة وكانت تلك بادرة ذكية من جانبه ربما تؤسس للتعامل السوري المأمول مع زيارة السنيرة إلى دمشق والتي سيساعد هذه المرة عليها قول الرجل أمام الكثيرين من بريطانيين وسفراء عرب «إنني لا أتهم سوريا بإغتيال الحريري وإنما أتمنى ألا تكون سوريا وراء هذا الإغتيال». ومع أن السفير الخيمي بالغ في التنظير عند الحديث في مجلس السفراء العرب وأمام البعض عن جوهر الأزمة اللبنانية - السورية ومنها إعتراضه على السنيرة لأنه لم يكتف بزيارة واشنطن وإنما توجه إلى مجلس الأمن، إلا أن لقاءه بالسنيرة في أي حال بدا خطوة إلى الأمام تخفف من أثقال الخطوات السورية واللبنانية التي كلها إلى الوراء وبذلك تراوح الأزمة مكانها.

كانت تلك بعض الهوامش حول زيارة أول رئيس حكومة لبنانية يطرق بوابات المجتمع الدولي وكأنما هو مخضرم في الحكم مع أنه في القصر من عصر أمس. ولكنها الشطارة السنيرية. أعان الله الرجل على مسك الختام.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 16 مايو (أيار) 2006

الحياة الحل: للوطن الصغير لبنان..

والوطن الأصغر فلسطين

على وقع أصداء مسيرات وتظاهرات بعضها مبرر وضروري وبعضها الآخر كيدي ومفتعل ولا موجب له

على الإطلاق، وفي ظل أجواء مجادلات عقيمة بين بعض رموز العمل السياسي في لبنان أطلق المجادلون عليها تسمية «الحوار الوطني» وهي تسمية ظالمة كثيراً لمبدأ الحوار ومجحفة بعض الشيء في حق المفهوم الموضوعي للوطنية، حلت الذكرى السادسة للإنتصار العربي الثاني المتمثل بإجبار إسرائيل على انسحابها يوم 25 مايو (أيار) 2000 من مناطق إحتلتها في جنوب لبنان مع الإبقاء على قوات من جيش العدوان المسمى «جيش الدفاع الإسرائيلي»، خلافاً لواقع الحال طوال ثمان وخمسين سنة، تحتل أرضاً غير محسومة ملكيتها تسمى «مزارع شبعا».

منذ ذلك اليوم ولبنان مصنّف على أنه الوطن الصغير الذي إستطاع من خلال المقاومة إجبار المؤسستين السياسية والعسكرية في إسرائيل على الإنسحاب، والتأسيس لواقع جديد إستهدفت منه الإستراتيجية الإسرائيلية فك ارتباط لبنان بالصراع العربي - الإسرائيلي كخطوة لاحقة لخطوة تحييد مصر نسبياً من هذا الصراع إلتراماً باتفاقية «كامب ديفيد» التي أبرمها الرئيس أنور السادات مع مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل برعاية الرئيس جيمي كارتر الوحيد الباقي على قيد الحياة من مثلث تلك الصففة، وكخطوة تسبق الخطوتين اللتين حدثتا بعد ذلك وهما المعاهدة الأردنية - الإسرائيلية وإتفاق أوسلو الفلسطيني - الإسرائيلي.

ومع أن المقاومة حظيت بتسهيلات نوعية في ظل الوجود السوري في لبنان والإطمئنان إلى الدعم العسكري والمالي لها من إيران عن طريق سوريا، إلا أن إستعذاب الإستشهاد وقدرة قيادة «حزب الله» على إعتبار من يستشهد بأنه كمن أدّى فرائض الصوم والصلاة والحج مثّلت العنصر الأكثر أهمية في ذلك الإنتصار خصوصاً أنه جاء إستشهاداً بفعل المواجهة مع مواقع عسكرية فقط وليس في صيغة العمليات الإنتحارية العشوائية التي لا تميز بين المدنيين والعسكريين ولا بين المطاعم ومحطات «الأوتوبس» والثكنات والمواقع العسكرية على نحو ما يحدث من جانب «الحماسيين» و«الجهاديين» وآخرين في فلسطين وما يحدث في العراق منذ الإحتلال الأميركي - البريطاني لبلاد الرافدين. وقبل أن ينضم الشاب هادي، نجل الأمين العام لـ «حزب الله»، إلى قافلة المستشهدين كانت هناك علامة إستفهام وأخرى

تعجّب كبيرتين في شأن هذا الإستشهاد ولماذا يقتصر على فقراء الطائفة الشيعية وأبناء العائلات المسحوقة (على نحو ما يحصل في فلسطين) ولا يشمل الطبقة الأعلى بدليل أن كل الذين إستشهدوا كانوا من «طبقة المحرومين» على نحو تسمية الإمام المجهول المصير موسى الصدر لهذه الطبقة. لكن إستشهاد هادي نصر الله اضفى مصداقية نوعية على «حزب الله» وعلى القطب الأهم في هذا الحزب حسن نصر الله الذي ساعدت اطلالته على الناس وحُسن المخاطبة وعمق الثقافة الدينية - السياسية عنده الممزوجة بالسلوك الإجتماعي المستقيم على تسليم الجمهور الشيعي في أكثريته بتحليلاته للموقف السياسي ولتوجيهاته. ومع ذلك بقيت هنالك ثغرة في المسألة تتمثل في ان قيادة السيد حسن تدفع بجماهير «حزب الله» إلى أن تكون لهم من ناحية الولاء والملبس والحديث والعقيدة الدينية خصوصية إيرانية، فضلاً عن أن السيد حسن نفسه كان في كل خطاب يليقه أو مقابلة صحافية أو تلفزيونية تُجرى معه، وكذلك في الليالي العاشورائية، يذكر هذه الجماهير بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمسألة الولاء للثورة الإيرانية ومرشدها آية الله خامنئي. وهو في هذا التذكير منسجم مع نفسه ومع تفكيره ومع حقيقة «حزب الله» وجوداً وتكويناً.

بعد الإنسحاب الإسرائيلي من الجنوب كان من المفترض أن يلقي «حزب الله» البندقية ويحمل غصن الزيتون وذلك على أساس انه أدى قسطه للعلو وعليه واجب الإهتمام بالتنمية والعمل السياسي وتأهيل جماهير الحزب في هذا الإتجاه. لكن العلاقة الإستراتيجية من جانب إيران مع سوريا والتأثير الذي للوجود السوري في لبنان على الصغيرة والكبيرة جعلت «حزب الله» يعتبر نفسه حالة دائمة يقتضي بقاءها الصراع الدولي على سورية وإيران وليس حالة اقتضاها الإحتلال الإسرائيلي الذي يرى المجتمع الدولي بأنه انتهى بإنسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني. ومن هنا جاءت مسألة هوية مزارع شبعا وهل هي سورية وبذلك ينتهي دور المقاومة، أم أنها لبنانية وهذا يعني ان التحرير ما زال منقوصاً وأن المقاومة ما زالت موجبة. ومن أجل طبيعة العلاقة الإستراتيجية السورية - الإيرانية إعتبر «حزب الله» ان «مزارع شبعا» لبنانية، مبرراً إعتباره هذا بأن الأمم المتحدة لا تحسم أمر الهوية وان الحكم السوري

لضرورات إستعادة الشأن السوري في لبنان لأسباب سياسية وحاجات إقتصادية وكذلك لمقايضة هذا الشأن بإستعادة الجولان المحتل على نحو الاستعادة المنقوصة السيادة على سيناء يعتبر المزارع اللبنانية وغير اللبنانية، وهو موقف زئبقي يتمسك به لأن الحسم معناه أن يتم ترسيم الحدود وإقامة العلاقات الدبلوماسية على نحو ما صار أمراً لا بد منه بعد صدور قرار دولي في هذا الشأن. أما الدواعي الخفية من عدم الحسم فهي إستمرار هذا الحكم في عهد الرئيس الأسد الابن على نظرة الحكم في عهد الرئيس الأسد الأب بأن لبنان أرض سورية، تماماً على نحو نظرة الرئيس صدام حسين أيام عز حكمه بأن الكويت أرض عراقية، أو بتوصيف أكثر دقة إن لبنان في نظر البعث السوري والكويت في نظر البعث العراقي هما خروfan صغيران جميلان أحدهما أبيض والثاني أسمر تاها عن القطيع ويجب إستعادتهما قبل أن يلتهمهما ذئب العم سام.

نصل من هنا إلى القول إن العقدة الأساسية المزدوجة في الحالة اللبنانية هي «حزب الله» الذي يقود التجمع السياسي والحزبي الذي يعمل من أجل استعادة الدور السوري في لبنان لأن شأن هذا التجمع هو في ظل هذا الدور كما أثبتت ذلك وقائع ربع قرن من الممارسة التي تتسم بالهيمنة المطلقة والجامحة. وفي جلسات «الحوار الوطني» كان السيد حسن نصر الله وإلى حد ما رئيس البرلمان ورئيس حركة «أمل» نبيه بري يمثلان هذا التجمع. وفي المقابل كان يمثل الجزء الآخر من العقدة المزدوجة الشتات المسيحي الماروني - الكاثوليكي - الأرثوذكسي - البروتستنتي - السني لكنه شعبياً ليس التجمع الأقوى. ولو ان جماهير هذا التجمع منظمة وملتزمة على نحو ما هو حاصل في «حزب الله» على سبيل المثال حيث في إستطاعة اشارة أو عبارة أو «كود» متفق عليه يأتي من جانب السيد حسن نصر الله ان يجعل مليون حجرة تهتف في وقت واحد أو مليون ساعد ترتفع في لحظة واحدة أو مليون حزبي يلبون النداء إلى تظاهرة أو إستعراض في الوقت المحدد، لكان أمكن حسم أمور كثيرة أو الإتفاق بصيغة الائتلاف على خطوة عملية وإن كان من الجائز القول إن المواجهة السياسية وغير السياسية ربما يمكن أن تحدث عندما تكون هنالك قوة أمام قوة مثلها. ما يمكن قوله في ظل هذا الواقع المأساوي الذي

يعيشه لبنان منذ الإنسحاب السوري غير الكريم إن هذا الوطن الصغير مساحة الكبير دوراً الأكبر كعنصر إقلاق في المنطقة، لا حل للوضع الذي يعيشه إلا في إعلان دولة محايدة ويكون حياده منسجماً مع الصفة التي تلازمه منذ أكثر من نصف قرن وهي «لبنان سويسرا الشرق». وهذا الحياد لا يجادل في شأن منافعه الشعب اللبناني وبكل طوائفه. وحتى إذا كان هناك من يفضل عدم البوح علناً بالترحيب إلا أنه ضمناً يتمنى ذلك. وكيف لا يتمنى ما دام هذا الحياد هو الحل بما يحققه من إستقرار وطمأنينة وخلاص من التلاعب به يأتي أحياناً من اشقاء يستضيفهم ونعني بهم الأفواج الفلسطينية التي دخلت لاجئة ثم إنتهت قوة ثورية ضاربة تمارس قياداتها التدخل في صغير الشؤون اللبنانية وكبيرها، وتصل الحال بها إلى أن المرجعية الأهم ونعني به الرئيس الراحل ياسر عرفات والنخبة القيادية المحيطة المقربة منه صارت ترى أن القضية التي يمثلونها تتطلب إبداء الرأي في تعيين رئيس الحكومة أو الوزراء، وأن القضية نفسها تجيز للفلسطيني التسامح معه عند إرتكابه التجاوزات. كما أن هذه المرجعية إستخدمت في بعض الأحيان المال الذي يأتي من تبرعات ومساعدات عربية بغرض تطوير أحوال الفلسطينيين في المخيمات ومؤازرة حركة المقاومة على الصمود في غير موضعه، ولأقى هذا الإستخدام القبول والاقبال لدى أصحاب نفوس ضعيفة من شرائح في المجتمع السياسي والحزبي اللبناني.. وإن جاز القول أن هنالك من وقف مؤازراً عن مبدئية وإحاسيس وطنية وقومية. وهذا الحضور البالغ الأهمية والتأثير للشقيق الفلسطيني جعل الشقيق السوري يرى أنه الأحق بهذا الحضور من الفلسطيني وعلى خلفية النظرة التي تتلخص في أنه إذا كان الفلسطيني ضيفاً على لبنان بصيغة لاجئ فإن السوري هو تاريخياً صاحب هذه الدار التي إسمها لبنان. وفي ضوء تداعيات الشرارة التي إندلعت يوم 13 أبريل (نيسان) عام 1975 وتحولت إلى حرب دامت ست عشرة سنة، إنتهى لبنان دولة سورية عملياً من رئيس الجمهورية إلى رئيس البرلمان إلى رئيس الحكومة إلى قائد الجيش إلى رئيس الأمن العام وبقية الأجهزة الأمنية إلى رؤساء الأحزاب والطوائف (عدا الطائفة المارونية) إلى رؤساء المحاكم والدوائر والمؤسسات والمخافر والجامعة إلى رؤساء البلديات

والمخاطر. إلى.. إلى.. إلى.. الكثير مما يمكن الإشارة إليه. وبالإضافة إلى ذلك أن الحضور السوري تمثل في إقحام مجتمع رجال المال والأعمال والمصارف، وفي إستيطان عشرات الألوف من العمال السوريين في لبنان يلقون فيه من التسهيلات والتسامح ما جعلهم يشكلون مشروع جالية متميزة قادرة مع الوقت، وفي ضوء تشريعات قانونية تتفرع عن المعاهدة التي أبرمها الرئيس الأول بموجب إتفاق الطائف الياس الهراوي مع الرئيس حافظ الأسد وعلى قاعدة «علاقة من صنع الله» وهي «لبنان وسوريا شعب واحد في بلدين»، على أن تكون مؤثرة في الحياة اللبنانية العامة.

وبعد الإنسحاب السوري الإضطرابي وبصيغة الإجلاء لم يتبدل الوضع نحو الأحسن، ذلك أن الرئاستين الأولى (إميل لحود رئيس الجمهورية) والرئاسة الثانية (نبية بري رئيس البرلمان) إستمرت سوريتي الهوى والمصلحة ومن دون أن يؤدي تباعد الرئاسة الثالثة (فؤاد السنيورة رئيس الحكومة الحريري الأصل السياسي والمالي) إلى خلل جذري في المعادلة. ووجبته الهجمة الأميركية - الفرنسية - البريطانية وما أفرزته من قرارات صادرة عن مجلس الأمن رفع درجة إلتفاف «حزب الله» حول الحكم السوري مقابل الإلتفاف الدولي عليه المرخب به من جانب قوى سياسية لبنانية. وأظهرت جلسات «الحوار الوطني» أن النقاش عقيم وأن «اللوبي السوري» يتصرف على أساس تمكين سوريا من استعادة الدور في لبنان فيما الطرف الآخر يسعى مستقوياً بالمجتمع الدولي لحسم العلاقة اللبنانية مع سوريا على قاعدة ترسيم الحدود وتبادل التمثيل الدبلوماسي وهو ما لا يريد الحكم السوري حدوثه وإن كان يتظاهر قولاً بالموافقة. أما لماذا لا يريده ولا يريده رموز «اللوبي السوري» في لبنان وبالذات «حزب الله» و«حركة أمل» وبعض الرموز المسيحية والدرزية والسنية فلأن معنى ذلك طي صفحة عنوانها «لبنان حصة الأسد» جسدها ذات يوم بغلاف لمجلة «التضامن» التي كنت أصدرها من لندن صممها الفنان الرسام علي عثمان ويبدو فيه الرئيس حافظ الأسد مستلقياً بكل إرتياح على العلم اللبناني بشكل بساط الريح محلقاً في سماء لبنان العابقة بدخان الإقتتال والتفجيرات.

لا «الحوار الوطني» سينيها المشكلة، ولا مؤازرة «اللوبي السوري» في لبنان ستعيد الدور إلى سابق عهده،

ولا التحرش السوري بلبنان سيفيد الشعب السوري، ولا مشاكسة أهل السياسة والأحزاب اللبنانية للحكم السوري ستريح الشعب اللبناني، ولا الهجمة الدولية على سورية ستحقق الاستقرار المنشود في المنطقة.

وحده حياد لبنان هو الحل. ووحده الحياد هو ما يمكن أن يرحب به العرب الذين لا أطماع لهم في لبنان ويتمنون له نعمة الاستقرار. وهذا الوطن الصغير لا يحتاج إلى شيء في حال إعلان حياده فقد وهبه الله سبحانه وتعالى النعم الكثيرة من الطبيعة الساحرة إلى التنوع المذهبي بحيث لا يكون لطائفة دون أخرى. وفي استطاعة هذا الوطن الصغير أن يجني المليارات وعلى مدار السنة من السياحة والإصطياف والترانزيت والمؤتمرات والسرية المصرفية والجامعات التي يجب إختصارها وتطويرها والمستشفيات التي يعاد تأهيلها وتجهيزها بأحدث المعدات، وأيضاً من الصناعات الخفيفة والزراعة والاستفادة من الثروة المائية، ومن بعض أموال المغتربين الذين هم ثلاثة اضعاف عدد سكانه المقيمين. لكن هذا يتطلب إعادة النظر بحيث يصبح وطن إستثمار وليس ساحة صراع سياسي. وهذا ليس بالأمر المستحيل تحقيقه لو أن رموز العمل السياسي والحزبي قرروا أن يكونوا في الدرجة الأولى للبنان وليس للغريب شقيقاً كان أو صديقاً أو خصماً.. وهو ما كان يتطلع إليه الرئيس رفيق الحريري فجاء استباق تحقيق الحلم بإغتيال الرجل أفضع إغتيال.

وعندما إستضافت المملكة العربية السعودية رموز الشرعية اللبنانية الذين إنتهوا إلى «إتفاق الطائف» كانت الفرصة مؤاتية لكي يقال لهؤلاء: من الأفضل لكم، لحياتكم ولأبنائكم ولمستقبل بلدكم ولإستقراركم ولقطع الطريق على احتراكم بعد الآن أن تعلنوا في إجتماعكم حياد وطنكم. لكن ذلك لم يحدث ولم تضغط المملكة كي لا تتحمل هذا «الوزر» الوطني مع أنها لو فعلت لكانت أفادت. ولم يحدث أيضاً عندما إلتقى بعض رموز العمل السياسي إلى طاولة الحوار مع أنهم لو خرجوا بوثيقة يعلنون فيها أنهم بإسم الشعب اللبناني يطالبون الأمم المتحدة والمجتمع الدولي بإعلان لبنان دولة محايدة، لكانت مسيرات مليونية جابت شوارع العاصمة بيروت والمدن والبلدات والقرى من أقصى لبنان إلى اقاصه ترفع لافتات الشكر إلى هؤلاء لأنهم اختاروا الحياد ووضعوا مصلحة الوطن قبل المصلحة الشخصية. ولن يلام

الوطن الصغير إذا هو بات «سويسرا الشرق» بالفعل، ذلك أنه بخياره هذا يريد الأمن والأمان وعدم إغضاب الطامعين به لأنه محايد وليس يرسم البيع أو المقايضة أو المشاركة. ثم أنه صاحب سجل عريق في العمل الوطني والمقاومة ونجدة الغير والتضحية. ومن كانت هذه حاله آن الألوان لكي يخلد إلى الطمأنينة. وبعد لبنان الوطن الصغير يبقى الحياض مطلوباً للوطن الأصغر فلسطين. ولهذا الأمر كلام آخر. فلنتأمل ونناقش من دون مزايده وتشنج.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 30 مايو (أيار) 2006

* * *

فلسطين المحايدة بعد فلسطين المجاهدة

ما يحتاجه لبنان ونعني بذلك إعلانه محايداً هو الحل نفسه لـ «فلسطين المصغرة» التي إستقر عليها الأمر الدولي المقبول عربياً بالإجماع، وسيحدث الإجماع الإسلامي عندما ينتهي الحوار الإيراني - الأوروبي على الأرجح إلى صفقة نووية من نوع جديد كفيلة بحفظ ماء وجوه الجميع والتسليم بأن تكون هنالك «فلسطين مصغرة» إلى جانب «إسرائيل مكبرة» بفعل التآمر الدولي على نحو تسليم آية الله الخميني الذي قال في اللحظة التي لا خيار فيها إنه يقبل بوقف إطلاق النار مع العراق إنما كمن يتجرع السم.

والحل هو أن تكون «فلسطين المصغرة» كياناً محايداً محكوماً بنوعية جديدة من النخبة الفلسطينية القادرة على تأهيل أجيال توارثت البؤس والشقاء والحرمان والحد الأدنى من حلاوة العيش على مدى أكثر من نصف قرن.

وعندما نقول إن الحل هو في اغتنام فرصة التسليم الدولي - العربي بـ «دولة فلسطينية» فلأن معظم تجارب العمل السياسي والثوري العربي والإسلامي والفلسطيني كانت متعثرة.. هذا إذا لم نقل انها كانت فاشلة ومحبطة وربما غير مخلصه. فقد التزمت الأنظمة الثورية بدون إستثناء الموضوع الفلسطيني الذي تؤسس عليه لتطاعات تقتصر إلى الموضوعية وبدأنا نلاحظ في أدبيات هذه الأنظمة وتنظيرات المنظرين فيها أفكاراً عاطفية ثم بدأ بعض هؤلاء ينشئ تنظيمات خاصة به داخل التجمعات

الفلسطينية التي إستهوى كثيرون فيها الكلام حول التحرير من النهر إلى البحر. وبما أن هذه الأنظمة وبالذات حكم البعث في كل من العراق وسوريا صاحبة مشروع قومي، فإن شرائح عريضة من الفلسطينيين إعتبرت أن الحلم الفلسطيني سيكون قريب المنال ما دام جزءاً من الحلم الكبير تحت شعار الوحدة والحرية والإشتراكية. وحدها مصر بين الأنظمة الثورية لم تنشئ تنظيماً فلسطينياً خاصاً بها مثل تنظيم «الصاعقة» بالنسبة إلى البعث السوري و«جبهة التحرير العربية» بالنسبة إلى البعث العراقي. أما اليمن الجنوبي الماركسي وليبيا القذافية فإنهما إحتضنا معظم بقية التنظيمات الثورية الفلسطينية في مواجهة «فتح» التي كانت في نظرهما ونظر البعثين العراقي والسوري فصيلاً من حركة «الإخوان المسلمين».

وإعتبرت مصر، كما المملكة العربية السعودية، أنها مرجعية للقضية وليس للمنظمات وأن الدولتين قادرتان على مؤازرة القضية على الصعيد السياسي الدولي بالنسبة إلى مصر والصعيد نفسه مضافاً إليه العون المالي بالنسبة إلى المملكة وبقية دول الخليج كل حسب قدراتها ونسبة إنتاج النفط فيها. وما يلفت الإنتباه أن قادة التنظيمات الفلسطينية توزعوا على الصدور العراقية والسورية واليمنية (قبل التوحيد) لدواع ثورية مع أن الصدور الأخرى كانت أكثر حنواً عليهم. ولنا في المخاطرة العرفاتية الكبرى عندما لم يقف الرئيس الفلسطيني على الحياد أو يقتحم الساحة وسيطا بحيث يطلب من فلسطيني الكويت التجمع كجدار بشري على الحدود مع العراق وبذلك يقطعون الطريق على الزحف الصدامي نحو «المحافظة التاسعة عشرة». وهم لو فعلوا ذلك وبتوجيه من «أبو عمار» يعلنه على الملأ لكانوا تركوا في النفس العربية اطيح الأثر وعوّضوا بذلك عن التدخل غير المبرر في الشؤون الداخلية في كل من الأردن ولبنان، وكانوا وجدوا في ساعة الشدة التي تأتيهم من جانب إسرائيل من يتخذ وقفة إلى جانبهم تقيهم شرور الحصار والتجوع وتأمينهم من خوف يبعث الرعب في نفوس أطفالهم وشيوخهم ونسائهم. والجدار البشري الذي نشير إليه سيكون على الصعيد النفسي أقوى من الآليات الصدامية والجحافل البشرية التي إجتاحت بها الدولة الكبرى شقيقتها الدولة الصغرى.

ونحن عندما ندعو إلى أن يكون الحياد هو الحل لـ «فلسطين المصغرة» فلأننا نرى أن وسائل التحرير

والنضال أخذت منحى لا جدوى منه على المدى المنظور، وبات مؤلماً أشد الإيلام مواصلة رمي فتية وفتيات في عمر الورود قرايين للأسلوب الإستشهادي.. خصوصاً أن هذا الإستشهاد يقتصر على أبناء أو بنات من الشرائح الأكثر فقراً وإنسحاقاً في المجتمع الفلسطيني بينما أبناء وبنات ميسوري الحال وكذلك الذين واللواتي ذووهم في مواقع المسؤولية أو من البورجوازية الفلسطينية المتحالفة مع القيادة في مأمن وهذا ليس عدلاً على الإطلاق. ونستغرب كيف أن تنظيمات ذات عقيدة دينية مثل «حماس» أو «الجهاد الإسلامي» لا تأخذ هذه المسألة في الاعتبار ويحدث نوع من القبول أو الترخيب لمن هم تحت خط الفقر كي يؤدوا الواجب الإستشهادي بينما أبناء هؤلاء ليسوا من ضمن هذه القرايين التي كانت من طقوس الحقبة الفرعونية.

وإلى ذلك فإن المزاج العربي وعلى المستويين الشعبي والرسمي لم يعد كما حاله في الماضي إزاء الموضوع الفلسطيني. وبعدها كانت القضية الفلسطينية تشد إنتباه كل عربي ووجدانه ويبيدي الإستعداد للتعبير عن حماسه للقضية فإن هذا الإنتباه تحوّل إلى أمور خاصة به، كما أن الوجدان إنشغل بمستقبل البلد ومصيره. وهكذا فبعدها كانت الشوارع تمتلئ بألوف المتظاهرين من أجل فلسطين والمقاومة الفلسطينية بات من الصعب تسيير بضع عشرات في تظاهرة نستنتي من ذلك التظاهرات التحشيدية التي يمكن أن تحدث في حال دعا «حزب الله» إليها في لبنان وتكون من أجل «فلسطين» على نحو ما يراها أي «فلسطين حماس» و«فلسطين الجهاد الإسلامي» وليس «فلسطين السلطة» وبقية أطراف المجتمع المنظماتي الفلسطيني السائرة في ركاب هذه السلطة. كما أن التظاهرات يمكن أن تكون حاشدة في حال حدثت وفق توجيه من النظام في كل من سورية وإيران لأسباب سياسية أكثر منها لأسباب نضالية وعلى خلفية أن فلسطين هي تلك التي من البحر إلى النهر وعدا ذلك فلا ترحيب بـ «فلسطين المصغرة».

ونحن عندما نقول ذلك نأخذ في الإعتبار الظروف الصعبة التي تواجه النظام السوري والنظام الإيراني من المجتمع الدولي وهي ظروف تحتم على كل منهما اعتماد الموضوع الفلسطيني كـ «ورقة ضغط». وفي العادة أن أوراق الضغط مثل أوراق الشجر تذبل وتتساقط

إنما بعد تأدية الغرض.

وبالنسبة إلى حكومات وأنظمة عربية أخرى فإن لكل منها همومها أو إهتماماتها التي تتقدم على الإهتمام بالموضوع الفلسطيني. فالذي ينحصر همه الأساسي بوضع حد للعمليات الإرهابية. والذي يجسّد إهتماماته في تجديد الولاية مرة أخرى أو التوريث. والذي يرى أن الموضوع الفلسطيني أرهقه بما يكفي وبات عليه الإهتمام بقضايا داخلية. والذي تأمرك إلى درجة أنه لم يعد ينظر بغير العين الأميركية إلى الموضوع الفلسطيني. أما على الصعيد الدولي فإن إهتمام روسيا والصين بالموضوع الفلسطيني لا يوحي بأن هاتين الدولتين الكبيرتين تغردان خارج السرب الدولي إزاء هذا الموضوع وإنما الذي يحدث هو أن كلاً منهما تغادر السرب لبعض الوقت وبعض التغريد شبه المستقل المرحب به فلسطينياً ولدواع كيدية أو بغرض الإستقطاب ثم لا تلبثان عائدتين إلى السرب الدولي الذي لا يرتاح أحد إلى تغريده.

إزاء ذلك ما الذي يجب حدوثه. هل أن ترك الأمور على ما هي عليه يفيد في شيء؟ وهل من المنطقي أن يتحول الفلسطينيون إلى حلقات تتصارع في الشوارع؟ وهل من المعقول أن تقرر «حماس» بعدما فازت في الإنتخابات أن ما فعله السابقون هو خطيئة من الواجب محو آثارها وان ما ارتأه العرب في القمة الدورية الثانية التي إستضافها تجبيراً الرئيس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في بيروت يومي 28 و29 مارس (آذار) 2002 كان خطأ يجب تصحيحه ويعتبر وزير الخارجية «الحماسي» محمود الزهار وهو في بكين زائراً «المبادرة العربية» التي حظيت على موافقة الجميع بأنها «غير عملية»! ما هو العملي إذن يا أخ محمود؟

ما يمكن قوله ان ما هو غير عملي أن لا يقرأ «الحماسيون» جيداً ما يحدث في المشهد العربي - الدولي. وهم إذا قرأوا جيداً سيجدون أنفسهم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما الإعتذار عن الحكم والعودة إلى النضال الذي أوقفوه وبصرف النظر عما إذا كانت العودة هي إلى تحت الأرض كإجراء وقائي أو فوق الأرض في صيغة عمليات إستشهادية، وإما إعتبار «المبادرة العربية» سقفاً يمكن «حماس» من التغريد مع الآخرين الذين يستظلون بهذا السقف الواقى من المزايدات. وعندما طرح رئيس «السلطة الوطنية» محمود عباس فكرة «الحوار الوطني» إفتراضنا ان هذه الفكرة

ستكون موضع ترحيب «حماس الحكومة» لأنها تشكّل مخرجاً لمواقف كثيرة تبدو صعبة إن هي أتت من جانب واحد لكنها تصبح طبيعية عندما يكون هنالك إجماع عليها. كما إفتراضنا أن «الحوار الوطني» سيحقق مصالحة حقيقية لا تقتصر على تآلف القلوب وإنما يخرج برؤية جديدة للمستقبل الفلسطيني تضع حداً لمعاناة ثلاثة أجيال من الفلسطينيين يتوارث أفرادها القهر والإذلال وشظف العيش وأنواع الخوف وعقدة اللجوء والمخيم.

وإذا جاز للمرء مثل حالي ان يفترض ملامح هذه الرؤية فإن الذي يمكن افتراضه هو الرؤية نفسها لما أراه حلاً للمأساة اللبنانية والتي تنحصر في إعلان لبنان دولة محايدة. وعندما أرى ذلك للحالة الفلسطينية فلأن أوجه التشابه كثيرة مع الحالة اللبنانية. وكما تمنينا لو أن أهل «الحوار اللبناني» يقررون في لحظة صفاء النية والإنحياز للوطن وليس لأي أنظمة أخرى مطالبة المجتمع الدولي بإعلان لبنان دولة محايدة، فإن التمني نفسه بأن يفعل أهل «الحوار الفلسطيني» ما لم يفعله وما يجب أن يفعله أهل «الحوار اللبناني». بل وأن يصر الجانبان على هذا المطلب وقبل أن يفوت الأوان.

ونحن عندما ندعو إلى حياد «فلسطين المصغرة» فلأن مثل هذا الحياد سيصون الشعب ويشفي العلة ويوقف نزف الجرح، فضلاً عن أن «فلسطين المصغرة» تملك من الإمكانيات والثروات ما من شأنه تأمين العيش الكريم للشعب الذي ذاق كل أنواع المرارة. ويكفي أن هذه آل «فلسطين» ستكون قبلة ملايين المسيحيين والمسلمين في العالم يحجون إليها لإكمال طقوسهم الإيمانية وهؤلاء سينفقون من الأموال في زيارات للحج المسيحي والزيارة الإسلامية للحرم الثالث ما يساعد على إعادة بناء ما دمره الشارونيون وغيرهم. هذا إلى جانب المردود السياحي والمردود الزراعي من البرتقال والزيتون وأطياب ومنتجات أخرى كثيرة.

والحياد الفلسطيني المطلوب كما الحياد اللبناني المطلوب هو الآخر، ليس حالة إستسلام ولا هو هروب من تأدية الواجب الوطني، ذلك أن تاريخ هذين الوطنين (الصغير لبنان والأصغر فلسطين) حافل بالصبر والإستبسال والتضحية ولذا فإنهما محصّنان وطنياً بخيار الحياد يعتمدانه بمبادرة منهما وبذلك تكتسب قبولاً دولياً يكون أكثر أهمية مما لو أن المجتمع الدولي هو الذي

بادر إلى تعديل الهوية السيادية على نحو تفصيل هذا المجتمع لخرائط دول العالم. وعندما يكون التاريخ على هذا الإشراف فإن صيغة الحياد لا تعود حالة تهرب من أداء الواجب الوطني وإنما هي نظرة مسؤولة لواقع الحال.

والحياد لا يعني أن ينعزل الوطنان العربيان (الصغير لبنان والأصغر فلسطين) عن محيطهما وعن العالم الخارجي على نحو ما حدث قبل 189 سنة في الولايات المتحدة عندما قرر رئيسها الخامس جيمس مونرو اعتماد الحياد بصيغة العزلة بحيث لا تمد الدول الأوروبية نفوذها الإستعماري نحو أميركا وفي الوقت نفسه تلتزم الولايات المتحدة من جانبها بعدم التدخل في مشاكل أوروبا وعلاقات دولها. وعندما ارتأى مونرو طرح فكرته على الكونغرس الذي أقرها بالإجماع وعلى نحو الإجماع العربي في القمة الدورية في بيروت يومي 28 و29 مارس (آذار) 2002 على فكرة الملك عبدالله بن عبد العزيز وكان ما زال ولياً للعهد التي عُدت تُعرف بـ «المبادرة العربية» فلكي لا تضيق البلاد أمام الغزو الإستعماري الأوروبي وبالذات غزوات إسبانيا وفرنسا وبريطانيا، فضلاً عن أنه طرح الفكرة مستنداً إلى رصيده النضالي وهو أنه كان جندياً في حرب الإستقلال ضد الإنكليز التي قادها الرئيس الأول جورج واشنطن، الذي هو إذا جازت المقارنة (الملك عبد العزيز آل سعود أميركا)، وأنه تعاطف مع الثورة الفرنسية وأمكنه بعد نضال دام ربع قرن إعادة فلوريدا إلى الولايات المتحدة من النفوذ الإسباني. ولكن فكرة الحياد التي عُرفت في عالم السياسة بـ «مبدأ مونرو» تراجعت مع الرئيس الثامن والعشرين وودرو ويلسون الذي ترأس أميركا من 1913 إلى 1921 حيث تبني الدعوة إلى الحرب وإستخدام القوة العسكرية، ثم قُضي تماماً على مبدأ مونرو مع الرئيس الثاني والثلاثين فرانكلين روزفلت (1933 - 1945). ومن مفارقات القدر أن هذين الرئيسين اللذين نقضا مبدأ الحياد كانا شبه مشلولين حيث أن الأول (ويلسون) الذي هو أول رئيس أميركي يسافر خارج الحدود إلى أوروبا أصابه الشلل في نهاية عهده وأن الثاني (فرانكلين روزفلت) بدأ عهده يعاني من عجز ساقيه بسبب مرض شلل الأطفال الذي أصابه في شبابه. وبعد نقض مبدأ مونرو دخلت أميركا في دوامة التدخل في شؤون الآخرين ثم الحرب فالإحتلال على نحو ما يحدث مع الرئيس الثالث والأربعين جورج بوش الابن الذي قد

يغسل الآثام الأميركية في حال سعى إلى جعل الوطن الصغير لبنان والوطن الأصغر فلسطين دولتين محايدتين وبذلك يرتاح شعبا الدولتين ويطمئن البال العربي... وينصرف إلى غير رجعة المتلاعبون بمصير الوطنين من أهل السياسة لإفساح المجال أمام جيل من المنزهين عن تقديس الذات بدل الإيمان بالوطن وتفضيل منح الولاء للغريب على إعلاء شأن الإستقلال والإرادة. ولهذا التناول بقية توضيحات ووقائع وإستنتاجات.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 6 يونيو (حزيران) 2006

* * *

الحياد للبنان وفلسطين: محاسن هذه

الصيغة كثيرة ولا مساوى لها

عندما يطالب كاتب مثل حالي وبصيغة الإقتراح من خلال مقالة بأن يكون الحياد هو الحل بالنسبة إلى وطنه (لبنان) والوطن الثاني للعرب (فلسطين)، فليس لأنه بعد أربعة عقود من الهم القومي والإهتمام الوحدوي سئم تكاليف النهج العربي وحلم إستعادة الوطن السليب، وإنما لأن منطق الأمور يرى عندما يكون هنالك خطر محقق بالمصير وعجز عن العلاج لوضع أشبه بالمعضلة فشلت كل المحاولات لإنقاذه، أن من واجب القادرين على التأمل وإستنباط الأفكار والإقتراحات أن يقولوا ما يدور في خاطر منها، لأن أهل القرار ربما يحتاجون إليها وربما يتم الأخذ بها.. خصوصاً أن الظروف المحيطة بهم تجعلهم يعيشون حيرة من شأن فكرة عابرة أو رأي يأتي من مصدر متجرد للتخفيف من وطأة هذه الحيرة. وهذا ما حدث على سبيل المثال لا الحصر مع الرئيس جمال عبد الناصر عندما كان ما زال حديث العهد في الحكم وأقدم على تأميم قناة السويس من دون أن يحسب حسابات دقيقة لما يمكن أن تتسبب به الخطوة من أذى لمصر معتبراً أن المكسب المعنوي الوطني سيكون وفيراً وهذا في حد ذاته إنجاز يعزز التوجه الثوري الذي بدأ في المحروسة... أي مصر. وعلى نحو ما سمعناه من زميلنا الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل فإن الدكتور محمود عزمي الذي كان في

الخمسينيات من الكتاب والمفكرين المرموقين في مصر، وإن كان إسمه ليس ذائعاً كآخرين، رأى وبعدما كان عبد الناصر عينه مندوباً دائماً في الأمم المتحدة أن تداعيات التأميم ربما تكون في منتهى الخطورة، وهي جاءت خطيرة بالفعل، وأنه إستباقاً لحرب يمكن أن تشنها بريطانيا على مصر وخصوصاً أن القوات البريطانية كانت لا تزال في منطقة القناة، قد يكون إعلان مصر حيادها المطلق، مثل سويسرا، هو الحل المناسب للتخلص من القوات البريطانية ودرء خطر الحرب. لكن عبد الناصر لم يرحب بالفكرة وحجته في ذلك أن سويسرا ذات وضع خاص وإن للدول الكبرى مصلحة في حيادها على صعيد الإستثمارات والخدمات ومنها على سبيل المثال لا الحصر الصليب الأحمر التي تقدمها سويسرا لدول تحارب بعضها. أما مصر فلا يمكن إبعادها بسهولة عن الحرب لأهميتها الإستراتيجية كمفتق طرق عالمي. ولا ندري كيف كان رد فعل الدكتور عزمي صاحب فكرة حياد مصر، إلا أننا نفترض أن الرجل ككاتب رأى أن عبد الناصر بالحجة التي أوردها لا يقول ما يدور في خاطره من تطلعات في شأن الرغبة في التزعم والهيمنة كما هي حال إيران الآن وحال صدام من قبل. ومن هذه تطلعاته يرفض الحياد لأن معنى أن تكون رئيس دولة محايدة أن تلغي الثورة والبرنامج الثوري ومعناه أن لا تتدخل في شؤون الآخرين. كما أن صيغة الحياد تعني أن لا تكون الرئاسة مدى الحياة أو غير محددة بفترة زمنية (أربع أو خمس سنوات أو ربما أقل). وإذا كان عبد الناصر لم يأخذ بفكرة الحياد فهذا لا يعني أنها لا تصلح كحل لمن يحتاج إلى هذا الحل مثل «لبنان الصغير» و«فلسطين المصغرة».. مع ملاحظة أن الحياد لمن يقتنع بجذواه بالنسبة إلى إستقرار الوطن وطمأنينة الشعب لا يعني الإنعزال عن المجتمع الدولي وفقدان حق العضوية في مؤسسات ومنظمات إقليمية ودولية مثل «الأمم المتحدة» بدليل أن النمسا إنضمت وهي في حالة حياد إلى المنظمة الدولية عام 1955، كما أن فنلندا المحايدة هي الأخرى انضمت إلى المنظمة في العام التالي فضلاً عن أن عضويتها في الإتحاد الأوروبي لم تشكل حثيثة لإجبارها على أن تكون عضواً في الأحلاف العسكرية. والحياد لا يعني فقدان العضوية في «الجامعة العربية» وفي «حركة عدم الإنحياز» و«منظمة المؤتمر الإسلامي»، بل ان العكس هو ما

يمكن حدوثه، بمعنى أن صفة الحياد ستضفي المزيد من القبول للدولة التي إختارته وبحيث تكون الرعاية لها من الدول الكبرى والثقة بها من جميع الدول الأعضاء في المنظمة الدولية ومن دون التوقف عند أن النمسا وسويسرا وفنلندا دول قليلة عدد السكان والمساحة بالمقارنة مع الدول الأخرى وهي حالة شبيهة بـ«الوطن الصغير» لبنان و«الوطن الأصغر» فلسطين. وثمة ميزة أخرى يمكن أن يكتسبها كل من هذين الوطنين بسبب حيادهما وهي أنهما يصبحان وسيطين نزيهين في الأزمات العالقة والخطيرة أحياناً بين الدول الشقيقة من نوع الأزمة التي تعيشها كل منهما الآن وتحتاج إلى الوسيط الذي يتم مسعاه فلا تجده وذلك لأن هذا الوسيط ليس محايداً بما فيه الكفاية وإنما تتحكم في مسعاه أهواء وتعاطف له أحياناً صفة الإنحياز إلى طرف دون آخر. وقد يقال: وما قيمة هذا الحياد بالنسبة إلى كل من «الوطن الصغير» لبنان و«الوطن الأصغر» فلسطين إذا كانت الدولة المجاورة إسرائيل تملك السلاح النووي بما يعني أنهما مستضعفتان في استمرار وغير قادرتين على حماية أمن البلاد والعباد. والرد على ذلك هو أن سلاح الحياد هو في بعض جوانبه بأهمية السلاح النووي وأنه في حد ذاته يشكل حصانة للدولة وإلاً فكيف لم تتأذ فنلندا المحايدة التي بينها وبين الدولة العظمى النووية الاتحاد السوفياتي (قبل التساقط وتبعثر الجمهوريات) حدود طويلة. والذي إنتهت إليه الأمور أن الدولة النووية العظمى سقطت بينما الدولة الصغيرة المحايدة صمدت وازدادت حياداً. وما قد تنتهي إليه أمور إسرائيل عندما تجد أن جارتها اللبنانية والفلسطينية باتتا دولتين محايدتين ستري أن المسالمة هي سر البقاء وأن كل ما تقوم به لن يفيداً في شيء وأن تسلحها سيفقد مبرراته إذ سيقل لها: ممن إذ الخوف وضد من السلاح. وإلى ذلك أن إسرائيل ستري وقد ازدادت رقعة القبول بها أن تعلن هي بدورها نفسها دولة محايدة وإن كان ذلك على درجة من الإستحالة، كون هذا المآل يتطلب طي صفحة النظرة التوراتية وبالمفهوم الصهيوني وإعتماد نظرة واقعية تجاري ظروف العصر. وبالحياد الإسرائيلي لا يعود هنالك موجب للإبقاء على أرض غير المحتلة ولا على العداء مستحكماً في النفوس.

وقد يبدو هذا الكلام الافتراضي حول الحياد مستغرباً من جانب البعض وإلى درجة الإستهجان، بل وشبههاً

بالإستغراب الذي قوبل به كلام الرئيس التونسي (الراحل) الحبيب بورقيبة عندما دعا القادة العرب في الستينيات إلى الموافقة على قرارات التقسيم وكان ذلك قبل أن تحدث حرب 5 يونيو (حزيران) 1967 ويصبح الطلب هو إنسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي إحتلتها بما في ذلك القدس. ثم تبين سنة تلو أخرى بعد الذي إنتهت إليه تلك الحرب على الصعيد الجغرافي والتعامل بين العرب والمقاومة الفلسطينية وكذلك السلوك الفلسطيني عموماً أن الرجل بإقتراحه المشار إليه كان بعيد النظر بدليل أن عدم الأخذ به وإعتباره خارجاً على التوجه القومي والوطني أتاح المجال أمام القضم المستمر لفلسطين وإلى درجة أنه لم يبق أمام شعبها سوى إرتضاء الدولة المصغرة المحايدة التي تريه من المزايدات والمغامرات والمتاجرات. وينطبق الأمر على لبنان الذي، في حال لن يسلك طريق الحياد، سيبقى على نحو ما هي حاله منذ ثلاثة عقود ساحة لإفترار الحروب على أرضه إستلاباً لإرادته وإستغلالاً لضعف كرامات أهل السياسة الذين أخفقوا في صون الوطن وإعتبروا الولاء للغير مسألة لا غبار عليها مع أنها إستهانة بالوطن تصل إلى ما هو أقل من الخيانة وأكثر من القريط.

ونكرر القول ونحن نختم وجهة النظر هذه بأن الوضع المأساوي الذي يعيشه «الوطن الصغير» (لبنان) و«الوطن الأصغر» بإعتبار ما سيكون (فلسطين)، يتجه إلى المزيد من المأساوية إذا كان الأمر سيبقى على ما هو عليه حيث مسايرة الأطراف اللبنانية في المرتبة الأولى موزعة بين الشقيقة العربية (سوريا) والأخت المسلمة (إيران) والمدعية الصداقة والرعاية والحرص (أميركا)، بينما الوطن في المرتبة الثانية. ومع تزايد السوء سيسلك الوطن الطريق في إتجاه الهاوية. ولا خلاص إلا بإعلان لبنان دولة محايدة لأن بقاءها سيكون في حيادها وستكون طمأنينة الشعب في ظل هذا الحياد. ولا موجب للخشية من هذا المصير ذلك أن الإزدهار سيعم البلاد ويدخل كل بيت لأن المقومات موجودة بكثرة من الطبيعة الجميلة إلى قدرة اللبناني على الابتكار.. إلى التنوع المذهبي، فضلاً عن أنه بـ«الحياد» لا تعود هنالك فرصة أمام مترعمين يمارسون الزعامة بطقوس إستعبادية ظاهرها ديمقراطي وحقيقة أمرها نقيض ذلك تماماً. وهذا الذي حدث في ظل تجربة «الحوار الوطني»

دليل على ذلك. وما يقال حول لبنان يقال حول «الوطن الأصغر» فلسطين الذي تتجاوز خصومة الأشقاء لبعضهم أحياناً عداءهم للإسرائيلي الذي اغتصب الأرض، وإلا فما معنى أن لا يتفق أبناء القضية الواحدة على الجلوس إلى طاولة «الحوار» الذي يؤدي إلى حلول تعطي ما للوطن وللوطن وما لطرفي الصراع «فتح» و«حماس» للوطن أيضاً.. وعلى نحو ما يفعله الإسرائيليون. وبالنسبة إلى المقومات والقدرات فإن لدى الفلسطينيين، عدا القدرة المذهلة على الصمود، الامكانيات الكثيرة للإبتكار. وبهذا الإبتكار لا يعود يتسول المساعدة والرفق. فليتك الشقيقان اللبناني والفلسطيني على الله ولترتفع صيحة المطالبة بالحياد عالياً وبذلك يرتاحون ويريحون وتطوى صفحة الإحتراب والإذلال وتحل محلها صفحة بيبضاء ونقية بيبضاء ونقاء ثلوج سويسرا والنمسا وفنلندا تلك الأوطان الثلاثة التي تتعم بكل ما يفتقده مثيلاها: «لبنان الصغير» و«فلسطين المصغرة».

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 13 يونيو (حزيران) 2006

* * *

أمثلة خليجية من ثلاثة أولياء عهد

برسم بشار وبعض اللبنانيين

هنالك إنجازان خليجيان في منتهى الأهمية حققهما ثلاثة من أولياء العهد من شأن التأمل فيهما، من جانب أهل القرار في سورية وأهل التأزم في لبنان، أن يساعدهم على مغادرة الشرنقة التي يعيشون فيها.

ولي العهد الأول هو الأمير سلطان بن عبد العزيز حامل هموم الملف السعودي - اليمني على مدى سنوات الذي قام يوم الخميس أول يونيو (حزيران) 2006 بزيارة إلى اليمن مصطحباً وفداً متميزاً يضم وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، ووزير الخارجية الأمير سعود الفيصل، ووقع خلالها في القصر الجمهوري في «المكلا» عاصمة منطقة حضرموت (شرق البلاد) مع رئيس مجلس الوزراء اليمني عبد القادر باجمال على الخرائط النهائية لمعاهدة الحدود الدولية

بين البلدين. وجاء التوقيع في ختام إجتماعات الدورة السابعة عشرة لـ «مجلس التنسيق السعودي - اليمني». كما أنه وضع حجر الأساس لمشروع «مستشفى الأمير سلطان الجامعي» الذي سيقوم بتمويله، إلى جانب وضع حجر الأساس لمشروع «كلية الأمير سلطان التقنية»، التابعين لـ «جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا...». وهذه ليست كل ثمار الزيارة، فهناك منطقة للتجارة الحرة سُميت «منطقة الأخوة» بغرض رفع حجم التجارة بين البلدين وهنالك الشركة القابضة التي تستهدف إنشاء مشاريع ضخمة في مجالات عدة بينها الإستثمار في الموانئ وإدارتها. وبالنسبة إلى التعاون من جانب القطاع الخاص فإن الجانبين يتطلعان إلى رفع التبادل من مليارين ونصف المليار دولار في العام إلى أكثر. وعلى صعيد تأهيل الإقتصاد اليمني هنالك بروتوكولات ومذكرات تفاهم لتفعيل الدور السعودي في تأهيل هذا الإقتصاد وإتفاقات تمويل تصل قيمتها الإجمالية إلى حوالي مئة وستين مليون دولار لمشاريع التنمية في اليمن. ومثل هذه الإتفاقات بالروحانية التي تتم فيها وبالحرص المشترك من الجانبين على التطوير، من شأنها تعزيز جهود الحكومتين السعودية واليمنية للسيطرة على أعمال تهريب أسلحة ومخدرات وبضائع تجري من منافذ في بعض ثغرات في الحدود البالغة 1800 كيلومتر.

قبل أن يبدأ الأمير سلطان الزيارة كان الترحيب اليمني وعلى جميع المستويات الرسمية والشعبية ملحوظاً. فالرئيس علي عبدالله صالح قال عشية وصول الأمير إن علاقات اليمن بالسعودية هي «في أرقى المستويات». ومن المؤكد أنه عندما إجتمع بولي العهد بعد وصوله وهو اللقاء الثاني بينهما خلال شهرين بعد اللقاء الأول على هامش زيارتهما إلى هونغ كونغ، إضاف من الكلام الترحيبي ما يعكس الرقي الذي يشير إليه. ورئيس الحكومة اليمنية عبد القادر باجمال استحضر كلام الملك عبدالله بن عبد العزيز في شأن تسهيل رغبة إنضمام اليمن إلى «مجلس التعاون الخليجي» في ضوء الموافقة الضمنية من جانب دول المجلس خلال إجتماع أبو ظبي على هذه الرغبة، مما يعني أن عقدة «الدولة المؤهلة» وما يتفرع عن هذه العقدة من جزئيات تتعلق بعدم التجانس الإجتماعي بين اليمن ومجتمعات بقية دول «مجلس التعاون»، غدت

قابلة للتراجع أمام إيجابيات التعاون الإقتصادي والإستثماري وخصوصية الأنظمة على نحو ما هو حاصل في «الإتحاد الأوروبي» الذي تأمل شعوب دول «مجلس التعاون» بأن يصبح «مجلسها» بقوة ذلك «الإتحاد».

بعد هذه الخطوة المتميزة المتمثلة بالتوقيع على الخرائط النهائية للحدود وإشراك القطاع الخاص في صياغة العلاقة الجديدة بين البلدين الجارين الشقيقتين، لن تعود حالات التهريب على الوتيرة التي كانت عليها قبل اغلاق ملف الحدود.. وبالذات تهريب السلاح الذي غدا لبضع سنوات تجارة يمنية رابحة لكثرة أنواع الأسلحة التي توفرت لتجار السلاح نتيجة سقوط دولة اليمن الجنوبي وتبعثر أطنان من قطع السلاح، الأمر الذي ييسر للعابثين بالأمن السعودي الحصول عليها. وإلى ذلك فإن تسهيل مقتضيات الرغبة اليمنية في الانضمام إلى «مجلس التعاون الخليجي» بات يفرض على اليمن إعتبار أي قطعة سلاح يتم تهريبها إلى المملكة موجهة إلى الرغبة المشار إليها، الأمر الذي يعني أنها ستتعامل مع ظاهرة التهريب والمهريين بما يجعل الحدود التي تم ترسيمها نهائياً عصبية على التهريب والمهريين، أو فلنقل أنها ستري أن عدم ضبط الحدود هو محاولة من أطراف داخلية أو خارجية لإفشال التطلعات التي ستجعل اليمن النجمة السابعة المضيئة في سماء «مجلس التعاون» التي تتلبد أحياناً بغيوم ثقيلة ناشئة عن عدم تفهم من جانب البعض وعدم رغبة بالتضحية من جانب بعض آخر.

وخلاصة القول ان الخطوة التي أنجزها ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز في زيارته ستلج صدور مجتمع رجال الأعمال الحضرمي الأصول المزدھر في المملكة والجالية اليمنية عموماً ما دامت اليمن باتت على مشارف الانضمام إلى «مجلس التعاون» وهذا سينعكس إيجاباً على كل يمني وبالذات أولئك الذين اضطرتهم تداعيات الغزوة الصدامية للكويت أن يغادروا المملكة مصدر الرزق وأرض الذكريات الطيبة، ذلك أن ترسيم الحدود من جهة، والتعاون الرحب من جهة أخرى، سيولدان أجواء ثقة من شأنها إستعادة الماضي المستقر إلى ما كان عليه. وقبل إنجاز هذه الخطوة كان المرء في معرض التمني بحدوثها يرى إستحالة الإنجاز وذلك لكثرة الحساسيات المشتركة والتي

وصلت إلى مشارف القطيعة في بعض الأحيان وإلى مواجهات نارية على بعض ثغرات الحدود في مرحلة من المراحل وإلى لغة تخاطب غير ودودة. ومن هنا فإنه عندما يحدث هذا الإنجاز وعلى قاعدة النوايا الطيبة وفي منأى عن الأطماع والتدخل في الشؤون الداخلية واحترام السيادة والاستقلال والخصوصية يصبح طبيعياً القول إن الإنجاز السعودي - اليمني هو للبلدين في الدرجة الأولى، إلا أنه أمثلة برسم لبنان وسوريا الدولتين الشقيقتين والجارتين اللتين تعيشان ظروفًا ناشئة عن عقدة حدود تقتقر إلى الترسيم ومن السير حلها وفق أسلوب ولي العهد الأمير سلطان في تعاطيه مع الحالة اليمنية وإعتماد الجانب اليمني قاعدة الرد على التحية بمثلها لأن مصالح البلاد والعباد تستوجب ذلك.

عسى ولعل يحدث بين الشقيقتين الجارين السوري واللبناني ما حدث بين الشقيقتين الجارين السعودي واليمني. وعسى يتأمل أولو الأمر بما حدث بين المملكة واليمن وكيف أن ما هو آت بينهما نتيجة الإنجاز سيزيل مع الوقت آثار الكم الهائل من التأزم.

كما عسى يتأمل الشقيقان الجاران السوري واللبناني بما أنجزاه ولما عهد آخران هما ولي عهد قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني وولي عهد البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة خلال زيارة قام بها الأول يوم الأحد 11 يونيو (حزيران) 2006 إلى المنامة. وبالروحية التي إعتدها ولي العهد السعودي في زيارته إلى عاصمة حضرموت وأنجز خلالها ترسيم الحدود مع اليمن، انجز وليا العهد الشابان الخطوة التي تستحق التقدير وهي توقيع إتفاق بناء «جسر البحرين - قطر» البالغة تكاليفه حوالي بليون دولار وآخر لإنشاء «مؤسسة جسر البحرين - قطر» وإتفاق للتعاون القنصلي والدبلوماسي.

وبموجب هذا الإنجاز ستصفو العلاقات بين دولتين صغيرتين عاشتا لفترة أزمة بالغة الخطورة وصلت في عهد الجدين الشيخ خليفة والشيخ عيسى، رحمة الله عليه، إلى حد المواجهة والتأمر فإدانات وأحكام. ومثل هذا التفاهم الذي بدا لبعض الوقت في الماضي على درجة من الإستحالة يشكل هو الآخر أمثلة في الدرجة الثانية للشقيقتين الجارين مصر والسودان اللذين يكثران من إبرام الإتفاقات لكن لا تنفيذ، وفي الدرجة الأولى للشقيقتين الجارين اللبناني والسوري. وما يستوقنا هو أن

ولي العهد القطري وولي العهد البحريني اللذين اهداهما والداهما هذا الإنجاز ليكون قاعدة إدارة كل منهما لشؤون البلاد والعباد والعلاقات المستقرة في المستقبل عندما يؤول الحكم إليهما، لم يهدرا الوقت في التصريحات والإشترطات والتعجيزات، مثل الحال السورية - اللبنانية، وإنما اتكلا، كما ولي العهد السعودي الأمير سلطان، على الله وقال ما معناه: هذا أمر لا بد منه فليت إنجازه الآن قبل الغد. كما أن الجسر الذي تقرر انشاؤه وسمياه «جسر المحبة» ليربط دولتين تفصل بينهما مياه الخليج على نحو «جسر المحبة» الآخر - جسر الملك فهد بن عبد العزيز الذي يربط شرق المملكة بالبحرين، هو خطوة ذات ملامح وحدوية للأرض وإن هو جسر فوق الماء، وهذا ما لا يحتاجه جغرافياً الوضع بين لبنان وسوريا وإنما الذي يحتاجه هو الإرادة وحسن النية وعدم طمع الكبير بالصغير واحترام السيادة والخصوصية. وبذلك تستقر الأمور يا دكتور بشّار... ويا بعض اللبنانيين الذين تربطكم أفضل العلاقات بأطراف الإنجازات المشار إليها، وهي السعودية واليمن والبحرين وقطر، والذين ينطبق عليهم القول مع بعض التعديل: إغفر لهم يا ابتاه. انهم لا يدرون ماذا يفعلون بمستقبل العباد وكيف يعبثون بمصير البلاد.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 20 يونيو (حزيران) 2006

* * *

عاجل: إستيضاحات وبلاغات خليجية

ضد ثلاثة وزراء لبنانيين

على نحو إبتهاج الشاعر العربي البحتري بالربيع وأي مفردات إستعملها وهو يصف قدوم هذا الفصل، يبتهج الأشقاء العرب، وبالذات الذين يأتون من دول الخليج، بالصيف اللبناني لما في هذا الفصل من حلاوة العيش والتنزه. لكن فرحة هؤلاء الاشقاء، وبالذات العائلات لا تكتمل مع حالات من السلوك السيئ لا يعالجه أولو الأمر من أصحاب القرار وتحديداً ثلاثة وزراء هم وزراء الداخلية والصحة والسياحة. ويزيد من التباطؤ في عدم معالجة هذه الحالات إن رئيس الحكومة

نفسه لا يعير المسألة إهتمامه ومن أجل ذلك يستمر التسبب على حاله.

والذي يبعث في النفس الإستغراب، هو أن الطاقم الوزاري الذي نشير إليه يتكون من وزراء مستنيرين وأصحاب إختصاص وزاروا دولاً عربية وأجنبية تتعامل مع القضايا التي تهم المواطن والسائح أو الزائر ضمن الأصول وتترجم إلى واقع مطالب هؤلاء.

وإذا كانت هذه الحكومة وكان الوزراء الثلاثة مشغولي البال بقضية إغتيال الرئيس رفيق الحريري، وهذا أمر طيّب منهم، إلا أن هذا الانشغال لا يعني ترك بعض الأمور غير العسوية على الحل من دون معالجة فورية. وهؤلاء زاروا الإمارة الصغيرة الحجم أرضاً وبشراً ورأوا كيف باتت نتيجة وعي أهل الحكم فيها، مرشحة لأن تصبح خلال عشر سنين مثل امارة موناكو، اضافة إلى كونها أهم محطة ترانزيت في قلب الخليج. وهذا الرقي المفروض أن يكون عليه لبنان ما كان ليحدث لو أن العزيمة غير قوية، ولو ان المسكين بالمواقع المسؤولة يتصرفون بالإهتمام الممزوج باللامبالاة بقضايا وظواهر يعتبرونها ثانوية، لكنها في واقع الحال بالغة الأهمية، على نحو وزراء الداخلية والصحة والسياحة في لبنان.

زيادة في التوضيح نقول موجّهين الكلام إلى وزير الداخلية اللبنانية أحمد فتفت، الذي يشغل المنصب بالنيابة إلى حين يعود الوزير الأصيل حسن السبع وفي حكومة يترأسها على الأرجح سعد الدين الحريري، أو تعاد تركيبتها ويترأسها الحالي فؤاد السنيورة: هل يمكن أن يجرؤ راكب دراجة نارية صغيرة أو كبيرة في دبي على تجاوز الضوء الأحمر أو أن يسلك الإتجاه المعاكس أو يمشي بدراجته على الرصيف إذا هو أراد، كما هل يجرؤ على قيادة الدراجة واضعاً طفله الصغير في حضنه من دون مراعاة المخاطر؟ وهل يمكن أن يجرؤ سائق سيارة عمومية أو خاصة على أن يرمي من نافذة السيارة أوراقاً أو بقايا مادة غذائية إستهلكها أو علب مرطبات فارغة؟ وهل يمكن لأي سائق سلوك طريق فرعية عكس الإتجاه المحدد فيها؟ وهل يجرؤ صاحب سيارة غير صالحة للإستعمال على وضعها إلى رصيف شوارع رئيسية أو عادية وتبقى مركونة بضعة أشهر؟ وهل يجرؤ صاحب سيارة على إستعمالها في شوارع دبي إذا كانت غير مكتملة السلامة والنظافة؟ وهل يجرؤ شرطي على التعامل بنزق مع مواطن أو

مواطنة يقود أو تقود سيارة وإرتكبا عن غير قصد مخالفة، كما هل يجرؤ على قبول رشوة مقابل عدم تسجيل محضر بمخالفة؟ وهل يجرؤ سائق سيارة خاصة أو عمومية على إستعمال «الزمو» كوسيلة تخاطب أو إحتجاج؟ وهل يجرؤ سائق سيارة عمومية على تشغيل شريط غنائي يحب سماعه أو تشغيل راديو السيارة على نحو ما يطره؟ وهل يجرؤ صاحب سيارة خاصة على أن يفعل الشيء نفسه ويرفع الصوت إلى أعلى درجة تاركاً سقف السيارة أو النوافذ مفتوحة؟.. الخ مثل هذه التساؤلات.

نكتفي بهذه التساؤلات من باب المثال وليس الحصر، ذلك أن هنالك العشرات منها يمكن طرحها برسم وزير الداخلية الذي بموجب سلطته قادر على جعل ما هو غير حاصل في لبنان يحدث على نحو ما هو حاصل في الإمارة الصغيرة دبي التي تخطف كل يوم الضوء من لبنان وستخطف الضوء أكثر، وأكثر عندما ستتسبب إلى دول «المترو» الأرضي والمعلق، وهو إنجاز سيزيد من رونقها كونه يأتي وفق أحدث تطوير في مجال النقل بالقطارات على أنواعها. وهنا نتذكر حضارة «الترامواي» وقطار السكة الحديد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ومن قلب العاصمة بيروت إلى الحدود مع سورية، ونأسف كثير للأسف لأنها إندثرت أمام إجتياح الآليات التي تنفث السموم في الصدور وتخطف العافية من الأبدان.

وبالنسبة إلى وزير الصحة الدكتور محمد جواد خليفة نقول موجّهين الكلام إليه: هل انه من الجائز ألا يقرر كوزير للصحة جاء إلى الحكومة من وسط طبي عريق ألا يتقدم في مجلس الوزراء بورقة عمل يصدر عليها وإلى درجة الإعتكاف، إذا كان لن يتم الأخذ بها، وتتضمن منع التدخين في المكاتب الحكومية وفي المصارف والجامعات ووضع عقوبات على من لا يلتزم بإعطاء أولوية القبول في المدارس الثانوية والجامعات لغير المدخنين، وكذلك إلزام المطاعم والمقاهي بتخصيص أماكن لغير المدخنين وأخرى للمدخنين مع فرض عقوبات ومحاصرة ظاهرة إنتشار السيجار و«الشيشة» في المطاعم والمقاهي المقلقة، وإجبار سائقي السيارات العمومية على وضع علامة منع التدخين داخل السيارة من جانب السائق والركاب معه وأيضاً سن قانون بإعطاء الأولوية للعلاج المجاني إلى

غير المدخنين، ووضع ضريبة عالية على أصناف السجائر على نحو ما هو حاصل في دول عريقة على صعيد إحترام الحرية الشخصية مثل بريطانيا التي بات الحد الأدنى لعلبة السجائر فيها سبعة دولارات. وكما الحال بالنسبة إلى وزير الداخلية، الذي أوردنا بعض المطلوب منه على سبيل المثال لا الحصر، كذلك بالنسبة إلى قضاياء وظواهر لا يعيرها وزير السياحة اللبناني جو سرركيس الإهتمام المطلوب إنسجاماً مع التوجه العام بأن لا قضية تتطلب الإهتمام عدا الكشف عن أسرار جريمة إغتيال الرئيس رفيق الحريري. فليس طبيعياً على الإطلاق الا يقوم الوزير بزيارات مباغطة لمطابخ عشرات المطاعم والمقاهي، وهو إذا فعل ذلك وارتأى أن يكون منصفاً وحريصاً على السمعة السياحية لوجد أن نسبة الذين تنطبق عليهم الموصفات الصحية لا تتجاوز العشرين في المئة. ونعتقد أن مراقبة الطحين والزيت واللحوم والأجبان وفرض إستعمال القفازات البلاستيكية عند صنع مناقيش الصعتر والجبنه واللحمة التي غدت بأهمية «البيتزا» الإيطالية، أمر في منتهى الأهمية لدرء المخاطر الجرثومية. ومرة أخرى نقول للوزير إن الرقابة الصحية في الإمارة الصغيرة دبي هي النموذج لما يجب أن يحدث. وعندما جرى تعيين امرأة مثقفة ومستتيرة هي ندى السردوك مديرة عامة لوزارة السياحة، إفترضنا أن ما يغيب عن بال رجل الوزارة أي وزير السياحة لا يمكن أن يغيب عن سيدتها، أي المديرة العامة، لأن المرأة بطبيعتها دقيقة الملاحظة لكل ما من شأنه جعل الاطباق شهية ونظيفة في الوقت نفسه وإبقاء البيت (ونعني هنا البيت اللبناني السياحي) بكامل الترتيب.

ومرة ثانية نتساءل ويكون التساؤل برسم الوزير: هل من الجائز عدم وضع ضوابط للسيارات العمومية؟ وهل في إستطاعة أي سيارة نقل عمومية في الدولة الصغيرة دبي أن تفرض ما تريد فرضه أو أن تكون خالية من أي نظافة؟ ثم هل لو أن دبي فيها قلعة مثل قلعة بعلبك وقلاع ومواقع أثرية صغيرة مثل تلك التي في صيدا وصور وجبيل وعنجر وغيرها كثير، أما كانت ستحيط هذه الحضارة الموروثة بكل الإهتمام والنظافة والعين الساهرة.

يطول الحديث في هذا التناول الذي ربما ما كان ليتحول إلى مقالة لولا أنني بحكم زيارتي الخليجية

سمعتُ من إخواننا في الدول التي أزورها وألتقي بكرام القوم والعائلات فيها من الملاحظات والنقد ما أوجب وبتكليف ودود منهم لفت الإنتباه اليه. ومع أن هنالك الكثير من الملاحظات التي تتعلق بحياة الليل التي تحتاج إلى ضبط لم أسجلها هنا، إلا أن أولي الأمر السياحي والأمني والصحي اللبناني يعرفونها. وما ينتظره إخواننا الخليجيون من الوزراء الثلاثة عبارة عن توضيح للملاحظات وللشكوى، خصوصاً أن الإنطباع السائد عنهم والذي نشاركهم الرأي بنسبة من الإفتراض، هو أن عدم معالجة الظواهر والسلبيات التي أوردنا أمثلة عنها معناها أحد أمرين: إما أن النهج الحكومي السنيوري يعتمد سياسة «رشوة المواطن» من خلال غض النظر عن أخطائه كي لا يثور على الحكومة وتلك مصيبة أعظم. أما المصيبة العظمى فهي الاعتقاد بأن كل هذه الأمور مرجأة عملاً بقاعدة ألا صوت يجب أن يعلو على صوت الحقيقة.. حقيقة إغتيال الرئيس رفيق الحريري.

وخلاصة الأمر إنني في ذلك مثل الذي يتبَّع بإهتمام ويُبْلَغ بدقة. أما ماذا سيوضح الوزراء الثلاثة والمديرة العامة، فهذا متروك لإقرارهم بأن الخطأ يستوجب الإعتراف به والإعتذار عن النقصير.. والتصحيح الفوري له.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 4 يوليو (تموز) 2006

* * *

ضغط يولّد الانفجار..

وآخر يولّد ولاية رئاسية

يبقى التواضع إزاء السلطة الرئاسية قائماً إلى أن يتربع من يحصل عليها ويجد نفسه أنه الأمر الناهي تمتد سلطته إلى حد غزو دولة شقيقة أو فك حبل مشنقة أو إرسال شركاء أو معارضين له إلى السجن أو الدخول في محور بغرض المصلحة أو الكيدية أو فتح الأبواب أمام إيواء معارضين غرباء يوظف «إستضافتهم» في مآرب كثيرة.. هذا عدا كل صغيرة وكبيرة تتصل بالحياة اليومية للناس. ونحن إذا تأملنا في المشهد الرئاسي

العربي الذي هو جزء من المشهد الأرحب، أي العالم الثالث، نجد أن القاعدة خلت من الإستثناء، فلم يُنْع أحد من الرؤساء الجنرالات بالسنوات التي حددها الدستور، ثابتاً كان هذا الدستور أو مؤقتاً، ولم يلتزم أحد بما تعهّد به بعدما بات في السلطة على خلفية قوله بأنه عندما ستستقر الأمور سيسلم الأمانة إلى أهل السياسة مكتفياً بأنه «صَحَّح» أو «أنقذ» أو «أنصف» أو «حرر»... الخ. وحتى في لبنان الدولة التي لها دستور ثابت نجد أن مسألة التمسك ما أمكن بالرئاسة وعلى حساب ثوابت الحوار الدستورية شملت بعض أهل السياسة من المدنيين والجنرالين اللذين غادرا التكنة وغرضهما «تأديب» السياسيين فإذا بهما يسعيان إلى البقاء الطويل في السلطة. وهذان الجنرالان هما قائد الجيش في الخمسينيات اللواء فؤاد شهاب الذي كان لن يُغْفَ عن الرئاسة ولاية ثانية لو تأمّن له سند سوري مثل الذي ناله الرئيس الحالي العماد إميل لحود قائد الجيش وكان ناله من قبل الرئيس المدني الياس الهراوي الذي لولا الوجود السوري لكان أصابه ما أصاب الرئيس الأول للبنان المستقل بشارة الخوري فانتهى نادماً على أنه إرتضى التجديد الذي أخذ من رصيد دوره الوطني السابق. ويصعب على المرء مثل حالنا الإفتراض بأن متعة تمديد الولاية الرئاسية وبموجب تعديل دستوري للرئيس لحود تستحق مرارة هذا الذي يتعرض له يومياً من كلام في منتهى الخشونة، لكنه مع ذلك متمسك بالسلطة حتى الثانية الأخيرة من المدة المحددة.

وحتى بعد تعرّض الهيبة الرئاسية إلى صدمة بالغة القساوة كتلك التي أصابت الرئيس جمال عبد الناصر يوم 5 يونيو (حزيران) 1967، نجد أن الرئيس لا يتيح المجال لغيره، وإن كانت الرواية الهيكلية تقيد بأن عبد الناصر كان قرر بعد كارثة إنفصال سوريا عن مصر ترك منصب الرئاسة والعمل في صفوف الشعب. لكن الذي حدث هو أنه لم يترك وإنما خاض حرب اليمن لتثبيت الإنقلاب الذي قام به عدد من الضباط برئاسة العقيد عبد الله السلال، وفي ظنه أنه بهذا الدور يحتوي الصدمة السورية مع أن الذي حدث هو أن إسرائيل إستغلت الإنشغال المصري السياسي والعسكري باليمن ووجدت فيه خير مناسبة لتوجيه الضربة اللاحقة ضد مصر الناصرية يوم 5 يونيو 1967. وكان الإعتقاد السائد أن عبد الناصر سيتمسك بإعلانه من على شاشة

التلفزيون وعبر الإذاعات المصرية يوم 9 يونيو قرار التحدي إلا أنه عاد في اليوم التالي عن القرار تجاوباً مع «الإرادة الشعبية» المتمثلة بمسيرات جابت شوارع القاهرة وتشبه في بعض منطلقاتها تلك التي جابت شوارع العاصمة اليمنية يوم 20 يونيو (حزيران) 2006 رافعة صور الرئيس علي عبدالله صالح تطالبه بإعادة ترشيح نفسه لولاية رئاسية جديدة تمتد إلى العام 2013، وجاءت رداً على إعلان الرئيس يوم 17 يوليو (تموز) 2006 أنه لن يعيد ترشيح نفسه بعد انتهاء ولايته مكتفياً بالثمانية والعشرين عاماً التي أمضاها رئيساً للبلاد. وبين الإعلان وإقتراب الموعد الذي ينص عليه الدستور اليمني وهو أن تتم إجراءات انتخاب رئيس الجمهورية قبل 90 يوماً من انتهاء ولاية الرئيس، مع إعطاء الرئيس صلاحية الإستمرار في مهماته إذا إنتهت هذه المدة من دون إجراء إنتخابات بتكليف من مجلس النواب، لم تشهد الأوساط السياسية اليمنية بما فيها الحزب الحاكم (حزب المؤتمر) ما يشير إلى أن هنالك معركة رئاسية. وفي الوقت نفسه بدا الرئيس علي عبدالله صالح جاداً في أنه لا يتطلع إلى ولاية رئاسية جديدة، كما بدا في الوقت نفسه أن هنالك سيناريو حزبياً يعمل على تهيئة المسرح السياسي لكي تتم الأمور في نطاق «الشرعية الشعبية». وهنا يستوقفنا ما حدث في الجلسة التي عقدها الحزب الحاكم يوم الأربعاء 21 يونيو (حزيران) وكيف أن هذه الخطوة أيقظت في الذاكرة ما فعله (الإتحاد الاشتراكي) الحزب الحاكم في مصر لمجرد إعلان عبد الناصر عزمه على التحدي يوم 9 يونيو 1967. ففي الجلسة المشار إليها أوضح الرئيس علي عبدالله صالح للقياديين في حزبه أنه سيعلن خلال الجلسة في اليوم التالي قراراً نهائياً في موضوع ترشيح نفسه وطلب منهم عدم تسيير التظاهرات الشعبية الحزبية في الوقت نفسه مختصراً الرأي بأن قضية الترشيح للرئاسة «ينبغي ألا تحدث من خلال التظاهرات». لكن حالة من الهرج سادت أجواء الإجتماع فغادر القاعة ثم عاد ليخاطب المؤتمر الحزبي قائلاً «إن السلطة مَعْرَم وليست مغنماً وسنضعها أمام شعبنا ليتحمل مسؤوليته في اطار التبادل السلمي للسلطة. لقد انتهى عهد الانقلابات والمؤامرات والإستقواء بالخارج. لنحتكم جميعاً إلى الشعب. فالحديث عن السلطة ليس مسرحية سياسية أو غزلاً سياسياً وأردت أن أضع الشعب اليمني أمام مسؤولية تاريخية بكل فئاته

وقواه السياسية. وهذه ليست مسرحية ابداً، وحسمها ينبغي ألا يكون عبر التظاهرات والمسيرات. انا لست مريضاً ولست عاجزاً عن تحمّل المسؤولية وعندما أتحدث معكم عن عدم رغيتي في الترشح فذلك ليس مسرحية سياسية بل من منطلق المسؤولية. ولقد أبلغت إلى الأمين العام للمؤتمر وحذرت من أي مسرحية سياسية...».

جاء قرار الرئيس علي عبدالله صالح في توقيت مدروس. فليس في الساحة اليمنية فرسان للمنازلة. وساعد ترحيب الرئيس السابق لليمن الديمقراطي علي ناصر محمد وبعض السياسيين الجنوبيين من المعارضين على نشوء عصبية في الصف الشمالي وذلك مع ذبوع تكهنات بأن علي ناصر محمد يمكن أن يكون الرئيس الخلف عملاً بمبدأ التداول السلمي للسلطة، فضلاً عن أن اليمن التي توحدت تتيح للجنوبي كما للشمال التروؤس. بل أن علي ناصر ذهب بعيداً في الترحيب حيث انه دعا يوم 22 يونيو خلال رعايته في بيروت ندوة عن قضايا الإصلاح والتنمية في اليمن الرئيس علي صالح إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية «لتهيئة الساحة السياسية اليمنية لإنتخابات حرة ونزيهة...». وأضاف إلى ذلك قوله «إن القرار الذي إتخذه الرئيس علي عبدالله صالح جريء وشجاع، وإذا تمسك به فسيدخل التاريخ من أوسع أبوابه. ان التراجع عن القرار صعب لكن الأصعب هو تنفيذ القرار - إن الفساد يشكل أكبر خطر على النظام ومستقبله وكذلك على مستقبل الشعب اليمني، وأنا لم اتخذ أي قرار في شأن ترشيح نفسي وأرفض أن أكون مرشح تسوية...». أما بقية المصرّحين وجّلهم من المعارضين المحدودي الشأن فلم ينظروا إلى الأمر سوى أنه مسرحية سياسية متقنة الإعداد. في المقابل كانت مراكز القوى في الحزب الحاكم (حزب الرئيس) تتشط من أجل اقناعه بالعدول عن قراره وقيل له من جملة ما قيل «إن عبد الناصر قرر التحدي بعد هزيمة ساحقة وليس بسبب إنتصارات ترفع الرأس مثل التي حققتها فلماذا الإستقالة». ومن جهتها نشرت بعض الصحف الرسمية مقالات إفتتاحية تحضه على معاودة ترشيح نفسه. وهنا بدأت ملامح ضعف الرئيس أمام مناشدات إتسمت بعض مفرداتها بـ «التوسل» فقال مازجاً بين العزوف وبين التذكير بالإنجازات التي يستحق بسببها تجديد الرئاسة: «أنا

الإنفجار في ظل رئاسات متواصلة وتاريخية فوقائه
كثيرة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 8 يوليو (تموز) 2006

* * *

"حزب الله" و"حماس": العتب الكبير على الحزب والعتب الأكبر على الحركة

يعيش لبنان حالة يقظة إزاء الذي حدث له. ويبدو اللبنانيون كأفراد وليسوا فقط كقيادات سياسية وحزبية منقسمين، كما لم ينقسموا من قبل حول موضوع المقاومة، بعدما كانوا في الماضي يشدون من أزرها ويقتصر التباين في الرأي على شكليات مثل أن تكون هذه المقاومة جزءاً من حالة دفاعية وفصيلاً مسانداً للجيش النظامي.

حالة اليقظة هذه سببها أن مغامرة الثاني من أغسطس (آب) 1990 متمثلة بالغزوة الصدامية للكويت، تجددت يوم 12 يوليو (تموز) 2006 متمثلة بالعملية التي نفذها مقاومون من «حزب الله»، وكانت، إذا جاز القول، مثل فتح بوابة جهنم على لبنان. وخلال لحظات إنتقل لبنان المبتهج بموسم صيف مزدهر، من شأن مردوده تعويض الكثير من خسائر المواسم الماضية، إلى بلد دمر الإسرائيليون خزانات وقود مطاره، فذكرنا المنظر بنيران آبار نفط الكويت، التي أشعلها الغزو العراقي. كما دمر الإسرائيليون مدرجات المطار الذي هو أحد إنجازات الشهيد رفيق الحريري والذي (أي المطار) كان يستقبل على مدار الليل والنهار عشرات الرحلات لطائرات الركاب العربية والدولية، وكذلك الطائرات الخاصة الصغيرة. وفي لحظات أيضاً بدأت عشرات العائلات الخليجية التي أصرت على تمضية الصيف في لبنان، غير عابئة بنصائح من المحاذير، تطرق أبواب سفارات بلادها من أجل تأمين تسفيرها عبر الطريق البرية، التي سرعان ما نالت هي الأخرى نصيبها من القصف الإسرائيلي، إلى جانب عشرات الجسور ومحطات الكهرباء وهوائيات الهاتف المحمول. وبعدما كان أصحاب المحلات والفنادق أعدوا العدة لمجارة

لست تاكسي يستأجرني (حزب المؤتمر) أو القوى السياسية الأخرى لصالحها لكي أقلها إلى الفنادق. أنا أرعى مصالح الأمة التي وثقت بي منذ 28 عاماً. أنا لست مظلة لفساد حزب سياسي أو قوى معينة ولست مظلة لأن يفسدوا على حساب سمعة علي عبدالله صالح وجهده وعرقه وسهره ليل نهار على مصالح هذه الأمة لا على مصالحه. أنا لم أحبس ولم أعدم أحداً ولم أستخدم القوة ضد أحد وأنا صاحب الشعار (الذي يستخدم القوة هو الجبان). وبعد الإنقلاب الذي قام به الناصريون عام 1979 تم إعدام 22 من المسؤولين عنه بموجب أحكام شرعية إلا أنني قمت بإلغاء بعضها...». يوم السبت 24 يونيو 2006 وعلى وقع مسيرة مليونية كتلك التي شهدتها شوارع بيروت في ظروف تجمع المأساة والتحدي وقف الرئيس علي عبدالله صالح خطيباً في الجمع الغفير الذي تجمهر بالقرب من قصر الرئاسة قائلاً: «انني أستجيب لمطالب جماهير الشعب التي جاءت مدفوعة بإرادتها وأترجع عن قراري رضوخاً لإرادة الشعب. سأكون جندياً معكم كما عرفتُموني. ان المستقبل لن يكون مفروضاً بالورود على الإطلاق وهناك حاجة ملحة إلى تضافر الجهود للعبور بالسفينة إلى شاطئ الأمان...».

في سبتمبر المقبل سيرشح الرئيس علي عبدالله صالح نفسه لولاية رئاسية جديدة مدتها سبع سنوات. ومع أنه لن يكون رئيس تركية بعد ترشيح احزاب المعارضة رسمياً الأحد 2 يوليو (تموز) 2006 الإسلامي الجذور الحزبية وزير النفط السابق المستقل فيصل بن شملان للرئاسة، إلا أن ترشيح شخص آخر وصاحب سمعة طيبة مثل بن شملان سيكون بمثابة إختبار لقدرة المواطن اليمني على الإختيار: إما للرئيس الذي حقق الوحدة واتاح الفرصة أمام إنتساب قريب لليمن إلى مجلس التعاون الخليجي وصديق إستراتيجي لأميركا، وإما للوزير السابق بن شملان ابن الثانية والسبعين الذي يحظى بإحترام واسع وخاصة في المحافظات الجنوبية بسبب مواقفه المعلنة ضد الفساد الحكومي، ولأنه كان بعد تعيينه وزيراً للنفط في الدولة الموحدة عام 1944 إستقال بعد عام من تعيينه إحتجاجاً على إستثناء الفساد في القطاع النفطي.

وللحديث عن الضغط الذي يولد ولايات رئاسية جديدة المزيد من التأملات. أما الضغط الذي يولد

الموسم المزدهر فإنهم وجدوا أنفسهم في وضع مأساوي. وأما مستشفيات لبنان، فإنها بدت مستنفرة لإستقبال الجرحى.

يصعب على المرء وصف حالة الهلع التي أصابت الناس، وكيف أن الطائرات من الجو، والبوارج من البحر تقصف وتدمر من دون أن نلاحظ وجود قوات أمن وجيش في الشوارع أو تكون هنالك صفارات إنذار هي إحدى مستلزمات تفادي مخاطر العدوان. ويتابع اللبنانيون المغلوبون على أمرهم من على شاشات الفضائيات، هذا العبث ببلدهم وطمانينتهم. ومع المتابعة كانت هنالك عشرات التساؤلات التي من المفيد تسجيل بعضها هنا على سبيل المثال:

- لماذا إفتعال ذلك وفي بداية موسم الصيف؟

- ومن أجل من ذلك؟ هل هو من أجل لبنان أم من أجل الغير؟

- وهل ان الدولة اللبنانية على معرفة مسبقة بعملية «الوعد الصادق»، التي نفذها «حزب الله» أم أن الحزب اعتمد المباغته؟

- وفي الإطار نفسه: ان رئيس الجمهورية العماد إميل لحود محسوب على المقاومة، وإلى درجة أنه إذا كان السيد حسن نصرالله هو الأمين العام لـ «حزب الله»، فإن إميل لحود هو الرئيس الفخري لهذا الحزب، كونه لم يسجل ولو مرة واحدة خلال ثماني سنوات رئاسية، ما يعكس رأياً سلبياً في الحزب والمقاومة.. بل ان «حزب الله» هو سنده القوي يمثل ما إنه بحكم المنصب الذي يشغله كرئيس للجمهورية هو خط التصدي الأول لمن يريد سوءاً بالحزب. ولذا فإذا كان الرئيس لحود أحيط علماً بالعملية وباركها، فإنه يتحمل وزراً كبيراً، ويُعتبر شريكاً في المسؤولية، لأنه بحكم ما يملكه من خبرة كقائد جيش سابق وما يملكه من تحليلات يضعها مستشاروه امامه، وما يعرفه من وقائع، يدرك ولا بد كيف أن الذريعة تُشعل حرباً وليس فقط عدواناً. أما إذا كانت العملية تمت من دون علمه فإن الوزر يصبح أكبر، وبالتالي يصبح من واجب رئيس البلاد أن يسجل موقفاً في الذي حدث، وهو موقف لن يكون على الإطلاق لمصلحة العلاقة التي بينه وبين «حزب الله».

- في الإطار نفسه أيضاً: هل إن الأمين العام لـ «حزب الله» أحاط حليفه المذهبي والإستراتيجي نبيه بري، بصفة كونه رئيس «حركة أمل» الفصيل الشيعي

الثاني من حيث الأهمية، علماً بالعملية أم أن بري الذي يترأس مجلس النواب فوجئ كما كل النواب، ربما عدا نواب «حزب الله» أو واحداً من هؤلاء فقط، بالعملية فوجد نفسه بين نار التأييد إن هو بارك، ومأخذ عدم التأييد إن هو التزم الصمت. وعلى هذا الأساس، فإن الشراكة الإستراتيجية بين الإثنيتين بعد الذي جرى ستتأثر في حال أن نبيه بري كان من بين المباغتين (بفتح الغين).

- في الإطار نفسه أيضاً وأيضاً هنالك الحليف المسيحي لـ «حزب الله»، ونعني به الجنرال ميشال عون الذي أدت العملية به إلى فقدان التوازن. فهو من المؤكد لم يُحط علماً بالعملية ولا هو أصلاً يتوقعها. ونقول ذلك على أساس أنه لو كان يتوقع عملية كهذه، لكان ارتأى عدم عقد صفقة التحالف السياسي مع «حزب الله». وما يقال بالنسبة إلى الجنرال عون، يقال أيضاً بالنسبة إلى حلفاء صغار آخرين. ومن المؤكد أن تحالف «حزب الله» - ميشال عون، بات في ضوء العدوان الإسرائيلي ورقة تناثرت معنوياً في الهواء. وإلى ذلك ما الذي كان سيحدث لو أن «حزب الله» أرجأ العملية إلى ما بعد إنتهاء موسم الصيف.

بعد هذه التساؤلات لا بد من وقفة أمام رد الفعل العربي إزاء عملية «حزب الله» والعدوان الإسرائيلي على لبنان، ومن قبل ذلك على «غزة الحماسية». وما يمكن قوله هو أن هنالك حالتين من العتب العربي في هذا الشأن. العتب الكبير على «حركة حماس»، لأنها لم توظف فوزها في الإنتخابات بما يعزز التوجه السياسي في سبيل تحقيق تسوية للصراع العربي - الإسرائيلي. وهي لو بادرت على الفور ومنذ ان بات من حقها ترؤس الحكومة إلى تشكيل حكومة لكل فلسطين وإسناد وزارة الخارجية إلى شخص مقتنع بالتسوية وبادرت أيضاً إلى إعلان موافقتها على «المبادرة العربية» لكانت الآن بالتأكيد في وضع أفضل. لكنها لم تفعل ذلك مع أن المجتمع الدولي ومعه كل الأنظمة العربية عدا سوريا، وكل الأنظمة الإسلامية عدا إيران، كانت تنتظر منها ذلك. وبدل أن تفعل ما نشير إليه فإنها سارت في الركب السوري - الإيراني، وها هي تنتهي على نحو ما تعيشه الأطياف الفلسطينية من سوء كان في الإمكان تلافيه بالقليل من التضحية والكثير من الحكمة وبُعد النظر. وهي بدل أن تلوم العرب لأنهم لا يقفون إلى جانبها،

يجب أن تلوم نفسها لأنها تصرفت بما يُملى عليها من قيادة «حماس» المغتربة المكوكة المتنقلة بين دمشق وطهران وبيروت بين الحين والآخر. وإذا كان لا بد من كلمة حق يراد بها الحق ولا شيء غيره، فإن العتب العربي على «حماس» كبير وهو في محله، كونها ظلمت نفسها ووضعت الأشقاء العرب في الموقع المخرج حيث لا تتجاوز وقفتهم إلى جانبها ما نراه اليوم، في حين أن تأييدها لـ «المبادرة العربية» كان سيجعل الوقفة تنسم بالنخوة.

هذا هو العتب العربي الكبير على «حماس». أما العتب الأكبر على «حزب الله»، فلأنه يغامر بالوطن الصغير لبنان من أجل التخفيف من مأزقين وضع أصحابهما أنفسهما فيهما نتيجة عدم الأخذ بالنظرة الواقعية للظروف الإقليمية والدولية. ولو أن عملية «حزب الله» خضعت قبل التنفيذ للتشاور العربي غير المباشر، لكننا سنجد نسبة من ينصح بعدم الإقدام عليها هي الراجحة.. بل حتى لا نجد من ينصح بها على الإطلاق، لأن الثمن سيكون تدمير خمس عشرة سنة من البناء والتأهيل والترميم لبلد صغير تكفيه ويلات عشرين سنة مضت من الاحتراب. وإلى ذلك فلو كانت عملية «الوعد الصادق» التي نفذها «حزب الله»، هي بالفعل لبنانية المنطلقات والأهداف لكانت نظرة الأشقاء العرب إليها مختلفة. لكن هؤلاء يرون أن «حزب الله» وضعهم أمام حالة تثير الدهشة: العملية لمصلحة إيران خصوصاً أنها من حيث التوقيت حدثت في اليوم الذي أعادت فيه الدول الخمس الدائمة العضوية زائداً ألمانيا الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، وهذا دفع بإيران وبما لها من خصوصية العلاقة والتأثير مع «حزب الله» عمقها الأساسي في المنطقة العربية، إلى استعمال ورقة التفجير من خلال الحزب، الذي نفذ العملية الشجاعة بكل المقاييس بهدف مؤازرة «حماس» والإفراج عن الأسرى، معتمداً في ذلك وتشاركه الإعتماد إيران، على أنه قد آن الأوان للإستفادة من ألوف الصواريخ المنصوبة على جبهة الجنوب للوي الذراع الأميركية - الإسرائيلية، وقبل أن يصيب هذه الصواريخ ما أصاب صواريخ العراق الصدامي، التي عاشت الأمة بمرارة مشاهد تفجيرها القسري والمدفوعة تكلفة التفجير من النظام العراقي الذي كان المجتمع الدولي رد غزوته.

ومن المؤكد لو كانت عملية «حزب الله» لبنانية على

نحو النظرة العربية الشاملة لها، لما كان الموقف العربي على الفتور الذي نلاحظه، ولما كانت الدولة الأكثر إقتداراً المملكة العربية السعودية، تلخص موقفها من الذي حدث في لبنان بالقول «إن المملكة التي وقفت بحزم مع المقاومة في لبنان حتى إنتهى الإحتلال الإسرائيلي للجنوب اللبناني، إذ تستعرض بقلق الأحداث المؤلمة الدامية التي تدور في فلسطين ولبنان، تود أن تعلن بوضوح انه لا بد من التفرة بين المقاومة الشرعية، وبين المغامرات غير المحسوبة التي تقوم بها عناصر داخل الدولة ومن ورائها دون رجوع إلى السلطة الشرعية في دولتها، ودون تشاور أو تنسيق مع الدول العربية فتوجد بذلك وضعا بالغ الخطورة يعرض جميع الدول العربية ومنجزاتها للدمار، دون أن يكون لهذه الدول أي رأي أو قول. والمملكة ترى أن الوقت قد حان لأن تتحمل هذه العناصر وحدها المسؤولية الكاملة عن هذه التصرفات غير المسؤولة، وأن يقع عليها وحدها عبء إنهاء الأزمة التي أوجدتها...».

وإذا جاز القول، فإن موقف كل الدول العربية هو من هذه الرؤية. وحتى الحكم السوري الذي قد تكون العملية باعته لا يمكنه أن يبارك، لكن تحليله داخل السرب العربي قد يشكل السلامة له. فهل سيفعل وبكل الوضوح المطلوب؟

وتبقى الإشارة إلى أن السعودية بالموقف المشار اليه، لا تعني انها فقط تساند المقاومة المستقلة عن التأثير الخارجي أو أنها فقط تساند بالدعم المالي والسياسي، وإنما تشارك بقل في ضوء اقتناعها بصوابية العمل، بدليل أن إثنين من خيرة أبناء الملك عبد العزيز، وهما الأميران الشقيقان فهد وسلمان عندما كانا في القاهرة لطلب العلم عام 1956 وحدث العدوان الثلاثي على مصر، فإنهما وقفا بين الواقفين في طابور التطوع في المقاومة.

ونسخلص من هذا كله أن العتب العربي الكبير على «حماس»، والعتب العربي الأكبر على «حزب الله»، هما نتيجة انهما لم يحسنا التعامل مع الواقع، وتركنا هامشاً رحباً للتأثير الإيراني والسوري على ما يقوم به. ومن هنا فإن العتب في محله.. وإنه عتب مرفوع.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 15 يوليو (تموز) 2006

* * *

ويلات الانفردات الخطيرة

قبل الانفرد الأخطر

لامني إخوة كثيرون من الذين بيني وبينهم رابطة الكتابة والسياسة والنهج القومي، إلى جانب روابط الصداقة، ومعهم إخوة لم يسبق لي ان عرفتهم، وإنما هم قراء لصحيفة العرب الدولية «الشرق الأوسط»، لأنني كتبت في مقالتيين ما معناه إن الحياد هو الحل للبنان، الوطن الصغير، وفلسطين الوطن الأصغر. ولا أخفي وأنا أشير إلى ذلك انني ترددت أمام فكرة نشر المقاليتين، ليس لعدم الاقتناع بما اراه، وإنما لأن الانفعال في وسط شرائح من الرأي العام العربي يتقدم على التفاعل مع الأفكار الواقعية وتلقى الشبهة على من يفكر على هذا النحو. ولكن زميلين لهما في النفس التقدير لرجاحة تفكيرهما ونظرتهم للأمر، وهما طارق الحميد رئيس تحرير «الشرق الأوسط» ونائبه عثمان ميرغني، رأيا بعد مناقشة الفكرة معهما ان الزمن العربي الراهن يتطلب تجاوز محرمات الماضي من الأفكار، وان ترك المقاليتين تأخذان طريقهما إلى النشر (الأولى بتاريخ الثلاثاء 30 مايو (يونيو) 2006 والثانية بعنوان «فلسطين المحايدة بعد فلسطين المجاهدة»، يبقى أكثر إفادة للعقل العربي من إيداعهما الإضرابات إلى جانب المقالات المؤجل نشرها وهي كثيرة لدواع قومية. وهكذا كان النشر الذي عاد عليّ ببعض الصّداق العابر على نحو صّداق نشأ عن مقالة سابقة بتاريخ 2 مايو 2003 عالجت فيها الوضع الذي نعيشه في المنطقة، متوصلاً إلى استنتاج بصيغة التساؤل هو: «أليس حقيقةً ان إسرائيل تحكم العالم». وعندما كتبت مقالتي «الحياد الحل»، استحضرت تلك المقالة التي عززت روحيتها واستنتاجاتها فكرة الحياد الحل، التي لم ترقّ للبعض، الذين ظلموا من دون وجه حق ما أراه كصيغة حل للوطن الصغير لبنان والوطن الأصغر فلسطين.

والآن وبعدما أصاب لبنان ما أصابه، لا نجد، في ضوء ملامح المشهد العربي والإقليمي والدولي، اماننا حلاً لهذين الوطنين سوى إعلان حيادهما.

ونحن عندما نقول ذلك لا نستند فقط إلى ما هو حاصل حالياً من تحركات لصياغة الأفكار الحل وأبرز هذه الإتصالات ما تقوم به المملكة العربية السعودية،

سواء عبر التشاور الهاتفي في جدة والرياض أو عبر المناقشة المستفيضة في باريس، من جانب وليّ العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز مع الرئيس جاك شيراك، التي كانت بداية ثمارها إيفاد وزير الخارجية الفرنسية إلى بيروت، وإنما إلى التوجه الذي يتم انضاج مضمونه بهدوء ويقضي بإرسال قوات دولية ترابط على الحدود بين إسرائيل ولبنان، بغرض فرض التهدئة الدائمة، وتحل محل قوات الأمم المتحدة التي تنحصر مهمتها في ممارسة دور الحكم في «مباراة الصواريخ» الدائرة بين إسرائيل و«حزب الله»، وكأنما هي مباراة من نوع المباريات التي شهدناها في «المونديال الكروي». والذي نقصده بقولنا «التهدئة الدائمة»، أن طرفي المواجهة لن يجرؤا على تنفيذ أي عمليات، ويتركأ أهل القرار العربي والدولي ومعهم أهل القرار الإقليمي والإسلامي يلتقون في مؤتمر يشبه «مؤتمر مدريد» يضعون فيه صيغة نهائية للصراع العربي - الإسرائيلي. فإذا تحقق ذلك على النحو المأمول يصبح من الأفضل لكل من لبنان وفلسطين «الوطن الأصغر» اللذين سيتم استيلاء إعلانهما دولتين محايدتين، فلا تعود ظاهرة التنظيمات قائمة ولا تعود المشاركة في إدارة شؤون الدولة على أساس المحاصصة، بمعنى هذا المنصب لـ «فتح» وهذا لـ «حماس» وهذه المناصب الصغرى لآخرين، وإنما تدار الدولة على قاعدة النزاهة والكفاءة وعدم التعاطي في الشأن السياسي، على نحو ما هو حاصل الآن. وبالنسبة إلى لبنان لا يعود هنالك مجال للتعامل مع الوطن كساحة لمعارك وقودها المال والسلاح على أنواعه، بما في ذلك الصواريخ، التي يتم توريدها اليه، كما لو انها هدايا لتنمية شعبه وتطوير إقتصاده، مع ان نتيجتها كما هو ماثل اماننا صدمة للإسرائيليين مقابل كارثة كبرى للبنانيين. كما أن الوطن الصغير لا يعود حافلاً بتعدد الولاءات للخارج. ولاء في الخمسينيات لعبد الناصر على حساب لبنان. وولاء لحافظ الأسد في السبعينيات، ثم له وللخميني بعد ذلك، مع ولاء من جانب البعض لإسرائيل وإن بصيغة الرهان عليها وعلى حساب لبنان أيضاً. كما أنه بحياد الوطنين الصغير لبنان والأصغر فلسطين لا يعود من الضروري تكسُّ هذه الأحزاب والحركات والتنظيمات، ذلك أن الحياد يعني من جملة ما يعنيه أن تكون كل الطاقات من أجل تنمية الوطن وليس من أجل حل عُقد الآخرين ونزواتهم وجنون بعضهم.

وهذا ليس كل ما يمكن جنيته من الحياض، إذ هنالك الزوال النهائي لظاهرة الإنفراد، التي بادر الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية إلى التنبيه إلى مضارها، والتي هي السبب الرئيسي في الكارثة التي أصابت لبنان. ونلاحظ هنا أن الإنفرادات في شأن قضايا مصيرية وتخص الجميع غدت دورية، وأن كل عقد من السنين أو أكثر قليلاً، هنالك حالة إنفراد في إتخاذ القرار تحدث وتتسبب للأمة بكارثة. ففي مايو (أيار) 1967 انفرد عبد الناصر بإغلاق المضائق، فكان العدوان الإسرائيلي على مصر وحدث هزيمة العصر يوم 5 يونيو من العام نفسه. ويوم 19 نوفمبر (تشرين الثاني) 1977، أي بعد عشر سنين انفرد أنور السادات بقرار زيارة القدس وإلقاء خطاب أمام الكنيست الإسرائيلي بادئاً بمصر رحلة الصلح مع إسرائيل واضعاً الأمة في مأزق وتخطيط تعيش تداعياتهما حتى الآن. ويوم 13 سبتمبر (أيلول) أي بعد ست عشرة سنة أبرم ياسر عرفات في أوسلو، ومن وراء ظهر الشعب الفلسطيني والأمتين العربية والإسلامية مصالحة منقوصة مع اسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل، أسست للانقسام والفوضى السائدة حتى الآن داخل المجتمع الفلسطيني وعلاقة اطياف هذا المجتمع بمحيطيه العربي والإسلامي. ويوم الأربعاء 12 يوليو (تموز) 2006، أي بعد ثلاث عشرة سنة انفرد «حزب الله» بتنفيذ قرار قضى بخطف جنديين إسرائيليين، معلناً أن تسليمهما يكون من خلال مقايضتهما بالأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، وهي خطوة باغتت الجميع، لبنانيين وعرباً ومسلمين، وكانت ذريعة لبدء عدوان في اليوم التالي على جنوب لبنان والضاحية الجنوبية معقل «حزب الله»، ثم اتسعت لتشمل معظم مناطق لبنان ودخلت دائرة خطر انفجار المنطقة حرباً جديدة بعدما بدأ «حزب الله» يستعمل مخزونه الهائل من الصواريخ الإيرانية - السورية المصدر التي تتساقط فوق مدن بعيدة في فلسطين، مثل حيفا وعكا والناصرة، إضافة إلى المناطق الحدودية. وبدل أن يقف الأشقاء مع لبنان المقاوم، فإنهم وقفوا إلى جانب الحكومة التي باغتتها عملية خطف الجنديين ولأموا «حزب الله» على إنفراده بهذا العمل الخطير، ثم تطورت الأمور بعد انحياز أميركا للموقف الإسرائيلي، وجاءت فكرة مرابطة قوات دولية على الحدود بأمل محاصرة الانفجار الكبير. يصعب على المرء تصوّر ما ستنتهي إليه الأمور،

خصوصاً أن لبنان الذي كان يشكو من وطأة بضعة مخيمات يسكنها اللاجئين الفلسطينيين بات على أهبة أن يواجه مشكلة وجود مئات المخيمات الجديدة، بعدما أصبح هنالك مليون لبناني نزحوا من بيوتهم ومناطقهم. كما يصعب على المرء إفتراض أي حلول لمواجهة الوضع الاجتماعي والإقتصادي في الشهرين المقبلين، ذلك أن الجرح ما زال ساخناً وعندما سيبرد الجرح فإن الصراخ سيصل إلى عنان السماء.

هل يبقى لبنان والساحة الفلسطينية لعبة الحاسدين والباحثين عن أدوار تاريخية، أم انه لا بد من خطوة كبرى تعقب مرابطة القوات الدولية على الحدود بين إسرائيل ولبنان ولو رفض ذلك الرفضون، وتعقب مرابطة قوات مماثلة تفصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟ والخطوة التي نغنيها هي قرار من المجتمع الدولي بإعلان حياد الوطن الصغير لبنان والوطن الأصغر فلسطين كونهما ساحتين صالحتين لحروب وصراعات آخرين عليهما. وهي خطوة مطلوبة وضرورية، وقبل أن نصل إلى وقت نسمع فيه أن إسرائيل انفردت بخطوة صاعقة ورمت إيران وغيرها بواحدة من قنابلها النووية أو انفردت إيران بخطوة مماثلة تنفذها بنفسها أو عن طريق «حزب الله» في لبنان. وبعد الذي جرى بات كل شيء ممكن الحدوث بما في ذلك الإنفراد النووي الأعظم. ... ويا ويل المنطقة من إنفرادات آتية على الطريق في حال لم تعترضها حلول عاقلة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 24 يوليو (تموز) 2006

لبنان والآخرين: النجدة أولاً والتنظير ثانياً.. والمساءلة لاحقاً

في هذه الكارثة التي يعيشها لبنان نتيجة الإجتهاادات النضالية من جهة وانعدام بُعد النظر الدولي من جهة أخرى وبينهما الجشع الصهيوني المتلازم مع إستعذاب القتل والتدمير، لا يحتاج الوطن من الأشقاء والأصدقاء القريبين منه والبعيدون لغير النجدة المالية والمساعدات على أنواعها والأدوية تأتي على وجه السرعة ومن دون

الحاجة إلى الاحاح. أما التهويل والتتظير والقفز فوق حقائق الأمور فلا جدوى منها على الإطلاق.. بل انها تزيد من حدة الكارثة التي لا يعلم بوطأتها إلا الجموع النازحة المتكدسة في أماكن غير صحية الحائرة في تقييمها لما حدث: هل كان ضرورياً وهل ان الثمن الفادح الذي يدفعه الوطن هو بقيمة الإنجاز الذي تحقق؟ أن كل ذلك يمكن الخوض في غماره بعد أن تسكت المدافع ويتوقف إطلاق الصواريخ وتصبح العقول جاهزة للتأمل والمناقشة الرحبة.

وعندما نقول ان الذي يحتاجه لبنان لمواجهة هذه الكارثة هو النجدة والمساعدات على أنواعها والأدوية بمختلف الحاجة إليها والمستشفيات الميدانية القادرة على إستيعاب الطفل المريض والاب الجريح والعجوز الذي لا قدرة له على السير من شدة الألم والمرأة التي تكاد تتساقط من الإعياء، فلأن الواقع هو أخطر بكثير مما يظن الذين يعطون وينصحون ويحذرون. كما أننا عندما نقول ان الذي يحتاجه لبنان لمواجهة هذه الكارثة هي شحنات من الحليب والرز والسكر والزيوت والمواد الغذائية على أنواعها فلأن الجموع النازحة ستقترب من حافة المجاعة في حال لم تتدفق هذه المساعدات وخصوصاً ان الجسور والطرق المدمرة بفعل العدوان الإسرائيلي تحول دون وصول خيرات الأرض والمواسم الزراعية إلى اللبنانيين من بعضهم البعض.

وأما بالنسبة إلى «الصديق» الأميركي فإن الذي تحتاجه الجموع النازحة هو التأمل ولو لمرة واحدة في واقع الحال وتحذير إسرائيل من مغبة القصف العشوائي شغفاً بالقتل والتدمير والذي لم يرحم حتى عشرات إفترضوا أن الإختباء في ملجأ في «قانا» يفنر أصلاً إلى كل مقومات الملجأ يمكن أن يحميهم من القتل المتعمد فأحرقتهم صواريخ إيهود ألمرت على نحو احراق صواريخ جورج بوش الأب بضع مئات من الأطفال والنساء والشباب عراقيين إحتتموا في «ملجأ العامرية» في بغداد عام 1991 من دون أن يخطر في بالهم انه سيكون «فرنأ بوشياً» يشوي أجساد الابرياء. كما أن الذي يحتاجه الجموع النازحة ومعها جموع الحكومة اللبنانية التي غدت أكثر تمثيلاً للوطن المعتقدى عليه بعد الإجماع الوزاري على خطة رئيس الحكومة فؤاد السنيورة بنقاطها السبع والتناغم المستجد بين السنيورة ورئيس البرلمان نبيه بري الذي أنيطت به

مهمة تمثيل الموقف الشيعي عموماً في معركة التفاوض، ليس كثرة الإطراءات لشخص السنيورة ورجاحة تفكيره وبالذات تلك التي أفاض مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة في إطرائها لأن المبالغة في الإطراء من شأنها اذاء الرجل وتشويه سمعته، وإنما ترجمة هذه الإطراءات إلى خطوات عملية فلا يتواصل التدفق الصاروخي والمساعدات إلى إسرائيل ولا يستمر التبني للباطل الذي هو سمة أفعالها.

ويستوقفنا ونحن نقول ذلك كيف أن الجسر الصاروخي الأمريكي لنجدة المعتدي الإسرائيلي ما زال مستمراً وعن طريق الأرض البريطانية مع الأسف رغم إعتراض شرائح سياسية بريطانية عريضة من بينها إعتراض وزيرة الخارجية قبل أيام على توقّف طائرتين أميركيتين ضخمتين في مطار بريستويك - غلاسكو (في اسكوتلندا) تحملان الصواريخ الذكية التي يمكن توجيهها بـ «اللايزر» أو عن طريق الأقمار الصناعية. وبذل أن تأخذ الإدارة البوشية الإعتراض في الإعتبار فإنها اكتفت بأن الرئيس بوش اعتذر من حليفه طوني بلير رئيس وزراء بريطانيا ليس على التوقّف لأن الحكومة البريطانية على ما يبدو لا تملك حق المنع، وإنما لأن السلطات الأميركية لم تُبلغ الحكومة بأن حمولة الطائرتين صواريخ للتدمير الشامل وقالت إنهما في رحلة مدنية عادية. ولقد اكتفى بلير بهذا الإعتذار أو بالتعير الشائع «وصله حقه» على أن يتم الإبلاغ سلفاً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 13 أغسطس (آب) 2006

مقتضيات «الشراكة الإستراتيجية»

من الملك عبد العزيز إلى الملك عبدالله

أضاف الملك عبدالله بن عبد العزيز في زيارته إلى تركيا من الثلاثاء 8 إلى الخميس 10 أغسطس (آب) 2006، خطوة جديدة على مشروع «الشراكة الإستراتيجية»، الذي تريده المملكة مع الدول الفاعلة في المجتمع الدولي، وذات التأثير في المحيط الإقليمي. وما تم إنجازه خلال

هذه الزيارة على صعيد البناء الإستراتيجي، يذكرنا بما أنجزه الملك عبدالله، عندما فاجأ المجتمع الدولي بأن زيارته الأولى بعد مبايعته ملكاً للبلاد خلفاً للملك الراحل أخيه الملك فهد كانت يوم 21 يناير (كانون الثاني) 2006 للصين الدولة التي تتطلع إلى أن تكون بعد ربع قرن «سوبر الدول العظمى»، وكانت إحدى زيارات تاريخية قليلة شهدت الصين، ولقي فيها الملك عبد الله الإستقبال، الذي أرادت منه الدولة المتجددة التي تتأى بنفسها عن سياسة التدخل في شؤون الآخرين وتواصل بحكمة وجدية بناء الدولة النموذج في الربع القرن المقبل، ترجمة إرتياحها لـ «الشراكة الإستراتيجية»، التي أرسى عبدالله بن عبد العزيز قاعدتها بزيارته، وما رافقها من إتفاقات في معظم المجالات. كما أن الذي تم إنجازه خلال زيارة الملك السعودي السادس، يجعلنا نستحضر الزيارة التاريخية الأخرى، ونعني بها زيارته في سبتمبر (أيلول) 2003 وكان ما زال ولياً للعهد إلى موسكو، وهي الأولى منذ 77 سنة، عندما أقامت المملكة عام 1926 علاقات دبلوماسية مع الكرملين. وفي معرض الإشارة إلى خشية الأميركيين من هذه الخطوة في إتجاه روسيا نضع خطين تحت إتصال هاتفي أجراه الرئيس جورج بوش الابن مع عبدالله بن عبد العزيز، بدا فيه كمن يريد قول ما معناه أننا لا نريد أن يكون الكرملين بديلاً للبيت الأبيض، خصوصاً أن الرئيس فلاديمير بوتين الذي كان يتطلع إلى هذه العلاقة مع السعودية كان سَجَل بادرة نوعية تترك الأثر الطيب في النفس السعودية، وتتمثل في أنه قبل الزيارة بأيام، أبدى الرغبة في الإنضمام إلى «منظمة المؤتمر الإسلامي» كمراقب في مرحلة أولى، ثم كعضو دائم لاحقاً وأراد من ذلك التمهيد للظهور أمام الضيف السعودي الكبير بأن الجار القريب بأهمية الصديق البعيد، وأن التجانس النفطي كون المملكة وروسيا من أكبر المنتجين في العالم يعزز ذلك. وما إنتهت إليه زيارة الصين على صعيد التأسيس لـ «الشراكة الإستراتيجية»، كانت إنتهت إليه زيارة روسيا وبينهما الزيارة التاريخية الأخرى التي قام بها الملك عبدالله إلى الهند بعد الصين، فضلاً عن زيارات أخرى قام بها وليّ العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز، جعلت بعض دول جنوب شرق آسيا أكثر إقتراباً من المملكة على الصعيد الإستراتيجي من المملكة، وجعلت دولة مثل فرنسا لا تواصل حسدها للأفضلية التي تعطيها المملكة لكل من الولايات المتحدة

وبريطانيا.

ومع أن النفط ومستقبله المنظور على صعيد إحتمال النضوب تمهيداً وإستباقاً للطاقة البديلة، يشكل العنصر الأساس في «الشراكة الإستراتيجية» من وجهة نظر المملكة العربية السعودية، إلا أن متغيرات الخريطة السياسية في المنطقة تحتم مثل هذه الشراكة أيضاً، وبحيث لا ينحصر الأمر في ميزان التبادل التجاري حين تميل كفة على كفة، فيجري التقاهم على تعديلها أو تتطلب حركة النمو رفع مستوى التبادل فيتم ذلك في ضوء زيارات متبادلة لا ترقى إلى الصفة التاريخية كممثل زيارات عبدالله بن عبد العزيز ملكاً وقبل ذلك ولياً للعهد. وأخير هذه الزيارات وليس آخرها، تلك التي قام بها الملك عبد الله إلى تركيا، وشكلت في نظرنا كمراقبين وكمتابعين للشأن السعودي، نقطة تحوّل كونها الأولى على المستوى الأعلى منذ توقيع إتفاق الصداقة والتعاون عام 1929 ومنذ زيارة قام بها الملك فيصل بن عبد العزيز عام 1966. وتشاء الصدفة أن الزيارة الأولى على مستوى رفيع إلى الكرملين، قام بها أيضاً وقبل عبدالله بن عبد العزيز أخوه فيصل، وكان زمناً وزيراً للخارجية.

ما هو مهم في زيارة الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى تركيا أوضحته عبارات أوردها وزير الخارجية التركية عبد الله غول يوم وصول الملك إلى أنقرة في موكب جوي من سبع طائرات، توزّع من فيها من أعضاء الوفد ورجال الأعمال على ستمئة غرفة وجناح، جاء فيها قوله «إنها زيارة مهمة جداً تؤكد وجود إرادة سياسية متبادلة بين البلدين لتعزيز العلاقات في المجالات كافة بما فيها العسكرية والأمنية ما يؤسس لشراكة إستراتيجية بينهما فضلاً عن أن للسعودية مَعَرَّة خاصة في قلوب الاتراك، لأنها قبله المسلمين...». أما الأهم فهو أن للمملكة ثقلها العربي والإسلامي وإن تركيا الأردوغانية بالذات، أكثر دولة إسلامية تبعث الطمأنينة في النفس السعودية، حيث انها جسر متين البنيان يربط البر الشرقي العربي بالبر الغربي الأوروبي ليس فقط من الناحية الجغرافية، وإنما لأن تركيا على أهبة ان تصبح نجمة جديدة في راية الإتحاد الأوروبي. ومن جهة ثانية، إن تجربة الإسلام الأردوغاني صحت بشكل عقلائي تجربة الإسلام الاربكاني.

وإذا كانت للإهتمامات الثنائية على صعيد التشاور والتنسيق السياسي وفي مجالات النفط والمقاولات

والإستثمار والضرائب والسياحة ورفع مستوى التبادل التجاري الأولوية في زيارات أهل الحكم السعودي، فإن ذلك لا يعني ان الإهتمامات التي تتعلق بأوضاع الدول الشقيقة لا تحظى بأولوية موازية. بل يجوز القول ان الأوضاع المشار إليها تسبق في بعض المرات ما يتصل بالعلاقات الثنائية بين المملكة وتركيا التي هي على مسافة تحليق رحلة طير منها ربما لأن هذه العلاقات ليست على التأزم الذي يستوجب زيارات تاريخية. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن ما يتعلق بالعدوان الإسرائيلي على لبنان، أخذ من الملك عبدالله في أحاديثه مع رموز الحكم التركي، أكثر مما أخذته محادثات الوزراء المختصين، الذين كانوا يبحثون في مذكرات التفاهم والوثائق والاتفاقات، بغرض تعديل ميزان التبادل التجاري الذي هو اصلاً لمصلحة المملكة، قبل التوقيع عليها، ودلينا على ذلك أن الملك عبد الله وجد في أردوغان المسؤول المتفهم الذي يصغي إلى الرأي والنصيحة والراغب في علاقة ندية مع العالم العربي، ومن أجل ذلك كانت مشاركته في القمة العربية الدورية التي إستضافها السودان يوم 27 و28 مارس (آذار) الماضي، وتحدث فيها بروحية الجار الصديق الذي يريد طمأنة الجيران إليه بأنه ليس متطلعاً إلى إنبعاث السلطنة العثمانية، وإن بلاده لن تكون كما في الماضي غير البعيد على العلاقة العشوائية مع إسرائيل.. هذا إلى انه بالمشاركة كمراقب في القمة وعلى نحو ما يتطلع إليه الرئيس الروسي بوتين بالنسبة إلى مشاركة مماثلة في «منظمة المؤتمر الإسلامي»، يعزز العلاقة التجارية التركية التي تزداد نمواً مع السودان، شأنها في ذلك شأن التجارة مع الصين التي تزداد هي الأخرى نمواً في السودان وفي السعودية ومعظم دول المنطقة وبالذات في مجال الألبسة والالكترونيات المعقولة الثمن قياساً بالياباني والأوروبي والأميركي من هذه المنتجات. كما أن مشاركته تعزز الجالية التركية في السودان التي لا إنزعاج منها كما حال عدم الإنزعاج من الجالية التركية في السعودية البالغ تعداد أفرادها مئة ألف. وعندما نقول إن العدوان الإسرائيلي أخذ من الملك عبدالله في أحاديثه مع رموز الحكم التركي، أكثر مما أخذه الإهتمام في شأن العلاقات الثنائية، فلأن هذا سلوك المملكة عموماً وهذا نوع تعاطي أهل الحكم السعودي خلال زياراتهم. أما النماذج والوقائع ففي قول عبدالله بن عبد العزيز، خلال زيارته الرسمية الأولى كولي للعهد إلى

بريطانيا في مايو (أيار) 1984 لرئيسة حكومتها مارغريت تاتشر «ان وعد بلفور عار، يجب على الجيل البريطاني الحالي أن يصححه...»، وفي مواجهة الأمير سلطان بن عبد العزيز خلال جولة شملت أميركا وبريطانيا في مارس (آذار) 1997 كبار المسؤولين فيهما الذين اصغوا زمنذاك ودون وجه حق أو منطق إلى اقتراءات وآلا عيب بنيامين نتنياهو وبدا في هذه المواجهة التي اعتمد فيها الابتسامة العفوية يُصارع خبث رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو وابتسامته الماكرة التي ظهر بها على الرأي العام في كل من أميركا وبريطانيا، وكذلك في مواجهة الأمير نايف بن عبد العزيز الذي لا يحبذ لغة الدبلوماسية عندما يكون هناك ظلم وتجنّيات من جانب الإدارة البوشية وتمثلت هذه المواجهة بقوله لنا كإعلاميين ومراسلين التقينا به يوم 26 سبتمبر (أيلول) 2002 «إن القوة الأعظم التي تتحكم في العالم الآن تكن عداً للعرب والمسلمين بسبب نفوذ اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، الذي يسعى إلى تشويه صورة العرب والمسلمين وإلصاق تهمة الإرهاب بهم...». ومثل هذا الكلام يصح قوله الآن عندما نسمع الرئيس بوش، يتحدث عن «إسلام فاشستي» تعليقاً على واقعة إرهابية غير محسومة أعلنت بريطانيا اكتشافها قافزاً فوق حقيقة ان الفاشستية الجديدة هي صناعة صهيونية بدليل ما يحدث في لبنان وفلسطين.

وهذه النماذج التي اوردناها على سبيل المثال لا الحصر كمؤشر على أن هموم الآخرين، تتقدم في الزيارات الرسمية وبالذات تلك التي تكتسب الصفة التاريخية أو في المناسبة التي تتطلب وقفة حازمة على الهموم السعودية، تأتي منسجمة مع روحية الوالد الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، وأضع حجر الأساس لـ «الشراكة الإستراتيجية» التي بدأها مع أميركا قبل أكثر من نصف قرن، وكانت في حينها من أجل مواجهة السياسة البريطانية التي تقف في صف الصهيونية وتلبية مطالبها في أن تكون لليهود دولة على أرض فلسطين وهو ما يُعرف بـ «وعد بلفور» الذي بموجبه «وهبت» بريطانيا يهود العالم حقاً لا تملكه من أجل إقامة إسرائيل على أرض فلسطين. ونجد انفسنا تأكيداً لذلك ولحاجة الملك عبد العزيز لشريك إستراتيجي، يمكن الإعتماد عليه لمواجهة خطر الفعل البريطاني، نستحضر المذكرة التي بعث بها الملك إلى الرئيس الأميركي الثاني والثلاثين فرانكلين روزفلت المؤرخة في 15 مارس 1945 وجاء فيها

فن تعقيد الأمور السهلة.. لبنانياً وفلسطينياً

حتى إشعار آخر، هنالك حكومة فلسطينية وفي الوقت نفسه ليس هنالك حكومة. وهنالك مجلس تشريعي وليس هنالك حضور لهذا المجلس. وهنالك سلطة وطنية إسمياً ولا قدرات لها فعلاً. وهنالك نصائح كثيرة لكن ليس هنالك من يصغي إلى النصيحة. وهنالك عِبر كثيرة لكن ليس هنالك إعتبار. ونقول ذلك على أساس أن بعض الوزراء وبعض أعضاء المجلس التشريعي؛ ومنهم رئيس هذا المجلس عزيز الدويك في السجن الإسرائيلي، وعلى أساس أن رئيس السلطة الوطنية محمود عباس يتحرك في كل الإتجاهات إنما من دون أن يُثمر التحرك ما قد يفيد. وبعد تضییع للوقت والقدرات، يرى الفلسطينيون أن من شأن حكومة «وحدة وطنية» انقاذ ما يمكن إنقاذه، خصوصاً أن صيغة «الحكومة الحماسية» و«البرلمان الحماسي» لا تحظى بالقبول الدولي وإلى حد ما القبول العربي والإسلامي. وبدل الإنتقال على وجه السرعة من الوضع المرتبك إلى صيغة حكومة «الوحدة الوطنية»، فإن رئيس الحكومة الحماسية إسماعيل هنية يطرح مطالب يبدو فيها التعقيد الماضي بسيطاً أمام التعقيد المستجد. وفي الوقت الذي كانت فيه نتائج «الجهاد اللبناني» تؤكد أن تسيير الأمور يبقى أفضل من تعقيدها، وأنه لو حدث أن «حزب الله» تحوّل مع إنسحاب إسرائيل من الجنوب من حركة مقاومة إلى حزب سياسي ووضع «مزارع شبعاً» غير المحسومة هويتها هل هي لبنانية أم هي سورية، بين يدي الحكومة اللبنانية.

وإلى ذلك، فالتحول المشار إليه من حركة مقاومة إلى حزب سياسي يعترف كما سائر المعترفين بـ «اتفاق الطائف» كان سيصون الحزب من الشر الإسرائيلي... وعندما لم يحدث ذلك حيث بقي «حزب الله» نصف سياسة ونصف مقاومة وبقي مشاركاً في الحكومة إنما من دون إعلان واضح يؤكد فيه التمسك بـ «اتفاق الطائف»، فإنه بذلك بدا لا يريد أو لا يملك وحده قرار التخلي عن السلاح، حيث أن الاتفاق ينص على أن لا سلاح سوى السلاح الشرعي الذي تجيزه الدولة ويملكه الجيش وقوات الأمن. وعندما حدثت المواجهة

التوضيح والتنبيه والتحذير على النحو الآتي: «إن اليهود في فلسطين يُعدون العدة لخلق شكل نازي فاشستي بين سمع الديمقراطية وبصرها. إن تاريخ فلسطين يدل على أن العرب سكنوها 3500 سنة قبل الميلاد، واستمر سكنها فيها بعد الميلاد إلى اليوم وحكموها وحدهم مع الأتراك 1300 سنة تقريباً. أما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المتقطع فيها 380 سنة وكلها اقامات متفرقة ومشوشة. أن تكوين دولة يهودية في فلسطين سيكون ضربة قاضية على كيان العرب...».

لم تحقق الشراكة الإستراتيجية الغرض المنشود مع أميركا الرؤساء الأحد عشر، الذين خلفوا روزفلت وهم: هاري ترومان، دوايت أيزنهاور، جون كينيدي، ليندون جونسون، ريتشارد نيكسون، جيرالد فورد، جيمي كارتر، رونالد ريغان، جورج بوش الأب، بيل كلنتون، جورج بوش الابن (إلا إذا أراد هذا الأخير، وقبل أن ينصرف منهياً ولايته الرئاسية الثانية أن يصحح). وعندما لم تثمر هذه الشراكة التي أرادها الملك الوالد مع أميركا وللحيثيات السابق ذكرها يصبح مفهوماً لماذا، وفي ضوء المتغيرات الدولية ومخاطر الوجود الصهيوني والخوف من أن يتعرض الكيان العربي للضربة القاضية، أن يتجه الملك الابن عبدالله ووفق رؤية حكيمة إلى تطوير صيغة «الشراكة الإستراتيجية»، وخصوصاً بعدما لم يلق التجاوب المتوقع من أميركا وإسرائيل وبعض الدول الأخرى على رؤيته للصراع العربي - الإسرائيلي التي إنتهت وبالإجماع إلى «مبادرة عربية» في القمة الدورية الثانية في بيروت أواخر مارس 2002 وقبول الجميع بمضمونها الذي يتلخص في أن التطبيع مع إسرائيل، ممكن إنما بعد إستكمال الإنسحاب من الأراضي المحتلة والالتزام بقيام دولة فلسطينية وتأمين حق العودة. وهذه الشراكة التي تشمل حتى الآن الصين وروسيا والهند وباكستان وحديثاً تركيا تجمع بين المصلحة الإقتصادية للمشاركين وبين الرؤية الواقعية للقضايا الدولية والإقليمية ولل قضية الفلسطينية العالقة والتي من شأن إيجاد الحل العادل والشامل لها أن يأخذ صاحب كل ذي حق حقه ويتنازل كل مغتصب عن وطن غيره.. وبذلك يستقر العالم، وتسلك الدول والشعوب طريق الإزدهار.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 17 أغسطس (آب) 2006

الصاروخية ظهر جلياً لماذا إستحكمت عقدة السلاح في الموضوع اللبناني، اذ كيف سيسلم وهل سيقول لبضع مئات من المقاتلين المدربين منذ سنوات للمواجهة المحتملة وبالذات للطاقم الصاروخي انه تم تسريحهم من الخدمة ويعوض عليهم سنوات تأهيلهم وتدريبهم كمقاومين.

يطول الحديث حول تعقيد الأمور بالنسبة إلى الوضع اللبناني حيث مخاطر تبعثر الدولة والكيان واردة في حال أن إنتساب «حزب الله» بالكامل إلى الدولة وانصهاره فيها لن يحدث. وهذا التبعثر وزر سيرتبط بالطائفة الشيعية ولا راد له إلا في حال إنتهت مداولات أهل «الحوار اللبناني» الذي إنقطع بسبب العدوان بعد إستئنافهم التحوار إلى طرح كل الأمور على الاستفتاء الشعبي الذي يتم تحت اشراف أطراف دولية محايدة ومقبولة من أطراف المجتمع اللبناني، وبحيث تخضع الأقلية لرأي الأكثرية.

أما تعقيد الأمور بالنسبة إلى الموضوع الفلسطيني فإن بعض التفهم والمرونة من شأنه جعل المسألة تستقيم وإلا فإن طرح الموضوع على الإستفتاء يبقى أمراً لا بد منه. وكما في المشهد اللبناني من تعقيدات مرتبطة بالعناد من جهة والولاءات الخارجية من جهة أخرى، فإن في المشهد الفلسطيني ما يفوق بكثير هذه التعقيدات والتي أكثرها مرونة في نظر «حماس» اشدّها تعجيزاً في نظر «السلطة الوطنية» والذين من حولها. وما نغنيه بذلك هي الشروط التي طرحها رئيس الحكومة إسماعيل هنية يوم الجمعة 18 أغسطس (آب) الحالي للقبول بتشكيل حكومة «الوحدة الوطنية» التي كان رئيس السلطة محمود عباس قد بدأ المشاورات رسمياً في شأنها مزوداً بنصائح عربية في هذا الشأن وضمانات بتأييد أميركي - أوروبي - إسرائيلي للخطوة من حيث المبدأ. فقد وقف هنية خطيباً أمام المصلين في «مسجد الكنز» في غزة وأورد الشروط مع أن الأصول تقضي بأن يتولى ابلاغها عن طريق مبعوث أو خلال إجتماع مع الرئيس وليس الإعلان عنها أمام المصلين، فإذا إرتضاها محمود عباس يتم الإعلان عن الحكومة المشروطة وإذا لم يرتض الشروط وردّ عليها بملاحظات فإن من واجب «حماس» التأمل في الملاحظات ثم الرد عليها..

وفي تقديرنا أن الرئيس الحماسي إسماعيل هنية عرض شروطاً تعجيزية، وهو يعرف انها كذلك، ولذا

فإنه لم يتصرف كمن يريد حلاً. فهو يشترط أن يكون رئيس الحكومة من «حماس» ويشترط الإفراج عن الوزراء والنواب الذين اعتقلتهم إسرائيل وآخرهم وليس أخيرهم ناصر الدين الشاعر نائب رئيس الوزراء وزير التربية ومن قبله رئيس المجلس التشريعي عزيز الدويك. كما أن من بين الشروط رفع الحصار المفروض على «حماس» وأن يتوافر في أي شخص سيدخل الحكومة شرطان وهما أن يتصف بالنزاهة وألاً يكون متهماً بالفساد من أي فصيل. كما يجب بدء الحوار في شأن إعادة تفعيل منظمة التحرير الفلسطينية. وما يستخلصه المرء من هذه الشروط أن «حركة حماس» تعتبر أن أي فلسطيني يتطلع إلى التوزير يفترق إلى النزاهة حتى يثبت العكس، وأن مقياس عدم الفساد هو في أن يكون من «حماس». وفي هذا ظلم في حق الكثيرين. كما أن ما يمكن إستخلاصه هو أن إسماعيل هنية بإشترطه على محمود عباس الإفراج عن الوزراء والنواب الذين اعتقلتهم إسرائيل يبدو كمن يُحمّل رئيس السلطة هذه المسؤولية وأيضاً كمن يقول ان السجن إسرائيلي لكن حارس السجن وحامل مفتاح الزنزانة هو رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية.

ونخلص إلى القول: أي حل ممكن للمعضلة اللبنانية إذا كان ما يقوله الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله ورفاقه وقادة الحزب وما يقوله الرئيس بشّار الأسد وآية الله خامنئي والحلقات المحيطة بالثلاثة في شأن السلاح هو الرفض الحازم لنزع هذا السلاح؟ وأي حل للمعضلة الفلسطينية إذا كان لا حل سوى حكومة «الوحدة الوطنية» إنما بغير الشروط التعجيزية. وإذا جاز الإقتراح، فإن إنشاء فيلق «سلامة السيادة الوطنية» في مؤسسة الجيش اللبناني قد يكون حلاً لعقدة السلاح وعلى أساس أن يضم هذا الفيلق نسبة من مقاتلي «حزب الله» وإلى جانبهم نسبة مماثلة من سائر الأطياف المذهبية اللبنانية، وبذلك تتراجع التحفظات والمخاوف ويكون السلاح في هذه الحال لبنانياً وللجميع. أما بالنسبة إلى المعضلة الفلسطينية فلا يبدو أن في الأفق وسيلة انقاذ سوى مؤتمر عربي - إسلامي - دولي من نوع «مؤتمر الطائف» الذي قطع الطريق على اندثار لبنان ككيان وشعب، وهذا ما يواجه الفلسطينيين الذين إذا هم عجزوا عن تحقيق التوافق تحت مظلة حكومة «وحدة وطنية»، فإنهم سيجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام

حالة من حالات الإندثار... ولن يكون هناك مجال عندئذ حتى للندم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 25 أغسطس (آب) 2006

* * *

فرصة للتصحيح التاريخي والجغرافي معاً

من الإيجابيات التي يستحق الرئيس جورج بوش الابن الثناء عليها انه لم ينفذ وعداً قطعه حزبه على نفسه عندما خاض انتخابات الرئاسة عام 2000، كما أنه استمر على الموقف نفسه عند تجديد الرئاسة وبذلك استحق الثناء. الوعد المشار إليه الذي قطعه «الحزب الجمهوري» على نفسه هو نقل السفارة الأميركية إلى القدس في حال فوز مرشح بوش الابن، الأمر الذي يعني الاعتراف بالقدس موحدة وعاصمة لإسرائيل ويعني أيضاً إخلالاً بالرؤية الدولية التي ترى في الاحتمال الأكثر واقعية وبما من شأنه قطع الطريق على صراع ديني طرفاه العالم الإسلامي والعالم المسيحي من جهة واليهودية من جهة أخرى، أن تكون القدس مدينة الممرات الدينية الثلاثة: لكل طائفة ممرها إلى مقدساتها. والوعد المشار إليه طبخته على نار هادئة كونداليزا رايس التي غدت إحدى النجوم الساطعة في الحقبة البوشية وحدث ذلك عام 1999 عندما زارت إسرائيل لبضعة أيام في مهمة ترويج للسياسي المغمور زمذاك جورج دبليو بوش. ومنذ تلك المهمة انغرس كونداليزا كنبته في عقل الرجل الذي كافأها خير مكافأة لمجرد فوزه بالرئاسة. وكانت المكافأة مزدوجة حيث لم يكتف بإسناد المنصب الرئيسي إليها مستشارة للأمن القومي وإنما جرى ترفيعها لتتولى المنصب الثالث في الكيان الرئاسي، وهو وزارة الخارجية بدلاً من جنرال الوالد ثم الابن معاً في الحربين على العراق كولن باول. وبهذه الإستمرارية أكدت كونداليزا أهميتها على نحو أهمية الصقيرين الصامدين ديك تشيني نائب الرئيس ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع اللذين صمدا رغم الإعصارات السياسية بينما صغار الصقور إنتهت إما في الظل أو في مناصب شرفية كالمنصب الذي كوفئ به بول وولف وبيتر رئيساً للبنك الدولي.

كان عزوف الرئيس بوش الابن عن تنفيذ الوعد المشار إليه تصرفاً حكيماً لأنه وفر على الولايات المتحدة الوزر الثاني في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي بعد الوزر الأول المتمثل في «وعد بلفور» الذي لن تستقيم العلاقة من جانب العرب والمسلمين مع بريطانيا قبل تصحيحه. وكاد بوش الابن يسجل إنجازاً تاريخياً وذلك بتحقيق مصالحة عربية - إسرائيلية تفوق في أهميتها خطوة إتفاق كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، وذلك بقيام دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل لولا أن وصول أرييل شارون إلى رئاسة الحكومة في إسرائيل أخرج سعيه، ونكاد نقول حلمه، الذي كانت كونداليزا رسمت له ملامحه. وهذا يعني ان مسعى الرئيس بوش كان يحتاج إلى حكومة عاقلة في إسرائيل. ومن المؤسف ان أرييل شارون لم يكتف بتقويض المشروع البوشي وإنما قاد الإدارة الأميركية إلى مواقف بدت فيها انها شريكة في العدوان الشاروني، وذلك نتيجة انتعاش عناصر متصهينة داخل الإدارة البوشية عملت جاهدة على إعادة عقارب ساعة التسوية بمفهوم الرئيس بوش إلى الوراء. ثم دخلت الحرب على العراق لتخلط الأوراق. وجاء القلق الأمريكي من المشروع النووي الإيراني وفي خط مواز العدوان الإسرائيلي من جانب «الأكاديميين» السلالة الثانية في «الشارونية» ليضعا إدارة الرئيس بوش أمام لحظة حاسمة وفرصة تاريخية تتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي وصيغة الدولتين، خصوصاً ان موضوع القدس الموحدة ونقل السفارة الأميركية إليها تأكيداً للاعتراف بها كعاصمة لإسرائيل تراجع وطويت على الأرجح الصفحة في ضوء خطوتين صغيرتين شكلاً كبيرتين معنى وتتمثلان في إعلان السلفادور إحدى دول أميركا اللاتينية يوم الجمعة 25 أغسطس (آب) 2006 انها ستنتقل سفارتها من القدس إلى تل أبيب حاذية في ذلك حذو الدولة الصغيرة الأخرى كوستاريكا التي كانت أعلنت قبل ذلك بتسعة أيام عن خطوة مماثلة. والدافع إلى هاتين الخطوتين على نحو ما إستندت إليه السلفادور «أن القرار 1701 الصادر عن مجلس الأمن الدولي يستهدف تشجيع الأمن ودرجة أكثر من الإستقرار مما يؤدي إلى مرحلة جديدة من الآمال الإيجابية بالنسبة إلى الشرق الأوسط...». ونفترض أن كوستاريكا اعتمدت الحيثيات نفسها.

نخلص إلى أن الدولتين الصغيرتين وغير المؤثرتين في القرار الدولي غدتا مهمتين بالخطوتين المشار إليهما كونهما اقدمتا على تصحيح خطأ تاريخي ارتكبه قبل 24 سنة عندما قررنا دون وجه حق اعتبار القدس بأنها عاصمة إسرائيل وأن تكون السفارة فيها. وهذا التصحيح من جانبهما يؤكد مدى أهمية أن الرئيس بوش الابن لم ينفذ الوعد الذي قطعه «الحزب الجمهوري» على نفسه بأن يعترف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، وهذا كان سيحدث عملياً في حال نقل السفارة الأميركية إلى القدس. ومن المؤكد لو أن الرئيس بوش وفى بوعده لكانت دول كثيرة على الأرجح حذت حذوه ولكانت الخطوة ذات «الطبيعة الدبلوماسية» تحولت إلى ما هو أخطر بكثير. لكن إدارة الرئيس بوش كانت على درجة من التعقل وإن جاء الثمن الذي دفعته إلى إسرائيل مقابل ذلك باهظاً. ويكفي للتدليل على ذلك أن هذه الإدارة غطت إسرائيل الشارونية وأبعدت عنها حتى قرارات الادانة التي تصدر عن مجلس الأمن. كما أن التغطية امتدت لتشمل حكومة ألبرت حيث انها ماطلت كثيراً قبل إصدار القرار 1701 لتمكين ألبرت من تقادي الوقوع في الفخ الذي وقع فيه.

الآن وفي ضوء تصحيح الدولتين الصغيرتين كوستاريكا والسلفادور للخطأ التاريخي ونقل السفارتين من القدس إلى تل أبيب في خطوة قد لا تكون الإدارة البوشية بعيدة عنها، نجد انفسنا نتساءل ما دام القرار 1701 الذي شجع الدولتين الصغيرتين على إتخاذ خطوة التصحيح هو من صنع أميركا البوشية وأوروبا في شخص فرنسا: أليست هي اللحظة المناسبة لأميركا ومعها بريطانيا بطبيعة الحال من أجل تصحيح وضع مضى تأجيل تصحيحه 39 سنة ونعني بذلك قرار مجلس الأمن 242 الذي من شأن إجبار إسرائيل على تنفيذه وضع نهاية سعيدة لمأساة تعيشها المنطقة وتقلها من حرب إلى حرب تتخللهما إعتداءات. وقد يكون من المناسب استعادة الذاكرة لهذا القرار الذي صاغه المندوب البريطاني اللورد كارادون وذهب، أي القرار، مثلاً في القرارات الملعومة. ففي الفقرة الأولى من هذا القرار ورد الآتي: «إن مجلس الأمن يؤكد أن تطبيق مبادئ ميثاق الأمم المتحدة يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط الأمر الذي يجب أن يتضمن كلا المبدأين الآتيين:

- أ. إنسحاب القوات الإسرائيلية من أراضٍ احتلتها في النزاع الأخير.
- ب. إنهاء جميع حالات الحرب أو الإدعاء بها وإحترام والإعتراف بالسيادة ووحدة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وبحثها في أن تعيش في سلام في نطاق حدود آمنة ويعترف بها ومتحررة من أعمال القوة والتهديد بها...». بعد التصحيح من جانب الدولتين الصغيرتين يصبح من واجب الدولتين الحاضنتين لإسرائيل أميركا وبريطانيا المباشرة بالتصحيح التاريخي والجغرافي معاً المطلوب منهما على نحو ما أوردنا في السطور السابقة وإستناداً إلى قرار مجلس الأمن 1701 الذي أخذ طريقه فوراً إلى التنفيذ بينما القرار 242 الذي هو روح القرار الجديد طي إضبارات المنظمة الدولية... وكأنما لم يتخذ قبل 39 سنة ويتم التصويت عليه بالإجماع.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 29 أغسطس (آب) 2006

الخطفة» بعد «اللبنة».. وقبل «العقنة»

أخذت بعض الكلمات مكانها في قاموس المفردات وإلى درجة أنها غدت اسماً لحالة تعبر عن واقع مثل «القبرصة» تدليلاً على انقسام جزيرة قبرص نصفين: قبرص اليونانية وقبرص التركية، ومثل «اللبنة» تدليلاً على الاقتتال الأهلي العبثي الذي وصل إلى حد التصفيات الجسدية وأحياناً جز رقاب البشر عند حواجز ميليشياوية كافرة ومجرمة بحق الإنسان، على أساس الهوية المذهبية. ومع أن إخواننا الجزائريين تفوقوا بكثير على اللبنانيين وذاع صيتهم في مضمار التصفيات بالجملة وبواسطة السيوف والسواطير إلى أن قيض الله لهم عبد العزيز بوتفليقة رئيساً يريد إستبدال ذبح البشر بالوئام عن طريق العفو يسود البلد الذي كنا نتباهى بأنه بلد المليون شهيد، فإذا به يتحول إلى بلد تستباح فيه أرواح الناس من دون رحمة، إلا أن هذا السلوك غير المحمود لإخواننا الجزائريين لم يكن إبتكاراً وإنما إستنساخاً لـ «اللبنة» المبعوضة. كما أن الذي يحدث

في العراق قبل أبو مصعب الزرقاوي وبعد إصطياده من أعمال ذبحية ورمي للبحث على نواصي الشوارع أو في المجاري أو بين أشجار النخيل في بساتين بلاد الرافدين أو على ضفاف دجلة والفرات، لا يمكن إعتباره ابتكاراً أوحث به القرائح العراقية، وإنما هو بدوره إستتساخ لـ «اللبنة» وحق محفوظ لها على أساس أن الأهمية هي لمن يسبق وليس لمن يقدّم. لا سامح الله الذين كانوا سبّاقين ولا الذين قلدوا مخالفين الشرائع السماوية وما يأمر به رب العالمين الذي حرّم قتل النفس.

الآن ومن دون أن نتأكد من أن «اللبنة» ستقتصر على إخواننا العراقيين بعد إخواننا الجزائريين ولن يكون لها مستسخون في ديار عربية أخرى وكأنما هي فروع لسلعة من الغذاء أو الملابس أو المستحضرات التجميلية هنالك إقبال عليها، تأخذ «الخطفة» على ما يبدو طريقها نحو الإنتشار. وما نقصده بـ «الخطفة» هو خطف جنود إسرائيليين لمقايضتهم بأسرى عرب على نحو ما فعله إخواننا «الحماسيون» في غزة الذين خطفوا جندياً إسرائيلياً من أجل المقايضة المشار إليها، فإذا بالغرض لا يتحقق وترد إسرائيل على ذلك بخطف وزراء ونواب «حماسيين»، من بينهم رئيس البرلمان الفلسطيني عزيز الدويك، وترميمهم في الزنازين، ولا تكتفي بذلك وإنما تمعن تدميراً وإغتيالاً بما هو أشد هولاً. كما أن الذي نقصده بالحالة نفسها هو إقدام «حزب الله» في لبنان على خطف جنديين إسرائيليين في عملية ظاهرها التتسيق أو لعله توازّد خواطر مع الحليف «الحماسي» الغزاوي، وكأنما أراد «حزب الله» تكثيف الضغط على الإسرائيلي العنيد فيعيد النظر في مكابرتة وينصاع إلى مطالب الطرفين «حماس» و«حزب الله» وعلى أساس أنه ما دام الحليفان نجحاً في خطف ثلاثة جنود، ففي الاستطاعة معاودة الخطف مثني وثلاثاً وأكثر، وفي الوقت نفسه يخفف الضغط الدولي على كل من الدولتين الملاذ والمساندة المالية والصاروخية: إيران ذات الطموح النووي، وسوريا ذات القلق من المحكمة الدولية لكشف حقيقة من اغتال رفيق الحريري. ولماذا هذا الإجراء في حق رجل دولة أفاد ولم يضر وأنجز عملية إعمار بالغة الأهمية.

انتهى الخطف بكارثة أعادت لبنان عشرين سنة إلى الوراء وهو الذي كان يتطلع إلى تعويض عشرين سنة من التأخير بفعل الإقتتال طوال ست عشرة سنة وصنع إتفاق الطائف بسعي مشكور من الملك فهد بن عبد العزيز،

رحمة الله عليه، وإخوانه نهاية متوازنة لها. وخلال شهر من القصف التدميري جواً وبحراً احترقت الحقول والبساتين الجنوبية وأتى التدمير على مئات المنازل وعشرات الجسور وشمل ذلك عاصمة «حزب الله» المعروفة لـ «الضاحية الجنوبية» من عاصمة كل اللبنانيين: بيروت. وكانت الكارثة ستبدو أعظم بكثير لو أن «حزب الله» لم يقصف بمئات الصواريخ مدناً وبلدات ومواقع إسرائيلية، وبذلك ذاق الإسرائيليون طعم الخوف وعلم الزوج ولوعة العيش في الملاجئ وتقضيل المئات الهجرة إلى بلاد سبق أن أتوا منها.. هذا إلى جانب تحطّم عشرات دبابات آل «ميركافا» والآليات والأوناش وقتل وجرح المئات من الجنود في مواجهات أظهر فيها المقاومون من البسالة ما جعل الأنظار والقلوب مشدودة اليهم. لكن في الوقت نفسه يمكن القول انه لولا الصواريخ التي أرسلها «حزب الله» لربما ما كان للتدمير الممنهج أن يحصل ولا للمليون شخص أن ينزحوا ولا لليد اللبنانية الحكومية أن تمتد متوسلة إلى من ينجدها بالمال والغذاء والدواء.

ما أن إنتهت المنازلة إلى واقع مرير نتيجة أن الجانبين لبنان وإسرائيل خرجا نازفين معنوياً وبشراً، حتى تحوّل وهج التحدي الذي مارسه المقاومون إلى ما يمكن تسميته «الخطفة» حيث انه بعد أيام من وقف الحوار الصاروخي بين «لبنان حزب الله» و«إسرائيل إيهود أولمرت»، وعلى وقع مطالعة تنقصها الحصافة للرئيس بشّار الأسد وقول الرئيس الحليف محمود أحمدي نجّاد إن إيران النووية لن تشكل خطراً على إسرائيل وهو الذي أمضى خمسة أشهر من الشحن لنفوس الإيرانيين ومريديهم في الخارج مثل «حزب الله» يقول إن إسرائيل يجب أن تزول، وكذلك إعلان السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» انه لو كان يتوقع رد إسرائيل على عملية خطف الجنديين كما حدث لما كان أمر بالعملية... انه بعد أيام من هذا الذي نشير إليه أطلق تنظيم يحمل اسم «رجال المقاومة الوطنية في الجولان السوري المحتل» يوم الأربعاء 30 أغسطس (آب) 2006 بياناً جاء فيه «ندعو سلطات الاحتلال إلى الإفراج عن أسرى الجولان السوري المحتل (عدد 22) فوراً من دون قيد أو شرط. وإذا لم تستجب لهذا المطلب الإنساني سنتخذ التدابير اللازمة لإطلاق سراحهم، ولن يكون النموذج اللبناني، نموذج «حزب الله»، ببعيد عنا في التنفيذ والإعداد من أجل إطلاق أسراننا. لقد أعز من أنذر وإن غداً لناظره قريب...».

نخلص إلى القول: هل أفادت «اللبننة» الذين استسخوها ونقصد بهم إخواننا الجزائريين ثم العراقيين؟ وهل حققت «الخطفنة» ما رمت إليه «فلسطين الحماسية» ثم «لبنان حزب الله» لكي يستسخها «الجولانيون» الذين أعلنوا عن أنفسهم وحددوا مطالبهم على نحو تحديد «حماس» عندما خطفت الجندي، وتحديد «حزب الله» عندما خطف الجنديين؟

بالعودة إلى أيام مضت عاشها لبنان وغزة «الحماسية» نجد الجواب الواضح وبوضوح شمس صيفية... ونجد أن «العقلنة» هي البديل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 5 سبتمبر (أيلول) 2006

* * *

لبنان: نيل المطالب..

التي تؤخذ بالإعتصام

دائماً هنالك إبتكار من جانب العقل السياسي اللبناني في زمن الأزمات الصعبة. وأحدث هذه الإبتكارات من أجل إنهاء الحصار الإسرائيلي جواً وبحراً على لبنان هو إعتصام أعضاء البرلمان اللبناني في مبنى برلمانهم بدعوة من رئيسهم نبيه بري الذي يمارس ببراعة كل الأدوار والمهام في زمن المواجهة الصعبة التي دفع لبنان الثمن الباهظ فيها. ودليلاً على هذه الحداثة في الممارسة أنه كان الحليف المنقذ للحكومة و«حزب الله» ومن دون أن يفقد ثقة أحدهما به ولا إرتياح المجتمع الدولي لتخريجاته ولا إتكال الحكم البشري عليه. وحدهم الذين أخفقوا في الإنتخابات البرلمانية الأخيرة وأبرزهم رئيس الحكومة الأسبق عمر كرامي والقطب الماروني الشمالي الوزير السابق سليمان فرنجية رأوا في الإعتصام أنه على حد توصيف كرامي «فولكلور مضحك مبك»، علماً بأن هؤلاء لو كانوا فازوا في الإنتخابات لكانوا كما بقية الآخرين شاركوا في الإعتصام وربما ناموا حياناً داخل البرلمان.

هذه المبادرة - الإبتكار من جانب نبيه بري تبدو متأثرة بنهج المقاومة السلمية الذي إعتمده المهاتما غاندي في مقارعة الاستعمار البريطاني للهند، وتبدو

نقيض نهج السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» الذي يستند من جملة ما يستند إلى صواريخ «كورنيت» الروسية المنشأ السورية - الإيرانية المصدر. ولقد أفادت المبادرة كونها مسالمة ولا تحرج أحداً من برلمانات عربية ودولية، ولذا إعتصم البعض على نحو ما فعل البرلمان السوري وأبرق آخرون مساندين وحضر إلى البرلمان اللبناني من الكويت محمد جاسم الصقر بصفة كونه «رئيس البرلمان العربي الانتقالي» ليقول للمعتصمين «هذا حصار مجرم وقذر ويجب أن يُخترق...».

وبسبب إتساع الترحيب بالمبادرة - الإبتكار دعا نبيه بري المرافئ العربية إلى التوقف عن العمل يوماً واحداً. كما دعا المعتربين اللبنانيين إلى التظاهر والإعتصام أمام برلمانات الدول التي إغتربوا إليها. وجاءت الدعوة في وقت كان الأمين العام للأمم المتحدة يلح إلى احتمال إنهاء الحصار خلال 48 ساعة. وكان الرئيس بوش الابن يطلب من صديقه وحليفه إيهود أمرت إنهاء عناده كي لا تتأثر السلطة اللبنانية المتمثلة بالثنائي بري والسنيرة.

ويشكل الإعتصام اللبناني حالة إحتجاج بديلة كان لبنان في أيام العدوان وعمليات التدمير نهاراً وليلاً من باب مساندة الأخ لأخيه يتوقع حدوثها من بعض الحكومات العربية التي بينها وبين إسرائيل علاقات كاملة التطبيع أو علاقات على المستوى التجاري. وحالة الإحتجاج التي نشير إليها ولم تحدث مع الأسف هي سحب السفراء العرب لدى إسرائيل من جانب الأنظمة التي أقامت علاقات دبلوماسية وفق معاهدات سلام، وتجميد التعاون التجاري مع إسرائيل من جانب الحكومات التي تبادلت مع إسرائيل فتح مكاتب تجارية وكأنما هذا النوع من العلاقة يبرئ هذه الحكومات من وزر الإستعجال والقبول بإسرائيل المعتدية على الفلسطينيين دائماً وعلى اللبنانيين مرة كل عشر سنين أو أقل أو أكثر.

زيادة في التوضيح، نقول إنه عندما إشتدت وطأة العدوان الشاروني على أخواننا الفلسطينيين عابثاً بمخيماتهم وحقولهم مستباحاً حرماهم مغتالاً الشيوخ والقادة والأطفال، كان السؤال على لسان كل عربي هو: لماذا لا تقطع الدولة العربية الكبرى، مصر، العلاقة التي أقامتها مع إسرائيل أو على الأقل تجدها بغرض

الضغط وليس القطيعة، ولماذا لا تفعل الشيء نفسه المملكة الهاشمية؟ ولماذا لم تبادر موريتانيا، بعدما حل عهد جديد بفعل إنقلاب عسكري محل العهد الذي أقام علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، إلى إتخاذ الخطوة نفسها؟

وبالنسبة إلى دول المكاتب التجارية لماذا لم تغلق قطر المكتب التجاري وتختمه بالشـمع الأحمر؟ ولماذا لم تفعل سلطنة عمان ومعها تونس والمغرب الشيء نفسه؟

وكانت موجبات السؤال تنطلق من أنه إذا كانت لن تتجد هذه الحكومات الفلسطينية المعتدى عليهم وتفتح جبهات قتال مع إسرائيل فإنها على الأقل تستطيع إتخاذ خطوات على الصعيد الدبلوماسي.. وهي خطوات من شأنها تنبيه إسرائيل إلى شر أفعالها وإشعار المجتمع الدولي بأن الغضب على ما تقترفه إسرائيل من إعتداءات قد يصبح بركانا.

بعد الذي حدث بالنسبة إلى الإعتداء على الفلسطينيين ولم يلق رد الفعل السياسي العربي عليه بالقوة المطلوبة، أصبحت إسرائيل أكثر اطمئناناً بأن لا وقفة عربية يمكن أن تحدث من جانب المطبّعين معها أو من أولئك المكتفين بصيغة المكاتب التجارية. ولقد تأكد ذلك من خلال العدوان على لبنان وإستمر شهراً بنهاراته ولياليه علماً بأن يوماً واحداً من هذا العدوان يكفي لكي تتخذ الحكومات المشار إليها وقفة حازمة يكون تجميد التمثيل الدبلوماسي والعلاقة التجارية هو الحد الأدنى. وكان السؤال منذ اللحظة الأولى: إذا كنتم يا إخواننا لن تفتحوا جبهات مواجهة حربية مع إسرائيل فعلى الأقل إتخذوا خطوة ضاغطة دبلوماسية أو تجارية.

الحجج التي ساققتها الحكومات المعنية تتلخص في أن الإبقاء على العلاقات عادية من شأنه أن يفيد حيث أن الإتصال لإيجاد حلول لمسائل انسانية عاجلة يكون أكثر سهولة مما لو كان يتم عن طريق طرف ثالث. ولقد سمعنا الكثير في هذا الشأن ومنها موضوع الممر الجوي الآمن الذي لولاه ولولا الممر البري الأقل أماناً لما كانت الاغذية والأدوية وصلت إلى لبنان. كما أنه لولا الممر البحري لما كانت عمليات الإنقاذ الغذائية والعلاجية تمت وعلى الوجه الأفضل. وهذه الممرات في نظر الحكومات المعنية ما كانت لتحديث لو أن العلاقات الدبلوماسية قُطعت مع إسرائيل أو تم سحب السفراء وتعليق التعامل بصيغة المكاتب التجارية.

بعض هذه الحجج قابل للإقناع وبعضه الآخر ليس كذلك. ولكن الأمور سارت في هذا الإتجاه وحلت النجيدات والمساعدات التي تشفي الأبدان وتحميها محل الوقفات التي تُقنع الوجدان والضمير.. أو فلنقل أن منطق الأمور كان هو المتفوق على العنفوان الوطني.

في ضوء ذلك نأتي إلى صيغة الإعتصام البرلماني اللبناني الذي أكد الداعي إليه رئيس البرلمان نبيه بري أنه ليس مسرحية مع أن الإنطباع السائد عنه هو أنه حالة إستعراضية.

ومثلما أن هنالك أسئلة إرتسمت في أفق بعض الحكومات العربية، فإن سؤالاً أساسياً ارتسم قبل الإعتصام في أفق أهل العمل السياسي والحزبي وهو: لماذا لا تفعلون شيئاً بدل هذه المماحكات على صفحات الصحف ومن خلال الفضائيات؟ ولماذا بدل الكيديات والإصرار على تغيير الحكومة الحالية التي أدت الواجب على الوجه الأفضل، لا تفعلون شيئاً مع هذه الحكومة لكسر الحصار المفروض بقوة الغبن الدولي على لبنان جراء تسجيله صفحة مشرقة في كتاب مواجهة إسرائيل وكسر عجزتها على العالمين؟

جاءت صيغة الإعتصام تجيب عن جزء من السؤال حيث أن نواب الوطن المحاصر جواً وبحراً والمراقب براً لجأوا إلى البرلمان يعتصمون فيه على نحو إعتصام إعتمه الإمام الغائب - المُغيّب موسى الصدر في الكلية العاملة قبل ثلاثين سنة. ورافق الإعتصام البرلماني اللبناني تساؤلات من بينها: هل سيبقى هذا الإعتصام المفتوح قائماً لا ينتهي إلا بإنهاء الحصار، أم انه سيكون مثل حالة الإضراب عن الطعام إحتجاجاً ينتهي بعد حين وبعد أن يكون المحتج عليهم أسعفوا المحتجين بالمصل وإجبار الصائم على تناول الطعام عنوة.

جاءت الخطوة في أي حال تتدرج تحت بند عمل الممكن. ومن المؤكد انها كانت ستثمر أكثر لو أن لبنان المعارض شارك لبنان الحكومة في خطوة الإعتصام، وأن الجانبين إستأجرا طائرتين من «طيران الشرق الأوسط» الشركة اللبنانية على حساب المشاركين وليس من بند المبالغ التي إنهالت من دول صديقة وأشخاص أصحاب نخوة لمساعدة لبنان على مواجهة المحنة التي أصابته، وطافا بهما على العواصم العربية ومن دون التوقف في المحطة الإجبارية: مطار عمان.

وفي أي حال الخطوة ليست جديدة على الحياة السياسية اللبنانية وبالذات في زمن الأزمات الخطيرة. ونستحضر ونحن نقول ذلك دوافع إعتصام موسى الصدر يوم الجمعة 27 يونيو (حزيران) 1975 إحتجاجاً على إستشراء العنف وعمليات القتل على الهوية والإحراق المتواصل إلى جانب النهب وفي ظل عناد لا مثيل له من جانب الأحزاب والقوى السياسية. ويومها ودع القطب السياسي الديني الشيعي موسى الصدر والدته وزوجته وأولاده وإعتصم في المسجد «حتى الشهادة أو حتى تعود البلاد إلى طبيعتها». وقد إنضم إليه العشرات من السياسيين ورجال الدين قبل أن ينهي إعتصامه الذي دام ثمانية أيام من دون تحقيق مطالبه، لبدأ بعد ذلك القطب السياسي السني رشيد كرامي يوم الثلاثاء 28 أكتوبر (تشرين الأول) 1975 إعتصاماً في السراي الحكومي مع عدد من وزراء حكومته إحتجاجاً على إستمرار العنف والإقتتال قبل زمناك من وزير الخارجية الأميركي هنري كيسينجر بإطراء مشابه لإطراءات الوزيرة الحالية كونداليزا رايس للنجم السياسي المساعد فؤاد السنيورة.

من مفارقات الأقدار الحزينة أن موسى الصدر غُيب بعد ذلك وما زال مصيره بين الحياة والفناء.. الله أعلم. وأن رشيد كرامي غُيب هو الآخر في عملية إغتيال له بتفجير «هليكوبتر» كانت تنقله جواً تقادياً لمكروهات التنقل البري المحفوف بمخاطر الإقتتال. وكلاهما إعتبر أن نيل المطالب ليس بالضرورة أخذه غلاباً، وأن حديد العنف يمكن فله بالإعتصام وبنهج المهاتما غاندي في تصدي المستضعفين (بفتح العين) للمستضعفين (بكسرها). كتب الله للثنائي الرئاسي نبيه بري وفؤاد السنيورة السلامة.. وجنبهما سوء مصير النغييب.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 7 سبتمبر (أيلول) 2006

* * *

مع ذكرى جديدة لليوم الوطني: عبك الذكرى من ذكرى المؤسس

وجدت نفسي وأنا أتأمل في المشهد العربي - الإسلامي، والقلق السعودي المتواصل إزاء ما يفعله

المجتمع الدولي ومعه إسرائيل، بالأمميتين إستحضر بمناسبة ذكرى سنة جديدة لليوم الوطني السعودي ملاحظات ووقائع عن عصر الملك عبد العزيز دُونتها في مناسبات عدة من خلال قراءات أو خواطر تاريخية سمعناها في مجلس الأمير سلمان بن عبد العزيز، وفي مجالس بعض كرام القوم في المملكة وخارجها من بينهم الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري والشيخ ناصر المنقور، ومن خلال مؤلفات ودراسات بينها واحد لخير الدين الزركلي، فضلاً عن إستعادة كتابات ونصوص خُطب نشرتها صحف، وسطور في وثائق إهتم بنشرها الصديقان الأستاذان محمد حسنين هيكل ونجدة فتحي صفوت. وهذه مواقف وإضاءات وآراء الملك عبد العزيز، الذي عاش بطلاً ورحل قدوة حاملاً في جسده إلى مثواه الأخير 43 ندية وأثر جرح ناشئة عن مئة معركة خاضها من أجل التوحيد ومسجلاً في التاريخ المخضرم للأمة أنه آخر قادتها التاريخيين الذي قاتل بشرف، وعفا عند المقدرة وأثبت إمكانية التوحيد وعامل الرعية من منطلق توظيف السلطة بهدف جمع الكلمة، وإعتبر أن ثروة الإنسان القائد هي في سلوكه وفي عدله وليست في تكديس المال، بدليل أن بعض جلساء ديوانه يروون أنه عندما لقي وجه ربه كان يملك ثلاثمئة جنيه ذهباً وأنه لم يورث أحداً من الأبناء والزوجات شيئاً وأن ملابسه بيعت في السوق وأدخلت بيت مال المسلمين. كما أن الرواة يروون عنه قوله حول أنه كثير العطاء قليل الإقتصاد: «إن الله عودني عادة أن يتفضل عليّ وعودتُ عباده عادة أن أوسع عليهم، فأخاف أن اقطع عادتي فيقطع الله عادته عني، وأنا لن أبني قصراً ولن أشتري مزرعة. كل ما يرد أنفقه على المسلمين وهذا حق لهم...».

ومن المهم بالنسبة إلى هذه النقطة بالذات الإشارة إلى أن رَغَدَ العيش لا يستوي مع الدور الذي يقوم به القائد التاريخي، بدليل الفرق الشاسع بين الملك عبد العزيز الذي إختار بساطة العيش وبين عيش أصحاب عروش أخرى من بينها على سبيل المثال الملك فاروق في مصر ورجال البلاطين العراقي والإيراني. وقد نجد من يقول ان ظروف العسر في زمن الملك عبد العزيز فرضت مثل هذا العيش البسيط الذي نشير إليه. لكن المتأمل مثل حالي في طريقة تعامله مع الناس ومواقفه من القضايا الخاصة والعامة على حد

سواء وأقواله في بعض المناسبات بما يدعم هذه المواقف ويؤكدها، يستنتج أن الرجل ينتسب إلى مجتمع القادة التاريخيين المستندين إلى الحكمة في ما يفعلون العاملين لأخريتهم وبذلك يعيشون أبداً نقيض الذين يعملون لدنياهم فتطوى صفحة حضورهم برحيلهم إلى دنيا الآخرة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن الملك عبد العزيز بعدما لاحظ وجود عمال يقومون بترميمات في قصر الحكم وكانت الدنيا رمضان والحر شديداً طلب من رئيس العمال ان يعمل هؤلاء أربع ساعات فقط وفي أول النهار درءاً لحرارة الجو متعهداً بدفع اجرهم كاملاً عن بقية الساعات التي كانوا يقضونها في العمل. وكانت حيثية بادرته تتلخص في الآتي: «أنا لا أعمل بيدي وأستعمل السيارة في ذهابي إلى قصر الحكم وعودتي منه ولا أمكث هناك أكثر من أربع ساعات وأشعر مع ذلك بالعطش، وهؤلاء العمال يعملون ست ساعات ومعرضون للسموم. من الآن وصاعداً لا يعمل هؤلاء في رمضان أكثر من أربع ساعات في أول النهار وأجرهم مدفوع بالكامل...».

ولطالما استوقفني وأنا أقلب في وثائق عصر الملك عبد العزيز والمتيسر من وثائق ذلك العصر وصاياه إلى الجيل القيادي الخلف وتوضيحه لتطبيق مبدأ «وأمرهم شورى بينهم» ورؤيته للمسألة الانتخابية وأسلوب تعامله مع الإنكليز والأتراك ومفهومه لطبيعة علاقة المسلمين مع بعضهم، وصولاً إلى بعض شمائله وأسلوب حياته من حيث المأكل والمشرب ومعاملة نساء القصر. فهو بعدما استجاب للقرار الذي إتخذه خلال إجتماع في الطائف يوم 10/8/1932 بعض كبار القوم ويتضمن الرغبة في تحويل إسم «المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها» إلى إسم «المملكة العربية السعودية» ووضع نظام خاص بالحكم وتوارث العرش صدر «نظام توحيد المملكة» بالتسمية المشار إليها بعد تسعة أيام من ذلك الإجتماع، ثم إنعقد مجلس الوكلاء والشورى يوم 11/5/1933 وأبرما قراره بمبايعة كبير الأبناء الأمير سعود ولياً للعهد. وهنا نأتي إلى وصاياه إلى الخلف الأول له والتي سار عليها الآخرون، الملوك فيصل وخالد وفهد، ويعمل الملك عبد الله في هديها. ولقد تضمنت الوصية التي جاءت في صيغة برقية الآتي: «تفهم أننا نحن والناس جميعاً، ما نَعز أحداً ولا نُذل أحداً، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، من التجأ إليه

نجا، ومن اغتر بغيره (عياذ الله) وقع وهلك. موقفك اليوم غير موقفك بالأمس، ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور: أولاً - نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله. وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك. فعد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة. وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة، ولا يصح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه. ثانياً - عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية والعدل في المحب والمبغض وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً. وينبغي ألا تأخذك في الله لومة لائم. ثالثاً - عليك أن تتظر في أمر المسلمين عامة وفي أمر أسرتك خاصة. اجعل كبيرهم والداً ومتوسّطهم أخاً وصغيرهم ولداً، وهن نفسك لرضاهم وامح زلمهم وأقل عثرتهم وأنصح لهم واقض لوازهم بقدر إمكانك. فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والاخلاص في العمل فأبشر بالخير. أوصيك بعلماء المسلمين خيراً. إحرص على توقيهم ومجالستهم، وأخذ نصيحتهم. واحرص على تعليم العلم ومعرفة هذه العقيدة. إحفظ الله يحفظك. هذه مقدمة نصيحتي إليك والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذا...».

ولكم تمنينا لو أننا وجدنا في أدبيات ووثائق عصر الملك عبد العزيز ما يوضح بقية الوصايا مع الأخذ في الاعتبار أنها شفوية في معظمها وانها في أي حال تستند إلى الوصية - البرقية التي أوردنا فقرات منها والتي تندرج في ظاهرة وصايا الحكام التاريخيين لأبنائهم الورثين ومن هؤلاء الخليفة العباسي المنصور. أما بالنسبة إلى مفهوم الشورى عند الملك عبد العزيز فنلاحظه في مطالعته التي القاها أمام جمع من العلماء والاعيان بعد دخوله مكة عام 1924، والتي جاء فيها قوله: «أريد منكم أن تعينوا وقتاً تجتمع فيه نخبة من العلماء والأعيان والتجار وينتخب كل صنف من هؤلاء عدداً معيناً كما ترتضون وتقررون، وذلك بأوراق تمضونها من المجتمعين بأنهم إرتضوا أولئك نفر لإدارة مصالحهم العامة والنظر في شؤونهم. ثم يستلم هؤلاء الأشخاص زمام الأمر فيعيّنون لأنفسهم أوقاتاً يجتمعون فيها ويقررون ما فيه المصلحة للبلد. وجميع شكايات الناس ومطالبهم يجب أن يكون مرجعها هؤلاء النخبة من الناس،

ويكونون أيضاً الواسطة بين الأهلين وبينني، فهم عيون لي وأذان للناس يسمعون شكوايهم وينظرون فيها ثم يرجعونني. إنني أريد ممن سيجتمعون لإنتخاب الأشخاص المطلوبين أن يتحروا المصلحة العامة ويقدموها على كل شيء فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة، ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى. تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للإستشارة، ولكن كثيراً من تلك المجالس وهمية أكثر منها حقيقية، تشكّل ليقال إن هنالك مجالس وهيئات ويكون العمل في يد شخص واحد ويُنسب العمل إلى العموم. أما أنا فلا أريد في هذا المجلس الذي ادعوكم لإنتخابه أشكالا وأوهاما، وإنما أريد شكلاً حقيقياً يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة. لا أريد أوهاماً وإنما أريد حقائق. أريد رجالاً يعملون، فإذا إجتمع أولئك المنتخبون وأشكّل عليّ أمر من الأمور رجعت إليهم في حله وعملت بمشورتهم وتكون ذمتي سالمة من المسؤوليات. وأريد منهم أن يعملوا بما يجنون فيه المصلحة. وليس لأحد من الذين هم أطرافي سلطة عليهم ولا على غيرهم. أريد الصراحة في القول لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم: رجل كذاب يكذب عليّ عن عمد. ورجل ذو هوى. ورجل متملق. فهؤلاء أبغض الناس عندي...». انها ذكرى تحفل بالكثير.. وللحديث صلة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 23 سبتمبر (أيلول) 2006

* * *

حالة عربية: لماذا لا تفضيل للمعارضة..

من المحيط إلى الخليج؟

يبقى التواضع إزاء السلطة الرئاسية قائماً، إلى أن يتربع من يحصل عليها ويجد نفسه أنه الأمر الناهي، تمتد سلطته الى حد غزو دولة شقيقة أو فك حبل مشنقة أو إرسال شركاء أو معارضين له الى السجن، أو الدخول في محور بغرض المصلحة أو الكيدية، أو فتح الأبواب أمام إيواء معارضين غرباء يوظف «استضافتهم» في مأرب كثيرة.. هذا عدا كل صغيرة وكبيرة تتصل بالحياة اليومية للناس. ونحن إذا تأملنا

في المشهد الرئاسي العربي الذي هو جزء من المشهد الأرحب أي العالم الثالث، نجد أن القاعدة خلت من الاستثناء فلم يَفُتَح أحد من الرؤساء الجنرالات بالسنوات التي حددها الدستور ثابتاً كان هذا الدستور أو مؤقتاً، ولم يلتزم أحد بما تعهّد به بعدما بات في السلطة على خلفية قوله بأنه عندما ستستقر الأمور سيسلم الأمانة إلى أهل السياسة، مكتفياً بأنه «صَحَّح» أو «أنقذ» أو «انصف» أو «حرر».. الخ. وحتى في لبنان الدولة التي لها دستور ثابت نجد أن مسألة التمسك ما أمكن بالرئاسة، وعلى حساب ثوابت الحوار الدستورية شملت بعض أهل السياسة من المدنيين والجنرالين اللذين غادرا الثكنة وغرضهما «تأديب» السياسيين، فإذا بهما يسعيان إلى البقاء الطويل في السلطة. وهذان الجنرالان هما قائد الجيش في الخمسينيات اللواء فؤاد شهاب، الذي كان لن يُغفَّ عن الرئاسة ولاية ثانية لو تأمّن له سند سوري مثل الذي ناله الرئيس الحالي العماد اميل لحود قائد الجيش، وكان ناله من قبل الرئيس المدني الياس الهراوي الذي لولا الوجود السوري، لكان أصابه ما أصاب الرئيس الأول للبنان المستقل بشارة الخوري، فإنتهى نادماً على أنه إرتضى التجديد الذي اخذ من رصيد دوره الوطني السابق. ويصعب على المرء مثل حالنا الإفتراض بأن متعة تمديد الولاية الرئاسية وبموجب تعديل دستوري للرئيس لحود تستحق مرارة هذا الذي يتعرض له يومياً من كلام في منتهى الخشونة، لكنه مع ذلك متمسك بالسلطة حتى الثانية الأخيرة من المدة المحددة.

وحتى بعد تعرّض الهيبة الرئاسية الى صدمة بالغة القساوة كتلك التي أصابت الرئيس جمال عبد الناصر يوم 5 يونيو (حزيران) 1967، نجد أن الرئيس لا يتيح المجال لغيره وإن كانت الرواية الهيكلية تفيد أن عبد الناصر كان قرر بعد كارثة إنفصال سوريا عن مصر ترك منصب الرئاسة والعمل في صفوف الشعب. لكن الذي حدث هو أنه لم يترك وإنما خاض حرب اليمن لتثبيت الانقلاب الذي قام به عدد من الضباط برئاسة العقيد عبد الله السلال، وفي ظنه أنه بهذا الدور يحتوي الصدمة السورية، مع أن الذي حدث هو أن إسرائيل إستغلت الإنشغال المصري السياسي والعسكري باليمن، ووجدت فيه خير مناسبة لتوجيه الضربة اللاحقة ضد مصر الناصرية يوم 5 يونيو 1967. وكان الإعتقاد

السائد أن عبد الناصر سيتمسك بإعلانه من على شاشة التلفزيون وعبر الإذاعات المصرية يوم 9 يونيو قرار التنحي، إلا أنه عاد في اليوم التالي عن القرار تجاوباً مع «الارادة الشعبية» المتمثلة بمسيرات جابت شوارع القاهرة وتشبه في بعض منطلقاتها تلك التي جابت شوارع العاصمة اليمنية يوم 20 يونيو (حزيران) 2006 رافعة صور الرئيس علي عبدالله صالح، تطالبه بإعادة ترشيح نفسه لولاية رئاسية جديدة تمتد الى العام 2013، وجاءت رداً على إعلان الرئيس يوم 17 يوليو (تموز) 2006 انه لن يعيد ترشيح نفسه بعد إنتهاء ولايته مكثفياً بالثمانية والعشرين عاماً التي أمضاها رئيساً للبلاد.

وهنا يستوقفنا ما حدث في الجلسة التي عقدها الحزب الحاكم يوم الأربعاء 21 يونيو (حزيران)، وكيف أن هذه الخطوة أيقظت في الذاكرة ما فعله (الإتحاد الاشتراكي) الحزب الحاكم في مصر لمجرد إعلان عبد الناصر عزمه على التنحي يوم 9 يونيو 1967. ففي الجلسة المشار إليها أوضح الرئيس علي عبدالله صالح للقياديين في حزبه، أنه سيعلن خلال الجلسة في اليوم التالي قراراً نهائياً في موضوع ترشيح نفسه وطلب منهم عدم تسيير التظاهرات الشعبية الحزبية في الوقت نفسه مختصراً الرأي بأن قضية الترشيح للرئاسة «ينبغي أن لا تحدث من خلال التظاهرات». لكن حالة من الهرج سادت أجواء الاجتماع فغادر القاعة ثم عاد ليخاطب المؤتمر الحزبي قائلاً «إن السلطة مَغْرَم وليست مغنماً وسنضعها أمام شعبنا ليتحمل مسؤوليته في إطار التبادل السلمي للسلطة. لقد إنتهى عهد الانقلابات والمؤامرات والإستقواء بالخارج. لنحتكم جميعاً الى الشعب. فالحديث عن السلطة ليس مسرحية سياسية أو غزلاً سياسياً وأردت أن أضع الشعب اليمني أمام مسؤولية تاريخية بكل فئاته وقواه السياسية. وهذه ليست مسرحية أبداً، وحسمها ينبغي ألا يكون عبر التظاهرات والمسيرات. أنا لست مريضاً ولست عاجزاً عن تحمّل المسؤولية وعندما أتحدث معكم عن عدم رغبتني في الترشيح فذلك ليس مسرحية سياسية، بل من منطلق المسؤولية. ولقد أبلغتُ إلى الأمين العام للمؤتمر وحذرتُ من أي مسرحية سياسية...».

جاء قرار الرئيس علي عبدالله صالح في توقيت مدروس. فليس في الساحة اليمنية فرسان للمنازلة.

وساعد ترحيب الرئيس السابق لليمن الديمقراطي علي ناصر محمد وبعض السياسيين الجنوبيين من المعارضين على نشوء عصبية في الصف الشمالي، وذلك مع ذبوع تكهنات بأن علي ناصر محمد يمكن أن يكون الرئيس الخلف عملاً بمبدأ التداول السلمي للسلطة، فضلاً عن أن اليمن التي توحدت تتيح للجنوبي كما للشمال التروؤس. بل أن علي ناصر ذهب بعيداً في الترحيب حيث أنه دعا يوم 22 يونيو خلال رعايته في بيروت ندوة عن قضايا الإصلاح والتنمية في اليمن الرئيس علي صالح إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية «لتهيئة الساحة السياسية اليمنية لإنتخابات حرة ونزيهة...» الخ.

وهنا بدأت ملامح ضعف الرئيس أمام مناشدات إتسمت بعض مفرداتها بـ «التوسل»، فقال مازجاً بين العزوف وبين التذكير بالإنجازات التي يستحق بسببها تجديد الرئاسة: «أنا لست تاكسي يستأجرني (حزب المؤتمر) أو القوى السياسية الأخرى لصالحها لكي أُلْقها إلى الفنادق. أنا أرى مصالح الأمة التي وثقت بي منذ 28 عاماً. أنا لست مظلة لفساد حزب سياسي أو قوى معيّنة ولست مظلة لأن يفسدوا على حساب سمعة علي عبد الله صالح وجهده وعرقه وسهره ليل نهار على مصالح هذه الأمة لا على مصالحه. أنا لم أحبس ولم أعدم أحداً ولم استخدم القوة ضد أحد، وأنا صاحب الشعار (الذي يستخدم القوة هو الجبان). وبعد الإنقلاب الذي قام به الناصريون عام 1979 تم إعدام 22 من المسؤولين عنه بموجب أحكام شرعية، إلا أنني قمت بإلغاء بعضها...».

يوم السبت 24 يونيو 2006 وعلى وقع مسيرة مليونية كتلك التي شهدتها شوارع بيروت في ظروف تجمع المأساة والتحدي، وقف الرئيس علي عبدالله صالح خطيباً في الجمع الغفير الذي تجمهر بالقرب من قصر الرئاسة قائلاً: «إنني أستجيب لمطالب جماهير الشعب التي جاءت مدفوعة بإرادتها وأتراجع عن قراري رصوخاً لإرادة الشعب. سأكون جندياً معكم كما عرفتموني. ان المستقبل لن يكون مفروشاً بالورود على الإطلاق، وهناك حاجة ملحة إلى تضافر الجهود للعبور بالسفينة إلى شاطئ الأمان...».

بعد ذلك رشّح الرئيس علي عبدالله صالح نفسه لولاية رئاسية جديدة مدتها سبع سنوات. وكان يأمل أن

من غازي القصيبي إلى زيد بن رعد: ضحايا المناكفة العربية الخشنة

قُضي الأمر الذي عليه غردت دولة قطر خارج السرب العربي، فلم تَوازِر ابن أمتها الأمير زيد بن رعد في معركة الحصول على منصب الأمين العام للأمم المتحدة، مفضّلة عليه الكوري الجنوبي بان كي مون، وذلك في مرحلة عمليات التصويت الانتخابية للدول الأعضاء في مجلس الأمن. ولقد صادف الإعلان عن التوصية الرسمية لمجلس الأمن بإختيار وزير الخارجية الكوري ليكون أميناً عاماً في اليوم نفسه (الإثنين 9 - 10 - 2006) للإعلان الرسمي من جانب كوريا الشمالية عن إجراء تجربتها النووية تحت الأرض غير مبالية بالنصائح التي جاءت في صيغة تحذيرات وتلويحات بالعقوبات. وهكذا يكون يوم الإثنين 9 أكتوبر 2006 هو يوم كوري على المستوى العالمي وبطبعين: واحدة سياسية دبلوماسية ارادتها أميركا البوشية من نصيب كوريا الجنوبية، وإلاّ فما هو مبرر تفضيل قطر للصديق الكوري البعيد على حساب الشقيق الأردني القريب.. هذا إذا اعتبرنا وجود صداقة قُطرية - كورية جنوبية وهو أمر غير ملحوظ من جانبنا كإعلاميين مهتمين بما يحدث في العالم من القطب إلى القطب.

وفي معرض التوضيح لإعلان الصيغة الرسمية لإختيار الأمين العام الجديد للأمم المتحدة الذي سيخلف مع مطلع العام 2007 الأمين العام الحالي كوفي أنان، قال مندوب اليابان لدى الأمم المتحدة كينزو أوشيما الذي يترأس المجلس، إن التوصية بإنتخاب بان كي مون قُدمت رسمياً للدول الـ 192 الأعضاء في الجمعية العامة بحسب ما ينص عليه ميثاق المنظمة الدولية - وبذلك إنسحب المرشحون الستة الآخرون، ومن بينهم المخدول العربي من قطر الأمير زيد بن رعد مندوب الأردن لدى الأمم المتحدة. وعدم تصويت دولة قطر العضو الحالي في مجلس الأمن لمصلحة الأمير زيد كان تصرفاً غير مستحب لعدة إعتبارات من بينها أن الرجل عربي، وأنه مرشح الجامعة العربية بما يعني أنه مرشح كل الدول الأعضاء. ومن الإعتبارات أيضاً أنه مسلم، وبات مطلوباً وبالذات في هذا الزمن الذي يواجه فيه الإسلام سهاماً من كل صوب أن يترأس الأمانة

يكون رئيس تركية لكن أحزاب المعارضة رشحت الإسلامي الجذور الحزبية وزير النفط السابق المستقل فيصل بن شملان للرئاسة. وكان ترشيح شخص آخر وصاحب سمعة طيبة مثل بن شملان بمثابة إختبار لقدرة المواطن اليمني على الإختيار: إما للرئيس الذي حقق الوحدة وأتاح الفرصة أمام إنتساب قريب لليمن إلى مجلس التعاون الخليجي وصديق إستراتيجي لأميركا، وإما للوزير السابق بن شملان ابن الثانية والسبعين الذي يحظى باحترام واسع وخاصة في المحافظات الجنوبية بسبب مواقفه المعلنة ضد الفساد الحكومي، ولأنه كان بعد تعيينه وزيراً للنفط في الدولة الموحدة عام 1944 إستقال بعد عام من تعيينه احتجاجاً على استتراء الفساد في القطاع النفطي.

عشية الإنتخاب الذي جرى يوم الأربعاء 20 سبتمبر (أيلول) 2006 في حضور 349 مراقباً أوروبياً ودولياً وعربياً وجّه علي عبدالله صالح سهماً جارحاً إلى بن شملان من أقوى المنافسين الأربعة عارضاً على الجمهور صورة حارس لبن شملان، موضحاً أنه إرهابي ومتهم بالتخطيط لضرب أهداف أميركية وفندق «موفنبيك» الذي يملكه رجل الأعمال السعودي الأمير الوليد بن طلال. وعشية الإنتخاب طمأن بن شملان جمهوره المعارض بأنه سيفوز بنسبة سبعين في المئة، وسيهزم علي عبدالله صالح المترئس منذ 28 سنة.

وجاءت نتائج الفرز للعملية الانتخابية الحرة والهادئة تشير إلى أن السبعين بالمئة حصل عليها علي عبدالله صالح وليس فيصل بن شملان، وتطرح حقيقة كثيرة الوضوح وهي أنه لا تفضيل من جانب المواطن للمعارضة من المحيط الى الخليج. وهذه حالات معظم الرئاسة العربية وبالذات مصر والسودان وتونس، تؤكد ذلك حيث أن الرأي العام يفضل ما هو قائم على ما هو آت... ربما لأن المعارضة العربية تفتقر إلى مصداقية من واجبها تأمين الحصول عليها قبل خوض السباق وربما لأن الرئيس المرشح يخوض المعركة، وهو في سدة الرئاسة وبطبيعة الحال فإنه يصبح الفائز سلفاً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 5 أكتوبر (ت) 2006

* * *

العامة للأمم المتحدة أحد أبناء أمة المليار ونصف المليار من دون أن يعني كلامنا هذا أن الدكتور بطرس غالي عندما ترأس الأمانة العامة من العام 1991 إلى العام 1996، لم يكن يمثل هذه الأمة. فهو ابن الدولة العربية الكبرى مصر وكونه مسيحياً ومن المنظرين لعملية السلام وفق رؤية الرئيس الراحل أنور السادات وإتفاقيه «كامب ديفيد» لا يلغي حقيقة انه يمثل الأمتين العربية والإسلامية.

وإلى ذلك أن الأمير زيد من النخبة العربية ذات الثقافة العالية والخبرة الدبلوماسية، وأنه من العائلة المالكة.. وهو أمر له إعتباره في محيط العائلات الحاكمة في دول الخليج وفي الأردن والمملكة المغربية.

قد تكون هنالك حساسيات غير ظاهرة بين المملكة الأردنية ودولة قطر، أو بين المملكة ووزير خارجية قطر الشيخ حمد بن جاسم. لكن مثل هذه الحساسيات لا تجيز للوزير القطري أن ينشط لمصلحة مرشح كوريا الجنوبية ضد ابن الأمتين الأمير زيد بن رعد. وحتى التبرير الذي خلاصته أن الشيخ حمد كان وعد كوريا الجنوبية بالتصويت لمصلحة مرشحها لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة وزير الخارجية بان كي مون، لا يبدو مقنعاً، ذلك أن هذا الوعد بإفترض حدوثه يتراجع أمام بروز المرشح الأردني، وإعتباره مرشح الجامعة العربية. وفي هذه الحال فإن إعتذار قطر لكوريا الجنوبية عن تغيير رأيها كان سيبدو مقبولاً وموضوعياً. وعندما لم تفعل قطر، فهذا يعني أن المسألة هي الإصرار على عدم تمكين المرشح الأردني من الفوز.

هذا التصرف تحوّل إلى أزمة دبلوماسية بين دولتين شقيقتين وصلت إلى حد أن الأردن إستدعى سفيره من الدوحة، فضلاً عن إدراج بعض المفردات الحادة في سياق التعبير الأردني عن الإنزعاج مما حدث.

ومع ان هذا التصرف ليس جديداً على الحياة السياسية العربية، حيث سبق أن قطعت مصر قبل أربع سنوات الطريق على الدكتور غازي القصيبي (الوزير السعودي الحالي) اليسير فوزه بمنصب مدير اليونيسكو، وذلك بعدم سحب المرشح المصري العسير وصوله، وبذلك غدت الساحة لمصلحة المرشح الياباني تويشيرو ماتسورا، إلا أن الواقعة التي نشير إليها تبقى في بعض جوانبها تدرج تحت بند المناكفة البسيطة، وليس بند المناكفة الخشنة على نحو ما فعلت قطر مع الأردن.

في أي حال لا بد من ضوابط في العمل العربي المشترك، ومن بينها انه عندما يكون للجامعة العربية مرشح يمثل كل الدول الأعضاء لمنصب دولي، أن يكون هنالك إلتزام من كل الدول هذه ليس فقط بالتصويت له من جانب من يملكون التصويت، وإنما العمل بإخلاص لتأمين فوزه بالمنصب. ومن هنا فإننا عندما نتأمل في ما فعلته قطر لا نملك سوى الإستغراب.. بل الإستهجان.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 21 أكتوبر (ت1) 2006

* * *

نكهة جديدة للتعامل البريطاني مع لبنان

حطت الرحال في بيروت دبلوماسية بريطانية، تتحدث العربية التي تعلّمتها في دمشق وعززتها خلال عملها سفيرة لبلادها لدى اليمن، وبذلك لن يكون من العسير عليها عندما ستلتقي ذات يوم بالأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، الخوض معه في النقاط الشائكة من المعضلة اللبنانية.

الدبلوماسية البريطانية التي ربما قد تكون متأثرة بتجربة «لورانس العرب» مع زعامات في المنطقة، قبل أكثر من نصف قرن، هي السفيرة فرانسيس غاي التي تتسلم المنصب خلفاً لزميلها جايمس واط، الذي كان سفير طوني بلير أكثر مما هو سفير المملكة المتحدة، ولذا فإن حضوره في المجتمع السياسي اللبناني كان دون حجم بلاده. ومثلما أن السفيرة جاءت إلى بيروت، وقد إستوعبت الهموم الإسلامية بشكل جيد خلال ترؤسها «مجموعة التواصل مع العالم الإسلامي»، في وزارة الخارجية البريطانية، وهو المنصب الذي تسلمته في الفترة بين عملها سفيرة لدى اليمن وتعيينها سفيرة لدى لبنان، فإن زميلها جايمس واط الذي جرى تعيينه سفيراً لدى الأردن، سيعيش على الطبيعة الهموم الإسلامية بمنظور ديني وسياسي، كون المملكة الأردنية هي الأرض التي يتفاعل الدين فيها مع السياسة، شأنها في ذلك شأن مصر.

جاءت السفيرة فرانسيس غاي، في وقت كان بدأ شهر الصوم الحافل بالإفطارات الرمضانية، كمناسبات

إجتماعية رسمية وغير رسمية. وغالب الاعتقاد أن هذه التقارير ستحفز السفارة في شهر رمضان المقبل على أن تقيم سلسلة من الإفطارات، من شأنها أن تهدئ من روع قلوب المسلمين في لبنان المملأ بالعتب على بريطانيا، ليس فقط لأنها لا تمارس الدور التصحيحي في الموضوع الفلسطيني الذي تنعكس تداعياته بشكل حاد على الوضع اللبناني، وإنما لأنها خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان على مدى ثلاثة وثلاثين يوماً، اتخذت موقفاً ظالماً وإلى درجة أن حكومة طوني بلير، ظهرت كما لو أنها الصدى لإدارة الرئيس جورج بوش. مع أن بريطانيا تعرف خصوصية المنطقة أكثر من أميركا، وإن الذي يعرف يصبح مسؤولاً وموضع مساءلة، إن هو لم يتصرف بموضوعية. وإلى ذلك، تضاعف العتب، كون «تقرير وزارة الخارجية البريطانية لحقوق الإنسان للعام 2006» الذي تزامن إصداره مع وصول السفارة إلى بيروت لم يكن محايداً، بل نكاد نقول أنه يتسم بشيء من الإنحياز، كونه لم يذكر العدوان الإسرائيلي على لبنان مكثفاً بالتدديد بحزب الله مبدياً القلق الكثير من دعم سورية للحزب، مشيراً إلى «دور حزب الله في إنفجار العنف مع إسرائيل، بسبب إختطاف جنديين إسرائيليين، وإطلاق صواريخ على المدن الإسرائيلية...». وكان لهذه الفقرة من التقرير أن تبدو متوازنة، لو أن فقرة أخرى بعدد الكلمات نفسها، أشارت إلى حجم التدمير الذي شهدت معظم دول العالم بفظاعته وإستهداف عشرات البلدات والقرى والأطفال والمسنين والحقول الخضراء والبساتين المثمرة على أنواعها، إلى جانب محطات الكهرباء والجسور وأحياء في الضاحية الجنوبية من العاصمة بيروت. ومن الشهود على فظاعة التدمير الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان ومئات المسؤولين العرب والأجانب الذين جالوا في الضاحية وزاروا المناطق المعتدى عليها. وكان حرياً بالسفير المغادر، أن يتفقد ويرى هو الآخر، علّه برسالة يبعث بها إلى الخارجية البريطانية، لا تغفل هذه في تقريرها ما أغفلته. وحيث أن الدمار ما زال على حاله، وما زال الزوار يتوافدون، فإن ما لم يفعله السفير واط، يمكن أن تقوم به السفارة فرانسيس غاي، خصوصاً أنها أوحث من خلال عبارة خجولة، وردت في تصريح لها قبل أيام من وصولها إلى بيروت، بما يجعل المرء يفترض ذلك. وفي التصريح أشارت إلى تخريجه لحل

إشكاليين غير محسوم امرهما بما فيه الكفاية. الأول يتعلق بالموقف من رئيس الجمهورية اللبنانية إميل لحود، الرئيس العربي الوحيد المقاطع سياسياً ودبلوماسياً من أميركا وبريطانيا وفرنسا، حيث لا يُزار ولا يُستشار، على نحو ما يتصرفه وزراء ومبعوثو وسفراء الدول الثلاث، مع رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحكومة فؤاد السنيورة، وبعض الوزراء ورؤساء الكتل النيابية، وأبرزهم وليد جنبلاط وسعد الدين الحريري. وفي هذا الصدد، تشير السفارة إلى نكهة جديدة في سياسة التعامل، تبدو متأثرة بروحية اللورد كارادون في صياغته لقرار مجلس الأمن 242 قبل 39 سنة. فهي تقول: «من غير العملي عدم التعاطي مع الرئيس اللبناني إميل لحود على رغم أن سياستنا حتى الآن، كانت عدم الإتصال به بشكل منتظم، وإنني سأقَدِّم أوراق إعتماذي له وواصل الإتصال به...». كما تشير إلى نكهة جديدة في سياسة التعامل مع «حزب الله» قائلة في هذا الصدد: «قانونياً نعتبر «حزب الله» منظمة ارهابية، ولكننا نعترف بأن لدى ذراعه السياسية دوراً مهماً في الساحة السياسية اللبنانية...». وما يمكن فهمه من هذه التخريجة أن الإتصال بلحود سيكون على أساس رسمي خال من أي دفع سياسي، كذلك الدفع الذي تتسم به الإتصالات الدائمة برئيس الحكومة والقُطبين السياسيين وليد جنبلاط وسعد الدين الحريري. أما الإتصال بحزب الله ففي الجانب السياسي منه. وهنا نستحضر التخريجة الكارادونية المتمثلة بذكر كلمة «أراضٍ» بدل «الأراضي» المطلوب من إسرائيل الإنسحاب منها بعدما كانت احتلتها يوم 5 يونيو 1967.

هنا نشير إلى أن الإتصالات التي ستجريها السفارة وفي ضوء النظرة التي تستند إلى النكهة المستحدثة في تعامل بريطانيا مع الحالتين المشار إليهما، حالة الرئيس المقاطع من سفراء ثلاث دول كبرى وحالة «حزب الله» المقاطع أيضاً والذي هو الرقم الأصعب في المعادلة اللبنانية، من شأنها فتح نوافذ أمام تهوية للوضع اللبناني الخانق، خصوصاً بعدما بات هنالك إجماع عربي تشجعه المملكة العربية السعودية، وترى أنه غير متقاطع مع علاقات الصداقة مع الدول الثلاث، بضرورة الإنفتاح على جميع رموز الصراع في الموضوع اللبناني. ومن خلال التأمل في يوميات هذا الصراع ومنذ إغتيال رئيس الحكومة الأسبق رفيق الحريري، نجد أن العقدتين

ملتقى النكيات: «المصري - الروسي» و«السوداني - الصيني»

في يوم واحد، حدثت مصادفة لافتة، وهي أن رئيسي وادي النيل بفرعيه المصري والسوداني، توجّها مدفوعين بمشاعر النكاية، بالصادق الأميركي، كل بطائره الخاصة، ومعه أعضاء الوفد المرافق إلى عاصمتي الدولتين، المؤمل منهما كبح جماح التلاعب الأميركي ببلديهما، مع ان الرئيسين، وهما حسني مبارك وعمر البشير، يريدان وبكل الحرص السياسي بناء أفضل العلاقة مع المتلاعب الأميركي. الرئيس مبارك توجه إلى موسكو يوم الأربعاء 1 - 11 - 2006 في زيارة تستغرق ثلاثة أيام، هي الثالثة له في فترة ولايته الرئاسية المديدة، بعد الزيارة الأولى عام 2001، والثانية عام 2004، رد عليهما الرئيس فلاديمير بوتين بزيارة مصر عام 2005، نافخاً بذلك بعض الأوكسجين، في روح العلاقة بين بلدين وضعاً في الزمن الغابر حجر الأساس لحالة غير مسبقة في العلاقات الدولية، استطاع الكرملين الماركسي - اللينيني - الخروشوفي، بفضلها أن يغسل متى أراد اقدامه المتجمدة في مياه البحرين الأحمر والأبيض المتوسط الدافئة. ثم جاء الرئيس أنور السادات، يضرب القوة العظمى السوفياتية ويصيب منها مقتلًا معنوياً، ثم طرداً عملياً خارج المنطقة في زمن آخر القياصرة البلشفيك ليونيد بريجنيف. وكانت تلك صفة على الرأس السوفياتي الأحمر، أصابته بدوار ما لبث أن ترنّج بعده لتبدأ مرحلة التساقط.

في اليوم نفسه الأربعاء 1 - 11 - 2006 كان الطرف الآخر من الوادي، متمثلاً بالرئيس السوداني عمر حسن البشير، المتقل بخيبة الأمل من إدارة الرئيس بوش صديقة السودان الانتقالي، كما هو المفترض حدوثه يتوجه إلى بكين، في زيارة تستغرق ستة أيام، متأبطاً ملف قضية دارفور التي غدت شوكة في الخاصرة «الإنقاذية»، توجع وتُدمي وتُتيح المجال أمام حالات مضافة من التأزم في العلاقة السودانية مع المجتمع الدولي، من النوع الذي حدث مع الأمم المتحدة عندما قرر الرئيس البشير يوم الأحد 22 - 10 - 2006 في لحظة إنزعاج من سلوك المبعوث الدولي إلى السودان الهولندي يان برونك طرده من البلاد، بعدما

الصعبين، تتمثلان في حالة رئيس الجمهورية إميل لحود الذي لم تحقق مقاطعته سوى المزيد من التعقيد في الموقف العام، وحالة «حزب الله» الذي لم تجن الدول الثلاث من المقاطعة، سوى الكثير من إنشغال البال.

وما دامت السفارة فرانسيس غاي، آتية بالروحية التي ظهرت واضحة في مفردات كلامها، فإن المأمول منها تدشين النوعية الجديدة من التعامل مع الحالتين العقدتين. وهي إذا فعلت ذلك، فإن زميلها الأميركي والفرنسي قد يلحقان بها، وبذلك يصبح الحضور الدبلوماسي البريطاني في لبنان فاعلاً أي ليس، من حيث التشبيه، «لايت» مثل السجائر الخالية من «النيكوتين» والحليب الخالي الدسم مئة بالمئة، كما لا يعود مجرد حضور إجتماعي، وتسجيل المزيد من التمنيات للبنان بالتعافي من المحنة التي ما زال يكتوي بسعيرها. وكأننا مهمة الدبلوماسي البريطاني هي مثل مهمة رجل الدين الذي يتم استدعاؤه إلى سرير المريض في المستشفى، بعدما تكون ساءت كثيراً حالة هذا المريض. وهذه التمنيات برع فيها السفير جايمس واط الذي لا تشاركه النخبة اللبنانية المحايدة التي نحن فيها رأيها، بأن الرئيس طوني بلير «سياسي واقعي ويتمتع بخبرة كبيرة، وكان يعمل أكثر من أي شخص آخر، من أجل وضع حد سريع للحرب الإسرائيلية غير المرغوب فيها وغير الضرورية»، لأنه لو كان كذلك لما جرى صديقه الرئيس بوش في إعطاء المزيد من الوقت للمعتدي الإسرائيلي، من أجل مواصلة التدمير. لكن النخبة اللبنانية، تشارك السفير الذي بات موقعه على مسافة أربعين دقيقة بالطائرة من لبنان تشبيهه ببيروت بأنها ولندن «مدينتان شقيقتان كلاهما مفتوح وديناميكي».

عسى ولعل تعمل السفارة فرانسيس غاي بما يجعل المنارة الأوروبية الكبرى لندن المضيفة في استمرار حريصة على إستعادة المنارة العربية الصغرى ببيروت إضاءتها في المنطقة والخروج من هذه العتمة التي تنتشر الإحباط في النفوس. وبذلك تكون المدينتان شقيقتين بالفعل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 2 نوفمبر (ت) 2006

ذهب هذا الأخير أبعد بكثير مما هو ضمن واجبه كممثل للأمين العام، وذلك عندما نشر على موقع خاص به على «الإنترنت» معلومات مفادها بأن حكومة السودان لا تتفّذ إتفاق السلام الخاص بدارفور، وأن متمردى دارفور هزموا الجيش السوداني في معركتين كبيرتين خلال شهري أغسطس وسبتمبر 2006، كما أن الحكومة أقال جنرالات، وأن معنويات الجيش النظامي منهارة، والجنود يرفضون القتال في دارفور.

وبصرف النظر عن صحة هذه المعلومات أو عدم صحتها، فإن المبعوث الدولي كان من حقه إرسالها ضمن تقرير سري إلى رئيسه كوفي أنان، إنما ليس ترويجها بواسطة «الإنترنت»، وبحيث بات في إستطاعة أي كان الدخول على الموقع آل «برونكي» والإطلاع على ما ينشره صاحبه عليه.

من هنا جاء الإنزعاج البشيري في محله، وجاء ردّاً بصيغة التعميم.. أي بما معناه ان الرئيس لم يطلب من الخارجية ان تحتج لدى الأمين العام كوفي أنان على سلوك مبعوثه، وتبلغه بضرورة تغيير هذا «المبعوث المتجني»، وإنما قرر اعتماد صيغة الإشهار حيث أصدرت الخارجية بياناً، يطلب من برونك مغادرة الأراضي السودانية في غضون 72 ساعة. وهو ما حدث بالفعل للمبعوث الدولي البالغ 66 من العمر، والمصنّف في نظر البشير، أنه مثل المنظمة الدولية العامل معها، ومثل الأمين العام لهذه المنظمة كوفي أنان عبارة عن أجرام تدور في الفلك الأميركي.

في الصين وجد البشير ترحيباً مماثلاً للترحيب الذي وجده مبارك في موسكو. فقد تفهّم الزعماء الصينيون إنزعاجه من السلوك الأميركي - البريطاني، ومعه سلوك الأمم المتحدة إزاء قضية دارفور. ووجد هؤلاء في إطلالة الرئيس السوداني عليهم في هذه المرحلة، نوعاً من المساندة لطموحهم النفطي والإقتصادي والإستثماري في السودان، واستحضروا لهذه المناسبة محطتين بالعتي الأهمية في موقف السودان من الصين، تتمثلان بحُكم جنرالين سابقين: حُكم الجنرال عبود عندما قاد لدى الدول الأفريقية حملة الإعراف بالصين في الخمسينات، وحُكم الجنرال جعفر نميري الذي وضع في زيارته إلى الصين عام 1985 - وكانت آخر زيارة رسمية له قبل إسقاطه - الحجر الأساس لعلاقة راسخة الجذور مع الصين، تقوم على أرضية النكاية بالإتحاد السوفياتي

الذي وقف مع جماعة «يوليو» ضد جماعة «مايو»، أي مع الشيوعيين الذين حاولوا قلب حكم نميري. وتلك رواية طويلة متعددة الفصول. ويومها أي في عهد الجنرال الأول ثم الجنرال الثاني، لم يكن السودان دخل النادي النفطي، وكان ما زال يوهب البراميل التي بالكاد تقي الإستهلاك المحلي من أصدقاء السودان ومحبيه والحاديين عليه.. وبالذات من المملكة العربية السعودية. أما الآن فإن السودان هو أرض الطفرة النفطية الثانية في العصر الحديث، وساحة الصراع الأميركي - الصيني، وليس مأمولاً فوز الصين بهذا الصراع على رغم الإرتياح الشعبي السوداني من سياستها وعدم تدخّلها في الشؤون الداخلية، وذلك لأن نصف السودان الانتقالي أي الفريق الجنوبي مع أميركا وبريطانيا من دون تحفّظ، ولأن النصف الإنقاذي مؤرّع الهوى بين ربع متأمرّك بشيء من التخفي وربع يحاول ممارسة بعض فنون التكتكة السياسية من خلال تعزيز خطوط الإتصال مع إيران أحياناً ومع الصين، كما توضح الزيارة التي قام بها البشير رئيس «القارة السابعة» أي السودان إلى «القارة السادسة» أي الصين.

بالنسبة إلى الرئيس مبارك، قد يكون مردود زيارته إلى موسكو، وفيراً على الصعيد الإقتصادي، حيث ستقدم الحكومة المصرية لرجال الأعمال الروس، منطقة إقتصادية حرة، ليتمكنوا من العمل فيها بتسهيلات معيّنة وتطوير مختلف أنواع الإنتاج، بما في ذلك صناعات الأدوية والنفط والغاز وغيرها، وكذلك على الصعيد النووي. فالرئيس المصري يتطلع إلى خاتمة مشكّية لرئاسته المديدة، لا يجد لدى الصديق الأميركي ما يؤكد مساندة لها. بل يجوز القول ان مبارك، يريد إنجازاً نووياً مماثلاً للإنجاز الإيراني، ولا يرى الامكانية متاحة سوى من روسيا، لأن الصديق الأميركي يُكثر من الوعود لكنه ينقض العهود. ولماذا لا نفترض ان الرئيس مبارك في مبتغاه النووي هذا، يقتبس من الرئيس الأسبق عبد الناصر سياسة النكاية التي اعتمدها في الخمسينيات، عندما تراجع الأميركيان عن مشروع تمويل السد العالي، فطرق الباب الروسي، ووجدَ الجواب الوافي الذي أفرج قلبه، من دون أن يدري أن هذا الترحيب الفوري بالطلب الناصري، سيضع مصر والمنطقة في مهب صراع مستمر الحلقات إلى الآن. وهذا التطلع من جانب مبارك يفسر لنا حرصه على أن يقول في لقاء مع

مندوبي صحف روسية قبل يومين من زيارة موسكو «ان بوتين ملم جيداً بالوضع في روسيا والعالم، ويفهم كل شيء. أن دستوركم الذي لا يسمح بولائتين رئاسيتين مستوحى من الأميركيان. انكم تنتقدون الأميركيان لكنكم تقلدونهم. إحزموا أمركم. ان روسيا بحاجة إلى بوتين، فليبق...». وجاء هذا الكلام الذي نفته الرئاسة المصرية لاحقاً، بعدما كان بوتين الذي تنتهي ولايته الرئاسية الثانية والأخيرة عام 2008 قرر أن الدستور لا يسمح له بالترشح لولاية ثالثة على التوالي، مقترحاً في الوقت نفسه أن يستمر في الإضطلاع بدور مؤثر في روسيا بعد إنتهاء ولايته. أما لماذا هذا «التدخل الطيب النية» من جانب مبارك الذي بدأت ولايته الرئاسية الرابعة، قبل أشهر في الشأن الروسي، فلأنه يرى أن ما يتطلع إليه قد يتحقق في حال بقي بوتين رئيساً، فضلاً عن أن هذا الأخير شغوف بالنكايات خصوصاً إذا هي أنته من صديق لأميركا مثل الرئيس مبارك، الذي قال رداً على ترحيب بوتين به في الكرملين: «كنا دائماً نرغب في تطوير علاقاتنا مع روسيا». أما الترحيب البوتيني فتتمثل بقول «القيصر» الروسي المفعم شباباً وحيوية مخاطباً مبارك: «اننا حقيقة سعداء بزيارة أصدقائنا القدامى لروسيا. ان مصر شريك تقليدي وقريب جداً...». وهو، أي بوتين، شغفه بالنكايات، يلتقي مع شغف القيادة الصينية الشابة التي تدهن أميركا ظاهرياً، إلا أنها في الكواليس السياسية، تشجع كل رئيس دولة في أوروبا مثل جاك شيراك، وفي العام الثالث، مثل عمر حسن البشير يداوي ضيقه من السلوك الأميركي بزيارات وتصريحات وأجراءات تتسم بالنكايه.. وكل حسب طريقته ووفق مزاجه.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 9 نوفمبر (ت) 2006

أميركا بعد العراق: رؤوس أينعت وحان قطافها

اسقط العناد السلوك البوشي، بل يجوز القول ان جورج بوش الابن هذا الرئيس المكابر سقط بالضربة

العراقية التي هي مثل الضربة القاضية من حيث المفعول. ولا تخفف من وطأة هذه الضربة ان الرئيس المكابر قدّم إلى الشعب الأمريكي وشعوب العالم المتضررة من السياسة الأميركية خروفيه المدلل المتسلط دونالد رامسفيلد ذبيحة رئاسية يظن من خلال دمه المعنوي البارد المراق على جوانب «البنّاغون» ان سمعة البيت الأبيض ستكون في السنتين المتبقيتين من الولاية الرئاسية البوشية الثانية افضل، ذلك أن حال الرئيس بوش بعد الآن ليست افضل، من حال الرئيس اللبناني إميل لحود الذي لا يقل عن زميله الأميركي عناداً وتشبثاً بما هو ليس منطقياً.

لقد قيل الكثير للرئيس بوش قبل أن يغزو العراق بأن الحل من خلال الغزو لن يفيد وسينشأ عن ذلك بغض عربي وإسلامي للسياسة الأميركية لا مثيل له، لكنه مع ذلك اصر وجعل من الحل العسكري كارثة على الشعب العراقي ومعضلة للمجتمع الدولي وإرتباكاً لأصدقاء أميركا في المنطقة وكابوساً للمجتمع الأميركي. وهو لو اصغى بعقل مفتوح للناصحين وبالذات للملك عبد الله بن عبد العزيز يوم كان ما زال ولياً للعهد وللرئيس حسني مبارك ولرئيس الوزراء رفيق الحريري لكان وفر على رئاسته سمعة سيئة اصابتها ووفر على الألوف من أبناء الشعب الأميركي الذين رماهم جنوداً يحاربون في العراق مصير القتل والإنتحار والإعاقة، كما أنه كان وفر على عشرات الألوف من أبناء الشعب العراقي الولايات المستمرة إلى الآن حيث مسلسل القتل والتفجير والإغتيال والتمثيل بالبحث والخطف يحدث يومياً.

ومع ان النصائح لم تتوقف حتى بعدما غاصت أميركا في المستنقع العراقي، إلا أن الرئيس بوش بقي على مكابرتة يصغي فقط لنائبه ديك تشيني ولوزير دفاعه دونالد رامسفيلد ولبعض كواسر الإدارة البوشية الذين تتعموا وجنوا الثروات من الحرب على العراق على نحو ما حصل عليه كواسر الوجود السوري في التسعينيات في لبنان وكواسر الوجود المصري في الستينيات في اليمن. وهو بدل أن يتخذ خطوات في إتجاه تصحيح الوضع نراه يمعن عناداً ويزداد مكابرة إلى درجة إفراغ القضاء العراقي من إستقلالية يحتاج إليها لتأكيد مصداقيته والإبتهاج بإصدار المحكمة العراقية قبل ساعات من الإنتخابات الأميركية الحكم بالإعدام على الرئيس صدام حسين على أساس أن هذا الحكم

ورقة يستعملها لتأكيد نجاحاته في العراق الغارق في بحر الدماء نتيجة الغزو الأميركي له وما إستتبع الغزو من تداعيات.

وعلى الرغم من أهمية الخطوة المتمثلة بالإقالة التكريمية لفظاً لرمز الإخفاق الأميركي في العراق ونعني به وزير الحرب دونالد رامسفيلد، فإن هذه الخطوة المماثلة لخطوة الرئيس عبد الناصر في يوليو (تموز) 1967 بالإقالة التكريمية لرامسفيلد الزمن الناصري المشير عبد الحكيم عامر، ربما كانت ستقيد في تقليل حجم الهزيمة لو أن إستبدال رامسفيلد بوزير مخابراتي الباع هو روبرت غيتس حدث قبل شهر من الانتخابات لأن الإستبدال في هذه الحال كان سيطفئ بعض الشيء لظى الأطياف الأميركية الغاضبة على الإدارة البوشية مواصلتها رمي الأبناء في الأتون العراقي. لكن الرئيس بوش لم يفعل ذلك لأنه ربما لا يستطيع، أو فلنقل ان اطراءاته الكثيرة في الماضي لدونالد رامسفيلد وبالذات بعد اتساع انتقادات الجنرالات السابقين له تجعل من قرار الإستبدال امراً مثيراً للتعجب، اذ كيف بهذه السرعة يتحول الاعجاب إلى قرار بالإستبدال.

وفي أي حال ان رأس رامسفيلد ليس الوحيد وليس الأخير الذي اينع وحن قطافه. فهناك لكي تمضي الشهور المتبقية من الولاية الرئاسية البوشية الثانية على سلامة بقية الرؤوس أمثال وولفويتز وجون بولتون الذي أضر في أروقة الأمم المتحدة أكثر مما افاد، كما هنالك دوغلاس فايت وكروسمان واليوت ابرامس وعشرات من فراخ الكواسر المتصهينين الذين توزعوا على مفاصل القرار في الخارجية وفي وزارة الدفاع وفي الأجهزة الامنية ونجحوا في اسوداد السمعة الأميركية وثني سيد البيت الأبيض وسمرائه كوندوليزا عن الصعود إلى قارب النجاة الذي رماه إلى أميركا والمجتمع الأوروبي الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم كان ما زال ولياً للعهد ثم حافظ عليه، بعدما تسلّم دفة القيادة ملكاً، كمبادرة حظيت بالإجماع العربي لأن طارحها ومبتكر مضمونها هو عبد الله بن عبد العزيز بما يمثله من قيم وحرص على الثوابت والأمانة الوطنية والقومية. وكان من شأن الأخذ بهذه المبادرة وعدم الإكثار من التكاذب في شأن التعامل معها ان تُبرّد نار الإرهاب وتُطمئن المشككين في النوايا الأميركية وتُنتهي بالنتي هي احسن المأساة العراقية وتكبح الشر الصهيوني في اتجاه لبنان وفلسطين، وتحمل أهل

الحكم الإيراني على أن يستديروا نوياً... أي بالعربي الفصيح والفارسي الأوضح تجعل من الإدارة البوشية رمزاً للزعامة التاريخية التي لا يجتاحها الحزب الديمقراطي بأهون السبل وعن طريق الاخطاء المتراكمة والناشئة عن المكابرة والعناد والاستخفاف بالحقائق والثوابت التي تعني الكثير للآخرين.

بعد الذي حدث لا مجال أمام الرئيس بوش الابن سوى مداواة الجرح قبل نهاية ديسمبر (كانون الأول) المقبل بخطوة صادمة تقيده وإن هي جاءت متأخرة لأنه في النهاية ما زال يملك رسمياً السلطة في «الكونغرس الجمهوري» كون «الكونغرس الديمقراطي» لن يتسلم رسمياً قبل بدء العام 2007. وهذه الخطوة التي من شأنها أن تغسل آثام الحرب على العراق وموبقات التأييد المطلق لإسرائيل وسقطات اللسان حول الإسلام والإرهاب وحماقات مملأة العدوان الإسرائيلي على لبنان وإعتبار عدوان اولمرت ومن قبل ذلك عدوان شارون على الفلسطينيين حقاً مشروعاً ودفاعاً عن النفس، هي في إعلان مفاجئ بأنه إتكل على الله وأعلن رسمياً قيام الدولتين المتجاورتين المتعايشتين: دولة إسرائيل ودولة فلسطين. وهو إذا أعلن ذلك سيربك الديمقراطي المبتهج بالفوز والعربي المكسور الخاطر ويحقق الأمان للإسرائيلي. وفي هذه الحال سيدخل التاريخ من بوابة الجمهوري المهزوم والديمقراطي المنتصر وينقذ عشرات الرؤوس التي أينعت وحن قطافها في الإدارة البوشية العنيدة... وعلى نحو موسم القطاف المستمر في بلاد الرافدين.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 14 نوفمبر (ت) 2006

أيهما أهون الحزبين للعرب والمسلمين؟

كثيرة الدلائل التي تشير إلى أن الحزب الديمقراطي، هو الذي سيحكم في الولايات المتحدة بعد إنصراف الإدارة البوشية التي ألحقت بالعرب والمسلمين ديناً وشعوباً وتقاليد ومتاحف ونفطاً أدى لا مثيل له. وتلك فرصة ربما تكون لمصلحة المتضررين على أساس أن الديمقراطيين ليسوا على الإرتهان الذي هم عليه الجمهوريون لإسرائيل، فضلاً عن أن للديمقراطيين ثأراً

على اللوبي الصهيوني، لأنه صوب في إنتخابات العام 2000 أصوات يهود ولاية فلوريدا، لمصلحة جورج بوش الابن، وبذلك سقط المرشح الديمقراطي جون كيري الذي كان فوزه مضموناً لترؤس أميركا. ونشير هنا إلى أن هذا الأخير كان أعلن فوزه ثم اقتحمت الموقف لعبة إعادة فرز الأصوات، وتأجل لذلك إعلان النتائج رسمياً لمدة شهر تمت خلاله، على ما يجوز الإفتراض، الصفقة بين الحزب الجمهوري واللوبي الصهيوني، والذي بمقتضاه ملاً بوش الابن إدارته بعناصر متصهينة، وتبنّى من دون أي تحفظات مخطط أرييل شارون، كما أنه لا يفي بوعوده للأصدقاء العرب والمسلمين في شأن مواقف إرتضوها على مضض، ومنها خارطة الطريق والدولة الفلسطينية التي تملك مقومات العيش إلى جانب الدولة الإسرائيلية، مكرراً في كل مرة تعتي إسرائيل على الشعب الفلسطيني إسطوانة: «حق إسرائيل في الدفاع عن النفس». وهي إسطوانة ممجوجة، من المؤسف أن البعض أخذها على أنها مجرد كلام للإستهلاك اليهودي، وأن حقيقة الشعور مختلفة، لكن الوقائع والتصريحات أثبتت أنها ليست مختلفة على الإطلاق. وإلى ذلك، هنالك زلات اللسان التي تبين أنها إنعكاس لمواقف الإدارة الجمهورية التي لم تحترم عهداً مع العرب والمسلمين. ثم هنالك أيضاً كارثة العراق التي إقترفتها الإدارة الجمهورية ووضعت المنطقة على حافة الإحتراب الأهلي.

كانت الحقبة الجمهورية ظالمة إلى أبعد الحدود في حق العرب والمسلمين، ولذا فمن الطبيعي، عندما تتواری هذه الحقبة، ان نشعر بأن كابوساً أزيح عن صدورنا، وان المأساة العراقية كانت الرافعة لهذا الكابوس، مع تسجيل حزننا البالغ لما ابتلي به اخواننا أبناء الشعب العراقي الأبوي. ونقول ان المأساة كانت الرافعة، لأن الحزب الديمقراطي لم يجد أفضل من التورط الجمهوري في العراق لمقارعة الإدارة البوشية. هذا إلى جانب اتساع رقعة الفساد وكثرة عدد الفاسدين والمفسدين في هذه الإدارة. وربما كان من المستحيل، لولا تداعيات الحرب على العراق ان يستطيع الحزب الديمقراطي تحقيق الإنتصار الذي حققه في الإنتخابات النصفية للكونغرس. وهو إنتصار لن يكتمل، إلا بعد أن ينتزع الديمقراطيون من الجمهوريين البيت الأبيض بعد حوالي سنتين، أي بما معناه يفوز هؤلاء في إنتخابات الرئاسة الأميركية. ومن الآن وحتى ذلك اليوم، سيبدأ الديمقراطيون فتح ملفات الحقبة البوشية مع

التركيز على قضية اساسية متصلة بالحرب على العراق، وهي: كيف يجوز من أجل إثراء بضع شركات تربطها علاقة مالية ببعض كواسر الإدارة الجمهورية مثل ديك تشيني ودونالد رامسفيلد التسبب بموت بضعة الوف من الجنود الأميركيين وبإعاقة الوف آخرين سيتحولون عبئاً مالياً مدى الحياة على الخزينة الأميركية؟ وزيادة في التوضيح يمكن لهؤلاء الديمقراطيون القول بعد الآن وهم يفتحون الملفات البوشية: هل من المسؤولية النظيفية في شيء لكي يجني بعض كواسر الإدارة الجمهورية مئتي مليار دولار، التسبب بتكاليف حرب على العراق، وصلت حتى الآن إلى حوالي ستمئة مليار دولار، هي في الواقع عجز في الخزينة، ليس من السهل تخفيضه؟

ما يعيننا من هذا كله هو الأمل في أن تتصفنا الإدارة الأميركية الديمقراطية، المتوقعة بعد سنتين، من الأذى البالغ الذي ألحقته بنا الإدارة الجمهورية التي بدأت شمسها في الغياب. ومع أن تجربة العرب والمسلمين مع الإدارة الديمقراطية أيام الرئيس جيمي كارتر، لم تكن زاهية نتيجة أن الرئيس كارتر الذي ما زال على قيد الحياة خطف من الأمتين مصر، وورطها في صلح مع إسرائيل، أخذ من بريق الدولة العربية الأكبر ودورها ووزنها كرقم صعب في المعادلة الإقليمية، ومن دون أي مردود لصالح القضية الفلسطينية وقضية السلام عموماً في المنطقة. إلا أن الديمقراطيون يبقون أفضل من الجمهوريين بالنسبة إلى قضايا تخص الأمتين، ذلك انهم في الدرجة الأولى لا يحبذون خوض الحروب نقيض الجمهوريين الذين هم من هواة التعامل مع الآخرين عن طريق الحرب. بدليل أن بوش الابن كما بوش الأب هما رمزا حربيين على المنطقة، كانتا على درجة من الإفتعال والتجني، وإستهدفنا العراق لأنه بلد غني ومن شأن بعض غنائه إنعاش شركات معينة في أميركا. كما أن الديمقراطيون في الموضوع الفلسطيني ليسوا بالفظاظة التي عليها الحزب الجمهوري. ولذا فإن تنشيط العلاقة مع الديمقراطيون تبدو ضرورية ومن قبل أن يتسلموا دفة البيت الأبيض كي لا ينطبق علينا المثل الشعبي حول الذين يذهبون إلى الحج، بعد أن يكون موسم الفريضة إنتهى. ولقد تصوّرنا ان الإدارة البوشية يمكن كبادرة حُسن نية ان تغتتم مناسبة التصويت على مشروع قرار حول مجزرة «بيت حانون» في قطاع غزة حرصت الدبلوماسية العربية بالإجماع على أن يكون متوازناً، وبأكثر مما يجب من أجل المصادقة عليه ونجاته

من «الفيتو» الأميركي، لكن الإدارة الصديقة وهي المهزومة إستعملت حق النقض لأن مشروع القرار يدين إسرائيل. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، وإنما أُنشِجَ الرئيس بوش التصرف غير العاقل بحفاوة ملحوظة برئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت الذي هو رمز خيبة الأمل العربية والإسلامية بالإدارة البوشية. وقد يكون الدافع إلى هذه الحفاوة أن الرئيس بوش في أزمة ناشئة عن الإخفاق في العراق والهزيمة في الانتخابات النصفية للكونغرس أمام الديمقراطيين التي هي من نوع الهزيمة التي مُني بها أولمرت في لبنان أمام «حزب الله»، وأن الإثنى يريدان في لقائهما موساة بعضهما أو تقييم تجربة الوقفة غير الموفقة للإدارة البوشية مع إسرائيل، أو ربما البحث في صيغة ما لإعادة الاعتبار إلى الطرفين المهزومين، كأن يتم توجيه ضربة لإيران قبل إنتهاء ولاية «الكونغرس الجمهوري» أواخر ديسمبر (كانون الأول) المقبل. وهذه المرة، ترى الإدارة البوشية في حال كان لا بد من الضربة أن تكون طבעاً جديدة من العدوان الثلاثي الذي إستهدف مصر عبد الناصر عام 1956، وتتعاون أميركا وبريطانيا وإسرائيل على توجيه الضربة إلى إيران متدعة مجتمعة، أو كل دولة بذريعة تخصها، بأن لا إستقرار ولا حلول لقضايا المنطقة ما دامت إيران ماضية في إنجاز طموحها النووي، وما دام رئيسها محمود أحمدني نجاد يرى بأسلوب المستنقز والمتحدي، بينما أولمرت في رحاب البيت الأبيض يُجري محادثات مع الرئيس بوش «إن القوى العظمى أوجدت النظام الصهيوني لبسط هيمنتها على المنطقة. وبما أن هذا النظام مخالف للطبيعة فسنشهد قريباً زواله...»، ومن هذا الإحتمال يمكن قراءة كلام الشمامسة ببوش من جانب مرشد الثورة الإيرانية خامنئي، الذي اعتبر هزيمة بوش نصراً لإيران، ثم قراءة كلام الرئيس بوش بعد لقائه مع أولمرت، بأنه لن يتصل بالحكم الإيراني قبل تخليه عن طموحاته النووية، كما لن يفتح حواراً مع الحكم السوري إلا «في سياق سياسة سورية مسؤولة في لبنان والعراق». كذلك يمكن إفتراض إحتمال العدوان الثلاثي من خلال قول أولمرت بعد اللقاء مع بوش «إن إسرائيل لن تسمح بإمتلاك إيران السلاح النووي، وأمل ألا نضطر إلى توجيه ضربة إستباقية إلى إيران...».

وإحتمال العدوان الثلاثي مرتبط في أي حال بالترميم الذي قد يلجأ إليه الرئيس بوش للأشهر المتبقية من ولايته، بحيث أنه إذا أبقى على ديك تشيني نائباً له، وأبقى تبعاً

لذلك على عشرات العناصر الموزعة على مفاصل البيت الأبيض ومؤسسات الحكم والذين يدينون بالولاء لكواسر الحقبة الجمهورية، فإن العدوان وارد وبذلك سيحول دون إنخفاض كبير في أسعار النفط. أما إذا هو ابرم إتفاق مشاركة في القرار، يدفع الكواسر ثمنها بمعنى تغييرهم بأشخاص جدد يرتاح لهم الديمقراطيون، فإن فكرة العدوان في هذه الحال تتراجع، لأن الديمقراطيين الذين فازوا في الإنتخابات، بسبب معارضتهم التورط في العراق، ووقفوا بشدة أمام استشرء الفساد وكثرة الفاسدين والمفسدين الذين جنوا ثروات من رفع أسعار النفط على حساب المستهلك، لا يمكن أن يتصرفوا على أساس انهم ضد التورط في العراق، لكنهم مع التورط في عدوان على إيران أو حتى على سوريا وإيران معاً، من أجل تلبية مطالب الإسرائيليين. وفي أي حال تبدو الدول النفطية مضطرة لاستباق نواباً صاعق، يشير إلى عودة ثمن برميل النفط بعد شهرين إلى ما دون الخمسين دولاراً.

نخلص إلى القول إن أهون الحزبين (الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي) الأقرب إلينا، كعرب ومسلمين، هو الحزب الديمقراطي، كونه خطافاً كما فعل كارتر الذي خطف مصر من امتها، وليس عدوانياً على نحو ما يفعل بوش الابن بعد بوش الأب بنا. وفي ضوء ذلك فمن مصلحة أصحاب الطموحات الإسلامية، ونعني بهم على وجه الخصوص أهل الحكم الإيراني أن يساعدوا لبنان وفلسطين والعراق ويطمئنوا الجيران الخليجيين، وذلك بإعادة نظر في السلوك والخطاب.. ويجربوا كما بعض العرب، العهد الآتي في أميركا على يدي أهون الحزبين.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 18 نوفمبر (ت) 2006

* * *

إغتيال بيار الجميل: قرار صعب وخيار أصعب ومصير أكثر صعوبة

لا مجال للتظاهر بعد إغتيال بيار الجميل الحفيد، الذي يخطو منذ سنتين على طريق إحياء مجد لم يقطفه جده، أحد مؤسسي حزب الكتائب اللبنانية، ولم ينعم به عمه الشيخ بشير الجميل، الذي قضى في تقجير سبق تسلمه

سُدَّة الرئاسة في لبنان ببضعة أيام، ولم يهنأ ما فيه الكفاية والده الرئيس الأسبق الشيخ امين الجميل، العائد قبل أيام من زيارته الكردستانية، التي لا تقسيرات لدواعيها وظروفها. فقد قضى هذا السياسي الواعد الشاب المتقد حماساً، في حادثة نشير التعجب والتساؤلات، ذلك انها على طريقة جماعات «المافيا» الإيطالية، التي على ما يبدو وجدت في لبنان من يستسخها ويتقن أصولها. ولماذا التظاهر على النحو الذي كثرت التخمينات في شأن طبيعته؟ فإذا كان لإسقاط حكومة أبدت كل الإستعداد لاحتواء الأزمة، فإن الحكومة سقطت عملياً مضرجة بدماء اصغر الوزراء سناً والماروني بامتياز، وفي منطقة ليس فيها تجمعات شيعية أو مسلمة عموماً. ولعل الفعل التدميري الحاذق في ابتكار الخطط رأى انه إذا كان من الصعب إسقاط الحكومة بالتظاهر فليتم إنجاز ذلك بإغتيال وزير ماروني بالذات، وفي منطقة مسيحية، وليكن ذلك عشية إحياء ذكرى عيد الإستقلال، الذي هو منذ ربع قرن، أي الإستقلال، مجرد إسم ما دام ليس هنالك إستقلال ومستقلون، بدليل أن كل بيداق لعبة الشطرنج ينتمون إلى الخارج المجاور والخارج البعيد والخارج الأبعد. لقد أصاب العقيد القذافي هذه المرة في تشخيص الحالة قبل يومين، بتصريح ينتسب إلى القول الشائع: وراء الأكمة ما وراءها.

بعد إغتيال بيار الجميل الحفيد، الذي يمثل جيل الشباب الماروني في الحكومة، يجد «حزب الله» أو بالأحرى سيجد نفسه أمام قرار صعب وخيار أصعب. وهو لكي يحض أي إشارات أو إيماءات بأنه، كرمز لأشرس عملية تحد في تاريخ المناكفات والصراعات، لا بد من خطوة نوعية في إتجاه تخفيض سريع لمنسوب التعبئة، التي وصلت إلى حد أن «الماراثون»، الذي هو كفكرة وتعبئة وكتنظيم وكثافة بشرية من صنع «حزب الله»، وأن الآخرين، بمن فيهم الحلفاء الموارنة وبعض الأطياف السنية والدرزية، لا يشكلون عُشر هذا التجمع المحتمل، يجب أن يتحول إلى مجرد وفد مصغر يحظى بمباركة السيد حسن نصر الله، ويشارك في إمتصاص الغضب المسيحي، فضلاً عن كفكفة دموع عائلة الجميل، التي تبدو أقدارها قريبة الشبه بأقدار عائلة كينيدي في أميركا. ومثل هذا القرار صعب، بل وبالغ الصعوبة على «حزب الله»، لأنه سيجرده من قدرته على التعبئة وتوظيف تعقيدات للموقف، لا تتوفر دائماً. أما الخيار الأصعب فهو أن يبادر إلى الدعوة إلى مؤتمر مصالحة وطنية تشكل بديلاً لما تكاثر الأخذ والرد

في شأنه، ونعني به «حكومة الوحدة الوطنية». يبقى أن بين يدي رئيس الجمهورية إميل لحود ورقة توحيد الصف الماروني، إذا هو بادر واستقال، وبين يدي الجنرال ميشال عون الطامح إلى الخلافة إذا هو بادر وإستدار، وبين يدي رئيس الكنيسة المارونية البطريرك صغبر إذا هو إستضاف قمة في الصرح البطريركي، تجمع كل أطياف الصف الماروني المتبعثر، وبين يدي رئيس مجلس النواب إذا هو عاجل الوضع بجلسة للمجلس يتم خلالها الإتفاق على رئيس جديد للجمهورية، وإبلاغ الأمم المتحدة، إعتبار محكمة العدل الدولية مطلباً يريده كل لبنان، وكذلك إبلاغ القيادة السعودية أن لبنان إتفاق الطائف هو لبنان الذي لا لبنان سواه.

يبقى أيضاً أن هذا الهدر للوقت وهذا التلاعب بالمصير وهذا الإستسهال للتصفيات، من شأنه أن يقود البلد إلى حالة لا بد منها في ساعات الشدة، وهي أن تتقدم قيادة الجيش إلى الساحة وتحقق حلاً من خلال فض الاشتباك بين ثيران الحلبة، أي الإنقلاب المبعوض المحلّ قسراً... وعلى طريقة الإنقلاب الموريتاني قبل بضعة أشهر، يسكت خلالها المتلاعبون من أهل السياسة عن الكلام غير المباح وغير المستحب قوله، ولا تعود مسدسات القنلة تواصل استهداف آخرين في قائمة قتل إنها طويلة... وكان القول مؤكداً بدليل إغتيال بيار الجميل الحفيد، وفي عصر نهار كانت شمس على أهبة الغياب إستعداداً لأطوار شمس نهار إستقلالي يثير الدهشة، كونه قائماً على أرضية لا مثل لها من التنافر و«الإحتلالات» الصغيرة ذات الطابع الفولكلوري.

وفي حال بات الحل الانقلابي أمراً لا بد منه، فإن المصير يصبح أكثر صعوبة. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 22 نوفمبر (ت) 2006

* * *

ضجيج في قلب بيروت..

وصلاة هادئة في المسجد الأزرق

في الوقت الذي صدر البلاغ رقم واحد محدداً ساعة نزول لبنان المعترض إلى قلب بيروت للتظاهر والإعتصام، وطرح مطالب ليس هذا وقتها ولا هذه

ضرورتها، كانت اسطنبول التي لها في الذاكرة اللبنانية محطات يشبه بعضها ما هو حاصل اليوم من حيث الإنقسام اللبناني بين طرف يفضل السلطنة وآخر يرى الحل في المجتمع الأوروبي الذي كان زمنذاك أكثر أهمية من الولايات المتحدة في الزمن الراهن، تشهد لحظة لافتة وذات دلالات.

الفرق بين خطوة لبنان المعترض والخطوة التي حدثت في المسجد الأزرق في إسطنبول أن الأولى عبارة عن ضجيج لا نتصور مردوداً إيجابياً له لمصلحة الوطن، وقد تنعكس سلباً على إستحقاقات إيجابية كثيرة من بينها مؤتمر باريس - 3 الذي سيستفيد منه لبنان من جنوبه إلى شماله إلى بقاعه إلى جيله الحالي في قلب بيروت فضلاً عن نجدات كثيرة تشبه في بعض مقتضياتها نجدة دول النفط العربي الأساسية خلال القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم صيف 1967 لإزالة آثار العدوان على مصر وسوريا والأردن، بينما الثانية خطوة ستندرج في التاريخ على أنها مؤشر إلى الحكمة والموضوعية والتعقل والنأي عن الإنفعال والرغبة في التشفي. وتفاصيل الخطوة أن رئيس الحكومة التركية رجب طيّب أردوغان إغتتم زيارة رئيس الكنيسة الكاثوليكية إلى تركيا فأدخل تعديلاً جذرياً على برنامجه فلا يسافر في زيارة مقررة ويبقى في البلاد من أجل أن يكون على رأس مستقبله البابا بندكت السادس عشر الذي إنتهت زيارته يوم نزول لبنان المعترض إلى قلب بيروت الجمعة 1-12-2006 رداً على نزول سابق للبنان المصاب بفقدان بعض رموزه السياسية الواعدة. وكأنما الأمور تعالج بالتحديات في صيغة التظاهر، أو كأنما قلب بيروت يتحمل كل هذه الأثقال عليه.

والذي أرادته الحكومة التركية من تصرّفه هو مداواة الجرح الناشئ عن كلام سابق لرئيس الكنيسة الكاثوليكية كاد يتسبب بجولات من أعمال العنف المسيحي - الإسلامي لولا أن البابا بندكت السادس عشر أوضح على التو النوايا الطيبة مع حرص ملحوظ على أن يكون التوضيح أمام سفراء الدول الإسلامية والجالية الإسلامية في إيطاليا، ومع ذلك كان لا بد، بلغة الطب، من عملية تجميل للجرح الذي أوقفت التوضيحات البابوية نزفه لكن الندوب الناشئة عن الجرح بقيت وتحتاج إلى تجميل من أجل أن تستقيم العلاقة المسيحية - الإسلامية. وجاءت زيارة البابا بندكت

السادس عشر إلى تركيا على وقع صيحات الإعتراض من جانب شرائح في المجتمع التركي ما زالت تصريحات البابا حول الإسلام والنبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ماثلة في خواطرهم، تشكّل المناسبة الأفضل للتجميل المشار إليه. لكن ذلك لا يتحقق إلا بمساندة من نوع مساندة أردوغان الذي يتّأسس أهم حزب إسلامي في تركيا والذي يوظف الحنكة و«الكاريزما» اللتين أوصلته إلى قمة الزعامة لمصلحة تطوير جمهور الحزب وبحيث لا يستفز هذا الحزب بطروحاته الإسلامية الشرائح والأحزاب العلمانية الكثيرة في تركيا، وكذلك الحؤول دون أي خطوات إنفعالية يمكن أن تؤثر على سعي تركيا للانضمام إلى الإتحاد الأوروبي وهو إنضمام سيحقق لها نقلة نوعية في الحضور الأوروبي والدولي تشبه النقلة التي كانت مرتجاة من رئيس وزراء لبنان الراحل رفيق الحريري والتي ما زالت هدفاً لرفيقه فؤاد السنيورة رئيس الحكومة اللبنانية المنقوصة التمثيل لجهة الطائفة الشيعية بعد إستقالة وزراء «حزب الله» و«أمل» ومنها هذا الإهتمام العربي والدولي بلبنان ومنها أيضاً «مؤتمر باريس - 3» الذي من شأنه التأسيس للكثير من الخطوات التي تضع كل لبنان على طريق الإزدهار شرط أن يكون هنالك إستقرار.

جاء التصرف الحكيم من جانب أردوغان بنشر التهذئة في أوساط الشعب التركي وبالذات في أوساط الشرائح الإسلامية الغاضبة التي أشرنا إليها. وجاء يلقي التقدير من جانب المجتمع الدولي الذي رأى أن الزعامة الإيجابية هي التي تتأى عن فغل الضجيج وتعتمد أسلوب التهذئة. كما جاء التصرف يحدث انطباعاً في نفس الزائر الإستثنائي البابا بندكت السادس عشر الذي رد على التحية بأحسن منها و«صلى» قبل أمس (الخميس 30-11-2006) في مسجد السليمانية الأزرق في اسطنبول متوجهاً نحو قبلة المسلمين في مكة المكرمة ووقف مصلياً معه مفتي اسطنبول مصطفى كاغريسي الذي شرح للبابا قواعد الصلاة في الإسلام.

ما فعله البابا بندكت السادس عشر في المسجد الأزرق في إسطنبول يوم الخميس 30-11-2006 سبق ان فعله البابا السلف يوحنا بولس الثاني الذي زار مسجد الامويين في دمشق عام 2001. والفرق بين الزيارتين أن تركيا الأرثوذكسية وظفت الزيارة البابوية خير توظيف وبحيث أن المردود سيكون وفيراً منها بينما سوريا الأسدية إعتبرت

إطلالة البابا الراحل عليها وزيارته المسجد الاموي لحظة سياحية. أما أهل الإعتراض في لبنان فإنهم اعتمدوا الأسلوب الذي لا جدوى منه للوطن حتى إذا كان الصوت عالياً جداً. ونقول ذلك على أساس أن فرص الإهتمام العربي والدولي قد تتطفئ جذوتها. وها هو المجتمع الذي لا يخفي قلقه مما يحدث في لبنان يوضح بأنه ليس مستعداً لكي يساعد من خلال «مؤتمر باريس- 3» لأي وضع بديل للوضع الذي يشكل فؤاد السنيورة الرمز له... وهو، أي السنيورة، طبعة قريبة الشبه من زميله رجب طيّب أردوغان مع فارق أن إستقلالية الأخير تجعله يتخذ القرار الذي يمزج بين مبدئية الثوابت ومرونة مقتضيات الحال بينما السنيورة، كما حال أطراف الإعتراض، ليس بالإستقلالية نفسها ولذا نراه لا يمارس المرونة بما كان من شأنه جعل الإعتراض لا ضرورة له أو على الأقل تخفيض منسوب الضجيج. ونقول ذلك على أساس أن التهدة هي فعل مرونيتين تلتقيان في منتصف الطريق... وهذا ما لم يحدث لكنه لا بد آت بعد أن ينصرف الجمع المعترض وتستعيد أجواء الحوار المجدي جولاتها وبسعي لا يتوقف من الذين دأبوا على تقريب المواقف أمثال السفير السعودي عبد العزيز خوجة والسفير المصري حسين ضرار اللذين كانا نجحاً في تحقيق تسعين في المئة من التوافق لكن أलगام العشرة في المئة أربكت السعي فكان النزول الإعتراضي إلى قلب بيروت في إنتظار الصعود إلى رحاب الحل... وعلى أرضية الوفاق وليس التوافق والعيش المشترك وليس التعايش والتفاهم وليس التباغض.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 2 ديسمبر (كانون الأول) 2006

* * *

الوصفة السودانية المخطوفة

بين كلمة الملك عبدالله عبد العزيز في إفتتاح القمة الخليجية السابعة والعشرين في الرياض وبمشاركة القادة الستة للمجلس وهم قلقون على الوضع في المنطقة كما لم يقلقوا من قبل، وبين كلام بطريك الطائفة المارونية في لبنان نصر الله صفير في عظته الأسبوعية في اليوم التالي، جاءت المبادرة السودانية - العربية تبعث في النفس بعض الأمل في تحقيق إنفراج في الوضع اللبناني

يمهد الطريق أمام أسلوب التهاور بديلاً لأسلوب التظاهر وإقتراف أسلوب التجريح والتخوين والتوصيف. وهذه الملاحظة بالذات هي يرسم الوزير والنائب أحمد ففتت وتشبيهاته النيرونية عند التعليق على كلام للأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله، وهي تشبيهات نحن في غنى عنها، ذلك أن المطلوب تبريد المشاعر وليس إضافة المزيد من الحطب التي تزيد النار إشتعالاً. في كلمته التي هي من نوع ما قل ودل قال الملك عبدالله «إن منطقتنا العربية محاصرة بعدد من المخاطر وكأنها خزان مليء بالبارود ينتظر شرارة لينفجر. إن قضيتنا الأساسية قضية فلسطين الغالية لا زالت بين إحتلال عدواني بغيض لا يخشى رقيباً أو حسيباً وبين مجتمع دولي ينظر إلى المأساة الدامية نظرة المتفرج، والخلاف بين الأشقاء هو الأخطر على القضية. وفي العراق الشقيق لا زال الأخ يقتل أخاه ويوشك هذا الوطن العزيز أن ينحدر من الظلام إلى الفرقة والصراع المجنون. وفي لبنان الحبيب نرى سحبا داكنة تهدد وحدة الوطن وتندثر بانزلاقه من جديد في كابوس النزاع المشؤوم بين أبناء الدولة الواحدة. وفي خليجنا هذا لا يزال عدد من القضايا معلقاً ولا يزال الغموض يلف بعض السياسات والتوجهات...».

ويلفت الإنتباه هذا التميز من جانب الملك عبدالله في العبارة المتعلقة بلبنان، حيث وصفه بأنه «البلد الحبيب» منبهاً إلى مخاطر فوضى الشوارع وإن كان تفادي التسمية مكتفياً بالإشارة إلى أنها «سحب داكنة تهدد وحدة الوطن».

وفي عظته الأسبوعية قال البطريك صفير «إن ما نشهده هذه الأيام مختلف كل الاختلاف وهو ينذر بالشر المستطير. والشاعر يقول: (وإن الحرب أولها كلام). فإذا كان ما نسمع من تراشق ملؤه الإقذاع والتحقير والتجريح فإن الحرب وشيكة الوقوع، لا سمح الله...». ويلفت الإنتباه إتساع هامش خوف البطريك صفير الذي ما زال حتى الآن يحاول قدر الإستطاعة تقريب المواقف في الصف المسيحي متحاشياً إتخاذ الوقفة الحاسمة التي في حال هو إتخاذها لكان الخوف من الشر المستطير تراجع كثيراً.

وسط هذا القلق من جانب الملك عبدالله بن عبد العزيز رمز الحرص العربي على لبنان ومن جانب البطريك صفير وهما يخشيان تداعيات السحب الداكنة

على الكيان والشعب خصوصاً أن تجارب الماضي، أو فلنقل محنة 1975 وما تلا ذلك العام من إحتراب وكوارث ودماء وفوضى كان من شأنها تهاوي الكيان، جاء المسعى السوداني المتجدد الذي كانت فرصة نجاحه واردة أكثر من السابق... لولا. وهناك حيثيات عدة للنجاح من بينها أن السودان يدرك مدى حساسية الناس من الهيمنة التي سبق أن خبرها في مرحلة من مراحل العلاقة مع مصر ويمكنه تذكير الرئيسين بشأراً الأسد ومحمود احمدي نجاد بها. كما انه لا يتطلع إلى أكثر من تقديم نجدة للبنان مستندة إلى تجربة مثالية له في مجال حل المشاكل المستعصية، أي بكلام آخر أن موقفه من لبنان ليس مثل موقف النظام السوري ولا مثل موقف النظام الإيراني، وكلاهما نظامان تربطهما بالنظام السوداني أفضل العلاقات ويتمنى لبنان الدولة ان تكون علاقتهما معه مثل تلك العلاقة المشار إليها لا أكثر.. أي التفهم الواقعي للسيادة، والتعامل على قاعدة الند للند. أما لبنان الحزب والحركة ومعهم حلفاء يتطلعون إلى أن يكون لهم حضور أو شأن من خلال المؤازرة فهؤلاء يحلقون في المدار السوري - الإيراني ولا يبدلون تبديلاً. ثم إن تجربة حل مشكلة جنوب السودان التي هي أم المشاكل المستعصية تؤهل النظام في السودان لكي يبتكر لحل الأزمة بدل الصيغة عشرات الصيغ، فضلاً عن انه صبور ولا ييأس عملاً بأنه حاصل على الثواب ما دام اجتهد وبذل من السعي ما يعكس حسن النوايا والحرص.

ومن محاسن الصدق أن المسعى حدث في ظل ترؤس السودان للقمّة العربية الدورية وإن من يتولى السعي هو الدبلوماسي المحنك مصطفى عثمان إسماعيل مستشار رئيس الجمهورية الذي منذ اللحظة الأولى أوحى بأنه في ما يقوم به هو تكليف عربي أكثر مما هو دور سوداني وإن كان التكليف المشار اليه لم يصدر في صيغة بيان من الجامعة العربية. لكن عندما يرجئ الأمين العام عمرو موسى السفر إلى نيويورك لتوديع الأمين العام كوفي انان ويعود الى بيروت عبر القاهرة من واشنطن حيث تحدث في الموضوع اللبناني مع وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، في انتظار معرفة النتائج الأولية للمبادرة السودانية من صديقه وحليفه في المداولات العربية وراء الكواليس مصطفى عثمان إسماعيل، فهذا مؤشر إلى أن المسعى السوداني هو موضع الرضى والقبول من جانب اكثرية الدول الاعضاء فضلاً عن انه موضع رضى كل الاطراف

السودانية المعارضة برموزها الأساسية السيد الصادق المهدي والدكتور حسن الترابي والسيد محمد عثمان الميرغني الذين كنا نتمنى لو يتمثلون في المسعى السوداني وإن بشكل غير رسمي جاء التمثيل، لأنهم بذلك كانوا سيؤكدون ان السودان بجناحيه الحكومي والمعارض يريدون التهذئة للبنان بجناحيه الحكومي والمعارض ايضاً. ولدى مصطفى عثمان إسماعيل ساعي التوفيق بين طرفي المبارزة في لبنان والذي هو احد قلائل بين المستشارين في الدواوين الرئاسية ودواوين الحكم عموماً الذين يستشارون من قبل الرؤساء، ويكون هنالك اصغاء لرؤاهم وتقبل لأفكارهم، من الأمثلة حول ايجابيات المرونة وسلاحيات العناد الكثير مما أمكن وضعه أمام أطراف الأزمة اللبنانية، ويكفي تدليلاً على ذلك كيف انه في مرحلة من مراحل النقابوس بين الحكومة السودانية والفريق الجنوبي المتمرد عليها ويخوض مع الجيش السوداني حرباً بالغة الشراسة. كان هنالك إصرار على ان يكون النائب الأول لرئيس الجمهورية في المرحلة الإنتقالية هو جون قرنق الذي يقود حركة التمرد وان علي عثمان طه الذي يشغل المنصب الى جانب الرئيس عمر البشير آثر، وهو الرجل الأقوى بين مدنيي «الانقاذ»، إتمام الاتفاق.. وإن كان ذلك على حسابه فارتضى إهداء المنصب إلى قرنق والبقاء بمنصب نائب رئيس الجمهورية، ومن دون ان ينال ذلك من مهابته لدى الناس وتقديرهم لخطوته، بل على العكس إن الخطوة التي تتسم بالتضحية تركت في نفوس الرأي العام الأثر الطيب وغدت امثلة من جملة امثولات يستطيع مصطفى عثمان إسماعيل إستحضارها سواء مع اخواننا اهل الحكم في سورية أو مع أطراف الصراع في لبنان... وبالذات مع صديقي السودان منذ ما قبل إغتيال الشهيد الرئيس رفيق الحريري بعدة اشهر وهما السيد حسن نصر الله الأمين العام لـ«حزب الله» الذي يحرص المبعوثون السودانيون إلى لبنان دائماً على لقياءه والسيد فؤاد السنيورة رئيس الحكومة المحاصرة من جانب جماهير «حزب الله» و«حركة امل» وبعض الأطياف المسيحية التي ترى تأجيل الإستفسار من الجنرال ميشال عون عن أمور كثيرة الى ما بعد هذه المعركة التي قضت بمحاصرة الرئيس السنيورة بالأسلوب نفسه الذي حاصر به اربيل شارون مقر الرئاسة الفلسطينية في رام الله... لكن الرئيس ياسر عرفات، وكما الآن الرئيس السنيورة حماه الله من التسميم، آثر الصمود أسيراً على «تحريره» ذليلاً.

تبقى مسألة قولنا إن فرصة نجاح المبادرة السودانية كانت واردة أكثر من السابق... لولا. والجواب عن ذلك أن المبادرة خُطفت على ما يجوز الافتراض بإيحاء من الرئيس حسني مبارك إلى ابن مصر المحروسة عمرو موسى لكي يتحرك، وذلك لأنه من غير المعقول أن يكون السودان هو المبادر لحل معضلة العصر العربي الحالي ولا تكون الدولة العربية الأكبر مصر هي المبادرة... ومن دون أن يشفع للسودان أن رئيسه عمر حسن البشير هو «رئيس كل العرب» لفترة زمنية تنتهي يوم 27 مارس المقبل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 22 ديسمبر (ك1) 2006

* * *

التشرق الأوسط

ASHARQ AL-AWSAT

جريدة العرب الدولية

المقالات من يناير 2007 إلى ديسمبر 2007



تمويد وجه لبنان



تمويد وجه لبنان... في ظلّ الوضع الاقتصادي الصعب، يبحث لبنان عن مصادر تمويد جديدة. هذا المقال يناقش التحديات التي تواجهها الحكومة في تأمين التمويل اللازم للخدمات العامة، مع التركيز على دور القطاع الخاص والمؤسسات المالية الدولية.

نيسان بوش الأب مع صدام.. ونيسان بوش الابن مع بشار



نيسان بوش الأب مع صدام.. ونيسان بوش الابن مع بشار... هذا المقال يستعرض العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وأوروبا من خلال زيارات نيسان بوش الأب وولفغانغ شتومبغ، وزير الخارجية الألماني، إلى العراق وسوريا.

كندا في موسم رد الجمال



كندا في موسم رد الجمال... هذا المقال يسلط الضوء على الدور النشط الذي تلعبه كندا في الشؤون الدولية، خاصة في سياق دعمها للقضايا الإنسانية والديمقراطية.

الغصة اللبنانية.. والإصابة السعودية



الغصة اللبنانية.. والإصابة السعودية... هذا المقال يتناول التوترات الإقليمية في الشرق الأوسط، مع التركيز على العلاقات بين لبنان وسaudi Arabia.

زيارة الملك عبد الله وواجب تصحيح الخطيئة



زيارة الملك عبد الله وواجب تصحيح الخطيئة... هذا المقال يناقش الزيارة التاريخية لملك الأردن عبد الله الثاني إلى لبنان، وما يترتب عليها من مسؤوليات سياسية.

فلسطين السعودية... أينما عن أب



فلسطين السعودية... أينما عن أب... هذا المقال يستعرض الموقف من القضية الفلسطينية في ضوء التطورات السياسية الأخيرة في المنطقة.

الخلاقيات ناصر النور وتجربته



الخلاقيات ناصر النور وتجربته... هذا المقال يسلط الضوء على التجربة السياسية لناصر النور، أحد الشخصيات البارزة في المشهد اللبناني.



لبنان العقدة والجل، لماذا لا يكون الوزير الحادي عشر الأمير الوليد؟



لبنان العقدة والجل، لماذا لا يكون الوزير الحادي عشر الأمير الوليد؟... هذا المقال يتناول التوقعات حول تشكيل الحكومة اللبنانية الجديدة.

قمة الرياض: مشهد مستحب



قمة الرياض: مشهد مستحب... هذا المقال يغطي أحداث قمة الرياض، مع التركيز على العلاقات بين الدول المشاركة.

بارجة بوش الأب... ويوم بوش الابن



بارجة بوش الأب... ويوم بوش الابن... هذا المقال يسلط الضوء على الذكرى السنوية لزيارة بوش الأب إلى العراق.

يونان: حكاية رئيس مسكون بالهرش

يونان: حكاية رئيس مسكون بالهرش... هذا المقال يتناول الوضع السياسي في اليونان، مع التركيز على أداء الرئيس الحالي.

مهران وتشن.. تجذبات القضاة والقار



مهران وتشن.. تجذبات القضاة والقار... هذا المقال يناقش القضايا القانونية والسياسية المتعلقة بمهران وتشن.



صدّام... رافض الفرص

أفاض مسؤولون سياسيون وكتاب ومعلقون كثيرون في الحديث عن «صدّام الطاغية» و«صدّام الدكتاتور» و«صدّام القاهر» وكانت لكل من كتب حيثيات ومبررات، كما كان الاعداد بالنسبة إلى البعض مناسبة لتسديد ثأر كان غير متيسر وانتقام كان مستحيلاً ثم جاء إصطياد الرجل ووضعه في «الزنازة» الأميركية بضعة أشهر قبل تعليق حبل المشنقة في رقبته ليأخذ هؤلاء بثأرهم ويتأمن لأولئك الانتقام الذي انتظروه.

وسط مأدبة الانتقام الثأرية وما افرزه مهرجان الشنق توقيتاً واحتفالاً من صدمة في النفوس، غابت مسألة مهمة تتعلق بالفرص التي اضاعها صدّام حسين وكان الأخذ بها كفيلاً بأن تنجيه من الإعدام وتنجي العراق من عذاب الحصار والحرب والصراع المذهبي.

وفي ضوء معرفة وثيقة بالرجل ولقاءات معه لم تخل أحياناً من المناقشة في حدود الممكن أتناول هذه المسألة التي يمكن القول حولها أن صدّام حسين سيذهب مثلاً في رافضي الفرص بما في ذلك فرصة الحياة. وسيبقى لرواة تاريخ نصف قرن من الحياة السياسية العربية مثلاً للفسوة حتى على نفسه وعلى عائلته وعشيرته. كما سيبقى للرواة ومعهم الذين تابعوا السلوك اليومي للمجتمع الثوري العربي الحاكم مثلاً في رفض القناعة بالحد الأدنى والاصرار على أن يكون المتسيّد بدل أن يكون واحداً من الجمع يقف جنباً إلى جنب كل منهم لا ينقض وعداً فيجتاح ولا يلتزم إتفاقاً فيلغي. وإلى ذلك انه سيبقى للرواة والمحللين لا يتقن قراءة الموقف الدولي فيفسر الكلام الموحى به وكما لو أنه اقرار بالحق في ان يفعل ما يدور في خاطره من احلام. وسيبقى أيضاً وأيضاً مثلاً في الحاكم الذي يُكثر من احاطة المستشارين به لكنه لا يصغي إلى وجهات نظرهم، وهو إذا اصغى إما لا يرتاح لتحليلاتهم وافكارهم وإما يتصرف على أساس انه هو صاحب الرأي ومبتكر الفكرة. وهو عندما تحدّث مع السفارة أبريل غلاسبي خلال لقائه بها للمرة الأولى والأخيرة يوم الأربعاء 25 يوليو (تموز) 1990 قرأ كلامها حول الأزمة النفطية في الكويت على أنه تأشيرة للتعامل مع الدولة الشقيقة والجارة بالأسلوب الذي يراه ما دامت لم تتحفظ على تهديداته بـ «الفعل المؤثّر» الذي أورده في خطابه الشهري يوم الإثنين 16 يوليو 1990 حيث

قال مخاطباً الجار الكويتي «قطع الاعناق لا قطع الارزاق، وإذا ما عجز الكلام عن أن يقدّم لأهله ما يحميهم فلا بد من فعل مؤثّر يعيد الأمور إلى مجاريها الطبيعية ويعيد الحقوق المعتصبة إلى أهلها...». كما أنه استمر بعدما وضع «الفعل المؤثّر» موضع التنفيذ يقرأ الموقف الأميركي على غير حقيقته بدليل انه عندما اجتمع يوم الإثنين 6 أغسطس (آب) 1990، وكانت القوات العراقية امعنت إحتلالاً بالكويت، بالقائم بالأعمال الأميركي جوزف ولسون لأن مهمة السفارة غلاسبي انحصرت بإستدراج صدّام إلى ارتكاب الإثم الكبير وغادرت إلى واشنطن ومن دون أن تعود بعد ذلك، ابلغه أنه يريد من الكويت معاهدة من نوع المعاهدة مع المملكة العربية السعودية وتتضمن عدم التدخل بالشؤون الداخلية وعدم إستخدام القوة وان إقتراح هذه المعاهدة سبق ان عرضه على حكومة الكويت إلا أنها لم تأخذ به لأنها، والكلام ما زال له، «إستلمت نصيحة غربية وقد تكون بريطانية». وواضح من ذلك انه أراد زرع الشقاق بين أميركا وبريطانيا من دون أن يقرأ جيداً طبيعة العلاقة بين البلدين اللذين يختلفان على أمور كثيرة إلا أنهما متفقان بالنسبة إلى مسألة من نوع قطع اليد العراقية إن هي امتدت إلى المصالح النفطية، وانه إذا كان يملك «الفعل المؤثّر» فإن الدولتين الكبيرتين تملكان الفعل الأكثر تأثيراً وهو الحرب عليه وزلزلة حكمه، وهذا ما حدث. و«الفعل المؤثّر» وفق النوايا الصّدّامية كان الإجتياح الثاني بعد الأول الذي إستهدف إيران الخمينية، مع ملاحظة ان الكويت لا تطمح بغير الجوار المستقر مع العراق بينما إيران تتطلع إلى إنجاز الخطوة الأولى في مشروع الخميني وهي وضع اليد على المراقد والمقدسات في النجف والكوفة وكربلاء، على امل استكمال الخطوة الثانية التي هي وضع اليد على الكعبة المشرفة.. وهي تطلعات لم تُخفها الثورة الخمينية التي اطلقت على إيران إسم «الجمهورية الإسلامية في إيران» وليس «الجمهورية الإسلامية الإيرانية» التي تعني الإكتفاء بما هي حدود إيران بينما التسمية الأولى تعني انها خطوة أولى تليها «جمهورية إسلامية» في كل بلد إسلامي بعد ذلك وتحت راية ولاية الفقيه. وفي هذا الصدد فإن ما فعله العراق الصّدّامي بالحرب مع إيران انه أربك ذلك المشروع الخميني لكن الثمن كان يفوق الارقام ذات الاصفار الكثيرة مالا وبشراً في البلدين.

وعندما نقول ان صدام حسين سيذهب مثلاً في أكثر من منحى فإننا نستند إلى الكثير من الوقائع التي تؤكد ذلك. فهو بعدما باغت الأمة بإجتياح الكويت أحدث شعوراً لدى كل نظام في العالم العربي بدءاً بدول الجوار ان الحلم الصدامي لا يختلف كثيراً في جوهره عن الحلم الخميني، وان آية الله الذي يتطلع إلى أن تكون إيرانه مركز الخلافة الإسلامية الجديدة بطبعها المستحدثة وبذلك يتسنى له اخضاع الآخرين من خلال إخضاع العراق، هو مثل صدام حسين الذي يتطلع إلى أن تكون بغداده مركز الزعامة الخليجية في الحد الأدنى والزعامة العربية الشاملة في الحد الأقصى. وهو في هذا التطلع كان يفقد إلى الحكمة والحكمة مجتمعيتين.

والذي يجعل صدام حسين يعتقد أن الإدارة البوشية اضاءت له الضوء الأخضر لكي يمارس «فعله المؤثر» أمران: الأول قول السفارة غلاسبي عند لقائها الوحيد به «لا علاقة لأميركا بالخلاف الحدودي العراقي - الكويتي ونأمل أن تحلوا المشكلة عن طريق الأمين العام للجامعة العربية أو الرئيس حسني مبارك...» مضيعة القول «ان الرئيس بوش ذكي ولن يعلن أي حرب إقتصادية على العراق ويريد أن يكون للعراق اسهام تاريخي في السلام والإزدهار في الشرق الأوسط...». أما الأمر الثاني فهو أن إدارة الرئيس بوش الأب دغدغت مشاعره بعدما كان الرئيس السلف رونالد ريغان بارك من خلال أكثر من وسيلة حرب صدام على إيران، وان الدغدغة البوشية بانته واضحة من خلال الإكثار من ايفاد أعضاء فاعلين في الكونغرس إليه، أبرزهم روبرت دول، وهي زيارات سبقتها برقية تهنئة من جانب بوش الأب لصدام بمناسبة عيد الفطر أرسلها إليه يوم الأربعاء 25 أبريل (نيسان) 1990 ومن سوء حظ العراق والعراقيين ان رئيسهم لم يوظفها في اتجاه التهدئة وترسيخ التقارب. وعندما نقرأ تلك البرقية ونتأمل في بعض مفرداتها نلاحظ ان الإدارة الأميركية تريد عراقاً بمواصفاتها وبما يعزز مصالحها وليس بما يريده صدام حسين من دون أن يتذكر (أي صدام) ما الذي فعلته أميركا بالشاه محمد رضا بهلوي الذي إعتبر أن العلاقة التي بناها مع أميركا تجيز له أن يكون السيد المطلق والهيمنة في المنطقة من جهة وان تكون الإدارة الأميركية معه في إستمرار على نحو ما هي عليه مع إسرائيل. وفي برقية التهنية قال بوش الأب مخاطباً صدام: «سيادة الرئيس صدام حسين رئيس

الجمهورية العراقية. عزيزي السيد الرئيس. أنه لمن دواعي سروري العظيم ان أقدم لكم ولكافة الشعب العراقي أطيب تمنياتي لمناسبة عيد الفطر المبارك، كما اود أن أقدم اخلص تمنياتي بأن يستمر الشعب العراقي بالتمتع ببركات السلام وبأن تصبح العلاقة بين العراق والولايات المتحدة دافعاً للاستقرار والسلام في الشرق الأوسط. مع اطيب تمنياتي. جورج بوش».

الكلام البوشي لا ينقصه الوضوح. لكن رد فعل صدام كان تحت خط الإستيعاب بكثير، ولم ينفذ فيه مضمون برقية تهنئة بعث بها صدام إلى بوش الأب، وكانت العلاقات دخلت مرحلة التوتر، لمناسبة الذكرى الـ 214 للاستقلال في الولايات المتحدة رد عليها ببرقية اتسمت بالحد الأدنى من المشاعر الطيبة وذلك لأن لغة التخاطب الصدامي بدأت تزجج الإدارة الأميركية. وبدأت البرقية - الرد كما لو أنها محاولة اخيرة من بوش الأب لكي يفهم صدام المقاصد البوشية، حيث انه استعمل عبارة «عزيزي السيد الرئيس» و«المخلص جورج بوش».

ومن المستغرب بعد تلويحه بـ «الفعل المؤثر» ضد الكويت وفي إعتقاده إستناداً إلى قول السفارة غلاسبي «لا علاقة لأميركا بالخلاف الحدودي العراقي - الكويتي» و«نأمل ان تحلوا المشكلة عن طريق القليبي أو الرئيس مبارك» و«الرئيس بوش ذكي ولن يعلن أي حرب إقتصادية على العراق ويريد أن يكون للعراق إسهام تاريخي في السلام والإزدهار في الشرق الأوسط...» من المستغرب ان يبقى صدام حسين على ظنونه بأن بوش الأب هو من سيعيد النظر في تقييمه، وانه ما دامت قالت السفارة غلاسبي الكلام الذي قالته فهذا يعني انه بالإجتياح بات يملك الكويت كرهينة وان التفاوض مع أميركا ينطلق من هذا الواقع. وفي تأكيدنا للإستغراب نستحضر رسالتين تبادلهما كل من بوش الأب وصدام إنما هذه المرة عن طريق الشعب في كل من البلدين، وهو، أي الشعب، الذي هاله ان صدام حسين دخل منطقة اللغم الدولي بإجتياح قواته لدولة الكويت. ففي الرسالة التي وجهها الرئيس بوش الأب إلى الشعب العراقي يوم الأربعاء 12 سبتمبر (أيلول) 1990 رمى الكرة في مرمى صدام محاولاً التوضيح بأن أميركا ليست المسؤولة عن حرب صدام مع إيران وبأنه، أي بوش، ليس الملام على التداعيات الآتية والتي سيتضرر

منها العراقيون وإنما الذي تقع عليه الملامة هو رئيسهم صدام الذي لم يُحسن التقاط الفرصة تلو الأخرى ويوظفها لمصلحة العراق ولمصلحة النظام أيضاً. وجاء في رسالة بوش الأب الآتي: «لا أحد يعرف كيف يمكن أن تكون صورة العراق اليوم والرفاهية والسلام التي كان من الممكن التمتع بها لو لم يدفع بكم زعماءكم إلى الحرب. ولولا دعم ومساندة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة لما كان للحرب ان تنتهي منذ عامين» و«نحن بطيئون في رفع يدنا بالغضب ولكن حينما نواجه احتمال المواجهة والحرب فليس هناك امة على الأرض تصميمها اكبر وصمودها اقوى منا...». وبذل ان يقرأ الرئيس صدام جيداً مضمون رسالة الرئيس بوش ومعنى توجيهها إلى الشعب، وليس إليه كما في الماضي، فإنه بدأ يفكر بطريقة التحدي وكيف سيرد على الرسالة البوشية وبالذات على عبارة «ليس هناك امة على الأرض تصميمها اكبر وصمودها اقوى حينما نواجه احتمال المواجهة والحرب...». وجاء الرد الصدامي بعد عشرة أيام كانت تكفي للتأمل العميق لو أراد صدام ان يتأمل. لكن تبين انه ارتأى صيغة الكلمة بالكلمة كما العين بالعين والسن بالسن، ورد على الرسالة برسالة موجّهة إلى الشعب الأميركي وليس إلى الرئيس بوش الأب قال فيها: «إن بوش يدفع بأبنائكم إلى حرب ليس لها معنى إلا الغرور القاتل ويريد من ذلك أن يجدد احزان أميركا بتجربة فيتنام وهو يدعو إلى نازية جديدة...». وعلى نحو تقليد الرئيس الإيراني الحالي محمود أحمدي نجاد بعد ست عشرة سنة له، طالب صدام بمناظرة مع بوش معرجاً على نظام رفيقه اللود حافظ الأسد بدون مبرر لهذا التعرّيج، واورد ذلك على النحو الآتي: «كيف يستطيع بوش ان يعرف صدام حسين ورفاق صدام حسين في القيادة إذا كان يرفض إجراء حوار مباشر مع صدام حسين أو إجراء مناظرة تلفزيونية مباشرة معه. ان شعب لبنان أكثر حيوية للانسانية من شيوخ الكويت ومع ذلك فإن الإدارة الأميركية تُجهد النفس لاسترضاء حاكم سورية الذي احتل لبنان ويحرص بوش على أن يكافئ نظام سورية على خدماته...».

لا الحوار المباشر حدث. ولا المناظرة التي أرادها حدثت. وكما لم يحدث من جانب بوش الأب مع صدام فإنهما بعد ست عشرة سنة لم ولن يحدثا من جانب بوش الابن مع «الرئيس النووي» محمود أحمدي

نجاد.

بعدما اضاع صدام حسين الفرصة تلو الأخرى مع أميركا التي انقلبت عليه، لأنه قرأها بكتابه وليس بكتاب الواقع، غدت الحرب تدق بقوة باب نظامه إنما من دون أن يعني ذلك أن فرص انقاذ العراق شعباً ونظاماً توقفت. لكن ما جدوى الفرصة إذا كانت لن تجد من يغتتمها بدل ان يرفضها عمداً.

وللحديث عن صدام... رافض الفرص، بقية.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 18 يناير (ك) 2007

تسويد وجه لبنان

من يُصدّق انه عشية حصول لبنان على جائزة دولية كبرى ممنوحة له من «مؤتمر باريس - 3» يقتحم «حزب الله» والأطراف التي تدور في فلكه وتتكئ على كتفه بأمل إثبات وجودها في ساحة العمل السياسي، ومعه حليفه الطارئ الجنرال ميشال عون الطامع بترئيسه للجمهورية خلفاً للجنرال الحالي إميل لحود، مناطق في العاصمة بيروت في تحرّك كان مستغرباً أشد الإستغراب انه يأتي من حزب نالت المواجهة التي قام بها في يوليو (تموز) الماضي ضد إسرائيل نسبة ملحوظة من الاعجاب والتقدير في الأمتين وفي بعض دول العالم. فقد أمعنت عناصر من الحزب ومن بقية الأطراف الدائرة في فلكه إحراقاً للدواليب المطاطية في الشوارع وقطعاً للطرق وإعتداءات على الناس، وشجعهم على ذلك أن قوات الجيش المأمول منها حماية الناس والممتلكات والحوّل دون قطع طرق ذات طابع إستراتيجي مثل طريق المطار الوحيد وطريق المرفأ اختارت، لإعتبار يختزنه قائد الجيش الجنرال ميشال سليمان، أن تكون على الحيا.

قد يمضي وقت طويل قبل أن يتبلسم هذا الجرح في النفوس، خصوصاً أن الصدمة الناشئة عما جرى جعلت قيادة «حزب الله» لا تطفئ بالكلام الطيب الغضب الناشئ عما حدث، كما انها لم تُقنع أحداً بصوابية الذي جرى. أما الركن الآخر الجنرال ميشال عون فإنه وجد نفسه في أوساط طائفته لا يملك التوضيح الموضوعي

لما فعله.

ما جرى يوم الثلاثاء 23 يناير (كانون الثاني) كان تسويداً للوجه اللبناني أمام العالم. وبدل أن يعتنم الجميع مناسبة المؤتمر الباريسي لكي يؤكدوا احقيتهم في الحصول على الجائزة الدولية المليارية المقرر منحها للبنان، فإنهم انقسموا بين سلطة عنيدة ومعارضة أكثر عناداً ونتج عن ذلك مهرجان الإحراق وقطع الطرقات، الأمر الذي اضاف إلى ظاهرة الإعتصام التخبيمي في الوسط التجاري ندبة قد يكون من الصعب مداواتها في المدى المنظور. ومن المؤسف ان ذلك يحدث استناداً إلى نفوس أمارة بالغضب والثأر وجاء الانتقام عشوائياً وبين طرفين أحدهما يحكم والآخر يريد أن يحل محله، ومن دون مراعاة أحوال الناس ومصالحهم.

وهذا الذي حدث يجعلنا نستحضر ما فعله إخواننا اليمنيون رئيساً ومواطنين من أجل الحصول على بضعة مليارات من الدول المانحة. فقد توجّه الرئيس علي عبدالله صالح إلى لندن في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي للمشاركة في المؤتمر الرابع لهذه الدول. وقبل أن يتوجه كان جدد الرئاسة في مناخ ديمقراطي وأشاع حالة استقرار في اليمن. ومن جانبهم فإن اليمنيون كانوا عقلاء وحرصوا على ألا تضيق على بلدهم فرصة الحصول على بضعة مليارات يداوون بها وضعهم الإقتصادي المتعثر. وفي لندن طالب الرئيس علي صالح المؤتمر بأن يكون أكثر إيجابية من المؤتمر السابق الذي إستضافته باريس عام 2002 ومؤتمر بروكسل عام 1997 وقبله مؤتمر لاهاي عام 1996 موضعاً أهمية وضع دراسة آلية لتنفيذ المشاريع التي سيتم تمويلها في اليمن قائلاً «اننا لا نريد فلساً واحداً إلى الخزينة العامة للدولة»، واعداً بتشكيل هيئة مستقلة لتنفيذ قانون الذمة المالية وأخرى للمناقصات والمزايدات وثالثة لتنفيذ قانون مكافحة الفساد. وفي المؤتمر نفسه كان وزير المالية السعودي الدكتور ابراهيم العساف يعلن وعلى مسمع الوزراء الخليجيين المشاركين ووزير التنمية الدولية البريطاني غاريت توماس الذي افتتح المؤتمر أن الملك عبد الله بن عبد العزيز أمر بتقديم منحة المملكة العربية السعودية والبالغة مليار دولار لدعم برامج ومشاريع التنمية في اليمن. وواضح ان مثل هذا الإعلان يحفز الآخرين على أن يمنحوا بأقل قدر من المخاوف خصوصاً ان المؤتمر ينعقد وقد أنجزت اليمن ولاية

رئاسية جديدة لعلي عبد الله صالح. ومع ان احتياجات اليمن لتحقيق اهداف الخطة الخمسية الثالثة للتنمية الإقتصادية والإجتماعية، التي تلبي اشتراطات التأهيل للاندماج مع إقتصادات دول مجلس التعاون الخليجي والمقدّرة تكلفتها بحوالي 48 مليار دولار، لن تتحقق في مؤتمر واحد، إلا أن الانضباط المسؤول والملاحظ في لغة أهل الحكم والمعارضة على حد سواء في اليمن تجعل امكانية الحصول على المطلوب على درجة من اليسر.

يوم الخميس 16 - 11 - 2006 انتهى مؤتمر لندن بإقرار دعم مالي لليمن قيمته أربعة مليارات وسبعمئة وستة وثلاثون مليون دولار قدّمت دول مجلس التعاون الخليجي أكثر من خمسين في المئة منها على شكل منح وقروض أهمها منحة الملك عبد الله بن عبد العزيز البالغة مليار دولار. وهذه الخطوة المبهرة في نظر وزير التخطيط والتعاون الدولي اليمني عبد الكريم الأرحبي واليمنيين عموماً، تشكل نقلة نوعية على طريق مرحلة الشراكة الحقيقية لليمن مع دول مجلس التعاون وتؤسس لنقطة لاحقة يتطلع إليها الشعب اليمني وهي ان تصبح اليمن النجمة السادسة في المجلس الخليجي الصامد، دون غيره من المجلسين الآخرين: مجلس التعاون العربي الذي انفرط عقده ومجلس التعاون المغاربي الذي يواصل الترنح.

وإلى ذلك إن هذا الذي حصلت عليه اليمن من شأنه جعل الرئيس علي عبد الله صالح يستقر على حال، وبحيث يصبح أكثر انسجاماً مع الموقف الخليجي. ونقول ذلك على أساس ان تحليلاته بين الهوى الإيراني وواقع الحال الخليجي كانت كثيرة، كما أن مواقفه عبر الفضائيات كانت توحى بأن الرجل يريد أن ينال بالغلاب الابتزازي ما لا يناله بسرعة من خلال التمني. ومن الجائز الافتراض بأنه بعدما حصل على أكثر مما كان يتوقع من مؤتمر لندن، وقبل ذلك من بني قومه الذين فضّلوه على مرشح المعارضة للرئاسة، لن يبقى على التغريد الماضي وبحيث يحسب الحساب الدقيق لكل كلمة تقال وكل دولار يتم إنفاقه في معركة الاصلاح إقتصادي.

ويبقى أننا ونحن نراقب حُسن التصرف اليمني وكيف أن الشطارة هي الأخرى يمنية إلى جانب الحكمة وان الدليل على هذه الشطارة ما حصلت عليه يَمَن علي

عبدالله صالح من المؤتمر الرابع للمانحين، نشعر بالكثير من الأسى نحو لبنان المكبل بظاهرة الإعتصام وبدعة الإحتجاج الذي يستهدف تسويد وجه الوطن والغارق في مستنقع المبارزات الكلامية التي لا تحل الضائقات التي تقترب من لقمة العيش. ونستغرب كما كل عاقل في هذه الدنيا كيف أن مصير وطن وشعب هو على كف وألسنة زعامات لا ترحم وترمي بسلوكها وألفاظها الوطن في المجهول من الفوضى. كما نستغرب كيف أن لبنان الذي له في نفوس الآخرين، وبالذات قادة دول الخليج الذين تقع على هماتهم وعزيمتهم ونخوتهم مسؤولية انقاذه من وهدهته، حنو وإهتمام وحرص ومواقف أهم بكثير من مواقفهم ومشاعرهم نحو اليمن، يعيش مأساة لا مثيل لها سببها تلك الزعامات التي كانت، لولا الرفق العربي والدولي بالحال، ستجعله يخسر فرصة من نوع الفرصة التي كسبها اليمن الذي أثبت بسلوكه انه كان الأشطر مع ان الشطارة صفة من صفات اللبناني. وفي ضوء هذه الشطارة وواقع الحال في لبنان المهدد بالفوضى وبـ «حرب التظاهرات» و «بدعة الإعتصامات» و «مهرجان الإحراق المطاطي» وقطع الطرقات تدور رحاها على أرضه ولمصلحة الآخرين ستنقلب الآية، وبحيث ان اليمن سيصبح سعيداً بالفعل، وان لبنان الأخضر والمزدهر والمتطور سيتحول إلى «لبنان السعيد» بالمعنى التعيس للسعادة وكذلك بالنفسير المصري لعبارة «كان غيرك أشطر».

لا سامح الله هؤلاء الذين يُسودون وجه لبنان ويتلاعبون بأقدار هذا الوطن المغلوب على أمره... وفي اعتقادهم أنهم رجال دولة ورموز تغيير نحو الأحسن.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 25 يناير (ك) 2007

* * *

لبنان.. من سرداب الخلاف

إلى الهواء الطلق

من حق الدول، التي ساعدت بالمليارات بين قروض ومنح، أن يسجل اللبنانيون الشكر لها، بحيث لا يكون هذا الشكر صادراً من فئة دون أخرى، وإنما من الجميع

كون المليارات السبعة والسبعمئة مليون دولار هي لكل لبنان.. مع ملاحظة ان مثل هذه المساعدات ما كان ليحصل عليها البلد لو ان خطاب اهل المعارضة هو السائد، اذ كيف سيساعد أهل الإقتدار المالي العربي والأجنبي المنطق القائم على الإنفعال والتوتر والتشنج والتعبير المبغوض، الذي من شأنه ان ينشر الفوضى لبلد ذاق الكثير من ويلاتها وبات من حقه أن يخلد إلى مرحلة من الراحة والاستقرار. ومع ان الطرف الأكثر تأثراً في لبنان، ونعني به إيران المقتدرة مالياً، وبما يفوق بكثير اقتدار دول كثيرة، شاركت في «مؤتمر باريس - 3» لم تُدع إلى المؤتمر كونها تغرد خارج السرب الدولي، وبالتالي لم تتضمن المساعدات منحة منها، إلا أن ذلك لا يعفيها من واجب المساعدة، وبحيث تكون لكل لبنان. وحتى اذا هي ابتكرت لهذا الغرض «مؤتمر طهران - 1» يليه «مؤتمر طهران - 2» ف«مؤتمر طهران - 3»، فإن ذلك سيلقى كل الترحيب، وذلك لأن من يساعد وعلى طريقة «مؤتمر باريس - 3» وما قبله وما سيلي هذه المؤتمرات، يريد للبنان إستعادة بنيانه وتطوره، وبما يحقق العيش الخالي من شوائب التباغض والاحتقان والنوايا غير الطيبة، التي تظهر مفاعيلها السلبية، طبعاً، عند حدوث شرارة بسيطة وعلى نحو ما حدث يوم الخميس 2007/1/25.

ومن حق كل اللبنانيين، ومن دون استثناء، على حكومتهم بعد هذا الإنجاز المبين لها في «مؤتمر باريس - 3» ان تُفحم حجج الأطراف التي شككت بجدوى المؤتمر وألقت عليه من التهم الظالمة ما كان من شأن الذين ساعدوا، لولا صدق نواياهم وتقديرهم للسلوك الحكومي في اتجاه التفهم الواعي للظروف الدولية، ان يمتنعوا عن المشاركة، أو على الأقل لا يشاركوا بالسخاء الذي جاءت عليه نخوتهم.

وحيث ان المساعدات لن تأتي في شكل حقائب ملأى بالدولارات، يحملها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة والوزراء الذين رافقوه، وإنما في صيغة جدولة زمنية وطبقاً لاحتياجات لبنان الإقتصادية والإجتماعية، وبما يفيد «مجل اللبنانيين» على نحو ما جاء في البيان الختامي، فإن من واجب، بل ومن مصلحة الوزراء الذين لم يُقبل إستقالاتهم بعد، والذي تسبب ابتعادهم القسري بحالة من الارتباك وعدم التوازن الحكومي، ان يعودوا وان يشاركوا وان يرحموا معاناة وطنهم الناشئة عن

تدخلات وأمزجة ومعايدات ونكايات زعامات لبنانية ثلاثية الولاء، وان يتأملوا في احتياجات مناطق تنتظر التطوير من المساعدات المليارية، والا يتوقفوا عند حساسية ان هذه المساعدات جاءت من دون جهد يُذكر من جانبهم، على ان يتأملوا امام عبارة وردت في البيان الختامي وهي «أكد جميع المشاركين مجدداً دعمهم الحازم للبنان الموحد والسيد والمستقل والديمقراطي وتعلقهم بالتفويض الكامل لقرارات مجلس الامن، لما فيه مصلحة اللبنانيين والمنطقة بأسرها...». كما من المصلحة أن يتأملوا في مفردات اوردها زميلهم وزير الثقافة ووزير الخارجية بالوكالة طارق متري، في احاديثه مع المسؤولين العرب والأجانب، خلال جولة الترويج للمؤتمر، وكيف انه قال من الكلام عن كل لبنان وكل الاطياف السياسية ما لن يقول افضل منه الوزير المستقل قسراً فوزي صلوخ، مع ملاحظة ان طارق متري ليس من هذا الفريق المتخاصم او المتشاحن مع ذلك، وانما هو ممثل التوجه الإستقلالي بامتياز في الحكومة المنقوصة وزراء الطائفة الشيعية.

ومن حق كل اللبنانيين أن يسجلوا، وعلى خلفية عمليات الإحراق التي لا موجب لها وقطع الطرقات والاحتكام الى الانفصال، صدرت مع الأسف الشديد عن البعض، عتبههم الشديد على بعض القيادات السياسية المعارضة وبالأذات الجنرال ميشال عون، الذي اعتبر قطع الطرقات وممارسات اخرى انما هي تصرفات مشروعة وتجيئها القوانين، وتلك كانت واحدة من زلات اللسان التي من مصلحة الجنرال أن يتنبه لها، ومن واجب بعض رجال القانون المنضوين تحت رايته، وبالأذات النائب ابراهيم كنعان والنائب غسان مخيبر لفت انتباه جنرالهما الى بعض ما يقوله وليس الاجتهاد في تبرير اقوال له تخالف القانون والدستور لأن ذلك الوزير في النهاية يقع عليهما كونهما من رجال القانون.

ومن حق كل اللبنانيين أن يسجلوا التقدير للأقطاب الثلاثة، السيد حسن نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله» ونبيه بري رئيس مجلس النواب والنائب سعد الحريري رئيس أكبر كتلة نيابية، لأنهم أمام هول الانفلات الأمني المتجدد يوم الخميس (2007.1.25)، بعد الهول الأول يوم 23-1-2007، الذي كان ثلاثاء تسويد وجه لبنان، طلبوا كل في بيان ومن دون التشاور، من الجيش اللبناني أن يأخذ على عاتقه أمر حماية

البلاد والعباد من شرور المنفعلين من الطرفين، طرف السلطة وطرف المعارضة، فبادرت قيادة الجيش على الفور، وكأنما كانت تنتظر هذا التكليف، الى منع التجول ليلا في العاصمة، كخطوة أولى قد تعقبها خطوات اكثر حزمًا في حال جدّد الأشرار إنفلاتهم.

واهمية الخطوة ان التكليف جاء من الذين اذا هم امروا فإن جمهورهم ينصاع، وانها لم تأت من وزير الدفاع، كما انها جاءت بعدما تزايدت تساؤلات الناس عن سر عدم تدخّل الجيش لمحاصرة الفوضى ترافقها إطرآت من جانب بعض المرجعيات الدينية والسياسية على عدم اقتحام الجيش هذه المعمة السياسية.

والى ذلك فإن من حق اللبنانيين الذين ضاقوا ذرعاً بظاهرة الإعتصام في الوسط التجاري المحيط بالسراي الحكومي أن يتساءلوا: هل ان هذا التخيم غير الشرعي ليس مشمولاً بإجراء منع التجول، وهل أن هذه الخيام المؤذية، التي من يدري، قد يكون جرى تخزين للسلاح فيها، لن تزال حبيباً وفي سياق منع التجول؟

كما من حق اللبنانيين، وبالأذات أولئك الذين سقطوا قتلى او جرحى، وكذلك الذين سوّدت حرائق الإطارات المطاطية بيوتهم ومكاتبهم ومحلاتهم وشوارع مدينتهم، وكذلك الذين أحرق الأشرار لهم سياراتهم أو حطموها، مع ان هؤلاء طلاب جامعات، أن يطلبوا من قيادات الفاعلين التعويض بعد الإلتذار العلني ومن ذوي الاشرار دفع فواتير المستشفيات ومن رؤساء الجامعات الزام ذوي الطلاب بتربية أبنائهم أو الإحتفاظ بهم في منازلهم، لأن طالب الجامعة يجب ان يكون راقياً وفي منأى عن الفعل السيئ، بل ان من حق اللبنانيين أن يوزعوا قوائم بأسماء مثل هؤلاء الطلاب الرعاع تنشرها وسائل الإعلام.

التساؤلات في معظمها من النوع المشروع. أما لماذا، فلأن لبنان لا يحتاج فقط الى مساعدات دولية وعربية ومليارية، وإنما الى اعادة تأهيل وتعليم الناس بأن الوطن هو الأهم وأن من لا يؤمن بوطنه ويفضل اوطان الآخرين عليه فلا مانع من ان يهاجر الى هناك... وسيعرف عندها اي منقلب سينقلب.

وها هي ذكرى 14 فبراير، ذكرى إغتيال الرئيس رفيق الحريري، على الباب اللبناني، فيما ظاهرة الإعتصام بالتخيم غير القانونية والمكبدة لبنان خسائر بالملايين، وفيما رموز طرفي الصراع يزدادون تشبثاً بالرأي، مما يجعل الصراع قابلاً للإستمرار ويجعل الحل على درجة

من الاستحالة. فهل من أجل هذه الذكرى تحدث إعادة نظر من الجميع... وبذلك يخرج لبنان من سرداب الخلافات العقيمة إلى الهواء الطلق مستقيماً من الإنقاذ العربي . الدولي حوله!

لعل وعسى، ومن يتفاد بالخير يجده.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 5 فبراير (شباط) 2007

* * *

من عبد العزيز إلى عبد الله: فلسطين السعودية... إبناً عن أب

من الطبيعي عندما يتأمل الملك عبد الله بن عبد العزيز في واقع الحال الفلسطيني ويستحضر رؤية والده المغفور له الملك عبد العزيز، وإستباقه القلق على مصير بلد الحرم الثالث فلسطين، مسجلاً هذا القلق من خلال المذكرة الشهيرة إلى الرئيس الأميركي الثاني والثلاثين تيودور روزفلت، المؤرخة 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 1938 والمقابلة الشهيرة أيضاً التي أجرتها معه مجلة «لايف» الأميركية في 21 مارس (آذار) 1943 إلى كلام له صفة التأملات رده خلال ماضي السنين في مجلسه أمام زوار هذا المجلس من سعوديين وعرب وأجانب... من الطبيعي أن يسجل الإبن الملك عبد الله، وقد بات ملكاً للبلاد، ما يضيف إلى قلق والده المزيد من القلق حول فلسطين البلد والشعب، وهو ما سبق ان فعله من قبل الأخ الراحل الملك فهد بن عبد العزيز في القمة العربية في «فاس» في سبتمبر (أيلول) 1982، ثم اضاف إليه هو شخصياً في مرحلة توعك الأخ، من خلال افكار خطرت في البال ووجد فيها أهل القرار العربي ما يحقق التوافق المفقود حول الموضوع الفلسطيني فكان تبنيهم لها بالإجماع وهو أمر غير مسبوق من حيث الحماسة وتحاشي المناقشة وإسقاط المزايدة. ومنذ القمة الدورية في بيروت التي بدأت اعمالها يوم الأربعاء 27 مارس (آذار) 2002 واستغرقت ثلاثة أيام بالغة الصعوبة نتيجة محاولة جادة لم تثمر لمصالحة دول الخليج مع العراق الصدامي الذي تمثل في القمة بنائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزت ابراهيم

الدوري، الذي ما زال حتى بعد إعدام صدام حسين طليقاً مع أنه أحد المطلوبين وفق اللائحة الأميركية الفولكلورية، باتت أفكار عبد الله بن عبد العزيز تحمل تسمية «المبادرة العربية» وإن كانت التسمية العفوية أي «مبادرة الملك عبد الله» تسبق التسمية الرسمية أي «المبادرة العربية».

مع شديد الأسف لم يتعامل المجتمع الدولي مع «المبادرة العربية» بالمسؤولية التي تحتاج إليها مثل هكذا افكار لتصحيح مسار التعامل الدولي والعربي مع القضية الفلسطينية، ويتحمل وزر هذا السلوك في الدرجة الأولى الرئيس جورج بوش الابن الذي إكتفى بالترحيب مرجئاً الضغط على إسرائيل لكي تتجاوب فلا تضيق فرصة الإجماع العربي للمرة الأولى على رؤية موضوعية، ثم يأتي العراك الكلامي ثم القتالي بين «فتح» المصدومة من نتائج الإنتخابات و«حماس» المبهورة بفوزها في الإنتخابات ليشكل الدرجة الثانية من تحمّل الوزر. وزاد الوزر تعقيداً أن «حماس» المنتصرة لم توظف فوزها المبهز بإحراج المجتمع الدولي وذلك من خلال إبداء المرونة، وإنما عملت على توظيف الفوز بعقلية من يصر على تطبيق ميثاق غير ممكن التطبيق في ظل الظروف الدولية والعربية والإقليمية الراهنة، ومن يرى أن الفرصة لتحجيم «فتح» وحشرها في الزاوية لن تكون متاحة في مرة أخرى. ولذا وقعت الواقعة. «فتح» بـ «السلطة الوطنية» التي تتأسسها ويساندها معنوياً المجتمع الدولي وأكثرية الأنظمة العربية تريد من «حماس» التغريد معها لتحصيل ما يمكن تحصيله من حقوق. و«حماس» التي اتاحت «اللعبة الديمقراطية» الخالية من أي شوائب لها ترؤس الحكومة ترفض بـ «السلطة الثالثة» والاكثريّة البرلمانية وسطوة الطرفين معاً «فتح» و«حماس» على ارادة الأطياف المستقلة، لا يتعاون رئيسها إسماعيل هنية مع رئيس السلطة بما من شأنه رفع الحصار المالي وحرية التحرك وبالذات على «فلسطين الحامسية» وإرباك «فلسطين العباسية» بغرض الضغط عليها وليس عدم الرضى عن توجهاتها وسلوكها وتعاملها الواقعي مع المجتمع الدولي والمشاريع المطروحة.

بطبيعة الحال، وفي ظل الوضع المعيشي الصعب الناشئ عن عدم التعاون بواقعية، أن تغور الأعصاب وتحدث المواجهات، ويتزامن مع ذلك رهان من «فتح»

على واقعية طروحاتها يقابله رهان من «حماس» على الحليف السوري - الإيراني وبذريعة أن الحصار يتزايد وإن الأخوة العرب والمسلمين لا يكسرون هذا الحصار، الأمر الذي ولّد إرتباكاً لا مثيل له في الوضع الفلسطيني. وتصل الحال بهذا الإرتباك إلى حد أن الرئيس حسني مبارك يعرض المسعى الرئاسي الحميد إلى جانب المسعى المخبراتي المكوكي المتواصل عن طريق اللواء عمر سليمان وأحياناً نائبه في جهاز المخابرات لكن الجانبين لا يقرران سلوك صراط التعايش الأخوي داخل البيت الواحد. كما تصل الحال بأهل الحكم الإيراني وأهل الحكم السوري إلى وضع «حماس» أمام خيارين أحلاهما مر: إما مقايضتها مع «البفالو» الأميركي الذي لا يرحم ولا يترك رحمة الله تنزل على العباد العرب والمسلمين، وإما خوض منازلة سياسية وعسكرية معهما ضد أميركا وإسرائيل وعلى نحو ما فعل «حزب الله» في لبنان وكان الفعل غير محمود وغير مجد لا في ملة اللبنانيين ولا في اعتقاد العرب والمسلمين على حد سواء. وجاء الإغراء الإيراني من خلال الدولارات التي حاول إسماعيل هنية ادخالها إلى غزة بعد زيارة «ميمونة» إلى إيران ومصادرة هذه الأموال وعلى نحو مصادرة السلطات اللبنانية قبل أيام شاحنة ملأى بأنواع السلاح والذخائر تابعة لـ «حزب الله»، تنبعت النخبة القائدة في «حماس» إلى أن مصير هذا السلوك كارثي. ثم حدث الكر والفر في شوارع غزة وضمن استهدافات مدروسة وبغرض التحدي لبنية النخبة نفسها إلى أن الصحوه هي الأفضل واتقاء مخاطر المبالغة في العناد هو الأسلم.

وسط هذه الأجواء اتى النداء المخلص من الملك عبد الله بن عبد العزيز ليس فقط في صيغة النصيح والتمني وإنما أيضاً في صيغة دعوة كريمة إلى الجانبين في رحاب مكة المكرمة عسى ولعل تلهم قدسية المكان أبناء القضية المتعثرة من شر تعاملهم معها فيقرر «إبن فتح» محمود عباس ومن رافقه من حمائم وصقور ان «ابن حماس» خالد مشعل ومن معه من صقور دون حمائم، هم من بطن أم واحدة هي «القضية الفلسطينية» وعلى هذا الأساس فالتفاهم هو الحل والاحتراب هو الكارثة والتعايش هو القدر الذي لا مفر منه.

ومن المؤكد أنه لو ترك الأمر للطرفين لكي يحاولا التوصل إلى التفاهم لربما كان ذلك لن يحدث وربما

كانت الجولة الأولى ستعقبها ثانية وثالثة وجولات. ومن هنا فإن قلق الملك عبد الله على القضية وخشيته من حدوث ما نشير إليه جعلناه يقرر الإقدام على خطوة كريمة تمثلت بانتقاله على غير ما هو مألوف في برنامجه إلى جدة ومنها إلى مكة وبدا ظله المعنوي المستحب يحيط بأبناء القضية الذين جاءوا متخاصمين يكاد الواحد منهم في غزة يأكل لحم أخيه نيئاً وخرجوا عقب فترة زمنية قياسية متصافين نابذين العنف وفكرة التفرد ورغبة الإلغاء، وإسقاط الحساسيات في شأن المناصب والتسميات والتي وصلت قبل المجيء إلى مكة المكرمة ببضعة أيام إلى حد أن أوساط الرئيس محمود عباس طلبت عدم إرفاق كلمة «الرئيس» عند ذكر إسم إسماعيل هنية.

خيراً فعل أبناء القضية الواحدة، وخيراً سيفعلون إذا هم استمروا ثابتين على العهد وعلى الوعد، وخيراً سجلوا الشكر لمصر دون غيرها من الدول العربية والإسلامية في «بيان مكة». وأما الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي تأكد لنا كمتابعين للشأن السعودي ان اللقاء الفلسطيني ناجح لا شك في ذلك لمجرد انتقال خادم الحرمين الشريفين من الرياض إلى مكة، فإنه أكثر أبناء الأمتين سعادة بما انتهى إليه اللقاء لأنه كما في كل خطوة من أجل القضية الفلسطينية يستحضر رؤية والده الملك عبد العزيز وبذلك فإن فلسطين الإبن الملك عبد الله من فلسطين الأب عبد العزيز وكل ابن وحفيد. ورؤية عبد العزيز هي الصادقة لأنها من الضمير تأتي ومن رب العالمين تبتغي المرضاة والرحمة. وتخلص إلى القول ان لقاء مكة لم يكن فقط من أجل رأب الصدع بين «فتح» و«حماس» وإنما هو أولاً تحية من الحرمين إلى الحرم الثالث الذي يقاسي الأهوال.. لكن إلى حين، إذ تتمنى الأمتان ان يضع عبد الله بن عبد العزيز في ضوء مبادرتيه «العربية والفلسطينية» حداً لهذه الأهوال... وتأكيداً لقوله مخاطباً ضيفيه المتناحرين «لا تضيعونا ولا تضيعوا أنفسكم».

وبعد العلاج الناجع لأبناء فلسطين هنالك بقية علاجات للبنانيين والعراقيين... الذين هم على أهمية تضضيع النفس والوطن.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 19 فبراير (شباط) 2007

* * *

سجاجيد وشطرنج وملاكمة

هنالك بعض أوجه الشبه بين عقلية التحدي اللبنانية - اللبنانية وعقلية التحدي الإيرانية - الأميركية. كلتاها محورهما العناد وتضييع الفرص والنأي عن المرونة والتعقل.

عقلية التحدي اللبنانية - اللبنانية باتت معروفة وممقوتة إلى درجة أن القوامين على هذه العقلية لم يعودوا يبصرون ملامح الخطر على الكيان والعيش المشترك، مع أن القليل من التضحية بالشخصانية ومعها القليل من المرونة والقليل من الضمير والقليل من تقديم الولاء للوطن عوض الكثير من الإنحياز لتطلعات الغريب كفيلة بالتهدة ثم بإيجاد الحل. أما عقلية التحدي الإيرانية - الأميركية فإنها ماثلة أمامنا ويكتسب مشهدها ملامح جديدة كل يوم.

ولقد افترضنا بعدما اقترب يوم الثلاثاء 20 - 2 - 2007 الذي هو موعد إنتهاء المهلة التي حددها مجلس الأمن الدولي لكي تُوقف إيران تخصيب اليورانيوم، أن أهل الحكم الإيراني سيفضلون إستقرار النظام على الفوضى والخلخلة، ومصالحة الشعب الدائمة على المجد النووي العابر، والجوار المطمئن على مشاعر حذر لا يخفيها الخليج بدءاً من السعودي، الذي تقوم قيادته بعملية تنمية نوعية، وصولاً إلى سلطنة عُمان التي تخشى ومعها المجتمع الدولي على سلامة مضيق هرمز، وما قد يصيب السفن والناقلات العملاقة من إرتباك في حال إستعملت إيران ورقة هذا المضيق كسلاح ضغط كي لا تهاجمها حاملات الطائرات الأميركية التي استقرت فوق مياه الخليج، أو إستعملت إيران المضيق كسلاح دفاعي استباقي رداً على ضربات هجومية تستهدف منشآتها النووية والنفطية، فضلاً عن قواعدها الصاروخية الجاهزة للانطلاق في اتجاه كل بقعة أميركية في المنطقة.

والتفضيل الذي نعنيه هو في الدرجة الأولى مراعاة المخاوف للجيران القلقين من المخاطر النووية على شعوبهم وبيئتهم، وتوحيد الخطاب الإيراني بحيث لا يبدو الأمر، كما لو أن التعليقات وتحديد المواقف من جانب رموز النظام هي أوركسترا كلامية، بحيث يقول هذا المسؤول كلاماً ثم يقول ذاك كلاماً مختلفاً، أو إن المسؤول عن الملف النووي يحاول أحياناً تهدئة

الخواطر، لكن صاحب المشروع الرئيس محمود أحمدي نجاد الحاصل على رضى المرشد خامنئي ودعمه يدلي بما من شأنه رفع درجة الحذر في النفوس. وطوال سنة من الأوركسترا الكلامية ربح الثنائي النووي وقتاً لإستكمال حلقات في مشروعه الذي يحترق المرء في طبيعته وهل هو للتنمية إستباقاً لمرحلة نضوب النفط وجفاف الغاز ويباس حقول الفستق وانحسار براءة حياكة السجاد، أم انه التحضير لإعلان إنجاز «القبلة النووية الشيعية» التي يفتقدها نادي القنابل النووية الطوائفية. وهنا لا بد من توضيح لما نقوله خلاصته ان المسيحية بمثلثاتها تملك القدرة النووية حيث البروتستانتية في شخص أميركا وبريطانيا والكاثوليكية المتمثلة بفرنسا، والأرثوذكسية المتمثلة بروسيا، "واليهودية - الصهيونية ممثلة بإسرائيل" وأن الإسلام السني متمثل بباكستان مع ملاحظة ان القدرة النووية الباكستانية مجبرة للإستراتيجية الأميركية. وبالنسبة إلى الديانات الأرضية فإن البوذية والكونفوشيوسية متمثلة بالصين والهند. ويبقى الإسلام الشيعي لا حصة له في النادي النووي، ثم جاء آية الله الخميني ينهي الإمبراطورية البهلوية، ويضع حجر الأساس لـ «إمبراطورية ولاية الفقيه» بادئاً بمخطط «تصدير الثورة» الذي عطّله العراق الصّدّامي بحرب الثماني سنوات إلى أن عاود ورثة الخمينية السعي له.. إنما من خلال بناء قوة نووية تفرض على الجيران التهرب وما هو أكثر منه، وتحسم أمر المطالبة الخليجية بإستعادة الجزر الإماراتية الثلاث. ثم ما بعد استكمال البناء النووي إخضاع الشأن العربي إلى الأمر الواقع الإيراني الجديد، أو بتعبير آخر تسييد «الإمبراطورية الفارسية» ذات الأيديولوجية الدينية بالمذهب الواحد على حلم «إمبراطورية الوحدة العربية» التي تحتضن كل المذاهب.

بطبيعة الحال، لا التسيد كان سهل المنال ماضياً مع الشاه التائه الراحل محمد رضا بهلوي، ولا يبدو أنه سهل المنال حاضراً مع ورثة الإمام الخميني.

وعندما تنتهي المهلة المحددة من مجلس الأمن الدولي لإيران، لكي توقف نشاطات تخصيب اليورانيوم، ويقول الرئيس محمود أحمدي نجاد يوم 21 - 2 - 2007 إن نشاطات وقف التخصيب لن تحدث، فهذا يعني ان خيار المواجهة يتقدم على خيار التهدئة عبر

التفاوض. والذي يؤكد ذلك أن رمز الدبلوماسية الإيرانية وزير الخارجية منوشهر متقي، اختار تركيا الجارة القلقة، مثل غيرها من الجيران عبر الخليج، من التطلعات النووية ليقول في اليوم نفسه بعد زيارة قام بها إلى انقرة «إن إيران مستعدة لمواجهة أي عمل عسكري أميركي...».

هل هذا الموقف من جانب أهل الحكم الإيراني، هو نوع من التهويل، أم أن هؤلاء واثقون من انفسهم وقوتهم ومخزونهم الإستراتيجي الشعبي في بعض دول الخليج ولبنان الذي يجمع اللوبي الإيراني فيه بين الولاء وبين القدرات العسكرية الهائلة؟

ثم أليس هذا الموقف هو دعوة من جانبهم موجّهة إلى المجتمع الدولي، لكي ينازل إيران على أساس أن أهل الحكم أولئك يعتبرون انفسهم في الحالتين رابحين، أي بما معناه إنهم إذا هزموا العدوان الأميركي المحتمل عليهم يكون نصرهم هذا علامة فارقة في تاريخ المواجهات، وإذا هم اخفقوا ونالهم ما أصاب جارهم العراق الصّدّامي من العدوان الأميركي - البريطاني فإنهم سيضيفون إلى كتاب التاريخ الكربلائي العاشورائي صفحة جديدة تغمرهم السعادة الروحية في حدوثها، ومن دون أن يستوقفهم التمييز بين الذي جرى لآل البيت وللحسين وصحبه، وبين الذي افتعلوه لأنفسهم عندما أوصلوا التحدي مع الدولة الأعظم وحلفائها إلى نقطة اللاعودة.

وقبل إنتهاء المهلة المحدّدة وتعليق رموز الحكم الثوري في إيران عليها، كان التهويل بلغ أشده، حيث قال المرشد الأعلى للجمهورية آية الله خامنئي يوم الخميس 8 فبراير (شباط) الجاري، أمام قادة السلاح الجوي، المحتمل أن يمارسوا الواجب على طريقة الطيارين اليابانيين الإنتحاريين ضد حاملات الطائرات الأميركية في مياه الخليج «يجب ألاّ يملكنا الخوف والاعداء يعرفون أن أي إعتداء سيكون الرد عليه رداً شاملاً من كل طوائف الشعب على المعتدين ومصالحهم في كل مكان من العالم...».

وعززت كلام خامنئي الذي رأى بعد انضمام حاملات طائرات أخرى إلى الحاملة الشهيرة «دوايت ايزنهاور» في مياه الخليج، «أن المؤامرة الأميركية علينا تصب في إطار منع إيران من أن تكون نموذجاً للشعوب الإسلامية الأخرى»، المناورات الاختبارية لصواريخ «رعد» التي

هي على حد قول أحد جنرالات الحرس الثوري «إستراتيجية وقادرة على تدمير البوارج الكبيرة، ويسمح مداها بالوصول إلى كل النقاط في الخليج الفارسي ومضيق هرمز وبحر عُمان وشمال المحيط الهندي. كما أن الرئيس الأسبق هاشمي رافسنجاني المحتمل أن يخلف خامنئي في المنصب الأعلى (مرشد الجمهورية)، قال هو الآخر في اليوم نفسه «أن أي هجوم أميركي على إيران سيكلف الأميركيان غالياً، وفي حال حدث الهجوم، فإن مشاكل أميركا في العراق ستتضاعف عشرات المرات...».

خلاصة القول ان التحدي على مسافة قريبة من خط النهاية، فالمجتمع الدولي وتحت وطأة الضغوط الأميركية، سيمضي إلى النهاية على ما يبدو في توجيه الضربة. وأهل الحكم الإيراني ماضون هم أيضاً إلى النهاية مفترضين ان «النصر الآلهي 1» الذي حققه «حزب الله» في جنوب لبنان على إسرائيل يمكن أن يلد «النصر الآلهي 2» الذي قد تحققه إيران من خلال إغراق حاملة طائرات في مياه الخليج يبعث إغراقها البهجة في نفوس الجار الروسي المتذبذب في موقفه، ومن خلال المضي إلى لحظة تنفيذ الوعيد صواريخ تطلقها إيران على التجمعات والقواعد العسكرية الأميركية في المنطقة بدءاً بالعراق، وصولاً إلى كل بقعة خليجية. وعندما يدعو علي لاريجاني المسؤول عن الملف النووي الإيراني الإدارة الأميركية إلى «طاوله الشطرنج بدلاً من الدخول إلى حلبة الملاكمة»، فإن الرجل يخاطب الطرف الذي يصم الأذنين عن سماع كلام كهذا، ويرى هذا الطرف ان طول البال الإيراني في صناعة السجاد، وكيف أن إنجاز سجادة واحدة ربما يستغرق عشر سنين لا ينطبق على النهج الذي تراه الإدارة البوشية كأسلوب تعامل مع المنطقة، خصوصاً أنها على أهبة ان تتصرف وتتطلع إلى مجد يعوّضها الإخفاق الذي منيت به في العراق، وحتى إذا جاء في شكل ضربات ماحقة توجهها إلى إيران، وتكون بمثابة الصفحة الأخيرة من كتاب نهاية «الحلم الأميركي» لتبدأ بعدها الصفحة الأولى من بداية كتاب «الكابوس الأميركي» يتوارثه خلفاء بوش الابن.. غير الراشدين مثله رئيساً بعد آخر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 27 فبراير (شباط) 2007

* * *

بارحة بوش الأب.. ويوم بوش الابن

ما أشبه الوضع في المنطقة الآن بالوضع الذي عشناه خريف 1990 بسبب الإجتياح العراقي الصّدامي للكويت، التي إستعيدت والحمد لله إلى أمّتها، بعدما افتقدتها طوال ستة اشهر من الاحتلال البغيض من جانب الأخ الجار لأخيه في العروبة والإسلام. وعند التأمل هذه الأيام في مناسبة الذكرى السادسة عشرة للتحرير ومناسبة العيد الوطني السادس والأربعين لشقيقة لبنان الخليجية، وتوأمه من حيث التقاليد الديمقراطية والحياة البرلمانية، فإننا لا نملك سوى التمني بأن تدوم هذه النعمة المستعادة على الكويت، وأن تنتعش التقاليد إياها في لبنان وبحيث لا يعود هذا الوضع المرتبك على صعيد الواجب المناط بالرئاسات الثلاث على إرتياكه الذي انعكس مساوئ كثيرة على سمعة الوطن ونفوس أهله، فضلاً عن تأسيسه للصدمات تصيب نفوس الأجيال الجديدة.

والقول بأن الوضع الراهن في المنطقة أشبه بالوضع الذي عشناه خريف 1990، يستند إلى الكثير من الوقائع والتصرّيات التي يدلي بها مسؤولون في الإدارة الأميركية، ومن بينهم ديك تشيني نائب الرئيس بوش الابن. وعند التمعن في تصرّيات تشيني وأحدثها قوله خلال زيارة إلى استراليا يوم السبت 24 - 2 - 2007، انه لا يستبعد توجيه ضربات إلى إيران من دون عقوبات مجلس الأمن، نلاحظ انه يتحدث بمفردات تصرّياته التي سبقت الحرب على العراق، وكان يومها وزيراً للدفاع في الإدارة التي يترأسها جورج بوش الأب. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن تشيني وكان هنالك سعي عربي - إسلامي - دولي لمعالجة موضوع الكويت بإقناع الرئيس صدام حسين سحب القوات العراقية من الكويت، قال يوم الخميس 11 - 10 - 1990 «إذا التزم صدام حسين بقرارات مجلس الأمن التي تدعو إلى انسحاب العراق من الكويت وعودة الحكومة الشرعية إليها، فلن يقع نزاع ولن يتم تدمير العراق كدولة». ويوم الأربعاء 31 - 10 - 1990 وكان مضى على إحتلال الكويت 91 يوماً من دون أن يستجيب صدام حسين لمسااعي التسوية العربية، ومن بينها مسعى وفاقي بالغ الأهمية كان يقوم به الرئيس حسني مبارك، فاجأ تشيني المجتمع العربي الدولي الباحث عن تسوية بالقول: «إن الطريقة الوحيدة

لإنهاء الأزمة، هي في أن يلم صدام حسين شمله ويرحل..»، واستناداً منه إلى تحريضات وزير دفاعه تشيني ومخططه الجاهز سلفاً لضرب العراق، فإن الرئيس بوش الأب فاجأ هو الآخر المجتمع العربي . الدولي يوم الخميس 22 - 11 - 1990 بكلام كان واضحاً منه أن الضربة آتية لا ريب في ذلك. ومما قاله بوش الأب «ان العدوان العراقي على الكويت يسبب مشاكل اقتصادية داخل الولايات المتحدة، وإنني قلق من القدرات النووية العراقية، وكل يوم يمر يقرب صدام حسين خطوة أخرى نحو تحقيق هدفه بالحصول على ترسانة أسلحة نووية. أن أولئك الذين يعيشون الجدول الزمني لبرنامج صدام النووي بسنوات قد يكونون مخطئين في تقدير حقيقة الوضع وخطورة هذا التهديد، فلا أحد يعرف متى سيحصل هذا الدكاتور على الأسلحة النووية أو يعرف بالتحديد ضد من سيستخدم هذه الأسلحة في المستقبل، لكننا نعرف بالتأكيد أنه استعمل كل سلاح حصل عليه. إن صدام يخاطر بحياته إذا هو عمل على إرباك الصبر الزائد..».

وإلى تهديد بوش الأب لصدام بحياته نجد وزير دفاعه تشيني يعزف على الوتر التهديدي نفسه ليس فقط لصدام، وإنما للعراق كله وذلك من خلال قوله يوم الأحد 23 - 12 - 1990، وكان الحديث تزايد في شأن إنسحاب جزئي من الكويت «إننا نعرف ان العراق سعى الى تطوير السلاح النووي ولدينا معلومات حول الترسانة الكيميائية للعراق، ونعرف القليل عن الأسلحة البيولوجية التي يملكها. وإذا كان صدام حسين مجنوناً إلى درجة استخدام الأسلحة الكيميائية أو البيولوجية، فإن الرد الأميركي عليه سيكون ساحقاً ومدمراً تماماً. إن على صدام أن يعلم جيداً أن جميع الخيارات متاحة لدى الرئيس بوش..».

هذه المفردات من جانب تشيني توضح لنا سر الإتيان به من دون غيره نائباً للرئيس بوش الابن، أي بما معناه أن دوره وهو وزير للدفاع كان سيتطور لو قيض الاميركان للرئيس بوش الأب تجديد ولايته، لكن هؤلاء خذلوا الرئيس واختاروا الديمقراطي بيل كلنتون لكي يترأس على مدى ولايتين، ثم يرثه بوش الابن الذي اختار وزير حرب ابيه ليكون نائباً له، وليحقق للجمهوريين المبتغى في أن يشن الابن حرباً على العراق تكاد تؤدي به، في ضوء ما نراه من فواجع وكوارث

يومية، إلى الإندثار وبحيث يتناثر كما يوغسلافيا من قبل.

وفي الحثيات كذريعة لحرب بوش الأب نلاحظ أن المخاوف النووية وأسلحة الدمار الشامل هي الأساس في تلك الحثيات، ثم يتبين أن العراق الصّدّامي وباعتراف على أعلى المستويات الرسمية الأميركية السياسية والأمنية والمخابراتية، لا يملك ما يوجب الفتك به، وأن الأمور كانت قابلة للحلول تحت الخيمة العربية، وبتشجيع ومؤازرة من أطراف دولية مثل روسيا وفرنسا والفاتيكان ومباركة الملك فهد بن عبد العزيز والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمة الله عليهما. لكن كيف سيتم الأخذ بصيغة التراضي إذا كانت حرب بوش الأب وحليفته مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا مقررّة سلفاً وتنتظر ساعة الصفر التي بدأت على وقع اطمئنان الادارة الأميركية، وفي شخص وزير الدفاع ديك تشيني إلى أن إيران هي ضمناً مع أميركا وبريطانيا في حربها هذه على العدو اللدود عراق صّدّام حسين، ووصل الإطمئنان إلى حد أن تشيني الذي يمهّد الطريق أمام حرب بوش الابن على إيران بذريعة المخاوف من امتلاكها القدرات النووية قال قبل ست عشرة سنة، وقبل ان تبدأ حرب بوش الأب ضمن تحالف دولي - عربي - إسلامي على العراق الصّدّامي وهي الحرب المعروفة بـ «عاصفة الصحراء» يوم الخميس 17 يناير (كانون الثاني) 1991 «يمكن اعتبار إيران من التحالف. ولو كانت خارج التحالف الدولي لكان من السهل مد خط انابيب من جنوب العراق إلى جنوب إيران، ودمج إنتاج البلدين من النفط وبيعه في الأسواق الدولية، ومن المهم أن تبقى إيران جزءاً من التحالف...».

مرة أخرى نقول إن ما يحدث اليوم أشبه بالبارحة. المحرض هو هو. والذريعة هي هي. والعناد النجادي هو أخ العناد الصّدّامي. وكما سبق أن هدد طه ياسين رمضان الذي هو «تشيني الحكم الصّدّامي» يوم الاثنين 24 - 12 - 1990 أمام النائب العمالي البريطاني بيرني غرانت، الذي أمضى خمسة أيام في زيارة إلى العراق بأنه «إذا شنت الولايات المتحدة هجوماً على العراق، فإننا سنهاجم المصالح الأميركية والبريطانية في جميع أنحاء العالم..»، فإن التهديدات الإيرانية المماثلة على السنة المسؤولين وكلهم من الصقور من دون أن نرى من يحاول الإستفادة من الأمثلة العراقية، ومن

دون أن يأخذ الجار الإيراني في الاعتبار أنه قد يؤكل ومن دون أن يحول دون ذلك أن لإيران في ذمة أميركا، إلى جانب المليارات المجّدة منذ سقوط الشاه رجل أميركا لبعض السنوات في المنطقة، ديناً معنوياً حيث انها يوم التحضير لضرب العراق كانت على يمين معسكر التحالف أو على الأقل لم تقف ضده، لأنه في ضربه للعراق لا يعود في نظر آيات الله إستكبارياً، وهو ما قاله بوضوح تشيني الذي ينوي الآن حرباً أشرس على إيران. ونقول ذلك مستحضرين القول الشهير عن واقعة الثور الأسود: أكلت يوم أكل الثور الأبيض. وقد يصيب الحكم السوري المصير نفسه، من دون أن يُبعد عنه الكأس المرة انه في حرب بوش الأب كان الرئيس الأسد الأب في الخط الأمامي سياسياً وفي الخط الثاني عسكرياً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 6 مارس (آذار) 2007

* * *

لبنان العقدة والحل: لماذا لا يكون الوزير الحادي عشر الأمير الوليد؟

في زحمة الأفكار والإقتراحات والمسااعي التي تستهدف حل الأزمة اللبنانية المتفاقمة، إستوقفنا يوم الأربعاء 7 مارس (آذار) 2007 كلام لرئيس الحكومة الصامدة والصابرة والمفتري عليها فؤاد السنيورة، يتضمن ترك الإقتراح بتسمية الوزير الحادي عشر للمملكة العربية السعودية.

وهي فكرة منطقية ولا نظن أن جدالاً عقيماً يجب أن يحدث بسببها.. أو فلنقل إنه لا مبرر للمساجلات في هذا الشأن، لأن حثيات الفكرة، توجب على كل الأطراف الفاعلة في الأزمة الترحيب بها كونها تحمل في طياتها ما يجوز إعتباره الحل المعقول.

وعلى النحو الآتي نسجل هذه الحثيات:

أولاً: ان الحل في نهاية الأمر سيكون على يدي المملكة العربية السعودية. ومثل هذا الإهتمام من جانب المملكة ليس طارئاً، فهو من أيام الملك عبد العزيز رحمة الله عليه، وهو أيضاً واحدة من وصاياه إلى الأبناء

الملوك الذين تعاقبوا على قمة الحكم من سعود إلى فيصل إلى خالد إلى فهد رحمة الله عليهم.. وإلى عبد الله، أطال الله عمره وإخوانه وبالذات الأمراء سلطان وسلمان وطلال، والأحفاد وبالذات الأمير سعود الذي لا تخلو صفحة من أجدته كوزير للخارجية، من بند يتعلق بلبنان، والأمير الوليد الذي ترجم الإهتمام إلى مشاريع خيرية كثيرة في لبنان من دون التمييز بين طوائفه إضافة إلى الإستثمارات.

ثانياً - عندما حظي السفير الدكتور عبد العزيز خوجة يوم 29 أكتوبر (تشرين الأول) الماضي بلفتة متميزة من الملك عبد الله، وذلك بترقيته إلى سفير بالمرتبة الممتازة، وبذلك بات للقب معالي السفير بدل سعادة السفير، فإنه كان بذلك يطمئن أطياف الأمة اللبنانية إلى أن صدر المملكة سيكون أكثر وسعاً إزاء التناقضات والمساجلات، إلى أن تصل الأمور إلى الصيغة التي ترتضيها كل الأطراف وعن طيب خاطر وليس من باب المسايرة، فضلاً عن أن هذا الارتضاء لن يكون بفعل محاباة طرف على حساب آخر، وذلك لأن المملكة تقف على مسافة واحدة من أطراف الأزمة، وجُل ما تريده هو التوفيق على نحو ما حدث في مؤتمر الطائف حيث كانت على مقربة من النواب المجتمعين ممثلي الشرعية اللبنانية إنما ليست في قلب مناقشاتهم.

ثالثاً - لقد تضاعف الإهتمام السعودي في الأسابيع الثلاثة الماضية ربما بهدف أن يتحقق في القمة العربية الدورية، التي سيستضيفها الملك عبد الله بن عبد العزيز في الرياض يومي 28 و29 مارس الجاري، نوع من الضمانة العربية وعلى مستوى القمة لصيغة الحل الذي في ضوئه لا تتكرر الأزمة على نحو ما كاد يعصف بلبنان كصيغة عيش مشترك، ونكاد نقول يمكن في ضوء العصف أن يصبح لبنان متأثراً.. أو مأكولاً من جديد. وعندما تصل الحال بالسفير ذي المرتبة الممتازة والحماسة المخلصة لتحقيق الحل إلى درجة ان يغادر بيروت إلى الرياض صباحاً ليعود في المساء متقادياً أي مراقبة للاتصال الهاتفي بالجهات المختصة وأي تشويش قد يحدث نتيجة للتشاور عبر الهاتف مع الديوان ويستقبله الملك عبد الله لتزويده بخير السعي، فهذا مؤشر إلى أن ما تريده المملكة هو الحل الذي يكون مثل الغرسة التي تورق في منأى عن إنتهاكات الأمزجة من جانب البعض.

رابعاً - عندما تكون تسمية الوزير الحادي عشر مصدرها الملك عبد الله على نحو الإقتراح السنيوري، أو على نحو ما يجوز التمني يكون هذا الحادي عشر أو «الوزير الملك» هو الأمير الوليد بن طلال فإن ذلك في حد ذاته يشكل ضماناً أهم ما فيها انها للجميع، ذلك أن الأمير الوليد هو حفيد رئيس حكومة دولة الاستقلال المغفور له رياض الصلح وهو موضع القبول البشّاري واللحودي به، وهو أيضاً الذي له في المجتمع الدولي المعني بأمر لبنان الحضور المتميز، وهو رمز الإستثمار الطموح والناجح في المشاريع التي يتطلع لبنان إلى إستئنافها بعدما بات بعضها عرضة للتوقف، وهو عملياً ابن المملكة في لبنان بقدر ما هو ابن لبنان في المملكة. والاهم من هذا كله انه حفيد الملك عبد العزيز رحمة الله عليه الذي لم يستوقفه ان بعض مستشاريه ووزرائه كانوا غير سعوديين من دول عربية، وبعضهم من لبنان. وما دامت هذه مواصفاته فما الذي لا يجعل الأخذ بفكرة أن يكون هو الحادي عشر ما دام يبعث بما يمثل الطمأنينة في نفوس المجتمع.

ونخلص إلى القول إن الوزير الحادي عشر في حال انه الأمير الوليد بن طلال بن عبد العزيز، سيشكل في رأينا صمام الأمان لخاتمة سعيدة لأزمة إشتدت ووصلت الحال باللبنانيين إزاء ضيق حلقاتها إلى الظن بأن لا أمل يرتجى من الحل.. ثم جاء الحل الذي يرضي الجميع وعلى نحو رغبة عبدالله بن عبد العزيز وعزيمته.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 13 مارس (آذار) 2007

تصيين القاهرة.. خطوة خطوة

الجديد من أخبار القاهرة التي تكاد تختنق من كثرة التلوث وإرتفاع مذهب في عدد السكان، وازدحام في حركة السير لا مثيل له، أن مشروعاً بدأ يوم الأحد 11 - 3 - 2007 يتشارك فيه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي و«جمعية نهوض وتنمية المرأة» لتوزيع درّاجات على مئات المواطنين بسعر تشجيعي للدرّاجة، ويتم التسديد على أقساط مريحة لا تتجاوز ثلاثة دولارات شهرياً. هذا يعني أن تصيين القاهرة هو الحل بعدما لم

تتفع الكباري والمتمرو والأوتوبيس النهري. وكيف ستتفع إذا كانت المشكلة الأزلية على حالها حيث التناسل في ذروة الإزدهار وتحديدًا في الأرياف ومن دون أن تخفف من وطأته حملات تحديد النسل التي تتوارثها العهود الرئاسية عهداً بعد عهد، وسيواصل التوريث إلى أن تأخذ مصر بـ «التصيين النسل» بحيث يقتصر الإنجاب على ولدين في الحد الأقصى وهو أمر على درجة من اليسر بالنسبة إلى دولة خارج مجتمع الأديان السماوية، إلا أنه بالنسبة إلى كبرى الدول العربية الإسلامية مصر يحتاج الإجراء إلى قرار رئاسي مقروناً بتمهيدات أزهرية من على منابر المساجد ومن خلال الندوات والمقابلات عبر الفضائيات، وكذلك إلى فتوى جريئة من نوع الفتاوى التي تكاثرت إستصدارها في سنوات الإنفتاح السياسي والإقتصادي يليه الإنفتاح الذي يقترب من لمس المحرّمات والمحظورات على نحو ما تجرأ على اقتحام أسوارها كُتّاب ومفكرون وكاتبات وروائيات وفنانون، وبعض هؤلاء من النخبة ذات القدرة على الإبداع، إلا أنهم وجدوا القلم واللسان يذهبان بعيداً في بعض الأحيان، وتتشأ عن ذلك مطاردات ومطالب تصل أحياناً إلى إعتبار العمل الإبداعي فغل ارتداد عن الدين. والفتوى التي نعنيتها في شأن تحديد النسل تكون في قراءة تتناسب مع ظروف العصر ومقتضيات الوضع الإجتماعي يقوم بها الفقهاء الذين يفسّرون بالكثير من الرحابة في الاجتهاد الحديث الشريف «تناكحوا، تناسلوا فإنني مباه بكم بين الأمم».

والقول بأن التناسل المزدهر في مصر المحروسة مشكلة أزلية وبرسم التوريث يستند إلى إستحضارنا عذاب العهد الناصري من هذه المشكلة، وكيف أن هواجس الدعم للرغيف والخشية من سيف وقف تصدير القمح إلى مصر من جانب الإدارة الأميركية بغرض إحراج البرنامج القومي والوطني الناصري، كانت حاضرة في معظم خطب الرئيس جمال عبد الناصر، وإجتماعات مجلس الوزراء، كما أن هواجس تأمين البيض ورغيف العيش والشاي والسكر والزيت والسمنة كانت النقطة المركزية التي تتساوى في تأثيرها النفسي على عبد الناصر بالنقطة المتعلقة بالقضية الوطنية. ولقد رحل عبد الناصر والحال على ما هي عليه ثم جاء الرئيس أنور السادات يقلل بالتدرج من التطلعات التي تتعلق بدور مصر وطنياً وقومياً وتصل الحال به، نتيجة

الضغوط المعيشية الناشئة عن التناسل المزدهر وما تسببه زيادة عدد السكان من التزامات على الصعيد المعيشي واستنزاف المؤسسة العسكرية لميزانية الدولة على حساب متطلبات التنمية، إلى إبرام إتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل وحصوله نتيجة ذلك على الرضى الأميركي والأوروبي وعلى نصف جائزة نوبل للسلام نال النصف الآخر شريكه مناحيم بيغن ثم رحل الإثنان لتنتقي موجبات الجائزة نتيجة ان السلام لم يتحقق وان طبيعة الصراع تبدلت إذ بعدما كان بين العرب وإسرائيل، فإنه بات حالات احتراب وصراعات عربية - عربية وأحياناً بين أهل البلد الواحد، فضلاً عن أن الإرهاب وجد طريقه إلى المجتمع العربي نتيجة هذا التحلل كما لم يجده من قبل.. وإلى درجة انه لم يسلم بلد عربي من ويلات الإرهاب.

وما لم يجد له الحل في العهد الساداتي ورثه عهد الرئيس حسني مبارك الذي تفاقت المشكلة السكانية في سنواته، وهذه بدورها أفرزت مشاكل أخرى ستشكل عبئاً ثقيلاً جداً على من سيحكم بعد مبارك سواء كان الوريث ابنه جمال، أو أحد الجنرالات على أساس أن الرئاسة معقودة اللواء عُرفاً وتقليداً معاً للمؤسسة العسكرية. وعلى رغم بعض مشاريع الاستصلاح والتنمية في مناطق بعيدة جداً عن العاصمة، إلا أن القاهرة ما زالت نتيجة الكثافة السكانية عرضة لإنفجار إجتماعي يشبه في بعض ملامحه العمارات الآيلة للسقوط وعلى من فيها. وعندما تبادر «جمعية نهوض وتنمية المرأة» المصرية غير الرسمية وبالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي التابع لمرفق البيئة في المنظمة الدولية إلى إبتكار فكرة التصيين التي أشرنا إليها وبموجبها يتم توزيع درّاجات على فقراء الحال من سكان عاصمة مصر المحروسة، الذين ذهبوا مثلاً في التكس داخل الأوتوبيسات وعلى أبوابها وسطوحها، فهذا مؤشر إلى هاجس الانفجار الإجتماعي المحتمل حدوثه. وتلك خطوة أولى على طريق التصيين من الصعب، حتى إشعار آخر، حدوث خطوات صينية لاحقة تبدأ بالخطوة الثانية التي تتمثل في أن كل زوجين من حقهما إنجاب ولد واحد وتكون الأفضلية للذكور على صعيد المساعدة الحكومية.. مع ملاحظة أنها خطوة أفرزت من السلبات على المجتمع الصيني ما قد تؤثر كثير التأثير على مستقبل هذا المجتمع بعد ربع قرن.

ويبقى ونحن نتحدث عن المشكلة الأزلية في مصر المحروسة، وكيف إنعكست في بعض جوانبها وبالذات في تجربة الإنفتاح التي إقتصرت الاستفادة منها على مليون من اصل سبعين مليوناً هم عدد سكان مصر، ومن بين المليون هذا عشرة آلاف مليونير، الإشارة تدليلاً على مسألة التلوث التي باتت خطيرة، أن الحكومة اليابانية أدرجت قبل فترة في وصاياها إلى رعاياها الذين يسافرون إلى مصر للسياحة، فقرة تفيد بأن عليهم عدم البقاء في القاهرة أكثر من يومين بسبب مخاطر التلوث، يزورون خلالهما المتحف والاهرامات، ثم يغادرون على وجه السرعة إلى الغردقة وشرم الشيخ، حيث نسبة التلوث بسيطة جداً.

تبقى الإشارة أيضاً إلى أن منظر بضعة ملايين من سكان القاهرة ينتقلون بالدرجات الهوائية سيكون لافتاً، ومن المؤكد انه سيكون موضوعاً للنكات الكثيرة. والنكته في أي حال خير من النكد الناشئ في بعض أسبابه عن التلوث.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 20 مارس (آذار) 2007

* * *

قمة الرياض: مشهد مستحَب

يتمنى المرء من أجل تقليل نسبة الحذر العربي من إيران ونخص بالذكر الحذر الخليجي، لو أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد أو رئيس هيئة تشخيص مصلحة النظام في إيران الشيخ هاشمي رافسنجاني أو حتى الإثنين معاً، هما من مُستضافي قمة الرياض العربية الدورية التي تبدأ أعمالها بعد غد في الرياض، ذلك أن حضور الإثنين أو أحدهما سيعطي انطباعاً عن وفاق عربي - إسلامي له تأثيره بالنسبة إلى التوتر السائد على المستويين الإقليمي والدولي، فضلاً عن أن مسألة الحضور الذي نشير إليه أمر مألوف، إستناداً إلى سابقة مشاركة رئيس الحكومة التركية رجب طيّب أردوغان في القمة العربية الدورية التي إستضافها الرئيس عمر حسن البشير في الخرطوم أواخر مارس 2006، وكان حضوره لافتاً وموضع إرتياح أهل القمة خصوصاً ان حكومته رفضت المشاركة في حرب بوش الابن على

العراق انسجماً مع المشاعر العربية والإسلامية في هذا الشأن على رغم أن قلقها من الموضوع الكردي يفرض عليها خوض غمار غزو العراق والحفاظ على موطن قدم يفيدها عندما تبدأ سياسة المقايضات. وعندما نسمع الرئيس أردوغان يجدد يوم الأحد 4 مارس للمرة الثالثة خلال أشهر ندمه على عدم مشاركة تركيا مع الإدارة البوشية في غزو العراق يتأكد لنا أن القلب التركي الأردوغاني على الأشقاء العرب والمسلمين تقدّم على العقل الذي يرى أن مصلحة البلاد تأتي أولاً ومسايرة الجار والصديق تحل ثانياً.

ومن إيجابيات مشاركة إيران في القمة الأولى لعبد الله بن عبد العزيز بعدما بات ملكاً أنها إلى جانب تقليل نسبة الحذر العربي والخليجي بشكل خاص من إيران، تُنبّه أهل الحكم الإيراني إلى أمر أساسي وهو أن استقرار جمهوريتهم الإسلامية من استقرار الجيران العرب والمسلمين وان القلق عندما يرتفع منسوبه يصبح حالة خصومة وان الخصومة تفرض على أولي الأمر أحياناً الإعتماد على نجدة الصديق البعيد لدرء أطماع الأخ القريب، وهذه أمثلة تداعيات الغزوة الصدامية للكويت يوم الخميس 2 أغسطس (آب) 1990 دليل على ذلك. وفي الوقت نفسه إن من إيجابيات حضور نجاد أو رافسنجاني في القمة كمراقب أن مسؤولية الأمتين العربية والإسلامية إزاء المخاطر التي قد تتعرض لها إيران على نحو ما هو محتمل الحدوث في حال إستمرار العناد العنوان الرئيسي في الخطابين الإيراني والأميركي، تصبح اكبر. هذا إذا لم يجد الأشقاء من عرب ومسلمين أن السلوك الإيراني قابل لاستدارة نوعية ومن أجل ذلك فلتتم معالجة الأمور بالحسنى.

ونحن عندما نشير إلى مشاعر الحذر فلأن هذه المشاعر لم تعد مقتصرة على الأمور السياسية وإنما بدأت تتعاظم على الصعيد المذهبي. وعندما تقرر الدول السبع الإسلامية السنية، ذات الحضور الفاعل في صياغة القرار الإقليمي، إبتكار صيغة حلف من نوع جديد ويمهد وزراء خارجية هذه الدول، وهي المملكة العربية السعودية ومصر والأردن وتركيا وباكستان واندونيسيا وماليزيا خلال لقائهم يوم الأحد 25 فبراير (شباط) 2007 في إسلام آباد لمؤتمر على مستوى القمة من المتوقع أن يُستضاف بعد القمة العربية الدورية، فهذا مؤشر إلى أن ما يقال في ضرورة تكوين «بدر سني»،

إذا جازت التسمية، في وجه «هلال شيعي» إنما هو واقع ملموس. وعلى رغم أن العضوية مقتضرة على الدول السبع إضافة إلى أمانة منظمة المؤتمر الإسلامي ولا مجال، ربما حتى إشعار آخر، لبقية الدول الإسلامية السنية للانتساب، إلا أن احتمال تطوير هذا التجمع بحيث يصبح مثل «الناتو» من حيث ضرورات الإنشاء ومستلزمات التقوية وموجبات التدخل، ليست مستبعدة في حال أن المشروع النووي الإيراني واصل استكمال مقوماته كسلاح يفرض الأمر الواقع على الغير السني. ولا بد أن الملك عبدالله بن عبد العزيز أوضح للرئيس محمود أحمددي نجاد خلال لقائهما يوم السبت 3 مارس الجاري في الرياض إن إنزعاج أهل الحكم الإيراني من هذا التجمع هو مثل إنزعاج الذين اجتمعوا في لقاء إسلام أباد للتمهيد للقاء قمة يدشن ولادة هذا التجمع، وإن التفهم الذي لا بد منه لدواعي القلق هو الذي يلغي ضرورة إنشاء مثل هكذا تجمعات.. وبصرف النظر عما إذا كانت محوراً عابراً أو حلقاً ثابتاً. ونشير هنا إلى أن الرئيس نجاد أبدى أمام الملك عبدالله بن عبد العزيز الإنزعاج من لقاء دول خط الدفاع الأول للسنة في العالم الإسلامي معتبراً إياه أنه كماشة كفيلة بإحكام الطوق وإلى حد الاختناق على إيران، خصوصاً أن مقومات الدول السبع على درجة من الإقتدار النفطي والمالي والإقتصادي، والموقع الإستراتيجي والنووي والتعاون الخالي من التحفظات مع المجتمع الدولي. ومع أن الرئيس نجاد كان صغير السن عندما رفعت الخمينية، في بداية امتلاكها زمام السلطة في إيران، شعار «تصدير الثورة» وردت دول الخليج من خلال «البولدوز» الصدامي على هذه الدعوة بالمواجهة المباشرة، إلا أن ذاكرته المعلوماتية تجعله يتأمل في ظروف استيلاء «مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، ويرى أوجه تشابه كثيرة في ضرورات الاستيلاء بين ذلك المجلس وضرورات استيلاء محتمل لـ «الحلف السباعي الإسلامي» أو كتسمية مخففة لـ «تجمع دول إعلان إسلام أباد» الذي قد تكون بدايته مثل «تجمع دول إعلان دمشق» إلا أن مصيره لن يكون مثل هذا الأخير الذي بدأ قوياً ولأحكام الضرورة ودرء الخطر، لكن ما لبث أن بدأ يذوب كالشمعة ثم يترنح ويسقط على الحلبة كممثل ملاكم لم يلتزم بقواعد اللياقة البدنية التي تُبقيه على قيد كسب الجولات.

في سياق التمنيات أيضاً يتمنى المرء في ضوء إلزام إخواننا في حركة «حماس» بما تم التفاهم في شأنه في لقاء مكة الذي رعاه حتى لحظة إنجازه الملك عبدالله بن عبد العزيز وبعدهما كان الثلاثي الذي أنجز، أي الرئيس محمود عباس ورئيس الحكومة المكلف إسماعيل هنية والرجل الأقوى في «حماس» خالد مشعل، تشكيل حكومة الوحدة الوطنية أن يكونوا بدءاً من قمة الرياض إلى يمين سعي الملك عبد الله بن عبد العزيز من أجل ترجمة الأقوال الدولية في شأن كيان فلسطيني إلى أفعال وأن لا يكتفي وفد فلسطين إلى القمة برفع الأيدي شكلياً على تجديد التأكيد على «المبادرة العربية» وإنما أن تكون اليد «الحماسية» المترددة مرفوعة بحوية شأنها شأن اليد «الفتحوية» المضمونة موافقتها مئة في المئة. أما لماذا نقول ذلك فلأن وصول خالد مشعل فجأة إلى الرياض قبل موعد القمة بعشرة أيام للتشاور مع الملك عبدالله، كان بدأ يمارس اللعبة السياسية على نحو أسلوب الرئيس الراحل ياسر عرفات في هذا الشأن وكيف أن «أبو عمار» كان يخاطب كل طرف عربي أو إسلامي ويتعامل معه بما يُرضي هذا الطرف. ودليلنا على هذا السلوك المشغلي أن الأخ خالد تبادل في طهران يوم الثلاثاء 6 مارس 2007 مع الرئيس نجاد كلاماً يعود بذاكرتنا إلى أطروحات سابقة لكل منهما تتعلق بالمقاومة ومصير إسرائيل، مع أن لقاء الإثنين بعد مصادفة إجتماع كل منهما بالملك عبدالله بن عبد العزيز في الرياض في فترتين متباعدتين، وما كانت عليه المحادثات لكل منهما في ذلك اللقاء، تفرض عليهما إعتداد مفردات أقل تشدداً في موضوع الصراع مع إسرائيل. لكن الذي قرأناه لكل منهما يترك انطباعاً مغايراً حيث أن الرئيس نجاد قال لضيفه الفلسطيني المرموق، الذي جاء ليحيطه بما تم الإتفاق عليه في لقاء مكة مع الرئيس محمود عباس في شأن تشكيل حكومة وحدة فلسطينية، تلتزم بالإتفاقات التي عقدتها السلطة في الزمن العرفاتي، وبعض الزمن العباسي مع إسرائيل «أن الكيان الصهيوني يمر في أسوأ مرحلة في حياته، ويتجه نحو الاضمحلال، وأن النصر الإلهي الذي حققه إيمان ومقاومة الشعب الفلسطيني المظلوم سيظهر إلى العيان قريباً، ولذا فإن وحدة المقاومة من شأنها بعد التوكل على الله أن تمهد الطريق لإخراج الغاصبين الصهاينة من الأرض الفلسطينية المقدسة، وعدم بقاء شبر منها تحت

الإحتلال...». وهذا الكلام الوجداني الروحاني جعل خالد مشعل يكرر أمام نجاد «رفض حماس الإعتراف الرسمي بالكيان الصهيوني الغاصب... الخ». وما يمكن قوله كإضافة إلى كلام مشعل هو أن الرعاية العربية من جانب قمة عبدالله بن عبد العزيز وعلى قاعدة التفهم الموضوعي للموقف الدولي من شأنها أن تحقق للقضية الفلسطينية ما ليس في قدرة إيران بالتحليل النجادي الذي أشرنا إليه تحقيقه. ولو أن خالد مشعل تمنى على الرئيس الإيراني، الذي يعيش حالة انتظار زوال إسرائيل، دعم «المبادرة العربية» لكان أمكن القول أن القطب الحماسي المرموق لا يستنسخ السلوك العرفاتي في مخاطبة الأطراف المعنيين بالقضية الفلسطينية، كل وفق ما يُرضي عنفوانه وينسجم مع طروحاته.

ويبقى التمني الأخير وهو أن يأخذ رموز الأزمة اللبنانية في الإعتبار أن قمة الرياض هي خشبة الخلاص، فإذا هم إغتتموا الفرصة تكون الأزمة انحسرت، أما إذا لم تُسعفهم الفطنة عمداً أو لسوء الحظ فإنهم والوطن عرضة لما لا يمكن علاجه، فضلاً عن أن لفتات الإهتمام السياسي والمالي التي أمكن من خلالها إبقاء القلب اللبناني ينبض قد لا تتأمن حتى من اعز الأصدقاء الدوليين وأقرب الأشقاء الإقليميين. ومن المؤكد أن العزلة في هذه الحال ستكون شاملة وقاتلة. وعلى هذا الأساس فإن مفاجأة من جانب رموز الأزمة تتمثل في الظهور أمام القمة متآلفي القلوب متحابين متقاسمين نعمة الوطن ستكون موضع ترحيب. وما نقصده بالمفاجأة هو أن تستعيد الحكومة اللبنانية وزراءها الذين استقالوا، وأن يضع مالكو الرئاسة اللبنانية الثلاث وبصيغة الإحتكار نهاية للمطاردة التي هي أشبه بمطاردة «توم» لـ «جيري»... أو العكس لا فرق.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 25 مارس (آذار) 2007

* * *

طهران ولندن.. تجاذبات القط والفأر

بعد الرسالة السرية التي بعثت بها الإدارة الأميركية

إلى الحكومة الإيرانية تحتج فيها بسبب تزويدها ميليشيات عراقية بمتفجرات تخترق الدروع متهمة «فيلق القدس» التابع لـ «الحرس الثوري» و«حزب الله» بتدريب عراقيين في إيران، جاءت واقعة احتجاز إيران لعناصر البحرية البريطانية الخمسة عشر بينهم جندي بتهمة دخول المياه الإقليمية. وبدأت حكومة بلير حملة تجمع بين الدبلوماسية والتحذير تستهدف استعادة البحارة، ثم ما لبث الأمر أن تطور وحملت الأنباء بعض التفاصيل عن مناورات عسكرية أميركية هي الأوسع قرب المياه الإيرانية في الخليج شاركت فيها للمرة الأولى مجموعات من حاملتي الطائرات «سيتينس» و«إيزنهاور». كما حملت الأنباء معلومات استخباراتية روسية حول تحضيرات أميركية لشن عملية برية وجوية ضد إيران بهدف تركيعها وخلخلة مؤسسات الحكم فيها وبأدنى حد من الخسائر. وكانت سبقت هذه المعلومات بأيام قليلة معلومات تصب في الإطار نفسه وتقيد بأن العملية المشار إليها ستحدث يوم السادس من أبريل (نيسان) الجاري، وبحيث تبدأ في الرابعة فجراً وتنتهي في الرابعة عصراً.

في ضوء ذلك يجد المرء مثل حالنا نفسه يتساءل: هل ان احتجاز إيران للبحارة البريطانيين هو مثل احتجاز السلطات العراقية في مارس (آذار) 1990 للصحافي الإيراني فرزاد رباطي بازوفت، الذي يحمل وثيقة سفر بريطانية؟

وهل ان السلطات الإيرانية ستكتفي بالنسبة إلى موضوع البحارة باستجوابهم ثم إصدار أحكام عليهم بتهمة دخول المياه الإقليمية تراوح بين السجن، إذا اعتبرت المحكمة هذا الدخول غير متعمد، أو ما هو أكثر من السجن بكثير، إذا اعتبرت دخولهم كان بغرض التجسس؟

وهل ان «الدخول الخطأ» من جانب البحارة البريطانيين المياه الإقليمية الإيرانية كان فخاً، الغرض منه وقبل ساعات من إجتماع مجلس الأمن واصداره بالإجماع قرار تصعيد العقوبات على إيران، إلباس أهل الحكم الإيراني تهمة الإساءة المتعمدة إلى المجتمع الدولي، وذلك برفضها الخطأ البسيط وتحويله إلى فعل اهانة للدولة الكبرى بريطانيا؟

وهل إن المسألة هي نوع من الرد على الواقعة الغامضة المتعلقة بالجنرال علي رضا عسكري مساعد

وزير الدفاع الإيراني السابق الذي اختفى يوم 7 فبراير (شباط) 2007 وقيل إنه إما اختطف من مكان إقامته في تركيا، وإما لجأ بمحض إرادته إلى الغرب (بريطانيا أو أميركا). كما وُصفت الواقعة بأنها بالغة الأهمية كون الجنرال علي رضا كان من الشخصيات الأمنية الفاعلة في الحكم الإيراني، ويملك المعلومات الدقيقة عن «حزب الله» وكان مشاركاً في تأسيسه في لبنان ودول أخرى، كما يملك معلومات حول السلاح لدى الحزب وغيره وطرق إيصاله، الأمر الذي من شأنه إرباك مؤسسة الحكم الإيرانية في حال أفضى إلى خاطفيه أو الذين لجأ، أو الجأوه إليهم، بما يملكه من المعلومات والخرائط والأسماء والخطط ونقاط الضعف والقوة والشفرات في الجيش الإيراني والمؤسسات الأمنية المتعددة وأبرزها «الحرس الثوري». وبعدما أشارت مصادر رسمية إيرانية إلى أن الجنرال اختطف ولم يلجأ وأنه يتعرض للتعذيب على أيدي استخبارات غربية في إحدى الدول الأوروبية من أجل تقديم معلومات، سكنت تلك المصادر وبقيت الواقعة لغزاً، ثم جاءت حادثة البحارة البريطانيين الخمسة عشر والمناورات الأميركية الأوسع والمعلومات الاستخبارية الروسية تشكل في بعض نقاطها محاولة لفك هذا اللغز.

ولا بد بعدما أوردنا التساؤلات ذات الطابع الافتراضي من استحضار واقعة بازوفت لمعرفة ما إذا كانت مثل التاريخ الذي يعيد نفسه، وأيضاً ما إذا كانت إيران لن تقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الرئيس صدام حسين عندما استهان بالموقف الدولي الذي كان مؤازراً لرئيسة الحكومة البريطانية مارغريت تاتشر في حملتها التي تستهدف انقاذ بازوفت من الإعدام بعدما أدين بالتجسس من قبل محكمة عراقية. ومن مظاهر تلك الاستهانة تصديق صدام على الحكم وإعدام بازوفت وفي اعتقاده أن ازدواجية جنسيته حيث أنه بريطاني من أصل إيراني لن تجعل تاتشر تتمسك به على النحو الذي لاحظناه فيها منذ لحظة اعتقال الرجل، ومن دون أن يستوقفه أن بازوفت ربما كان طعماً، عن عمد أو بالصدفة، لكي يتورط العراق الصدامي في إعدامه ويكون هذا القصاص مناسبة لتحريك جمعيات حقوق الإنسان لإدانة عملية الإعدام التي تمت مع ان التريث، كما الحال مع الممرضة البريطانية شريكة بازوفت، كان أفضل، وكان أيضاً تسليم الرجل إلى الأمم المتحدة سيبدو كمؤشر إلى

حُسن النية والتفهم. ومن دلالات عدم التنبه وربما عدم الاكتراث من جانب صدام بالتداعيات التي قد تنشأ أنه اعتبر إعدام بازوفت الذي يعمل في صحيفة «الاوزيرفر» وكان زار العراق سبع مرات خلال الحرب مع إيران قبل ضبطه متلبساً مع ممرضة بريطانية تعمل في مستشفى «ابن البيطار»، إنجازاً وتمثلاً ذلك بقوله يوم الإثنين 2 أبريل (نيسان) 1990 في كلمة اتسمت بالسخرية تلت تقليد الأوسمة والسيوف إلى كبار القادة العسكريين في الحرب مع إيران، إضافة إلى صهره حسين كامل رئيس هيئة التصنيع العسكري ووزير الدفاع الفريق أول ركن عبد الجبار شنشل «يبدو أن حقوق الإنسان هي للجواسيس وليست للشعب الفلسطيني أو العالم الأميركي بول (الذي كان يتعامل مع العراق في التصنيع العسكري واغتيل في بروكسل بمسدس كاتم للصوت، من دون أن تتحرك الاستخبارات الأميركية لكشف الحقيقة). انهم يجعلون من شعار حقوق الإنسان شعاراً للامبريالية الجديدة ووسيلة للتدخل في الشؤون الداخلية للغير...». ومثل هذه المفردات نسمعها بين الحي والآخر من نجم مشاكسة أميركا والغرب عموماً الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد الذي يصعب الجزم بما إذا كانت واقعة البحارة البريطانيين ورقة لمصلحة موقفه، أو إنها مثل واقعة ابن بلده بازوفت الذي كان إعدامه من جملة أعواد الكبريت التي رماها المجتمع الدولي بقيادة أميركا وبريطانيا على العراق الصدامي فكان الحريق الذي ما زال مشتعلًا للسنة السابعة عشرة على التوالي.

وإذا كانت بريطانيا لم تتأثر إنسانياً في موضوع بازوفت وكان الذي يعينها فقط منه أنه يحمل وثيقة سفر بريطانية وأنه مجرد طعم كفيل بجعل السمكة الخليجية الكبيرة، أي العراق، تسقط بفعل هذا الطعم، فإن الأمر يختلف بالنسبة إلى البحارة الخمسة عشر الانكليز الأصليين وبالذات لأن بينهم امرأة تعمّد الإيرانيون في إطار الحرب النفسية إظهارها على شاشة التلفزيون تعترف وتناشد. وترى حكومة بلير أن حالة هؤلاء البحارة تشكل إهانة لها أين منها تلك الإهانة التي لحقت بهيبة بريطانيا من عيدي امين في العاصمة الأوغندية كمبالا وتلك التي لحقت بأميركا عند حصار سفارتها في طهران. ونميل إلى بعض الظن الذي ليس إثماً بأن «الرئيس الصياد» محمود أحمدي نجاد سيعذب السمعة

البريطانية مستغلاً حالة رئيس الحكومة طوني بليز التي لا يُحسد عليها، ويكون التعذيب على نحو استعذاب القطة لتعذيب الفأرة قبل أن تتركها متلاشياً، ذلك أن القرار العقابي الصادر عن مجلس الأمن وبالإجماع جعل الاندفاع النجادي يصطدم بحفرة تعيق التحرك وتُعطل التطلعات الطموحة التي يستهدف منها الثنائي خامنئي - نجاد التأكيد بأنه لم يخطئ حين بذل السعي الحثيث من أجل البرنامج النووي. وبالعودة إلى ما بعد واقعة بازوفت في زمن صدام يمكن من خلال بعض التأمل في رد فعل طوني بليز الذي جمّد العلاقات مع إيران عدا قناة الإتصال الدبلوماسية في شأن واقعة البجعة، إفتراض ما يمكن أن يحدث مستقبلاً في مياه الخليج وعلى ضفافه.. وفي أعماق الأعماق.

وتبقى الإشارة إلى أن حكاية «جريمة» دخول قوارب بريطانية المياه الإقليمية لا تختلف في شيء عن حكاية تدخّل إيران في بحار السيادة الإقليمية للعراق ولبنان وفلسطين، وحيث تستطيع وهو تدخّل مبعوض.. ودون سيئات إحتلال بريطانيا إلى جانب أميركا للعراق. ومن هنا فإن احتجاز بحارة طوني بليز ليس جريمة لا تُغتفر ما دام هو وحليفه بوش الابن يعتبران إحتلال العراق وعدم إحقاق الحق الفلسطيني، وقبل ذلك ترك قطاعان يهود اولمرت ثُمن تدميراً في البنية التحتية والفوقية اللبنانية على رغم مناشدة القريب والبعيد الضغط على إسرائيل لوقف العدوان من المسائل البسيطة.. التي فيها نظر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 3 أبريل (نيسان) 2007

* * *

نيسان بوش الأب مع صدام..

ونيسان بوش الابن مع بشار

ونحن نعيش حالة أبريل (نيسان) بوش الابن مع سورية البشّارية، نجد أنفسنا نستحضر حالة أبريل بوش الأب مع العراق الصّدّامي. وبالمقارنة يمكن لمن تطيب له قراءة ما بين السطور، أن يلاحظ ما يعزز الكثير من الملامح المتصلة بأسلوب الاتصال الذي تقوم به أميركا ذات

الحزبين بالآخرين، ويكون ظاهره ترشيد العلاقة وتصحيح مسارها فيما باطنه الوعيد بعد الترغيب الذي لا يجد الصدى الطيب له.

أبريل بوش الأب مع العراق الصّدّامي بدأ يوم الخميس 12 أبريل 1990 بقاء في الموصل بين الرئيس صدام حسين ووفد من الكونغرس كان وصل إلى بغداد، فيما أزمة العراق مع المجتمع الدولي في قمة التعقيد بذريعة ان العراق يقوم بتطوير اسلحة بيولوجية ويسعى لصنع قنبلة ذرية وجرثومية، فضلاً عن امتلاك المدفع العملاق. اما بداية التعقيد فحدثت عند قول الرئيس صدام في كلمة القاها يوم الاثنين 2 أبريل 1990 «إن العراق سيجعل النار تأكل نصف إسرائيل، اذا حاولت الاعتداء على المنشآت العسكرية الصناعية العراقية»، كاشفاً عن ان العراق «يمتلك السلاح الكيماوي المزدوج (النيترون) الذي تملكه فقط الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي..». وكرر الوعيد من خلال قوله: «إن الذي يضرب العراق بالأسلحة الذرية سيضربه العراق بالسلاح الكيماوي المزدوج، الذي صنعه منذ عام 1987 ولم يستخدمه ضد ايران، وإن العراق لا يخاف إلا من الله، وسيقطع رأس وذنب الدبور الذي يعتدي عليه..». وتزامنت الحملة الأميركية — البريطانية على العراق في وقت كان الرئيس صدام أصّر على رفض التجاوب مع مطالب الحكومة البريطانية عدم تنفيذ حكم الإعدام بالصحافي البريطاني الإيراني الاصل فرزاد رباطي بازوفت بتهمة التجسس، فقال في هذا الشأن «إن أي جاسوس يمر بالعراق ويتصور أن خلفه دولة عظمى، سيجري تقطيعه الى أربعة اجزاء، لأن العراق لأبنائه وللعرب، ولمن يدخل صديقاً مسالماً اياً كانت جنسيته..». وقال عن أميركا التي كانت قطعاتها البحرية الصاروخية بدأت تستقر في مياه الخليج وعلى نحو استقرارها منذ بضعة اسابيع في المياه نفسها، استعداداً لضربة محتملة لإيران النجادية التي تتعامل مع المجتمع الدولي بأسلوب صدام، ويستعمل رئيسها محمود أحمدي نجاد مفردات صدامية مماثلة عند التخاطب والإستهانة والتعبير عن الاعتزاز بالنفس»، أن الولايات المتحدة دولة عظمى بالمقاييس المادية وليس بالمقاييس الأخلاقية. ومن يريد أن يحتل موانئ جنوب العراق فليجرب..».

في ظل هذه الأجواء السياسية الخائفة أوفد الرئيس جورج بوش الأب صديقه السناتور روبرت دول زعيم الأقلية الجمهورية في الكونغرس إلى العراق، يرافقه أربعة

من أعضاء مجلس الشيوخ هم السناتور الن سمسون والسناتور جايمس مكور والسناتور متبرت والسناتور هوارد متيزن بوم. ولم يتم اللقاء في بغداد وإنما في الموصل واستغرق ساعتين بدأ بتسليم الرئيس صدام رسالة من الرئيس جورج بوش الأب تتعلق برغبة الإدارة الأميركية في تطوير العلاقات مع العراق إستقبلها صدام لمجرد إطلاعه عليها بإرتياح ملحوظ معلقاً بأنه يملك الرغبة نفسها على أساس المصالح المتبادلة وبما يخدم السلام. لكن الوفد الزائر أصيب بالهلع وهو يستمع إلى الرئيس صدام، يقول إن العراق سيرد على أي إعتداء إسرائيلي، وأنه سيستعمل الكيماوي المزدوج في حال استعملت إسرائيل السلاح النووي نافياً في الوقت نفسه روايات وادعاءات نشرتها وسائل الإعلام الأجنبية عن إمتلاك العراق الأسلحة البيولوجية وما قيل عن مخاطر المدفع العملاق.

غادر الوفد الأميركي المتميز العراق حاملاً إنطباعاً طيباً عن رغبة الرئيس صدام حسين في علاقات جيدة مع أميركا وهو الإنطباع الذي حملة قبل ذلك بأيام السناتور سبكتر الذي زار العراق قبل أن يأتي السناتور دول على رأس وفد، بعد محادثات أجراها مع صدام بحضور وزير الخارجية طارق عزيز. ثم يتبين بعد ذلك أن الهدف من هذه الإتصالات هو الإيقاع بالعراق وتخدير النظام وإغرائه مقدمة للتغريب به. وهذا ما فعلته السفارة الأميركية المجهولة المقام إبريل غلاسبي التي أوحى للرئيس صدام بما يشبه الرضي إذا قرر إعتداد ما سماه «الفعل المؤثر» مع الكويت. وهو ما أقدم عليه بالفعل، وكان مؤثراً إنما على العراق أكثر مما هو على الكويت، لأن حرب بوش الأب استعادت الكويت ورمت بالعراق في الآتون المشتعل حتى الآن بسبب حرب بوش الإبن.

في إبريل بعد سبع عشرة سنة يتكرر السيناريو الأميركي مع الضفة الأخرى من البعث الحاكم في العالم العربي. فبعد عزلة طالت كثيراً يأتي إلى دمشق يوم الأحد 1 أبريل 2007 وفد من مجلس النواب الأميركي يمثل الحزب الجمهوري. ثم تقوم رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي يوم الثلاثاء 3 إبريل بزيارة غير مسبوقة إلى دمشق، عدا زيارة السناتور الديمقراطي جون كيري قبل أشهر حيث إلتقى بالرئيس بشار من دون جدوى، شكلت ثغرة في جدار العزلة المفروضة من الإدارة البوشية على النظام البشاري من دون أن تقيد النظام في شيء ذلك أن مطالب نانسي (الديمقراطية) لا تختلف في الجوهر عن

مطالب الإدارة (الجمهورية)، فضلاً عن أنها تأتي في سياق الصراع على رئاسة الولايات المتحدة بعد سنة وتطلعات الحزب الديمقراطي الذي مُني مرشحه جون كيري بهزيمة أمام بوش الابن في معركة تجديد الولاية، إلى الفوز بالبيت الأبيض الذي إستأثر به الجمهوريون على مدى ولايتين رئاسيتين حافظتين بالحروب والإحتلال والإستنزاف المادي والبشري. وكما مطالب الوفد النيابي (الجمهوري) تعجيزية بالنسبة إلى النظام البشاري، فإن مطالب نانسي بيلوسي مماثلة من حيث التعجيز. كلاهما يعطي من طرف اللسان حلوة، وكلاهما يريد من بشار الأسد ما سبق أن أراده الوفد الذي ترأسه السناتور روبرت دول من صدام حسين. وبالنسبة إلى الاثنين صدام من قبل وبشار الآن، فإن التجاوب مع المطالب يعني استدارة بالكامل تشبه استدارة العقيد معمر القذافي، الأمر الذي يعني أن لا يعود هنالك مبرر لمواصلة الحكم تحت خيمة «البعث القائد». وفي هذه الحال يأخذ كل جُمع حجمه وليس أكثر. وبالإستناد إلى واقعة إستحضار ما حدث مع صدام حيث أسالوا لعبه في إتجاه الكويت قد تكون هنالك اسالة للعب البشاري في إتجاه لبنان مرة أخرى، إنما تحت المظلة الأميركية وذلك على أساس بدعة «الحق التاريخي» لكلا البعثين ب «القطر اللبناني» و «القطر الكويتي». لكن مقدمات اسالة للعب السوري مكلفة، حيث إنها تبدأ بفك الارتباط مع حزب الله، وإستكمال إنهاء العلاقة مع بقية الفصائل الفلسطينية المتشددة بعد خروج حماس على هذا التشدد، وإنزال مستوى العلاقة مع إيران إلى ما كانت عليه في ما مضى، وتوظيف الخبرة السورية في تأديب العراقيين العصاة على الإحتلال.

وخلاصة القول إنه قبل أن يبعث بوش الأب بالرسول إلى صدام حسين، كان السفير العراقي نزار حمدون الذي رمم خلال فترة زمنية ليست طويلة ما أمكنه ترميمه من العلاقة العراقية — الأميركية المتوترة والمستعانة على يديه بعد قطيعة دبلوماسية طويلة نجح أيضاً في إقناع عدد من رموز المؤسسات السياسية والإقتصادية والإعلامية الأميركية بتشجيع السعي لبناء علاقة متميزة بين العراق وأميركا. وهو سعي تكرر بين النظام البشاري والإدارة البوشية على يدي السفير السوري وليد المعلم، الذي كوفئ بتعيينه وزيراً للخارجية. وفي حين دفع نزار حمدون (الذي ابتلي بالسرطان الذي أودى به لاحقاً) الثمن، لأنه قال لرئيسه صدام بعد التهديد الشهير ب «حرق نصف إسرائيل

بالكيماوي المزدوج اذا هي اعتدت على العراق» انه تبّلع من مستويات رفيعة الشأن في مؤسسة الحكم الأميركي، أن على الرئيس صدام أن يغيّر أو سيتغير، فإن السفير عماد مصطفى الذي يبذل قصارى جهده لترميم علاقة بالغة التوتر تؤهله لمنصب وزير الخارجية لاحقاً قد يجد نفسه يقول للرئيس بشار العبارة نفسها، التي قالها نزار حمدون للرئيس صدام مع فارق أن التغيير عند بشار الأسد أكثر يسراً منه عند صدام. ومن شأن الأيام الآتية أن تتبيننا بالمفاجأة السارة او المباغته التي تؤكد حقيقة أساسية، وهي ان الإدارة الأميركية تبعت بالرسول ومصادفة في الاسبوع الأول من أبريل ليعرضوا الرغبة بخير العلاقة او ترميمها في الظاهر، لكن مهمة هؤلاء في الوقت نفسه، هي وضع لغم في ديوان من يزورون للإيقاع به في الوقت المناسب.. وربما المحدد سلفاً. والله أعلم.

وفي إنتظار ما ستأتينا به الأيام من مفاجأة متوقعة أو مباغته غير متوقعة يعيش الرئيس بشار فترة تأمل في هذا الود المفاجئ من جانب أميركا نحو سوريا والمشابه لذلك الود نحو سوريا والده من قبل. وخلال هذا التأمل يستحضر ولا بد كلاماً سمعه من وزيرة خارجية الرئيس كلنتون (الديمقراطية) مادلين أولبرايت، عندما إختلت به لبضع دقائق بعد تقديمها واجب التعزية الرسمية الأميركية بوفاته والده، كما يستحضر كلام (الديمقراطية الأخرى) نانسي بيلوسي التي سجلت بزيارتها له في دمشق خطوة قد تكون مهمة جداً اذا هو أحسن الاستفادة منها بقدر إستحسانه حديثها مستحضراً ملامح زوجته السيدة أسماء عندما ستصبح في عمر نانسي بيلوسي او ملامح هذه الأخيرة عندما كانت في عمر أسماء، هذا الى جانب التشابه في المحيا، هنالك إبتسامة مشتركة بين الإثنتين تشيع التفاؤل بتغيير الواقع الراهن في العلاقات الأميركية - السورية من حال مایل.. إلى الحال الأفضل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 10 أبريل (نيسان) 2007

* * *

شرقاً وغرباً.. موسم رئاسي مزدهر

لم يحدث أن أزدهر موسم إنتخابات رئاسية على المستوى العربي والدولي كالموسم الذي يتواصل كطف

ثماره. كانت بداية هذا الموسم مع علي عبدالله صالح الذي خلافاً للطقوس المألوفة في الحكام الجنرالات لم يعد يظهر على الشعب والعالم عند الزيارات الرسمية بالزي العسكري مستبدلاً إياه بالبدلات الأنيقة، وبين الحين والآخر بالزي اليمني حنيئاً من جانبه إلى الخنجر على الوسط. وكان الرئيس علي عبدالله صالح قد أشاع أجواء من الطمأنينة للذين يتطلعون نحو الرئاسة الأولى بأن في إستطاعتهم أن يخوضوا الغمار لأنه بموجب المبدأ الدستوري الذي تبناه في تعديلات جرت عام 1994 أبدى حرصاً على حصر الرئاسة في ولايتين على نحو ما هو حاصل في دول كبرى وصغرى؛ من بينها الولايات المتحدة مع فارق أن الفترة الرئاسية اليمنية هي سبع سنوات. وبهذا الحصر يتيح المجال لمن يرغب في خوض غمار الرئاسة والوقوف على قمة جبل السلطة.. هذا في حال إستطاع إلى ذلك سبيلاً.

لكن الرئيس علي عبدالله صالح الذي نجح عام 1978 في ان يمسك بزمام الحكم بالطريقة التي إعتدها في سوريا الرئيس (الراحل) حافظ الأسد، عدل المادة الدستورية من جهة وفي الوقت نفسه بدأ يخطط لولاية رئاسية جديدة تنتهي عام 2013 معتمداً في ذلك على هشاشة المعارضة اليمنية من جهة وعلى صلابة المؤسسة العسكرية التي باتت مثل زميلتها المصرية لا تتقبل رئيساً من غير أصول عسكرية للبلاد. كما أنه إعتد على رصيد توحيد اليمنيين وعلى خطط بدأها وتستهدف إحداث نقلة نوعية في الدولة من خلال بناء مؤسسات، وترجمة الحملة ضد الفساد التي كان لافتاً إعلانه عنها، وهو في زيارة إلى واشنطن في نوفمبر (تشرين الثاني) 2005 إلى إجراءات، فضلاً عن مواصلة رحلة السعي الشاقة للإنتساب إلى مجلس التعاون الخليجي. وكان لا بد من سيناريو لإظهار مسألة الخلط بين عدم التجديد والعزوف عن ذلك. وجاء مؤتمر الحزب الحاكم (المؤتمر الشعبي العام) يوم 21 يونيو (حزيران) 2006 أفضل مناسبة للإخراج المطلوب حيث ان المؤتمر يرفض اصرار رئيسه على الانصراف وإتاحة المجال امام حالة جديدة لتداول السلطة، ثم يقرر الرئيس بعد التوضيح بأن يعيد النظر في قراره ومواصلة حمل المسؤولية رئيساً لليمن الى حين يصبح في الثانية والسبعين من العمر.. وهي سن تؤهله لتجديد ولاية رئاسية اخرى في حال كانت الصحة على ما يرام. ثم

يفاجأ بأن عود «الحوثيين» إشتد صلابة واتسعت رقعة تحدياتهم له بعدما تجددت الرئاسة، الأمر الذي يضعه أمام مواجهة صغرى مع «التحدي الحوثي» لزعامته تكمل المواجهة الكبرى مع الزعامة الماركسية الأصول أو الهوى في الجنوب والتي إنتهت بتوحيد اليمن وتبعثر الزعماء الجنوبيين في المنافي، ومنها دولة الإمارات. ومع ان التجديد ولاية رئاسية إضافية تمت في مناخ اتسم بالمنافسة الحرة بين مرشحين أقوى نسبياً، إلا أن مسألة عودة الرئيس علي عبدالله صالح عن قرار التخلي وإتاحة المجال للتداول أخذت في القاموس العربي الخاص بالرئاسات والرؤساء والزهدي المنصب مكاناً لها إلى يمين عودة الرئيس جمال عبد الناصر عن قرار حاسم بالتخلي تأكيداً على تحمل مسؤوليته عن هزيمة 5 يونيو 1967، وذلك إستجابة للجماهير التي نزلت إلى الشوارع تطالبه بالبقاء مثل مطالبة الحزب لعلي عبدالله صالح بتجديد الولاية.. انما داخل قاعة المؤتمر ومن دون النزول الجماهيري إلى الشوارع.

ما لم يفعله العقيد علي عبد الله صالح الذي تسلم زمام السلطة عام 1978 رئيساً للجمهورية فله في موريتانيا العقيد الآخر أعل ولد محمد فال الذي أصر على الوفاء بوعده قطعه على نفسه، وهو أنه لن يحول الانقلاب الأبيض الذي قام به عام 2005 وأسقط من خلال ترؤسه المجلس العسكري الرئيس العقيد معاوية ولد الطايح على طريقة إسقاط العقيد معمر القذافي حكم الملك إدريس السنوسي، إلى أمر واقع رئاسي له ولزملائه الضباط. وكلاهما كان خارج البلاد. العاهل الليبي كان في زيارة الى تركيا فاغتنم القذافي فرصة الغياب، وقام بقلب النظام الملكي وأحل محله جمهورية طورها الى جماهيرية. والرئيس ولد الطايح كان يشارك في مؤتمر قمة في السعودية، فإغتنم العقيد أعل ولد محمد فال فرصة الغياب وقاد عملية انقلابية شبيهة هي الأخرى في بعض جوانبها بتلك التي قام بها الفريق اول عبد الرحمن سوار الذهب الذي اسقط حكم الرئيس جعفر نميري بينما الأخير في زيارة سياسية وطبية الى واشنطن. ومن المفارقات أن القالب والمنتقل واحد في البلدين والحالتين، وأيضاً من حيث إحترام الوعد والوفاء بما قيل منذ اللحظة الاولى بأن الانقلاب لن يبقى أكثر من سنة يتم بعدها تسليم الحكم إلى المدنيين. وها هي حال العقيد ولد محمد فال الذي سلم الأمانة للمدنيين بعد

إنتخابات رئاسية نزيهة أشرف عليها ثلاثمائة مراقب دولي؛ بينهم بعثة كبرى من الإتحاد الأوروبي تضم 81 مراقباً، جرت على دورتين وتنافس فيها 19 مرشحاً بينهم 11 من المستقلين (أحدهم الزين ولد زيدان المحافظ السابق للبنك المركزي الذي لم يحالفه الفوز) وثمانية تدعمهم أحزاب سياسية أبرزهم سيدي ولد شيخ عبدالله الذي فاز في الدورة الثانية بحصوله على 52.85 في المائة من الأصوات، مقابل 47.15 في المائة لمنافسه أحمد ولد داه. ومن حسن حظ الرئيس المدني لموريتانيا انه سيكون رئيس موريتانيا النفطية بعدما غدت هذه البلاد «السعيدة» بالمفهوم الذي إرتبط بصفة اليمن في زمن التخلف والفقر، سعيدة بالفعل تنتج نفطاً يؤهلها لخوض غمار تحديات التنمية.

ولكن، ومع ذلك، وفي حال تكرر المشهد بأثر رجعي أو ارتدادي في موريتانيا، خصوصاً إذا أصابت الورقة الإسرائيلية الموروثة منهم خلافاً عميقاً، فإن العسكر جاهزون للعودة ربما من خلال العقيد ولد محمد فال نفسه متسلحاً هذه المرة بما هو أكثر من الدبابة أو ما شابهها من الآليات الحربية، أي بورقة الصدق في الوفاء بالوعد الذي قطعه للموريتانيين على نفسه، وهو أنه لن يبقى أكثر من سنة. ومن يدري قد يبتهج الموريتانيون بذلك لمواجهة ضجرهم من أهل السياسة والحزبية الذين قد يضيعون موريتانيا على نحو إحتمال ضياع لبنان كوطن مستقر جزأً ألعيب رموز العمل الحزبي والسياسي.

بعد اليمن وموريتانيا هناك أيضاً السودان حيث ستكون الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقبلة معركة تكسير عظام طرفاها «الإنقاذ البشير» الصامد في السلطة و«الإنقاذ الترابي» الذي فض الشريك العسكري (اي البشير وجنرالاته) الشراكة معه. ويتطلع الترابي، الذي ذاق الأمرين وأذاق أيضاً بعض المرارة للشريك العسكري، إلى إنشاء تحالف يجمع القوى السياسية العسكرية رافعاً مقولة «إذا اردنا تغيير نظام الحكم الحالي بثورة فهذا غير مستبعد لكننا سنزيعهم عن السلطة عبر صناديق الانتخابات من خلال تيار عريض من القوى السياسية..». كذلك هناك لبنان الذي تتطير الشرارات من وضعه الرئاسي يميناً وشمالاً وبحيث أن صيفه الرئاسي يمكن ان يكون ساحة نزال وقانا الله شرورها، وألهم مثيري الفتنة نعمة التعقل وبذلك لا تحترق

أيديهم كما إحترق الوطن وأيدي المواطنين الأبرياء .
وبالنسبة الى الجيران، هنالك الانتخابات البرلمانية السورية التي يمكن أن تكون، في حال إرتضى أهل الحكم إشرافاً دولياً عليها كما الإشراف الدولي على الإنتخابات الفلسطينية والانتخابات الموريتانية، رداً على النظرة غير الودودة من جانب المجتمع الدولي نحو الحكم السوري عموماً وطبيعة حرية التعبير سواء في الإنتخابات أو وسائل الإعلام. والرد بمعنى أن النظام البشّاري يريد التغيير والتنوع بالفعل. كما هنالك الإنتخابات التركية في مايو (أيار) المقبل وكيف أنها المرة الأولى التي تشكّل الورقة الكردية العراقية مفصلاً عاصفاً بالنسبة إلى الرجل الأقوى رجب طيب أردوغان بعدما تجرأ مسعود بارزاني أحد القطبين الأساسيين في الشمال العراقي على تحدي أردوغان في موضوع كركوك. وحيث أن تركيا تدور نصف دورة في الفلك الأوروبي فإن للحديث بقية بالنسبة إلى ظروف تركيا ومعها إيران وحول ما تبقى من محطات الموسم الإنتخابي الرئاسي المزدهر في أوروبا وأميركا وروسيا وغيرها.. وكما لم يزدهر بهذه التناقضات والصراعات والتحديات من قبل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 24 أبريل (نيسان) 2007

* * *

العتمة اللبنانية .. والإضاءة السعودية

تأتي واقعة خطف شاب وفتى لبنانيين الأسبوع الماضي والمستهجنة، بداية من حيث التوقيت ونهاية من حيث القتل بأسلوب جماعات المافيا، لتؤكد حقيقة لا مجال للمجادلة فيها وهي أن أمام العتمة اللبنانية نافذة إضاءة لا وجود لغيرها وتتمثل بالترحيب السعودي من دون إلتزامات عدا الإلتزام بالإتفاق على التفاهم من أجل وطنهم، بأطراف الأزمة اللبنانية لكي يحلوا متآلفي القلوب في الرياض لا ليستأنفوا فيها المجادلات على نحو ما هو حاصل وإنما لكي يقولوا للملك عبدالله بن عبد العزيز وإخوانه، ولشعب المملكة العربية السعودية عموماً، ما معناه إن السعي الذي قام به الدكتور عبد العزيز خوجة، سفير خادم الحرمين الشريفين، كان سعياً

مشكوراً وإنما على هذا الأساس نترك الأمر لحكمتك وإخلاصك لأمتك وإلى حرصكم التاريخي على لبنان ابناء عن أب هو والدكم الطيب الذكر الملك عبد العزيز. ومن المؤكد انه في حال كانت هذه هي نية رموز الأزمة اللبنانية وهذا هو مقصدهم أن يجدوا في الملك عبد الله ليس فقط خير الوفاة، وإنما البذل المتميز من أجل أن يخرج الجميع متآلفين حريصين، على أن ينتشلوا وطنهم من الوهدة التي هو فيها. أليس هذا ما حدث مع طرفي النزاع الفلسطيني؟ وأليس هذا ما جعل إستحالة تشكيل حكومة الوحدة الفلسطينية أمراً ممكناً بعد لقاء مكة التي أنعشت روحانياتها القلوب المتيبسة؟

وبالمقارنة مع واقع الحال نرى أن فرصة الإضاءة السعودية عبارة عن لحظة، فإذا تم اغتنامها فاز الجميع بنعمة الإستقرار وبرضى الناس عنهم، أما إذا لم يحدث ذلك فإن العتب العربي سيصبح غضباً وسيجد أطراف الأزمة أنفسهم ربما أمام «حالة صومالية» أو «حالة عراقية» لا قدر الله.

كذلك إننا بالمقارنة نرى أن الظروف مواتية، بل ضاغطة أكثر من أي وقت مضى من أجل اغتنام الفرصة، ذلك أن الجميع، المتساوين في العناد، باتوا متساوين في الخسارة. فلا هذا الطرف حقق شروطه ولا ذاك أمكنه تغيير المعادلة. وفي ضوء ذلك فليس هناك سوى المزيد من الإضافات إلى الخسارة. وعندما تصبح الحال على هذا النحو فإن أي وسيلة إنقاذ من الواجب والمصلحة الإستفادة منها، فكيف إذا كانت هذه الوسيلة مخرصة وعلى مستوى الملك عبدالله بن عبد العزيز وحرص المملكة التي تتعامل مع لبنان تعامل الأخ الأكبر مع الأخ الذي يحتاج إلى المزيد من العناية والتأهيل لكي يشد عوده.

ومع أن أطراف الأزمة يعتمدون في تردددهم الحسم، على طول بال السفير عبد العزيز خوجة وكيف انه كلما ماطلوا إرتفع منسوب مثابرتة التزاماً منه بتوصية الملك عبد الله، إلا أن المماطلة هنا ليست من أصول اللاعب السياسي وإنما هي في بعض جوانبها نوع من التلاعب المبعوض كأسلوب وكمارسة.

وخلاصة الأمر أن أطراف الأزمة اللبنانية مطالبون بأن ينزلوا من عليائهم إلى أرض الواقع للوقوف على أحوال الناس، وكيف ان شبح الكارثة يقترب من أبواب اللبنانيين، وبحيث لا يقتصر الأمر على أن فنادق لا

أهمية المرجعية العربية الضامنة

لو كانت «القارة السابعة»، ونعني بها السودان، ستنتصرف إلى معالجة الأزمات الحدودية مع الجيران لما كان أهل الحكم وجدوا الوقت لمعالجة الأوضاع الداخلية. ونقول ذلك على أساس ان السودان يتفرد عن غيره من الدول العربية والأفريقية بهذا الكم المتناقض من الجيران حيث يتحاذد مع تسع دول لكل منها مزاجه وسلوكياته ونوعية آداب التعامل مع الآخرين، ولذا نراه يحاول ما استطاع منذ العهد الاستقلالي الرصين وصولاً إلى العهد الإنقاذي المستهدف مروراً بالعهد الحزبي المتناظر بعضه مع بعض والعهد الثوري الحائر بين الثورية الناصرية والإسلامية النميرية - الترابية ان يهدئ من روع الجيران مستهدفاً من ذلك إبقاء الحدود في منأى عن التدخلات، الأمر الذي لا يقتصر الخسران فيه فقط على الاستنزاف العسكري مادياً وبشرياً، إنما يشمل موجات من النزوح إليه تشاركه ألوفها المتنوعة اللقمة والسكر والشاي. ولعله من أجل ذلك رأى وفي شخص الحكم الحالي ان يحسم الأمر المتعلق بالجنوب في صيغة إتفاقية نال فيها الجنوبيون أكثر مما يطمنون وحقق من خلالها الشمال استقراراً نسبياً محتمل الحدوث إلى جانب تقليل نسبة الإنفاق اليومي على حرب لا جدوى من إستمرارها.

وبإستمرار كانت الأزمات الحدودية تفرز ازمات سياسية وأحياناً يحدث العكس، أي ان سوء التعايش بين الحاكم في السودان والحاكم في واحدة من دول الجوار يتسبب في إستعمال كل منهما لمعارضي الآخر، ومع الوقت تبدأ عمليات كر وفر، وربما ما هو أكثر من ذلك بدليل انه في ذروة التأزم الشخصي بين الرئيس الاريتري اسياق افورقي والرئيس السوداني عمر البشير اجاز الأول لنفسه التصرف بحق لا يملكه و«إهداء» مبنى السفارة السودانية في اسمره لتكون مقراً للمعارضة السودانية بأعمدها الثلاثة الصادق المهدي ومحمد عثمان الميرغني وجون قرنق الذين كانوا حشدوا «مقاتليهم» على الحدود الاريترية - السودانية إستعداداً للزحف نحو الخرطوم أو لإحراج الجنود السودانيين الذين وجدوا انفسهم في حالة إحتراب مع إخوان لهم.

منذ إتفاقية السلام الشجاعة بكل المقاييس، غدت الأوضاع الحدودية هادئة عموماً بإستثناء تشاد. فالوفاق السوداني - الاريتري حصل بزيارة افورقي إلى الخرطوم.

تعمل ومطاعم أقلت أبوابها وشركات استغنت عن بعض الموظفين وأصحاب مشاريع أوقفوا مشاريعهم وتجار بارت تجارتهم وبضعة ألوف هاجروا وأضعاف العدد على أهبة الهجرة، وإنما هنالك في الأفق ما هو أعظم. وفي تقديرنا أنهم إذا نزلوا من العلياء لأعادوا النظر في مفردات خطابهم ولتأزلا بالتالي عن مطالب كانت ولا تزال قابلة للأخذ بها.. إنما في منأى عن التحدي والعناد، فضلاً عن أنها مفردات لا يحبذها المنطق على الإطلاق. ومن المستحسن الإشارة ونحن نقول ذلك الى أن الحاكم الصالح في الزمن الغابر كان يغادر ديوانه ويجوب الشوارع متكرراً لكي يقف على حقائق الوضع ويسمع ما يقوله الناس، وعلى هذا الأساس يبنّي قراراته وسياسة تعامله مع أمور البلاد والعباد. ثم يكتشف الناس فجأة أن الأمور اصطاحت ومن دون أن يدري احد بما فعل الحاكم والمستشارون الذين يخلصون النصيحة. وهذا الأسلوب هو ما يُستعاض عنه في الزمن الحاضر بإستطلاعات الرأي. وإذا كان رموز الأزمة اللبنانية لن يقلدوا الأسلوب الغابر فعلى الأقل يأخذوا بأسلوب الحاضر الذي هو إستطلاعات الرأي والتي اذا هم كفوا أنفسهم إجراء استطلاع ما حول الفرصة السعودية ومن دون تحريض مسبق للناس من الأعلى على الرفض أو الإعتراض سلفاً، لوجدوا في ضوء نتائجها ان تسعين في المئة من المستطلعين (بفتح اللام) سيقولون للمستطلعين (بكسر اللام) ماذا تنتظرون، ولماذا لا تكون هنالك مسارعة للاستفادة من فرصة الإضاءة السعودية الكفيلة بفتح نافذة أكثر إتساعاً تبدد العتمة اللبنانية، خصوصاً ان البلد على أبواب صيف يطمئني الجميع أن يعوضهم كارثة الصيف الماضي العدوانى. ومن المؤكد في حال اتصل هؤلاء لإبلاغ السفير عبد العزيز خوجة برغبة البدء بصفحة الوفاق ان يجدوا بساط الريح السعودي جاهزاً لكي يحط بهم في الرياض ومنها عودة وفاقية الى لبنان الذي بات من حقه على أبنائه تركه يستريح من ضوضاء النقاش غير المجدي الذي تراجع النقاش البيزنطي أمامه.

فهل تبدأ الصحوه... وبذلك لا يعود الخوف من الآتي الأعظم هو سيد الموقف؟ عسى ولعل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 1 مايو (أيار) 2007

* * *

والعلاقة مع أثيوبيا مستقرة رغم بعض التحسس السوداني إزاء الدور الاثيوبي في الصومال. كما أن العلاقة مستقرة مع كل من اوغندا والكونغو وكينيا بعد توتر، ومستقرة إلى حد ما مع أفريقيا الوسطى وستصبح أكثر إستقراراً بعد المصالحة السودانية - التشادية، الأمر الذي سيجعل أفريقيا الوسطى لا تصطف بدافع النكاية والغيرة النفطية المستجدة إلى جانب تشاد ضد السودان.

ما يعيننا ونحن نتأمل في مشهد التوترات والأزمات المستشرية بين بعض العرب وجيرانهم هو القول إن هذه الحالات طبيعية عندما تحدث لكن غير الطبيعي هو بقاؤها مستمرة. وهي تبقى ثم تستعصي على الحل في غياب المرجعية الضامنة التي عندما تبذل المسعى الحميد فتن تصميم على إيجاد الوفاق وربما الحل الذي يطفى شرارات التوتر. ومن هنا ننظر إلى الوساطة التي حققها الملك عبد الله بن عبد العزيز بمزمرته في «الجنادرية» يوم الخميس 3 مايو (أيار) 2007 عندما جمع الرئيس السوداني عمر حسن البشير والرئيس التشادي إدريس ديبي. وخلال ساعات، كان تم التوقيع على إتفاق بين الرئيسين اللذين يغلب الجانب الشخصي على أزمتهما وبحيث أن الإنسجام بينهما ليس على النحو المطلوب لرئيسين جارين تجمعهما العضوية المشتركة في الإتحاد الأفريقي والعضوية المشتركة أيضاً في منظمة المؤتمر الإسلامي على أمل أن تجمعهما في مرحلة لاحقة العضوية المشتركة في الجامعة العربية في حال إنتسبت تشاد وإريتريا إلى الجامعة، وهو أمر لا يعود مستغرباً بعدما غدت جيبوتي الأكثر بُعداً عضواً في هذه المنظمة.

وثمة حيثيات عدة لهذا الإسراع في إنجاز الإتفاق بين رئيسين لدى كل منهما القدرة على ايداء الآخر، الأمر الذي يجعل من مصلحة كل منهما التقاهم على الجوار المستقر، لكن تبقى الحيثية الأهم تتمثل في المرجعية الضامنة، أي في الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي حقق للرئيسين عمر البشير وإدريس ديبي نعمة الوفاق على نحو تحقيقه للشقيقتين الفلسطينيتين «فتح» و«حماس» الإتفاق على مواجهة التحديات والمخاطر، الأمر الذي جعلهما يشكلان حكومة الوحدة الوطنية بعدما بدت هذه بعيدة المنال وبدت الحرب الأهلية قريبة الحدوث.

ومن خلال قراءة ما بين سطور الإتفاق على نحو ما

تلاه وزير الإعلام السعودي، اياد مدني، نلاحظ أن الطرفين أكدا «الإلتزام بإحترام سيادة الأرض وسلامتها وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ومنع إستخدام الأرض لإيواء أو لحشد أو لتدريب أو لمرور أو لتموين الحركات المسلحة للطرف الآخر أو تقديم أي نوع من أنواع الدعم المادي والمعنوي لهذه الحركات والعمل على إبعادها فوراً عن أراضي البلدين...».

بعد الآن، ستهاد نسبياً على الأرجح جبهة دارفور. وعندما يحدث ذلك ينحسر التعاطي الدولي مع الموضوع الدارفوري بالخشونة التي هو عليها الآن. لكن من المهم أن تكون بعض الأطراف السودانية ذات التأثير في الموضوع، وبالأذات الصادق المهدي والدكتور حسن الترابي وغيرهما، داعمين لهذا الإتفاق الذي تم إنجازه، والذي سيصمد لأنه موضع رعاية المرجعية الضامنة المتمثلة في الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي لا يبغي من ورائه سوى إصلاح ذات البين. وتبقى المصالحة السودانية - التشادية برسم أطراف أخرى من مصلحتها إغتنام فرصة وجود المرجعية العربية الضامنة التي هي صمام الأمان.

وفي طليعة هذه الأطراف لبنان مع نفسه ولبنان مع سوريا وسوريا مع بعضها وبعض شقيقاتها. وأما إيران فمع الجميع وبالأذات مع لبنان.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 8 مايو (أيار) 2007

* * *

الرئاسة النعمة.. والنقمة

جاءت الرئاسة للفرنسي من أصل مجري على طبق من فضة في ظاهرة قد نفاجأ في يوم ليس بالبعيد أن الفرنسيين الذين هللو لفوزه، على طريقة التهليل المألوف في دول العالم الثالث، سيشعرون مثل شعور الشخص الجريح عندما يبرد جرحه، وعندها ستكثر التساؤلات وقد نرى في المشهد الفرنسي الكثيرين الذين يتساءلون: ما هذا الذي فعلناه وكيف خذلنا إبننا ذات الأصول الفرنسية الضاربة جذورها في الأرض وأوصلنا إلى الإليزيه الشخص الذي ليس بالأصول نفسها، كون الوالد من المجر فضلاً عن أن

الوالدة هي الأخرى فرنسية إنما ليست كاثوليكية كونها يهودية. وهذه الحالة التي تحدث للمرة الأولى في تاريخ فرنسا الجمهورية تستوجب التأمل. بل أن الرئيس جاك شيراك وسائر القوم من الديغوليين قد يلامون لأنهم إختاروا ساركوزي على طريقة إختيار جمال عبد الناصر - بفعل الاضطراب - أنور السادات عندما عيَّنه نائباً له، فبات هذا الأخير رئيس المحروسة مصر لمجرد الوفاة المفاجئة لعبد الناصر عن 52 سنة من العمر، كما أن الإختيار جاء في بعض ظروفه وجوانبه على نحو إختيار بوريس يلتسين - وبفعل الاضطراب أيضاً - فلاديمير بوتين لكي يتأسس وهو إختيار له صفة التعيين الذي يشبه تعيين سورية حافظ الأسد لأربعة رؤساء جمهورية للبنان المنقوص السيادة والإدارة هم الياس سركيس وأمين الجميل والياس الهراوي وإميل لحود، مع اضافة تمديد في عهد الأسد الأب للهراوي، وتمديد آخر في عهد الأسد الابن للحود نتج عنه مأساة تمثلت في إغتيال رفيق الحريري ومعضلة تنحصر تعقيداتها في أن إميل لحود بات في عزلة مفروضة عليه من جانب الإدارة الأميركية والحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية وبعض الحكومات الأوروبية.

وقد يمضي وقت طويل قبل أن يجد الفرنسي اجابة مقنعة عن السبب الذي جعله يختار مَنْ هو من اصل مجري ولا يقف إلى جانب مَنْ هي فرنسية بامتياز. فإذا كانت المسألة مسألة كاريزما فإن سيغولين رويال ذات شخصية جذابة تجمع في ملابسها وحيويتها وابتسامتها بين صفات تميزت بها جاكين كينيدي والأميرة ديانا... وإذن فإن دينامية ساركوزي وحيويته هما العنصر الجاذب في شخصه فضلاً عن كلام منمق أوحى من خلاله أنه رجل التغيير وتصحيح الإعوجاجات، مع ملاحظة أنه في موضوع الهجرة كان مزائداً لأنه هو في الأصل ابن مهاجر. وهنا نرى أن الكاريزما ليست كل شيء، ذلك أن فرنسوا بيرو الذي حل ثالثاً وكان إلى جانب عراقته من حيث الأصول الفرنسية كثير الشبه برئيس وزراء كندا الأسبق الراحل بيار ترودو الذي ذاعت شهرته في الستينيات كصاحب كاريزما متميزة، لم ينل من الكاريزما بعض ما ناله نيكولا ساركوزي الذي يعاني من مسألة قصر قامته التي تنقص بنسبة الثلث عن

قامة جاك شيراك وأقل من قامة رئيس وزرائه دومينيك دو فيلبان، ولذا يحرص على إحتذاء الكعب الذي يخفف من حرجة هذه العقدة وعلى نحو حرجة طالما كان يشعر بها، وإلى درجة الضيق، الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة الذي كان عندما يزور جزائر بومدين، أو يزوره الأخير في تونس، ويركب الإثنان سيارة مكشوفة، أن يطلب بورقيبة وضع طاولة خشبية يقف عليها وبذلك يبدو بطول قامة بومدين المديدة.

وعندما نتأمل في النهاية الكريمة للرئيس جاك شيراك، نبدو مذهولين من البداية الساركوزية التي صدم بها الرئيس الجديد الفرنسيين الذين إختاروه وعوّض الفرنسيين الذين وقفوا مع سيغولين رويال الخسارة النسبية التي أصابتهم وذلك انه بدل ان يختار المكان المناسب لفترة التأمل التي يحتاجها من أجل التخطيط للممارسة الرسمية رئيساً للبلاد، فإنه وجد نفسه مشدوداً إلى المكان غير المناسب على الإطلاق. والمناسب هو أحد الأديرة كما سبق وألمح، وذلك بهدف التأكيد بأنه المسيحي اليميني المستقيم وان سيغولين رويال إشتراكية حزبياً وكلاماً، بينما هو صاحب سلوك اشتراكي بمسحة تدينية. لكن الرجل أثر المكان غير المناسب والسلوك الذي يصدم الفرنسي، حيث انه وبينما كانت التظاهرات المعادية له بدأت في باريس وعدد من المدن الكبرى الفرنسية وأقدم المتظاهرون رغم قمع رجال الشرطة لهم على إحراق مئات السيارات، وكما سبق وفعل ذلك المتظاهرون في لبنان من جماعة المعارضة، وكانت كاميرات الفضائيات الفرنسية والأجنبية تبث صوراً ذات طابع إنساني للرئيس شيراك من بينها طفل يمد لسانه للرئيس كان قد حمله شيراك بيديه على هامش الإحتفال بعيد النصر، كان ساركوزي الذي أقلته طائرة الملياردير الفرنسي رجل الأعمال فانسان بوللوريه من باريس حط الرجال في يخت الأخير الراسي في المياه المالطية مصطحباً أفراد عائلته، متيحاً المجال أمام حملة أمعن اليسار والإشتراكيون الخاسرون بالرجل نقداً ما بعده قساوة، الأمر الذي اضطر ساركوزي إلى تبرير علاقته بالمليادير المضيف، قائلاً «بوللوريه صديقي منذ عشرين سنة وهو دائماً يدعوني لكنني أرفض، ثم وافقتُ على أن تقضي عائلتي التي عانت كثيراً من قسوة الحملة الإنتخابية عشرة أيام هادئة»،

ثم يقطع الإجازة ويعود مهرولاً إلى باريس للملحة «الكارثة» التي ألقت بظلال ثقيلة على الرئيس الذي يبدو أنه ومنذ اللحظة الأولى قرر أن يقول له (أي لجاك شيراك) ما معناه انه إذا كان لك صديق الملياردير رفيق الحريري فإن لي، أي لساركوزي، صديقي الملياردير ونصف الذي هو فانسان بوللوريه، صاحب الأعمال الضخمة في مجال الإلكترونيات والسينما والفنادق والورق والتلفزيونات إضافة إلى مملكة إعلامية ذات تأثير في الرأي العام الفرنسي.

خلاصة القول إن جاك شيراك أنهى بكرامة عشر سنين حافلة بالتألق والسمعة الطيبة، إلا إذا قرروا في فرنسا، كما مع كل رئيس نبش أوراقه، وبدأ نيكولا ساركوزي ومن قبل تنويجه رسمياً بداية قد يكون بموجبه نتيجة ضعفه أمام العيش الهني لصديقه الملياردير مثل كرة الثلج التي تكبر يوماً عن آخر في بلد يطيب للشعب فيه البحث عن فضائح وخصوصيات الكبراء بمن في ذلك ما فعلته سيغولين رويال بعد ثلاثة أيام من إخفاقها في أن تكون السيدة الأولى، وبذلك تترجم معنى إسمها إلى واقع. وأما الاسم الأول (أي سيغولين) فعلى نحو ما أفادتنا معلومات الإنترنت أنه مركب من كلمتين من أصل جرمانى وهما «النصر والمكافأة»، وأما الاسم الثاني فمعناه «الملكة». لكن مسكينة هذه السيدة المتميزة حيث أنها لم تحقق النصر.. أما المكافأة المأمولة فقد تتلاشى إمكانية الحصول عليها بعدما بدأ الفرنسيون يقرأون ويتهامسون في كتاب سيتلوه المزيد من الكتب، عن علاقة بينها وبين مُساكِنها الرجل القوي في الحزب الاشتراكي فرنسوا هولند الذي على نحو ما يقول الكتاب كان يفضل مساندة ليونيل جوسبان المهزوم في انتخابات 2002 أمام شيراك، لكنه تراجع بعدما قالت له على نحو ما جاء في الكتاب إنها ستحرمه في حال فعل ذلك من رؤية أولاده. والذي فعلته وبالاتفاق مع الشريك المساكن هو مقاضاة الدار الناشرة للكتاب ومؤلفتيه والحامل عنوان «المرأة الفاتنة». وللتذكير مرة أخرى فإن الإثنين يتساكنان منذ عشرين سنة ولا يرتبطان بزواج رسمي. ولكن في تقاليد الفرنسيين هذا ليس مدعاة للاستهجان.

وتبقى الإشارة إلى انه لو قام ساركوزي بـ «استراحة اليخت» قبل الانتخابات لما كان ربما فاز. ولو أن

الكتاب عن سيغولين رويال ومُساكِنها فرنسوا هولند صدر قبل الانتخابات أيضاً وقراه الفرنسيون لربما كانت لن تواصل خوض المعركة أو لا تحصل على النسبة التي حصلت عليها. وهكذا فإن الفرصة متاحة بعد الآن أمام المرشح الوسط فرنسوا بيرو أو غيره. وما يستخلصه المرء وهو يتأمل في المشهد الفرنسي هو أن الرئاسة نعمة ونقمة في الوقت نفسه. ولكنها السلطة التي ترفع بالمرء إلى القمة وترمي في لحظة سوء تصرف إلى السفح... فإلى الهاوية السحيقة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 22 مايو (أيار) 2007

* * *

المحكمة بـ «المتنح السهل» دول صديقة و«الثلاث غير المعطل»

كانت مصادفة غير مستحبة على الإطلاق من جانب الرئيس بشار الأسد والأطراف السياسية اللبنانية التي تناصر موقفه من الموضوع اللبناني وما يخص على وجه التحديد المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، أن قرار مجلس الأمن في شأن هذه المحكمة صدر متزامناً مع إعلان وزير الداخلية في سورية نتائج الاستفتاء على تجديد الولاية الرئاسية لمدة سبع سنوات يكون الأسد الابن في نهايتها على مشارف الخمسين وهي سن تجيز له، في حال سارت الأمور في سوريا على نحو ما سيرها والده الرئيس الراحل، أن يجدد ولاية ثالثة ورابعة.

أما لماذا المصادفة غير مستحبة فلأن فرحة التجديد وفق نتائج الاستفتاء التي أذاعها وزير الداخلية إختلطت بصدمة نتائج التصويت في مجلس الأمن على قرار بإنشاء المحكمة يحمل الرقم 1757 وبذلك شدّت خطوة مجلس الأمن إنتباه الجمع اللبناني والسوري على حد سواء آخذة من بهجة أهل النظام البشاري بالتجديد وفق الاستفتاء الذي إستقبلته إدارة بوش بنوع من الاستخفاف، ما جعل الإعلام السوري يرد على «التحية» الأميركية بمثلاً، بل بخشونة أكثر.

ما يلفت الإنتباه في نتائج التصويت في مجلس الأمن أنها جاءت تشير إلى أن الثلاث الذي إمتنع عن التصويت متمثلاً بالصين وروسيا واندونيسيا وجنوب

أفريقيا وقطر لم يكن معطلاً على نحو ما تنادي به المعارضة اللبنانية متمثلة بـ «حزب الله» و«حركة أمل» و«التيار العوني»، ذلك أن الأمور لا تقاس بالكثافة السكانية العددية بمعنى أن عدد السكان في الدول الخمس التي امتنعت عن التصويت يفوق عدد السكان في الدول التي صوتت مع قرار إنشاء المحكمة. لذا بدا مشهد جلسة مجلس الأمن قريب الشبه بالمشهد السياسي الراهن في لبنان مع فارق أن الثلث الدولي إرتضى ما آلت إليه نتيجة التصويت عملاً بمبدأ رجحان موقف الاكثرية على موقف الاقلية، بينما الثلث اللبناني لا يمارس اللعبة وفق الأصول نفسها رافضاً اعتبار الاكثرية مالكة أحقية أن يكون القرار وفق وزنها التمثيلي في البرلمان، بل حتى أن الثلث يعتبر حكومة الثلثين غير شرعية، وتلك أحجية جاء التصويت في مجلس الأمن على قرار المحكمة الدولية يفسرها ويقول ما معناه أن في إستطاعة الثلث الذي يعارض المحكمة كتفاصيل وليس كمبدأ أن يشارك في جلسة التصويت وأن تقول كل دولة معترضة من دول الثلث هذه رأيها وترتضي بعد ذلك النتيجة، ومن دون أن يتصرف هذا الثلث على نحو الثلث اللبناني، أي أن يعتبر الثلثين حالة غير شرعية ولا يجوز لها ممارسة حق تملكه بموجب الدستور.

وحتى لو صادف أن رئيس مجلس الأمن لشهر التصويت (الذي كان شهر مايو) هو أحد ممثلي دول الثلث وليس الأميركي الأفغاني الأصل زلماي زاده فإنه لا يمكنه التصرف على نحو ما فعله أحد رموز الثلث اللبناني ونعني به رئيس البرلمان نبيه بري، الذي بدوافع كونه رئيساً لـ «حركة أمل» المتحالفة مذهبياً وسياسياً مع «حزب الله» المتحالف هذا الأخير مع الجنرال ميشال عون وهو أول تحالف شيعي - مسيحي ماروني من نوعه في لبنان الطوائفي، أقفل خيار إنعقاد المجلس وذلك كي لا يأتي قرار المحكمة لبنانياً ويسلك بالتالي طريقه نحو الفصل السابع في مجلس الأمن الدولي، وهو ما حدث في الجلسة التي عقدها المجلس يوم الأربعاء 30 مايو 2007، وكأنما أراد بري من أسلوب تعامله المشار إليه القول ما معناه للرئيس بشار الرفض جملة وتفصيلاً للمحكمة إن لبنان بجناحه الأسدي بقي على كلمته حتى اللحظة الأخيرة وأنه لن يسجل على نفسه انه في اليوم الذي يجدد فيه الرئيس بشار ولايته

الثانية يكون «لبنانه» موافقاً على المحكمة التي يرفضها (أي النظام السوري) أو حتى ميسراً أمر إصدارها بشرعية المجلس النيابي. ومثل هذا السلوك يحتمل أكثر من تفسير لعل أبرزه تأكيد الوفاء لـ «سوريا الأسد» وكذلك إرسال الكرة إلى ملعب بشار الأسد ومن دون أن تكون دخلت شبك حارس المرمى اللبناني الصلب نبيه بري.

ما يلفت الإنتباه أيضاً أن الذين إمتنعوا عن التصويت كانوا في قرارهم هذا حريصين على إعتدال سياسة حفظ ماء الوجهين: الأول وجه كل دولة تجاه نفسها بحيث لا تبدو هذه الدولة، وبالذات روسيا والصين، انها تمالي أميركا وفي الوقت نفسه تعطي بعض الحلاوة من طرف اللسان إلى الصديقين السوري والإيراني الراضين للمحكمة من خلال عمقهما اللبناني، وبذلك تهتز هيئة الدولتين أمام الرأي العام وكذلك في أوساط أهل القرار الدولي. والثاني وجه كل دولة أمام أميركا نفسها بدافع إرتباطات إستراتيجية معها وكذلك خشية أن تثير لها الإدارة الأميركية المتحكمة بالأمم المتحدة والمؤسسات التابعة للمنظمة وبالذات مجلس الأمن عواصف في أكثر من مكان تبعث على القلق في النفس وتتسبب، وبالذات بالنسبة إلى الصين، بحدوث إرتباكات في خطط التنمية التي من أجلها يعمل النظام الصيني وفق سياسة إنفتاح نوعية على وضع التحدي لأميركا في آخر بنود جدول التعامل مع المجتمع الدولي وترفض الإنفاق من المليارات التي تتكدس من التجارة في خزائنها على بناء حاملة طائرات تبعث بها إلى مياه الخليج والبحرين الأحمر والمتوسط كرسالة تأييد عالية الصوت لأصدقائها الحكام في إيران وسورية والسودان، مكتفية بوقفات لها طابع الوشوشة أحيانا أو رفع الصوت أحيانا أخرى... إنما من دون إستعمال مفردات تزعج التهدة التي تتسم بها العلاقات.

وما يقال عن العملاق الصيني يقال عن الهيلمان الروسي. وكلاهما اتخذ موقف «المتتبع السهل»، أو الممانعة بالمفهوم السوري، وتقاديا لممارسة قوة «الثلث المعطل»، أي بما معناه أنهما ليس فقط لم يسقطا القرار من خلال «الغيتو»، وإنما لم يتلفظا بالإعتراض، وبذلك فإن الإمتناع عن التصويت هنا هو نصف موافقة، وهذا أمر أعطى القرار قوة لأنه صدر ضمن عملية تصويت ديمقراطية قال فيها كل طرف ما يريد قوله، وتلك رسالة

مزدوجة من مجلس الأمن إلى «سوريا اللبنانية» و«لبنان السوري».

فبالنسبة إلى الأولى ينحصر فحوى الرسالة بما معناه أن عملية الإستفتاء على تجديد الرئاسة السورية بالطوقس التي تمت فيها والنتائج التي أتت عليها وهي 97.62 في المئة لا تشكل أداة ضغط على المجتمع الدولي بالنسبة إلى الموضوع المرفوض المبعوض من جانب النظام السوري ونعني به المحكمة، بدليل أن قرار المحكمة صدر وضمن عملية تصويت خلت من الضغوط ما دام القرار لم يصدر بالإجماع وكانت نسبة التصويت 66.66 في المئة مع القرار و33.33 في المئة ليست معه وليست ضده على أساس أن هذا هو مفهوم الإمتناع أو «الممتنع السهل» أو «الممانعة» على نحو ما سبق وأوضحنا.

أما بالنسبة إلى «لبنان السوري» فإن فحوى الرسالة هو أن الإعتراض لا يلغي ممارسة المسؤولية ضمن الأصول وإبداء الرأي والتصويت والقبول بالنتيجة. وإذا كان ذلك لم يحدث فإن الإستفادة من فترة العشرة أيام لتحقيق التوافق تشكل فرصة، وبذلك يصبح القرار 1557 مجرد وسيلة ضغط من أجل أن يتوافق من هم في أشد الحاجة إلى التوافق مع أنفسهم... ومن أجل وطنهم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 5 يونيو (حزيران) 2007

أمثولات أبو عبد المحسن

في الزمن العربي الصعب تفيض روح عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري وينقل هذا الشيخ الجليل إلى جوار ربه تاركاً أمثولات ما احوج الجميع إلى التأمل فيها.

بعد هذا الرحيل عن ديانا العربية والإسلامية الحافلة بالكثير مما لا يرضي الضمير ومما يغضب رب العالمين سيكون مفقود عبد العزيز التويجري كثيرين، عدا الأبناء والأحفاد الذين لهم منا أصدق التعزية. سنفقده حالات الأزمات الكثيرة التعقيد التي تحتاج إلى من يبتكر لها التخريجة التي تخفف من غلواء المبتلين بهذه الأزمة أو تلك. وسيفقده منطق

الحكمة الذي كان واحداً من شموسه. وسيفقده بعض أولي الأمر في دول عربية كان حديثه معهم يربط جفاف مواقفهم، وكانت رسالة شفوية ينقلها من ساكن وجدانه عبدالله بن عبد العزيز تحاصر حريقاً إشتعل، أو تطفئ شرارة نار كادت تسبب حريقاً.

والحرائق هنا ذات طابع شخصي أو نفسي أو سياسي. واتصور في هذه اللحظة العشرات ممن عرفوا الشيخ عبد العزيز يشعرون الآن بأنهم يتقبلون العزاء وليس يعزّون، واتصور البعض منهم يستحضر في زمن شدائد عاشها عبارة نصوحة من الشيخ عبد العزيز، الذي كان العمود العربي للحكمة، في الزمن الذي استشرت الجاهلية الجديدة في أرض الأمة.

إلى ذلك ايضاً ستفقّد الكلمة تحملها صفحة كتاب صاحب قلم كثير الوفاء لتراث الأمة وللماضي التليد، ومن دون ان يؤرقه عذاب الفقر واليتم. فهو عاش في بحبوحة من الغنى المعنوي قل ان حظي بها آخرون. يحارب في صفوف المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود، وبذلك يندرج اسمه في قائمة الذين ساهموا في جهاد ذلك الملك العظيم. ويتدرج من موقع إلى آخر مع الملوك الابناء وبذلك كانت له وقفة بناءة مع كل منهم، بدءاً بالمغفور له الملك الابن الأول سعود، وصولاً إلى الابن الخامس أطال الله عمره وألهمه الصبر على رحيل رفيق فكره وخطواته عبدالله بن عبد العزيز مروراً بالمرحومين فيصل وخالد وفهد.

كان عبد العزيز التويجري حالة فكرية إستثنائية في حياته ليس فقط بما كتب وألف ووثق، وانما بما كان يقوله في مجالسه، وحيث أنه كان شجرة باسقة، فإننا سنظل في لحظات تداعيات الأحوال العربية نتفاعل بأن العودة الى رؤاه وتخرجاته ستدفع الأمور نحو انفراج، مثل إخضرار أوراق الشجرة من جديد. كما سيظل الذين إستمتع اليهم واسمعوه وكذلك الذين سمعوه يتدفق حكمة في مجالسه، يرددون على نحو ما نقول عن حكماء الزمن الغابر، كلاماً يتسم بالحكمة قاله أبو عبد المحسن رحمة الله عليه.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 11 يونيو (حزيران) 2007

في إنتظار تحرير ساحة رياض الصلح وشارع علي عبد اللطيف

عملاً بظاهرة الجوامع المشتركة الكثيرة بين البلدين المنتهي إسم كل منهما بالألف والنون (لبنان والسودان)، فإن أحدث جامع مشترك بينهما هو ساحة في الأول وشارع في الثاني.

الساحة هي «ساحة رياض الصلح» في قلب الوسط التجاري التي اجتاحتها، في ظل حرية الممارسة الديمقراطية الحليفان حتى الخريف المقبل «حزب الله» و«تيار ميشال عون» وأجازا لجموع لا عمل لها التخميم في هذه الساحة كوسيلة حديثة الإستنباط للضغط على الحكومة اللبنانية التي غادرها وزراء الحزب ومعهم وزراء حركة «أمل» التي يتزعمها رئيس البرلمان نبيه بري، الذي لا يشارك حليفه السيد حسن نصر الله الرأي في الجنرال الذي يعتبر التحالف مع «لبنان الشيعي» هو الطريق إلى رئاسة الجمهورية.

ولكي لا يكون التخميم حصرًا على «حزب الله» و«تيار الجنرال عون» وحركة «أمل» بفعل الإضطراب، أعطيت للحلفاء الصغار الشأن مساحات للتخميم الذي كان مفتوحاً، مع ان الأصول في دنيا الإعتراض أن يكون لفترة قصيرة وألا يُعطَل مصالح الناس ولا يُضفي بالتالي على الوجه اللبناني بعض الندوب. وهكذا تحوّل آل «هايد بارك» اللبناني إلى ظاهرة غير مستحبة عكس آل «هايد بارك» في العاصمة البريطانية، الذي بات أحد أبرز معالمها السياحية والحضارية.

وعلى رغم الإحتجاجات من جانب الفعاليات الإقتصادية والتجارية والفندقية والمصرفية، يضاف إليها الغضب الصامت في نفوس عائلة الزعيم الراحل رياض الصلح كثيراً ما لاحظناه خلال اللقاء مع ولية عهده السياسي علياء التي رحلت إلى دنيا الآخرة، وفي النفس غصة على ما آلت إليه حال الساحة التي تحمل إسم والدها.. على رغم ذلك كان أهل قرار التخميم أذنًا من طين وأذنًا من عجين، وكان بعض الفاعلين في النظام السوري، وإن باتوا خارج دائرة العمل الرسمي أمثال العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السابق، لا يتدخلون لإخلاء الساحة مع أنهم كانوا وراء إعادة الإعتبار إلى التمثال، بعدما حاولت جماعة منتسبة سياسياً لهم

تخطيطه بغرض حذف رياض الصلح من ذاكرة الوطن. التخميم متواصل. ولا رغبة أو لا قدرة لأي جهة رسمية على أنهاءه. وأما تداعيات هذا النوع من الإعتراض فإنها كثيرة مادياً ومفجعة نفسياً. وكان في استطاعة الجيش الذي يجاهد في «جبهة نهر البارد» والموعود بـ «جبهات أخرى» يدفع فيها المزيد من التضحيات ان يعلن حالة طوارئ لمدة اسبوع كتلك المعلنة في مصر وغيرها. وفي ظل هذه الحال يطلب لدواعٍ أمنية اخلاء الساحة وعودة المخيمين إلى حيث اتوا، وفتح الطرقات أمام المارة والسيارات ومعاودة الحركة التجارية والسياحية النشيطة إلى ما كانت عليه. لكنه لم يفعل لحسابات تدخل، على ما يجوز الإفتراض، في سياق التوحد الوطني في المؤسسة العسكرية التي اصابتها عام 1975 - 1976 نكسة الانقسام.

في قلب بيروت عاصمة لبنان حدث ذلك وما زال. أما في قلب الخرطوم عاصمة السودان، فالذي حدث انه بعد سقوط العراق وإسقاط النظام الصدامي وما رافق ذلك من تهديدات للمصالح الأميركية، فإن هاجس الأمن سيطر على إدارة الرئيس بوش الابن، الذي كان مزهواً بإحتلال العراق من دون أن يأخذ في الإعتبار ان مرارة المأزق ستبتد طعم حلاوة وضع اليد على بلاد الرافدين. وفي سياق الهواجس الأمنية كان التسوير الإسمنتي لمبنى السفارة الأميركية الواقع في شارع علي عبد اللطيف الزعيم السوداني الذي قاد «ثورة آل 24» التي يتباهى بها السودانيون والذي قضى فيها برصاص الجنود البريطانيين الذين إستطاعوا إخماد الثورة بعد قتل قائد «مجموعة اللواء الأبيض» في هذه الثورة علي عبد اللطيف.

في البداية كان هنالك تفهم للظروف الأمنية الأميركية بدليل ان والي الخرطوم عبد الحليم إسماعيل المتعافي تجاوب مع قرار السفارة بوضع حواجز اسمنتية في الإتجاهات الأربعة من الشارع. من جانبها فإن السفارة، وعلى نحو ما يتردد، وثّقت الأمر في صيغة إتفاق تدفع بموجبه للولاية مبلغاً لا بأس به من الدولارات.

هذا التسوير جعل المبنى والعاملين في السفارة في مأمن، لكنه عطّل حركة المرور فضلاً عن حساسية سيادية نشأت نتيجة أن أمن السفارة يفتش كل سيارة في نطاق الزنار الأمني. كما أن أصحاب المحلات التجارية

وتبقى الإشارة إلى أنني قبل أن أغادر الأسبوع الماضي بيروت إلى الخرطوم، تمنيت أن أسمع النبا الذي يفيد بأن الأمين العام لحزب الله، طلب من جموع التخيم تحرير الساحة العريضة على قلب كل لبناني يذكر بالخير رئيس حكومة الإستقلال رياض الصلح، الذي قضى شهيداً. وأعود إلى بيروت من الخرطوم، متمنياً سماع النبا الذي يفيد انه قد تم تحرير شارع علي عبد اللطيف، الذي قضى هو الآخر شهيداً. ولم يخطر في بال أي منهما أن الأمور ستسوء في البلدين التوأمين إلى هذا الحد.. أو فلنقل إلى هذا المستوى من الجحود في حق إسم من دفع حياته لتبقى راية العنقوان العروبي خفاقة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 12 يونيو (حزيران) 2007

* * *

لبنان المُستباح والزعامات المحروسة في سجونها مخافة القتل

لم يحدث أن تلازم الخوف مع كبار أهل العمل السياسي والحزبي في لبنان، كما هو حاصل منذ إغتيال الرئيس رفيق الحريري، ثم بعدما بدأ التحقيق الدولي في الإغتيال، صعوداً بعد العدوان الإسرائيلي في يوليو (تموز) قبل أحد عشر شهراً على كل جسر في لبنان وعلى مواقع «حزب الله» في العاصمة بيروت وفي بقية المناطق من الحدود مع إسرائيل في الجنوب إلى الحدود مع سورية في البقاع والشمال من دون إغفال ضرب محطات توليد الكهرباء وتعطيل مدرجات مطار بيروت المدني الوحيد الذي يربط لبنان جواً بالعالم الخارجي.

وبدواعي الخوف أحاط الذين نشير إليهم أنفسهم بحراس وسؤروا مداخل الشوارع التي تقع فيها منازلهم بالحواجز الإسمنتية وإستقدموا السيارات التي لا يخرقها الرصاص. ولم يعد بعضهم يسافر إلا عند الضرورة، ولا يستقبل الناس كما من قبل أو يتفقد أحوالهم كما درج في الماضي على ذلك. وقد وضع البعض منهم حراسة له مستوردة غير الحراسة المحلية وإختصر اللقاءات بإستثناء الظهور على الفضائيات التي كانت الدليل على أنهم ما زالوا بخير وأنهم شجعان. وكل هذه الاحتياطات

والمطاعم والمكاتب العقارية، وجدوا أن الاقبال على مصالحهم لم يعد كما من قبل، وتضاءلت احجام المداخل. وحتى الذين يسكنون في شقق في عمارات هناك بدأوا يزعجون، تماماً كما الحال الناشئة في قلب العاصمة بيروت عن التخيم. ولهذا الغرض أعد هؤلاء من خلال من يمثلهم وعن طريق محامين مذكرات إلى وزارة الداخلية والسفارة يوضحون فيها حجم الأضرار والإزعاجات مفترضين ان الحال يمكن أن تكون مثل أميركا، أي بما معناه يتقدم المواطن بشكوى حول ضرر يسببه له الآخر وكثيراً ما يحكم القاضي للمشتكي، بتعويضات تفوق التصور أو التوقع.

عندما لم تتجاوب الوزارة ولا السفارة مع الشكاوى، حدثت تظاهرة تزامنت مع تصعيد في الأزمة السياسية الناشئة عن التعاطي مع موضوع دارفور. وبعدما أصدر الرئيس بوش الابن يوم الثلاثاء 29 مايو الماضي، قرارا بحظر التعامل مع ثلاثين شركة سودانية حكومية، وتجميد ارصدة عدد من المسؤولين وقائد حركة «العدل والمساواة» بذريعة دورهم في احداث دارفور، فإن الرئيس عمر البشير لم يكتف بالتصريح في اليوم التالي بأن القرار الأميركي سيحدث المزيد من المآسي وانه «محاولة لتغطية الجرائم الأميركية في كل من العراق وإيران»، وإنما كان هنالك إيعاز من طرف ما أو أكثر في القصر الجمهوري وفي ولاية الخرطوم لإصدار قرار بفتح شارع علي عبد اللطيف احتجاجاً على العقوبات «البوشية».

تنفس السودانيون الصعداء وشعروا وهم يستمعون إلى الاذاعة، ويشاهدون التلفزيون ويقرأون الصحف بأن الرئيس البشير «انتقم» لكل منهم. ثم كانت الصدفه ان قرار فتح الشارع لم يأخذ طريقة إلى التنفيذ.

وهكذا تبقى «ساحة رياض الصلح» في قلب العاصمة اللبنانية بيروت في قبضة جموع من «حزب الله» و«حركة أمل» و«تيار الجندال عون» وبعض صغار الأحزاب والتنظيمات الموالية مثل الثلاثة الرئيسيين للنظام السوري. ويبقى شارع علي عبد اللطيف مقللاً بفعل التسوير الاسمطي بدواعي الأمن للسفارة على نحو ما أشرنا. وفي الحالتين تكون أميركا هي محور ما حدث. في بيروت يحدث التخيم احتجاجاً على حكومة فؤاد السنيورة التي تدعمها أميركا ومعها المجتمع الدولي والعربي. وفي الخرطوم يستمر إقفال الشارع بطلب من السلطات الأميركية.

هي من أجل تفادي المكاره إغتيالاً عادياً أو من خلال التفجيرات المدوية كتلك التي إستهدفت كثيرين من هؤلاء آخرهم وليس أخيرهم القاضي وليد عيدو عضو مجلس النواب اللبناني والعضو الأكثر حيوية في «تيار المستقبل» الذي يتزعمه النائب سعد الدين رفيق الحريري.

عملياً تحوّل اقّطاب أهل العمل السياسي والحزبي في لبنان إلى سجناء أو إلى ما يشبه الإقامة الجبرية وكل منهم بداعي الخشية من مكاره تتنوع الجهات المسيّبة لها. وعندما تصبح حال هؤلاء على هذا النوع فهذا يعني أن واجبهم القيادي منكمس. وكلما إنقضى يوم على هذه الحالة بدا الإنكسار أكثر وضوحاً في بلد يعيش رؤساء مؤسساته السيادية، أي رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس الحكومة، حالة من التنافر فلا يلتقون ولا يتفاهمون ولا يؤدي كل منهم الواجب المناط به تأديته. كما أن كلاً منهم يتصرف على أساس أن المنصب أمر يخصه وإن المقر الرئاسي مقره ومن حقه أن يكون حامل مفتاح هذا المقر يقفله ساعة يشاء ويفتحه عندما يريد.. وهي حالة نادرة في عالم الحكم وإدارة شؤون البلاد، كما انها مؤشر إلى فقدان أصحاب هذه المناصب شرعية الإجماع الوطني عليهم. وهذا يؤكد ضرورة أن يكون هؤلاء الرؤساء غير منتمين إلى أي حزب أو تيار سياسي أو موالين لأنظمة خارجية، لأنهم في ذلك يتصرفون ضمن الحياد بالنسبة إلى الأزمات السياسية فلا يعطل دور رئيس الجمهورية ولا يرتبك دور رئيس مجلس النواب ولا يتعثر دور رئيس الحكومة.

ولو أن الإحتياطيات الامنية كانت لبضعة أيام أو نتيجة حدث طارئ يستوجب اليقظة لكان من الطبيعي ان ينتبه هؤلاء وتتولى الجهات الامنية حمايتهم. أما أن يكون الأمر على نحو ما هو حاصل في لبنان، أي للسنة الثالثة على التوالي، فهذا يعني ان الوضع ميؤوس منه وأن مسلسل التفجير إلى ما لا نهاية وأن أي إحتياطيات امنية لا تُجدي، بدليل أن الرئيس رفيق الحريري رحمة الله عليه اتخذ أكثر الإحتياطيات دقة لكن امكن للأشهر الفتنك به. وجاءت واقعة تفجير النائب وليد عيدو عصر يوم الأربعاء 13 يونيو (حزيران) 2007 وهو خارج من النادي الرياضي بصحبة نجله البكر واثنين من المرافقين لتترك إنطباعاً بأن الاشرار لا يميزون بين من يحيط تحركه بإجراءات وإحتياطيات

أمنية على نحو ما كان عليه موكب رفيق الحريري وبين من يتحرك في إطار الحد الأدنى من الإحتياطيات على نحو ما جرى للآخرين الذين استشهدوا بفعل عمليات تفجير أو أولئك الذين تحولوا إلى شهداء أحياء. والمهم في نظر الجهة المحرصة والمخططة أن يكون التفجير مُرعباً بدليل ان كمية آل «ت.ان.ت» التي إستعملت في تفجير النائب وليد عيدو بلغت ثمانين كيلوغراماً مع ان الإغتيال لا يتطلب أكثر من رصاصة مسدس أو في الحد الأقصى بضع رصاصات. وبطبيعة الحال فإن مثل هذا الأسلوب في الإغتيالات يجعل كل رموز العمل السياسي والحزبي يسجنون أنفسهم بأنفسهم مع ملاحظة أن الإحتباس الذي يشبهه في بعض ملامحه الإقامة الجبرية الشائع إعتمادها في أوساط الأنظمة الثورية يزداد حدة. ومع ذلك فإن هؤلاء لا يفكون هذا الأسر بمعنى أن يتفقوا على قاعدة الحوار والمنطق وتأكيد الولاء للوطن وليس فقط إستعماله.. وبعيداً عن المكابرة والعناد.

وما يبعث على القلق أن الذين يستهدفهم الإغتيال وتحديداً منذ إغتيال رفيق الحريري يوم الإثنين 14 فبراير (شباط) 2005 وحتى إغتيال النائب وليد عيدو انهم من المسيحيين والمسلمين السنة، وأنهم من الفريق الذي يناصر الحكم السوري الخصام والإستقزاز، وهذا يترك المجال أمام استعجال اتهام ذلك الحكم بأنه وراء التفجيرات يساعد على ذلك أن الخطاب السياسي السوري غير متقن بما فيه الكفاية لدحض هذا الإتهام، كما أن عدم سقوط ضحايا من رموز العمل السياسي والحزبي والحركي في لبنان الذين إما يحلقون في المدارين السوري والإيراني وإما على امل ترئيسهم في حال تعثر الرهان الأمريكي - الأوروبي على لبنان، يزيد من وتيرة الافتراض بأن كل عملية تفجير تحدث يقف النظامان السوري والإيراني وراءها وإن نفى الإثنان أن تكون لهما أي علاقة بذلك. ولكن صدمة الإنسحاب السوري من لبنان والخشية المتزايدة لدى أهل الحكم الإيراني من خلخلة أو ضربة أو عقوبات بالغة القساوة تقرضها الإدارة الأميركية والمجتمع الدولي على إيران، هما اللذان يجعلان الاتهام السياسي لكليهما يتقدم على الاتهام الجنائي. وإلا فما معنى انه إذا حدث تفجير في الساعة الرابعة عصراً يأتي الاتهام في الرابعة وخمس دقائق للحكم السوري، ومن دون انتظار إطفاء الحريق

أو إنتشال الضحايا من بين الركام وكذلك من قبل وصول المحقق الذي يكشف على الادلة الجنائية إلى مكان الحادث. واللافت ان عملية إغتيال النائب عيدو التي وصلت درجة الإجرام فيها إلى حد انها حدثت على مقربة من ناد رياضي جاءت في وقت يخوض الجيش اللبناني أولى مواجهاته مع تنظيم فلسطيني الاسم يصير خصوم الحكم السوري من اللبنانيين على أنه تنظيم سوري الإعداد والتكليف، ويعطي اصرارهم بعض القبول ان «لوبي» الحكم السوري في لبنان هادئ إلى أبعد الحدود مع هذه المواجهة.

ماذا بعد هذه العملية الإجرامية؟ الجواب هو أن مصير لبنان في علم الغيب إذا كانت العقلية السياسية والحزبية والحركية اللبنانية ستبقى على ما هي عليه. أما إذا حدث نوع من افساح المجال أمام لحظات ضمنية فإن لبنان قد ينجو من الغرق في مستنقع الحاقدين المتلاعبين الذين يستعملون وطنهم ساحة صراع الآخرين مع أن حق المواطنة يفرض عليهم أن يكونوا كلهم للوطن وكلهم للعلم.. وملء عين الزمن. وهذه هي كلمات علمهم الوطني الذين استبدلوه بأعلام الآخرين عرباً وعجماً شرقاً وغرباً. معاذ الله.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 25 يونيو (حزيران) 2007

* * *

في مسألة «الوحدة الوطنية»..

والإلتزام بالعهد

نتمنى على كثيرين من رموز العمل السياسي والحزبي في لبنان وفلسطين وبالذات أولئك الذين عرفوا الأمير سلمان بن عبد العزيز وأصغوا وهم في مكتبه أو مجلسه إلى هدوء تحليله للأمور، أن يستحضروا في هذه الأيام التي يتزايد فيها الكلام في أوساط رموز العمل السياسي والحزبي عن «الوحدة الوطنية»، كلاماً للأمير في هذا الشأن من الجائز لكاتب مثل حالي الافتراض بأن الأمير سلمان قاله في مجلس خاص بالسعوديين ليس فقط لكي يسمعه هم وإنما لكي يتأمل فيه آخرون وبالذات رموز العمل السياسي والحزبي في

لبنان وإخواننا في «حماس» الذين لو يدرون حجم صدمة الناس بهم لارتدادهم عن إتفاق مكة، لما كانوا اقترفوا الفعل غير المستحب الذي تابعت الأمتان بامتعاذ عبر الفضائيات فصوله المؤسفة وكيف أن «الحماسيين» المقنعين إحتلوا أنفسهم وإبتهجوا بإقتحام مكاتب بني قومه وداسوا وبعثروا وأطلقوا من الرصاص ما يكفي لتحرير بقاع كثيرة من وطنهم المحتل في حال كان ذلك وفق عمل واع ومدروس وبمعزل عن ضجيج الشعارات وغلجان الغرائز.

ولا ندري ونحن الشكاة من الصدمة «الحماسية» كيف أن حركة مقاومة تُقدم على إحتلال أرضها وتتصرف أمام العالم وكما لو أنها انجزت بالسيطرة على غزة تحرير الوطن المُغتصب. وهي صدمة مماثلة لصدمتنا عندما اجتاحت صدام حسين الكويت وأجاز لنفسه ولجيشه إحتلالها بعد تصنيفه الجغرافي والتاريخي لها بأنها المحافظة التاسعة عشرة في العراق.

في رؤيته لـ «الوحدة الوطنية» يرى الأمير سلمان «إن أي تضخيم للأخطاء يجب ألا يكون على حساب الوحدة الوطنية». وما حدث في غزة ومن قبل في لبنان ولا يزال هو أن الأخطاء صغیرها على حساب الوحدة وكبیرها على حساب المصير بدليل ان السلوك العام من جانب الأطراف المعنية لم يراع الوحدة الوطنية وان وزيراً بالزائد في لبنان أو تعزيزاً لقطب أمني مثل محمد دحلان في الحكم الفلسطيني يساوي التفریط بصيغة حكم ووضع الإستقرار على شفير التهاوي.

وأتصور أن العبارة الشهيرة للرئيس رفيق الحريري التي طالما ردها في مجالسه قبل إغتياله ويكرر تلفزيونه التذكير بها بعد إستشهاده وهي «ما في حدا اكبر من البلد» مستوحاة من واقعة عرّف الأمير سلمان فيها الوطن رداً على سؤال أحد ابنائه كم تساوي الرياض عنده بالقول «تسوى رقبتي ورقبتك». وهو قول لو يأخذ به، بالتدرج، اللبنانيون والعراقيون والفلسطينيون ونعني بهؤلاء رموز العمل السياسي والحزبي والحركي، لما كانت انقلبت الآية عندهم حيث الوطن مجرد ساحة يجري تلعيبهم عليها لمصلحة أطراف غريبة.

كما أتصور أن تذكير الأمير سلمان بتضحيات الأسلاف الصالحين «من أجل الحرص على سلامة الناس ومدنهم وأرواحهم» هو نوع من التمني على أطراف كثيرة في الأمتين لا يراعون في سلوكهم وعلى

نحو ما نتابعه عبر الفضائيات من مشاهد مفعجة وتصريحات تشوبها الريبة، بأن يتقوا الله والوطن والعباد في ما يفعلونه ويقولونه وكيف أنهم غير مستعدين للتضحية من أجل الحفاظ على أرواح الناس وعلى نحو ما فعله، واتى على ذكره الأمير سلمان، إمامان صالحان، الأول هو الإمام عبدالله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد في الدولة السعودية الأولى عام 1233 هجرية الذي أثر تسليم نفسه للحفاظ على أرواح الناس، والثاني هو الإمام فيصل بن تركي في الدولة السعودية الثانية عام 1254 هجرية الذي فعل الشيء نفسه.

وعندما اشير إلى ذلك فلأننا نرى في المشهد العربي والإقليمي نماذج من الذين لا تعنيهم أرواح الناس في شيء مع ان تضحية شكلية من جانبهم كفيلة بوقف الانحدار نحو الهاوية. والتضحية ذات اشكال عدة أقلها مرارة في النفس إختصار فترة زمنية قصيرة من ولاية حكم طويلة، كما حال بعض جوانب الأزمة في لبنان، أو إعتبار وجود شخص في موقع أمني، على نحو أزمة «حماس» مع «فتح»، مسألة بسيطة لا تستحق إحتلال جزء من أرض دولة موعودة خصوصاً أن حبر إتفاق مكة لم يجف بعد بالمفهوم المعنوي وخصوصاً أيضاً ان الدين الحنيف يضفي، ومن خلال القرآن الكريم، على مسألة العهد الكثير من التركيز بحيث أن ما تشير إليه سورة الرعد (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) تذكر به سورة النحل (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) وتعيد التذكير به سورة الإسراء (إن العهد كان مسؤولاً).

وعندما نقرأ ما بين سطور كلام لوزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل نستنتج مدى صدمة القائل، وبما يمثل، من الذي إقترفته «حماس» في حق الشعب الفلسطيني الذي لم تدم طمأنينته الناشئة عن إتفاق مكة طويلاً والتي بعثرتها عاصفة من التصرفات غير المنطقية وغير المسؤولة جعلت الأمير سعود يعكس مشاعر القيادة السعودية من جهة ومشاعر الشعب الفلسطيني وشعوب الأمتين من جهة ثانية من خلال قوله يوم الأحد 2007/6/24 «ان المملكة قامت بدورها عندما كان هناك اقتتال وأسفر هذا التدخل عن ايقاف القتال بعد أن أقسم قادة الفصائل أمام الكعبة المشرفة وتم التوصل إلى إتفاق مكة لكنهم لم يلتزموا ذلك وعليه فإن المملكة لن تعود إلى المحاولة مرة أخرى،

وترى أن الأمر هو مسؤولية الفلسطينيين أنفسهم. وفي تقديرهم انهم وصلوا إلى حافة الهاوية. وإذا لم يراجعوا أنفسهم فسوف يسقط الجميع في الهاوية...».

وسواء إنتهت الأمور إلى أن حال غزة بالنسبة إلى مصر باتت مثل حال كوبا بالنسبة إلى فلوريدا التي تفصلهما عن بعضهما مسافة ربع ساعة طيران، أو أصبحت «إمارة إسلامية» لا قدرة لها على الصمود، أو قرر «الحماسيون» بعد حين العودة إلى المربع الأول الذي إنطلقوا منه مفترضين أنهم نظفوا بانقلابهم غزة من الدحلانيين وغيرهم، فإن السُّمعة «الحماسية» فقدت مسألة أساسية وهي أن الحركة التي إنبهر السامعون عبر الفضائيات بكلام رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل ورفيقه رئيس الحكومة إسماعيل هنية وهما يحلفان على كتاب الله في رحاب مكة المكرمة، تحتاج إلى ما يؤكد ثقة الناس بها عندما تُبرم إتفاقاً بحيث تلتزم بالإتفاق، وتقي بالعهد خصوصاً بعد الإعلان عنه.

وأما الذي قاله الأمير سعود الفيصل من أن المملكة لن تعود مرة أخرى إلى التوسط وأن الأمر هو مسؤولية الفلسطينيين فإنه لا يعني أن المملكة لن تهتم بالموضوع الفلسطيني بعد الآن، ذلك أنها مهتمة قبل أن تؤكد «حماس» ومن قبلها «فتح».. ومهتمة بصرف النظر عن صراعات الأطياف الفلسطينية مع بعضها البعض. كما أن إهتمامها لم يتوقف حتى في ذروة لحظات الصدمة من الموقف الفلسطيني خلال أشهر تلت الإجتياح الصدامي للكويت وما أفرزته هذه المغامرة من تداعيات. بل ان هذا الإهتمام يعود إلى بدايات حكم الملك عبد العزيز أيام كانت مجاهرة المجتمع الدولي زمنذاك بمخاطر توطين اليهود في أرض فلسطين عصيَّة على البعض. وبين إهتمام الملك عبد العزيز والملوك الأبناء المتعاقدين سعود وفيصل وخالد وفهد، وتطوير الموقف من جانب الملك عبد الله بن عبد العزيز على نحو مضمون مبادرته التي التف العرب حولها، كانت الإهتمامات مستديمة وكانت من أجل ترسيخ «الوحدة الوطنية» وعلى النحو الذي أشرنا به إلى رؤية الأمير سلمان بن عبد العزيز لهذه الوحدة وأصول التعاطي معها في كل بلد عربي وبالذات في لبنان وفلسطين والعراق. وبسبب هذه الإهتمامات سمع كثيرون من الأمير سلمان كلاماً خلاصته ان موقف المملكة من القضية الفلسطينية «هو الذي يجعلها في قائمة

المحاربين (بفتح الراء) من قوى سياسية وإعلامية غربية معروفة بولائها للمشروع الصهيوني». وتلك كلمة حق يراد بها الحق... ولا شيء غيره.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 2 يوليو (تموز) 2007

* * *

«الإنقلابات الدينية»..

بعد الانقلابات العسكرية!

ينقل رجل الدين البريطاني اندرو وايت، الذي يعمل في بغداد، عن قيادي في تنظيم «القاعدة» في العراق النقاہ في نيسان (أبريل) الماضي قوله: «هؤلاء الذين يتولون علاجكم هم من سيقتلونكم...». وبعد واقعة الخلية الطبية في سكوتلندا وعملية التفجير غير المكتملة التدمير في مطار غلاسكو، إستعاد وايت تلك العبارة التي سمعها، ذلك أن أفراد الخلية المشار إليها يعملون جميعاً في المجال الطبي البريطاني، ويعالجون المرضى من بريطانيين ومقيمين وضمن تسهيلات من الحكومة لا تتوفر لهم في بلدانهم التي أتوا منها.

هذه العبارة التي نقلتها صحيفة بريطانية يوم الأربعاء 4-7-2007 عن رجل الدين اندرو وايت تحملنا على التساؤل: هل ان متفوه العبارة قالها بغرض التنبيه، وان رجل الدين المشار اليه لم يقم بواجب إبلاغ المراجع الرسمية بها، لأنه لم يأخذ الكلام على محمل الجد؟

جوابنا عن ذلك ان حُسن النية يقم على سؤنها، وأن رجل الدين إستبعد إقدام أطباء عرب ومسلمين ولدوا في بريطانيا أو تعلموا في جامعاتها ثم بدأوا يعملون في عيادات تابعة لوزارة الصحة وفي مستشفيات حكومية، على اقتراح جرائم في حق البلد الذي يعيشون بكرامة فيه ويحملون جواز سفر يجيز لهم التحرك بحرية في كل دول العالم. إلا أننا في الوقت نفسه نلوم راوي الواقعة لأنه لو نبّه لكان أمكن تفادي حدوث العملية الإجرامية، التي نحمد الله انها لم تصل الى ما هو مخطط لها، وتلك في أي حال رسالة من رب العالمين إلى الفاعلين ومن يحرضهم ويغسل عقولهم بأفكار تدميرية، بأن يعودوا إلى رشدهم ويقرأوا جيداً في سُور كتاب الله ويتأملوا في

الأحاديث النبوية، بذل الإصغاء إلى تفسيرات وإجتهادات أشخاص يفتعلون الدين ويمارسون باسم الدين أفعالاً تتعارض مع الإسلام، وينبشون أموراً لا موجب لتضييع أوقات الناس في نبشها.

في أي حال نرى بعد الفاجعة المعنوية، التي حدثت في مطار سكوتلندا، وما سبق هذه الفاجعة من فواجع حدثت في عواصم ومناطق عربية ودولية، ضرورة التنبيه إلى أن الذي يحدث هو نوع من التأهب في أوساط الجماعات والتنظيمات الإسلامية للقيام بـ «إنقلابات دينية» توصلهم إلى الحكم على نحو «الإنقلابات العسكرية». والذي يشجعهم على ذلك ما حصل في إيران، حيث أن رجال الدين باتوا ممسكين بمقاليذ السلطة وجعلوا من أفراد مدنيين عناصر تأتمر بأمرهم، مما يعني أنهم وحدهم أسياد السلطة.

وحيث ان الفضائيات ومواقع «الإنترنت» تمثل دوراً تحريضياً في هذا المجال، فإننا نلاحظ مدى حرص «جنرالات الدين» على إعتقاد الفضائيات والمواقع، منابر ترويج لما يخططون له. والذي يساعد على إصغاء الرأي العام لهم ان سلوك بعض الحكومات وأهل السياسة والأحزاب التقليدية من السوء بحيث يصبح كلام «جنرالات الدين» افضل، ويصبح كذلك قريب الشبه بروحية كلام إنقلابيي الخمسينات والستينات من جنرالات وعقلاء ورواد، أوحوا بأنهم لا يقومون بالانقلاب رغبة في السلطة والتتبع بالحكم، وإنما من أجل الوطن والمواطن، ثم يتبين ان الفعل الانقلابي ليس من أجل الوطن ولا من أجل المواطن.

وها هم «جنرالات الدين» الذين يتهيأون لكي يصبحوا هم الحكام، كما حال الذين هم في إيران، يروجون من الافكار والمفاهيم التي تتمحور حول ان الدين في خطر والأمة مهددة، وأن الخلاص هو في ما يدعو إليه الإسلام وفق تفسيراتهم لهذا الدين، وأنهم القادرون على وضع الأمور في نصابها الصحيح. وهذا لا يتم إلا عندما تُزاح الانظمة والحكومات الراهنة ويحلون هم محلهم، تماماً على نحو ما حدث في إيران.

وقد يقال: وما الموجب لهذا العنف والتدمير وإلقاء الظلال على النخبة المثقفة من نوع أطباء الخلية الاسكتلندية. والجواب عن ذلك هو أن هذا السلوك يستهدف إقناع الحكومات الاجنبية بالاعتماد عليهم والقبول بهم بدائل حاكمة، على نحو القبول الذي ناله آية

الله الخميني من فرنسا والمجتمع الاوروبي عموماً، ومن الإدارة الأميركية نفسها التي تناصبه التحرش الآن. كما أن توظيف أفراد من النخبة المثقفة يستهدف التوضيح، ما معناه إن «جنرالات التدين» ليسوا فقط قادرين على إستمالة بسطاء الناس أو الأبناء الذين يفتقدون التوجيه الصالح من الوالدين، على نحو ما حدث مع فتية سعوديين إصطادهم تنظيم «فتح الاسلام» وآخرين وقعوا فريسة «الإمام» الأكبر بن لادن و«الإمام الأصغر الطواهري»، وإنما هم قادرون حتى على تجنيد النخبة على نحو ما نجح الخميني فيه. وكما هو معروف فإن الأطباء هم «الاكسترا» في النخبة، فضلاً عن جمعهم بين العلم والتقنية والواجب الانساني.

ويبقى اننا بالعودة الى أجواء ما قبل الإنقلاب العسكري الأول في سوريا على يدي ضابط منتقخ هو حسني الزعيم، وكذلك بالعودة إلى أجواء سبقت إنقلابات عسكرية أخرى في دول عربية وإسلامية وفي دول العالم الثالث، نلاحظ ان الظروف السائدة في الزمن الحالي قريبة الشبه بظروف الماضي، وهي ظروف تشجع الذين يطرحون مفردات براقة ويكثر من الحديث حول الزهد في الحكم والسلطة وحول الحرص على إنقاذ البلاد والعباد على أن ينشطوا من خلال منابر المساجد أحياناً ومن خلال الفضائيات أحياناً أخرى، وبين هذه وتلك من خلال رسائل تفجيرية وعمليات غسل ادمغة في الخلايا السرية. وكما خطط جنرالات وعقلاء ورواد الثكنات كانت الإستيلاء على السلطة والتريع ما أمكنهم فوقها، فإن مخطط «جنرالات التدين» هو تحقيق الغرض نفسه، حتى اذا تطلب الأمر حرائق تشتعل هنا وأرواحاً تزهق هناك وتفجيرات في مجمعات سكنية أو مطارات أو أوتوبيسات أو قطارات أنفاق أو شوارع فيها ملهى او مطعم أو مصرف وإقتحام مطار في بلد كريم ومضياف بسيارة مفخخة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 17 يوليو (تموز) 2007

* * *

كساد في موسم رد الجمائل

من حيثيات وقوف «حزب الله» و«حركة أمل» مع

سوريا ورفضهما أي محاولة في هذا الشأن بما في ذلك ما يتعلق بترسيم الحدود وتبادل التمثيل الدبلوماسي وخلاف الأمرين من أمور تتعلق بالسيادة الوطنية وإستقلالية القرار ودفع التهم الجاهزة سلفاً من جانب خصوم النظام السوري والمتعلقة بالإغتيالات والتفجيرات، أن لهذا النظام طوال سنوات الأسد الأب وبعض سنوات الأسد الابن في عنق «حزب الله» وعنق «حركة أمل» جمائل، وإن القاعدة المألوفة هي أن يرد المدين الديون المترتبة عليه للدائن... وخصوصاً إذا كانت الجمائل من النوع الذي يرفع الشأن إلى مستوى الزعامة الشعبية والمواقع المتقدمة في السلطة.

وهذا الوقوف الذي تتخلله أحياناً بفعل تأثير الأقوى على القوي، يجنح نحو ما يُصطلح على تسميته «الكيل بمكيالين» بدليل أن موقف «حزب الله» و«حركة أمل» من واقعة إغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري، كان دون وقفة رد الجمائل لرجل دولة له في ذمة زعامتي الطائفة الشيعية في لبنان ما يوجب التعامل مع تلك الواقعة بغير التعامل الشكلي الذي صدر عنهما. ولكن تأثير الموقف السوري - الإيراني الأقوى من موقف الحريري القوي مع الزعامتين، هو الذي أدخل بالمعادلة وجعل فاجعة تصفية رفيق الحريري دون مساند شيعي لها عدا مساندات خجولة من أفراد دينيين لا تأثير لهم في الشارع الشيعي ومن مثقفين وسياسيين مبجوحين، الصوت حتى في ظل الحضور الأميركي والأوروبي والدولي عموماً في الحالة السياسية اللبنانية. ونقول إنه لا تأثير لهم كون الطائفة الشيعية وحدها دون سائر الطوائف التي لا مجال فيها لغير التقاسم الحالي بين «حزب الله» و«حركة أمل»، في حين أن سائر الطوائف تعيش حالة من التنوع السياسي والحزبي ومن دون خشية حزب أو حركة من أحد؛ ففي الطائفة المارونية تنوع ملحوظ، كذلك في الطائفة الأرثوذكسية والطائفة السنية والطائفة الدرزية. والأمر من هم من حيث التشبيه الأقرب للطائفة الشيعية، حيث ان هؤلاء موزعون على حزبين إنما يصيان في بحرین وتلك معادلة سياسية ذكية حفظت للأمرن القبول بهم كجالية نصفها مع الحكم ونصفها الآخر مع المعارضة مع إحتمال تبدل الأدوار أحياناً.

ولقد أثبتت الأزمة اللبنانية بعد إستقالة الوزراء الشيعية الذين يمثلون «حزب الله» و«حركة أمل» مدى إمساك

الطرفين بالشارع الشيعي من الجنوب إلى منطقة بعلبك وجوارها مروراً بالضاحية ومتفرعاتها في مفاصل العاصمة بيروت، ومدى تمسك أبناء الطائفة بـ «الحزب» و«الحركة». فقد إستحال على رئيس الحكومة فؤاد السنيورة ومن حوله ووراءه إختيار وزراء بدائل، في حين انه لو كانت المسألة حاصلة بالنسبة إلى وزراء من بقية الطوائف لكان قد وجد بدل الوزير الواحد خمسين على الأقل يتمنون إتصال السنيورة بالواحد منهم لكي يقول له: لقد إخترناك للحقيبة الوزارية الفلانية.

والإستحالة المشار إليها تكمن في إمساك المرجعيتين المشار إليهما بالقرار: مرجعية السيد حسن نصرالله كأمين عام لـ «حزب الله» ومرجعية نبيه بري كرئيس لـ «حركة أمل». وحتى إذا حاول السنيورة عرض فكرة التوزيع على شريحة آخرين فإنه لن يحقق الغرض، ذلك أن لا أحد سيوافق درءاً للأعظم، فضلاً عن أن الموافقة في حال حدوثها تملأ فراغ المقعد بما يحقق الشرعية المنقوصة، لكنها لن تسد الثغرة الأساسية المتعلقة بنقصان التوافق الوطني والتمثيل الطائفي.

ولقد عاشت الطائفة السنية في أواخر الخمسينيات مثل هذه الأزمة بصيغة أخرى، حيث تبين أن رئيس خليل الهبري للحكومة خروجاً على التوجه الناصري للطائفة زمنذاك لم يصمد.

لكن المرء مثل حالنا وهو يرى هذا الحرص من جانب «حزب الله» و«حركة أمل» على رد الجمائل لسورية الأسد وإيران الخمينية - الخامنئية - النجادية وإلى حد أن بعض مقتضيات وتداعيات هذا الرد ينعكس على أزمة خانقة يعيشها لبنان ويزداد تبعاً لذلك منسوب الاختناق، يجد نفسه يتساءل: ما الذي يمنح الرئيس محمود أحمدي نجاد رمز مرحلة الزعامة الإيرانية في الزمن الحالي من إبلاغ حليفه الرئيس بشّار الأسد بأن الظروف تستوجب تسديد ديون لفرنسا في العنق الإيراني، وأنه يرى مشاركته الطلب من القطبيين الشيعيين اللبنانيين «حزب الله» و«حركة أمل» وعملاً بمبدأ «رد الجمائل» وكذلك «الرد على التحية بمثلها أو بأحسن منها»، أن يؤازر المسعى الفرنسي الهادف إلى الحل المتوازن في لبنان؟

ومع أن الرئيس نجاد والرئيس بشّار كانا في سن فتية عندما حدث الجميل الفرنسي، إلا أن إستحضار وقائع الزمن الذي مضى، يؤكد مدى أهمية ما قامت به فرنسا عندما إستضافت الإمام آية الله الخميني وأقطاب حركته

السياسية ورعايتهم، وهم في ملاذهم الفرنسي في «نوفل لو شاتو» على مسافة ساعة من العاصمة باريس خير رعاية على مدى بضعة أشهر، تقوى في بعض جوانبها رعايتها للجنرال ميشال عون على مدى بضع سنوات. وكما انه لولا إستضافة فرنسا للخميني وجماعته لكان الإمام قد يصاب بمكروه كبير من مخابرات الشاه (السافاك)، فإن الجنرال عون كان سيلقى مصيراً مماثلاً من أطراف أخرى.

كذلك انه لولا إرسال الخميني وجماعته محروسين وبطائرة فرنسية خاصة وبطاقم فرنسي ترافقها طائرات حربية أوصلتهم حتى مطار طهران، لما كان للعهد الثوري في إيران ان يبدأ. وإرسال الخميني على النحو المشار إليه هو مثل التوصيل المثلث المعاكس للجنرال عون من لبنان إلى فرنسا بالسيارة ثم بالبحر ثم بالطائرة. لذا فإنه إذا كُتب للثورة في إيران أن تصمد كل هذه السنوات وللجنرال عون أن يستأنف تطلعاته نحو زعامة طائفته أملاً بتزكيته رئيساً للجمهورية، فلأن الفضل لأصحاب الفضل في ذلك وهي فرنسا التي تستبد بها الدهشة كيف أن أقطاب فريق عدم رد جمائلها هم الذين لولاها لما كانوا على نحو ما هي أحوالهم؛ ونعني بهم الحلف غير المتجانس الذي يضم «حزب الله» و«حركة أمل» و«تيار الجنرال ميشال عون». وهؤلاء نالوا أحياناً بشكل غير مباشر وأحياناً بشكل مباشر وعلى نحو ما أوضحنا من فرنسا أكثر بكثير مما ناله رفيق الحريري من فرنسا في عهدة صديقه جاك شيراك، وبما يوجب عليهم عندما طرحت فرنسا الساركوزية مبادرتها للحل أن يكون هنالك رد لجمالي الماضي لا أن يكون عدم الرد شبيهاً بالأساليب التي إتبع في التعامل مع المسعى الطيب من جانب المملكة العربية السعودية الذي بذل في سبيل إنجاحه السفير الدكتور عبد العزيز خوجة ما لم يبذله وسيط من قبل في أي نزاع. ونقول ذلك على أساس ان إستضافة المملكة في الطائف لممثلي الشرعية اللبنانية كانت بأريحية الإستضافة الفرنسية للخميني وجماعته والإستضافة الثانية للجنرال عون.

وفي صفحات التاريخ تكون الدهشة كبيرة أمام الذي لا يرد الجمائل... وأكبر إزاء من يشرب من البئر ويرمي فيها الحجر يا إخواننا في حركة «حماس».

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 28 يوليو (تموز) 2007

فرنسا: الإستقواء بالعرب من الخليج إلى المتوسط

كان الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك مسكوناً بهاجس الإستقواء بالعرب، إنما من خلال منظومة تكون لفرنسا الكلمة العليا فيها، ومن أجل ذلك نراه عزز شأن الفرنكوفونية وارتأى عقد القمة التاسعة في بيروت للفرنكوفونيين وذلك لأن العاصمة اللبنانية على المتوسط شأنها شأن دول كثيرة في مشرق الأمة ومغربها من سورية إلى مصر إلى فلسطين إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وهذا يعني أن يكون لفرنسا أكثر من موطن قدم، سياسياً ومعنوياً، في هذه الدول.

وإلى ذلك فإن الإنعقاد في بيروت كان خدمة إستثنائية من جانب الرئيس شيراك لصديقه الرئيس رفيق الحريري، وكان إشارة كثيرة الوضوح تتعلق بحرص شديد من فرنسا على عرب المتوسط وتقدر الحرص نفسه على العلاقة الطيبة مع دول الخليج. وهنا نستحضر ما تضمّنه البيان الصادر عن القمة (من 16 إلى 18 أكتوبر/ تشرين الأول 2002) بعد إنتهاء أعمالها حيث أن الرؤساء الخمسة والخمسين أو من يمثلهم أبدوا إهتماماً ملحوظاً في شأن إعمار بيروت وإعتبروا المبادرة العربية المعروفة أيضاً بـ «مبادرة عبد الله بن عبد العزيز» الإطار الأفضل للسلام في المنطقة، وأن الأولوية للقانون الدولي في موضوع العراق.

قبل شيراك كان الرئيس فرنسو ميتران مسكوناً بهاجس الإستقواء بالعرب ومن خلال منظومة أيضاً يلتف حولها أهل الحكم وأهل المعارضة. ونعني بأهل الحكم الذين هم ثوريون، كما نعني بأهل المعارضة تلك الأحزاب التي تغرد في الفضاء السياسي اليساري وهم كثرة في المنطقة العربية، قبل أن تتفتح براعم التوجهات الإسلامية والأصولية وتلتصق بتنظيمات تنتسب إلى هذه التوجهات تهمة العنف للبعض والإرهاب للبعض الآخر. ورأى ميتران بحكم عقيدته السياسية كونه رئيساً لـ «الحزب الاشتراكي» أن تكون الاشتراكية الدولية هي الخيمة التي تحقّق لفرنسا الحضور القيادي الذي يتطلع إليه ضارباً في الوقت نفسه بحجر آخر غير حجر الإستقواء بعرب المتوسط، وهو التقاف الحكومات الاشتراكية الأوروبية حوله وكذلك حكومات وأحزاب أخرى في مناطق عدة من العالم. لكن تطلعات

شيراك كانت أفضل لأنها أبعدت الحذر من نفوس الحكام في إن ميتران إبتكر «الكوكتيل» الذي أشرنا إليه، وهو «الإشتراكية الدولية»، الأخت من والد آخر لـ «الأممية الشيوعية» التي هي تجمع الماركسية في العالم.

ها هو الآن الرئيس نيكولا ساركوزي يعلن على الملأ أنه هو الآخر مسكون بهواجس الإستقواء بالعرب عموماً وعرب المتوسط بشكل خاص، يشجعه على ذلك الوقفة المتميزة معه من جانب الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي لبلاده في دول المتوسط مكانة كبرى. أما الصيغة التي يراها ساركوزي فإنها أكثر تواضعاً من صيغة السلف شيراك ومن قبله ميتران، حيث أنه يتطلع إلى «إتحاد متوسطي» لا يكون بديلاً عن تجربة شبه اتحادية أخرى تُعرف بـ «مسار برشلونة» الذي يضم 27 دولة أوروبية. وما يلفت الإنتباه هو حرص ساركوزي الذي لم تنقض سوى بضعة أسابيع على ترؤسه من أجل إنجاز مشروعه الخاص به الذي يريد إتمامه لكي يستقبل من موقع رجل أوروبا القوي قمة «الإتحاد الأوروبي» التي ستستضيفها فرنسا في تموز (يوليو) 2008 بحكم دورية الإنعقاد السنوي، وهو لهذا الغرض نراه إختار الجزائر لتكون المحطة الأولى في زيارته الرسمية الخارجية الأولى ومنها إنتقل إلى تونس. وعلى رغم إنزعاجه أشد الإنزعاج لأن الجولة لم تكتمل بزيارة المغرب لأن الملك محمد السادس طلب إرجاءها إحتجاجاً غير معلن على عدم البدء بزيارة مملكته أولاً أو تونس كحل وسط إنما ليس البدء بالجزائر، إلا أن ساركوزي مضى إلى النهاية وبخطوات ماراثونية، من بينها تلك المتعلقة بإستضافة «مؤتمر الحوار» بين أطراف المعضلة اللبنانية في فرنسا بتركية سعودية - مصرية - أردنية للمحاولة ودعم غير مسبوق لإنجاحها، ومن بينها كذلك دغدغة كلامية للعنفوان الجزائري والمشارع التونسية حيث قال «كوني قمت بأول زيارة خارج أوروبا إلى الجزائر يحمل معنى كبيراً ويرمز إلى العلاقات الكثيفة خصوصاً أنني زرت الرئيس بوتفليقة بإستمرار منذ العام 2002» و«إن الرئيسين بوتفليقة وزين العابدين بن علي هما سفيراً لفكرة الإتحاد المتوسطي وبإندفاع...». ثم جاءت صفقة الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني الحامل جنسية بلغارية لتؤكد مدى رهان ساركوزي على مشروعه. فهو لم يكتف بزيارة ليبيا ويخص العقيد معمر القذافي بـ «هدية نوبوية» ثارت ثائرة الأوروبيين عليها ويرفقه أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة بمبلغ «الهدية - الدية» ثمن عدم

أخلاقيات ناصر المنقور وتجربته

خلال شهرين متتاليين فقد مجتمع الحكمة والكياسة والحوار ركنين متميزين كان لهما حضورهما في صياغة أخلاقيات التعامل وتأهيل الأجيال في ضوء اضطراب فكري غير مسبوق بهذه الحدة ناشئ عن عدة عوامل، بدءاً بظاهرة الانقلابات العسكرية وظاهرة عدم التوافق على ما من شأنه تنقية الصف العربي من شوائب الفرقة وصولاً إلى ظاهرة الاستعمار الجديد تحت شعارات التنوع والحرية والديمقراطية، ثم الغزو الأميركي للعراق بعد الغزوة الصدامية للكويت التي شكلت تداعياتها المتواصلة للسنة السابعة عشرة على التوالي رافداً يصب في بحر نكبة الأمتين بفلسطين ونهر نكسة العرب بهزيمة الخامس من يونيو 1967م. والاثنتان ما زالتا ندبتين في الجبين العربي والإسلامي ولا يبدو أن هنالك ما سيصحح المسار ويهدي إلى الصراط المستقيم في حال لن تأخذ «المبادرة العربية» التي هي بعض ما في رؤية الملك عبد الله بن عبد العزيز فرصتها لترشيد أساليب نصف قرن من الزمن العربي والإسلامي في ما يخص التعاطي مع الصراع العربي — الإسرائيلي، وبما من شأنه إتاحة المجال أمام إحلال السلام والاستقرار في المنطقة محل الفوضى السياسية المستشرية في كل المفاصل وتتبعكس بالتالي على أحوال البلاد والعباد.

ولا نغالي إذا نحن قلنا إن هذه الرؤية هي، إذا جاز التعبير، أهل الفقيد الذين رحلوا تراثاً من الحنكة والعصامية والقلق المستمر على جيل الأبناء والأحفاد والحرص على الثوابت والمعاناة من وطأة الأمركة والخشية من أن يأخذ الإرهاب طريقه إلى العقول في ظل تغييب للتنوير الموضوعي.

كان الفقيد الأول لمجتمع الحكمة والكياسة والحوار العربي هو الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري. وبعد أسابيع قليلة من رحيله وهو على فراش العلاج من عارض صحي ثقيل الوطأة وتوديعنا له في الرياض محزونين على غيابه، فاجأنا رحيل الشيخ الآخر ناصر المنقور بعدما لم تتجح كل محاولات الطب المتطور في بريطانيا من التغلب على العارض الصحي الثقيل الوطأة أيضاً. وودعناه هو الآخر وفي الوجدان أسمى عميق على غيابه إلى حيث مثواه الأخير في مقبرة للمسلمين في ضواحي لندن.

تنفيذ حكم الإعدام الذي صدر في حق الممرضات والطبيب بتهمة حقن مئات الأطفال الليبيين بـ «فيروس الإيدز» وإنما أشرك زوجته سيسيليا التي رافقت الممرضات ورفيقهن الطبيب في طائرة الرئاسة الفرنسية من مطار طرابلس إلى مطار صوفيا. وهذه بدورها أشركت مسؤولات أوروبيات معها. وبموجب السيناريو عادت الطائرة الفرنسية إلى باريس لتنتقل الرئيس ساركوزي إلى ليبيا لرد الجميل إلى العقيد القذافي ولتطويق غضبه لأن بلغاريا التي إستعانت بمخابرات عشرين دولة لم تسجن المفرج عنهن وعنه وإنما صورت الأمر على أنه إنتصار للإنسانية الأوروبية على الظلم الليبي ومن دون أن يترفق الأوروبيون عموماً بحالة الأطفال الليبيين الذين لن تتجيبهم «الدية القطرية السخية» والعواطف الساركوزية والأوروبية والمرونة القذافية التي يخوض غمارها سيف الإسلام القذافي بهدف إنفتاح متبادل بين المجتمع الدولي وليبيا، من جحيم عذاب «الإيدز» الذي يقضي على المصاب في أي لحظة.

هل تنثر جهود ساركوزي على نحو ما يتطلع وبالسرية القياسية لكي يترأس أوروبا العام المقبل وهو رجلها القوي في غياب الشأن البريطاني لأسباب موضوعية؟

الإجابة عن ذلك رهن نجاحه في ترطيب الخواطر المغربية وبلسمه الجراح الفلسطينية وتهذئة المخاوف اللبنانية وإستعادة سوريا التي تزداد إبتعاداً عن فرنسا بعدما كانت تراها كما لبنان بأنها الأم الحنون. وهو إذا كان لن يسعى جاهداً من أجل إنجاز ما نشير إليه فإن عيني «فرنساه» ستبقى، كما عيون فرنسا شيراك وفرنسا ميتران، شاخصة على العرب يريد كل منهم الإستقواء بهم على أساس أن ذلك يعزز الشأن ويجعل الحضور الفرنسي فاعلاً في المجتمع الدولي. لكن ذلك لا يكفي. عسى ولعل يستدرك الرئيس الثالث ما لم يفعله الأول والثاني على الوجه الأكمل وأن يكرر نخوته الإنسانية مع أطفال فلسطين ولبنان والعراق والسودان وغيرهم كثيرون مبتلون بـ «الإيدز السياسي»، وبذلك يجد له بضعة أسطر في التاريخ الحديث... وإرث مآسي تاريخ الإستعمار بنوعيه المباشر والمستتر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - 2 أغسطس (آب) 2007

* * *

وتلك كانت وصيته بأن يُدفن حيث يحل الأجل وكأنما هو ذلك لا يريد المشقة لأحد مع التأكيد بأن الطقوس الاحتفالية في سنوات عمله السياسي والدبلوماسي والتعليمي على مدى ستة عقود والتي كانت لا تستوفقه، لا تعنيه ايضاً في مناسبة الرحيل. وهذه المزية هي واحدة من مزايا كثيرة في شخص ناصر المنقور الذي اكتشفنا مدى مكانته في نفوس المعزين من بسطاء الناس ومئات السعوديين الذين باتوا في مواقع متقدمة ذاكرين بالشكر مثابرتة وهو إلى جانب الملوك الأبناء سعود وفيصل وخالد وفهد من اجل التطوير الجامعي وحث طلاب العلم على التوجه الى جامعات في اميركا وبريطانيا كي لا تقتصر الخيارات على الجامعات المصرية. وحتى بعدما اختاره الملك فيصل ليكون سفير المملكة لدى المملكة المشرقة بالذات اليابان استمر ناصر المنقور يتابع تطورات المسيرة الجامعية في المملكة واستراتيجية الابتعاث. وعندما أخذ الملك فهد بتمنياته المشفوعة بتأييد ملحوظ من الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي كان دائماً يحدثنا عن شمائله لإنشاء كلية للعرب والمسلمين في بريطانيا التي شغل منصب السفير فيها وكان خير عميد في تاريخ الدبلوماسية العربية، فإنه شعر بطمأنينة طالما كان يفقدها وهو يلاحظ التشوه الناشئ في صفوف أطفال العرب والمسلمين الذين يعيشون في بريطانيا نتيجة ان ليس هناك المدرسة التي تدرس هؤلاء المواد التي تقيهم على صلة بجذورهم. ومن هنا فإن «أكاديمية الملك فهد» في لندن كانت بعض ما يذكره المجتمع العربي والمسلم في بريطانيا بالخير لمن سعى وتابع الى حد الإنشاء والتطوير.

وكثيرا ما تمنينا على الشيخ ناصر بعد التقاعد الذي أضناه نفسياً، ان يكتب مذكراته وعلى نحو تمنياتنا للشيخ الثالث أطل الله عمره جميل الجيلان الذي أسعدنا انه قطع شوطاً كبيراً في الكتابة، وكذلك على نحو تمنياتنا لكبير شيوخ مجتمع الحكمة والكياسة عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري . رحمة الله عليه . الذي ترك لرواد مجلسه من أهل الفكر والاعلام ان يحولوا كلامه في مئات الجلسات معه الى مادة للذكريات. وكان الشيخ ناصر من الشفافية بحيث انه يخشى من كلمة حق يراد بها الحق والصدق قد تتسبب في خدش كبرياء أحد، ولذا لم يتحمس، لكن كثرة إلحاحي

الشخصي عليه وخلاصة جلسات استذكارية كثيرة معه من شأنهما ان يشكلتا مادة صفحات من كتاب أشمل اتحدث فيها وعلى نحو ما رويته عن الشيخ التويجري في كتاب «للقائد التاريخي فلم ينصفه التويجري عن الملك عبد العزيز ومحمد حسنين هيكل عن عبد الناصر»، عن تجربة ناصر المنقور العريقة وبالذات تجربته الفريدة كسفير للمملكة العربية السعودية في دول ملكية فقط هي اليابان والسويد واسبانيا ثم بريطانيا. وهي تجربة ثرية تصلح وقائعها أمثلة لمن يعملون سفراء للمملكة في هذه الممالك كونها تؤكد لهم ما اراد الملك فيصل من إرسال الوزير ناصر المنقور سفيراً إلى اليابان وهو أن يزداد ثقة بأن صيغة الحكم الملكي تحقق الاستقرار على رغم كيد الثوريين ومغامراتهم التي بلغت الذروة يوم الخميس 2 أغسطس 1990 لا تكررت تلك الواقعة بالنسبة الى أي بلد عربي. وهذه الواقعة بالذات شكلت صدمة بالنسبة إلى ناصر المنقور. وحتى اللحظة الأخيرة من جولات الأفق في أحوال الأمة معه كانت الصدمة ترققه وكنت أتمنى لو يحين وقت الكتابة عنها في مذكراته، لكن الأجل هو الذي حان وأخذ منا الشيخين ناصر المنقور والشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري اللذين كانا ظاهرتين.. والظواهر عموماً لا تتكرر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 4 أغسطس (آب) 2007

* * *

لا يحدث.. إلا في لبنان

لم يحدث أن وصل السجال بين أطراف العمل السياسي والحزبي في بلد عربي إلى الدرجة التي وصل إليها في لبنان، وإن كان من الجائز القول إن الأطراف المماثلة في السودان وفلسطين والعراق لم تُقَصِّر. لكن الأطراف اللبنانية فازت بـ «ميدالية جدارة الإسفاف» وإنزال تقاليد السجال إلى مستوى متدن وبحيث ان مفردات التخاطب التي نلاحظها في تصريحات هذا القطب السياسي أو ذاك القطب الحزبي تتجاوز بكثير الأصول وإلى درجة يصعب معها التمييز بين مفردات يرددها أهل الشوارع وأخرى يرددها أهل

المقامات والدواوين السياسية والحزبية.

ولقد توقّع اللبنانيون ان تحتد المساجلة بين بعض رموز العمل السياسي والحزبي بعدما شارفت ولاية رئيس الجمهورية الحالي إميل لحود على النهاية، وذلك أمر مألوف في دنيا الرئيس والترؤس، إلا أن الذي لم يخطر في البال هو أن رئيس الجمهورية المفروض أنه فوق النزاعات السياسية وأنه المرجعية التي يتم الإحتكام إليها، يجد نفسه خصماً وليس حكماً وأنه ينازل بالكلام أحد أبرز الزعماء الحزبيين، النائب وليد جنبلاط وينبش كل منهما من الذاكرة مواقف وتصريحات عن الآخر يشير إليها بصيغة مَنْ يشتم أو يرد الشتيمة.

وهذه المواقف والتصريحات تتمحور حول العلاقة مع الحكم السوري الذي انقلب عليه جنبلاط فبات يعوّض بالنقد الجارح ومستهجن كلام المديح المبالغ فيه والتسليم بصوابية سلوك ذلك الحكم أيام كان هذا الحكم هو المرجعية السياسية للرئاسات اللبنانية الثلاث، وكان جنبلاط مضطراً وصاغراً لذلك الأمر الواقع. أما إميل لحود الذي تعود لذلك الحكم افضال ترئيسه كما الذين سبقوه من الياس سركيس إلى امين الجميل إلى الياس الهراوي، ثم التمديد بإكراره رئيس الحكومة رفيق الحريري وعدم الإرتياح الضمني لذلك من جانب رئيس البرلمان نبيه بري، فإنه بقي حتى بعدما انسحبت القوات السورية من لبنان على العهد وفياً لمن وضعه على سدة الرئاسة ست سنوات تلتها ثلاث التمديد التي كانت صعبة على الوضع العام، خصوصاً أن اللبنانيين فقدوا بعد التمديد الرئيس الذي يجب أن يكون فوق الصراعات ويكون الحكم فقط وليس الخصم ومن دون ممارسة دور الذي يميز بين الحقيقة والتضليل وبين الإقتناع والمداينة وبين الزهد والطمع وبين القناعة والحسد.

منذ إغتيال رفيق الحريري وما تلا هذه الفاجعة من تداعيات إزدادت المبارزات اللسانية اسفافاً وتحقيراً متبادلاً للمتبارزين كباراً وصغاراً، مع ملاحظة ان اثنين من هؤلاء كانا في غاية الشراسة اللفظية وهما رئيس الجمهورية إميل لحود مستقوياً بالرئيس بشار الأسد ومن يلوذ به من أبناء الطائفة المارونية وبعض القوى السياسية والحزبية اللبنانية وأبرزها «حزب الله» و«حركة أمل» (أي 90 في المئة من شريحة لبنان) في مواجهة وليد جنبلاط ومن يحيط به من قوى إسلامية سنية في معظمها وقوى مسيحية تتساوى في عصبيتها مع القوى

المسيحية المتحزبة للجنرال ميشال عون.

ومع انه عندما يُنشر الكلام أو يُذاع، وبصرف النظر عما إذا كان على لسان الشخص أو من خلال «مكتبه الإعلامي» أو في صيغة مقالة في صحيفة أو تصريح ميثوث أو مطبوع، يصبح التذكير به واستحضار فقرات مما قيل مسألة مباحة، فإن المرء مثل حالنا، يعف عن معاودة عبارات وردت على ألسنة المتبارزين في حق بعضهم البعض أو في حق مؤسسات دولية مُهابة الجانب، مع ان الذي يشير إلى الشتيمة ليس شتّاماً، كما ناقل الكفر الذي ليس بكافر.

وقد يلومنا القارئ لأننا نفعل ذلك ويكون فِعلنا كمن يتستر على فضيحة، وهذا صحيح لولا ان الفضائيات والإذاعات والبيانات الرسمية وصفحات الجرائد اليومية نشرته وبثته وبذلك لم يعد المخزي من الكلام السياسي خافياً على أحد.

مقابل هذا الذي نلاحظ انه لا يحدث إلا في لبنان وبعض الأحيان في السودان والعراق وفلسطين، لم يحدث ان وجد قائد الجيش في أي دولة عربية أو غير عربية نفسه يدخل غمار السياسة على نحو ما وجد قائد الجيش في لبنان العماد ميشال سليمان نفسه يفعل ذلك، ربما من أجل وضع أمور معقّدة في نصابها وربما من أجل وضع حد لفوضى الاتهامات الفورية للحكم السوري من أنه وراء كل سيئ أو ضيم يصاب به لبنان وربما من أجل تهدئة خواطر الجيش الذي يقوده والمصدوم، أي هذا الجيش وقائده، بالمنازلة الفولكلورية بين أهل السياسة، في وقت يخوض منازلة درامية سالت فيها دماء كثيرة وفاضت ارواح عزيزة خلال مواجهة.

وهو بعدما تمنى في مناسبات سابقة على أهل السياسة أن يخفّفوا من غلوائهم ويصوّنوا بالإتفاق أو التوافق الوطن الذي اضناه العراك السياسي بعدما أنهكت الحرب مفاصله وشتت عائلاته وبحيث ان لبنان الذي هاجر بات الوطن الفرع المنسلخ عن الوطن الاصل، نجده يوم الإثنين 2007/8/13 وفيما القذائف اللفظية المتبادلة بين رئيس الجمهورية والنائب وليد جنبلاط على أشدها والكلام في شأن احتمال أن يكون هو الرئيس الذي سيخلف الرئيس لحود، يتحدث كقطب سياسي فيتمنى على رموز العمل السياسي كباراً وصغاراً «العودة إلى تطبيق إتفاق الطائف نصاً وروحاً وتقديم التنازلات المتبادلة حتى نتمكن جميعاً من العبور إلى بر الأمان...». وفي السياق نفسه كان يحض اتهام وزير الداخلية اللبنانية بأن المخابرات السورية هي وراء تنظيم «فتح الإسلام» الذي يخوض الجيش اللبناني منذ شهرين مواجهة

طاحنة مع عناصره، وإنما، أي «فتح الإسلام»، جزء من تنظيم «القاعدة» خلافاً للتأكيدات الأميركية الرسمية بأن «فتح الإسلام» هي إحدى الفصائل التابعة لـ «فتح الإنتفاضة» المدعومة من سوريا، فضلاً عن أنه يرى أن «فتح الإسلام» ليست عصابة «لأن في ذلك تبخيساً لتضحيات العسكريين اللبنانيين ودمائهم...» وإنما أفراد هذا التنظيم «مدربون تدريباً عالياً ومزودون بأحدث الأسلحة، من البندقية حتى المدفع والصاروخ، مع خبرة عالية في أعمال التفخيخ والتجيرات، كما أن مخازن الأسلحة والخبرة في المخيم أصبحت كلها في تصرفه ناهيك من الملاجئ والأنفاق والدُشم ومخازن الترميم المعدة سلفاً والموجودة في المخيمات الفلسطينية كافة، لذلك لا يجوز التقليل من أهمية هذا التنظيم المسلح وإمتداداته الداخلية والخارجية...».

وفي كلامه هذا يبدو العماد ميشال سليمان مثل رئيس الأركان التركي الذي عندما يتحدث سياسة فإنه كمن يوجه رسائل وبالذات إلى أهل السياسة. ومع ان العماد سليمان أكد في سياق كلامه انه «باق في قيادة الجيش حتى الإنتهاء من انتخاب رئيس جديد للجمهورية وتشكيل حكومة جديدة» وسبق أن قال قبل ذلك يوم تكاثر الحديث عن احتمال قيام حكومة ثانية في لبنان إلى جانب الحكومة التي يرأسها فؤاد السنيورة أنه في حال حدوث ذلك سيقدم إستقالته إلى الحكومتين، فإن المرء ليحار وهو يقرأ ما بين سطور كلامه في أمر قائد الجيش الذي يبدو وضعه مثل وضع قائد الجيش الأول في المؤسسة العسكرية الجنرال فؤاد شهاب الذي إستدعاه يوم 18 سبتمبر (أيلول) 1952 الشيخ بشارة الخوري، أول رئيس للبنان بعد الإستقلال، وكان يعيش أزمة سياسية بالغة الحدة، إلى منزله ليقول له: «هذا هو الدستور بين يديك كقائد للجيش، احتفظ به وحافظ عليه». ويومها شكّل فؤاد شهاب حكومة من ثلاثة كان هو احدهم وهذه مهدت لانتخاب كميل شمعون رئيساً للجمهورية. ثم بعدما إنتهت الولاية بـ «ثورة» لمصلحة عبد الناصر جرى التوافق على فؤاد شهاب ليكون رئيس البلاد من 23 سبتمبر 1958 إلى 23 سبتمبر 1964 وذلك لأن قائد الجيش منذ ذلك أبقى على نحو قائد الجيش اليوم من الزهد بالمنصب ما جعل الرئاسة تسارع الخطى اليه.

وعلى هذا الأساس قد يكون كلام ميشال سليمان على نحو ما أوردنا فقرات منه، هو الخطوط العريضة لبیان وزاري لحكومة سيشكلها بتكليف من سلفه في قيادة الجيش الذي ترأس الجمهورية إميل لحود على أن يكون كما الذي حصل

للجنرال فؤاد شهاب، هو رئيس الجمهورية المستقرة للعام 2013. وهنا نلاحظ ان كلامه قيل يوم 13 أغسطس وقيل بينما رأس المرجعية المسيحية البطريرك الماروني نصر 5 الله صغير يقول في اليوم نفسه: «ان الوضع سيئ والناس لم تعد تحتمل، والله وحده قادر على انقاذنا ومساعدتنا...».

ونخلص إلى التساؤل: هل ان اليوم اشبه بالبارحة، أم ما بعد صيف إميل لحود - ميشال سليمان عام 2007 عن صيف بشارة الخوري - فؤاد شهاب عام 1952؟

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 23 أغسطس (آب) 2007

* * *

لحود وبوش.. وزيجات ما قبل الإنصراف النهائي

يستعد البيت الأبيض لحفلة عرس رنانة طنانة، ستتم في الزمن الذي حُرم فيه ألوف الشباب والشابات في العراق من فرحة العمر، لأنهم إما سقطوا قتلى بفعل الإرهاب المستشري وإما لأن أيام الشقاء الذي يعيشونه لا تسمح لهم بالزواج وتأمين المتطلبات لذلك، وإذا غامروا وأقدموا فإنهم يتزوجون من دون أعراس وذلك لضيق ذات اليد.

عروس البيت الأبيض هي جينا بوش الشقيقة التوأم لـ بربرة، وهما الإبنتان الوحيدتان للرئيس الأميركي الذي لم يُرزق أولادا ذكوراً.. وإلا لكان عمل على توريث أحد الأبناء على نحو ما فعل الوالد بوش الأب وبعض حكام العالم، مثل كيم ايل سونغ والرئيس الراحل حافظ الأسد. الإبنة في الخامسة والعشرين وعريسها هنري هاجر هو صديق للرئيس بوش ومن الشخصيات المرموقة في الحزب الجمهوري. ومنذ الإعلان عن النبأ السعيد والتكهنات ترافق التحضيرات. ومن حيث المبدأ فإن الزفاف سيجري خلال الخريف المقبل في البيت الأبيض متزامناً مع حدثين بالغَي الأهمية في حياة الرئيس بوش وربما في تاريخ المنطقة. الأول هو أن العد العكسي لإنهاء الولاية البوشية الثانية والأخيرة يكون قد قارب على النهاية، وبذلك يصبح زفاف البيت الأبيض، الذي هو الثاني في تاريخ قصر الرئاسة الأميركية منذ زفاف باتريشيا إبنة الرئيس الراحل ريتشارد نيكسون من حفيد

الرئيس دوايت ايزنهاور عام 1971، شبيبها في بعض جوانبه بالزفاف الذي شهده القصر الجمهوري اللبناني في بعيدا قبل أيام، وهو زفاف الابن الثاني للرئيس أميل لحود الذي بقيت أسابيح قليلة على مغادرته القصر، بعدما أمضى فيه ست سنوات دستورية وثلاث سنوات في صيغة التمديد.

هذه الزيجات تحدث في آخر الولايات الرئاسية وتحديداً في آخر أكثر ولايتين رئاسيتين مثيرتين للجدل، كون الأولى، أي سنوات بوش الابن في البيت الأبيض، كانت كارثة على أميركا وعلى المنطقة بدءاً بالتفجيرات المحيرة في نيويورك وما تلاها من حرب باردة وأحياناً فائزاً قابلة للسخونة على الإسلام، وصولاً إلى إحتلال العراق وإسقاط النظام في عملية غزو تبدو الغزوة الصدامية للكويت كما لو أنها قص الشريط الإفتتاحي للغزو والإحتلال والهيمنة والتفرد بالسيطرة على القرار الدولي وإخضاع أي نزعة إستقلالية إلى الأمر الواقع البوشي. أما الثانية، أي السنوات اللحدية في قصر بعيدا، فإنها كانت سنوات الصدمات الواحدة تلو الأخرى، فضلاً عن أنها حفلت بـ «أم الفواجع» وبالحرب الأولى من نوعها بين إسرائيل و«حزب الله» بما يملكه من اسلحة صاروخية وجسور إمداد سورية - إيرانية. ومع أن التدمير الإسرائيلي للبنية التحتية لـ «حزب الله» بنسبة كبيرة ولبعض منشآت البنى التحتية اللبنانية من جسور ومدرجات ومحطات توليد كان مخيفاً، إلا أن هزيمة من نوع لم تعتد عليه إسرائيل ألحقها «حزب الله» بجندوها ومدرعاتها وبالذات آل «ميركا» دبابتها الرامزة إلى قدراتها في مجال التصنيع العسكري المتطور، خففت من صدمة العدوان الجوي البالغ الضراوة الذي قامت به إسرائيل ودام شهراً أمطرت خلاله لبنان بألوف الصواريخ المتعددة أنواع التدمير. أما «أم الفواجع» فتتمثل بإغتيال الرئيس رفيق الحريري في عملية تفجيرية لا مثيل لبشاعتها وكان يمكن أن تستمر لغزاً ومجهولة الفاعلين والمعرضين وغير واضحة الدوافع إلى أن إقتحم المجتمع الدولي الساحة، معتبراً أن الفاجعة تستحق محكمة دولية وإن المحكمة تستوجب محققين أصحاب خبرة جنائية دولية. وكما إن الولاية الرئاسية الثانية للرئيس بوش كانت رمز الغزو والإحتلال فإن الولاية النصفية الممددة للرئيس أميل لحود كانت رمز سلسلة من الإغتيالات تعامل معها كمراقب وعلى أساس انه

محاي، خلافاً للظنون الدولية من جهة وللفريق الذي علا صوته بعد الإنسحاب السوري بموجب قرار دولي من جهة أخرى.

ثمة بعض التساؤلات التي يمكن طرحها على هامش هذين الزوجين يحدثان في الرحاب الرئاسية ويتزامنان مع الاستحقاقين الكبيرين: الاستحقاق البوشي المتعلق بالمؤتمر الدولي الذي يتزامن عقده مع زواج الابنة جينا بوش. والاستحقاق اللحدية المتعلق بانصراف هادي للرئيس من قصر بعيدا وقد سَهّل إنتخاب رئيس جديد متجاوباً في ذلك مع رغبة طائفته المارونية وبالذات مرجعيات هذه الطائفة من رجال دين وسياسيين.

في ضوء ما يمكن للمرء أن يلاحظه هو أن الاستحقاقين مكبلان بقيود سياسية، وكما لو أنها سلاسل في المعصمين أو ملصق على الفم بالنسبة إلى الرئيس لحود المرتبط بوعود لها صفة الالتزام مع حليفه الحكم السوري، أو إنها تعهدات خطية من بوش الابن عشية إنتخابه هو بالذات رئيساً للولايات المتحدة بأن لا يخرج عن الإستراتيجية التي رسمتها الحركة الصهيونية لإسرائيل.

لكن مع ذلك ولأنه لا مجال بعد الآن للبقاء في رحاب القصر الرئاسي مما يعني التخفيف من وطأة الوعود والإرتباطات والتعهدات، فإن كلا الرئيسين ربما ينتهزان الفرصة ويغادر كل منهما القصر بعدما حققا للابنة والابن زواجاً فخامياً وقد أنجزا الاستحقاق التاريخي الذي هو تكرار يوجب على الرئيس بوش الانصراف وقد قامت دولة للفلسطينيين وفق تصوراتها وما سبق أن صرح به مراراً، ويوجب على الرئيس لحود أن يحط على غصن شجرة لبنانية بعدما حلق طوال تسع سنوات في الذرى السورية... ومن دون أن يأخذ في الإعتبار أن للوطن على من يتأسسه حقوقاً وواجبات يتم تسديدها له قبل رد الجمال للآخرين.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 30 أغسطس (آب) 2007

* * *

ساركوزي اليعرُبي... رافض الـ "حماستان"

يجوز القول إن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي ترك

إلى لقائه الأول بكل سفراء فرنسا لدى دول العالم يوم الإثنين 27/8/2007 أمر تحديد الدور الجديد لفرنسا المتجددة في العالم. ونجده من خلال عبارات أوردها في حديثه إلى السفراء، يتطلع إلى حضور فاعل في القضايا العربية الشائكة سواء من حيث دعوته إلى جدولة الإنسحاب الأميركي والبريطاني من العراق ورفض قيام «حماسستان» في غزة وصولاً إلى إستعداده لحوار مع الحكم السوري.. إنما شرط أن يتصرف هذا الحكم بشكل يتيح خروج لبنان من الأزمة التي يعيشها والتي يلقي المجتمع الدولي وزر إستمرارها وتعقيدها على الحكم السوري ومؤيديه من الأطياف السياسية والحزبية في لبنان وبالذات «حزب الله» و«حركة أمل» وبعض القيادات المسيحية والدرزية المعارضة.

في هذا اللقاء بدا ساركوزي واضحاً في أن الرئيس الفرنسي القوي هو الذي يستقوي بالعرب من الخليج إلى المتوسط. وبهذه الرؤية كانت زيارته الأولى إلى أميركا البوشية يوم السبت 11/8/2007، والتي سيتبعها بزيارة ثانية بعد مشاركته في اعمال الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة هذا الشهر. وفي نهاية الخريف، يحط الرجال في الصين حيث «أم الدول الكبرى» مهمة بالتنمية والإقتصاد وغير معنية بالحروب والإيديولوجيات. كما أن بعض الذين سبقوه إلى «الإليزيه» قصر الرئاسة الفرنسية العامر بالحضور العربي وبالذات في العهد الشيراكي يستقوون أحياناً بني غسان وبني قحطان. فقد كان الرئيس السابق جاك شيراك مسكوناً بهاجس الإستقواء بالعرب إنما من خلال منظومة تكون لفرنسا الكلمة العليا فيها، ومن أجل ذلك نراه عزز شأن الفرنكوفونية وارتأى عقد القمة التاسعة في بيروت للفرنكوفونيين، وذلك لأن العاصمة اللبنانية على المتوسط شأنها شأن دول كثيرة في مشرق الأمة ومغربها من سورية إلى مصر إلى فلسطين إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وهذا يعني أن يكون لفرنسا أكثر من موطئ القدم سياسياً ومعنوياً في هذه الدول.

وإلى ذلك أن الإنعقاد في بيروت كان خدمة إستثنائية من جانب الرئيس شيراك لصديقه الرئيس رفيق الحريري، وكان اشارة كثيرة الوضوح تتعلق بحرص شديد من فرنسا على عرب المتوسط وبقدر الحرص نفسه على العلاقة الطيبة مع دول الخليج. وهنا نستحضر ما تضمنته البيان الصادر عن القمة (من 16 إلى 18 أكتوبر/تشرين الأول

2002) بعد إنتهاء اعمالها حيث ان الرؤساء الخمسة والخمسين أو من يمثلهم ابدوا إهتماماً ملحوظاً في شأن إعمار بيروت واعتبروا المبادرة العربية المعروفة أيضاً بـ «مبادرة عبد الله بن عبد العزيز» الإطار الأفضل للسلام في المنطقة، وأن الأولوية للقانون الدولي في موضوع العراق.

قبل شيراك كان الرئيس فرنسوا ميتران مسكوناً بهاجس الإستقواء بالعرب، ومن خلال منظومة أيضاً يلتف حولها أهل الحكم وأهل المعارضة. ونعني بأهل الحكم الذين هم ثوريون، كما نعني بأهل المعارضة تلك الأحزاب التي تغرد في الفضاء السياسي اليساري، وهم كثرة في المنطقة العربية قبل أن تتفتح براعم التوجهات الإسلامية والأصولية وتلتصق بتنظيمات تنتسب إلى هذه التوجهات تهمة العنف للبعض والإرهاب للبعض الآخر. ورأى ميتران بحكم عقيدته السياسية كونه رئيساً لـ «الحزب الإشتراكي» أن تكون الإشتراكية الدولية هي الخيمة التي تحقق لفرنسا الحضور القيادي، الذي يتطلع إليه ضارباً في الوقت نفسه بحجر آخر غير حجر الإستقواء بعرب المتوسط، وهو التقاف الحكومات الإشتراكية الأوروبية حوله وكذلك حكومات وأحزاب أخرى في مناطق عدة من العالم. لكن تطلعات شيراك كانت أفضل، لأنها ابعدت الحذر من نفوس الحكام في حين ان ميتران ابتكر «الكوكتيل» الذي أشرنا إليه وهو «الإشتراكية الدولية» الأخت من والد آخر لـ «الأممية الشيوعية» التي هي تجمع الماركسيين في العالم.

ها هو الآن الرئيس نيكولا ساركوزي، يعلن على الملأ أمام سفراء بلاده إلى دول العالم، انه هو الآخر مسكون بهواجس الإستقواء بالعرب عموماً وعرب المتوسط بشكل خاص، تشجعه على ذلك الوقفة المتميزة معه من جانب الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي لبلاده في دول المتوسط مكانة كبرى، والذي خصّه بزيارة مارس خلالها ساركوزي في قصر الإليزيه، وكذلك في مقر إقامة الملك كل اللياقات آملاً من وراء ذلك استمالة القيادة السعودية إلى فرنسا، ما دام رئيسها الجديد يعرُبى بامتياز. أما الصيغة التي يراها ساركوزي فإنها أكثر تواضعاً من صيغة السلف شيراك ومن قبله ميتران، حيث انه يتطلع إلى «اتحاد متوسطي» لا يكون بديلاً عن تجربة شبه إتحادية أخرى تُعرف بـ «مسار برشلونة» الذي يضم 27 دولة أوروبية.

هل تثمر جهود ساركوزي على نحو ما يتطلع وبالسرعة القياسية لكي يتراًس أوروبا العام المقبل، وهو رجلها القوي في غياب الشأن البريطاني لأسباب موضوعية؟

الإجابة عن ذلك رهن نجاحه في ترطيب الخواطر المغربية وبلسمة الجراح الفلسطينية وامتلاك الورقة الليبية أو اجزاء منها، بما يعزز أمور فرنسا المالية والصناعية. كما أن الاجابة رهن المخاوف اللبنانية واستعادة سورية التي تزداد ابتعاداً عن فرنسا بعدما كانت تراها كما لبنان بأنها الأم الحنون. وهو إذا كان لن يسعى جاهداً من أجل إنجاز ما نشير اليه، فإن عيني «فرنساه» ستبقى كما عيون فرنسا شيرك وفرنسا ميتران شاخصة على العرب يريد كل منهم الإستقواء بهم على أساس ان ذلك يعزز الشأن ويجعل الحضور الفرنسي فاعلاً في المجتمع الدولي. لكن ذلك لا يكفي. عسى ولعل يستدرك الرئيس الثالث اليعربي نيكولا ساركوزي أو «ساركوزي العرب» كما لورنس الانكليزي اليعربي من قبل، ما لم يفعلوه الأول والثاني.. وعلى الوجه الأكمل.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 6 سبتمبر (أيلول) 2007

مجرد مداخلة مع الأمير طلال بن عبد العزيز تستبق اليوم الوطني

لأن الأمير طلال هو أحد أبناء القائد التاريخي الملك عبد العزيز، وأنه إضافة إلى ذلك شغوف بالأفكار الإستثنائية سواء كانت جامعة مفتوحة على نحو ما أسس في بيروت، أو دعوة إلى التحزب، فإنني كواحد من ملايين في هذه الأمة مصدومين بالتجارب الحزبية على مختلف المشارب والإيديولوجيات، أجد نفسي أتأمل في ما يتطلع إليه الأمير طلال وهو أن يكون ختامها حزباً، واسأله:

هل نجح التحزب والأحزاب في العالم العربي في بناء وطن وتحقيق تنمية وتأهيل مجتمع وتنمية قدرات؟ وهل أن المشهد الحزبي من ضفاف المتوسط الشرقي إلى ضفاف المتوسط المغربي إلى السودان

وما يلفت الإنتباه هو حرص ساركوزي الذي لم تكن انقضت سوى بضعة اسابيع على ترؤسه، على إنجاز مشروعه الخاص به الذي يريد إتمامه لكي يستقبل من موقع رجل أوروبا القوي قمة «الإتحاد الأوروبي» التي ستستضيفها فرنسا في تموز (يوليو) 2008 بحكم دورية الإنعقاد السنوي، وهو لهذا الغرض نراه اختار الجزائر لتكون المحطة الأولى في زيارته الرسمية الخارجية الأولى ومنها إنتقل إلى تونس. وعلى رغم إنزعاجه اشد الإنزعاج لأن الجولة لم تكتمل بزيارة المغرب، لأن الملك محمد السادس طلب ارجاءها إحتجاجاً غير معلن على عدم البدء بزيارة مملكته أولاً أو تونس كحل وسط إنما ليس البدء بالجزائر، إلا أن ساركوزي مضى إلى النهاية وبخطوات ماراثونية من بينها إستضافة «مؤتمر الحوار» بين أطراف المعضلة اللبنانية في فرنسا بتزكية سعودية - مصرية - أردنية للمحاولة ودعم غير مسبوق لإنجاحها وحذاقة وحصافة من جانب رئيس الدبلوماسية الفرنسية برنار كوشنير الذي اصطاده ساركوزي من السرب الإشتراكي لتأكيد المنحى اليعربي للعهد الساركوزي.

ومن بين الخطوات كذلك دغدغة كلامية للعنفوان الجزائري والمشاعر التونسية حيث قال «كوني قمت بأول زيارة خارج أوروبا إلى الجزائر يحمل معنى كبيراً، ويرمز إلى العلاقات الوثيقة والكثيفة خصوصاً انني زرت الرئيس بوتفليقة بإستمرار منذ العام 2002» و«ان الرئيسين بوتفليقة وزين العابدين بن علي هما سفيرا فكرة الإتحاد المتوسطي وباندفاع...».

من بين الخطوات أيضاً اقتحامه للمشكلة المتعلقة بالمرضات البلغاريات وإنقاذه لهن من حبل المشنقة أو السجن المؤبد في ليبيا، وذلك بالتعاون مع زوجته سيسيليا الطامحة إلى أن تكون هي ديانا الحية مع حلول الذكرى العاشرة لرحيل الأميرة ديانا إلى الآخرة مع صديقها دودي الفايدي، وما يقال من أن رحيلها كان قتلاً مبرمجاً وليس مجرد حادثة سير عادية في باريس، وان السبب كان انها حامل، وان ملك بريطانيا المقبل، بافتراض أنه سيكون الأمير وليم ابنها من مطلقها الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا الحالي، سيكون له أخ مسلم يحمل إسم محمد الفايد تيمناً باسم جده الذي امتلك درة متاجر بريطانيا (محلات هارودز) ولذا لا، ولن ينسى مجتمع الحكم البريطاني فعله هذا.

باب العرب نحو أفريقيا كان حافلاً بغير التناحر والصراعات والمؤامرات وإراقة الدماء والإغتيالات والتصفيات المخزية؟

وهل أن لغة التخاطب بين جماعات الحزب وقادة الأحزاب كانت على درجة من التأدب وكانت لمصلحة الوطن والمواطن؟

وهل هناك حزب واحد نأى قاداته بأنفسهم عن الإرتهان للغريب على حساب الوطن؟

وهل هناك حزب واحد مورست فيه الأصول والتقاليد في حدها المحترم بحيث أن الأقلية تحترم الاكثرية أو يسعى الطرفان إلى التفاهم على الصيغة التي تبقى الوطن في منأى عن الخطر؟

وهل هناك حزب لم يكن مطية لمالك هذا الحزب. والقول إنه مالك هذا الحزب لا يجافي الحقيقة إذ إن الأحزاب غدت حزب الزعيم الواحد يحيط نفسه بنواب ومستشارين كنوع من الزخرفة والتجميل لحالة من البشاعة في اساليب التعامل حيث ان هؤلاء لا يلوون ذراع الزعيم الأوحده ولا يخالفون له رأياً. بل إن أي مناقشة لا تبدو مألوفة قبل إتخاذ قرار وإنما بعد أن يكون القرار صدر وأشبعه الزعيم الأوحده شروحات تعتمد على التشبث بالرأي وليس على الإقناع، وهو في ذلك يرى أن أي كلام عدا كتاب الله والحديث الشريف يبقى قابلاً للمناقشة وحتى إلى الإعتراض، فهؤلاء يساقون بالترج نحو التهميش بدل أن ينظر الزعيم الأوحده إليهم على أنهم من الواعدين الذين يستحقون الرعاية الإستثنائية لكي يقودوا مستقبلاً.

وهل هناك قيادة حزبية بعدما تسلمت السلطة بفعل إنقلاب عسكري أوفت بما كانت تقوله في مرحلة ما قبل السلطة وبذلك أثبتت مصداقيتها؟ ونقول ذلك على أساس أن كثيرين من القادة الحزبيين كانوا قبل أن يوصلهم الانقلاب إلى السلطة يُكثرون من المطالبة بالديمقراطية فإذا بهم بعد الوصول يتبرمون بكل من ينادي بالمطالب نفسها، وكانوا يصرخون ضد القمع والإعتقال ثم إذا بهم بعد الوصول يزدادون قمعاً وإعتقالات لمن لا يجاريهم الرأي أو يكون صاغراً أو مطيعاً.

وبالنسبة إلى حرية الرأي والتعبير هل هناك زعيم حزبي أجاز بعد وصوله إلى السلطة ما كان يطالب به لجهة اتاحة تلك الحرية، أم انه حجب الرأي الذي لا يرتاح إليه ووضع للتعبير مقاييس بدا فيها متناقضاً كل

التناقض مع ما كان يراه وهو في حالته كعارض. ونجد أنفسنا في الاطار نفسه نتساءل:

هل أن لغة التخاطب الحزبي كانت لائقة ومرتنة عند أي من الزعامات الحزبية سواء تلك الاحزاب المصنعة والتي يتم إنشاؤها بغرض أن يستعملها الذي يمسك بمقاليده السلطة في وجه احزاب أخرى، أو الأحزاب المتوارثة والتي هي إذا جازت التسمية "إقطاعات حزبية"؟ وحيث أننا نرى في الأمير طلال ملامح اعجاب بلبنان وضجيج الحزبي وحيث الأحزاب مثل السلع ولبنان مثل رفوف "السوبرماركت" المركونة من هذه السلع، فإننا لا ندري ما إذا كان هواه الحزبي اللبناني لا يصطدم بالمفردات التي تأتي من ألسنة الزعامات الحزبية وفي معظمها إما شتائم من جانب حزبين ومتحزبين ليسوا في السلطة يتبادلونها مع آخرين يحتكرون السلطة، وإما دعاوى جزائية بحيث أن الأمر ينتهي أمام محكمة وقاض ومحامين. ومن الواضح أن السبائين الشتامين لا قضية وطنية لهم عدا أن يكونوا محل المسبوبين المشتومين.

وهل ان العبارات التي يعف أحياناً اللسان عن ذكرها والتي تصدر عن هذا الزعيم الحزبي أو ذاك تؤهل قائلها لإدارة شؤون البلاد ورعاية مصالح العباد على الوجه الأفضل؟ ولا بد أن العبارات التي قيلت على مدى بضعة أشهر على ألسنة زعامات لبنانية إضافة إلى التلاعب في المواقف وإعتبار الوطن ساحة للنزوات الحزبية، أوجدت صدمة في نفوس الناس وبحيث بات المواطن اللبناني ينفر من كلمة حزب ويشعر بما يشبه الصداق عندما يسمع هذا وذاك من قيادات حزبية تقوم بالتنظير الحزبي الفتوي بدل التنوير الوطني. وإذا كان هذا الوطن لا يجاهر بمشاعره لأسباب موضوعية فإن ذلك لا يعني أنه مقتنع ضمناً بما يحدث وبما يسمع وبمن يتزعم.

ولا نظن أن أحداً لا يرى بالوجدان المجرد ما الذي فعلته الأحزاب والمتحزبون والمستحزبون بأوطان حباها الله الطبيعة جمالاً وثروة، ذلك أن هذه البلاد التي قد تكون جئات أرضية غدت بلاداً غاب عنها السياج الوطني ولم يرد الكيد عنها السائر الحزبي مع أن السلطة في يده. وإذا كنا نفضل عدم تسمية الزعامات بإسمائها، إلا أن أحوال الناس في هذه الدول وعلى سبيل المثال لا الحصر لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر والسودان والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا وكلها تتلوى بلطى

إجتهادات وصراعات الزعامات الحزبية، ليست على النحو الكريم، بل إن الحزب الذي يحكم يتحول إلى حالة من حالات الإقطاع فيمعن تهميشاً في غير الخاضعين إليه حاصراً المكاسب والتسهيلات في المنتسبين إليه مؤسساً لسلوك غير سوي حيث إن المواطن الذي ينتسب إلى الحزب لا يفعل ذلك إقتناعاً بالطروحات والعقيدة وإنما لأنه سيجني من وراء الإنتساب ما هو محظور على غير المنتسب، وبذلك يصبح الحزب حالة ظلم وحالة إنقسام في المجتمع.

إلى ذلك إن الإخفاق واكب التجارب الحزبية في العالم العربي ثم تزايدت نسبة الإخفاق مع دخول المؤسسات العسكرية المجال الحزبي وبذلك ضاع واجب العسكريين في متهاتات الدهاليز الحزبية، وإنتهى الأمر إلى أن العسكريين لم يمارسوا الواجب كحماة للوطن ويشكلوا السياج الواقى له وأن مدنيي الأحزاب أصحاب الشعارات البراقة لم يحققوا من الشعارات والمبادئ التي تتضمنها العقيدة الحزبية شيئاً، بل يجوز القول إن الذي ينادي بالوحدة لم يصنّها كما يجب أو إنه بالنسبة إلى البعض عمل على تقويض ما هو موحد. كما أن شعار الحرية إنتهى من حيث التطبيق حالة قمع للمواطن وعدم ثقة به. أما مبدأ العدالة فإنه إنتهى على نحو ما أشرنا إلى حالة مكاسب ومغانم لمن هم يشكلون طبقة "الإقطاع الحزبي" بالمفهوم الواقعي و"قيادات الصف المتقدم" بالنسبة الحزبية.

إن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في شأن التجربة الحزبية في العالم العربي سواء منها المستورد أو المفتعل. وبالنسبة إلى مراقب متجرد مثل حال كاتب هذه السطور يملك القدرة على التقييم كونه غير متحزب وفي الوقت نفسه مصدوماً بالتجارب والمحاولات الحزبية الثوري منها والمذهبي والعائلي والأصولي، فإن الحزب ليس أكثر من مجرد وسيلة لتحقيق غاية آنية وليس حلاً على الإطلاق.. هذا إذا لم نعتبر ما أصابنا منه على مدى ثلثي قرن كان نكسات وصددمات وخطى إلى الوراء.

وحيث أن الأمة ستعيش يوم 23 سبتمبر/ أيلول المقبل (2007) ذكرى العيد الوطني للمملكة العربية السعودية فإن ما يمكن قوله إن الخيار الوطني كما رآه الملك عبد العزيز كان الخيار الذي اثبت الجدوى والمصادقية لأنه أبقي الدولة في منأى عن الحزبية

والتحزب وفق الوحدة التي أخفقت سائر التجارب الحزبية في تحقيقها ونشر العدالة الإجتماعية التي إنتهت خلال نصف قرن إلى أهم عملية تنمية في المنطقة ووضع ثوابت وطنية إلى جانب الثوابت الدينية تكرست نهجاً صالحاً وعقيدة لا تتنازعها الأهواء والمغامرات الحزبية. ولأنها كانت فقد بقيت مصانة وبقيت البلاد غير مستباحة ونشط العقل السياسي في إتجاه إستن باط الصيغ التي تجمع بين القراءة المتأنية للواقع الدولي والإقليمي والعربي وبين الإجتهد على هامش يتحبه منطق الأمور وبما لا يفرط بالحقوق نتيجة المكابرة والعناد والتطلعات التي تتجاوز الممكن بكثير. وفي هذا الإطار كان مشروع الملك فهد بن عبد العزيز رحمة الله عليه في قمة "فاس" ثم كانت "المبادرة العربية" التي أرادها الملك عبد الله بن عبد العزيز مفتاح باب موصد أمام الحل للقضية التي تلاعبت بها التجارب الحزبية العربية والإسلامية الهوية في شتى مشاربها ومصادرها والظروف المرئية لإستحداثها حاملة من المبادئ والوعود ما يغري بسطاء الناس بها ثم يكتشف هؤلاء البسطاء ان الإغراء كان تغريراً بهم. وسيسجل التاريخ الفضل الكبير لهذا القائد المخلص وخصوصاً في حال إستكمال المجتمع الدولي استعادة وعيه ويقظة ضميره وإنتهى المؤتمر الدولي، الذي دعا إليه الرئيس بوش الابن مستنداً في دعوته إلى نصائح اسداها الملك عبد الله وأرفقها بتمنيات على كل الذين يزورونه أو يزورهم وفي الحالتين يُصغون إلى رؤيته ويشعرون ببعض الإحراج لأن منطق هو السليم، إلى إنعقاد فنجاح فقيام كيان فلسطيني يحظى برعاية دولية تعوض شعب فلسطين ويلات زمن النكبة والإذلال والتشرد والعدوان والتشرذم وإقتتال الأخوة بعد إرتداد عن عهد جرى التوقيع على إتفاق في شأنه، في أقدس بقعة إسلامية.. مكة المكرمة. ونخلص إلى القول إن "الإنقضاة الحزبية" للأمير طلال تأتي في وقت العودة المتلاحقة بدرجات متفاوتة لشرائع عريضة من أبناء الأمة من مشاربها إلى مغاربها عن الخيار الحزبي مصدومين من العهود الحزبية التي ليس فقط لم تحقق ما نادت به وإنما حدث العكس. ولكن الأمير من النوع المسكون بالأفكار المثيرة التي لا يلبث أن يصرف النظر عنها على نحو انصرافه عن "إنقضاة الثورية" في الستينيات. وكونه ابن صاحب التجربة الوحدية والوطنية العادلة والحازمة للملك

عبد العزيز رحمة الله عليه، فإن ما يدعو إليه وبالذات في زمن محنة بعض العرب من جزاء التلاعب الحزبي بالمصائر والأقدار، أوجب على كاتب مثل حالي يكتوي بلوثات الأمزجة الحزبية وطنه لبنان الذي له في نفس الأمير مكانة كبرى، تسجيل هذه السطور التي هي مجرد مداخلة في شأن "إنتفاضته الحزبية" تأتي بينما الأمة على موعد مع ذكرى جديدة اليوم الوطني للمملكة... التي تريد للأمة ما يعود بالمنفعة والخير ويدراً الضرر والشر.

كُتبت لصحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ الأحد 9 سبتمبر (أيلول) 2007

* * *

تركيا أتاتورك الحديثة..

وتركيا أردوغان الأحدث

مع ان لعبة الأكثرية والمعارضة في تركيا ليست بالحدة التي هي عليها في لبنان، إلا أن إخراج الأزمة التركية من عنق الزجاجة يصلح أمثلة تستحق التأمل فيها من جانب أطراف الأزمة في لبنان.. هذا إذا شاءت هذه الأطراف أن تتأمل أو سُمح لها أن تتأمل.

أراد رجب طيّب أردوغان رئيس الحكومة التركية مكافأة رفيقه عبدالله غول الذي كان أول رئيس حكومة لـ «حزب العدالة والتنمية» الذي يترأسه أردوغان والذي لم تساعد ظروف العضوية في البرلمان على أن يكون هو رئيس الحكومة فإختار عبد الله غول الذي ما لبث أن رد الأمانة إلى صاحبها لمجرد أن أتاحت الظروف المشار إليها الفرصة أمام أن يترأس أردوغان الحكومة، التي بات غول فيها راضياً ومن دون أي تبرم وزيراً للخارجية.

مع إقتراب نهاية الولاية الرئاسية للرئيس أحمد نجديت سيزر أبلغ أردوغان رفيقه غول بأن يستعد ليكون مرشح «حزب العدالة والتنمية» لرئاسة الجمهورية. ثم أعلن ذلك على الملأ فقامت قيادة العلمانيين والجنرالات بذريعة أن «خير النساء» زوجة غول محببة وأن على السيدة الأولى أن تكون حاسرة الرأس. وإحتكمت تركيا الأردنية وتركيا العلمانية بكل أطراف المعارضة

ومعها جنرالات المؤسسة العسكرية إلى الإنتخابات التشريعية التي جرت يوم الأحد 22-7-2007 فكان الفوز من نصيب حزب «العدالة والتنمية» الذي نال 47 في المائة من أصوات الناخبين كما أن النسبة الكبرى من النساء اللواتي فُزْنَ في الإنتخابات (31 امرأة من أصل 45) انتُخِبْنَ تحت لائحة الحزب الأردوغاني، وبذلك ستكون رئاسة الحكومة أيضاً للزعيم الإسلامي المقبول إقليمياً ودولياً والمُرحَّب به أوروبياً رجب طيّب أردوغان الذي زوجته أيضاً محببة.

تراجعت الذرائع العلمانية بعد الفوز المبهر لحزب أردوغان في الإنتخابات وهذا زاده إصراراً على ترشيح غول لرئاسة الجمهورية. وعلى وقع تصريحات هجومية من جانب العلمانيين جرى التصويت في البرلمان مرتين دون أن يفوز غول لأنه لم يحصل على غالبية الثلثين. وفي المرة الثالثة حصل الفوز المبين بالأكثرية المطلقة أي بـ 276 صوتاً من الأعضاء آل 550 في مجلس النواب مع ملاحظة أن لحزب «العدالة والتنمية» 340 نائباً. لكن الجنرالات في شخص رئيس الأركان إمتعضوا أشد الإمتعاض وبدأوا توجيه رسائل ذات دلالات من بينها رفض الجيش دعوة السيدة الأولى إلى حضور العرض العسكري، لمناسبة إنتصار القوات التركية على القوات اليونانية في 30-8-1922، وذلك بسبب حجابها. كما أن رئيس الأركان الجنرال يشار بويوكانيت الجالس بين أردوغان وغول في المنصة لم يتحدث إليه مطولاً وكان قبل يوم إمتنع وعدد من الضباط عن مصافحة الرئيس في مناسبة حفل تسليم شهادات في مستشفى عسكري في انقرة الأمر الذي حمل بعض الصحف على إنقذار هذا التعامل الخشن وغير اللائق من العسكريين مع رئيس البلاد. لكن على الرغم من هذه الخشونة قال أردوغان في كلمته لمناسبة عيد النصر: «إن من الضروري لنا أن نتوحد حول قِيَمٍ أمتنا ومميزات جمهوريتنا والأهداف المشتركة أكثر من أي وقت مضى وأن ننحي خلافاتنا جانباً...».

وذريعة الحجاب ليست كل شيء، بل وليس الحجاب هو الدافع الأساسي إلى هذا الأسلوب الذي يصل إلى مرتبة الموقف، وإنما الدافع الحقيقي هو الحقد في نفوس الجنرالات لأن أردوغان كزعيم إسلامي معتدل شكلاً ولباساً وحديثاً ورؤية واقعية للعلاقة مع المجتمع الدولي، قطع الطريق على هيمنة المؤسسة العسكرية على

أتاتورك، ولا يخشى الإسلام بالتطبيق التركي
الأردوغاني... وهو ما يحتاجه هذا الدين الذي تتنازع
مفاهيمه تيارات وأحزاب طالما أساء بعضها نتيجة سوء
التصرف والتخبط في التعاطي مع العالم الخارجي غير
المسلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - 18 سبتمبر (أيلول) 2007

* * *

لو أنهم يُصغون إلى حكمته

مع حلول اليوبيل الماسي لتوحيد المملكة العربية
السعودية على يدي الملك عبد العزيز يوم الأحد 23 -
9 - 2007، تكتسب قيادة خامس الملوك الأبناء البررة
الملك عبد الله بن عبد العزيز رونقاً كبيراً التميز على
صعيد خطة استنهاض في الداخل للهمم مقرونة بخطة
نهوض في مجال التنمية والتصنيع تشمل كل مناطق
المملكة... وهو ما لاحظنا ملامح الشروع فيها خلال
جولات الملك عبد الله الميدانية على هذه المناطق قبل
بضعة أشهر. وبالموازاة مع هذا الإهتمام الذي تنفرع عنه
إهتمامات وخطوات تستهدف تلبية مطالب من شأن
تحقيقها تخفيف نسبة الجفاف على الصعيد الاجتماعي،
يسير الإهتمام بالوضع العربي وأحوال المنطقة الحافلة
بكل أنواع التحديات والقضايا الشائكة المؤجل حسم
أمرها، ومن دون أن يربك الإهتمام في الشأنين العربي
والإقليمي الإهتمام في الشأن الداخلي، ومن هنا الشروع
في فتح ملفات قضايا عالقة كان تسلم الملك عبد الله بن
عبد العزيز دفة القيادة كاملة من حُسن حظها كونه يريد
للفصل الجديد من الحقبة السعودية على مدى ثلاثة
أرباع القرن أن يكون فصل الحسم لاجتهادات وتحفظات
تتصل بهذه القضايا.

وحيث أن الاستقرار هو هاجس الملك عبد الله بن
عبد العزيز الذي يرى أن لا إزدهار من دون هذا
الاستقرار ولا مجال للتطوير في غيابه، فإننا نلاحظ
سعيه الحميد من أجل رأب الصدع في أي بلد عربي أو
إسلامي غير عربي فهو خادم الحرمين وهذا يعني أنه
في جزء من واجبه الوطني والديني مسؤول عن مليار
ونصف المليار مسلم ينتشرون في بلاد الله الواسعة بين

المؤسسات السياسية وعطل في الجنرالات شغفهم في
قلب الحكومات وإهانة رؤسائها على نحو ما أصاب
رؤساء أربع حكومات خلال ستين سنة آخرهم رئيس
الحكومة السابق ورئيس حزب «الرفاه» الذي تغير إلى
«حزب الفضيلة» بعد حل حزب «الرفاه» نجم الدين
اربان الذي ورثه أردوغان بعد عملية تجميل جذرية
للعمل الحزبي الإسلامي وبذلك لم تعد مبررات إنقضا
الجنرالات على الرؤساء المدنيين موضع إرتياح الرأي
العام لها، لكن الجنرالات يبدلون ما في الوسع لإستعادة
القبضة كي لا يصيبهم ما أصاب زملاءهم جنرالات
الجيش الجزائري في عهد الرئيس الحالي عبد العزيز
بوتفليقة.

وجنرالات تركيا كما الجنرالات الجزائر تنطبق عليهم
مع بعض التعديل «خسرنا جولة ولم نخسر الحرب».
والأفما معنى أن نبتة العنف في الجزائر ظهرت من
جديد وفي صيغة التخخير هذه المرة؟ وما معنى أن
جنرالات تركيا لا يصافحون رئيس البلاد الذي هو القائد
الأعلى للقوات المسلحة ولا يحترمون الأصول ودعوة
زوجته «خير النساء» لأنها محبة كما إبنيتها «كوبرا»
ذات العشرين ربيعاً وكما زوجة رئيس الحكومة رجب
طيب أردوغان الذي يحكم البلاد منذ العام 2002 وكما
أيضاً معظم نساء «العدالة والتنمية» بمن فيهن عضوات
البرلمان.

بعد طول عناد زار رئيس الجنرالات القصر
الجمهوري وهناً رئيس البلاد عبدالله غول الذي فتح
أبواب القصر أمام الجميع من دون إستثناء بمن في ذلك
بعض المطربات والنساء المحجبات ونواب أكراد الأمر
غير المسبوق في دنيا الرئاسة التركية. أما أردوغان رجل
تركيا القوي الثاني بعد الأول مصطفى كمال أتاتورك
فإنه، وقد نجح في أول إنقلاب مدني سلس على
الجنرالات أصحاب الباع الطويل في قلب الحكومات
المدنية، كان غارقاً في التحضير للإنقلاب الثاني إنما
على الدستور أو فلنقل إعادة صياغة تركيا بحيث تأخذ
الأردوغانية مكانها جنباً إلى جنب مع الأتاتورية وبذلك
لا تعود المؤسسة العسكرية تتصرف على نحو ما
تمارسه منذ نصف قرن لم يذق فيه المدنيون طعم الحكم
المستقر. وبذلك يكون أردوغان إستنبط معادلة جديدة
جعل من خلالها العالم يرتاح إلى تركيا الأحدث على
يديه بعد تركيا الحديثة على يدي مصطفى كمال

القطب والقطب. من هذا المنطلق كانت مبادرته التي إستهدفت جمع الشمل العربي على موقف موحد من الصراع العربي - الإسرائيلي، وذلك لأن السبيل إلى تحقيق المطالب يبدأ بالتوحد وليس بتعدد المواقف، فضلاً عن أن إسرائيل والأطراف الدولية التي تحايلها لن يكون من السهل عليها إختراق الموقف العربي الواحد في حين تستطيع النفاذ من خلال تعدد المواقف ويكون إختراقها إلحاقاً للأذى بالمطالب الحقّة.

ونحن عندما نتأمل في إرتياح الرأي العام العربي للإجماع الذي حدث في القمة الدورية الثانية في بيروت (2002/3/28) على تبني أفكار الملك عبدالله بن عبد العزيز في شأن التسوية المتوازنة للصراع مع إسرائيل والتصويت عليها بالإجماع كـ «مبادرة عربية»، يتأكد لنا أن الملك عبدالله كان يقرأ ما يدور في نفوس أبناء الأمة ويستخلص حقيقة أساسية وهي أن ما يتطلع إليه هؤلاء ولو لمرة واحدة هو الإجماع على موقف موحد. وهذا الإرتياح أفرز مسؤولية مضافة إلى المسؤوليات الكثيرة الملقة على همة الملك عبدالله ونخوته ونعني بها مسؤولية الحفاظ على هذا الإجماع وتفعيل المبادرة من خلال الزيارات واللقاءات مع رؤساء ومسؤولين في المواقع المتقدمة من الدول الذين إما زارهم الملك عبد الله بن عبد العزيز في سنوات أدائه كولي للعهد المهمات والمسؤوليات الجسام نتيجة مرض الملك فهد بن عبد العزيز رحمة الله عليه، وإما استقبلهم في الرياض أو جدة أو مكة زواراً للمملكة أو مبعوثين في مهمات دقيقة أو حجاجاً لبيت الله الحرام.

ومن أجل الحفاظ على الإجماع وتفعيل المبادرة كان السعي المخلص من جانب الملك عبدالله لرأب الصدع بين أبناء الشعب الفلسطيني خصوصاً بعدما احتكر الساحة شقيقان متباغضان («فتح» و«حماس») وباتت المناكفات بينهما تأخذ شكل العداوة ثم تطورت إلى عمليات مطاردة في الشوارع وإقتحامات للمكاتب الرسمية والمنازل.. إلى أن بدأت الدماء تسيل على أرض فلسطين إنما هذه المرة من رصاص بنادق ومسدسات فلسطينية، وبذلك بات المشهد مخجلاً ومرعباً في الوقت نفسه ويتطلب ما هو أكثر من النصيح والتمنيات، فضلاً عن أن أي حديث مع أهل القرار الدولي حول الموضوع الفلسطيني وضرورة إعتداد «المبادرة العربية» حلاً أو سقفاً للحل كمرحلة أولى، سيكون غير فاعل. وجاء

السعي من جانب الملك عبد الله بن عبد العزيز إقتحامياً أخذاً الأمر على عاتقه شخصياً منتقلاً إلى جدة ليكون قريباً من الإخوة الفلسطينيين متمثلين بالرئيس محمود عباس وبعض رفاقه من حركة «فتح» وخالد مشعل وإسماعيل هنية ورفاق لهما من حركة «حماس» الذين أردوا المباركة الروحية للقائهم في رحاب مكة إلى جانب الرعاية الكريمة من جانب الملك عبد الله وإخوانه لهم. وعندما ظهروا عبر الفضائيات يؤدون ما يشبه اليمين على صون الإتفاق ونبذ التباغض، واضعين ذلك في صيغة عهد وميثاق مصدره مكة المكرمة، فإن أبناء الأمتين شكروا كل حيث هو في بقاع الأرض للملك عبد الله سعيه وأزالوا من النفوس مشاعر العتب العميق على الشقيقتين الفلسطينيتين اللودين اللذين يخوضان غمار مواجهة لا معنى لها ولا جدوى من إستمرارها، مستهجنين عراكهم على أرض لم تقم عليها دولتهم التي تسعى مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز لقيامها قبل أن تغيب شمس الولاية الثانية والأخيرة للرئيس بوش الابن الذي أكد غير مرة للملك عبدالله أنه جاد في موضوع حسم الصراع العربي - الإسرائيلي، وبحيث تكون هنالك دولة فلسطينية قابلة للعيش إلى جانب دولة لإسرائيليين.

وكانت صدمة أبناء الأمتين بإرتداد «حماس» عن إتفاق مكة من خلال المشهد المهيب للإتفاق في رحاب مكة المكرمة الذي إنتهى مشهداً محزناً ومعيباً على أرض غزة التي تعاملت «حماس» معها وفق منطلقات لا يقرها الدين والعقل والالتزام بالكلمة. وبدل أن يكون إتفاق مكة سبيلاً إلى وضع أفضل فإن إستيراد «حماس»، كي لا نقول إحتلالها، لغزة والتعامل معها كما لو أنها رهينة وأن الإنسان يمكن أن يرهن نفسه، كان صادمًا. وما زاد من نسبة العتب أن الطيف «الحماسي» الذي فاوض واتفق في رحاب مكة جبر الأمر لمن حسدوا السعودية على إنجازها الوفاقي الفلسطيني وشعروا أنه قوَّض لهم ورقة يسامون عليها بعض أطراف المجتمع الدولي لتحقيق مصالح خاصة لهم أو على الأقل لرفع الضيم عنهم، فاندفعوا في اتجاه عملية ينقصها الضمير من جانبيهم ورجاحة العقل من جانب مجموعتهم داخل «حماس» وخطوا من جديد الأوراق بعدما كان قد تم ترتيبها برعاية قائد كريم يريد أن يذكره أبناء القضية المتعثرة بالخير ليس فقط على

فخلافاتنا الدائمة ورفضنا الآخذ بأسباب الوحدة، كل هذا جعل الأمة تفقد الثقة في مصداقيتنا وتفقد الأمل في يومها وغدها...».

ومنذ تلك القمة ضاعف السعي وزاد من منسوب بذل الجهد لرأب الصدع. لكن يا ليتهم بدل أن ينطق بعضهم «زلات لسان» يصغون بعقل مرتب وقلب مفتوح ومشاعر تفيض بالغيرة على الوطن بدل الغيرة من مبادرات الملك عبد الله بن عبد العزيز الخيرة، إلى ما يقوله هذا القائد الذي كان دائماً لا يعمل لدنياه. وهذا سر الإلتفاف حوله من أبناء المملكة وتفسير تقدير أبناء الأمتين لسعيه المشكور.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 25 سبتمبر (أيلول) 2007

السيد حسن بين الممكن والمستحيل

خيَّب السيد حسن نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله» توقعات شرائح عريضة من اللبنانيين ليسوا من الآذاريين، بمعنى أنهم ليسوا من لبنان «14 آذار» الذي هو السلطة الحاكمة المنقوصة التمثيل المذهبي ولا من لبنان «8 آذار» الذي هو السلطة المعارضة المنقوصة إيجابية ما تقوم به، وبالذات ما يتعلق بالتخيم في منطقة الأسواق التجارية المحيطة بالسراي الحكومي. أما أين نقطة تخيب التوقعات فهي أن السيد حسن لم يغتنم مناسبة اليوم خميني للقدس (الجمعة 5 - 10 - 2007 م. 24 رمضان 1428 هـ) ويطيب خواطر بضعة ألوف من اللبنانيين ضاقت بهم سبل العيش لأن التجارة إنتكست والسياحة تعثرت والإستثمار توقّف نتيجة تحويل الوسط التجاري إلى بقعة في الوطن محتلة، ولا فرق بين حالة إحتلال القدس وإحتلال هذه البقعة سوى أن مدينة السلام يحتلها الصهاينة ويمنعون أصحاب الحق من الصلاة في رحاب المسجد الأقصى، بينما البقعة التي نشير إليها، أي الوسط التجاري من العاصمة بيروت، محتلة من بعض أبنائها، الأمر الذي يعني أن العقل السياسي وراء هذا الأسلوب لا يستهدف الضغط وإنما التعطيل. وتطبيب الخواطر الذي نقصده هو أن يفك السيد

عطاءات بلده وإخوانه وشعب المملكة في زمن الشدة.. وما أكثرها على مجتمع المخيمات الفلسطينية داخل الأرض المحتلة وخارجها، وإنما على أنه حقق إلتفافاً عربياً حول القضية، وبذلك لا يعود كل طرف يطرح من الأفكار والاجتهادات ما يروق له. كما أنه حقق إلتزاماً أدبياً بالمصير الفلسطيني ليس من مصلحة أي حاكم عربي الخروج عليه. وهذا في أي حال لمصلحة الشعب الفلسطيني ومن دون تمييز.

ما قدّمه الملك عبد الله للفلسطينيين قدّمه أيضاً للبنان المتنازع عليه وبذل من خلال السفير الدكتور عبد العزيز خوجة جهداً وصبراً وأريحيات لا يعرف اللبنانيون سوى الجزء البسيط منها، لكنهم سيزدادون إمتناناً للملك عبد الله بن عبد العزيز عندما سيأتي اليوم الذي تسطع فيه شمس الحقيقة ويحدث الفرز للمواقف، وبذلك سيتبين لكل لبناني كم أن كفة المسعى السعودي الحافلة بالنوايا الطيبة كانت كلما تقترب من النتيجة المرجوة، تقتحم الساحة الأطراف الباغضة واضعة في الكفة الأخرى من الميزان كل ما من شأنه التعطيل عن طريق الإغتيالات أو التعقيد أو الشروط التعجيزية، وذلك لغاية في نفوس أصحابها وأولئك الذين يلقونهم ما يجب رفضه، لأن عدم ذلك يعني تحقيق التسوية المثالية، ويعني أن الفضل في ذلك سيكون لحكمة الملك عبد الله بن عبد العزيز وحرصه على مداواة محنة كل دولة عربية تعيش حالة صعوبة في العيش المتوازن وفق الأصول، أو تعيش حالة احتراب يتذابح فيها أهل البلد الواحد من دون أن يتنبهوا إلى أي معصية ضد الدين والوطن يفعلون. وما يتمناه المرء هو أن يكون الصوماليون والسودانيون أكثر وعياً من الفلسطينيين، ويستعيد اللبنانيون وعياً مفقوداً، ويتنبه العراقيون إلى أنهم بما يفعلون قد يجدون أنفسهم ذات يوم وقد فقدوا الوطن بالمفهوم المتجرد والذي لا يعود البكاء عليه يجدي.

ونستحضر ونحن نختتم هذا الكلام لمناسبة اليوم الماسي لليوم الوطني للمملكة العربية السعودية أمثلة الملك عبد الله بن عبد العزيز في القمة العربية الإستثنائية التي إستضافها في الرياض يوم 2007/3/28 والنقد الذاتي نيابة عن جماهير الأمة لولاة الأمر من ملوك ورؤساء وأمراء وشيوخ. ففي تلك القمة أطلق ملاحظة كأنها صرخة تمثلت بقوله: «ماذا فعلنا كل هذه السنين. إن اللوم الحقيقي يقع علينا نحن قادة الأمة العربية،

حسن أسر الوسط التجاري كي لا يبقى هذا الوسط مأسوراً كمئات الفلسطينيين واللبنانيين ومنهم سمير القنطار في السجون الإسرائيلية. وكانت تكفي جملة صغيرة من خطابه الذي ألقاه من خلال الشاشة التلفزيونية لدواع أمنية لتحقيق هذا المطلب الملح كأن يقول إنني أطلب من إخواننا المخيمين أن يفكوا الخيام ويعودوا إلى بيوتهم والعيش مع أهلهم وأولادهم إستعداداً لمناسبة عيد الفطر وأن يزيلوا بأيديهم تلك الصور والكتابات، وأنه من اللاتق كوننا نعيش الأيام الأخيرة من شهر الصوم المبارك الذي هو في بعض أجوائه الإيمانية شهر تنظيف النفس والروح والبدن، أن يتولى المخيمون بمن فيهم أولئك الذين ينتمون إلى أحزاب شيوعية أو مسيحية تنظيف أماكن التخييم وبحيث يستعداد رونق المكان بالوضع الذي عليه قبل التخييم الذي كان إختباراً غير موفق على صعيد تغيير الموقف، أما على صعيد تعطيل مصالح البلاد والعباد فكان ناجحاً بامتياز.

لم يُنلج السيد حسن الصدور اللبنانية وترك الوسط التجاري للعاصمة المحزونة والمفجوعة بسلوك رموز العمل السياسي والحزبي والحركي والجهوي على مختلف إنتماءاتهم محتلاً أو مأسوراً لا فرق، مع أن فك الأسر لهذا الوسط كان سيُعتبر هدية كريمة في مناسبة أكرم. بل كان يبدو أنه فعل زكاة يتم تسديدها في شهر الزكاة. ولا نجد فرقاً كبيراً بين الذي يُزَكِّي عن مال إكتنزه وبين الذي يُزَكِّي عن خيارات سياسية أقدم عليها وكانت ضارة بداية ونهاية، بل أن الزكاة عن هذه الخيارات تبدو كما لو أنها تعويض له صفة طلب المغفرة من رب العالمين، وفي هذه الحال فإن القبول مضمون ما دام الفعل سيعوّض فداحة ويلات وخسائر أصابت البعض وإلى درجة خراب البيوت.

وقد يجيز البعض لأنفسهم الاقتراض أن السيد حسن ترك أمر حالة التخييم عالقاً إلى وقت يتطلب الموقف تصعيداً للأزمة وبحيث أن المخيمين يتحولون إلى رأس رمح قوة اقتحام من جانب لبنان سلطة المعارضة للبنان السلطة الحاكمة، أي بما معناه أن تنتهي حال بيروت إلى ما إنتهى إليه حال غزة. وهو أمر لا نظن أن السيد حسن يميل إلى الأخذ به، ليس فقط لأن صيغة «حماس» بالنسبة إلى غزة كانت فاشلة، وإنما لأن الطريق إلى القدس التي لا تمر من خلال إحتلال غير مشروع لبقعة من أرض الوطن، لا يمكن أن تمر من خلال التلاعب بخصوصية

للوضع اللبناني من حيث التعددية والتخصص السياسي والمذهبي. وهنا نرى أن عدم تدخّل الجهات الأمنية، من جيش وقوى أمن، وممارعتها بعد الأسبوع الأول للإنتشار المعارض المريب لإنهاء ظاهرة التخييم إنما ينطلق من مراعاة هذه الخصوصية وليس لإعطاء الإحتلال بالتخييم شرعية من السلطة الشرعية، والاكتفاء بإجراء وقائي مهين بتسوير السراي الحكومي الذي بدا هو الآخر حالة مجسمة من حالات المربعات الأمنية التي انتشرت في العاصمة.

وبالعودة إلى ما بدأناه حول تخييب السيد حسن نصر الله لتوقعات الشرائح العريضة من اللبنانيين التي ليست من «الآداريين» بفرعهم، فرع آدار السلطة وفرع آدار المعارضة، نضيف أمراً آخر يتصل بالمستحيلات الثلاثة التي طرحها في إطلالته عبر الشاشة المجسمة كحل للأزمة اللبنانية في ما يتعلق بالاستحقاق الرئاسي، وهي: إما رئيس بالتوافق بمواصفات السيد حسن للتوافق ولشخص الرئيس، أي أن يكون كما أميل لحدود، وإما إنتخاب رئيس من الشعب مباشرة وبعد تعديل مادة في الدستور لمرة واحدة، وإما الإتيان بخمس مؤسسات استطلاع لمعرفة الشخصية التي تحظى بأعلى نسبة تأييد ومن ثم الذهاب إلى البرلمان لإنتخابها.

وعندما يكون العد العكسي بدأ منذ أسابيع للإستحقاق الرئاسي ويكون هنالك برلمان ونواب ودستور، فإن الإقتراح المثلث الكثير الإستحالة الذي عرضه السيد حسن هو مؤشر على أن لا رغبة لدى الرجل في حسم الأمر قبل حسم مصير التعامل الدولي مع النظامين السوري والإيراني أو مع أحدهما بغرض عزل الثاني وزعزعة أعماقه ومنها «حزب الله». وفي حال الحسم وعلى نحو ما تخطط الإدارة البوشية بالتنسيق مع حلفائها الأوروبيين بغرض ضرب النظامين في الحد الأقصى وخلخلتهما في الحد الأدنى ستتبدل المواقف في لبنان بشكل جذري وعندها سنجد لبنان «14 آذار» الذي هو السلطة الحاكمة التي أعطاه الرئيس بوش الإبن تأييداً لا حدود له يلخصه وصفه للحريري الإبن (النائب سعد الدين) عندما استقبله إستقبال الرؤساء يوم الخميس 14 أكتوبر (تشرين الأول) 2007 في البيت الأبيض بأنه «القائد العظيم» تدافع عن سوريا وعن إيران بإقتراض انه تم إسقاط النظامين الحاليين، وسنجد السيد حسن متصدراً بعض «لبنان 8 آذار» الحملة ضد الوضع الجديد في كل من سوريا وإيران. ونقول بعض لبنان

المعارض حالياً على أساس أن قواعد اللعبة والتحالفات الإضرطارية ستتبدل وبحيث لا يعود قطب مسيحي معارض مثل الجنرال ميشال عون على ما هو عليه موقفه وتحالفه مع «حزب الله».

ومثل هذا الافتراض ليس مستبعداً في عالم السياسة القائم على المستحيل والممكن، وهذا ما نفترض أن السيد حسن نصرالله يحاول أن يكون فيه لاعباً سياسياً... بعدما كان رمزاً وقائداً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 9 أكتوبر (ت) 2007

* * *

بوتين: حكاية رئيس مسكون بالتحرش

ليس تجنياً القول إن فلاديمير بوتين مسكون بالتحرش وله أسبابه في هذا الشأن. فهو من جهة يعيش عقدة رئيس الدولة العظمى التي تسلم مقاليد رئاستها وهي لم تعد كذلك. وهو من جهة أخرى يعيش عقدة انه جيء به رئيساً لروسيا من دون أي عناء، فالذي حدث أن الرئيس بوريس يلتسين اختاره من بين كل الناس الذين تنطبق عليهم صفات التروؤس ونقله بلمح البصر من داخل أقبية آل كي.جي.بي التي كان فيها من العناصر اللماحة. ومن جهة ثالثة فهو مسكون في استمرار منذ ان تولى الرئاسة بهاجس انه غير مُهاب الجانب في نظر دول الغربين الأميركي والأوروبي وانهم لا يعتبرونه نداً، فضلاً عن أن مساعدة هذه الدول لروسيا لا تصل إلى درجة إنقاذ الإقتصاد الذي يتواصل انهياره وتتواصل تبعاً لذلك هجرة رساميل روسية بمليارات الدولارات إلى الدول الأوروبية.

وهو أيضاً جاء من عالم المخابرات، الأمر الذي يعني ان بضعة ألوف من المارشالات والجنرالات والضباط أصحاب الخبرة والشأن سيكونون تحت إمرة ضابط مخابرات أصبح فجأة رئيساً للبلاد ومن دون أن تُستشار مؤسساتهم في الأمر، ذلك أن يلتسين وضعهم أمام الأمر الواقع وبدا الرئيس الجديد بوتين كمن نزل بالمظلة.

تلك هي بعض نقاط التحدي في نفس بوتين خلال السنوات الثلاث الأولى من التروؤس إلى أن قرر بينه وبين نفسه ان يعيد إلى الكرملين مجد الزمن الغابر

ويفرض على دول أوروبا المحاذية وبالتالي على أميركا البعيدة المهابة التي تجعل رؤساء هذه الدول يحسبون الحساب لروسيا. وكانت البداية بضع اجراءات لتخفيف نسبة التضخم ونسبة البطالة ومحاصرة ظاهرة هجرة الادمغة وبالذات أولئك الخبراء أصحاب الباع في مجال التصنيع العسكري الإستراتيجي والإستعانة بجيوب له في المؤسسة التي امضى سنوات فيها ونعني بذلك آل كي.جي.بي وفتح قنوات اتصال مع دول متلهفة إلى أن تكون ذات شأن عسكري ووجد الضالة المنشودة في إيران التي تتطلع إلى أن تكون دولة نووية وصاروخية ودولة تحتاج إلى أسلحة خفيفة تزود بها تنظيمات واحزاباً تدور في فلكها داخل بعض الدول العربية والإسلامية، كما تردد في هذا الشأن كلام حول صفقة طائرات مدنية روسية لإيران بمئات الملايين من الدولارات وصفقة أسلحة مليارية أيضاً مع اندونيسيا ومثلها مع سوريا. ومع إقراره بخطورة هذا الإنفتاح على إيران التي ساعدت بالمليارات إقتصاد روسيا المترنح مقابل تلبية طموحها في أن تكون دولة نووية، إلا أنه مضى قدماً وتزامنت مخاطرته هذه مع رغبة دفينة في أن يتراًس ولاية جديدة يشجعه على ذلك انه في سن فتية (54 سنة) وان حلاوة العيش في رحاب الكرملين لا تعادلها حلاوة. وحيث انه رأى بأمر العين ما فعله إدمان الخمرة والشرهة بسلفه الرئيس يلتسين فإنه انصرف عن هذه المشهيات متمعداً الظهور أمام بني قومه رياضياً ومشوقاً غير بدین يمارس الرياضة والصيد في الغابات وفي مياه البحر الاسود انيقاً في ملبسه يتصرف بكل وقار في إجتماعات كبار العالم. وكان الرئيس حسني مبارك أول الذين لاحظوا فيه شهيته الدفينة إلى تجديد الولاية الرئاسية فأغتنم مناسبة زيارة سيقوم بها إلى روسيا وقال في مقابلة أجرتها معه صحيفة روسية ما معناه إنه يدعو الشعب الروسي إلى الإبقاء على بوتين رئيساً لأن هنالك الكثير في برنامجه لم يفعله بعد.

تبدلت الأمور بعد ذلك وذهب الرجل بعيداً في العلاقة مع النظام الإيراني والنظام السوري وبدأت المعلومات في شأن الإنجاز النووي الإيراني والتسلح الصاروخي والجوي السوري تتعاظم. وهنا كان لا بد من لفت نظر على درجة من الخشونة للرئيس بوتين تمثل في إعلان وزير الخارجية البريطانية يوم الإثنين 16 يوليو (تموز) 2007 في كلمة أمام مجلس العموم ان

الحكومة التي لم يمضِ على ترؤس غوردون براون لها أيام ستطرد أربعة دبلوماسيين من السفارة الروسية رداً على رفض موسكو تسليم المشتبه فيه اندريه لوغوفوي المطلوب لإتهامه بتسميم ضابط الاستخبارات السابق الكسندر لينغينينكو عام 2006 في لندن، كما انها ستراجع مدى تعاونها مع روسيا في عدد من الموضوعات كمثل تغيير الطريقة التي يحصل فيها المسؤولون الروس على تأشيرات دخول إلى بريطانيا. وردت الخارجية الروسية معتبرة هذا الموقف «غير أخلاقي» وانها ستترد بالمثل وان التصرف نوع من استغلال القضية لتبرير بريطانيا طلب روسيا مراراً تسليمها الملياردير الروسي بوريس بيريوفسكي والزعيم الشيشاني أحمد زاكاييف اللذين تطالب روسيا بإعتقالهما. ثم رفعت موسكو الصوت أكثر في اليوم التالي وهددت بأنها ستطرد ثمانين دبلوماسياً بريطانياً. ولكي لا يبدو الرئيس بوتين انه يهدد ولا يفعل شيئاً فإنه ارسل يوم الأربعاء 19 يوليو مقاتلتين روسيتين كادتتا تقتربان من المجال الجوي البريطاني لولا ان مقاتلتين بريطانيتين إعترضتهما. ولكي لا يضحخ بوتين الأمور أكثر فإنه أوصى بأن ترد الخارجية الروسية بالمثل وتكتفي بطرد أربعة دبلوماسيين بريطانيين واتهام بريطانيا بأنها «ملاذ للمجرمين الروس». وكان إتخذ قبل ذلك (السبت 14 يوليو) قراراً بتجميد مشاركة روسيا في معاهدة القوى التقليدية في أوروبا وهي التي أبرمت يوم 19 نوفمبر (تشرين الثاني) 1990 في باريس بين حلف الأطلسي (16 دولة) وست دول من حلف وارسو ودخلت حيز التطبيق عام 1992 والهدف منها الحد من قدرات كافة الأطراف على شن هجوم مفاجئ أو المبادرة بعمليات هجومية واسعة النطاق. ووسط هذا التأزم الحاد ابدى وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف فجأة يوم الجمعة 20 يوليو إستعداد بلاده لتطبيع العلاقات مع بريطانيا مستنداً إلى قول مفاجئ أيضاً للرئيس بوتين وهو «إن الخلاف مع بريطانيا أزمة صغيرة». لكن كيف هي صغيرة وقد حاولت مقاتلات روسية للمرة الثانية الاقتراب من الأجواء البريطانية؟

وكان لافتاً ان الكلام حول احتمال بقاء بوتين في السلطة مما يعني تجديد الرئاسة ولاية ثالثة، تزامن مع صولات التحرش بالأجواء البريطانية مع الإشارة إلى أن حادثة القاذفة الروسية التي إنتهكت الأجواء البريطانية

يوم الأربعاء 22-8-2007 لبضع دقائق أفرزت تساؤلات ومخاوف من ان تعود الحرب الباردة بعد 44 سنة من طي صفحة هذه الحرب. كذلك كان لافتاً تحرش بوتين بالإتحاد الأوروبي وترشيحه الحاكم السابق للمصرف المركزي التشيكي جوزف توسوفيكس لمنصب المدير العام لصندوق النقد الدولي في وجه مرشح الإتحاد الأوروبي وزير مالية فرنسا السابق دومينيك شتراوس. وغرابة هذا الترشيح ان الحكومة التشيكية لم تتبنَ ترشيح مواطنها فيما يطرحه بوتين برسم الترشيح للإغاطة. وقبل هذا الترشيح كان بوتين يعلن في افتتاح معرض «ماكس للطيران 2007» قرب موسكو «ان المهمة التي نسعى لتحقيقها هي تأكيد ريادتنا في مجال انتاج التكنولوجيا العسكرية...»، وكان قبل ذلك أيضاً سجل إبتهاجاً بعد ابلاغه نجاح المؤسسة العسكرية الروسية في اختبار اقوى قنبلة فراغية في العالم توازي في فاعليتها القنبلة النووية ويتم التوافق على تسمية هذه القنبلة التي عكس النووي لا تلوث البيئة «ابو القنابل» وذلك كرد له مضمون التحرش بأميركا وقنبلتها المسماة «أم القنابل» والتي هي على حد قول الخبراء العسكريين الروس أقل قوة بأربع مرات من القنبلة الروسية الجديدة. ثم وسّع بوتين دائرة التحرش عندما حط الرحال يوم الإثنين 10-9-2007 في أبو ظبي محاولاً ما امكنه اختراق الجدار الأميركي- البريطاني- الفرنسي الصلب ووضع القم الروسية في مياه الخليج الدافئة معتمداً في هذا التوجه على إنفتاح تجاري وسياحي وخدماتي روسي على دولة الإمارات التي يزورها الوف السياح الروس سنوياً فضلاً عن أن عدد أفراد الجالية الروسية في الدولة يزيد على عشرة آلاف.

يبدو أن الأرض باتت ممهدة أو أن ثمار شجرة التروؤس نضجت وحن قطافها، ولا بد اضافة إلى هذا التحرش والظهور الشبابي لبوتين مكشوف الصدر والساعدين تدليلاً على الصحة والحيوية وقوة الشكيمة ان يبدأ العد العكسي لولاية رئاسية ثالثة بعد إنتهاء الولاية الثانية في مارس (اذار) 2008 وبعدها يكون بوش الابن الذي هو العقدة الثانية بعد العقدة الأولى طوني بلير قد انصرف، ولا يبقى في الساحة برسم المنازلة سوى النجم الرئاسي الفرنسي الجديد نيكولا ساركوزي الذي سبق ان وصف السياسة الروسية بأنها فظة، مضيقاً القول: «عندما تكون قوة كبيرة ينبغي نسيان الفظاظ». وكخطوة أولى وضع بوتين توقيعه

على مرسوم لإجراء الانتخابات العامة في الثاني من ديسمبر (كانون الأول) المقبل وعزز الحضور الشخصي وسط مجتمع الجنرالات متسبباً بإستقالة وزير الدفاع وتحضير رئيس جديد للحكومة آملاً على ما يجوز الافتراض أن تكون إلى جانب آل «دوما» الجديد المنتخب ومعهما الكنيسة المؤسسات التي تتوجه رئيساً لولاية ثالثة، إنما هذه المرة كقيصر.. إلا إذا حدثت المباغثة البوشية- الأوروبية لإيران وسوريا معاً أو لإحدهما وبذلك إما يعود بوتين ادراجة إلى الورا يهتم بروسيا فقط واضعاً نهاية للتحرش، وإما يخوض غمار الحرب الباردة وبذلك يكون بالتحرشات التي أشرنا إليها إستدراج أميركا وأوروبا إلى الحرب الفاترة التي هي أقل من ساخنة وأكثر من باردة، ويكون انتقم لهزيمة الجيش في أفغانستان التي عايش خيبتها ورأى كضابط مخابرات كيف أن تلك الهزيمة على ايدي أميركا وبنا لادنها المدلل كانت رصاصة الرحمة على الكيان العظيم... الذي تبعثرت جمهورياته كالشظايا.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 15 أكتوبر (ت 1) 2007

* * *

من لبنان إلى السودان.. إقتباسات ملعونة

على نحو ما يحدث في لبنان يقتبس أهل الحكم بصيغة المشاركة في السودان أساليب ضاق اللبنانيون ذرعاً بها لأنها تتسبب لوطنهم بعة لا يبدو الشفاء منها ممكناً، لكن مع ذلك فإن السودانيين يمارسونها بشغف أو بنتيجة أن العم سام الذي ينفخ في صدور أهل السلطة في لبنان فلا يجعلهم يتفهمون ظروف الشركاء المعارضين، لا يتوقف عن النفخ في صدور الجنوبيين في السودان ولذا نراهم لا يحمدون الله على نعمة التنازلات التي قدّمها بنو قومهم في الشمال ويمارسون اللعبة السياسية بما يسبب الإحراج للشريك الذي كان وجاء ومارس واحتكر وانفرد على أساس انه إنقاذي فإذا به يحتاج إلى من ينقذ الخطوة النوعية التي أقدم عليها عندما دعا الشقيق الجنوبي إلى كلمة سواء قادت إلى إتفاق تاريخي على التحاوص بين طرفين من السودان المتعدد الأطراف، مع أن مثل هكذا إتفاقات تحتاج إلى وفاق وطني شامل في شأنها، انطلاقاً من أن الوطن ليس لمن يحكم بقدر ما انه ليس لمن يشهر السلاح في

وجه هذا الذي يحكم، وإنما الوطن لبنينه لا يمكن أن ينوب عنهم شخص بعينه أو سلطة ذات بأس. ولذا فإن الإتفاق الذي تم إنجازه بفضل براعة رموز إنقاذية أبرزهم علي عثمان محمد طه، جاء بفعل ولادة قبل الأوان وجاء المولود نتيجة ذلك يحتاج إلى حاضنة ترأف به وتضاعف الرعاية له لكي يصمد. وبذل الإجماع على الترحيب بسلامة استيلاء الإتفاق فإن ضجيج الإعتراض جاء يتساوى مع مباحج الإنجاز، ومن دون أن يستوقف المبتهجون أو فلنقل المبتهجان، أي «الإنقاذ السلطنة» والجنوب المتمرد، أن الأولى رأت في ما فعلته أنه سينجيها من متاعب الاستنزاف المليونى يوماً بسبب الحرب والإخفاقات على الصعيد الإقتصادي والتحالفات الاضطرابية، خصوصاً أن الإتفاق التاريخي يحدث في وقت تفجرت فيه الأرض نفطاً، مما يعني أن «الإنقاذ» سيساعد سمعته كون السودانيين سيرون فيه مرحلة خير ما دام النفط جاء على يديه وما دامت شركات غير أميركية أسرع وكانت سخية في عروضها وبقدر سخاء «سلطة الإنقاذ» في تسهيلاتهما.

لكن يا سبحان الله. فكما أن ثروة النفط العربي تنفجر في مناطق قابلة للتوتر أو لما هو أكثر من ذلك بكثير على نحو ما يعاني منه العراق المبتلى بالإحتلال، حيث الثروة النفطية برسم الإختطاف من الكردي الذي يريد الجزء الأكبر منها له، والتركي الذي يتطلع إلى وضع اليد على أكبر حقولها، والشيعي الذي يرى أن لا استقرار له من دون الاستئثار بهذه الثروة، بينما السني في حال تشبه حال الذي بكى كالنساء مُلكاً أندلسياً لم يحافظ عليه كالرجال، فإنها بالنسبة إلى السودان نعمة كبرى قد تنتهي نعمة أكبر، ذلك أن ثروة الذهب الأسود هي في بحيرات موجودة في جوف ارض، كانت قبل «إتفاق أبوجا» تخضع لـ «سلطة الإنقاذ». لكنها بعد الإتفاق غدت للشمالى بقدر ما هي للجنوبي. ولأنها ثروة، والخلاف في شأن الثروة سريع الحدوث ولأبسط الأسباب الموجبة، فإن الشريك الجنوبي كان وهو يضع توقيعه على الإتفاقات يُضمّر تحدياً يمارسه في وقت لاحق. ومن ثغرة هذا التحدي المضمور الذي ورثه سلفا كير عن جون قرنق المغدور بحادثة هليكوپتر من أجل دفن الرقم السري لثروة زعيم التمرد طوال سنوات مع رفات الرجل وبذلك يضع الطرف الذي غدر، اليد على المال ومن دون أن يكون من حق أحد مساءلته، دخل العم سام الذي هو حالياً الحفيد جورج بوش الابن.

طوال أشهر إختبار التعايش في ظل الجنرالين الشمالي عمر البشير والجنوبي سلفا كير كان الإنسجام ضعيفاً. ورغم تنازل علي عثمان محمد طه عن منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية وارتضائه القبول بمنصب نائب رئيس الجمهورية، تاركاً للجنرال الجنوبي منصب النائب الأول، إلا أن الشعور العام كان أن الأمور ليست على ما يرام، وأن نائب الرئيس والسفير في واشنطن وبعض أقطاب المجموعة الجنوبية يغردون في الفضاء الأميركي وإلى درجة أنهم يتخذون المواقف المتعارضة مع الخط العام للسياسة السودانية. وهكذا بدأ الأمر يشير الإستغراب ويأخذ من مهابة الموقف السوداني، خصوصاً أن اللوبي الأميركي داخل «الإنقاذ» لم يكن فاعلاً كما يجب، وهذا دفع الرئيس البشير إلى أن يرفع منسوب التحدي، الأمر الذي ردت عليه الإدارة الأميركية ومن خلال الشريك الجنوبي بالمزيد من التحدي.

ويوم الخميس 11 أكتوبر (تشرين الأول) فاجأ الشريك الجنوبي المسنود الظهر من الإدارة البوشية ومعظم الحكومات الأوروبية بخطوة، كتلك التي اتخذها في لبنان الشريك الشيعي في الحكومة التي يترأسها فؤاد السنيورة الذي يحظى برضى أميركي لم يحظ به رئيس حكومة لبنانية من قبل. ومثلما أن السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» المسنود الظهر من الحكم في إيران وبالإتفاق مع نبيه بري رئيس حركة «أمل» المسنود الظهر من الحكم السوري قررا بالتنسيق أو بالتجاوب مع رغبة إيرانية - سورية مشتركة سحب وزراء الحزب والحركة من الحكومة في صيغة الاستقالة، فإن سلفا كير وإستساحاً من جانبه لطريقة نصر الله - بري في الإرباك وتعطيل العمل الحكومي من خلال إسقاط الحكومة شرعية التمثيل الشيعي، فعل الشيء نفسه لإفقاد الشريك «الإنقاذي» صفة الجناح الآخر الذي من دونه يدخل الحكم في سراديب الإرتباك التي لا قدرة على تجاوزها، فضلاً عن أن الشريك الجنوبي بخطوته هذه لا يخسر شيئاً على أساس أنه مسنود الظهر من أميركا والدول الأوروبية بينما الظهر «الإنقاذي» متقل بكل أنواع الهجوم والتناقضات الداخلية، إذ يكفيه الهاجس الترابي من جهة والتعقيد المهدي من جهة أخرى وبينهما التردد الميرغني، فضلاً عن العتب الكبير عليه لأنه نقل مبارك الفاضل من موقع الشريك الذي غامر بالعلاقة مع العائلة الأنصارية لتستفيد العائلات «الإنقاذية» من هذه المغامرة إلى غياهب كوبر.. أي من القصر إلى ما يشبه القبر من فئة خمس نجوم.

ومع أن الجنوبيين السودانيين لم يخيموا حول قصر الرئاسة في الخرطوم متسببين بإقلاق سيد القصر الرئيس عمر البشير وإلحاق خسائر بالوسط التجاري لأن الوسط التجاري في العاصمة المثثة هو غيره في عاصمة أم الشرائع بيروت، إلا أن تعليق مشاركتهم في الحكومة أفقد هذه الأخيرة شرعية المحاصصة وطبيعة المشاركة بين شقيقين كانا لدودين يخوضان حرباً طاحنة قبل إتفاق تقاسم السودان، وها هما الآن مثل الحال في لبنان شقيقان لدودان بصيغة التناظر وبما من شأنه تهديد تسوية حسدهم الكثيرون عليها عندما أنجزوها ثم ها هي عرضة للإنتهيار، خصوصاً في حال لم يحتكم الإثنان إلى النظرة الواقعية للأمور من أجل حلحلة عشرات نقاط الخلاف بينهما والتي هي عدا موضوع تقاسم الثروة النفطية شبيهة ببعض نقاط الأزمة بين أهل العراق وأهل فلسطين وأهل لبنان. وكأنما تسوية الأمور ممكنة بأسلوب الإستتساخات الملعونة من نوع استتساخ الحالة اللبنانية وإن الخلاف هو الطريق إلى الحل... مع أن الخلاف يقوّض ما هو قائم ويقطع الطريق على بناء ما يكون الوطن في حاجة إليه.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 23 أكتوبر (ت) 2007

زيارة الملك عبدالله

وواجب تصحيح الخطيئة

يتمنى المرء لو يستحضر أهل القرار البريطاني أجواء زيارة عبدالله بن عبد العزيز إلى بريطانيا في زمن رئاسة مارغريت تاتشر ويتأملوا في ما قاله لهم من باب الحرص على إختصار المسافة إلى إستيلاء الحل الذي لا بد منه للقضية الفلسطينية. وفي التأمل ما من شأنه أن يفيد.

يومها تمت زيارة عبدالله بن عبد العزيز، وكان ولياً للعهد، في ظروف أقل خطورة مما هي عليه اليوم. لكنه كان يسدي النصيحة وهو يطالب جيل الأحفاد من أهل الحكم في بريطانيا بتصحيح خطيئة إرتكبتها رمز جيل الأجداد اللورد بلفور وتعامل الأبناء ثم الأحفاد مع تلك الخطيئة على أنها إرث يجب الحفاظ عليه وليست

خطيئة. والخطايا تحتاج دائماً إلى من يصححها إذا كان هنالك جِرس على تنظيف السمعة.

يومها أيضاً أراد القول لرئيسة الوزراء مارغريت تاتشر ما معناه إن الزعامة الحقيقية تُبنى بالخطوة التاريخية وإن الذي ينقص بريطانيا في نظر العرب والمسلمين هو قرار عاقل يزيل من الذاكرة رواسب القرار الظالم الذي ورط فيه المملكة وزير خارجية وضع بلده بسبب هذا القرار في دوامة الغضب عليها.

ويومها أيضاً أراد القول لرئيسة الوزراء مارغريت تاتشر ما معناه إن الحداقة السياسية والدبلوماسية ليست في زيارات ذات طابع إنساني قوميين شخصياً بها وسواك من المشاركين في حكومتك وحكومات غيرك إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن أو الضفة الغربية، وإنما في معالجة أسباب العلة. وإذا كانت أسباب المعالجة الجذرية على درجة من التعقيد في انتظار الظروف الأفضل، فلتكن المعالجة من خلال تنفيذ قرار مجلس الأمن 242 الذي هو قرار بريطانيا أو فلنقل إنه قرار بريطاني الصياغة خصوصاً أن عدم تنفيذ هذا القرار معناه إبقاء الحريق مشتعلاً ومعناه إتساع رقعة الكراهية في النفوس.

كان عبد الله بن عبد العزيز وهو يطالب خلال زيارته لبريطانيا بأن يصار إلى تصحيح خطيئة وعد بلفور، يرى أنه إذا كانت السنوات التي أعقبت نكبة 1948 فاجعة فإن السنوات الآتية ستحمل في طياتها فواجع. وكان بطبيعة الحال يستحضر ما في الذاكرة من كلام لوالده الطيّب الذكر الملك عبد العزيز قاله للرئيس الأميركي روزفلت ولرئيس الوزراء البريطاني تشرشل، وأفاض في الحديث حوله في مقابلات أجرتها مطبوعات أميركية وبريطانية ذات شأن. ولو أن ظاهرة الإعلام الفضائي كانت قائمة في ذلك الزمن كما هي اليوم لكن كلام الملك عبد العزيز شكّل صدمة إيجابية في عقول الرأي العام الدولي إزاء الموضوع الفلسطيني الذي قرأ، رحمة الله عليه، باكراً ما ستؤول إليه تداعيات عدم حسم هذا الموضوع بما يرضي الله العليّ القدير.

مع الأسف الشديد لم يكن الإصغاء البريطاني لعبد الله بن عبد العزيز من جانب الحقبة التاتشرية كما هو المأمول. فقد اعتبرت تاتشر كلامه رؤية لا قدرة لها على وضعها موضع التنفيذ، ذلك أن العرب متعدّدو المواقف في هذا الشأن. ولو كان هنالك توحّد في

الموقف لكان ربما أمكن الإستناد إليه. ومثل هذه الذريعة غير مقنعة بما يكفي، ذلك أن الإقدام من جانب الحكومة البريطانية على السعي الجاد إلى وضع قرار مجلس الأمن 242 موضع التنفيذ من شأنه الإيحاء أن هنالك رغبة دولية في استيلاد حل للموضوع الأكثر تعقيداً. وهكذا سارت الأمور بعد ذلك في مسالك الفواجع وفي أكثر من مكان بدءاً بالضفة الغربية وقطاع غزة حيث مارس أرييل شارون كل غرائزه التوحشية مخذولاً من الانتفاضة التي افشلت وعوده للاسرائيليين بتحقيق الأمن لهم، وصولاً إلى لبنان حيث حاول أولمرت إرغابه قرر المستطاع قبل أن تخذله مقاومة "حزب الله" وإحتضان كل اللبنانيين للنازحين من بلدات أخرى وقرى الجنوب اللبناني شر خذلان، مروراً بالعراق الذي بلغ العنف فيه درجة الجنون. وكل هذه الفواجع تعمل الثورة الإيرانية على توظيفها لما يخدم ديمومتها وتطلعاتها نحو الهيمنة على المنطقة، ويستفيد منها ممتهنو الأعمال الإرهابية تحت مظلة تفسيرات غير منطقية لما في كتاب الله وأحاديث الرسول وأقوال الصحابة الأبرار.

الآن وبعد الذي سعى إليه عبد الله بن العزيز نيابة عن الأمة ثم بتفويضها له من خلال إعتبار رؤيته "مبادرة عربية"، فإن الطريق الدولي صار له خارطة. وبعد هذه المبادرة لا مجال أمام أي طرف دولي وبالذات بريطانيا أن تتذرع بأن الذي يجعلها لا تعيد النظر بالترح في معالجة الموضوع الفلسطيني هو تعدّد المواقف العربية. ذلك أن الموقف موحد ولا ينقصه سوى إلتفاف الأطراف الدولية الأساسية الخمسة حوله، وهي أميركا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين. وبالنسبة إلى الأخيرتين فإن دعمهما للتسوية شبه مضمون. لكن تبقى الحاجة إلى من يبادر في الدول الثلاث الأخرى إلى القول بالصوت العالي إن "المبادرة العربية" هي الفرصة الأخيرة من خلالها تستقيم الأمور بحيث تصحح بريطانيا الخطيئة البلغورية. وبذلك يطيب خاطر العربي والإسلامي لها، وتستعيد فرنسا على يدي ساركوزي وهُج عدالة الوقفة الديغولية من الصراع العربي - الإسرائيلي وبالذات عندما تتناول اليد الإسرائيلية على الحق العربي. وأما الرئيس بوش فينظّف صفحات من الفوضى والدم لطخت جدران البيت العربي نتيجة حسابات كانت خاطئة جملة وتفصيلاً، وذلك بتحويل مؤتمر السلام إلى مؤتمر "المبادرة العربية" بمعنى وضعها موضع الشروع في التنفيذ. وبذلك يوفر على المنطقة حرباً جديدة مكتفياً

بترويض النمر الإيراني من خلال العقوبات التي أعلنت عنها وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس قبل أيام عسى ولعل يصطلح الحال في إيران عن طريق الإصلاحيين الذين عندما يرون أن الخطر بات على مشارف البيت الإيراني لن يكتفوا بالقول إن ذلك أضر بنا وإنما تبقى التي تستدير أهم من إيران التي قد تتصدع.

وعندما تكون زيارة الملك عبدالله بن عبد العزيز تتم في ظل خطوة حضارية علمية بالغة الأهمية متمثلة بـ "جامعة الملك عبد الله" التي هي جامعة العالم كله وليست فقط جامعة من جملة جامعات، ويتم بينما الآخرون في الجانب الإيراني يحصرون الإهتمام بما من شأنه أن يدمر بدل أن يرفع البنين، فإن من واجب أهل العلم والفكر إلى جانب أهل القرار في بريطانيا أن يتعاملوا بعد الآن مع قيادة يتشابه نسيجها مع نسيج الزعيم الأفريقي نلسون مانديلا الذين اقاموا له تمثالاً أمام البرلمان البريطاني. وبهذه البادرة اكدوا أن التصحيح ضروري وأن أهل القرار عندما يصححون فإنهم يخدمون بلادهم ويزيلون الشوائب عن تاريخهم.. وهذا ما أراده عبد الله بن عبد العزيز كولي للعهد من بريطانيا التاتشيرية عندما زارها مطلع العام 1984 وما يريده من زيارته الجديدة بعد 23 سنة. عسى ولعل الجيل الحالي من الاحفاد يبادر خصوصاً أن الخطيئة البلقورية في حق الشعب الفلسطيني أشد قساوة على الضمير والوجدان من الخطأ في حق نضال مانديلا.

كتبت لصحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ الثلاثاء 23 أكتوبر (ت1) 2007

* * *

سباق المفاجأتين

كيف ستهدأ الأمور إذا كان الرئيس محمود أحمدي نجاد وفي الوقت الذي يتكتف السعي عربياً وإسلامياً ودولياً من أجل تجنب مواجهة بين أميركا وإيران ويجدد الملك عبد الله بن عبد العزيز وهو في برلين إقتراحه في شأن إنشاء مجمع تخصيب «اليورانيوم» في بلد محايد، يعلن يوم الأربعاء 7 - 11 - 2007 ان إيران تملك ثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم من دون التوضيح ما إذا كانت جميع أجهزة الطرد المركزي هذه تعمل فعلياً ومن دون التأكيد بأن استخدام هذا الكم

من أجهزة الطرد لفترة طويلة وبسرعة تفوق سرعة الصوت يمكن، على نحو ما يقول خبراء، ان يُنتج يورانيوم مخصباً يكفي لصنع قنبلة ذرية خلال سنة في حال أرادت إيران ذلك؟

وكيف ستهدأ الأمور إذا كان الرئيس نجاد يزداد اصراراً على موقفه الرفض أي صيغة من شأنها اخراج الأزمة من حقل اللغام. ولا تزال ماثلة في الذاكرة أقوالاً له تتسم بالتحدي تعليقاً على قرارات العقوبات الدولية ومنها على سبيل المثال لا الحصر «إن القرارات هي قصاصات من ورق»؟

وكيف ستهدأ الأمور إذا كان هو يعلن عن الثلاثة آلاف جهاز طرد مركزي يجدد القول: «إن الأمة الإيرانية لا تأبه بالعقوبات، وهذا الشعب لن يتزحزح قيد أنملة عن حقوقه ولاسيما حقوقه النووية...»؟

ونستغرب كيف أن الرئيس نجاد لم يتجاوب مع الإقتراح الذي عرضه وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل يوم الخميس 1 تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري في ختام زيارة الأمير عبدالله بن عبد العزيز لبريطانيا. يومها اقترح الأمير سعود الفيصل باسم دول مجلس التعاون الخليجي على إيران تشكيل «كونسورتيوم» لكل مستخدمي اليورانيوم المخصب في الشرق الأوسط بهدف منع سباق تسلح نووي في المنطقة يكون مقره بلد محايد، سويسرا على سبيل المثال. ولقد شعرنا بعدما صدر رد الفعل الإيراني الأولي على لسان نائب كبير المفاوضين جواد وعيدي بشيء من الإرتياح علماً بأن رد الفعل كان نصف قبول ونصف رفض، وذلك لأن المسؤول الإيراني رحّب بالمقترحات وهذا هو النصف الإيجابي، لكنه اورد النصف السلبي على النحو الآتي: «وإذا كان الشرط هو وقف التخصيب في إيران فهذا ليس مقبولاً».

أما لماذا الإستغراب فلأن الإقتراح هو المخزج الذي يحفظ ماء الوجه شأنه في ذلك شأن إقتراح رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان الذي كان كفيلاً لو أخذ به الرئيس صدام حسين ووافق على اللجوء - الإستضافة ذات العشر نجوم في أبو ظبي أن ينجي وينقذ العراق مما آلت إليه أحوال بلاد الرافدين، ولأن أي صيغة تهدئة من شأنها إبعاد مخاطر الدمار وإحتمال إنفتاح أبواب جهنم على المنطقة التي يكفيها ما قاسته من ويلات الحروب. وإيران أدري من غيرها بهذه الولايات التي

عصفت بها على مدى سنوات.

وقد يقال إن القبول الإيراني بالإقتراح هو نوع من الخذلان للهيبة الإيرانية وانتكاسة واضحة للمشروع النووي الإيراني لا يمكن إلا أن يدفع ثمنها الرئيس نجاد في الدرجة الأولى. وهنا من حق المواطن الإيراني ان يتساءل: أيهما الأهم هيبة الشخص أم خلخلة الوطن؟

على رغم الأقوال هنالك في الكواليس محاولات لاحتواء مخاطر الأزمة في حال إنفجارها. وهناك أيضاً تحذيرات جدية من أهل النظام الثوري نفسه في إيران. ومن بين المحاولات ما قيل عن زيارة سيقوم بها الرئيس نجاد إلى البحرين تبدو في ظاهرها من أجل رفع منسوب التطمين للبحرين بعد الغضب الذي انتشر في المنامة ضد إيران بسبب مقالة حسين شريعتمداري، أحد مستشاري آية الله خامنئي مرشد الجمهورية، التي قال فيها ان البحرين تاريخياً جزء من إيران ويجب استعادتها. لكن الزيارة ربما تكون من أجل لقاء بين نجاد و«أحدهم» الذي إما يبرم صفقة مع الرئيس المعاند وإما يوجه انذاراً حازماً إليه فحواه إما أن تعيد النظر أو يعاد النظر ببقائك. وعندما تصل الحال بآية الله منتظري، الذي كان هو من سيخلف الخميني لكن الرياح عصفت بسفينته فانتهى في الإقامة الجبرية حاله مثل حال أحمد بن بيل في عهد هوراي بومدين حيث أبناء الثورة الجزائرية بدأوا يتصارعون من أجل الاستحواذ على الحكم، إلى التحذير من العناد والدعوة إلى اعتماد أسلوب التفاوض، مشيراً إلى ما كان يحدث خلال حرب فيتنام حيث أن أميركا كانت تحارب وتفاوض في الوقت نفسه في باريس مسؤولين يمثلون الفيتكونغ ثوار فيتنام الشمالية... إنه عندما تصل الحال بهذا القطب الإسلامي الثوري التاريخي منتظري ومن قبله الشيخ هاشمي رفسنجاني والإحتجاج الطالب، إلى التحذير كما أوردنا كلامه، فهذا معناه أن إنتفاضة على أهبة الحدوث داخل المجموعة الثورية المخضّرة في إيران يساندها «البازار» ضد الرئيس نجاد الذي هو ليس من هذه المجموعة التي أهميتها انها هي من صَنَع الثورة وترفض ان يأتي أفراد من السلالة الثورية الثانية ومنهم الرئيس محمود أحمدي نجاد لكي ينهي بالعناد تراثاً سالت من أجل صموده دماء الوف الإيرانيين في سنوات حكم الشاه ثم في سنوات الحرب مع العراق الصّدّامي.

وعلى هذا الأساس أننا في حالة إنتظار لمفاجأة سارة

تأتي من إيران... وتكون مفاجأة الحسم المأمول في حال سبقت المفاجأة غير السارة تأتي من أميركا الساركوزية وفرنسا البوشية وبقية الذين يستبد بهم القلق من الإيراني الشافيزي النهج محمود أحمدي نجاد.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 14 نوفمبر (ت2) 2007

* * *

خليج الطفرة العلمية والمعرفية

تابعْتُ من الرياض وقائع الحدث العلمي الرائد المتمثل بـ«جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية» التي وضع الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم الأحد 21 أكتوبر (تشرين الأول) 2007 الحجر الأساس لها في بلدة «تول» شمال محافظة جدة على البحر الأحمر. ومن محاسن الصدف أن وضع حجر الأساس حدث قبل يومين من قيام الملك عبد الله بجولته الدولية الثالثة التي عنوانها الأمن والأمان والاستقرار والتنمية في المنطقة التي تقاسي ويلات الحروب والتلاعب الدولي بمصائر شعوبها منذ نكبة فلسطين قبل ستة عقود. وبذلك فإن هذا الحدث كان في بعض جوانبه رسالة إلى أطراف دولية من بينها بريطانيا التي بدأ الملك جولته الثالثة بزيارتها، فحواها أن المنطقة تتطلع إلى أن تكون بعد اليوم منارة للمعرفة والعلوم. كما إن الحدث كان رسالة إلى إيران الدولة الجارة المسكونة بالهاجس النووي خلاصتها أن النووي يمكن أن يدمر البنيان ويحرق الثروات في حين أن استحداث نقلة نوعية على الصعيد العلمي والتقني ينفع الأمنين خير نفع وهذا هو المأمول من «جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية» التي في إستطاعتها الإستمرار دون معوقات ما دامت مطمئنة إلى الوقفية المليارية التي أعلن عنها الملك للإنفاق على الجامعة، وبحيث انه لن يمر ربع قرن على فتح الجامعة أبوابها في العام 2010 أمام الطلاب والطالبات من دول الأمتين العربية والإسلامية ومن دول أخرى، إلا ويكون هنالك جيل من ذوي الكفاءات العلمية والتقنية مثل الذي آل إليه حال اليابان.

وفي دبي شاركْتُ يوم الأحد 28_10_2007 مع بضع عشرات من أهل العلم والفكر والإعلام والحضور

الأكاديمي في جامعات أميركية وأوروبية، كمراقب في حدث يندرج في الهدف نفسه ويتمثل بـ«مؤتمر المعرفة الأول» الذي نظّمته «مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم» والهدف منه تنمية القدرات المعرفية للعالمين العربي والإسلامي من خلال إستراتيجيات وخطط عمل تستهدف بناء القدرات في قطاعات التعليم العام والعالي والبحث العلمي وزيادة الأعمال والاستثمار في البنى الأساسية للمعرفة ورعاية الأفكار الخلاقة والعمل على تنميتها، وكذلك حفز وتشجيع الابتكار والإبداع من أجل توفير العناصر الضرورية للنهوض بالقدرات العربية على كافة الصعد.

جاء هذا المؤتمر يشكّل لحظة إنبهار في النفس، ذلك أن الجدية والالتزام بالوعد والحرص على إنجاز الفكرة تبدو واضحة جداً. فنحن الذين نتابع أو نشارك عن قرب في المؤتمرات العربية السياسية والإقتصادية والأمنية ومن بينها على وجه التحديد مؤتمرات القمة، بدءاً من القمة الأولى في القاهرة عام 1964 وصولاً إلى القمة العربية التي نأمل أن يمهد الرئيس بشار الأسد الطريق أمام إنعقادها في دمشق فلا تنتقل إلى الدوحة أو إلى مقر الجامعة في القاهرة في حال لم تحدث إعادة النظر البشّارية في أمور كثيرة... أننا نحن الذين نتابع ونشارك إعتدنا على قرارات وتوصيات وبيانات ختامية تبعث الطمأنينة في النفوس لكن التنفيذ لا يحدث، وأحياناً يحدث العكس فينتج عن ذلك إحباط وخيبة أمل. لذا فإن سرعة الشيخ محمد في تحويل فكرة أطلقها في إطار رسالة خلال مشاركته في «المنتدى العالمي» في البحر الميت في الأردن خلال شهر مايو (أيار) الماضي، عكست انطباعاً بأن الشيخ محمد هو من نسيج رجال الدولة الذين إذا هم وعدوا إلتزموا بالوعد وأوفوا، فضلاً عن أن هذا الإهتمام من جانبه بتنمية القدرات المعرفية للعالمين العربي والإسلامي يعكس جانباً آخر من شخصيته لم نألفه فيها وهي انه صاحب مشروع معرفي يتلزم مع مشروع النهوض العمراني الذي جعل من دبي حالة إستثنائية في منطقة الخليج.

وهكذا فإن الشيخ محمد بالمؤسسة التي تحمل إسمه، وهدفها العمل المعرفي والعلمي وتطوير التنمية يكون أضفى على السمعة المكتومية صفة يشهد بإيجابيتها أهل العلم والمعرفة والاختصاص.

خلاصة القول إن هذه الإضاءات ذات الطابع

العلمي والتنموي والمعرفي تحدث في الدولة الكبرى المملكة العربية السعودية متمثلة بـ «جامعة الملك عبد الله» وفي الإمارة التي تسارع الخطى في إتجاه مواكبة التطور العلمي والفكري والمعرفي، متمثلة بما ابتكره الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ووضعه خلال أربعة أشهر موضع التنفيذ، تبعث الطمأنينة في نفوس جيل أبنائنا وأحفادنا الذين كثيراً ما استبدت بنا الخشية على مستقبلهم من جرّاء ما يحدث في معظم دول الأمتين وبالذات لبنان والعراق وفلسطين والسودان وباكستان.. وغيرها كثير، وكذلك جرّاء إستشراء التوجهات العنيفة المقرونة بتقسيمات وفتاوى للدين لا تتفق وظروف التطور وطبيعة الرسالة السمحاء.

وهؤلاء الأبناء والأحفاد على موعد نتيجة هذه الطفرة العلمية والمعرفية بعد الطفرة النفطية والطفرة السياحية الوقورة كونها روحية في السعودية على نحو ما يخطط رائد الفضاء العربي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز مع حديقتين جميلتين مزروعتين بالعلم والتقنية والمعرفة، في الخليج الذائع الصيت على صعيد النفط والحروب والغزو. بارك الله بالذين يضيئون وأطال الله في أعمارهم لكي تستمر الرعاية ولكي تفرح قلوبهم بما فعلوا... وكانوا بذلك خير الفاعلين.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 21 نوفمبر (ت) 2007

* * *

سودانان إثنان.. وشقيقان لا يتطابقان

ما هو طبيعي في العلاقات بين الدول أن الرجل الأول في الدولة هو الذي يقوم بزيارة رسمية إلى دولة من الدول. وإن رئيس تلك الدولة يرد الزيارة له. لكن الذي يحدث في السودان هو أن كبرى دول العالم تتعامل مع الرجل الأول كما لو انه غير موجود وتتعامل مع نائبه وكما لو انه هو الذي يخصها ويعنيها.

كذلك أن الطبيعي عندما يكون الشخص هو نائب الرئيس في بلده أن يمثّل سياسة البلد ورئيس البلد ومصالح البلد. لكن الذي يحدث هو نقيض ما نقوله.

زيادة في التوضيح نشير إلى أنه لمجرد إنتهاء شهر عسل إتفاق السلام بين الجنوب المتمرّد والشمال الحاكم

بعد شهور مرارة الإقتتال والإستنزاف، حدث على ما يبدو نوع من الحنين الجنوبي إلى الزمن الذي مضى متلازماً مع صحوة شمالية إزاء الذي فعله أهل الحكم متمثلاً بإبرام إتفاق مع التمرد إنتهى إلى انه إتفاق الند للند مما يعني ان السودان عبارة عن سودانيين وليس سوداناً واحداً.

تم تغيب جون قرنق الزعيم الأقوى سياسياً وعسكرياً في الجنوب يوم 30-7-2005 على نحو تغيب ياسر عرفات الزعيم الأقوى في الصف الفلسطيني مع اختلاف أسلوب التغيب. ومع الزعامة الجنوبية الجديدة في شخص سلفاكير الذي كما قرنق من قبل حظي بموجب الأمر الواقع التفاوضي بمنصب النائب الأول لرئيس الجمهورية وعلى حساب النائب الأول القوي الشأن علي عثمان محمد طه، بدأت ترسم في الأفق ملامح إستعداد لكي يرمي أحد الشريكين على الشريك الآخر يمين طلاق من النوع المخفف كي لا يتساقط البيت الموحد الذي لم يكتمل في الأصل ترميمه على رؤوس الشريكين. ومن مظاهر ما نشير إليه ان الشريك الجنوبي كان يتخذ الموقف المضاد للشريك الشمالي من دون أن يراعي هيبة هذا الشريك كرمز للحكم في السودان. وحول ذلك هنالك أكثر من واقعة تتعلق معظمها بالموقف من دارفور والقوات الدولية وقضايا أخرى.

وكان لافتاً للإنتباه ومثيراً للإستغراب أن سلفاكير يزور واشنطن كزعيم جنوبي وليس كنائب أول لرئيس الجمهورية، لكنه مع المسؤولين الأميركيين يسجل المواقف التي ينظرون إليها على أنها وجهة نظر النائب الأول لرئيس الجمهورية. كذلك كان مثيراً للدهشة أن الزعيم الجنوبي يتبنى موقف الإدارة الأميركية من قضايا وليس موقف الحكومة السودانية كما يصدر في بيان رسمي أو في صيغة تصريح يدلي به أحد المسؤولين في النظام.

من الطبيعي في ضوء هذا التناقض ان تتفجر الأزمة سياسياً ويصدر عن الشريك الجنوبي ما إعتبرناه يمين الطلاق المخفف متمثلاً في إعتكاف وزراء الجنوب ووقوف الزعيم الجنوبي خطيباً في جوبا ضد الزعيم الشمالي في الخرطوم، ثم بعدما يرتفع منسوب الإحتقان توضع نقطتا الخلاف الأكثر تعقيداً على الطاولة وهما النفط والحدود مما يعني ان الجنوبي لا يطبق العيش مع

شقيقه الشمالي وأنه يريد تأمين ترسيم الحدود وتوثيق العائد النفطي لكي يستقل بنفسه، كما حال أكراد العراق أو نواباهم، وعلى قاعدة ان الجنوبي جنوبي والشمالي شمالي ولا يتطابقان.

الآن يتأمل سلفاكير في ضوء زيارة رسمية إلى واشنطن لم يمثل فيها رئيسه عمر البشير، في ما آلت إليه أحوال «الإنقاذ» الباكستاني برويز مشرف ويرى أن ما يحدث في باكستان سيحدث عاجلاً أم آجلاً في السودان وإن من الأفضل والأكسب له هو أن يستعد لمواجهة وضع طارئ قد يكون بداية التناثر لـ «القارة السودانية». وهو من أجل ذلك نراه ترك العنان للسانته وهو يتنقل في محادثاته بين مسؤول أميركي وآخر يتحدث عن هشاشة الوضع في الحكم الذي هو شريك فيه للمرحلة الإنتقالية ويدلي بتصريحات يبدو قائلها كما لو انه زعيم حزب معارض وليس شريكاً في صيغة تم إستيلاها على طريقة إستيلاء الرئيس الأسبق جعفر نميري للقوانين الإسلامية. وكما افترض هذا الأخير ان وضع القوانين موضع التطبيق كفيلة بسحب البساط من تحت أقدام المعارضة الإسلامية التوجه وبذلك يضمن البقاء والاستقرار لكن ذلك لم يحدث وجرى اسقاط النظام على أهون السبل، فإن حكم «الإنقاذ» افترض ان مفتاح الدخول إلى القلب الأميركي هو بإنجاز إتفاق مع الجنوب المتمرد لا يخطر في بال أحد أن من الممكن إنجازه. لكن الإستيلاء المتعجل أحدث حالة فقدان توازن في الفعل بعد القول أو العكس من جانب الطرفين مع نسبة أعلى من جانب الشريك الجنوبي الضامن رضی الإدارة الأميركية عليه ورعايتها له. وربما بسبب هذا الشعور إستوقفنا قول سيلفاكير يوم الخميس 8-11-2007 وهو ما زال في المضافة الأميركية وقبل لقاء له مع وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس ان شريكه الرئيس عمر البشير «يعتقد أنه يقدر على شراء الجنوبيين بالمناصب وبالأموال ونحن نرفض ذلك...». ولا ندري لماذا ترك الزعيم الجنوبي بلسانه قول ذلك إلى حين حضوره إلى واشنطن، تعليقاً على واقعة شهداها القصر الجمهوري في الخرطوم. وخلاصة الواقعة ان الرئيس عمر البشير دعا خلال أكتوبر (تشرين الأول) إلى إجتماع طارئ في القصر الجمهوري لمعالجة موضوع إنسحاب الوزراء الجنوبيين وأرسل طائفة خاصة إلى جوبا لكي تنقله إلى الخرطوم ومن المطار مباشرة إلى

القصر من دون السماح له بالذهاب إلى منزله مضيفاً انه عندما دخل القصر وجد الرئيس البشير ووزراء جنوبيين جدداً إختارهم البشير وطلب من سلفاكير حضور اداء قَسَم الوزراء الجدد لكن الأخير اعتبر أن الخلاف اكبر من مسألة إستبدال وزراء يتم تعيينهم بدل الذين إستقالوا إحتجاجاً وأن إستدعاءه بالشكل الذي حدث هو نوع من الإهانة والإحتقار له ولمنصبه.

لم يكتف سلفاكير بالرواية المشار إليها والتي تشكل في حد ذاتها حيثية لبعض باغضي «حُكم الإنقاذ» داخل الإدارة البوشية من أجل رفع نسبة الحدة في موقفهم من الرئيس البشير، وإنما اعاد فتح الملف الذي افترض السودانيون أنه قد طوي بعد التوصل إلى إتفاق السلام وذلك من خلال إتهام أهل «الإنقاذ» أي «حزب المؤتمر الوطني» الحاكم بأنه «يريد هوية إسلامية عربية للسودان لكننا نريد هويات متعددة دينية وعرقية وإثنية كما أنه ليس فقط تباطأ في تنفيذ إتفاق السلام بل توقّف تماماً عن تنفيذه...».

هذا الكلام وغيره كثير يقال للأميركان في بلدهم وبالمضمون الذي يرضيهم ليس حالة صحية ولا هو الطبع الديمقراطي السوداني يفرض ذلك، وإنما هو مؤشر على أن في المشهد السوداني ملامح مشروع مؤتمر وطني قيد النمو يختلف عن «مؤتمر البشير» و«مؤتمر الترابي» ويكون شمالياً - جنوبياً - دارفورياً ومفتوحاً أمام أطراف سودانية أخرى سيكون من الصعب على «حكم الإنقاذ» مواجهتها بالحسنى وسيكون مخاطراً إذا هو واجهها على طريقة جنرال باكستان برويز مشرف... وعلى هذا الأساس تبدو المرحلة الإنتقالية أمام احتمال الإنتقال من جديد إلى ما كانت عليه الحال على مدى 21 سنة قبل 9 يناير 2005، أو الإنتقال إلى ما يجب أن تصبح عليه بعد ثلاث سنوات بموجب إتفاق السلام. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 29 نوفمبر (ت) 2007

* * *

القمة الخليجية.. والمشاركة النجادية

يجوز تشبيه مشاركة الرئيس الإيراني محمود أحمدي

نجاد في القمة الثامنة والعشرين لـ «مجلس التعاون الخليجي» (يومي 3 و4 ديسمبر - كانون الاول 2007) بشخصية مرموقة جارة باغتت جلسة عائلية كان الافراد خلالها يتداولون في أوضاعهم وكيف سيتم ترتيب هذه الالوضاع بما يحقق الطمأنينة والاستقرار، ولم يجد هؤلاء سبيلاً لإبلاغ هذا الطارق بابهم ان الوقت غير مناسب لغير شُرْب فنجان قهوة او «استكانة» شاي، ليس ضيقاً به وإنما لأنهم يفضلون الهدوء في معالجة شؤونهم بعيداً عن اي صخب.

المشاركة النجادية في القمة كانت نوعاً من الإقحام. ومن الواضح إستناداً الى بعض التصريحات لمسؤولين خليجيين أن الرئيس نجاد دعا نفسه الى المشاركة في هذه القمة. وكان وزير خارجية الامارات الشيخ عبدالله بن زايد صريحاً عندما قال إن ايران هي التي طلبت عن طريق دولة قطر دعوة رئيسها للمشاركة في القمة وهو قول يتقاطع مع قول الأمين العام لمجلس التعاون عبد الرحمن العطية المضطر لظروف خاصة لمسايرة الرغبة القطرية وعملاً بتغليب رغبة بلده قطر على أي تحفظات «إن دعوة نجاد جاءت برغبة خليجية مشتركة». بل ان وزيراً خليجياً طلب عدم ذكر اسمه قال إن بعض دول المجلس علمت بالزيارة من خلال وسائل الإعلام. ومن الجائز تفسير إرتضاء الجميع بالزيارة النجادية، بأنه من البد الذي لا بد منه ما دامت الرغبة أبدت ولأنها من الرغبات التي لا يمكن سوى التجاوب معها، اذ كيف يطلب رئيس أكبر دولة في الخليج، اي ايران، المشاركة ولا يقال له أهلاً وسهلاً وعلى الرحب والسعة؟ وكيف يمكن التكهّن بدوافع المشاركة؟ وهل ان الرئيس الزائر سيكون مجرد ضيف شرف في القمة يزيل بحضوره الكثير من التحفظات في شأن الدور الإيراني بكل منطلقاته ونوازع بعض رموز القرار داخل النظام الثوري؟ وهل هو آت حاملاً مفاجأة سارة في شأن الجزر الإماراتية الثلاث المحتلة لجهة الجلاء عنها، وفي شأن الاقتراح الخليجي في شأن المركز النووي للتخصيب في دولة محايدة مثل سويسرا لجهة القبول به درءاً للمخاطر؟ لقد بدت الإطلالة النجادية موضع ترحيب بعد وصول الرئيس الإيراني الى بهو قاعة المؤتمر. وكان توجُّهه بعد ذلك الى القاعة يمسك بيد الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي يمسك السلطان قابوس باليد الأخرى للملك لافتاً. لكن الامور تبدلت تماماً بعدما باغت

الرئيس نجاد قادة دول المجلس بما هو أكثر من الكلمة التي تناسب الأصول بين الضيف والمضيف، فقد بدأ يقرأ في خطاب من الواضح انه لم يتم وفق ما هو متبع في مثل هذه الحالات توزيع نُسخ مسبقة منه على القادة المشاركين بعد ترجمتها الى العربية كون الرئيس يتحدث بالفارسية. وكان واضحاً التبدل المشار إليه لأن القادة لم يكونوا مرتاحين لضيفهم وهو يتلو عليهم محتوى سألته التي تضم 12 إقتراحاً ليس هنالك إستعداد، على الأقل في ظل المشهد الإيراني النووي والثوري الراهن وعراكه المتواصل مع المجتمع الدولي، للتجاوب معها وبالذات ما يتعلق بالمؤسسات الأمنية المشتركة تحت عنوان «منظمة للتعاون الأمني بين دول المنطقة» وإلغاء التأثيرات بهدف تسهيل تنقل المواطنين، فضلاً عن أمور تتعلق بالتملك العقاري والإستثمارات والقضايا الاقتصادية والمالية لم تُحسم اصلاً بين دول المجلس لكي يكون هنالك قبول بها مع ايران.

ولو أن الرئيس نجاد نحى جانباً هذه الامور وركّز على الأجدى والممكن الأخذ به مثل تبادل المصالح التي لا تفرز حساسيات وتأمين مياه الشرب والاحتياجات من الغاز الإيراني لدول الخليج، لكان ربما لقي إرتياح الجمع الخليجي العربي. كذلك كان حرياً بالرئيس نجاد ما دام ضيفاً برغبته ومن دون دعوة تأتيه من الامين العام للمجلس نيابة عن الدول الأعضاء ان يتفادى صفة «الفارسي» ويكتفي بكلمة «الخليج». أما ان يدعو الى ما دعاه وهو يُستضاف في قمة لـ «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» مستعملاً الصفة الفارسية للخليج، ففي ذلك نوع من الإستهانة بالحاضرين.. مع ملاحظة ان هؤلاء عندما أسسوا مجلسهم فلكي يواجهوا به الهجمة الإيرانية التي إستهدفت وضع اليد عليهم بعد تقريس العراق الصدامي اذا امكن وإسقاطه في تلك اليد. وهذا له معطيات أخرى مع حيثيات من نوع يطول الحديث في شأنه.

ونخلص الى القول إن الرئيس نجاد خطف الضوء في القمة الخليجية الثامنة والعشرين وإلى حد أنها بدت قمته هو.. أو فلنقل النجم الساطع فيها بسبب ظروفاته المباغته أو سألته التي ارادها خطوة تقيه ربما إحتمال حصول ضربة عسكرية للجمهورية الإسلامية في إيران. وكأننا به في زيارته المباغته يريد التموهيه أو ربما التبرير في حال أن الضربة ستحدث وسترد عليها إيران في كل

الإتجاهات وبالذات تلك التي يطلب منها الرئيس نجاد التعاون مع بلاده أمنياً وإقتصادياً وبشراكة إستراتيجية، وهو أمر طالما تمنّاه رئيس عربي لبلد عربي ونعني به صدام حسين ولم يحصل عليه، ويتمناه منذ سنوات رئيس عربي لبلد عربي ونعني به علي عبدالله صالح ولا يحصل عليه. وعندما يكون الأقربون ليسوا أولى بالتجاوب وهم هنا العراقيون واليمنيون حيث الارض ممتدة واللغة واحدة والمصير مشترك ولا مياه الخليج تفصل كما الحال مع الجار الإيراني، فكيف سيكون هنالك ترحيب بالعروض النجادية التي رماها الرئيس الشغوف بالتحدي على طاولة قمة الدوحة وغادر تاركاً هنالك الكثير من التساؤلات حول مغزى دعوة قادة دول مجلس التعاون إلى لقاء يُعقد في طهران بحيث يترأسهم جميعاً وحول سيناريو الدعوة... والكثير الكثير من انشغال البال حول نوعية التصدير الجديدة للثورة الإيرانية.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 6 ديسمبر (ك) 2007

* * *

الحكم.. والحكمة.. والحاكم

كان «سودان الإنقاذ» الذي لم يجد سبيلاً بعد إلى علاج يشفي وخيرة الضمير الناشئة عن تأديب لا مبرر لقسوته على مبارك الفاضل، والصُداق الناشئ عن أزمة دارفور، وإراحة البال من شريك السلام الجنوبي التي لم تهدأ بعد سجاللات الإستعداد للمبارزة بينهما ورغبة الشقيق الجنوبي صاحب «الحركة الشعبية» في العودة إلى ما قبل الإتفاق على العيش السياسي المشترك وفق نتائج فترة إنتقالية، في غنى عما أقدم عليه يوم الأربعاء 28 نوفمبر 2007 وكيل وزارة العدل السودانية عبد الدائم زمراوي عندما حوّل واقعة المعلمة البريطانية في مدرسة خاصة في الخرطوم التي يمكن معالجتها بالحسن، إلى أزمة كان من المحتمل ان تصبح من نوع أزمة بين إيران وبريطانيا في عهد مارغريت تاتشر كان التعامل معها بالتعقل افضل بكثير مما حدث. وتتمثل الواقعة الإيرانية - البريطانية بالفتوى الخمينية التي تبيح دم كاتب مغمور وغير ذي قيمة أدبية هندي الاصل إسمه سلمان رشدي

نشرت له احدى الدور البريطانية كتاباً لا قيمة ادبية له يحمل تسمية مثيرة هي «آيات شيطانية». وبينما الكتاب لا يجد طريقه الى الرواج ولا يدري الناس من الذين يقرأون الكتب بهذا المؤلف، فإن إستباحة دمه ومن جانب قائد الثورة الإيرانية آية الله الخميني، جعلت من سلمان رشدي نجماً تغطي الصحف والإذاعات ومحطات التلفزيون بإفاضة تطورات قضيته وتُجري معه اللقاءات التي إستغلها للمزيد من الترويج والتعاطف معه خصوصاً انه يعاني من تعقيدات نفسية شكلاً وزواجاً.

وبسبب هذا الـ «سلمان رشدي» تأزمت العلاقة اكثر وأكثر بين إيران وبريطانيا، ذلك أن المشار إليه بريطاني والدار الناشرة بريطانية، والشعبية التي اكتسبها في أوساط البريطانيين اوجدت له رأياً عاماً على إستعداد للوقوف إلى جانبه خصوصاً ان مستبجح الدم هو مسلم.

لم تنته الأزمة وما زالت جمرة فوقها رماد، وما زال سلمان رشدي طريد استباحة الدم، وأما كتابه فإنه لم يستقر في الذاكرة الادبية والفكرية عملاً بقاعدة تقوم على ان الاعمال ذات الطابع الأدبي الضحل لا مكان لها في الذاكرة. ما حدث بين إيران الخمينية وبريطانيا التاتشيرية تكرر بشكل آخر بين «سودان الإنقاذ» و«بريطانيا براون». فبعدما وجّه وكيل وزارة العدل السودانية عبد الدايم زمراوي تهمة «إهانة العقائد الدينية وإثارة الكراهية والإزدراء بالعقيدة» إلى المعلمة البريطانية جيليان جيبونز، القادمة من ليفربول وتقوم بالتدريس في الخرطوم، بدأت «الشرارة الزمراوية» تأخذ طريقها بسرعة الى نفوس الرأي العام السوداني الذي يعيش اصلاً حالة توتر لأسباب متصلة بالأزمة مع الجنوبيين من جهة وإنقسام الحكم «إنقاذيين» «إنقاذ» البشير - علي عثمان - آخرون و«إنقاذ» الترابي الذي بلغ به الكره لرفاق الأمس الذين إلتفوا عليه ونفضوا يدي الحكم منه حد قوله خلال زيارة قام بها يوم الإثنين 26-11-2007 لأهالي جزء من منطقة سيتم تهجيرهم منها لإنشاء سد مائي يفيد المنطقة كلها «انتظروا حقوقكم في الآخرة لأن المحكمة الدستورية في البلاد مأمورة ولا توجد حصانات كما أن المجموعة الحاكمة الآن في السودان الذي صار بلد نحس وخيانات، كُرّهت الناس في الإسلام...»، شاملاً بسهامه هذه بعض الحكام العرب وأصحاب المساعي الحميدة من السودانيين أمثال المشير عبد الرحمن سوار الذهب. ولم تكن واقعة المعلمة البريطانية

حدثت بعد ليعرف المرء موقف الشيخ حسن المستبد به الغضب لأن غيابه عن السلطة طال اكثر مما يتحمل ويتقبل جمهوره، ولأن دروبه في إتجاه بعض الدول العربية والإسلامية ليست سالكة كما في الماضي.

ما كان مأمولاً من صاحب القرار الحاسم، اي الرئيس عمر البشير، هو ألا يجعل من «الفعل السيئ» الذي اقترفته المعلمة البريطانية قضية، ذلك ان هذه المرأة كما كل امرأة أجنبية متعاطفة مع كل ما يتعلق بالحيوان الأليف ولذا ترى الواحدة منهن يمكن أن تسمي قطتها أو كلبها باسم زوجها أو ابنها أو شقيقها أو جدها أو باسم والدتها أو جدتها، وكل هذا بداعي التحبب. وهي عندما سألت أحد طلابها عن الاسم الذي يريد إطلاقه على لعبته التي هي في شكل دب أجابها أنه اختار اسم محمد ومن دون أن يستوقف المعلمة أن هذا الاسم هو للنبي صلوات الله عليه أو أن تلميذاً في السابعة من عمره لا يمكن أن ينظر إلى الأمر من الزاوية الدينية.

وعلى رغم أفاضتها في شرح نواياها الطبية وإحترامها للدين الإسلامي فضلاً عن أن تسعين في المئة من تلامذتها في المدرسة الخاصة التي تدرس فيها من المسلمين، إلا أن ذلك لم ينقذها من المساءلة فالمحاسبة فالإعتقال رهن التحقيق، الأمر الذي جعل الواقعة تتحول إلى أزمة لأن السفارة البريطانية دخلت على الخط ولأن بعض أهل الحكم «الإنقاذي» لم يتصرفوا بالكياسة المطلوبة وجاء تعاملهم كما لو أن المعلمة البريطانية جوليانا صيد ثمين سيجعلون منه من خلال تحريك الشارع السوداني أو حتى تحرّكه العفوي، عصا على الظهر البريطاني الرسمي جرّاء موقفه السلبي من السودان عموماً ومن موضوع دارفور خاصة.

بعدما لم تنفع التوضيحات من المعلمة البريطانية، التي أكدت إحترامها للدين الإسلامي ولثقافة الدولة السودانية، ومن تلميذها ابن السنوات السبع الذي عندما سئل قال بعفوية ان معلمته سألته ماذا تسمي لعبة الدب وأجابها انه سيسميها باسمه، وبعدما إعتذرت إدارة المدرسة وأعلنت فصل المعلمة، سبقت هذه الأخيرة المغلوب على أمرها الى الإحتجاز وسارت تظاهرات في الشارع ضدها وبدأ بعض الفقهاء في درس «الإثم» من الزاوية الدينية. ولأن «عقدة بازوفت» من جهة وإشكالات موضوع سلمان رشدي من جهة أخرى أربكت الخارجية البريطانية فإن الإتصالات على المستوى الرسمي بدأت.

كما يجوز الاعتقاد بأن تلميحات بأن مساعدات مالية من بريطانيا للسودان يمكن ان تُقطع في حال لم يتم الإفراج عن المعلمة، جعلت الرئيس عمر البشير يستحضر القول المأثور في شأن الحكمة العربية . الإسلامية وهو «العفو من شيم الكرام». وهو خيراً فعل وخيراً كثيراً سارع لأن القضية يمكن أن تصبح مثل كرة الثلج ويمكن أن تصل الحال بالذين واللواتي تظاهروا ضد «الفعل المسيء للدين الحنيف» في نظرهم ونظر وكيل وزارة العدل عبد الدايم زمراري، إلى إقتحام المكان السري حيث إحتجاز المعلمة البريطانية التي تؤدي واجباً تثقيفياً في السودان وحدث ما لا تُحمد عقباه، مع ملاحظة أن البريطاني رجلاً أو امرأة إذا هو أحب السودان فإنه يذوب وجداً في حبه. والمسز جيليان ابنة ليفربول من هؤلاء المحبين.

من حُسن حظ «سودان الإنقاذ» ان الأمر إنتهى إلى خير وغادرت المعلمة البريطانية الخرطوم صعبة وفد برلماني بريطاني مسلم زائر تمنى على الرئيس البشير إطلاق المعلمة وان الرئيس قبل الإعتذار العلني من الوفد نيابة عن المعلمة. وهكذا. جاء «العفو البشيري» يتقدم على التهمة كما أوردتها وكيل وزارة العدل.. وهذا يعني أن الحكمة هي التي يحتاجها الحاكم في لحظة الشدة، اذ لولا العفو لكانت «قضية جيليان» الآن محور أزمة من الصعب علاجها. ولولا الإفراج في اليوم نفسه عن مبارك الفاضل المهدي رئيس «حزب الأمة . الإصلاح والتجديد» بعد أربعة أشهر أمضاها في «سجن كوبر»، لكان سيبقى عالقاً في الذاكرة السودانية أن «اهل الإنقاذ» حاذقون في شق صفوف الخصوم واصطياد اصحاب النفوس الأمانة بموقع في السلطة وتكريمهم أفضل تكريم ومكافأتهم خير مكافأة على نحو ما حصل مع مبارك الفاضل المهدي الذي كان يمكن أن يبقى في «كوبر» المدة نفسها التي أمضاها في قصر الرئاسة مستشاراً للرئيس اضافة الى حصة وزارية، لولا ان عدم إستتباط إجابة عن هذا الأسلوب في التعامل جعل وزارة العدل التي لم تتمسك بالتهمة التي وجَّهتها الى المعلمة البريطانية وهي «اهانة العقائد الدينية وإثارة الكراهية والازدراء بالعقيدة» وبالتالي تسهيل الأمر امام الرئيس البشير للعفو عنها، هي الوزارة نفسها في شخص وزيرها محمد علي المرضي التي قررت فجأة شطب اتهام الرجل ضمن ثلاثين آخرين من مدنيين وعسكريين

بالتدبير لمحاولة انقلاب على حكم الرئيس البشير . وكما المعلمة البريطانية جيليان غادرت وهي تلهج بالثناء والاعتذار، فإن مبارك الفاضل حرص على ان يقول لحظة الإفراج عنه الكلام الذي قد يغري «حكم الإنقاذ» في ان يستعين به عند الضرورة وبالذات في حال عاودت ازمة استحالة التعاون الانقاذي — الانصاري الاشتعال. ونخلص الى القول إن الاستعجال في اطلاق التهم يلقي في بعض الاحيان ظلالاً على مصداقية الذين يمسكون بمقاليد الحكم ومن دون الأخذ في الإعتبار أن الحكمة هي ما يحتاجها الحاكم عملاً بمبدأ قوة السلطة هي في إمتلاكها وليس إستعمالها... ومن دون التبصر في المضاعفات وفي الانطباعات التي تفرزها الظنون.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 13 ديسمبر (ك) 2007

ساعدوا سوريا على إستضافة القمة الدورية!

بيننا وبين القمة العربية الدورية التي بموجب أبجدية الانعقاد سئُستضاف في دمشق، شهران من الزمن، وذلك على اساس ان موعد الانعقاد هو يومي 28 و 29 مارس (آذار) من كل عام لكن الشهر الذي يسبق الإنعقاد يكون مخصصاً للترتيبات من حيث التحضير الجيد لمكان الإنعقاد وإستكمال تحضير الملفات والشارات والبطاقات، فضلاً عن التدقيق الاكثر جودة في «الفيلاوات» التي سيسكنها الملوك والرؤساء وتدريب طاقم الخدمات والطباخين وكذلك إجراء تجارب على نظام التنقلات وارشاد السائقين والمرافقين الأمنيين وخلاف ذلك مما يطول الحديث حوله. ومع ان لدى الأمانة العامة للجامعة العربية التي تنعقد القمم في اطار مهمتها خبرة باتت عريقة في هذا الشأن، إلا أن هذه الخبرة تتقاطع مع الرؤية الأمنية في نظام مثل النظام السوري للأمر، فضلاً عن انه لم يسبق إنعقاد قمة عربية عادية أو إستثنائية، كاملة عدد الملوك والأمراء والشيوخ والرؤساء، في

دمشق لكي يتم البناء عليها.

وفي العادة أن إستضافة القمة، وخصوصاً اذا كان ذلك يحدث للمرة الاولى، يشكل ما يشبه الإنجاز للنظام، ومن أجل ذلك يبذل الجهد من أجل أن تُستضاف القمة على اكمل وجه وبحيث يقال عند التأمل في دورات القمة وماذا أنجزت هذه او تلك، إن القمة التي إستضافتها العاصمة العربية الفلانية كانت من القمم المتميزة والبالغة الأهمية. ودليلنا على ذلك ما يقال حتى الآن عن القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم صيف 1967 وتوصيفها بـ «خير قمة» عقدها حكام ينتسبون إلى «خير أمة».

وبالنسبة إلى النظام في سوريا، فإن من محاسن الصدف ان مكان انعقاد القمة الدورية بموجب الترتيب الأبجدي هو دمشق، بل لعل هذا الإنعقاد قياساً بالظروف الراهنة التي تعيشها المنطقة وتواجه النظام السوري تحديات دولية بالغة الخطورة، يجعلنا نعتبر هذه القمة إستثنائية في صيغة دورية. ولولا الترتيب الأبجدي لما كان في إستطاعة النظام السوري تأمين الإنعقاد، خصوصاً أنه حاول مراراً إستضافة قمة عربية إستثنائية لكن لم يحالفه التوفيق.

أما لماذا هذه القمة الدورية تأخذ طابع الإنعقاد الإستثنائي فلأن الأزمة التي تعيشها سوريا غدت تحتاج إلى مساعدة من شأنها إخراج الوضع السوري مما هو عليه مع الاشقاء العرب فلا يستمر الحذر منه على ما هو عليه، ويطوي صفحة التحدي مع المجتمع الدولي فلا تتواصل شكوك بعض حكومات هذا المجتمع فيه. والحسم هو في إيجاد صيغة متوازنة للعلاقة مع ايران بعدما غدت علاقة النظام السوري مع النظام في ايران تتجاوز المنسوب، الذي لا يبعث الوسواس في النفوس العربية، خصوصاً ان الرئيس بشّار الأسد لا يوظف هذه العلاقة من أجل التطبيع المثالي للعلاقات بين إيران ومعظم الدول العربية.. أي بما معناه يكون وسيطاً بين النظام الإيراني والدول الخليجية بما من شأنه ازالة الحساسيات وبين هذا النظام وبقية الدول العربية الاخرى. وهو لو بنى العلاقة على هذا الاساس لما وصلت الى درجة التحالف مع ايران. وهذا التحالف يمنع استيلاء دور الوساطة.

وإلى ذلك أن القمة الدورية تأخذ طابع الإنعقاد

الإستثنائي، لأن الانعقاد يتم في خط متواز مع توجهات دولية تفرض احتمال إنزال ضربة قاصمة بإيران والمزيد من العقوبات على النظام السوري. وعندما يتم الانعقاد ويصدر عن القمة كلام يتسم بالتفهم والتعاطف مع سورية الشعب والنظام، فإن فرض العقوبات سيبدو متعارضاً مع هذا التفهم وذلك التعاطف.

من هنا تبدو مساعدة سورية للخروج مما هو حاصل لها ضرورية وقبل ان تبدأ العد العكسي لإنعقاد القمة الدورية. ومساعدة سوريا تبدأ بمساعدة نفسها فلا تتواصل هذه المباغات في شكل تصريحات دَرَج على الإدلاء بها السيد فاروق الشرع نائب رئيس الجمهورية والسيد وليد المعلم وزير الخارجية. وإذا كان هذان القطبان السنيان يعتقدان انهما بهذه التصريحات في شأن الوضع اللبناني يعززان موقف النظام، فإن إعتقادهما ليس في محله، بل انهما في هذه التصريحات يزيدان التعقيد تعقيداً بدليل أن هذه الأزمة التي تكون عسيرة قبل التصريحات تصبح اكثر عسراً بعد الذي يقال. كما أن مساعدة سورية تشمل «اللوبي السوري» في لبنان حيث إن تصريحات بعض افراده تتضمن من الالفاظ حول الازمة ما لا يليق بتبني النظام السوري لها، ونكاد نقول ما من شأنه إخراج هذا النظام، خصوصاً أن هذه الألفاظ تُحَفِّز الطرف الآخر على الرد بألفاظ من النوع نفسه وبذلك يستمر لهيب نار الازمة مشتعلًا.

في ضوء ذلك نرى أن تعديلاً جذرياً في لغة الكلام من كل الأطراف يبدو ضرورياً ويشكل عنصر مساعدة للنظام السوري لكي يستضيف قمة عربية دورية كفيلة بتخفيف الوطأة الدولية عن كاهل رئيس هذا النظام شرط أن يخفف هذا بدوره من الوطأة الإيرانية على الأكتاف العربية عموماً والخليجية واللبنانية خصوصاً.

وحيث انه من غير المنطقي بقاء الامور على ما هي عليه وإنعقاد قمة دورية في ظل هذه التصرفات اللفظية، فإنه من أجل مساعدة سوريا على إنعقاد قمة مثمرة تصبح الهدنة من جانب النظام واعماقه اللبنانية ضرورية، فلا نسمع من الآن وإلى ما بعد انعقاد القمة تصريحات تستهدف الإغاضة وليس الترشيح والإمعان في التدخل وليس المساعدة والفرقة وليس تآلف

القلوب والكيد وليس التحبب. كما لا نشهد من «اللوبي السوري» في لبنان و«اللوبي المتعدد المتناغم الدولي» في المقابل هذه الجولات من السجال، خصوصاً أن لبنان بات على كف العفاريت. ومثل هذه الوضعية ستجعل القمة العربية الدورية في دمشق إستثنائية يامتياز.. إنما من أجل لبنان وليس لمساعدة النظام السوري على الخروج من كبوته الإيرانية.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 27 ديسمبر (ك) 2007

* * *

التشرق الأوسط

ASHARQ AL-AWSAT

جريدة العرب الدولية

المقالات من يناير 2008 إلى ديسمبر 2008



خدمة من السيورة المستعجل وفرصة لبشار التردد



تأملات في الكايدة الروسية. البلاطية



الملك الروسي... والجور الأميركي



نماذج في «الظاهرة السلبيّة»



السعودية.. بين عماد بشكر وعماد بشتري



قليل من الفضضة وكثير من الصبر



وصفة الدكتور معمر للمكابر أمام المستكبر



تأملات في القلق السعودي السنديم على لبنان



تهدى عمليكم بحكم العالم .. ثمة تساؤلات



«الرفیقان» بشار وفلادیمیر، من یستدرج من؟



لبنان: نموذج لثقافة العناد



ما ينفذ سورية «غير المستكبرة»



تأملات في محنة «البيارة» بعد رفيق الحريري



شخصية 2007: حواء باكستان...

وآدم لبنان

إعتادت وسائل الإعلام على إختيار شخص ليكون رجل العام. وجرت العادة أيضاً على إعتبار أن للعام، الشخص المذكور وليس المؤنث، إلى أن جاءت نهايات العام 2007 تجمع ما بين الذكر والمؤنث من شخصية العام وبحيث بدا أن الرمز الأهم للعام الذي ودعناه قبل أيام كان من إنتاج العالم الثالث وتحديداً من الجناح المسلم في هذا العالم. وتقاسمت الصفة بي نظير بوتو التي إغتالتها الجاهلية الجديدة وهي تناضل، كامرأة شجاعة ومستتيرة، من أجل أن يصل الرقي بالبشر في باكستان الى مرتبة التفوق النووي الذي حصلت بموجبه هذه الدولة على السلاح الرابع والمدمر في الوقت نفسه، الذي تحلم جارتها إيران بامتلاكه ولا تجد القبول الدولي بأحققتها بعدما أمكنها العثور عن طريق الجار الروسي على السبيل، وبين رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري الذي إتخذ من المواقف ما جعل شخصه أهم من برلمان كل اللبنانيين وذلك عندما لم يُتَح لأعضاء البرلمان عقد جلسة برئاسته ينتخبون خلالها وبالإقتراع السري كما ينص الدستور، رئيساً جديداً للجمهورية يخلف الجنرال اميل لحود الرئيس الذي إنصرف بعد ولاية عادية من ست سنوات أرادها له الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد في زمن كان لبنان شبه محكوم من نظام الأسد الأب على مدى ربع قرن، ثم ولاية نصفية ممددة قرّضها الأسد الابن الرئيس بشّار الذي ورث المنصب بعد رحيل والده، وكان من تداعيات التمديد أن الوجود السوري إنتهى عقب إغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري الذي أصبح قبل الإغتيال زعيماً بامتياز وإلى درجة المرجعية السياسية العملية للطائفة السنية في لبنان والمرجعية الفخرية النموذجية لبعض مفاصل المجتمع السوري، ثم أصبح بعد الإغتيال بالنسبة الى ابناء الطائفة من «رجال الله الصالحين» بالمنظور الروحي وزعيماً يقود من خلال إبنة النائب سعد الدين اكثرية طائفته وهو راقد تحت التراب في بقعة مجاورة لمسجد محمد الأمين في قلب الوسط التجاري للعاصمة اللبنانية بيروت.

ولقد جاء تقاسم صفة رمز العام 2007 بين حواء

الباكستانية بي نظير ذو الفقار علي بوتو وآدم اللبناني نبيه بري، يشبه تقاسم الجائزة الادبية أو الفنية أو العلمية الكبرى من نوع «نوبل» أو «الأوسكار الهوليوودي» وغيرهما بين شخصين على أساس أن كلا منهما مارس ما يستحق هذا التكريم.. مع ملاحظة أن الإستحقاق هنا كان لأن بي نظير من جهة ونبيه بري من جهة أخرى فعلاً ما لم يسبق أن فعله أحد. فالسيدة الباكستانية ذات الحسب والنسب إقتحمت مجتمعاً لا يتحمل رجاله أن يكونوا محكومين من امرأة حتى إذا كانت ابنة ذو الفقار علي بوتو الذي شنقه ضياء الحق فدفع هذا الجنرال حياته لاحقاً ثمن حماقة إرتكبها بشنقه ذلك الزعيم العلماني المستنير ذو الكاريزما اللافتة. وجاء الإقتحام على درجة من التسرع ونتيجة الحاح الملتهبين حولها المتطلعين إلى الإنتفاع من السلطة في حال إستعادت موقعها الرئاسي علماً بأن المسألة ليست بهذه السهولة بعدما قررت المؤسسة العسكرية أن تمارس الدور المزدوج أي أن تكون مدنية في لباس عسكري وعسكرية في ممارسة مدنية. ثم أنها عادت من المنفى متحدية وبمفردات من النوع الذي طالما إستعمله في ممارسته للعبة السياسية الجنرال ميشال عون في لبنان، بعد إستعادته من منفاه الباريسي، وبذلك لا يرتاح ولا يترك الوطن يغادر الأزمة التي يعيشها منذ بضعة اشهر.

وكان الجنرال عون جديراً بأن يكون هو الرمز الذكوري لمحنة العام 2007، لولا أن «الأحقية» كانت لرئيس البرلمان اللبناني نبيه بري الذي سبق أن إعتبره البرلمانين العرب والمسلمون قدوة، فقد أدخل على اللعبة البرلمانية أمراً يعجز أو يجزؤ رئيس اي برلمان عربي وأي برلمان اسلامي وأي رئيس برلمان في العوالم الثلاثة الاول والثاني والثالث من القطب الى القطب، عن إقترافه وهو عدم تمكين البرلمان الذي يتأسسه من عقد جلسة ينتخب فيها الأعضاء بالإقتراع السري الرئيس الجديد للجمهورية وبذلك لا يحدث هذا الشغور الفريد من نوعه للمنصب الاول في أي بلد. ولو أن المسألة كانت معكوسة بمعنى أن نبيه بري كان مجرد نائب في البرلمان وزعيم شريحة من ابناء طائفته وكان من يتأرس البرلمان ويمارس ما مارسه هو شخص آخر، لكان صوت الرجل هو الأعلى بين الاصوات المعترضة. وعندما نقول ذلك نأخذ في الإعتبار أن نبيه بري من الحاذقين عند ممارسة العمل السياسي وبالذات مع الذين

من نسيجه على صعيد الجرأة امثال بي نظير التي بينها وبينه رسائل متبادلة منذ أن كانت تترأس الحكومة، ووزير خارجية فرنسا برنار كوشنير الذي أحاط في السبعينات بالمجتمع الشيعي اللبناني خير احاطة من خلال الإمام موسى الصدر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن بري لخص تأثره لاغتيال بي نظير بالقول «إن جرأتها كانت زائدة وأنا حزين لاغتيالها، وقد دفعت هذه السيدة وعائلتها ضريبة كبيرة في سبيل باكستان». اما بعدما سجّل كوشنير اعتراضات كثيرة الحدة على زيارة الرئيس الليبي معمر القذافي الى فرنسا واستحضار كوشنير واقعة تعذيب الامام الصدر في ليبيا فإن بري وعلى رغم اجواء التآزم السياسي المتواصلة في لبنان بعث يوم الثلاثاء 11-12-2007 ببرقية الى كوشنير قال فيها «أشد على يدك. وأضم صوتي لصوتك الصارخ ضد زيارة الدكتاتور معمر القذافي الى فرنسا شاكراً موقفك وتذكرك الإمام موسى الصدر ورفيقه المخطوفين من قبله بعد دعوة رسمية وُجّهت اليه منذ نحو ثلاثين سنة. مرة أخرى نسجل موقفاً لن ننساه...». وصادف هذا الإطراء من جانب بري لكوشنير الذي طالما تمثّل على الاول تسهيل مسعاه من أجل إنهاء الأزمة في لبنان من دون أن يلقي التجاوب المأمول، ان الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد الذي يدق بقوة كل أبواب أصدقاء اميركا، دول الخليج ومصر، أملاً رد الأذى الأميركي المحتمل عن ايران، أوفد بعد أسبوعين (الاربعاء 26-12-2007) نائبه برويز داودي إلى ليبيا للتحدث مع العقيد القذافي خلال زيارة إستغرقت يومين وكانت الأولى على هذا المستوى منذ ربع قرن، من دون ان ندري كم استغرق الحديث في موضوع الصدر بين الزائر الإيراني المرموق وصاحب القرار الليبي.

وهنا نتأمل في إطراء بري للكلام الكثير المرارة من جانب كوشنير إزاء زيارة القذافي لفرنسا وتفهمه لعلاقات ايران النجادية مع ليبيا القذافية. وهذا التفهم يضيف المزيد من الأرجحية إلى ما أشرنا اليه في شأن الدور الذي لم يمارسه بري عندما لا ييسر أمر إنعقاد برلمان يترأسه وبذلك بدا شخص الرئيس اهم من المؤسسة، وعلى هذا الأساس صار من الطبيعي إعتبار ما قام به بري من الامور غير المألوفة وأهميتها انها تصدر عن قطب سياسي يحمل بين يديه مفتاح مؤسسة ليس في

الدستور ما يجيز أن يحجبها رئيسها، وهو كان لن يفعل ذلك لو أنه على الحياد في الأزمة وليس جزءاً من الفريق المعارض ضد الفريق الآخر.

ومرة أخرى نرى أن نبيه بري لم يأخذ بقاعدة للضرورة احكامها بمثل أخذه بقاعدة للمسايرة أصولها على نحو برقيته إلى كوشنير الملأى بالتأثر لغضب الأخير على القذافي، وإقراره (اي بري) بخطورة الجرأة الزائدة بالنسبة الى من يتعاطى العمل السياسي القيادي على نحو ما أورده في تصريحه المليء بالأسى حول اغتيال ابنة ذو الفقار علي بوتو التي سارعت الأوساط الإسرائيلية الى تشويه موقفها من خلال الادعاء بأنها إستتجبت بـ «الموساد» للمساعدة على حمايتها وأنها كانت تريد إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل». وهو لو أخذ بقاعدة للضرورة احكامها لما كان لظاهرة تأجيل إنعقاد البرلمان اللبناني وبرئاسته لإنتخاب رئيس جديد للجمهورية ان تتركس وبحيث يعتاد الناس وبمرارة على التأجيل جلسة تلو جلسة. كما انه كان سيستحوذ بذلك على أن يتقاسم صفة «رجل العام» مع فلاديمير بوتين الذي إختارته مجلة «تايم» شخصية للعام 2007 لحيثيات ابرزها انه حقق إستقراراً في روسيا وهو إستقرار ينشده اللبنانيون ولا يحصلون عليه وكان في استطاعة رئيس برلمانهم نبيه بري ان يحققه لولا ان الرجل يفكر اكثر من بي نظير بمسألة محاذير «الجرأة الزائدة». رحمها الله ونجّاه من مخاطر الجرأة التي يتفادها.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 3 يناير (كانون الثاني) 2008

لبنان: نموذج لثقافة العناد

أضاف نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني ورئيس «حركة أمل» وحامل مفتاح البرلمان كمثّل حامل «أختام الملكة» في لقاء لنا معه، واقعة جديدة حول «ثقافة العناد» هي بأهمية ما يُروى في شأن مجتمع العناد والمعاندين من وقائع وأقوال يرددها عامة الناس وتُخبهم على حد سواء وكل وفق نظرته وأسلوب حديثه، مثل واقعة «عنزة ولو طارت» و«الجدل البيزنطي» و«من أولاً: الدجاجة أم البيضة» و«قصتك حلوة يا حاج

محمد». وحيث إن الأخيرة قريبة المضمون من الواقعة التي سمعناها من الرئيس بري فضلاً عن أن الواقعتين تعكسان حال «المهمة المستحيلة» التي يؤديها مشكوراً الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى، فإنني هنا سأبدأ بالثانية تقديماً للأولى.

وخلاصة الواقعة أن شخصاً من أهل الجبل خصّه المولى سبحانه وتعالى بعقوبة «العناد» إلتنى بعد سنوات بصديق قديم من أهل بيروت فبدأ هذا الأخير يروي رداً على سؤال الصديق المعاند ما جرى له طوال المدة التي إفتراقاً فيها عن بعضهما. ولاحظ أن المعاند لا يناديه باسمه وهو أحمد وإنما يتعمد مناداته باسم محمد. وبعد طول حديث قرر أن يبتكر قصة تأديته فريضة الحج ويكرر فيها اسمه لعل وعسى هذا الصديق يناديه باسمه الحقيقي. وبدأ يروي قائلاً: تعرف أنني ابن وحيد على خمس بنات وأن جدي أحمد إبتهج غاية الإبتهاج عند ولادتي صبيّاً لأن الوالد بطبيعة الحال سيسميني باسم جدي (أحمد). وفي إستمرار كان لسان حال العائلة: إهتموا بأحمد، وكيف حال أحمد، وهل أحمد على ما يرام، ومتى نال أحمد الشهادة الأولى، وهل سيتابع حمد الدراسة الثانوية، ومتى يتخرج أحمد، وأي عمل سيتولاه أحمد، وهل هو مع جده التاجر الكبير أحمد الذي يحمل إسمه أم مع الوالد أبو أحمد المزارع. ويكمل الصديق الطيب القلب الرواية أمام صديقه المعاند على النحو الآتي: تزوجت وكانت العائلة تسألني صباح كل يوم: كيف الحال يا أحمد. وهل أن هنالك مولوداً على الطريق يا أحمد. وكيف حال الزوجة يا أحمد. وكيف ستسمي المولود أو المولودة يا أحمد. وهكذا مما يثلج الصدر من استفسارات. وبعداً اطمأن الجد الحبيب إلى أن حفيده أحمد بات أباً، وأن الطفل سيكبر ثم يتزوج ثم يُرزق طفلاً ذكراً يسميه على إسم الوالد أي أحمد (الثاني)، فإنني عزمْتُ متوكلاً على الله أن أتوجه برفقة جدي ووالدي لتأدية فريضة الحج وإسداء الشكر إلى رب العالمين. وبعد العودة بدأ أهل الحي وتجار السوق وكل مَنْ هو قريب لنا أو على معرفة ينادونني بـ «الحاج أحمد». ثم إرتأينا تغيير إسم المحلات التجارية الخاصة بي فباتت «مؤسسة الحاج أحمد للأقمشة والاجواخ». وها أنا بينكم الآن وقد أصبحت جدّاً في زيارة أعود بعدها على وجه السرعة لأنني مشتاق لرؤية حفيدي «أحمد» الذي يحمل اسمي كما أنا حمل إسم جدي «أحمد».

وبعدما أنهى الحاج أحمد روايته هذه عن أحواله لصديقه «المعاند» معتقداً أن هذا الصديق إستوعب ولا بد مسألة أن إسمه «أحمد» وليس كما يصّر على مناداته بـ «محمد» فوجئ بأن الصديق «المعاند» يقول: قصتك حلوة يا حاج محمد.

ونأتي إلى الواقعة التي سمعناها من الرئيس بري في لقاء خاص معه، والتي سمعها من والده في صيغة نصيحة من جملة نصائح كان يحرص على تلقينه إياها لكي تساعد في مواجهة ظروف الحياة أياً كان موقعه.. إلّا إذا كان الوالد من الذين «قلّهم دليّهم» بمعنى انه يقرأ لولده مستقبلاً زاهراً في ميدان السياسة والزعامة.. إنما ليس إلى حد حجب برلمان اللبنانيين كل اللبنانيين عن مبناهم التشريعي وتزكهم، اذا جاز القول، في العراق من دون رئيس للبلاد بينما العواصف تكاد تجعل كل شيء يتطاير وربما يتناثر. كما ليس الى حد أن يختار الابن مَنْ ينوب عنه وعن أبناء الطائفة مَنْ ليس مِنْ نسيج أهل الحوار الذي ينفع بدل أن يضر وأهل الكلام الذي يُحَنّ بدل أن يُجَنّن.

وخلاصة الواقعة جاءت في سياق نصيحة من الوالد للابن الذي كان نجمه بدأ يأخذ طريقه إلى اللعان بعد التألق في النشاط الطلابي الإتحادي الهدف.. وإلى درجة التفكير بإنشاء اتحاد طلابي عربي يكون مثل الذي نشط من أجله لاحقاً ونعني بذلك الإتحاد البرلماني العربي. ومن أجل هذه الفكرة وكان زمناك قومياً عربياً بامتياز ولا يرى في المسألة المذهبية ما وجده فيها لاحقاً بالإقتناع أو بالإضطراب ما دام بات وريث زعامة يقودها رجل الدين السيد موسى الصدر، توجّه إلى مصر التي كانت قلب العروبة النابض لكي يُطلق منها الفكرة التي، لدواعٍ وذرائع وموانع، تعثرت.

كانت نصيحة الوالد: حذار يا ولدي من العنيد الغشيم. فالعنيد يمكن مع الوقت ترويضه. أما العنيد الغشيم فلا أمل يُرتجى منه ولا علاج بالسهل لما يمكن أن يتسبب به.

وعلى طريقة عبد الله ابن المقفع في «كلیلة ودمنة» روى الوالد واقعة تُلخّص حال العنيد الغشيم، أخذت حيزاً لها في ذاكرة الابن نبيه بري يستحضرها في وقت يعيش لبنان وكما لم يعيش من قبل محنة «العنيد الغشيم»، وهم ليسوا قلة على الساحة السياسية وبكل أطياف العمل السياسي والحزبي والحركي، داخل الحدود وخارجها

«الرؤية البوشية» لـ «الهلال البشيري»!

قبل أيام من جولة الرئيس بوش الإبن الأفريقية التي لن تشمل مع الأسف السودان، إلا إذا قرر الرئيس المتجول في سنته الأخيرة التوقف بغرض الإغاطة في مطار «جوبا»، تستوقف المرء ملامح الثقة بالنفس المبالغ بها لدى أهل الحكم السوداني الشمالي في موضوع العلاقة مع الإدارة الأميركية والتي لم تقتصر على العقدة الأمنية المتعلقة بمبنى السفارة في الخرطوم التي لا تزال عالقة لا تجد حلاً جذرياً لها، وإنما تشمل الاعتراض على ملاحظات دبلوماسية أميركية حول «السلوك الإنفاذي» وصلت إلى حد أن القائم بالأعمال الأميركي لدى «السودان الشمالي» يدلي بتصريحات تتشابه مفرداتها ومنطقاتها وروحيتها مع التصريحات التي أغرق بها السفير الأميركي جيفري فيلتمان المجتمع السياسي طوال عمله في بيروت، وبالأذات في السنة الأخيرة له حيث بات كما لو أنه قطب حزبي آخر في خارطة الأحزاب والقوى السياسية المتصارعة على الساحة اللبنانية.

لا بد أولاً من توضيح ما سميناه «السودان الشمالي». والقصد من تسميتنا هذه أنه بعد اتفاقية السلام بين «حكم الإنقاذ» و«الحركة الشعبية» التي كانت تقود التمرد في السودان أصبح واضحاً تمام الوضوح أن «السودان الجنوبي» هو جزء من الاستراتيجية الأميركية وأن الإصرار على أن يكون السفير السوداني لدى الولايات المتحدة جنوبياً وإن يكون «مكتب جنوب السودان» في واشنطن محاطاً برعاية واهتمام من جانب الإدارة الأميركية، ليس مجرد مصادفة. كما أنه كان خياراً لا مجال أمام «الإنفاذيين» سوى التسليم به. وإلى ذلك ان الشريك الجنوبي ومن القمة في شخص سيلفاكير نزولاً إلى سلاطين معظم قبائل الجنوب هم عملياً «اللوبي الأميركي». وكثيراً ما سجّل هذا الشريك مواقف سياسية ليس فقط متعارضة مع الموقف السوداني الرسمي وإنما كانت المواقف إلى يمين الموقف الأميركي مما يترك أهل «الإنفاذ» في العراق السياسي.

وعلى هذا الأساس فإن القول بتفاهم الأزمة السودانية - الأميركية وعلى رغم أنها كانت عموماً مثل حالة الضغط الذي يصيب جسم الإنسان يرتفع أحياناً إلى

سياسيين مدنيين بعقلية ضباط وجنرالات بأسلوب سياسيين لابعين غير حاذقين بنسبة قليلة ومتلاعبين «مَهرة» بنسبة كبيرة.

خلاصة الواقعة أن فتى صغيراً تربى في أجواء من الدلال ودرج على أن ينال مطالبه من والديه بكثرة البكاء وإن الأم والأب يلبيان دون تأفف مطالب ابنهما العنيد الدلوع الغشيم. وفي أحد الأيام راح الفتى يبكي ولما سألته الأم عن السبب قال: انه يريد أن يأكل دبساً (حلوى تُصنع من العنب أو ثمرة الخروب). وصادف أن ليس في البيت هذا المطلوب وسألته الوالدة إن كان يستعيز عن «الدبس» بمربي المشمش أو التين. لكنه واصل البكاء من دون أن تستطيع الأم إيجاد الحل ثم اتصلت بزوجها لتطلب منه البحث في أي مكان من القرية بيتاً أو دكاناً وإحضار بعض «الدبس» إلى فتاهما العنيد. وكان للأم ما طلبت حيث امكن العثور على بعض «الدبس» لكن ما أن وُضع أمام فتاهما الغنوج الغشيم العنيد حتى استأنف البكاء وبصوت أعلى الأمر الذي جعلهما يسأله: لقد طلبت «الدبس» وجئناك به فلماذا مواصلة البكاء. وكان جوابه: أريد أيضاً طحينية. وبعد طول بحث امكن العثور على المطلوب، لكن فتاهما استأنف البكاء. وبسؤاله عن السبب قال إنه يريد خلط الدبس بالطحينة. وهذا الأمر كان بسيطاً ولا يوجب أي عناء سوى وضع الطحينية فوق الدبس وخلطهما جيداً وبذلك يأكل فتاهما ويرتاح الوالدان المبتليان بهذا الدلوع العنيد الغشيم من طلباته التعجيزية. لكن الذي حدث هو أن الإبن واصل البكاء بعدما كان الخلط حدث. وبسؤاله عن سر البكاء طلب من والديه فزّر الطحينية عن الدبس! يا لهذا الطلب المستحيل.

تلك هي الواقعة التي من باب الصدف تزامن إستحضارها أمامي من جانب الرئيس نبيه بري في وقت كان الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى يشقى مع رموز الأزمة اللبنانية أكثرين وأقلين من أجل أن لا يكونوا مثل «فتى الدبس والطحينة». لكنهم مع شديد الأسف كانوا أكثر عناداً منه... وكان بعضهم عنيداً وغشيماً في الوقت نفسه.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 28 يناير (ك) 2008

* * *

درجة الخطر الشديد وأحياناً يهبط إلى درجة مماثلة ويتم العلاج غير الجذري لهذه الحالة، إنما هو على أساس بين جزء من السودان هو «حكم الإنقاذ» الذي يقوده عسكرياً الرئيس عمر البشير ويتحاصص قيادته سياسياً ديناصورات «الإنقاذ» الذين من الصعب أن تجد قلوبهم متآلفة على أساس أن كلاً من هؤلاء ينتظر فرصة الترويض، فضلاً عن أن «الإنقاذ» لم يطرح في سوق العمل السياسي والحزبي جيلاً أكثر شباباً وبذلك فإن الوضع بقي مقتصرراً على الجيل الواحد بجناحيه.. الجناح الترايبي المخضرم الذي امكن قصصه وبذلك لا يقوى على التحليق والجناح البشيري الذي قصص أجنحة الشيخ حسن أو «ميشال علق الإنقاذ» ومن دون أن يرتضي «شيخ الإنقاذ» نوعاً من المهادنة كتلك التي يعتمد عليها في بعض الأحيان الركن التاريخي لطائفة «الأنصار» الإمام الصادق المهدي الذي عادت المناكفات داخل بيت العائلة تطفو على السطح من جديد بعد ترضية شكلية لحالة مبارك الفاضل المهدي.. ولا نتجنى في التصنيف إذا نحن اعتبرنا أن الأزمة هي بين الإدارة الأميركية وبعض السودان، بل اننا لا نتجنى إذا نحن لاحظنا في المشهد السوداني ظاهرة كثيرة الوضوح وهي أن العراك البوشي يتواصل مع السودان البشيري وأن الشريك الجنوبي يتفرج وكأنما الأمر لا يعنيه في شيء. ومن المظاهر المستجدة لهذا العراك أن القائم بالأعمال الأميركي لدى، كما المفترض، كل السودان البرتو فرنانديز قفز فوق الخط، الأحمر في نظر الحكومة البشيرية، الأخضر في نظر الإدارة البوشية، وقال قبل أيام لوكالة «رويترز» ما معناه إن العالم فقد الثقة بالحكومة السودانية لأنها لا تتمتع بالمصداقية. أما لماذا هذا التوصيف فلأن الرئيس البشير متمسك بـ «هلاله» موسى هلال قائد «الجنجويد» في دارفور وتعيينه مستشاراً في ديوان الحكم الاتحادي بغرض إسباغ الحصانة عليه وبذلك ينجيه من مطاردات وربما محاكمات ذات طابع دولي.

بطبيعة الحال إن كلام القائم بالأعمال الأميركي فرنانديز يجعل الدم «الإنفاذي» يزداد فوراً، وهذا بدا واضحاً في استدعاء الرجل إلى الخارجية وإمطاره باحتجاج لم يصل إلى درجة اعتباره غير مرغوب فيه. وهذا ليس تمسكاً بـ «ديمقراطية التعامل الدبلوماسية» من جانب أهل «الإنقاذ» وإنما لأن أي احتجاج أو خطوة من

جانب «سودان البشير» ستلقى من «سودان سيلفاكير» التحفظ في الحد الأدنى والاعتراض في الحد الأقصى.. وربما تبلغ حد التبرؤ، وهذا يجعل الدبلوماسية الأميركية في الخرطوم تتصرف على نحو ما درجت عليه هذه الدبلوماسية في بيروت المغمورة بمباركة «الأكثرية» لها وتجعل القائم بالأعمال فرنانديز يرد على الاحتجاج السوداني المنمق بالتلميح إلى أن هنالك «خارطة طريق» حول المطالب والمطالبات الأميركية سينقلها مبعوث من الإدارة البوشية إلى الحكومة السودانية. كما أنها تجعل فرنانديز يستغرب بعض ما ورد في الاحتجاج من انه يتدخل، بالتساؤل: «وكيف لا يحق لأميركا أن تتدخل وهي التي لعبت دوراً لا يستهان به في الوصول إلى اتفاق السلام وتقدّم الدعم في نشر القوات الهجين...».

ومن حق القائم بالأعمال الأميركي أن يستغرب إذ لولا الدور الأميركي لما كان إنجاز الاتفاق ممكناً. ومن ينجز يتدخل وبما هو أكثر من التصريحات أحياناً. وبالنسبة إلى السودان بالذات فإن «الرؤية البوشية» لـ «هلال الإنقاذ» أو «الهلال البشيري» تتدرج في السياق المشار إليه، هذا إذا لم تأخذ الأمور المسار الأكثر خطورة، أي بما معناه تصبح مهمة فرنانديز أو غيره في السودان مثل مهمة فيلتمان في بيروت... وإلى أن ترسو السفينة على بر الأمان فلا تغرق في بحر التدخلات.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 9 فبراير (شباط) 2008

مصر و"حماس": وراء الأزمة ما وراءها

ليست المرة الأولى في تاريخ العلاقة المصرية - الفلسطينية التي يكون التوتر فيها سيد الموقف، لكن لا تلبث مشاعر الأخوة أن تتغلب على الغضب العادي أحياناً والساطع أحياناً أخرى ويُستعاد الود الذي افقده الجانبان حيويته بين الشعبين. واستناداً إلى قول الشاعر "إذا احترت يوماً فسالت دماؤها.. تذكرت القربى..." فإن الأزمة بين مصر والفلسطينيين بقيت دائماً تحت خط الإقتتال الذي يسيل الدماء، لكنها دائماً فوق خط العراك

الموقع في العام 2005 يعني أنها تعاقب الشعب الفلسطيني لأنه هو المتضرر من إغلاق المعبر: أننا لا نعادي حماس ولكننا ننصح قادتها...".

وكي لا يبدو كلام أبو الغيط انه مجرد تنبيهات ذات طابع دبلوماسي، فإن وزير الدفاع المصري المشير حسين طنطاوي عزز التنبيهات بكلام المسؤول العسكري الثاني في مصر (بعد المسؤول الأول الذي هو الرئيس مبارك) حيث قال وفي اليوم نفسه "إن الدفاع عن الوطن وحماية أمنه القومي مهمة مقدسة. ولن نسمح لأحد أن يقترب منه أو يحاول اختراقه، وهي مهمة تتطلب الإعداد والاستعداد وبناء القوة القادرة على مواجهة التحديات...".

وقد يبدو كلام المشير طنطاوي لا يختص بالأزمة مع "حماس" وأنه تعبير عن موقف عام يستهدف أي طرف يعكر صفو الأمن المصري، لكن تزامن الكلام مع تصريحات وزير الخارجية أبو الغيط الموجه إلى "حماس" دون غيرها يجعلنا نفترض أن النظام في مصر يقول ما معناه أن وراء اقتحام المعبر أصلاً ما هو أخطر بكثير من مجرد إنفجار ناشئ عن حصار وصل إلى حد التجويع. وكما هو المتفق عليه فإن من يجوع لا بد أن يركب الخطر ويخرج على المحذور الذي هو المعبر مع مصر مقتحماً أسواره. أما ما هو الأخطر في تصوّر النظام المصري فإنه تحويل الاقتحام إلى أمر واقع ما دامت مصر تحمّله في المرة الأولى فلا بد من أن تقر بضرورة الإبقاء عليه مفتوحاً وبعده "حماس" لأن هذه الأخيرة بأسطة النفوذ شبه الكامل على قطاع غزة وما دام العابرون المقتحمون هم "حماسيون" في معظمهم. وعندما تُسلم الحكومة المصرية بأحقية "حماس" في الإشراف على المعبر فإنها بذلك تكون اعترفت بالحالة الجديدة في غزة وهو ما لا يمكن حصوله لأن تقاسم الموقف المصري بين "السلطة الوطنية" و"دولة حماس الغزّاوية" على نحو ما هو حاصل إلى حد ما من جانب الحكم الشوري غير ممكن، فضلاً عن أن تسليم مصر بأحقية إشراف "حماس" على معبر رفح يعني تنشيط قنوات الإتصال بين "حماس" وحركة "الإخوان المسلمين"، كما يعني من جانب آخر مرابطة إيران على الحدود مع مصر وذلك لما للعلاقة الإيرانية - "الحماسية" من تأثير على نسيج المجتمع المصري المنضوي تحت راية "الإخوان". وإلى ذلك أن الأمر سيتجاوز الشكل الإنساني إلى ما هو أخطر بحيث يصبح معبر رفح هو معبر وصول أسلحة نوعية إلى "حماس" ثم تصبح الأرض

اللفظي الذي يسيل بدل الدم مفردات من نوع قول الرئيس ياسر عرفات عن الرئيس جمال عبد الناصر إن هذا الأخير بقبوله مبادرة روجرز قد تعب من النضال ويات عليه أن يستريح، ثم قوله وقول آخرين من "منظري النضال الفلسطيني" عن الرئيس أنور السادات حول زيارته المباحة لإسرائيل ثم إبرامه التسوية معها رعاية الرئيس الأميركي جيمي كارتر، ما ليس جائزاً قوله على نحو ما حدث. وفي المرتين تناسى الفلسطينيون أفضال مصر عليهم، مع ملاحظة أن "حركة فتح" الستينات والسبعينات كانت غير "فتح" الراهنة التي تقف إلى يمين مصر وليس في مواجهتها على نحو وقوف "فتح" ياسر عرفات لبضع سنوات. وفي المرتين لم يتحمل الفلسطينيون "العقاب المصري" الذي تمثل في الدرجة الأولى بوقف بث "ركن فلسطين" من الإذاعات المصرية فضلاً في الصحف أوجبتها سياسة "كما تهاجمني يا شقيقي أهاجمك".

جديد الأزمة المصرية - الفلسطينية أن "حركة حماس" تجاوزت بكثير من الحدود التي لا يحبذها الحكم المصري. فلم تقتصر المسألة على اقتحام واقع بالغ الحساسية من شأنه إحراج الحكم المصري داخلياً ودولياً وإسرائيلياً، وإنما رأت "حماس" أنها في الحد الأقصى توظف الموقف المصري لمصلحة إخراج مصر عن دور الوسيط إلى دور المتقهم لما فعلته عندما انفصلت عن السلطة الشرعية، معتمدة في ذلك على أن لها داخل المجتمع المصري "الإخوان" الذين يناصبون نظام الرئيس مبارك ما هو أكثر من المشاكسة وأقل من العداء. وتداركاً من النظام لما هو أسوأ جاء التحذير من مصر الدبلوماسية وقول وزير الخارجية أحمد أبو الغيط يوم الخميس الماضي (7-2-2008) في تصريحات للتلفزيون المصري حول احتمال معاودة اقتحام معبر رفح إلى داخل الأراضي المصرية "إن من سيكسر خط الحدود المصرية ستكسر قدمه" مضيفاً القول "إن حماس قررت عقب سيطرتها على قطاع غزة الاشتباك مع إسرائيل، لكن هذا الاشتباك يبدو كاريكاتورياً ومضحكاً، لأن الاشتباك مع خصم في معركة يعني أن تلحق به ضرراً، لكن لا تشترك لكي تتلقى أنت الأضرار. هم اليوم يطلقون الصواريخ، فإما أن تعود مرة أخرى لنقتل أبناء فلسطين أو تُفقد في الرمال داخل إسرائيل فتعطي الفرصة لضرب الفلسطينيين. كما أن رفض حماس إعادة تشغيل معبر رفح وفق إتفاق المعابر

المصرية في سيناء هدفاً لغارات جوية إسرائيلية لضرب محاولات تهريب أسلحة. وعلى نحو ما حدث وربما يتكرر، في لبنان. وعندما تقصف طائرات إسرائيلية أهدافاً على أرض مصرية فهذا يعني أن معاهدة "كامب ديفيد" تعرضت سواء بنصوصها المعلنة والملاحق الأمنية غير المعلنة. وهذا التعرض يعني عودة مصر إلى الصراع وهو ما لا يريده الحكم الحالي أو إنه من غير المرجح به شعبياً.

نعود إلى ما بدأناه لنقول إن لكل رئيس مصري أزمته مع الفلسطينيين، مع الفارق أن أزمة الرئيس عبد الناصر معهم كانت في زمن لم تغادر مصر إستراتيجية الحرب إلى مشروع السلام، وإن أزمة الرئيس أنور السادات كانت في خضم لحظة تاريخية وذروة مرحلة انتقالية إلى السلام والتطبيع. وفي المرتين كانت الأزمة مع "فتح" الأكثر شأنًا وقوة على الساحة الفلسطينية. أما الذي نعيشه الآن فهو أن أزمة الرئيس حسني مبارك هي مع "حماس" بينما "فتح" إلى جانبه.

وهي أزمة مفتوحة لأن "حماس" أرادت ذلك من لحظة اقتحام المعبر. وكانت لحظة من الصعب على النفس المصرية وعلى وجدان الرئيس مبارك عدم التعامل معها بغير التساهل. ولكن الذي بدأت "حماس" تطلبه من مصر جعل الحذر سيد الموقف وجعل أهل الحكم المصري وباللسانين الدبلوماسي والعسكري ينصحون "حماس" بالابتعاد عن المساس بقواعد اللعبة لأن تغيير القواعد وفق المفهوم الإيراني الحاضر في أسلوب عمل "حماس" يعني إشعال البيت العربي ناراً وبذلك يسلم البيت الإيراني من أي أذى.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 24 فبراير (شباط) 2008

* * *

التنحي الثوري الذي لا يكتمل: فيدريل

كاسترو بعد جمال عبد الناصر

ليس جديداً خيار التنحي في الجناح الثوري من دول العالم الثالث لكي نعتبر قرار التنحي الذي أعلنه الزعيم الكوبي المعمر فيدل كاسترو بنفسه يوم الثلاثاء 19 فبراير (شباط) 2008، حالة جديدة غير مسبقة ذلك أنه

قبل التنحي الكاستروي هنالك التنحي الناصري قبل واحد وأربعين عاماً. وكلاهما لم يكتملا الأمر الذي يجيز لنا إعتبار صاحبيهما يريان أن التنحي الكامل يكون في لحظة الرحيل. ودليلنا على ذلك ما حدث لقرار التنحي الذي أعلنه الرئيس فيدل كاسترو وفي صيغة رسالة إلى الشعب الكوبي من على صفحات صحيفة "غرانما" وما حدث لبيان التنحي الذي قرأه الرئيس جمال عبد الناصر بنفسه ميثوثاً لتلفزيونياً وإذاعياً.

ولأن عبد الناصر كان صاحب المبادرة الأولى في موضوع التنحي فإن التذكير بها يبدو ضرورياً ويشكل مدخلاً إلى الحديث عن قرار تنحي كاسترو.

بعدما اتضحت معالم هزيمة حرب 5 يونيو 1967 قرر عبد الناصر يوم الخميس 8 يونيو وكان زمنذاك في الثامنة والأربعين، أي بينه وبين سن كاسترو المتنحي 34 سنة، أن يتنحي لوزير الحربية شمس بدران واتصل بصاديقه وكاتب خطبه وبياناته وفلسفة ثورته وميثاقه محمد حسنين هيكل لكي يكتب له "خطبة التنحي". ولقد روى لي هيكل أنه كتب في الخطبة عبارة "إنني مستعد لتحمل نصيبي في المسؤولية" لكن عبد الناصر عدّل العبارة بخط يده لتصبح "إنني مستعد لأن أتحمل المسؤولية كلها". ويضيف هيكل إن عبد الناصر إقتنع منه بأن التنحي لشمس بدران ليس الخيار الأفضل وعلى هذا الأساس إستقر الأمر على التنحي لذكريا محيي الدين على أساس أنه من أقدم الباقيين من أعضاء مجلس قيادة ثورة 23 يوليو 1952 ومقبول من الغرب ولا جدال في وطنيته وسلوكه وسمعته.

ما أن أنهى عبد الناصر قراءة خطبة التنحي مساء يوم الجمعة 9 يونيو وتضمنينها قوله إنه سيناضل في صفوف الشعب، حتى نزلت الجماهير إلى الشوارع مصدومة من جهة وخائفة من المجهول في الوقت نفسه مطلقة هتافات من بينها "أرفض أرفض يا زكريا". وكنت كصحافي يتابع الشؤون المصرية واحداً من عشرات مراسلين نزلوا بدورهم إلى الشوارع ليتأكدوا مما إذا كانت "انتقضة الرفض" للتنحي هذه عفوية أم أنها تحدث ضمن سيناريو جرى إعداده في الساعات العشر التي أعقبت اقتناع عبد الناصر بضرورة أن يتنحي حفاظاً منه على وحدة الجبهة الداخلية بعد انهيار الجبهة العسكرية ثم تبين أن الجبهة الداخلية ربما تنهار إذا كان التنحي سيحدث بالفعل وهذا ما حمل عبد الناصر على

أن يعود يوم السبت 10 يونيو عن التنحي ويواصل الحكم إلى أن توفي يوم 28 سبتمبر (أيلول) 1970 بعدما كان أنجز أمرين أساسيين: الأول يتعلق بإعادة بناء الجيش وإفساح المجال من خلال القبول بمبادرة روجرز وزير الخارجية الأميركية في عهد الرئيس نيكسون أمام مصالحة مع الغرب ثم إتفاق سلام إسرائيل تحقّقاً على ידי الرئيس الخلف أنور السادات. والثاني إنهاء المواجهة العسكرية في الأردن بين نظام الملك حسين والمقاومة الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات وذلك من خلال قمة إستضافها في القاهرة إستحضر الإثنى إليها ومن دون أن يدري أن صحته في أسوأ حال.. وهذا ما تبين بعدما كانت إنتهت أعمال القمة وودع الملوك والرؤساء الذين شاركوا فيها وآخرهم أمير الكويت الشيخ صباح السالم. وبعد هذا التوديع تساقطت همة عبد الناصر وتم نقله على وجه السرعة إلى منزله وفي الخامسة عصراً توقّف القلب إلى الأبد.

أما بالنسبة إلى كاسترو فإنه لا يتنحي طوعاً، أي بما معناه انه لو كان في استطاعته ممارسة الحكم سنوات أكثر لما كان قرر التنحي ولكان الرجل الذي يحكم كوبا منذ حوالي نصف قرن وبحيث يصح تلقيبه "عميد حكام العالم" بقي يواصل الحكم ويلقي الخطب التي كان بعضها يتجاوز الساعتين وقتاً من دون أن يتعب. ولكن الوضع الصحي قهر هذا الزعيم الإستثنائي الذي قد يبدو شكلاً أنه صمد في وجه الدولة الأعظم الولايات المتحدة إلا أن أحوال بلاده بعد كل هذا الصمود ليست سارة. ولم يخفف من سوء هذه الأحوال على الصعيد الإقتصادي أن النجم الثوري النفطى هيوغو تشافيز رئيس فنزويلا إصطف بكل الحماسة والقدرات النفطية إلى جانب ملهمه كاسترو آملاً أن يبايعه خليفة له في زعامة الجناح الثوري من أميركا الجنوبية على نحو مبايعة عبد الناصر للعقيد معمر القذافي "أميناً للقومية العربية".

وهذا التنحي للزعيم الكوبي التاريخي يطرح بضعة تساؤلات من بينها ما يتعلق بطبيعة الخلافة وهل تكون وفق قاعدة أهل الثقة وبذلك تؤول السلطة إلى الشقيق راوول وليس وفق قاعدة أهل الخبرة بحيث يتولى السلطة أحد نجوم الحقبة الكاستروية. وفي حال ان "الرفيق راوول" الأصغر سناً من فيدل بست سنوات هو من سيؤلى وبذلك يستمر فيدل كاسترو يحكم من على سرير

المرض، فهذا يعني ان "الإقطاع الثوري" سيدخل قاموس أهل الحكم، وهنا نشير إلى أن أسوأ ما في التجربة الكوبية أنها كانت حكراً على الزعيم الأوحد وعلى زعيم أثر ان يبقى على إلحاده وعلى ماركسيته حتى بعد تساقط الإتحاد السوفياتي الذي كاد كاسترو يورطه في حرب نووية مع أميركا. وحتى بعد مصالحة تمت بين بابا الفاتيكان وكاسترو وقيام الأول بزيارة إلى كوبا الكاثوليكية وقوله "إن المسيحية تؤيد الاشتراكية وان السيد المسيح يقول بأن الأغنياء لن يدخلوا ملكوت الله" فإن كاسترو بقي على إلحاده ربما لأنه لم يمارس الطقوس الدينية المسيحية منذ نشأته وبذلك فإن من شب على شيء شاب عليه، وربما إنتقاماً لا مبرر له من الفاتيكان بعدما أفصاه عن المذهب الكاثوليكي يوم 3 يناير (كانون الثاني) 1962 وكان ذلك في عز الأزمة بين الرئيس جون كينيدي والزعيم السوفياتي نيكيتا خروشوف.

ومن بين التساؤلات التي يطرحها أيضاً قرار التنحي هو: هل أن إستمرار فيدل كاسترو يحكم 49 سنة ويبقى على قيد الحياة بعدما غاب عشرات الرؤساء الأميركيين والسوفييات والعرب والأفارقة الذين ارتبط بصداقة وطيدة ببعضهم أبرزها صداقته بالرئيس العراقي صدام حسين حتى ما قبل شنقه في ظل الإحتلال الأميركي وتحالف مع آخرين منهم... هل هذه الإستمرارية هي فعل قدرة إستثنائية على الصمود أو مهابة لشخصه فرضها على الغير.. وإلى درجة أن أميركا لم تفعل به وهو على مقربة بضعة اميال بحرية من شواطئها ما فعلته مع نظام صدام حسين وإحتلال العراق البعيد عنها ألوف الكيلومترات، أم أن هذا التنحي سيكون مناسبة لكي تبدأ كوبا مرحلة جديدة من العلاقة مع الجار الأميركي وعلاقة حُسن نية مع دول القارة الجنوبية ومن دون أن تجاري "الرفيق تشافيز" في أحلامه التي ما تحققت لغيره كي تتحقق له... أو لصديقه الآخر الرئيس محمود أحمدي نجاد، وكلاهما تتحكم في نفسه العقدة الغيفارية مع ملاحظة أن تشي غيفارا غادر كوبا كاسترو حفاظاً منه على نقائه الثوري وبذلك إحتفظ بمبدئية ان الثورة المتجددة تبقى أهم من التمسك بالحكم وإلى درجة عدم تزكته إلا بعدما يصبح المرء طريح سرير المرض يتم انعاشه بالمنشطات فاقداً القدرة الذهنية وهو ما حصل مع فيدل كاسترو طوال السنة التي سبقت قدرته على أن

يكتب بنفسه رسالة التحدي ومن دون طمأنة الآخرين بأنه لن يواصل الحضور والتأثير ولو من خلال الكتابة في الصحيفة الرسمية "غرانا" التي نشر فيها "رسالة التحدي" وتحت عنوان "تأملات الرفيق فيدل" متطوعاً إلى أن تكون مثل "الكتاب الأحمر" الذي وضعه ماوتسي تونغ و"الكتاب الأخضر" للعقيد القذافي... الثاني بعد كاسترو على مستوى العالم في البقاء على قمة السلطة في جماهيريته ومن دون أن يتمسك بصفة "أمين القومية العربية" التي أسبغها عليه عبد الناصر على نحو إسباغ فيدل كاسترو على هيوغو تشافيز صفة "أمين الثورة الماركسية" من بعده.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 21 فبراير (شباط) 2008

* * *

ما ينفع سوريا غير المستكبر

من الجائز القول ونحن نتأمل في المشهد السياسي العربي وإصرار الحكم السوري ألا يقتنع بأن الإهتمام بشؤون الداخل وإعتماد العلاقة الطيبة مع المجتمع الدولي ومع الأشقاء العرب والمسلمين أفضل بكثير من الانغماس في لعبة المحاور، إن حالة الإلغاء التي نشأت عن الوحدة الاندماجية مع مصر ثم حالة الانفصال الذي اقدم عليه الجانب السوري ما زالتا تتحكمان في عقل أهل الحكم. وزاد الحالتين تعقيداً أن لبنان المستصغر من جانبها قرر هو الآخر أن يبتعد عنها ففقدت بذلك الورقة التي كانت من خلالها تحاور أو تتاور وتتصرف مع المجتمع الدولي ومع الأشقاء العرب والمسلمين تصرّف الدولة المستكبرة التي في قبضتها لبنان المستصغر. وفي الحالتين كان الطرف السوري لا يحسن التصرف. في موضوع الوحدة مع مصر كان متسرعاً ويتصرف تصرّف المستضعف الباحث عن حماية. وفي موضوع العلاقة مع لبنان كان مستكبراً ويتصرف مع لبنان تصرّف المستكبر الذي لا يقبل الرأي الذي يتحفظ على سلوكه ولا يصغي إلى النصيحة التي من شأنها تصحيح المسار.

وحيث أن ما يُبنى على تسرع لا بد أن تتداعى أسسه وما يُبنى على التصرف المستكبر يتصدع بعد حين،

فإن الوحدة ذلك الحكم العربي الجميل تداعت وأن العلاقة السورية - اللبنانية تصدعت. وفي الحالتين كان الطرف السوري هو المسؤول ونشأت نتيجة لذلك الحالة التي تترك القرار السوري الذي هو لمصلحة أهل الحكم والناس والكفيل بتحويل سوريا إلى دولة على طريق النمو والتقدم يتطلع أصحاب المشاريع إلى الإستثمار فيها وشركات السياحة إلى وضعها في قائمة الدول التي يطيب للسائح تمضية بضعة أيام في ربوعها. بل أن سوريا لا تستكبر وذات علاقة متوازنة على قاعدة التصحيح مع لبنان غير المستصغر، ومع الأردن الذي يتمسك بمراعاة خصوصيته، ومع العراق الذي أضناه العراك العقائدي مع الحكم السوري ماضياً وأتعبه عدم مساندة هذا الحكم له كي يستقر... إن سورية كهذه ستجني من الإزدهار السياحي والإستثماري المشترك المليارات التي تغنيها عن كل هذه التطلعات. ويستغرب المرء كيف أن قيادة شابة من نوع القيادة السورية الحالية لا تفعل ذلك وتفضل ركوب المخاطر على إعتداد ما من شأنه أن يحقق الطمأنينة والإزدهار. ونقول ذلك على أساس أن الذي نشير إليه بالنسبة إلى قيادة شابة ويجعلها إن هي أخذت به أن تبقى سنوات طويلة في الحكم ما دامت في سن شابة وفي حال بقي صاحبها في منأى عن أي وضع صحي مباغت وخرج.

وإذاً، إنها عقدة الإلغاء ووزر الانفصال ما زالاً يتحكمان مع أن راحة التفكير توجب على الذي يملك القرار أن يكون دائماً على إستعداد للأخذ بالتصويب والتعديل. أليس هو مثل ريان سفينة يمكن أن تواجهها الأنواء وتكون براعة الريان جاهزة في اللحظة التي تتطلب منه إنقاذ سفينته من المخاطر.

ومناسبة هذا الكلام هو البوبيل الذهبي لإلغاء سوريا كدولة مستقلة ذات سيادة وإنصهارها في "الجمهورية العربية المتحدة" مع مصر، الذي صادف قبل أيام (23-2-2008). ففي مثل هذا اليوم قبل خمسين سنة (أي 23-2-1958) أذيب قلب العروبة النابض (سوريا) في وحدة إندماجية طلبها الرئيس السوري شكري القوتلي من جمال عبد الناصر الذي كان زمناً في الأربعين من العمر أي في السن الحالية للرئيس بشار الأسد. وفي ذلك اليوم أيضاً وُضع الحجر الأساس لظاهرة الإجماع على إبداء الرأي من خلال الإستفتاء فما عادت نسبة أي إستفتاء تقل عن 95 في المئة. يا لذلك الأسلوب

غير الموضوعي في إبداء الرأي.

المهم أنه منذ ذلك اليوم نشأت في سورية عقدة الكيان المُلغى واستمرت تتفاعل إلى أن جاء وضع اليد على لبنان بشكل محاولة علاج لهذه العقدة. لكن التطورات الناشئة عن أسلوب التعامل السوري مع لبنان والذي كان في بعض جوانبه أشبه بالسلوك المصري الناصري مع سورية أدى إلى نهاية واحدة حيث أصبحت سورية لا تتطابق مع مصر وبالتالي لا تستعاد تجربة الوحدة على رغم وجود تيار عريض داخل سورية عمل في اتجاه الاستعادة المشار إليها. وفي لبنان أصبح الوطن المستصغر لا يتطابق مع سوريا على رغم وجود تيار عريض داخل لبنان يوالي الحكم السوري ويتطلع إلى عودة الحال إلى ما كانت عليه قبل إجبار الحكم السوري على سحب المئة ألف عسكري الذين كانوا يرباطون في كل لبنان.

وبدل أن يكون هذا الإنسحاب ذريعة مثالية لكي يطوي الحكم السوري الورقة اللبنانية القديمة من كتاب العلاقات ويبدأ تسطير صفحة جديدة وفي الوقت نفسه يتم التركيز على أمور الداخل والبدء بمرحلة التصحيح الثاني، أو تصحيح الرئيس الأسد الابن لما كان بدأه الرئيس الأسد الأب، ويجني الرئيس المصحح من ذلك رضى الناس عليه واطمئنان الجيران إليه والإستحواذ على نسبة كبيرة من الإستثمارات وهذا ما نتصور أن حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ناقشه مع الرئيس بشار في دمشق، فإنه وجد نفسه يستحضر عقدة الماضي المتمثلة بإذابة الكيان السوري في الوحدة مع مصر وكذلك العقدة الناشئة عن انفصال سورية عن مصر، ثم يتكل على الحليف الإيراني والأعماق اللبنانية لهذا الحليف ليقرر أن انتزاع لبنان منه سيجعل العقدتين تؤسسان لعقدة ثالثة، مع انه لو يستحضر ما فعلته الدولة الأكبر مصر وزعيمها عبد الناصر المجروحة مشاعره من الانفصال السوري وكيف رأى ان المحافظة على مصر والشمع المصري تبقى أكثر سلامة من ركوب خطر معاودة رفق الثوب الذي تمزق نسيجه فلم يتدخل وطوى الصفحة على رغم مرارة مفرداتها، لما تردّد في أن يفعل الشيء نفسه لكن الحكم السوري لا يستحضر ليس فقط لأنه ربما لا يريد وإنما لأن حليفه الإيراني لا يبسر له الأمر، وهو حليف لم يتأمن مثيله في حينه لعبد الناصر لكي يجعله يتردد في إتخاذ خطوة

من المصلحة إتخاذها، هذا لمن يريد سلامة البلاد وهدهوء بال العباد... وعقد القمة العربية الدورية في أجواء من تألف القلوب وصفاء النوايا.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 1 مارس (آذار) 2008

* * *

تأملات في "الظاهرة السليمانية"

إستوقف عدد من كبار القوم في دول الخليج القلقة على لبنان كما لم تقلق من قبل ليس بدافع الخشية على الإستثمارات كما قد يظن البعض وإنما بدافع الخشية من أن يتناثر هذا الوطن، أحدث كلام لقائد الجيش الجنرال ميشال سليمان المتوافق عليه من حيث المبدأ أن يكون هو رئيس الجمهورية اللبنانية. ورأى هؤلاء في كلام الجنرال الذي أورده خلال كلمة ألقاها يوم الخميس 28-2-2008 في مناسبة احتفالية تكريماً للمؤسسة العسكرية، ما يبعث الطمأنينة في النهج الذي سيسلكه في حال انتهى التسويف وتم ترئيسه رسمياً وبموجب التصويت في جلسة يعقدها البرلمان اللبناني لهذا الغرض. بل إن هؤلاء اعتبروا الكلمة كلمة رئيس وليست فقط كلمة قائد للجيش، ذلك انه ليس في تاريخ كل قادة الجيوش العربية من يتوغل بكلمة احتفالية يلقاها في الدهاليز السياسية مثل ما فعل الجنرال ميشال سليمان، ربما لأنه مطمئن بأن لا بد من رئيس وإن طال تأجيل انعقاد الجلسة البرلمانية المستعصية. كما إعتبر هؤلاء من كبار القوم الخليجيين بعض المفردات السليمانية وكأنما هي الخطوط العريضة لـ "خطاب القسّم" الذي سيلقيه بعدما يحلف اليمين أمام أعضاء مجلس النواب وعلى نحو ما فعل غيره من قبل.

من المفردات اللافتة قول الجنرال سليمان "إن الإرهاب يعمل بثبات وصمت ضمن خطة طويلة الأمد وأهدافه تقويض بنية الكيان وضرب السلطات الشرعية، كما أن أخطاره مخدقة بلبنان ودول المنطقة وبالتالي فإنه عدو مشترك تتطلب مواجهته تضامراً جهود الدول الصديقة وتعاونها معاً بكثير من الالتزام والجدية والمتابعة" و"إن مناعة الوطن من الداخل تبقى السبيل الوحيد لدفع كل المخاطر والتحديات المحدقة به" و"إن

أكثر ما يحتاجه الجميع في هذه المرحلة هو إدراكهم مسؤولياتهم الوطنية من خلال العمل الدؤوب على تهدئة النفوس والحد من لهجة الخطاب السياسي والإعلامي والابتعاد عن الكيدية ولعبة تسجيل النقاط التي لا طائل منها، كما أن المرحلة تقتضي إسراع القادة المسؤولين بالعودة إلى الحوار من أجل بناء دولة القانون والمؤسسات وإطلاق عجلة النهوض بالوطن على مختلف الأصعدة و"نعاهد أن يبقى الجيش يتمسك بثوابته الوطنية، راسخ الإيمان بوحدة لبنان أرضاً وشعباً ومؤسسات ودوره الريادي في العالم كواحة للديمقراطية والحرية ومصهراً للحضارات والثقافات، يلتزم معايير العمل المؤسساتي ويواجه العدو الإسرائيلي ويتصدى للإرهاب بكل ما أوتي من إمكانيات..."

كلام في منتهى التوازن ويندرج عموماً في سياق الخطاب السليماني الذي كثيراً ما لاحظنا روحه في مناسبات أخرى كان الجنرال سليمان يمزج المفردات التي يقولها العسكري بتلك التي سيبدأ قولها كرئيس للبلاد. فهو على سبيل المثال دعا العسكريين خلال جولة له في الجنوب يوم الثلاثاء 11-12-2007 "إلى مزيد من الجهد والانضباط والصبر لتجاوز مختلف الصعوبات التي يمر بها لبنان في هذه المرحلة الإستثنائية" مضيفاً "إن قيامة لبنان بدأت مع انتشار الجيش في الجنوب الذي حقق السيادة على كامل ترابنا الوطني". وفي مناسبة أخرى يوم الخميس 10-1-2008 ركّز في كلمة له على "أن المسألة والمحاسبة هما ميزان أداء المؤسسات الذي من دونه تفقد القدرة على التماسك والتطور والإنتاج ويستشري الفساد في جنباتها". وفي مناسبة ثالثة يوم الأربعاء 16-1-2008 وبينما الأزمة السياسية التي تتمحور حول تأخير ترئيسه تزداد حدة قال "إنني أشعر كأن بين يديّ قنبلة موقوتة اعمل على تأخير انفجارها وتفكيكها لأنه في حال حصول الانفجار سيصيب الأذى الجيش والمقاومة والوطن، وإن أي شخص يستطيع أن يفكك هذه القنبلة سيلقى دعم الجيش". وفي مناسبة رابعة وكان الوضع دخل مدار الإضرابات العمالية وبقي التأزم في أوساط رموز العمل الحزبي والسياسي على حاله قال الجنرال سليمان كلاماً على درجة من التميز هو "علاقتي جيدة بجميع القوى السياسية وأنا أتواصل معهم. وما دام الإجماع على الجيش قائماً فليست هناك مشكلة ولا يهمني الإجماع عليّ. أولويتي هي الجمهورية والبلد. إذا اتفقوا

على أي كان غيري لرئاسة الجمهورية فأنا مستعد لأن أضرب بسيفه. لم يُقدم أحد على طلب ضمانات أو شروط مسبقة مني، ومسيرتي هي التي رشحتني. أول ما سأقوم به في حال إنتخابي رئيساً للجمهورية هو إنجاز المصالحة وتثبيتها. الخط الأحمر هو منع الفتنة وأي تحرك يؤدي إليها وأي تحركات من نوع آخر وضمن حق التعبير لا مشكلة معها. أما العلاقة بسورية فإنها مستمرة منذ سنوات وهي ممتازة".

هنا نستحضر أمرين لافتين في شأن العلاقة الأسدية - السليمانية المحيرة إذا جاز التعريف. الأولى يوم برأ الجنرال سليمان بعد جولة له في أرض الميدان بين الجيش ومقاتلي "فتح الإسلام" الحكم السوري من أي علاقة له بهذا التنظيم. وجاءت التبرئة تدحض الإتهامات الفورية ومن دون انتظار التحقيق والحصول على القرائن من جانب المجموعات السياسية اللبنانية التي تخوض عراكاً كلامياً ضد الحكم السوري. وكانت تلك التبرئة نوعاً من المخاطرة للجنرال سليمان بإعتبار أن تلك المجموعات أو البعض منها سيوجه اللوم إليه ويقلل من منسوب تأييده ليكون رئيساً للجمهورية. لكن سليمان بهذه التبرئة تصرف في ضوء حساب مزدوج: يُرضي الحكم السوري فيزيكي هذا الحكم عملية الإتيان به رئيساً للجمهورية، ويجذب بعض أطراف المعارضة وامتداداتها السورية والفلسطينية والإسلامية إليه مطمئناً في الوقت نفسه إلى أن ما إصطلح على إعتباره الاكثريّة الممسكة بالسلطة لا يمكنها التراجع عن الإلتفاف حوله لأن التخلي عن ذلك سيعيد من جديد طرح إسم الخصم العنيد للأكثريّة الجنرال ميشال عون قيد التداول في بورصة التروّس.

أما الأمر الثاني اللافت، فهو أنه وبينما العراك السياسي على أشده بين الأطراف اللبنانية من أحزاب وحركات وتيارات واتساع رقعة السجال حول تقاسم مغانم السلطة، فإن الجنرال سليمان أجرى إتصلاً هاتفياً بالرئيس بشار الأسد وهو أمر غير مألوف أي بما معناه إن قائد جيش دولة لا يمكن أن يتصل هاتفياً برئيس دولة أخرى وإنما يتصل بمن هو في الموقع العسكري المشابه له. وبهذا الإتصال بدا الجنرال سليمان كما لو انه الرئيس الفعلي للبلاد، مستنداً أيضاً في ذلك إلى أن قطبيّ الأزمة في لبنان أي الأكثريّة الممسكة بالسلطة والمعارضة الساعية إلى تقويض سلطة الاكثريّة بغير الأسلوب الديمقراطي للحلول محلها، لا خيار أمامهما سوى مبايعته

(أي مبايعة الجنرال سليمان) رئيساً للبلاد. وفي الوقت نفسه فإننا عندما نشير إلى الأمرين اللذين أوردناهما نأخذ في الاعتبار ما في نفس الجنرال سليمان من هوى نحو الحكم السوري. لكن الرجل يجاهد كي لا تكون حاله في هذا الشأن مثل حال الجنرال السلف إميل لحود الذي جاء ترؤسه، أو ترئيسه، في زمن كانت الكلمة السورية هي الأولى والأخيرة الفاعلة في لبنان، وإستمر في ما بعد الخروج العسكري السوري وما تلا الخروج من تداعيات لا يغادر المدار الذي وضع نفسه فيه حليفاً للحكم السوري ولـ "حزب الله" متحملاً على مضض أنواعاً من السهام لا حصر لها، أصابته.. إنما من دون أن تتكسر تماماً وبذلك غادر الرئيس إميل لحود القصر الجمهوري مدمى معنوياً ومختزناً غضباً وحقداً على الذين تسببوا في جعله طوال سنتين رئيساً معزولاً من ثلاثة أرباع المجتمع الدولي، مقررًا بذل كل ما يمكنه بذله مع حلفاء الحكم السوري من اللبنانيين من أجل الإبقاء على القصر الجمهوري خالياً من الشخص الذي يتربع على كرسي الرئاسة. وقد تحقق له ذلك حيث أن الأزمة حتى كتابة هذه السطور ازدادت تعقيداً ويعيش لبنان منذ أكثر من أربعة أشهر فراغاً رئاسياً.

وهذا الفراغ قابل للإستمرار. وفي هذه الأثناء فإن الجنرال ميشال سليمان الذي تؤكد مفردات كلامه أنه ليس زاهداً بالمنصب الأول وينتظر إسناده إليه بأعصاب باردة، يتصرف عسكرياً وسياسياً في الوقت نفسه. وهو دور غير مسبوق في دنيا الجنرالات العاملين في المؤسسات العسكرية في كل دول العالم... ولذا يمكن تسمية هذا الدور بأنه "الظاهرة السليمانية".

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 13 مارس (آذار) 2008

* * *

عبدالله بن عبد العزيز: قمة في

المبدئية.. وأمثولة في العطاء والوفاء

عندما نسمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز يقول في خطابه أمام مجلس الشورى يوم السبت الماضي (15-3-2008) ما لم

نسمعه من حاكم عربي حول نقد الذات ومحاسبة النفس، فإن ذلك يجعلنا نستحضر كلاماً بالروحية والمفردات نفسها سمعناه منه في خطابه يوم الأربعاء 28 مارس (آذار) 2007 الذي افتتح به ترؤسه القمة العربية الدورية في الرياض وهي السابعة في مسلسل القمم الدورية بتاريخ محدد هو 28 مارس من كل سنة بدءاً من الأولى في عمان (2001) ثم بيروت (2002) ثم شرم الشيخ (إستثناء أول مارس 2003) ثم الجزائر (إستثناء 22 مارس) ثم الخرطوم في الموعد المحدد، والحادية والثلاثين في مسلسل القمم العربية بدءاً بالأولى التي إستضافها الملك فاروق في مزرعته في "أنشاص"، عام 1946.

في القمة الدورية السابعة فاجأ الملك عبدالله بن عبد العزيز اخوانه الملوك والرؤساء بكلام يندرج في نقد الذات العربية الأمر الذي جعل كلاً منهم يعتبر الكلام موجهاً له بالذات كما هو موجّه لقائله. ومن جملة ما قاله الملك عبد الله وفي صيغة التساؤل بعدما أشار إلى الأوضاع العامة في الأمة وبالذات ما هو حاصل في العراق وفلسطين والسودان ولبنان والصومال: "ماذا فعلنا طيلة هذه السنين لحل كل ذلك؟ لا أريد أن ألقى اللوم على الجامعة العربية، فالجامعة كيان يعكس أوضاعنا التي يراها بدقة. ان اللوم الحقيقي يقع علينا نحن قادة الأمة العربية. فخلافتنا الدائمة، ورفضنا الأخذ بأسباب الوحدة، كل هذا جعل الأمة تفقد الثقة في مصداقيتنا ونفقد الأمل في يومها وغدها. إن الفرقة ليست قدرنا وإن التخلف ليس مصيرنا المحتوم فقد منحنا الله جلّت قدرته الكرامة وخصنا بعقول تستطيع التفريق بين الحق والباطل وضمانات تميز الخير من الشر، ولا ينقصنا إلا أن نظهر عقولنا من المخاوف والتوجس، فلا يحمل الأخ لأخيه سوى المحبة والمودة ولا يتمنى له إلا الخير...". ثم ينهي خطابه برسم معالم الطريق والحل من أجل الخلاص بالقول: "إن أول خطوة في طريق الخلاص هي أن نستعيد الثقة في أنفسنا وفي بعضنا البعض فإذا عادت الثقة عادت معها المصداقية، وإذا عادت المصداقية هبت رياح الأمل على الأمة، وعندها لن نسمح لقوى من خارج المنطقة ان ترسم مستقبل المنطقة، ولن يرتفع على أرض العرب سوى علم العروبة...".

مثل هذا الكلام لم نسمعه من حاكم عربي من قبل ولم نسمعه من بعد، إلى أن جاءنا القائل نفسه عبدالله بن

عبد العزيز، الرمز المضيء للمبدئية في دنيانا العاصفة العربية والإسلامية، يسجل مرة أخرى على الملأ وتحت عنوان ما يجوز إعتباره كما في المرة الماضية "اللهم إني قد بلغت.. اللهم فاشهد" أو "اللهم إني قد نبّهت وانتقدت النفس.. اللهم فاشهد".

وفي كلامه الجديد نسمع ونقرأ الآتي: "إن المسؤولية أمانه لا مزايدة فيها ولا مكابرة عليها، فيها - بعد الله - نصون حريتنا ونحدد معالمها. ويشهد الله تعالى إني ما ترددت يوماً في توجيه النقد الصادق لنفسي إلى حد القسوة المرهقة، كل ذلك خشية من أمانة احملها هي قدرتي وهي مسؤوليتي أمام الله - جل جلاله ولكن رحمته واسعة فمنها أستمّد العزم على رؤية نفسي واعماقها.. تلك النفس القادرة على توجيه النقد العنيف الهادف قادرة - بإذن الله - أن تجعل من ذلك قوة تُسقط باطلاً وتُعلي حقاً...".

جاء هذا الكلام الذي سمعناه من الملك عبد الله بن عبد العزيز مثل حبات من دموع السماء، ترطب بعض الشيء جفاف النفوس العربية والإسلامية التي شارفت على التيبس من كثرة الإحباط المستشري في هذه النفوس، خصوصاً وأن أهل القرار العربي والإسلامي لم يأخذوا كما يجب بما سمعوه بكل شفافية وصراحة من مضيقهم عندما إستضاف قمتهم في مثل هذا الشهر من العام الماضي. وجاء هذا الكلام بعدما كنا احتفلنا لمجرد إنتهاء مشاركتنا في الدورة الثالثة والعشرين (من الأربعاء 5 مارس/آذار 2008 إلى 10 منه) لـ "مهرجان الثقافة والتراث" المعروف اختصاراً بـ "مهرجان الجنادرية"، مع المحتفلين يوم الأحد 9 مارس في قاعة الأمير سلطان بن عبد العزيز في "مركز الفيصلية" بتقديم "جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام" إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز، وقول وليّ العهد الأمير سلطان: "إنها للدور الريادي لخدام الحرمين في خدمة الإسلام والمسلمين، وهو أهل لذلك عملاً وقولاً".

وكان الملك عوّض في اليوم الأول لـ "الجنادرية 23" الغياب الأول للشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري الذي كان خير متابع للفكرة التي أرادها الملك عبد الله قبل ثلاث وعشرين سنة ملّحاً فكرياً وثقافياً وتراثياً يسهر عليه الحرس الوطني، وعلى نحو ما يقوله وليّ العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز "إن المهرجان الوطني للتراث والثقافة هو من بركات الله سبحانه وتعالى ثم بركات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي وضع اللبنة الأولى لهذا الحدث الثقافي والتراثي الفريد وأحاطه برعايته

حتى أصبح من أكبر وأهم المهرجانات الثقافية على الساحة الإقليمية والوطنية. ولقد أكسبت رعاية سمو سيدي خادم الحرمين الشريفين للمهرجان زخماً كبيراً وقادت فعالياته لتحقيق أهدافها في التعريف بتراث الآباء والأجداد والحفاظ عليه، كما أسهمت في إثراء فعالياته الثقافية والانفتاح على الثقافات الأخرى...".

جاء التعويض للغياب الأول للشيخ عبد العزيز رحمة الله عليه من خلال لفظة تكريمية تتسجم مع واحدة من شمائل كثيرة تتسم بها شخصية الملك عبد الله ونفسه وهي "القمة في المبدئية والأمثلة في العطاء والوفاء". المبدئية في إتخاذ الموقف والتمسك بالثواب والعطاء للدين وللوطن والشعب، والوفاء لمن واكب مسيرته على مدى نصف قرن من الإخلاص والحرص والإبتكار مثل الشيخ أبو عبد المحسن الذي منحه الملك وشاح الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى ومثل رجل الأعمال محمد جميل الذي بات عنقه يعتز بوسام الملك عبد العزيز. وإذا كانت لحظة وجدانية لا مثيل لها غمرت نفوسنا ونحن نرى كبير الأبناء الشيخ عبد المحسن يتسلم من الملك الوشاح، الذي على حد ما نعرفه يُمنح لملوك ورؤساء الدول فقط، ويعبر بكلام فيه الكثير من مفردات والده الشيخ عبد العزيز وبالذات عندما كان يحدثنا عن الملك عبد الله ماضياً وحاضراً، عن الامتتان لهذا التكريم، فإن رؤيتنا للملك يضع في عنق رجل الأعمال محمد بن عبد اللطيف جميل وسام الملك عبد العزيز افضت بنا إلى التأمل في هذا الحرص من الملك على مباغثة المجتمع السعودي بكل مفاصله بلفقات ومبادرات تتسجم كل الانسجام مع صياغته المتأنية لهذا المجتمع وبحيث يعطى كل صاحب دور إيجابي حقه في التكريم في حياته.. أو ما بعد الرحيل كالذي حدث بالنسبة إلى تكريم الشيخ عبد العزيز التويجري الذي كان الملك سيتبادل معه المشاعر الوجدانية لو أن المانح يزّين صدر "شيخ الجنادرية" أبو عبد المحسن بالوشاح وهو واقف أمامه. وعندما نقرأ كلام الأمير متعب بن عبد الله بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني المساعد للشؤون العسكرية ونائب رئيس اللجنة العليا لـ "مهرجان الجنادرية" لمناسبة التكريم فإننا نرى في هذا الكلام الحيثيات لمنح الشيخ أبو عبد المحسن وشاح الملك عبد العزيز أي الوسام الأعلى في الدولة. ومما قاله الأمير متعب "إن المهرجان لهذا العام يتشرف بأن يكرم واحداً من الشخصيات الإستثنائية في هذا الوطن، أعطى بدون حدود وعمل دون

ككل. انه معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري رحمه الله، الكاتب والمفكر والشخصية القيادية الذي قدّم بعبائه وجهده من خلال الأدوار المهمة التي قام بها على مدى أكثر من سبعين عاماً في الدولة وعلى مختلف المجالات وقدّم الخدمات الجليلة لدينه ووطنه ومليكه وأثرى المكتبة العربية بالمعرفة والإبداع من معين التجربة والمعرفة والفكر المستتير...".

وأما رد فعل الأبناء الخمسة البررة الأمناء على تراث والدهم (عبد المحسن وعبدالله ومحمد وحمد وخالد وعبد السلام)، على التكريم فإنه جاء في سياق كلمة كبيرهم الشيخ عبد المحسن المستشار في الديوان الملكي الذي بعدما تسلمّ الوشاح قال مخاطباً الملك "لا أجد من كل تعابير الشكر والحب والتقدير ما يحملني إلى كرم تلك المناسبة الجليلة على نفسي لتأخذ مكاناً مريحاً لها اشعر من خلاله أنني قد أستطيع أن أفي الإنسان الكبير جزءاً من حقه، ف خادم الحرمين الشريفين بروحه الطاهرة الكريمة وبعبائه النبيل اليوم وبالأمس مع والدي، فرض عليّ وعلى أسرّتنا أحاسيس روحية وأخلاقية ستظل تشير دائماً بأننا عاجزون عن التعبير عنها أو الوفاء بواجباتنا. ما اعظم واكرم الوفاء في نفسكم الكريمة، فلقد تجاوزتم به وتجاوز بكم حدوده إلى أنبل الصور والتوقعات والمقاييس. أقول ذلك كما قاله والدي رحمه الله بالأمس وردده واعتز وخفق قلبه به...". ثم يضيف ونيابة عن الأشقاء والعائلة والأصدقاء الذين نحن منهم في مجلس عبد العزيز التويجري في حياته وفي المجلس نفسه الذي يحرص كبير الأبناء عبد المحسن وإخوانه على إستمرار إشرافه: "أنزلموه حياً مكانة شرف بها طوال حياته، حملته إلى عالم واسع تعامل معه بلا غربة أو وحشة فأطلق معانيه وذخائره ومفاهيمه الكريمة بكم. واليوم تمنحونه ما انتم أهل له حين تتفضلون بتكريمه ومنحه وشاح الملك عبد العزيز لتقولوا له: يا عبد العزيز علوّ في الحياة وفي الممات...".

خلاصة القول إن كلام الملك عبد الله بن عبد العزيز في مجلس الشورى يوم 15 مارس 2008 هو إستمرار لكلامه مفتتحاً قمة الرياض يوم 28 مارس 2007 مثابرة منه على ترسيخ معاني المبدئية. كما أن المناسبتين المتلازمتين: الدورة الثالثة والعشرين لـ "مهرجان الجنادرية" والدورة الثلاثين لـ "جائزة الملك فيصل العالمية" كانتا لحظة تأكيد بأن عبدالله بن عبد العزيز هو "قمة في المبدئية... وأمثولة في العطاء والوفاء". وبالمقارنة مع إبتعاد بعض

أولي الأمر من عرب ومسلمين عن المبدئية حتى في محاسبة الذات وعدم تناسي الثوابت الوطنية، ومع انحسار رقعة العطاء في عالمنا العربي وفي الوقت نفسه خلو مجتمعنا من الأمثولات، فإن لحظة التأكيد للعطاء والأمثولة في الوفاء هي نوع من كرم الأخلاق الذي يفرزه وجدان ولي الأمر المصلح مثل الملك عبدالله أطل الله عمره وأعطاه بقدر معاناته تجاه أحوال الأمتين ونحوته تجاه المبتلين بويلات... سببها العناد والمعادون هداهم الله.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 24 مارس (آذار) 2008

جولة الترميم... لمعالجة التصدّع

إذا كان صعباً بعض الشيء تسوية الوضع العربي قبل القمة العربية التي إنتهت مؤتمراً، فمن الواجب بعد الذي حدث وفي ضوئه بذل جهد إستثنائي من جانب الرئيس بشار الأسد للتأكيد على أنه رئيس القمة لمدة سنة وبكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

وكخطوة أولى لا بد من جولة للرئيس بشار تشمل القادة الذين ارتأوا عدم المشاركة شخصياً في القمة، أي بما معناه عقد قمم ثنائية ينتقل فيها الرئيس بشار، ومع كل الحرص على الأصول، من المحطة الأولى الرياض إلى المحطة الثانية القاهرة إلى الثالثة عمان إلى الرابعة صنعاء إلى الخامسة الرباط إلى السادسة مسقط إلى السابعة المنامة إلى الثامنة بغداد. وقبل العودة إلى دمشق يحيط الرئيس بشار بالرجال في بيروت.

ونحن هنا لا نتحدث عن بشار الأسد الرئيس السوري، أو بالأحرى رئيس الجمهورية العربية السورية، وإنما عن بشار الأسد الذي بموجب "دستور مؤسسة القمة" بات رئيس هذه المؤسسة على مدى 12 شهراً تنتهي يوم 28 مارس/ آذار 2009 ومن كان يحمل هذا التروّس تقع على عاتقه مسؤولية قد لا يستسيغ القيام بها لو كان فقط رئيساً لبلده له أن يتخذ من القرارات ما يريد وينتهج من السياسات ما يعتقد أنها تناسب مصلحة النظام، مع ملاحظة أن إستضافته للقمة تحتم عليه سلفاً تهيئة أفضل الأجواء وتذليل ما امكن من العقبات والحرص على إعتداد الأصول في توجيه الدعوات ورفع

درجة التنبه في الكلام بحيث لا يتذكى هذا المسؤول أو يتشاطر ذاك بحيث يتلفظ بما من شأنه أن يجعل الأمور الصعبة تزداد صعوبة أو ينقل المسائل الخلافية من درجة الأزمة التي تحتاج إلى حل إلى عقدة مستعصية الحل.

ومسألة "ترؤس العالم العربي" ليست مسألة شرفية ولا هي حالة من حالات الأمر الواقع تفرضها الإستضافة، وإنما هي، أو يجب أن تكون، "المنصب العربي الأرفع" لمدة سنة الذي يأخذ على عاتق من يتولاه مهمة جمع الصف على كلمة سواء، ولذا فقد يكون من الأجدى لو أن رئيس القمة يتراأس بعد ارفضاضها لجنة من ثلاثة مسؤولين هم الأمين العام للجامعة ووزير خارجية دولة القمة السابقة ووزير خارجية الدولة التي ستستضيف القمة اللاحقة. وهذه اللجنة قادرة على أن تثير مهمة رئيس القمة من خلال صياغات متوازنة قد يتردد هو في استنباطها لأنه يفكر كرئيس لدولة فقط.

وأهمية القمم الثنائية التي نشير إليها أنها سترمم "قمة دمشق" وتجعل الاسم عندئذ على المسمى، إذ أن تسمية "قمة التضامن" التي أرادها الرئيس بشار لـ "قمته" كانت تجافي واقع الحال، ذلك أن التضامن كان غائباً وهنا تصبح التسمية تعني أمراً منشوداً وليس حاصلاً. والترميم ممكن ذلك أن القادة الذين أثروا الغياب كانوا بذلك يبعثون برسالة تتناول مصلحة سورية النظام والشعب في وقت واحد. وهؤلاء بتخفيض مستوى المشاركة كانوا مع الحل الذي لا بد من الأخذ به والذي يتعلق بلبنان، ومع الخيار الذي على النظام السوري إدخال تعديلات جذرية عليه ويتصل بالعلاقة مع إيران الساعية إلى الهيمنة. وعندما يقول ضيف "القمة البشّارية" منوشهر متكي وزير خارجية إيران في مؤتمر صحافي عقده في أحد فنادق دمشق بعد إنتهاء القمة كلاماً إستفزازياً حول الجزر العربية الإماراتية الثلاث "طمب الكبرى" و"طمب الصغرى" و"ابو موسى" المحتلة من جانب إيران يتناقض مع اللهجة العربية المخففة التي أوردتها "إعلان دمشق" حول هذه الجزر، فإن ذلك يسيء إلى "رئيس القمة" في الدرجة الأولى خصوصاً أن دولة الإمارات شاركت في شخص رئيس الدولة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان الذي جاء وفي خاطره ان العلاقة السورية - الإيرانية قد تفيد في السعي لتحرير هذه الجزر. لكن ما تمناه رئيس دولة الإمارات لم يدركه ذلك أن "الإعلان" تفادى كلمة

"إحتلال" مكتفياً بالمساعي الحميدة والإجراءات القانونية، وأن منوشهر متكي وزير الخارجية الإيرانية الضيف الشقيق دون غيره إنتقد ومن قبل أن يجف حبر "إعلان دمشق" اللهجة العربية الدمشقية المخففة وقال: "الادعاءات بأن الجزر الثلاث هي للإمارات لا أساس لها من الصحة. الجزر إيرانية. ولقد حان الوقت لكي يبذل عمرو موسى والدول العربية جهوداً حول القضايا العربية الرئيسية خصوصاً القضية الفلسطينية ولا يشيروا إلى هذه القضايا، أي الجزر الثلاث، لعدم إعطاء ذريعة للكيان الصهيوني".

ومثل هذا الكلام المنوشهري الذي لم يراع قائله أي حال إنتهت إليه العلاقة السورية - العربية بسبب الإقتحام الإيراني للقرار السوري، كان الرئيس بشار في غنى عنه. أما وقد قيل فإنه يدخل أيضاً في سياق جولة الترميم بحيث تشمل هذه الدولة أيضاً رئيس دولة الإمارات ويصرح "رئيس القمة العربية" وهو في أبو ظبي بأن الجزر الثلاث حق عربي إماراتي ومن الواجب تحريرها كما مزارع شبعاً وكما الجولان.. مع ملاحظة ان إحتلال الشقيق أرض شقيق أشد إيلاماً من إحتلال أميركا للعراق وإسرائيل للجولان.

يبقى التساؤل: هل سيفعل ذلك الرئيس بشار آخذاً في الإعتبار أن القادة الذين لم يشاركوه فرحة إستضافة دمشق للمرة الأولى قمة عربية، حرصوا اشد الحرص على صيانة مؤسسة القمة ومن أجل ذلك أوفدوا من يمثل دولهم الأعضاء في الجامعة العربية؟ هنا يأتي الجواب: من مصلحته أن يفعل ذلك. ففي دمشق حدثت حالة تصدّع ومن الواجب العلاج من خلال "جولة الترميم"... ومن دون تباطؤ.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 8 أبريل (نيسان) 2008

* * *

تأملات في المكايدة الروسية - الجنبلاطية

يحتار المرء في الموقف الروسي في ما يتعلق بالأزمة في لبنان. ويصعب القول إن روسيا مع أحد طرفي الأزمة، الأكثرية من جهة والمعارضة من جهة أخرى. كما يصعب القول إنها ضد هذه أو تلك بالمطلق.

وهذا يعني أنها ليست محايدة لكي تكون صاحبة دور فاعل وإنما هي على درجة من السلوك الإنتهازي الذي يغطيه سفير الدولة المنقوصة العظمة، بعدما كانت عظمى بإمتياز، سيرغي بوكين بإطلاالات تلفزيونية بعد لقاءات رسمية، ويحرص في هذه الإطلاالات على أن يتحدث بالعربية وتلك خطوة شجاعة من جانبه شبيهة أحياناً بخطوة سفيرة بريطانيا فرانسيس غاي التي تتطرق بالعربية أحياناً ومن دون أن يستوقفها، كما زميلها الروسي، أن عربيتهما على قد الحال.

مضت أشهر دون أن يسجل السفير الروسي وقفة كيدية كتلك التي وقفها فجأة مع صديق الكرملين التاريخي إبناً عن أب ولید کمال جنبلاط. ثم ها هو يوم الأربعاء 2008/4/2 يسجل "أم الوقفات الكيدية" متمثلة بزيارة كان الغرض منها الكيد ولا شيء غيره على الإطلاق، قام بها إلى دارة الشخصية الدرزية المثيرة للإنتباه الوزير السابق وئام وهاب في بلدة "الجاهلية" وتلك ضربة موجعة للزعيم الدرزي الأكثر شأناً ولید جنبلاط الذي يتلقى السهام الحادة من وئام وهاب السوري الهوى كونه أحد المتمترسين في خط الهجوم الأول على كل من يقول كلمة إساءة في حق النظام السوري. وكبير هؤلاء القائلين كما نعرف هو ولید جنبلاط الذي أشعل عرين الأسد ألفاظا تجاوزت بكثير موجبات التهيب ومراعاة المقامات. وفي مسألة الرد على جنبلاط بما هو أكثر من المثل كان وئام وهاب مجلباً في إستمرار وموجعاً ومسموعاً.

في الزيارة المباغته لـ "دارة الجاهلية"، الصادمة بطبيعة الحال، لـ "دارة المختارة" مارس السفير بوكين لعبة المكايده على موجة طويلة. وبعد إنتهاء اللقاء روى كل من الزائر والمُزار (بضم الميم) طبيعة اللقاء ومضمون المباح التصريح حوله على النحو الآتي:

السفير المكايده قال مبرراً الزيارة "كما تعرفون عندنا اتصالات وعلاقات متوازنة مع كل الأطراف اللبنانيين ونحن دائماً نستغل مثل هذه الفرص لنشجع كل اللبنانيين على بدء الحوار اللبناني- اللبناني في ما بينهم..."

والمضيف وئام وهاب قال: "تناقشنا في الكثير من الأمور المحلية والإقليمية والدولية وشددنا على أهمية الدور الروسي خصوصاً في الشرق الأوسط وعلى الدور الروسي الداعم للقضايا المحقة..."

وهكذا لا السفير أوضح هذه الزيارة المباغته، لأنها

كيدية، وعندما تكون هنالك حاجة للمكايده فإن المكايده يباغت لكي تكون الرسالة صاعقة وفاعلة. ولا المُزار (بضم الميم)، يمكن أن يوضح أن زائره يفعل ذلك بغرض مكايده ولید جنبلاط. لكن مع ذلك فأهلاً بهذا المكايده ما دامت هنالك جوامع مشتركة وفائدة معنوية لكلا الطرفين.

وحيث أن ولید جنبلاط من النوع الذي لا يبتلع المكايده ولا ينام على الضيم، وبالذات عندما تتعلق الأمور بالطائفة، فإنه بعد تسعة أيام من زيارة المكايده التي قام بها السفير بوكين لـ "دار الجاهلية" وسيدها وئام وهاب إغتتم مناسبة كلام مندوب روسيا لدى الأمم المتحدة المتعاطف مع الضباط اللبنانيين الكبار الأربعة (جميل السيد، ريمون عازار، مصطفى حمدان، علي الحاج) الموقوفين بشبهة علاقة لهم بواقعة إغتيال رئيس الحكومة اللبنانية السابق رفيق الحريري، وهو تعاطف مفتعل يصب في خانة المكايده التي سجلها السفير بوكين بزيارته وئام وهاب. وقد رد جنبلاط على المكايده بأقوى منها قائلاً "لغت نظرنا كلام المندوب الروسي لدى الأمم المتحدة عن الضباط الأربعة، فلعله لم ينتبه إلى المآثر الوطنية العظيمة لهذه المنظومة الأمنية القهرية اللبنانية التي قوّضت كل أسس ومركزات النظام الديمقراطي في لبنان وتورطت في الإغتيالات السياسية بشكل فاضح وواضح..."، ثم يضيف: "إننا نأمل من روسيا التي طالما دعمت سيادة وإستقلال لبنان وساهمت في تمويل المحكمة الدولية، أن تظل على موقفها الداعم لتطبيق العدالة في الجرائم السياسية في لبنان والتي كان قد بدأ مسلسلها بإغتيال كمال جنبلاط الصديق الكبير للاتحاد السوفياتي من قبل النظام السوري..."

بعد ساعات من هذا الغمز واللمز الجنبلاطي حمل السفير الروسي بوكين إكليلاً من الزهور وتوجه إلى "دار المختارة" حيث وضعه على ضريح الزعيم الدرزي كمال جنبلاط ممطراً الإبن الغاضب من المكايده المتمثلة بزيارة السفير للوزير السابق والزعيم الدرزي الناشئ وئام وهاب، بإطراءات ارتاحت لها نفس جنبلاط الإبن كما روح جنبلاط الأب. ومما قاله وبالعربية إياها في معرض الإطراء الأقرب إلى التصحيح "أود القول إنه مع الأسف الشديد ونظراً لظروف تقنية محضة لم أتمكن من أن أزور ضريح كمال جنبلاط في 16 آذار الفائت، إنما اليوم انتهزت هذه الفرصة لكي اضع إكليلاً من الزهور على ضريحه. وقد كان صديقاً عظيماً للاتحاد السوفياتي ولروسيا الآن. وإننا نحترم كثيراً هذه الشخصية اللبنانية والإقليمية والدولية البارزة التي أثرت

الوطأة:

لماذا نفعل هذا الذي نفعله بالأمن العام للجامعة العربية عمرو موسى مع أنه الأكثر رقاً بلبنان، المبلى بأزمة المكيدة على حساب المؤسسات والكيان، من بين سائر الامناء السابقين عبد الوهاب عزم وعبد الخالق حسونة ومحمود رياض والشاذلي القليبي وعصمت عبد المجيد رحمة الله على الذين رحلوا وأطال الله أعمار الذين يتابعون مع المتابعين أحوال البلاد والعباد من المحيط إلى الخليج؟

ولماذا لا نغتنم حرصه وصدق سعيه وحيويته وسعة صدره وإبتكاراته فتجاوب مع هذا السعي ونسجل الإمتنان لهذا الحرص وذاك الصدق وتلك الحيوية؟

ولماذا كلما جاءنا مستبشراً خيراً نعيده إلى المربع الأول وكأنما نقول له: لا موجب للحضور فحن قبائل تنتسب إلى "داحس" و"الغبراء" ومن دون أن نخجل من ذلك. ألم يتفاح البعض من الذين يتلاعبون بمصير البلاد والعباد متسلحين برأي عام تولّى ترعيمهم أو إرتضى صاعراً هذا التزعّم، ورددوا أكثر من مرة بما معناه انهم على إستعداد لإبقاء كتاب الأزمة مفتوحاً مئة سنة إذا كانت مطالبهم لن تتحقق؟ ثم أليس هذا ما يفعله الفلسطينيون الغاضبون من وضعهم أو المغضوب عليهم من رب العالمين، لا ندري؟ كذلك أليست قبائل بلاد الرافدين تفعل الشيء نفسه وتسيل الدماء البريئة ودماء المغرّر بهم على وقع العزف الأميركي - الإيراني بآلات الدمار؟

لقد جاء عمرو موسى المرة تلو الأخرى إلى بيروت. ولا نظن أن الرجل خالي المشاغل أو أن لبنان "الضاحية" و"قريظم" و"عين التينة" و"بكفيا" و"معرب" و"الرابية" و"كليمنصو" قلاع رموز الأزمة هي خير أمكنة للترويج عن النفس في هذه الأيام. ولكنه يأتي لأنه حاذق في قراءة الكف السياسي الإقليمي والدولي ويملك قدرة تفسير ما بين سطور المواقف أكثر من أي رمز آخر من رموز الأزمة اللبنانية بنوعيه: العنيد والأكثر عناداً. ومع ذلك فإن سعيه لا يثمر ليس لأن الرجل لا يطرح الحلول المتوازنة وإنما لأنه متجرد. لكن الذين يخاطبهم وفي معظم الأحيان يتمنى عليهم، ونكاد نقول يرجوهم أن يتقوا الله في ما يفعلون، لا يرتاحون إلى من هو متجرد ويتعاملون معه على أساس إقناعه بالتحزب لهذا الطرف أو ذاك. ومن أجل ذلك لا تستقيم الأمور.

وعندما لاحظت الدولتان العربيتان الكبريان مصر

تأثيراً إيجابياً وضخماً على الحياة في لبنان والعالم اجمع. لقد منح كمال جنبلاط في عهد الإتحاد السوفياتي جائزة لينين للسلام لأن هذه الشخصية ساهمت مساهمة فعالة في تعزيز علاقات الصداقة التقليدية بين لبنان والإتحاد السوفياتي. وإننا في روسيا الآن نكن أقصى شعور الاحترام تجاه هذه الشخصية وأؤكد بأن كمال جنبلاط الرجل العظيم سيبقى في قلوب الشعب الروسي إلى الأبد....".

هذا عن جنبلاط الأب الرائد تحت التراب. لكن ماذا عن وليد جنبلاط المنزعج من المكيدة الناشئة عن زيارة السفير بوكين للخصم اللود وئام وهاب؟

عن وليد جنبلاط والموقف من المحكمة الدولية أفاض السفير المكيد فقال "أنتهز الفرصة السعيدة اليوم لنزور وليد بك (هكذا التوصيف بالحرف) صديقنا الكبير لنتباحث معه في أهم القضايا اللبنانية. أننا نتمسك بالمحكمة الدولية التي يجب أن لا تكون مسيئة ونرى أن التحقيق الجاري في قضية إغتيال الشهيد الرئيس رفيق الحريري يجب أن ينتهي....".

بعد الذي أوردناه حول أمر لا سابقة له في أي بلد آخر بين سفير دولة عظمى وزعيم سياسي محلي، تبقى الإشارة إلى أن أسباب المكيدة هي أن وليد جنبلاط ذهب بعيداً في علاقته مع أميركا، بل انه في نظر روسيا ذات العلاقة معه ومن قبل ذلك مع والده، تأمرك وصار لزاماً تنبيهه إلى أن يحسب الحساب للماضي. وجاء التنبيه بصيغة المكيدة وليس بصيغة التذكير الذي ينفذ الذكرى.

وتلك واقعة من حق القارئ العربي البعيد عن المعاناة اليومية للبنانيين أن يحيط بما يحدث أحياناً في لبنان المستباح من العدو ومن الجار ومن الشقيق، ويكون الذي يحدث هذا من النوع الذي لخصه شاعرنا الكبير المتبني بالقول:.... وأنه ضحك كالبكاء.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 19 أبريل (نيسان) 2008

* * *

عمرو موسى بين التمثيلية اللبنانية

والدعم التمثيل المصري - السعودي لدوره

يتساءل اللبناني المستقيم الرأي في لحظة إحباط شديدة

والسعودية ان الأمر يحتاج إلى بعض المساندة للأمين العام فإنهما حولاه إلى "ساعي المبادرة العربية لحل الأزمة اللبنانية". والساعي هنا ليس "ساعي بريد" يبلغ المعنيين بما تم الإتفاق عليه وينقل الجواب، وإنما الساعي بمعنى "بازل المسعى" المتوج هذه المرة بموقف عربي واضح كل الوضوح إسمه "المبادرة العربية". ومع أن هذه المبادرة لم تحدد مواعيد ولم تأخذ شكل القرار كمثال القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن الدولي ويطول أحياناً تنفيذها وربما يكون الزمن عقوداً مثل القرار 242 على سبيل المثال لا الحصر الذي بلغ الواحدة والأربعين سنة من تأجيل التنفيذ الكامل له، إلا أنها كانت موقفاً له صفة القرار وإلا فما معنى أن زيارة الرئيس نبيه بري إلى السعودية مرتبطة بفتحه أبواب برلمان كل اللبنانيين وأن رغبة الرئيس بشّار الأسد في زيارة المملكة لا تتم ما دام كرسي الرئاسة اللبنانية فارغاً.

يوم الخميس الأول من مايو (أيار) 2008 جاء الأمين العام عمرو موسى إلى "عاصمة المعاندين" بيروت وفي اعتقاده أن ما كان مستعصياً يسير إلى حلحلة وأن ربيع لبنان هو ربيع الحل الذي سيأتي بصيف الإزدهار. لكنه وجد لدى زعماء قبائل الأزمة أن العناد إلى إزدياد والتعقيد إلى إستحالة وبقايا الإيمان بالوطن إلى الكفر. وغادر بيروت حزيناً على ما إنتهى إليه حال هذا الوطن من قبل زعامات تتقن التلاعب وفي اعتقادها أن اللعبة السياسية تتطلب ذلك.

يوصل اللبناني المستقيم الرأي التساؤل:

إلى متى؟ وهل ان الوطن هو حقل ممارسة نزوات لمن شاءت ظروف خارجة على الأصول أن يتزعموا. ولكن هل أن مشيئة الظروف نفسها تقتضي بقاء الرأي العام اللبناني على هذا السكوت المريب؟

أما الأمين العام عمرو موسى فغادر إلى عرينه في القاهرة يتابع أمراً آخر كان بدأه لمعالجة حالة غريبة أصابها "فيروس" العناد هي الأخرى، ويتمنى ألا يطول علاج تلك الحالة وإلا تصبح مثل الحالة اللبنانية، مع اختلاف النوعية. وخلاصة الحالة ان نقيب الممثلين المصريين اشرف زكي وأمام هجمة الفنانين العرب من ممثلين ومطربين أناثاً ونكوراً على مصر، أصدر قرارات تحد من حضور هؤلاء ونشاطهم في مصر لأنهم بذلك يأخذون من طريق زملائهم المصريين. وحيث ان عمرو موسى هو الأمين العام للجامعة العربية المسؤولة عن كل أنواع هموم

الأمة، فإنه ادخل هذه الحالة إلى دائرة الإهتمامات شأنها شأن الحالات السياسية والعسكرية والإقتصادية ووجه بإصدار بيان يدعو فيه النقيب المصري إلى إعادة النظر في ما إتخذه من قرارات غير منطقية. وخشية أن تكون ذاكرة النقيب غافلة عن الحضور العريق لغير المصريين في المجد الفني والسينمائي والطربي المصري، فإن البيان تحدّث عن أفضال بعض هؤلاء أمثال بيرم التونسي ونجيب الريحاني وجورج أبيض وفريد الأطرش وأسمهان ونور الهدى ويوسف شاهين ونجاح سلام وعمر الشريف وكثيرين غيرهم.

إلى ذلك أضاف البيان "إن التفاعل بين المواهب العربية والمصرية أثرى الحياة الثقافية المصرية والعربية وساهم في بلورة المزاج الفني في العالم العربي من مشرقه إلى مغربه، ولذا فإن ضوابط تنظيم عمل الفنانين العرب يجب ألاّ تتحول إلى عوائق أمام الإبداع وإلى قيود على الأعمال الفنية..."

هل يا ترى سيتعامل نقيب الممثلين المصريين، المتأثر على ما يبدو بنبرة غضب الرئيس الراحل أنور السادات من العرب لأنهم قرروا في لحظة رد فعل متسارعة نقل الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس فقال عبارته الشهيرة "خدوها.. أنا مش عايزها"، مع تمنيات عمرو موسى بمثل تعامل "نقابة السياسيين العنيدون المتعجرفين غير العقليين اللبنانيين" مع وطنهم لبنان الذين يريدونه ساحة لغير شعبه؟ يختم اللبناني المستقيم الرأي في لحظة إحباط شديدة الوطأة التساؤل بالتمني أن يكون الممثلون المصريون في شخص نقيبهم أشرف زكي أكثر تعقلاً من "الممثلين" إبطال مسرحية الأزمة اللبنانية التي يتواصل عرضها للشهر السابع على التوالي ومن دون أن يصفق أحد لهؤلاء "الممثلين". وهكذا ستبقى المسألة حتى إشعار آخر تمثيلاً بتمثيل، وعمرو موسى بين التمثيليتين... أكثر من متفرج.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 5 مايو (أيار) 2008

* * *

قليل من الفضفضة وكثير من الصبر

يكفي القليل من الفضفضة التي تغادر الصدور اللبنانية العابقة بالإحتقانات. فالذي حدث كاد يتسبب في

تقطع الأوصال ومن هنا فما حدث كان في بعض جوانبه تحذيراً من أمر اعظم، ولا بد إزاء ذلك من الصبر الطيب والكثير.

وما هو أهم من الصبر هو التوجيه بأنه في أي أزمة سياسية لا سلاح يُستعمل ولا صندوق زبالة يُرمى في وسط الشارع ولا دواليب مطاطية تُحرق ولا أتربة تقطع الطرقات ولا مطار يُغلق بفعل قطع الطريق إليه ولا مرفأ يصيبه ما أصاب المطار ولا شعارات يُعتدى عليها ولا وسائل إعلام تهدّد أو تتعرض للأذى. والأهم الأهم هو لا علم يُرفع في أي موضع يتم "إحتلاله" بقوة السلاح بدلاً من علم الوطن، ولا أغراب لهم الحق في تنفيذ إعتداءات وقد غطوا الوجوه بأقنعة أو استعملوا غطاء الرأس الفلسطيني بغرض التمويه.

نقول ذلك لأن ما حدث كان دون وجه حق وكان تطاولاً على حقوق الآخرين. فالمطار والمرفأ ليسا للحكومة المتسلحة بالتعاطف الدولي معها غير مكترثة بعدم التعاطف من جانب نصف المجتمع اللبناني. والطرقات ليست لها وإنما لكل اللبنانيين. والتعبير عن الغضب من خلال إحراق الدواليب المطاطية إهانة في حق من يتقبل هذا الأسلوب أو يوصي به وكذلك الحال بالنسبة إلى رمي صناديق الزبالة في الشوارع وإحراق سيارات وتكسير محلات وإزهاق أرواح. ثم أن أي فرض أمر واقع بقوة السلاح لا يعود حالة إحتجاج وإنما يصبح عدواناً على الآخرين. وإذا كانت الانتفاضة غير المستحبة التي حدثت في نظر فاعليها بأوامر مستحبة لا مجال للمناقشة فيها لم تُسأ إلى شرائح لها تحفظات على السلوك الحكومي ومتفهمة بمقدار لظروف "حزب الله" و"حركة أمل"، فإن ردنا على ذلك هو أنها أضرت وتسببت في إنحسار ملحوظ للتفهم المشار إليه، وذلك للإعتبار الذي أوردناه وهو أن الذي حصل كان إعتراضاً مسلحاً وليس مجرد تسجيل موقف وكان ضد حقوق مشروعة للمواطن العادي في أن يكون آمناً في بيته مستقراً في عمله غير ذي بال بالنسبة إلى شوارع وطرقات مدينته، كثير الإرتياح إلى أن الأمور طبيعية في مطار البلد ومرفئه.

هذا الذي حدث يتطلب المباشرة بعملية تأهيل تقوم على قاعدة أن المواطنة هي الأساس وليست الطائفة، وإن الإحتجاج بالسلاح يصبح عدواناً، ومن أجل ذلك فإن التوجيه بعدم حمله وتحريم إستعماله ومن دون

إسقاط حق إقتنائه لساعات الغفلة والضرورة القصوى يندرج في عملية التأهيل. وعلم البلاد له قدسية تصل إلى قدسية الكتب السماوية. وإذا كنا نستنكر أسلوب حرق أعلام دول الآخرين في لحظة غضب فما بالنا بالنسبة إلى علم الوطن الذي يجب ألا يعلو علم عليه. أما أن يصطف علم هذا الفصيل أو ذاك الحزب إلى جانب علم البلاد فهذا قابل للتحمل وعلى أساس الإحتماء بهذا العلم والتبرك به والتأكيد على احترامه وقدسيته لأنه علم الأجداد والآباء والأبناء وعلم وطن الأحفاد والأجيال الآتية.

لقد أخطأت الحكومة السنيورية باستعجالها إصدار قرارات حول موضوعين سكتت عنهما دهرًا لتتطرق رفضاً لهما وفي ظروف غير مؤاتية لها وللمثلث الباغض لسلوكها، وكان من الأسلم تركهما إلى الحوار غير المحسوم أمر انعقاد جلسته، لكن من المؤكد أنه سيبقى وارداً قبل انحسار العاصفة وبعدها. لأنه الشغل الشاغل للرئيس نبيه بري ولأنه موضع القبول من سيد المقاومة حسن نصرالله. وكنا نتمنى أن يكون تعامل "حزب الله" و"حركة أمل" والحليف المسيحي المعطل الجنرال عون مع القرارين بالأسلوب السياسي وليس الحربي ما دام المناخ الديمقراطي السائد في لبنان يجيز للقوى السياسية الفاعلة، وكذلك لكل من هب ودب لبنانياً كان متلبناً أو غريباً عن ديار ليست له، قول ما يريدون قوله ما دامت الصحافة تنشر من دون تحفظ وما دامت الفضائيات تتيح المجال لكل من يريد أن يلعلع، وما دامت حتى الأرض اللبنانية ساحة لمن يريد أن يخرب أو يفخخ أو يرفع صوتاً لا مجال لرفعه ولو همساً في بلده.

أما وقد حدث الذي حدث، وخشية من الذي سيحدث وسيكون الأخطر والأعظم فإننا نرى كما بدأنا القول إن الذي حدث كان فضفضة من كل الأطراف وإن كانت غير محسوبة بدقة وغير مراعية للمشاعر والحقوق وعلى حساب الصيغة، فإن الصبر على ما حدث يبدو ضرورياً والكلمة التي تحنّ بدل التي تجنّ أو تزيد المشاعر إنفعالاً هي المطلوبة، وبحيث لا تبقى فظاعات حدثت من الجانبين خلال خمسة أيام تتحكم بغرائز رموز العمل السياسي بدل التعقل، لأن الساحة في كل حركة أو حزب خلت من حكيم ينصح ومستشار ينه.

ومع الصبر الجميل وكاثبات لحسن النية، من الأسلم لتتقية السمعة من الشوائب وللرقاب من صدمات وحفاظاً

على ماء الوجه بالنسبة إلى كبار القوم، إعتبار السعي العربي خشبة انقاذ وإعتباره نوعاً من اللهفة من شأنها إبقاء الأمر وطنياً ومواطنين بعيدين عن الخط الأحمر، مع الأخذ في الإعتبار أن عدم التجاوب مع هذا السعي يعني أن يأخذ المجتمع الدولي من خلال مجلس الأمن على عاتقه أمر تأديب الجميع ومن خلال قرارات لا تعود فيها "ديمقراطية السلاح" هي السائدة هذا إذا لم يقرر مجلس الأمن إستحداث المحكمة الدولية الخاصة بلبنان 2... أو ما هو أشد تأديباً. والله أعلم

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 17 مايو (أيار) 2008

* * *

صدمة من فؤاد السنيورة المستعجل وفرصة لبشار المتردد

إستعجل رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة كثيراً التعبير الشخصي عن الإبتهاج بـ "تسوية الدوحة" للأزمة اللبنانية وذلك عندما استحضر لفترة سيق ملهمه الرئيس رفيق الحريري أن قام بها.

الذي فعله السنيورة عن حسن النية وسوء تقدير هو أنه نزل ليلة الخميس 22-5-2008 إلى الوسط التجاري الذي يطيب للبنانيين تسميته "داون تاون" مصطحباً زوجته في إشارة منه إلى أن هذا الوسط بمقاهيه ومطاعمه ومكاتبه ومحلاته التجارية بدأ يستعيد زهوه بعدما تخلص من نير التخميم لبضعة أشهر. وقد إبتسم الرئيس المبتهج كثيراً مع المبتهجين وصافح كثيراً وسمع إطرأات وتبريكات، وكانت سعادته في أعلى درجاتها وهو يرى طاوالات المقاهي المحيطة بالبرلمان المحبوب عليه بضعة أشهر وقد إمتلأت بالرواد والأطايب ومدخني السيجار الفاخر والشيشة (النرجيل) على أنواع معسلها أو تنباكها العجمي الذي لا خلاف على جودته من جماهير الأزمة اللبنانية بنوعيه، ويرى أيضاً ما كان إحتجب بفعل تداعيات التخميم المعطل للمصالح، خلافاً للغرض منه... أي تعطيل قدرة الحكومة على الصمود بعدما خلت من وزراء الشيعة الذين يمثلون "حزب الله" و"حركة أمل" ومعهم من يمثل الحليف الماروني الجنرال ميشال عون. لكن ما تمناه هؤلاء لم يتحقق حيث

صمد السنيورة ووزراء حكومته المنقوصة التمثيل الطوائفي لجهة الطائفة الشيعية وأمضى بضعة أشهر في السراي المسور بالأسلاك الشائكة للحماية من إجتياح محتمل يقوم به المخيمون.

هذه الإطالة السنيورية كانت إجتهداً صامداً لأمهات وآباء وأخوات وإخوان وأطفال عشرات اللبنانيين الذين قضوا خلال الأيام السوداء التي عصفت بالعاصمة بيروت وبعض بلدات وقرى الجبل والشمال والبقاع وما زال الحزن يغمر نفوسهم. ولذا فإن جولة من السنيورة وآخرين من رموز تلك الأزمة يمثلون كل الأطياف الحزبية والسياسية والتيارية على هذه البيوت المحزونة كان هو المطلوب وليس استعجال النزول إلى آل "داون تاون". ونقول ذلك على أساس أن أصول التعامل الإنساني تقضي بتقديم واجب التعزية على لهفة المشاركة في الإبتهاج كما تقضي بتطبيب الخواطر قبل أي شيء آخر. ومن هنا قولنا إن الرئيس فؤاد السنيورة بهذا النزول المباغت إلى عالم السهرة والساهرين أساء التقدير علماً بأن حسن النية هو الدافع إلى ما نعتبره إساءة، ذلك أنه أراد تشجيع الناس على أن يخلعوا ثياب اليأس والتشاؤم ويرتدوا ثوب التفاؤل بكل مباهجه ويستعيدوا حياتهم وما فقدوه طوال بضعة أشهر تخيمية.

وعندما نقول إن السنيورة إقتبس هذه الفكرة الإبتهاجية من أسلوب ملهمه رفيق الحريري فعلى أساس أن الرئيس الشهيد كان عندما يتعمد إصطحاب كبار زوار لبنان ومن بينهم صديقه الرئيس جاك شيراك إلى جولة ليلية يرى فيها هؤلاء بدايات "المعجزة الحريية" في سرعة الإعمار والتطوير، كانت هنالك أزمات سياسية ومماحكات وإمتعاض من هدايا صفائح زيت الزيتون على المحتاجين، لكن لم يكن حدث هذا الذي حدث خلال بضعة أيام سوداء. كما أنه كان يفعل ذلك لتسويق لبنان في عالم السياحة والإستثمار.

في أي حال ما زالت الفرصة متاحة أمام حكومة السنيورة سواء إرتأى النائب سعد الدين الحريري معاودة إبقاء أمانة ترؤس الحكومة في عهدة صديق العائلة أو إسترد الأمانة مريحاً الأخير من صدادع التروؤس والعودة من جديد إلى عالم المال والأعمال في لبنان أو المنطقة أو البنك الدولي، لكي يطيب (أي السنيورة) خواطر من فقدوا الإبن أو الأب أو الأم أو الطفل ومن سكن الخوف قلوبهم وأحرق الإجتياح بيتاً لهم أو دمر مصلحة أو مكتباً. ويبقى في شأن "تسوية الدوحة" القول إن تنويع رئيس

الجمهورية المتوافق عليه منذ البداية العماد ميشال سليمان ليس نهاية المطاف وإنما هو البداية. وخشية أن يجد اللبنانيون انفسهم يعيشون أزمة حكومية تنشأ عن طبيعة اقتسام المغنم ويبقى السنيورة في هذه الحال رئيس حكومة تصريف أعمال لبضعة أشهر، فقد يكون من الأفضل أن يكون "أمراء الأزمة" هم وزراء الحكومة الأولى في العهد السليمانى أو يتفقوا، مراعاة منهم لمشاعر الناس ولو لمرة واحدة كي يكمل اللبناني تنفس الصعداء، على أن تكون الحكومة حكومة خدمات يتولى حقائبها الوزارية أصحاب كفاءات من عناصر على درجة من الإستقلالية. كذلك يبقى في شأن "تسوية الدوحة" القول إن أمام الحكم السوري فرصة قد تغنيه الإستفادة منها عن إشكالات وإجراءات كثيرة آتية لا ريب فيها. والفرصة هي نوع من رد الجميل في الوقت نفسه للرئيس الجديد ميشال سليمان الذي سبق وسلف وهو ما زال قائداً للجيش وشبه متوافق على ترؤسه، صديقه الرئيس بشار أكثر من وقفة. وليس مثل صيغة لقاء خيمة عبد الناصر - الجنرال فؤاد شهاب ما هو أفضل من هذا الرد على التسليف السليمانى الكفيل بتدعيم موقفه وسط أبناء طائفته وأمام اللبنانيين دون إستثناء. وفي حال تم هذا اللقاء داخل خيمة على أرض مشتركة سورية - لبنانية على الحدود فإن عوائق كثيرة ستزول من أمام تأسيس علاقة صحية بين البلدين، فضلاً عن أنه يشكل مدخلاً لائقاً أمام المطلب اللبناني - العربي الدولي وهو ترسيم الحدود وتبادل التمثيل الدبلوماسي. وبذلك تكفي اللبنانيين كثرة المطالبة وتكفي المجتمع الدولي كثرة التحرش وتكفي سوريا البشارية الذاهبة أصلاً إلى تسوية مع إسرائيل ولو كرهت إيران كثرة التردد في إنجاز أمر باتت الظروف الدولية والإقليمية تحتم حدوثه... هذا لمن يريد أن يحكم مستقراً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 27 مايو (أيار) 2008

* * *

النجادية التي أينعت والد "لاريجانية" التي حان مجيئها للرؤوس

هل هي جراءة من الرئيس الإيراني محمود أحمدي

نجد تكراره المقولة النجادية في شأن إختفاء إسرائيل، وخلال مؤتمر صحفي عقده في روما يوم الثلاثاء 2008/6/27، وما ادراك ما هي روما البرلسكونية وإيطاليا عموماً في عهد رئيسها برلسكوني إزاء موقفها من إيران والعلاقة الوطيدة مع الإدارة البوشية التي تخوض مواجهة سياسية ودبلوماسية ضد إيران قد تتحول إلى مواجهة عسكرية يختم بها الرئيس بوش مغامراته الحربية؟

لقد ذهب الرئيس نجاد إلى روما للمشاركة في "قمة الغذاء" الذي بات هاجس الجميع اغنياء وفقراء. وكانت هذه القمة خير مناسبة لكي يخاطب الرئيس الإيراني العالم من على منصتها موضحاً أن الإهتمامات النووية التي تتمسك بها إيران هي في نهاية الأمر عنصر مساعد لمعالجة أزمة الغذاء كونها، أي الإهتمامات النووية، تحقق تسريعاً في الطاقة التي هي العنصر الأساس للري والزراعة والتطوير الإقتصادي على أنواعه. كما أن القمة خير مناسبة للتوضيح في شأن ما يثيره الرئيس نجاد حول مصير إسرائيل، كأن يقول في التوضيح ما معناه إن ما يقصده بزوال إسرائيل هو أن هذه الدولة تبقى في حال التزمّت تنفيذ القرارات الدولية، وردت بالمثل على الخطوات التي تستهدف التسوية العادلة والتي تمثلها خير تمثيل "المبادرة العربية" التي ارتبطت بالملك عبد الله بن عبد العزيز، ويتأكد يوماً بعد آخر أنها الحل الموضوعي الذي يحقق الطمأنينة للجميع وينهي القلق الدولي المتنامي في شأن إسرائيل، بحيث لا تعود عبئاً على المجتمع الدولي ولا حالة عدوان لا يتوقف على الشعب الفلسطيني ودول المنطقة. أما إذا كانت إسرائيل لن تفعل ذلك وتبقى على ما هي عليه منذ أكثر من نصف قرن فهذا يعني أنها إلى زوال ولو بعد حين.

مثل هذا التوضيح كان سيصغي أهل "قمة الغذاء" بإهتمام إليه وربما كانوا سيحرصون على لقاءات تشاورية مع الرئيس نجاد. كما أن انعقاد القمة في روما هو مناسبة للقاء بين رئيس الكنيسة الكاثوليكية البابا بندكت السادس عشر والرئيس الإيراني يمهد الطريق أمام لقاء أكثر فعالية يتم بين مرشد الجمهورية آية الله خامنئي والبابا ويكون مثل ذلك اللقاء التاريخي بين الملك عبدالله بن عبد العزيز ورئيس الكنيسة الكاثوليكية، وهو لقاء لمصلحة إستتباط رؤية للإستقرار العالمي وحل

المشاكل العالقة ووضع حد للهواجس الناشئة في أوساط المجتمع المسيحي من الإسلام وفي أوساط المجتمع الإسلامي من قادة دول العالم المسيحي والكنائليكي بوجه خاص الذين لا يمارسون أي ضغوط على إسرائيل ويرتضون بقاء المقدسات مهد السيد المسيح عليه السلام إلى جانب الحرم الثالث المسجد الأقصى تحت الاحتلال الإسرائيلي.

مع الأسف الشديد إن الرئيس الإيراني لم يأخذ ذلك في الاعتبار وجاء إلى "قمة الغذاء" مبتهجاً بمواقفه السابقة معتبراً أن السامعين يطربون لها على حد قوله، متسبباً بحالة إحراج لرئيس الكنيسة الكاثوليكية الذي اضطر لعدم إستقبال أي من الرؤساء المشاركين في القمة كي لا يستقبل الرئيس نجاد الذي جاء إلى روما حاملاً سيف التهويل مع ان "قمة الغذاء" وبالذات في العاصمة التي على خاصرتها الفاتيكان رمز العالم الكاثوليكي بكل قاراته تتطلب قادة يطرحون حلولاً هادئة بدل التصريحات النارية. ونتذكر ونحن نقول ذلك ما سبق ان سمعناه من الرئيس نجاد على مدى السنتين الماضيتين حول "حرب إيران الضروس" على إسرائيل المتمثلة بأسلحة كلامية من بينها قوله أمام زوار أجناب في إحتفال أقيم عشية مغادرته طهران إلى روما لمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لوفاة الإمام الخميني "ينبغي أن تعلموا أن النظام الصهيوني الإجرامي والإرهابي الذي يحوي ملفه ستين عاماً من النهب والإعتداء والجرائم وصل إلى نهايته وسيختفي قريباً من على الساحة الجغرافية. كما أن جرس العد التنازلي لدمار إمبراطورية السلطة والقوة الشيطانية (أي أميركا) بدأ يدق. وبعودة المنقذ المهدي المنتظر (أي الإمام الثاني عشر بالمفهوم الشيعي) وصحبه وبينهم بالخصوص النبي عيسى فإن هيمنة الطغيان ستنتهي قريباً في العالم..." وقوله أيضاً "إن لبنان تحوّل اليوم إلى بلد قوي مُرغ فيه أنف أميركا والصهاينة بالتراب". وهذا ليس كل ما قاله الرئيس نجاد حتى الآن، فقد سبق أن إعتبر النظام الذي يتزأسه أقوى نظام لأقوى دولة في العالم وتزامن مع هذه الجولات الكلامية في "حرب نجاد" أن الذين وضعهم على رأس أجهزة أمنية أو وزراء في الحكومة عوّض الذين لا يشاركونه خططه الميدانية الكلامية هذه بواقفونه الرأي بطبيعة الحال، مع أن الذي يحتاجه الرئيس الإيراني

وبالذات لمواجهة العزلة المحتملة على إيران هو المستشار الذي يقول له إن خير الكلام هو ما قلّ ودل، بالمعنى الإيجابي للدلالة، وإن السلامة هي في الكلام الذي يحثّ بدل أن يجنّ... وإلاً فإن النجادية تكون أينعت وحن رحيلها لتبدأ آل "لاريجانية" الردع بالحسنى لما قد يصيب إيران أو الترميم لمرحلة ما بعد الإصابة. والذي يجعلنا نفترض ذلك أن إنتخاب لاريجاني رئيساً لـ "مجلس الشورى" أي البرلمان لم يكن تقليدياً ذلك أن آل 237 نائباً من اصل 259 من نواب المجلس الذي يضم 290 مقعداً قرروا تصحيح هفوة إرتكبت في إنتخابات الرئاسة عام 2005 عندما إختار المحافظون في إيران صاحب اللسان الأنشطة محمود أحمدي نجاد بدل صاحب العقل المتوازن علي لاريجاني الذي حتى بعد خسارته ارتأى الإنسحاب الهادئ من "جمهورية نجاد" وذلك بالاستقالة من منصب "أمانة المجلس الأعلى للأمن القومي" ثم تحضير نفسه لترؤس السلطة التشريعية رئيساً بما يشبه الإجماع للبرلمان الذي هو "جمهورية كل إيران"، مع ملاحظة أن الأمر ليس قفزة في الهواء وإنما هو الإستعداد لخوض غمار الرئاسة عام 2009 وبذلك يكون التروؤ للبرلمان عبارة عن مرحلة انتقالية لمدة سنة يمكن لاريجاني خلالها توجيه أكثر من رسالة إلى الداخل الإيراني الشائر بأن يخفف من الإصغاء إلى الطروحات النجادية كي لا تزلزل الأرض الإيرانية زلزالها وإلى الغرب الحائر بأن عليه بدل المضي إلى النهاية في إرتكاب إثم المغامرة، أن ينتظر ويكتفي بالقليل من الإجراءات الإقتصادية لأن إيران آل "لاريجانية" تريد بالفعل التقنية النووية وليس القوة النووية، وتريد الحل العادل بما يضمن السلامة للجميع في المنطقة. كما تتطلع إلى العلاقة الموضوعية مع دول الجوار ولا ترى أنها أقوى دولة في العالم، أي بإختصار تبدأ حقبة "المراهقة الثورية" في الإنسحاب وتترك للراجحة عقولهم أمر تسيير أمور البلاد وبما يرضي رب العباد، وهذا ما نفترض أن الرئيس الأسبق هاشمي رافسنجاني أوضحه بعقلية رجل الدولة صاحب التجربة والحنكة للملك عبدالله بن عبد العزيز على هامش "مؤتمر الحوار الإسلامي العالمي" الذي إفتتحه خادم الحرمين الشريفين يوم الأربعاء 4-6-2008 في مكة المكرمة وبحضور خمسمئة شخصية دينية وأكاديمية وفقهية إسلامية مرموقة بكلمة حق يُراد بها

الحق ولا شيء غيره موضحاً أنه دعا إلى المؤتمر "لمواجهة تحديات الانغلاق والجهل وضيق الأفق وللتأكيد على أن الصوت الإسلامي هو صوت تعايش وحوار عاقل وعادل وحكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن". وهذا القول سيصاغ في شكل "المبادرة الإسلامية" للملك عبدالله لتكون تؤم "المبادرة العربية" اللتين هما الحل مهما حاول البعض تضيق الفرصة.

عسى ولعل تخف وتيرة الصوت النجادي العاصف لكي يأخذ صوت المجادلة بالتي هي أحسن فرصته الآن إذا اقتنع الرئيس نجاد... أو مع الرئيس لاريجاني باعتباره ما قد يكون نتيجة أن النجادية أُنعت وأن آل "لاريجانية" حان مجيئها.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 9 يونيو (حزيران) 2008

* * *

تأملات في محنة "البيارتة"

بعد رفيق الحريري

بينما استحوذت دبي على المؤتمرات غير السياسية والمعارض على أنواعها وتجنبي من وراء هذا الاستحواذ حضوراً على المستوى الدولي في عالم المال والأعمال والاستثمارات العقارية وتجارة اللوحات الفنية، فإن قطر تستحوذ على المؤتمرات ذات الطابع السياسي والإقتصادي الذي يصب في بحر السياسة أو يأتي من ينابيع أهل القرار السياسي الدولي. وحدثت المؤتمرات المستضافة في الدوحة بعد مؤتمر معالجة الأزمة اللبنانية هو "المؤتمر الدولي لمكافحة الفساد في قارة آسيا".

والإمارتان دون غيرهما من دول الخليج تشكّلان إلى جانب مملكة البحرين التي سبقت الاثنتان في ترسيخ دورها كأرض صالحة للأعمال المصرفية وشركات الإعلانات، نموذجاً للدولة الصغيرة التي يمكن أن تجعل دول العالم تهتم بها وتحرص على خصوصيتها وتحميها من مخاطر الطامعين بها.

وهذا الدور الذي تقوم به الإماراتان الخليجتان دبي وقطر بالذات هو تماماً الدور الذي كان الرئيس رفيق الحريري يريده للبنان وسعى كثيراً من أجله، بل إنه

وضع اللبنة الأساسية له. وهو عندما كان يحرص على البقاء رئيساً للحكومة فمن أجل أن يستكمل مشروعه الإعماري الضخم. كما أنه عندما كان يخزن في صدره مرارة ألعيب البعض ونزق البعض الآخر وإهانات بعض رموز الأمن السوري له خلال سنوات عهد الوصاية السورية، فليس لأنه رجل لا تعنيه كرامته ولا هو متساهل في كبريائه وإنما من أجل ألا يتسبب عدم التحمل وطبيعة رد الفعل في انتكاسة للمشروع الإعماري إياه. وعندما أقول ذلك أستحضر توضيحات سمعتها منه وبالذات في زمن وصلت فيه المكيدة إلى درجة عدم التحمل وكنت من بين الذين قالوا له إن جسيم الاستقالة من رئاسة الحكومة تبقى أفضل من نعيم التروؤس في ظل المكيدات والإهانات العنصرية (نسبة إلى بلدة عنجر حيث مقر الإشراف السوري الأمني والسياسي والإستثماري على لبنان وقيادة غازي كنعان ثم رستم غزالي). وكثيراً ما كان يُقسم بالله العظيم وبرحمة الإبن حسام الذي كسر فقدانه في حادث سيارة قلب والده الرئيس فما عاد يعنيه شيء في هذه الدنيا، إنه لولا الحرص على إكمال المشروع النهضوي لما كان بقي لحظة في الحكم. أما إيجابيات البقاء رئيساً للحكومة فهي أنها تسهّل عملية الإنجاز. وفي جلسة التوضيحات المشار إليها كان في غاية الإرتياح لعملية إعادة بناء السراي الحكومي الذي سألني بعد زيارة برفقته لتقّـد أعمال الترميم جاءت نتيجة إبداء رغبتي بكتابة مقالي في "الشرق الأوسط" عن هذا المعلم التاريخي وفي خاطري عنوان "إليزيه البيارتة" للمقالة. ولقد استوقفني إختياره عبارة "لو دامت لغيرك لما آلت إليك" لوضعها محفورة بخط جميل فوق البوابة الداخلية للمبنى تأكيداً ضمنياً منه أنه يدرك تمام الإدراك أن البقاء في ترؤس الحكومة ليس إلى ما لا نهاية وإن هديته وهو الجنوبي ابن صيدا عاصمة الجنوب المحتل ثم الصامد فالمقاوم فالمتحرر، لبيروت التي فيها ومنها يبدأ الاستنهاض ويأخذ مداه الأرحب هو السراي في الدرجة الأولى وبكامل رونقها. ولقد إستوعب أهل بيروت، أو "البيارتة"، على نحو التسمية الشعبية، معنى الهدية وشعروا بعنفوان من دون أن يأخذوا كما الرئيس رفيق الحريري في الاعتبار أن هذا الإبتهاج قابله إحساس لدى الآخرين وبالذات لدى الشيعة أن بيروت والحريري والطائفة السنية حالة متوحدة. وعلى رغم أن البرلمان هو

في عهدة الرئيس الشيعي وتحديدًا رئيس "حركة أمل" نبيه بري إلا أن الوضع في نظر أبناء الطائفة يختلف حيث انهم يرون أن الحريري اعتنى كل العناية بـ "بيروته" ولم يعتبر الضاحية الجنوبية جزءاً من هذه آل "بيروت" فضلاً عن أنه إختصر الجنوب بمدينته صيدا ولم ينظر بعيداً في اتجاه مناطق الكثافة الشيعية في بعلبك والهرمل ومئات البلدات المنتشرة حولهما وبينهما.

نظم الرئيس الحريري إذا كنا نظن بأنه لم يدرج كل ما عدا "بيروته" في برنامج الإعمار، ذلك أن الرجل وعلى نحو ما نسمعه منه كان يدعو المولى عز وجل أن يطيل بعمره لأن المشروع الإعماري طويل ومتشعب وأنه يبدأ من بيروت لينتهي في آخر نقطة حدودية مع سورية شمالاً وشرقاً وكذلك جنوباً حتى الناقورة وصولاً إلى مزارع شبعا التي أحيى لنفسه تسجيل رأي عابر له فيها وفي منطقة "حلايب" بين مصر والسودان قال ذات لقاء معه إنه كلام ليس للنشر كي لا تكثر التفسيرات في شأنه. وخلاصة هذا الرأي تحويل مزارع شبعا، وبموجب مشروع إعماري دولي - عربي ضخيم يمتد على مدى نصف قرن، إلى أحياء سكنية وتجارية نموذجية تباع من الفلسطينيين المقتردين ويتملك فيها الفلسطيني غير المقتر من التعويضات التي سيحصل عليها في حال تم وضع التسوية النهائية للصراع العربي - الإسرائيلي موضع التنفيذ، وبذلك لا يعود هنالك مخيمات للاجئين الفلسطينيين لأنه لن يكون هنالك لاجئون وإنما لبنانيون من اصل فلسطيني يتمتعون بكل حقوق المواطنة كما الأزمن الذين إندمجوا وصار لهم نواب في البرلمان والأكراد الذين إندمجوا لكن لا نواب لهم، إنما شرط عدم ممارسة النشاطات الحزبية على أنواعها. وعندما قلت للرئيس رحمة الله عليه ما معناه هل تقصد أن تكون هذه الأحياء هي البديل عن الأحياء الفلسطينية وبحيث تكون الأسماء على سبيل المثال "حي يافا" و"حي عكا" و"حي حيفا" و"حي صفد" و"حي الجليل" و... و... أجاب ما معناه أن المجتمع الدولي ونحن منه في صدد الحل الواقعي الذي يحفظ كبرياء الناس. أما بالنسبة إلى "حلايب" المنطقة الحدودية المتنازع عليها بين مصر والسودان فإن الرئيس المأسوف عليه قال لي ما معناه إن مثل هذه المشكلة قد تبقى عشرات السنين إذا كانت الأمور ستعالج على قاعدة هذا يقول إنها حقه والآخر يقول الشيء نفسه، والحل الذي أراه هو جعل "حلايب"

منطقة حرة للتجارة يتقاسم البلدان عوائدها وتصل أهميتها مع الوقت إلى الأهمية التي وصلت إليها منطقة "جبل علي" في دبي، وسأبحث هذه الفكرة مع إخواننا السودانيين عندما أزورهم قريباً. ولم تتم الزيارة لأنه إغتيل.

هكذا كان يفكر الرجل ومن أجل ذلك رأى أن مشروعه الإعماري الشامل يتطلب إستمراره على رأس السلطة التنفيذية بدليل أنه عندما أقصوه عن السراي بدأ المشروع يتعثر وبدأ "البيارته" يشعرون انه في محنة وان هنالك خطة تستهدف إنتزاع الشأن منهم وكان حدسهم في محله لمجرد أن تم إغتيل رفيق الحريري وهو رئيس وزراء سابق لقطع الطريق على إستئناف ترؤسه. ومنذ ذلك اليوم وتلك الفجعة و"البيارته" في حالة شعور بالاستهداف وخوف من المجهول في حال أصاب مكروه الإبن الوارث سعد الدين الحريري، لأن معنى ذلك أن تخلو الطائفة السنية أو تحديدًا "بيارته" بيروت من الزعامة التي تقرر وتقود، وذلك لأن رفيق الحريري إهتم بمشروعه أكثر من الإهتمام بإستحداث من هم مؤهلون لتزعم الطائفة بدليل أن في بيروت وفرة من النواب والسياسيين الحريريين السنة إلا انه ليس هنالك عدا سعد الحريري من يتزعم وبصيغة الإبن الوارث. وأما زعامة الرئيس فؤاد السنيورة فإنها وديعة. وبلغة المال التي يتقنها الرجل فإن الوديعة تزد، فضلاً عن أن زعامته السياسية زعامة طارئة تنتهي بإنتهاء ترؤسه وعلى نحو ما حدث لمثيله في عالم الإقتصاد والمال الدكتور أمين الحافظ، إلا إذا كان لكل قاعدة إستثناء وأن تجربة السنيورة في إدارة الأزمة التي حظيت برضى من المجتمع الدولي مثلت حيثية مهمة في إعادة تكليفه... إنما هذه المرة من دون أن تعني سرعة التكليف سرعة التأليف إلا إذا أراد الزعيم السياسي للشيعه نبيه بري إستحضار زمن الود بينه وبين الرئيس رفيق الحريري وبذلك ينتهي التحرش الشيعي بـ "البيارته" وتتقاسم الطائفتان زعامة العاصمة، ولا يتحقق المرام الشيعي في أن يكون للطائفة في غياب الزعيم التاريخي رفيق الحريري دورها في تزعم العاصمة ما دام هناك من يمي النفس بالتزعم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأحد 15 يونيو (حزيران) 2008

* * *

مصر وحكاية "رغيف العيش": من هدية الملك فهد إلى الزرع في السودان

حيث أنني متابع لتداعيات وعكة عابرة أصابت العلاقات السعودية - المصرية في النصف الأول من العام 1987، ثم جاء القمح السعودي هدية الملك فهد بن عبد العزيز رحمة الله عليه للشعب المصري والكلام المداوي للأمير سلمان بن عبد العزيز بعد افتتاحه في القاهرة يوم 17 يوليو (تموز) من العام نفسه يشكّلان لحظة لهفة سعودية نحو الشعب الشقيق...

وحيث أننا نعيش منذ أسابيع مع إخواننا أبناء مصر المحروسة أزمة تتمحور حول الرغيف وإحياء فكرة زرع القمح لحساب مصر في السودان...

فإنني من باب التنوير لقارئٍ إقتحمت ذاكرته ويلات أكبر فلم يعد القمح وأزمة الرغيف حاضرة في البال وقارئ من جيل الشباب لم يعايش معنى بادرة الملك فهد طيّب الله ثراه وحيثيات الأمير سلمان أطال الله عمره لتلك المبادرة، أعرض كمتابع عايش بإهتمام تلك الأيام القمحية الخوالي وقائع البادرة كمدخل للحديث عن إحياء فكرة زرع القمح لحساب مصر في أرض السودان بعدما بدأت أزمة الرغيف ترقع كالطبول وتبعث الخشية من اختلاط الحابل الرغيفي بالنابل السياسي الحزبي وبذلك قد تتهزّز أسس البنيان العربي الشامخ الذي إسمه مصر. في البداية وحرصاً من المملكة في ضوء وصية الوالد المؤسس الملك عبد العزيز طيّب الله ثراه على أن تكون مصر والسعودية مثل جناحي طائرة إذا جاز التوصيف، وعلى خلفية سحابة التوعك في العلاقة وما رافقها زمنذاك من كلام غير مستحب إلتنقى الأمير سلمان بن عبد العزيز في باريس بالرئيس حسني مبارك الذي كان في زيارة رسمية لها. ولقد سمعنا من الأمير بعد لقائه بالرئيس المصري كلاماً في منتهى الدفء عن مصر. كما أن إرتياحاً نوعياً لاحظناه لدى استفسارنا من المحيطين بالرئيس مبارك لما سمعنا من أمير الرياض الذي أبلغه أن معرض "الرياض بين اليوم والأمس" الذي افتتحه في باريس سيحمل بعد الآن تسمية "المملكة العربية السعودية بين اليوم والأمس" وأن دورته الأولى بهذه التسمية ستكون في القاهرة يوم الجمعة 17 يوليو (تموز) 1987 وأنها ستكون بما معناه نقطة البداية

للعبور المتبادل بين مصر والسعودية. والعبور هنا بمعنى العمل على عودة الجامعة العربية إلى القاهرة من تونس وإستعادة الحضور المصري الذي غيبت قرارات قمة بغداد التأديبية رداً على زيارة الرئيس السادات إلى القدس وإنفراده بمحاولة تطبيع للعلاقات مع إسرائيل برعاية الرئيس جيمي كارتر الذي صال وجال قبل أيام في المنطقة محاولاً تحويل "المستحيل الحماسي والسوري" إلى ممكن. لكن كيف ما دام يقوم بإتصالات وهو غير مكلف من الإدارة الجمهورية بل انه موضع إعتراضها وغير مؤيد من حزبه (الديمقراطي) الذي يتبارى حصانه (أوباما) وفّرّسه (هيلاري) في تعطيل أي مسعى للاتصال الرسمي بـ "حماس".

في القاهرة إستكمل الأمير سلمان ما بدأه في باريس مع الرئيس مبارك. وقبل وصوله إليها لإفتتاح المعرض كان الملك فهد سجل وقفة ترمز إلى النخوة تمثلت بإرسال هدية من القمح إلى مصر مرفقة ببرقية نشرتها وسائل الإعلام السعودية بالنص الآتي: "صاحب الفخامة الأخ الرئيس حسني مبارك حفظه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحية أخوية مقرونة بأطيب التمنيات، وبعد. بمناسبة إنتهاء الموسم الزراعي في المملكة العربية السعودية لهذا العام يسرني أن أقدم نيابة عن شعب المملكة العربية السعودية لجمهورية مصر العربية مائتي ألف طن من القمح السعودي وهي هدية رمزية تعبر عما تكنه المملكة العربية السعودية من تقدير وإحترام لجمهورية مصر العربية بقيادتك الحكيمة. ودمتم في حفظ الله. فهد بن عبد العزيز".

كانت هذه الهدية من حيث معناها بأهمية معنى تزويد مصر بمستلزمات يحتاجها جيشها لصد العدوان الإسرائيلي في الزمن الذي سبق حرب رمضان (أكتوبر) 1973، وكان السخاء السعودي زمنذاك لهذا الواجب في ذروته، فضلاً عن أن الهدية هي نوع من تباهي الملك فهد بالجائزة التقديرية في الإكتفاء الذاتي من المنظمة الدولية للأغذية والزراعة (الفاو) حيث بلغ محصول المملكة من القمح المحلي في العام 1985 مليوناً وثلاثمائة ألف طن منها 1500 طن احتياطي.

وعزز معنى الهدية الأمير سلمان الذي ضاعف في القاهرة مدة أقامته فيها بينما لم يفعل ذلك خلال دورات المعرض في كل من بريطانيا وألمانيا وفرنسا. وأراد من البقاء 12 يوماً في القاهرة الإحياء بأن مصر في البال وفي

الوجدان، ثم أضفى بجوابه عن سؤال طرحناه عليه لدى وصوله إلى القاهرة حول الهدية القمحية، المزيد من التقدير وبكلمات بعيدة عن المجاملة حيث قال ما يريد والده المغفور له الملك عبد العزيز أن يقوله أبناؤه عن مصر "إن الشعب المصري في مقدمة الشعوب العربية وإنه من الواجب إعترافاً بدور الشعب المصري ومساهمته الفعالة في إمداد السعودية بالخبرة والأيدي العاملة في كل المجالات، أن يرى الشعب المصري بنفسه إنجازات شقيقه الشعب السعودي...". أما الرئيس مبارك، وأيضاً بأسلوب ما قل ودل، فإنه طوى صفحة التوكل العابرة في العلاقات بالقول بعدما تحادث مطولاً مع الأمير سلمان: "إن العلاقات بين مصر والسعودية علاقات طبيعية أصيلة وجذورها قوية. وطوال عمرنا نتعامل، والسفراء موجودون، نزوح ونجى... والسفير ربما لا يعرف".

عند التأمل في السنوات التي تلت ذلك وصولاً إلى ما هو حاصل من ود وتقاهم وتنسيق بين الملك عبد الله بن عبد العزيز والرئيس مبارك ربطاً بوصية الملك المؤسس لأبنائه الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد وعبد الله، وحرص رؤساء مصر عبد الناصر والسادات ومبارك، نفهم كيف أن التوكل يتراجع على قاعدة حُسن النية والإعتراف المتبادل بالجمائل مرسين وعمالاً كانت أو أطناناً من القمح جاءت وكأنما هي باقية من الورد إيداناً بالتعافي المتواصل في العلاقة.

وفي هذه الأيام حيث دخل العالم حقبة الأزمة الغذائية ويتلازم ذلك مع إرتفاع مذهل في سعر برميل النفط تجاوز الـ 115 دولاراً للبرميل ويريد الرئيس الإيراني المفعم حماسة نووية محمود أحمدي نجاد أعلى وأعلى، تتصدر مشكلة القمح والأرز حقبة الأزمة الغذائية وترى مصر التي أصبح فيها "لا صوت يعلو على صوت رغبة العيش" كما شعار أواخر الحقبة الستينية "لا صوت يعلو على صوت المعركة" هو الأساس بأهمية أي قضية أخرى، أخرج أهل الحكم المصري من ملف تراكُم عليه الغبار والتردد ويتعلق بالتكامل مع السودان ليأخذوا منه نقطة من عشرات النقاط التي تتعلق بهذا التكامل الذي طالما صال حكام البلدين وجالوا حوله وإتفقوا على أهميته وكادوا أيام صفاء النوايا بين الرئيسين أنور السادات رحمة الله عليه وجعفر نميري أطل الله عمره، وفي زمن كان عدد سكان مصر خمسين مليوناً وعدد سكان السودان عشرين مليوناً، يحولون التكامل إلى أمر

واقع. بل أن السادات وعد نميري بميناء للسودان على المتوسط بين مطروح والإسكندرية.

مع الأسف لم يتم شيء من ذلك أبداً. وها هي الضائقة الرغيفية تعصف بمصر التي طالما صدحت منها حول القمح حنجرة الموسيقار محمد عبد الوهاب "القمح الليلة عيده... يا رب تبارك وتزیده" والتي وصل عدد سكانها إلى سبعين مليوناً فقُترّر وبعدما كان عدد سكان السودان وصل إلى أكثر من ثلاثين مليوناً وفق إحصاءات غير دقيقة يعمل الحكم السوداني الآن مع شريكه الجنوبي على جعلها دقيقة وثابتة، حل المشكلة عن طريق زراعة القمح في عشرات ألوف الفدادين من أرض السودان. وتزامن مع هذه الرغبة الملحة من جانب مصر تفكير حكومات خليجية بإعتماد الحل نفسه خصوصاً أن رقم المساحات القابلة للاستصلاح والزراعة وسرعة الإنتاج تتجاوز 200 مليون فدان. وللمرء أن يتصور المساحة عندما نضرب 200 مليون بأربعة آلاف هي مساحة الفدان الواحد بالأمتار المربعة. كما للمرء أن يأسف عندما يرى أن السودان هو الآخر يستورد سنوياً ثلاثة ملايين طن قمح ومصر ثمانية ملايين طن.

هذه المساحة الهائلة وتلك الأزمة المعيشية المتفاقمة خير مناسبة لإخواننا أهل الحكم السوداني لكي يعيدوا النظر في "إنقاذهم السياسي الحزبي" ليصبح "الإنقاذ المعيشي الإستثماري" وهذا يعني أن تنشأ حكومة تمثل كل الأطياف السياسية في السودان برموز تكنوقراط قادرة على جعل الدول التي تخشى من عدم الإستقرار في السودان نتيجة الصراعات والتفرد وتهميش طرف يحكم لأطراف فاعلة في المجتمع السوداني تطمئن وتقتنع فتستثمر. وليكن في ضوء ذلك شعار "اطمئن أنت تزرع في السودان" كما شعار "إبتسم أنت في الشارقة" وشعار "ماذا تنتظر لتستثمر في لبنان وفلسطين" وبعد أن يطوي "حزب الله" ورقة التمسك بالسلاح وتطوي "حماس" الورقة الغزالية وبالتالي يصبح لبنان المبتلى بصراعات لا معنى لها ومعه فلسطين التي إستقر الأمر الدولي على قيامها دولتين محايدتين لا علاقة لهما بالبدعة الثورية التي ورطت الشعوب بقضايا إنتهت إلى أن هذه، أي الشعوب، شعباً بعد آخر على أهبة أن يشتهي "رغيف العيش".

صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 20 يونيو (حزيران) 2008

* * *

صلوات العطار الروحي لإصلاح الفساد السياسي

بدل إعتبارها «قمة روحية» فإن الأصوب إعتبارها «القمة الروحية - السياسية» تلك التي إستضافها القصر الجمهوري اللبناني بدعوة من صاحب القصر الرئيس ميشال سليمان يوم الثلاثاء 24-6-2008 فهي لم تتعقد لدواع إيمانية كما أنها غير مسبوقة على النحو الذي جرى، فضلاً عن أن أصحاب السيادة والسماحة والنيافة من شيوخ وبطاركة يخوضون غمار الحديث السياسي في كل عظة أو بيان أو تصريح أو مقابلة مع وسائل الإعلام، مع الفارق أنهم في ما يقولون ويُدلون ويُصدرون يكثر من التمنيات على رموز الصراع السياسي أن يخففوا من حدة الخلافات في ما بينهم ويتفقوا ولو على الحد الأدنى من اجل كرامة الوطن وطمأنينة المواطن.

وما إنتهت إليه القمة يجعلنا نتساءل: ما الذي كان يمنع لو أن اقطاب الصراع السياسي المغامي كانوا مشاركين في هذه القمة أي بما معناه يكون كل قطب سياسي لهذه الطائفة أو تلك مشاركاً إلى جانب المرجعية الروحية لطائفته ولا تعود القمة من أجل التقاط صورة تذكارية وإصدار بيان تغلب عليه التمنيات، وإنما قمة حوارية بين أهل الصراع السياسي تكون المرجعيات الروحية الشاهد الأمين عليها.

والجواب عن ذلك هو أن رئيس الجمهورية أراد قبل أن يبدأ الحوار المأمول في رحاب القصر الجمهوري تعزيز موقفه مستقوياً بالمرجعيات الروحية وأنه يريد من ذلك القول ما معناه إنه إذا كانت المرجعيات الروحية متفقة على مضمون بيان موحد فما الذي يمنع رموز حلبة الصراع السياسي من أن يتوصلوا إلى إتفاق مماثل؟ لكن قبل ان يبدأ الحوار الذي نشير إليه يبقى الإجتماع المشترك بين رموز المرجعتين الروحية والسياسية برعاية رئيس الجمهورية وترؤسه وإشراك من يُمثل دولة قطر وكذلك الأمين العام للجامعة العربية، ضرورياً وذلك من اجل تثبيت التشكيلة الحكومية في حال تم اجترح معجزة التشكيل وبذلك لا يصيب «الحكومة - المعجزة» ما أصاب «التسوية . المعجزة» في الدوحة حيث أنه لمجرد عودة «المثقفين» إلى بيروت شمروا عن الساعد وأطلقوا اللسان يقول ما يجوز وما

لا يجوز، وبحيث أن ما لا يقوله بعض الكبار يقولونه لصغارهم، ودخل البلد نتيجة ذلك في الدوامة التي نعاني منها على مدار الساعة.

ونكرر القول إن «القمة الروحية» أو «الروحية . السياسية» جاءت تهدئ بعض الخواطر وربما تجعل الرئيس ميشال سليمان يتصرف كرئيس مقدام خصوصاً حالة الصراع على الحكومة ليست مجرد عمل سياسي وأنها في بعض الممارسات تشبه «حالة فتح الإسلام»، وهي حالة ضد الوطن جملة وتفصيلاً. وإذا كان ميشال سليمان (العميد) قاد بكل مقادمية عسكرية معركة مواجهة «فتح الإسلام» فإنه مطالب بكل مقادمية سياسية مواجهة الأعياب اللاعيبين المتلاعبين. وبين يديه أسلحة دستورية وتأييد شعبي صامت ووقفة مستجدة من جانب المرجعيات الروحية هي بقوة الأسلحة التي استعملت في مواجهة «مناضلي» حركة «فتح الإسلام». وحتى إذا كان بيان القمة بدا كما لو أنه في بعض مفرداته مثل خطبة صلاة في مسجد أو عظة في كنيسة حيث أنه يستأنس بما ورد في «خطاب القسم» ويدعو من دون أن يسمي إلى التعاون مع مجلس النواب والحكومة العتيدة إلى تثبيت أركان الوحدة والأمن والاستقرار ومعالجة القضايا الاقتصادية والاجتماعية، إلا أنه لحظة روحية - سياسية لافتة خصوصاً اذا هي تعززت بالمزيد من التوضيح والصرحة في ما هو آت من حُطب في المساجد وعظات كنسيّة قبل إجترح معجزة تشكيل الحكومة وبعد حدوث المعجزة التي يتمنى كل لبناني حدوثها وينتظر بفارغ الصبر هذا الأمر المفروغ منه في الدول التي يحرص فيها أولو الأمر على مصالح البلاد والعباد. وقد نجد من يقول إن الرئيس ميشال سليمان إنسان طيب القلب وأن رموز الصراع السياسي في لبنان غلاظ القلوب ولذا فلا أمل يُرتجى لتحقيق الانسجام المطلوب، وأن إستجاده بالمرجعيات الدينية هو من باب تدعيم إرادة إستتباط الحلول وهذا معناه أن دور المرجعيات الدينية بالمفردات الروحانية هو تسهيل ما يعيقه أهل السياسة أو مثل محاولة العطار الذي يحاول إصلاح ما أفسد الدهر وإعتبره الشاعر العربي أمراً مستحيلاً أو على الأقل من غير السهل تحقيقه وهذا واضح في قوله وبصيغة التساؤل «... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟».

ومثل هذا الإصلاح ربما هو ممكن لو أن رموز

الصراع السياسي يهابون مرجعياتهم الدينية لكن الذي يلاحظه المرء أن شأن المرجعيات السياسية في لبنان أهم بكثير من شأن المرجعيات الدينية وإن نسبة احترام بعض السياسيين للمرجعيات لا يرقى إلى مرتبة عالية، وإن فإن الخطوة الدينية لن تصل إلى ما هو أبعد من التمنيات وهذا ما نراه في محاولتهم.. إلا إذا ارتأى هؤلاء إعلان ما يجوز تسميته «الاعتصام الروحي» في واحد في مقر المرجعيات أو بالتداول مرة في الصرح البطريركي ومرة في دار الفتوى المرجعية السننية ومرة في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ومرة في مقر الطائفة الدرزية ومرة في كل من مقار بقية المرجعيات المسيحية ومنها الأرمنية. وقد تبدو هذه الفكرة مستغربة ولكن عندما تكون هنالك حالة مرض صعبة وتكون العلة مسببة للألم الذي لا يطاق، يصبح التفكير باعتماد كل الوسائل حتى غير المألوف منها أمراً مطلوباً وضرورياً. فضلاً عن أن في التاريخ الحديث للتأزم السياسي والفوضى الأمنية في لبنان سابقة اعتصام يعود تاريخها إلى 33 سنة أقدم عليها الإمام موسى الصدر الذي اعتصم في مسجد شيعي يوم الجمعة 27 يونيو (حزيران) 1975 ولم يفك اعتصامه إلا بعدما تشكلت حكومة ما لبث رئيسها رشيد كرامي أن اغتيل في وقت لاحق أما الإمام الصدر فإنه إما مغيب في نظر طائفته الشيعية وسيعود كما «المهدي المنتظر» وإما جرت تصفيته خلال زيارة قام بها إلى ليبيا أو خارجها لأن السلطات الليبية ما زالت على تأكيد روايتها بأنه غادر طرابلس إلى روما.

والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 30 يونيو (حزيران) 2008

* * *

الإعوجاج النجادي والتملص البشري

في الوقت الذي تتزايد نسبة التصعيد من جانب الإدارة الأميركية والحكومة البريطانية والرئاسة الفرنسية ومعها الدول الحليفة الكبرى نسبياً مثل إيطاليا وأستراليا وكندا وألمانيا واليابان في الموضوع النووي الإيراني وتقترب لحظة فرض المزيد من العقوبات على إيران

إستباقاً لضربة أو ربما تزامناً مع ضربة في حال لم توافق إيران النجادية على رزمة الحوافز التي عرضتها مجموعة 1+5 وهي أميركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا والصين والإتحاد الأوروبي... في هذا الوقت لا يجد الرئيس محمود أحمدي نجاد أمامه سوى المزيد من التشدد في الموضوع إياه، أي القدرة النووية، وذلك لأنها ورقته الوحيدة التي إذا لم تثمر معه لن يكون معصوماً وسيصبح مغضوباً من الشعب الإيراني لأنه ليس فقط وضع إيران في نقطة عدم إطمئنان الجيران إلى نواياها، وإنما أضاع ثروة هائلة على مشروع يعرف سلفاً أنه بالنسبة إلى المجتمع الدولي محكوم بضوابط.. أي بما معناه لن يترك هذا المجتمع إيران تتجز الخطوة تلو الأخرى على طريق امتلاك النووي السلمي دون رقابة وذلك لأن دول هذا المجتمع وبالذات المالكة للسلاح النووي تعرف تمام المعرفة أن النووي السلمي يصبح سلاحاً نووياً بالقليل من الجهد والكثير من الإنفاق عليه. وبالنسبة إلى إيران فإن الحكم الحالي مستعد ليس فقط للقليل من الجهد وإنما للكثير الكثير، كما أن خيارات النفط وفيرة وفي الاستطاعة الإنفاق بسخاء على المشروع النووي، مع ملاحظة أن الإرتفاع المذهل في أسعار النفط يخفف عن الحكم النجادي عبء الإنفاق. وزيادة في التوضيح نقول إنه لو أن الإنفاق إستمر على الوتيرة نفسها ولم يرتفع سعر برميل النفط ويصل إلى حد المئة وثلاثين دولاراً لكانت إيران التي تعيش في الأصل أزمة إقتصادية ستشهد إنتفاضة ضد التوجه النجادي يصعب على الرجل تطويق تداعياته برؤيته الحماسية - الإيمانية التي طالما عبّر عنها من خلال إحياءات قال إنها تصله من الهالة الدينية للمهدي المنتظر.

على رغم ذلك يأتي التملص التدريجي البشري من الحليف الإيراني يشكّل صدمة قد يستفيد منها خصوم التوجه النجادي، خصوصاً أن الرئيس بشار الأسد ذهب بعيداً وسيذهب على الأرجح عميقاً ثم أبعد وأعمق في موضوع التفاوض مع إسرائيل وتوظيف ما بدأه في هذا الشأن في تنشيط قنوات الإتصال مع دول العالم بما من شأنه فك طوق العزلة على الحكم السوري. ومن المؤكد عندما يشارك الرئيس السوري في القمة المتوسطية في باريس يوم 13 تموز (يوليو) المقبل ويقول وزير الخارجية الفرنسية برنار كوشنير إن بشار الأسد سيكون إلى الطاولة نفسها مع الوفد الإسرائيلي وأن الجولة

الأخيرة من التفاوض غير المباشر بين الوفدين السوري والإسرائيلي في تركيا شهدت إتفاقاً على الارتقاء من البحث في الأمور التقنية إلى البحث في المضامين وستُستأنف على مرحلتين في تموز المقبل، ولا يكون رد الفعل الإيراني بالنارية المعروفة عن الرئيس نجاد الذي ينادي في استمرار بزوال إسرائيل، فهذا دليل على الصدمة التي نشير إليها. وفي حال اغتتمت فرنسا الساركوزية مناسبة إستضافة الرئيس بشار وجمعت بينه وبين رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت أو رئيس الدولة شيمون بيريز أو وزيرة الخارجية تسيبي ليفني كون أحدهم سيتأثر وفد إسرائيل إلى القمة، فإن الصدمة الإيرانية ستكون أشد وطأة ولن يخفف من شدتها قول سفير إيران لدى سورية أحمد موسوي قبل أيام (الثلاثاء 17-6-2008) "إن العلاقات السورية - الإيرانية جيدة جداً ومَن يحاول تعكير هذه العلاقات فشل في الماضي وسيفشل في المستقبل، وهناك نصف مليون سائح إيراني يزورون سوريا سنوياً وينفق كل واحد منهم بمعدل متوسط من 1500 دولار إلى 2500 دولار وهو أمر إيجابي كأحد مؤشرات التعاون الإيجابية بين البلدين، كما أن وفداً من رجال الأعمال السوريين سيزور طهران خلال الأيام المقبلة". وتلك في أي حال حيثية تبقى أقل بكثير مما ستجنيه سوريا من نجاح التفاوض مع إسرائيل، وصولاً إلى إتفاق يعيد الجولان المحتل بموجب تسوية شبيهة بتلك التي حصلت عليها مصر السادات، مع ملاحظة أن إستعادة سيناء تمت في ضوء نصر عسكري نسبي بينما إستعادة الجولان في حال حدوثها ستكون في ضوء تسوية تسالمية تُغني عن المواجهة العسكرية وتحقق للنظام مكاسب شبيهة بتلك التي تجنيها مصر مبارك.

في ضوء ذلك وبعد العرض الدولي السخي لإيران الذي ينعشها إقتصادياً ويحقق لها النووي السلمي تحت المراقبة ويمنحها دوراً إقليمياً لن يرتاح له بطبيعة الحال الجيران الخليجيون، ما الذي يمكن تصوّر حدوثه في إيران؟

هل ينسحب نجاد بهدوء معتبراً أن العرض الدولي هو لمنفعة إيران الدولة والشعب لكنه ضد رؤيته ومشروعاته رافضاً أن يسجل على نفسه وهو الداعي إلى إزالة إسرائيل والمراهن على ورقة التحالف مع الحكم السوري، التراجع والوقوف راضياً بالعرض وساكناً أمام

التحول النوعي في الحكم السوري من ممانع إلى متفاوض مع إسرائيل قابل بوجودها متعايش مع جوارها متخلياً عن مفاصل أساسية تعلق إيران عليها الآمال الكبرى وأهمها المفصل المتصل بـ "حزب الله" في لبنان و"حركة حماس" في فلسطين والمفصل الآخر المتصل بتغاضي سوريا عن الهوى الإيراني بالعراق؟

أم هل يدفع بالأمور إلى حافة الهاوية وفي اعتقاده أنه من خلال قلب الطاولة على ما فوقها من خرائط ومخططات وإستراتيجيات يمكن أن يصبح رجل إيران القوي من خارج مؤسسة رجال الدين؟

في نهاية الأمر هنالك رجال دولة في إيران ينظرون إلى الأمور بتعقل ويملكون القدرة على استقراء ما في الغيب السياسي. ومن هنا فإن تفكير السيد محمد خاتمي بمعاودة ترشيح نفسه رئيساً للبلاد قد يكون الحل للخروج من المأزق وتغادي إيران وضع نفسها في عنق الزجاجة، كما أنه الرئيس الذي يرتضي، ومن دون أن يكون كمن يتجرّع السم تلك الحيثية الخمينية الشهيرة، بالنسبة إلى وقف القبول بوقف إطلاق النار مع عراق صدام حسين، العرض الدولي السخي ما دام يشكّل بداية لتقويم الإعوجاج وإراحة البال الشّاري من تداعيات التملص المباغت، وما دام ينقذ إيران من ويلات هي في غنى عنها. وإذا كان خاتمي لن يرشح نفسه فهناك البديل الذي هو رئيس مجلس الشورى (البرلمان) علي لاريجاني الشخص الواقعي الذي يزن الأمور بدقة كما صُيّاغ الذهب وبصبر كما تُساج السجاد وتتعقل وضمير كما رجال الدولة الذين يرون أن الوطن يبقى أهم من الشخص.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 4 يوليو (تموز) 2008

* * *

سكون في سوريا "المفاوضة"

وضجيج في العراق المصافح

في سوريا سكون لافت يرافق جلسات التفاوض الإسرائيلية - السورية بترتيبات أردوغانية في الظاهر ومن دون أن ينبري نائب في البرلمان يطلب أيضاً

إيضاحات أو يسجل موقفاً.

وفي العراق ضجة حول المصافحة الطلبنانية - الباراكية بترتيبات عباسية في الظاهر أيضاً، كما تلك الضجة في اللاذقية على نحو تصوير الشاعر العربي لها ببضعة أبيات مطلعها "قي اللاذقية ضجة ما بين أحمد والمسيح.. هذا بناقوس يبق وزا بمئذنة يصيح...".

والقصد من تشبيهنا هذا هو أن الموضوع المضاجع عليه طبيعي كون الفاعل والمحتج على الفعل يعيشان تحت مظلة الإحتلال المقبول من كليهما. وفي هذه الحال فإن ما فعله رئيس الدولة ليس وزراً في ضوء ما هو حاصل في المشهد العام كما أن إحتجاج المحتج على الفعل يبدو مثيراً للإستغراب، إذ قبل أن تعترض على الفعل تذكر أنك محتل من قبل أميركا.

ولكي لا يبدو ما نقوله كما لو انه كلام حول الغاز، نشير إلى أن الرئيس جلال طالباني شارك في "المؤتمر الدولي للاشتراكية" في اثينا بعدما عاد من زيارة إلى واشنطن ظاهرها لمعالجة زيادة وزنه وما ينشأ عن هذه الزيادة من مضاعفات وجوهرها حسم موضوع المعاهدة التي تنتظر الإدارة البوشية من الذين يحكمون العراق لحساب أميركا إبرامها قبل أن تتصرف هذه الإدارة وتبقى الأمور عالقاً وعلى جانب من التعقيد والإرتباك.

وبينما الرئيس طالباني في طريقه إلى قاعة الاجتماع، أو بعد مغادرة القاعة لا ندري، باغته الرئيس الفلسطيني محمود عباس بمبادرة متعمدة وتتلخص في جمعه بوزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك المشارك في مؤتمر "الدولية الاشتراكية". وعند اللقاء نظرة على اللقطة المصورة للقاء يتضح أن الوزير باراك المسؤول عن تصفية عشرات المناضلين في غاية الإبتهاج وأن الرئيس العراقي غير منزعج مما فعله الرئيس الفلسطيني، وكيف ينزعج وهو الذي سبق وأدلى وهو في واشنطن بتصريحات أوحى فيها بالإستعداد لخطوة سلام عراقية - إسرائيلية يشجعه على ذلك ما يفعله الحكم السوري الذي خطا خطوات لافتة على طريق التفاوض مع إسرائيل.

ما فعله الرئيس طالباني حدث مع مسؤولين عرب ومسلمين في مثل هذه المؤتمرات، وفي ملتقى "دافوس" السويسري الذي شهد ذات مرة تبادل الكلام والسلام بين أحد رموز الحكم الإيراني الرئيس السابق خاتمي وشيمون بيريز الرئيس الحالي للدولة في إسرائيل. ودائماً كان التبرير: إنها مجرد مصادفة وإن تقاليد العرب والمسلمين

تقرض على المرء أن يمد اليد إلى اليد الممدودة إليه وأن يرد على التحية بمثلها أو بأحسن منها.

في بغداد قوبل بالإحتجاج البسيط نوعاً هذا الذي فعله الرئيس طالباني الذي انتخبه مؤتمر أثينا نائباً لرئيس "الإشتراكية الدولية" مما يعني أنه مستقبلاً أو بدءاً من ترسيمه في هذا المنصب ليس فقط سيتبادل السلام مع من يمثل إسرائيل في "الإشتراكية الدولية" وبطريق الصدفة وإنما سيكون في الإجتماعات مناقشاً معه ومستمعاً إليه ما دامت الرقعة الإشتراكية حدثت. فقد طالب ظافر العاني عضو البرلمان العراقي بمثل الرئيس طالباني أمام البرلمان وتوضيح ملابسات ما فعله من دون أن يقتنع المطالب بهذا الإستجواب بما أوضحه مكتب طالباني من أن الرئيس إستجاب لطلب رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس وإن ما جرى "كان سلوكاً إجتماعياً حضارياً لا ينطوي على أي معنى أو تداعيات أخرى ولا يحمل العراق - الدولة أي إلتزامات، كما أنه لا يؤسس لأي موقف مغاير لسياسات جمهورية العراق وتوجهاتها ومواقفها الداعمة للشعب الفلسطيني والسلطة الوطنية الفلسطينية". وكعبير عن عدم الإقتناع فإن النائب ظافر العاني قال في تصريح يوم الجمعة 4-7-2008 "إن من المؤسف حقاً قيام رئيس الجمهورية بمثل هذا الموقف الذي جرح الشعب العراقي بأكمله من شماله إلى جنوبه وأن التبرير الذي قدّمه رئيس الجمهورية ليس مقنعاً ذلك أن إختيار طالباني نائباً لرئيس الإشتراكية الدولية جاء بسبب صفته الإعتبارية رئيساً للدولة العراقية، ونحن ما زلنا مع الكيان الصهيوني في حالة حرب، وإن شواهد قبور العراقيين الذين قُتلوا على أيدي الكيان الصهيوني ما زالت موجودة في فلسطين وسوريا وسيناء والأردن وهي شاهدة على العدوان الإسرائيلي الذي شمل أيضاً مُفاعِل تموز في العراق في مطلع الثمانينات. وبالنسبة إلى التبرير بأن المصافحة جاءت من الرئيس طالباني بصفته رئيساً للاتحاد الوطني الكردستاني وليس كرئيس للدولة، نقول إنه ليس مسموحاً لأي رئيس حزب حتى إن لم يكن في السلطة بل ولا حتى لأي مواطن عراقي أن يقيم علاقات مع دولة عدوة لم تُعقد بيننا وبينها أي هدنة...".

في بداية الأمر لم تصمد الضجة التي أثارها البرلمان ظافر العاني لسببين: الأول هو أن "جبهة التوافق"، أكبر الكتل السنية في البرلمان، المنتمي إليها

إعتبرت موقفه مجرد رأي شخصي وقال المتحدث بإسمها سليم عبد الله "إن من حق أي عضو في البرلمان التعبير عن رأيه في أي قضية تُطرح ولكن هذا لا يعني الموقف الرسمي للجبهة. إن أعضاء الجبهة غير مسرورين لهذه المصافحة ولكن الجبهة تتفهم بعض التبريرات للأفعال وقد لا نتقبل تبريرات أخرى. وفي أي حال لا أعتقد أن هذا الأمر سيؤدي إلى مساءلة رئيس الجمهورية لأنه يتمتع بالحقوق والصلاحيات التشريعية التي تمنع عنه هذه المساءلة". أما السبب الثاني فهو أن "عانيًا" آخر هو نصير العاني رئيس ديوان رئاسة الجمهورية رأى أن آراء "العاني" البرلماني بشأن المصافحة الطلبانية - الباراكية "هي آراء فردية ولا تعبّر عن وجهة نظر رسمية وهي تعبيرات للإعلام ولا يمكننا الرد عليها لأنها آراء فردية...".

لكن بعدما سلكت المسألة طريق المزايدة فإن منسوب الضجة ارتفع قليلاً. وما نقصده بالمزايدة أن بعض الصديريين جماعة السيد مقتدى وجدوا أن السنة في شخص "التوافقي" ظاهر العاني كان المبادر في التصدي للفعل الطلباني، فاندفع أحمد المسعودي أحد نواب الكتلة الصديرية ليقول في لهجة أعلى: "لقد قلت لرئيس البرلمان محمود المشهداني إن المصافحة صفقة في وجه الشعب العراقي. إنها انتهاك للقانون، ولقد تلقيتُ العديد من الشكاوى من عراقيين حولها وإن بعض النواب طالبوا بإعتذار أو حتى الاستقالة". كما أن علي الأديب النائب عن "حزب الدعوة" الذي يتزعمه رئيس الحكومة نوري المالكي قال: "من المفروض أن يُمثّل الرئيس السياسة العراقية، التي تعني عدم الاعتراف بإسرائيل.. لذا يجب عليه أن يعتذر".

حتى الآن لم ترتفع وتيرة رد الفعل الكردي وبقي عند حدود القول الملطف للنائب الكردي فؤاد معصوم بما معناه إن الرئيس محمود عباس قدّم باراك إلى الرئيس جلال طالباني "ومن غير المنطقي أن يرفض المصافحة وهذا لا يعني أن العلاقة طبيعية بين العراق وإسرائيل".

هذا الضجيج جاء مترامناً مع الواقعة المتعلقة بثلاثمئة مخطوطة دينية باللغة العبرية من بينها تعليق لـ "سفر أيوب" نُشر عام 1487 وجزء من "كتب الأنبياء" نُشر في البندقية عام 1617، اختفت خلال الغزو الأميركي - البريطاني للعراق ووصلت إلى إسرائيل ثم جرى نقلها إلى الولايات المتحدة عام 2003 لصيانتها.

وفي حين قيل أن القوات الأميركية إكتشفت وجود الصناديق وعددها 27 التي كانت الوثائق والمخطوطات في داخلها خلال مدامات إستهدفت حي المنصور في بغداد، فإن رواية أخرى تفيد أن إسرائيل إشتريت الوثائق والمخطوطات من لصوص. والآن وقد إنتهى أمر هذه الثروة في أميركا فإن المطالبة بإستعادتها ستكون في إطار مفاوضات لمعرفة ما إذا كانت سليمة أو أن إسرائيل اكتفت بتصويرها ثم سلّمتها إلى السلطات الأميركية المختصة.

نُخلّص إلى تسجيل ملاحظتين:

الأولى هي أن الضجيج الدائر في العراق حول المصافحة الطلبانية - الباراكية يتزامن مع سكون عميق في سوريا يرافق جلسات التفاوض السورية - الإسرائيلية غير المباشرة في تركيا التي يقال إنها ستكون خلال أسابيع مباشرة. وهكذا تكون انقلبت الآية.

الثانية هي أن الاعتراض على المصافحة على نحو ما أشرنا يعني انه ما زال في العراق بقية نظرة عروبية للصراع مع إسرائيل لكن الإختراق الكردي لهذه النظرة أقوى على ما يجوز الاعتقاد.

... ولولا ذلك لما كان الرئيس جلال طالباني صافح ولا كان الوزير زيباري سكت ولا كان مسعود بارزاني لا سمح ولا رأى... ولا نطق. وهؤلاء حالهم مثل حال أهل السياسة الحاليين في سوريا المجاورة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الجمعة 11 يوليو (تموز) 2008

عبدالله بن عبد العزيز المبشر من قلب أوروبا بعالم أفضل

إعتاد العالم في الماضي على ظاهرة التبشير التي طالما أسست لصراعات طائفية وهي ظاهرة لم تنته. وهذه على سبيل المثال واقعة إغواء شخصين جزائريين مسلمين من أجل اعتناق البروتستانتية تكاد تشعل فتنة بين الجزائر المسلمة والمجتمع الأوروبي.. وبالذات حيث كنائس جماعات التبشير لا تزال تنشط. وفي المحصلة النهائية أن مثل هذه المحاولات تثير

الشبهات وليست الحل للمجتمعات في أي حال، فضلاً عن أنها تؤسس للتعصب والتطرف بما يهدد النسيج الاجتماعي لشعوب كثيرة.

مناسبة كلامنا هذا أن المجتمع الدولي وبكل أطيافه الدينية والمذهبية كان يوم الأربعاء 16.7.2008 يتأمل في ما يقوله من مدريد قلب أوروبا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز في كلمة افتتح بها "المؤتمر العالمي للحوار" وكيف أن هذا القائد الإسلامي الذي تحتضن بلاده الحرمين الشريفين وتسعى بكل دأب وإخلاص لفك أسر الحرم الثالث يقوم بدور تبشيري. لكن شتان بين التبشير التقليدي، والتبشير بمجتمع سياسي دولي يرتكز إلى إستبدال الصراع بالوئام، والعنف بالحوار، والبغضاء بالقيم. وهو في ذلك لا يميز ولا ينحاز ويرى أن الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وكذلك المعتقدات الشرقية البوذية والكونفوشوسية والهندوسية، قادرة في ظل الحوار أن تتعايش... بل وتستفيد من بعضها البعض، وبذلك يصبح متيسراً سد الثغرات التي ينفذ منها أصحاب أفكار تصل الحال بطارحيها إلى بذر الشقاق وتحريض أطياف المجتمع بعضها ضد بعض. وما نعيشه منذ بضع سنوات دليل على أن الأفكار التي روج لها أصحابها على أنها الحل أسست لحالات من العنف ذهب ضحيته ألوف الأبرياء، فضلاً عن أنها أسست لـ "مجتمع الجريمة السياسية" تحت ستار تفسيرات لكتاب الله والحديث لا علاقة لها بالمنطق من قريب أو بعيد، كما أنها تشحن النفوس غرائز من البغضاء للآخر.

ولقد إنبرى في الماضي مفكرون عقلاء كثيرون من مختلف الأديان والمذاهب طارحين الأفكار الخلاقة، لكنها بقيت في إطار التنظير لأن وضعها موضع التنفيذ كان يحتاج إلى من يراها وبحيث يكون صاحب شأن قيادي وليس إستقزائياً في طروحاته مهما كانت طبيعة مشاعره، وعلى نحو ما فعل الرئيس بوش الابن الذي لم يكلف نفسه الإحاطة بالدين الإسلامي ولذا لم تستطع إدارته ضبط غرائز كثيرين إعتبروا ما حدث من عمليات إرهابية بأن الدين الإسلامي هو دين إرهاب، ووصلت الحال بالبعض أمثال الرئيس الحالي للكنيسة الكاثوليكية إلى أن يقول في محاضرة له كلاماً في شأن الإسلام وعلاقته بالعنف مجافياً لحقيقة الدين الحنيف وجوهره. كما أن هذه النظرة من جانب البابا جعلت بعض الكتاب

والرسامين الأوروبيين يخرجون عن آداب الكتابة والتعبير الفني بالريشة ويكتبون ويرسمون ما من شأنه قلب الحقائق. ثم جاء لقاء الملك عبدالله بن عبد العزيز بالبابا بيدد الكثير من الشوائب ويضع الأمور في مدار الحقيقة المجردة من الغرض.

في أي حال كان لا بد من إحتضان على المستوى الفاعل لمبدأ الحوار بين المتدينين وعدم ترك الأمور مجرد أفكار مطبوعة في كتب أو أحاديث مبنوثة عبر الفضائيات وبذلك يمكن محاصرة الذين يثيرون الشغب الفكري وبالذات في ما يتعلق بالدين الإسلامي، ويعتبرون أنه دين العنف وأنه العائق أمام التفاهم بين الأمم كونه يرفض بقية الأديان وكذلك المعتقدات غير السماوية، وهو في أي حال رأي منقوص الدقة وقائلوه من المغرضين.

من هنا فإنه عندما يتقدم الرمز الأهم في الأمة الملك عبدالله بن عبد العزيز بما تمثله المملكة العربية السعودية التي خصها الله سبحانه وتعالى بشرف ونعمة إحتضان الحرمين وبما لأبي متعب شخصياً من مكانة في المجتمع الدولي، ويقول ما معناه: حيّ على الحوار وبين بني البشر من دون إستثناء، ويعتبر بعقل رجل الدولة والحكمة أن مآسي البشرية لم تكن بسبب الأديان وإنما بسبب تطرف البعض، وإن إلحاق الهزيمة بالكراهية يكون من خلال المحبة مذكراً في إستمرار بأن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية، فإنه بذلك أطال الله عمره يقوم بدور المبشّر من أجل عالم أفضل. وهو دور سيذكره التاريخ له لأنه دور إنفاذي يقوم به في زمن بات الحوار والتسامح والوسطية لا تأخذ فرصتها أمام التعصب الأعمى والتشدد الذي هو الجامع المشترك بين كثيرين في الغرب والشرق على حد سواء. ومن شأن حكمة الملك عبدالله بن عبد العزيز ترويض هؤلاء من خلال ما يطرحه وتحصين قيادات المستقبل من هذا "الفيروس" الذي إبتلي العالم به طوال عقد من الزمن وكان دائماً في انتظار المصلح الذي ينقذ الجميع من شر هذا "الفيروس" الذي شوه الحقيقة فبات الحق باطلاً والباطل حقاً.

بورك سعي الملك عبد الله بن عبد العزيز. وأما أفراد هذه النخبة المشاركة في مؤتمر مدريد الذين وقفوا تقديراً وتصفيقاً له بعدما طرح رؤيته ومن دون أي تزويق، فإنهم فعلوا ذلك نيابة عن ملايين في العالم لا يخفون

قلقهم من تداعيات الفوضى الفكرية وبالذات حول الأديان ويخشون من مستقبل مظلم للأجيال. وهؤلاء باتوا يرون في الأفق ملامح عالم أفضل يتبادل الجميع وكل بلغته عبارة: السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله... ولك الشكر يا عبدالله

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 5 أغسطس (آب) 2008

* * *

وصفة الدكتور معمر للمكابر أمام المستكبر

إذا قالت خدام فصّدقوها.. فإن القول ما قالت خدام. بهذا البيت الشعري أوجز الشاعر العربي النصيحة في شأن أمور حدثت في عصره. وإذا قال الرئيس الليبي معمر القذافي ما قاله يوم الثلاثاء 5-8-2008 لأهل الحكم الإيراني، فإن من مصلحة هؤلاء أن يصغوا إليه. فهو صديق قديم للجمهورية الإسلامية في إيران وقف إلى جانبها بنسبة مدروسة خلال الحرب الصّدامية - الخمينية. وهو صاحب تجربة عريقة في مجال اعتماد سياسة التحدي دامت بضع سنوات دفعت بلاده بسببها أثماً باهظة جاءت على حساب التنمية والتطوير والتصنيع. وبعدما رأى أن لا جدوى من مواصلة التحدي فإنه إستبدل التحدي بالمرونة وبدأت ليبيا بذلك ترمم تداعيات عقدين من التحدي.

وما قاله القذافي لأهل الحكم الإيراني وعبر الأثير خلال مناسبة تكريمية له في تونس حيث منّحتّه جامعتها "دكتوراه فخرية" كان الآتي: "إن ما تقوم به إيران ليس سوى مجرد مكابرة. والتحديات أكبر من قدرة إيران على مواجهتها. وفي حال إتخذ الغرب قراراً بالهجوم على إيران فإن مصيرها سيكون المصير ذاته للعراق. فإيران وحدها ليست لأقوى من العراق ولا يمكنها أن تصمد. كما أنها قد تواجه وضعاً شبيهاً بيوغسلافيا نتيجة لعزلتها الدولية. فمن كان يتصور أن يوغسلافيا يمكن أن تخفي في رمشة عين".

في كلامه هذا لا يقرأ "الدكتور معمر القذافي" في الفئجان وإنما يبني كلامه على التحليل والمعلومة وقبل ذلك على تجربة التحدي التي طالما ارتبطت بسياسة

تعامله مع القضايا الدولية، مع ملاحظة أن التحديات القذافية كانت أقل بكثير من التحديات النجادية حيث أنه لم يهدد بالصواريخ وبزوال إسرائيل وبضرب المصالح الأميركية حيث وجدت وبإغلاق مضيق هرمز الذي يهدد اخواننا الإيرانيون بإغراق سفينة فيه لتعطيل الملاحة ووقف إمدادات النفط إلى دول العالم. لكنه مع ذلك إختار في نهاية الأمر إعتما المرونة متحملاً كل التتظيرات التي وُجّهت إليه كإسهام. لكن لم يهمل تنظير المنظرين ما دام أعاد ليبيا إلى المكان الطبيعي بعيدة عن الحصار والعزلة المفروضة عليها، فضلاً عن أن هذه الاستعادة تجعل ليبيا تقترب أكثر من شاطئها الأوروبي وتتأى بعض الشيء عن فيافيها الأفريقية، وربما تيسر أمر التورث بحيث لا توغر الأوساط الدولية غير المرئية الصدور الليبية أمام سيناريو واضح المعالم وخلاصته أن تبدأ السلالة القذافية الثانية في شخص الإبن سيف الإسلام من حيث تصل إليه السلالة الأولى في شخص العقيد الوالد معمر القذافي نتيجة خيار شخصي.. أو تحت تأثير واقع صحي ليس بالضرورة أن يكون مثل الذي أصاب الزعيم الكوبي فيديل كاسترو ولا مثل الذي حدث في سورية للسلالة الأسدية حيث تم تورث الإبن بشار لمجرد رحيل الأب حافظ. ونقول ذلك مع ملاحظة أن الرئيس القذافي هو من دعاة التروث غير المحدد بدليل انه يلح على الرئيس التونسي زين العابدين بن علي لكي يجدد التروث وبذلك لا يبقى القذافي وحده عميداً للرؤساء المعمرين وإنما يكون للعمادة آخرون سبقهم القذافي في التروث مثل الرئيس حسني مبارك الذي لم يحسم أمر التورث شبه المبوت ضمناً من جانبه للإبن جمال والرئيس علي عبدالله صالح الذي يتطلع إلى تورث الإبن أحمد والرئيسين بن علي وعمر حسن البشير اللذين لا أبناء لهما لكي يورثان.

بالعودة إلى ما بدأناه نشير إلى أن "الدكتور معمر" في وصفته إلى أهل الحكم الإيراني ورثة الحقبة الخمينية لم يكتب هذه الوصفة في صيغة رسالة سرية للغاية يبعث بها مع موفد رئاسي إلى طهران، وإنما كان حريصاً على أن يقولها علناً أمام الناس وتتناقلها وكالات الأنباء والإذاعات والفضائيات وكأنما يريد بذلك القول ما معناه: يا إخواننا في إيران إن إمامكم آية الله الخميني جمّد المكابرة عندما إرتضى وقف إطلاق النار مع

العراق وإن كان بقوله إنه بقراره هذا "كمن يتجرع السم" زرع ضمناً بذرة الثأر ذات يوم وهذا ما يحدث من إيران للعراق. كما أنه يريد القول ما معناه إن ليبيا لن تكون إلى جانب إيران في حال اصرت هذه الأخيرة على المكابرة وتركت أميركا وغيرها تكرر معها ما سبق وإرتكبه في حق العراق. وهو ما قاله في الماضي الرئيس حسني مبارك للرئيس صدام حسين الذي لم يتجاوب مع تمنيات الرئيس المصري وغيره في أن يسحب قواته الغازية من الكويت ويوفر على العراق كارثة ستحدث ولن تمنع حدوثها صواريخه وتهديداته وثقلته المفرطة بالنفس وبقيالق الحرس الجمهوري والجيش. كما يوفر على المنطقة تداعيات حالة من المتاعب الاقتصادية فضلاً عن إستشراء الشكوك في النفوس وتقويض أعمدة الخيمة العربية التي كانت حتى تلك الغزوة العراقية المبغوضة للكويت تجمع الشمل وتحقق وحدة صف تبقى معقولة بالقياس إلى ما آلت إليه الأحوال بعد الغزوة، وكيف أن العرب فقدوا العراق في رمشة عين على نحو تبعثر يوغسلافيا في غمضة عين وكما يمكن، على حد وصفه "الدكتور معمّر"، أن يحدث لإيران إن هي أصرت على المكابرة وأصر الإستكبار البوشي والذين حوله على تأديب هذه الدولة العنصرية على إرادة دولية... على رغم أن هذه الإرادة ذات طابع إستبدادي. لكن وبلغة أهل ليبيا: الله غالب.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 14 أغسطس (آب) 2008

تحية السيد حسن الألفية لبيروت...

وتراثها كما يرويه صائب بك

جاءت التحية الألفية لبيروت يوم الخميس 14.8.2008 من السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" لفئة طيبة من جانب سيد المقاومة ينطبق عليها المثل السعودي "ما تأخر من جاء". فعلى رغم أن التحية متأخرة إلا أنها حدثت بعد ذلك وجاءت تخفف من أوجاع معنوية في نفوس البيارة الذين بوغتوا بإقتحامات لا موجب لها من جانب محازبين شيعية

ينتسبون إلى "حزب الله" و"حركة أمل" وحلفاء لهما تجاوز الجميع في هذه الإقتحامات الأصول وحقوق المواطنة وأكدوا أن العصب الطائفي ما زال يتقدم على العصب الوطني.

ولأن السيد حسن من النوع الذي يجرح ويدوي أو بالأحرى يدوي إذا هو جرح، فإن التحية الألفية كانت أكثر من مرهم، بل لعلها إذا جاز القول كانت بلسماً من كلمات طالما تطلّع البيارة إلى سماعها منه ونقيض مفردات "عمّارية" و"موسوية" غير مستحبة. والتحية هذه وردت في خطابه لمناسبة الذكرى الثانية لـ "النصر الإلهي" على عدوان إسرائيل إيهود أولمرت في تموز (يوليو) 2006 على لبنان تقطيعاً لأوصاله وتدميراً لجسوره وكان اللبنانيون وبالذات البيارة وجبل لبنان المسيحي - الدرزي، خير حاضن للنزوح الجنوبي بعشرات الألوف جرّاء هذا العدوان، وجاءت على النحو الآتي: "تحضرني عودة النازحين إلى قراهم وبساتينهم وبيوتهم كل أولئك الذين إحتضنهم أيام نزوحهم على المدن والقرى والمساجد والكنائس والمدارس والجامعات والبيوت والحدائق العامة، والبعض دائماً يطالبنا بتحية هنا أو تحية هناك وأنا أسمع كثيراً من يقول نحن نطلب تحية لبيروت. أصلاً نحن لسنا خارج بيروت أو إننا أجنب عن بيروت لنوجّه تحية إلى بيروت، ولكن ونحن من أهل بيروت أنا اليوم أقول تحية وألف تحية لبيروت العاصمة... عاصمة العروبة والوطن والمقاومة والصمود. والتحية لجبل لبنان بكل أقضيته وسكانه وأهله وتياراته السياسية...". (الخ).

جاءت التحية الألفية لبيروت من سيد المقاومة متزامنة مع عدة محطات لافتة في المشهد اللبناني. فالحكومة السنيورية تشكلت وجاءت الولادة بعد مخاض عسير وغدت في نظر رئيس البرلمان نبيه بري "حكومة شرعية" بما يشبه المبايعة كون الثقة التي نالتها كانت "ثقة مؤنية": مئة نائب منحوا الثقة. خمسة عارضوا. إثنان إمتنعوا. وهذه "الثقة المؤنية" جاءت هي الأخرى ترضي البيارة الذين بعد الهجمة النارية على رمز زعامتهم رفيق الحريري وإبنه سعد الدين وعلى مناطقهم وبالذات قلاع تلك الزعامة فضلاً عن التهشيم الجارح لشخص فؤاد السنيورة وإعتباره رئيس "حكومة غير شرعية" مما يعني أن الطائفة السنية لا شرعية لها، شعروا أنهم أمام مخطط إلغاء سياسي لهم وبقوة السلاح.

فيه.

وهذا الإستحضار من جانبنا لذكر صائب بك، كما
المناداة الشعبية والرسمية له، يحملنا على الإشارة إلى أن
مهلة السنوات العشر بعد الوفاة التي تضمنتها وصيته
لكي ينشر الابن تمام تراث والده بمحوريه الرئيسيين:
المذكرات السياسية اللبنانية العامة، والعلاقات بينه وبين
عدد من القادة العرب وأبرزهم الملك فهد بن عبد العزيز
والرئيس جمال عبد الناصر، قاربت على الإنتهاء وعلى
هذا الأساس سيتم النشر قريباً. وبالإضافة إلى هذين
المحورين تناهى إلينا أن صائب بك كان كثير الإهتمام
بالكتابة عن الشخصية البيروتية وتراث بيروت وتقاليد
عاشتها العاصمة في الزمن الغابر ومنها ما يتعلق
بـ "قبضات البيارة" وكشاشي الحمام فوق سطوح
المنازل.. وخلاف ذلك. ولعل سيد المقاومة حسن
نصرالله الذي هو في سن أبناء صائب بك يدرك عند
قراءة هذا "التراث السلامي" بقلم قائد مقاومة شعبية من
نسيج آخر وفي زمن صراع على المنطقة يشبه في
بعض جوانبه صراع الحاضر، سر إعتزاز البيروتي
ببيروته... سواء كان هذا البيروتي صميمياً مثل صائب
سلام وآخرين أو كان وافداً بانياً لها وساكناً فيها من
أصل صيداوي وسعودي الهوى مثل الرئيس رفيق
الحريري

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 27 أغسطس (آب) 2008

* * *

تأملات سياسية وشعرية في القلق

السعودي المستديم على لبنان

كانت المملكة العربية السعودية التي يصادف عيدها
الوطني هذه السنة الأسبوع الأخير من شهر الصوم
المبارك جعل الأمتين من عواد المناسبتين، مهمومة بكل
لبنان، وبالذات بما آلت إليه أحوال العاصمة الأولى
بيروت والتي لم ينقطع الإهتمام بها أدوية وطواقم طبية
وودائع ونجذات إستثنائية ومواد تموينية ونصائح وبالذات
في ضرائها تاركة للبنانيين على تنوع أطياهم المذهبية
والسياسية الإستمتاع باللحظات السراء، فإذا بها تجد

كذلك جاءت التحية بعد ساعات من حالة إنفراج
للكابوس الناشئ عن وصول منسوب التأزم في العلاقة
اللبنانية - السورية إلى درجة الانفجار. ونعني بحالة
الإنفراج ما أسفرت عنه الزيارة الأولى لميشال سليمان
كرئيس للجمهورية إلى دمشق والتي أثمرت بداية حركة
تصحيح للعلاقة اللبنانية - السورية حيث تم الإنفاق
على إقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفير وهي
خطوة مهمة قياساً بما مضى وخجولة بما هو مطلوب
ومأمول وبالذات ما يتعلق بترسيم الحدود ونقل العلاقة
من دهاليز الأساليب الأمنية إلى رحاب الأصول
الدبلوماسية والإقتصادية التي تخدم المصالح المشتركة.
وهذا الانفراج الذي نشير إليه يرتاح له اللبنانيون كما
السوريون كمواطنين تواقين إلى استعادة صفاء العلاقات.
أما بالنسبة إلى "حزب الله" فإنه يجعل قدرته على الحركة
السياسية تأخذ مداها، ويزيح عن صدر الزعامة السياسية
للشيعية متمثلة برئيس "حركة أمل" ورئيس البرلمان نبيه
بري جبلاً ثقيلاً من الإحراج الذي يحول دون أن ينفذ ما
هو مقتنع به وليس فقط ما هو بدافع الوفاء لسوريا الابن
بعد الأب مضطر للإصرار عليه، مثل حجب جلسة
تتويج العماد ميشال سليمان رئيساً للجمهورية في إنتظار
أن تتضج ظروف بدء إنحسار العزلة الدولية المفروضة
على الحكم البشاري.

ومن محاسن الصدق أن الوزير الوحيد الذي رافق
الرئيس ميشال سليمان في زيارته إلى سوريا كان فوزي
صلوخ وزير الخارجية وهذا، بقصد أو من دونه، كان في
بعض جوانب حضوره يمثل الرئيس بري في هذه الزيارة.
ويا ليت الرئيس سليمان تنبّه إلى الأمر وأشرك وزيراً
سنياً في الوفد ليس من صلب الحالة الحيرية المتحفظة
حتى إشعار آخر على عودة العلاقة مع الحكم السوري
من دون تصحيح للشوائب وبالذات ما يتعلق بكشف
حقيقة إغتيال الرئيس رفيق الحريري وفي الوقت نفسه
ليس حاداً في موضوع العلاقة مع سوريا. ومثل هذا
التوصيف ينطبق على وزير الثقافة تمام سلام البيروتي
الأصيل الخارج حديثاً من "الفتو" الحريري عليه الوارث
عن والده الرئيس الراحل صائب سلام الإيمان بأهمية
العلاقة اللبنانية - السورية الخالية من الغش اللبناني
والطمع السوري، فضلاً عن أن للوزير تمام خصوصية
مضافة هي أن أحواله سوريون ومن النجوم المضيئة في
الزمن السوري الذي كان للعائلات السياسية العريقة شأن

نفسها مشغولة البال على العاصمة الثانية طرابلس ونجد السفير الدكتور عبد العزيز خوجة المحزون من إرتفاع منسوب الترددي الذي وصل إليه الوضع في لبنان يتلقى توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز بأن يستكشف ميدانياً أحوال العاصمة الثانية ولا ينتظر أن يأتيه رموز المدينة من العلماء رجال الدين ومن علمانيين سياسيين وفعاليات إقتصادية وأكاديميين ومفكرين إلى رحاب السفارة ليوضحوا له ما يحدث وإنما يتوجه إلى العاصمة الثانية يرى ويستمع ويستمع. وهذا ما حدث، حيث أن السفير خوجة كان الوحيد بين سفراء الأمتين، ونكاد نقول نيابة عنهم، الذي توجه السبب 2008/8/23 إلى طرابلس، بلد الأفندية الرؤساء الثلاثة الأب عبد الحميد كرامي والإبنين الرئيس الشهيد رشيد وكاظم الغيظ الرئيس عمر، المبتلاة بحرب من صنع غير لبناني، ليسمع من مفتيها الشيخ مالك الشعار صاحب النبرة الهادئة حتى عندما تكون احتمالات المخاطر كبيرة كلاً لا ينقصه الوضوح ولا يخلو من الخشية فضلاً عن أنه جديد إلى حد ما على مسمع اللبنانيين. ومما قاله: "نحن لا نعيش أزمة معيشية بل نقاوم معركة الوجود السني الإسلامي وهويتنا مهددة بالأقول. كل السنة في المنطقة يشعرون بسند بوجود المملكة العربية السعودية وإذا كُسر شوكة المدينة فذلك يُنذر بزلزال كبير للوجود السني في لبنان والمنطقة المجاورة. كما أن العرب والمسلمين محزونون عبر المملكة بشخص خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة ووليّ عهده...". ويضيف المفتي الشعار مخاطباً السفير خوجة "تتكرر محاولات الفتنة في طرابلس كي تُجر إلى معركة وتعم الفوضى. وإذا عمت الفوضى فلن تتوقف في طرابلس وتكون النهاية هي التي يعمل لها الآخرون من أجل طائف جديد تختل فيه التوازنات السياسية في لبنان، فبدل أن يقوم لبنان على قاعدة ثنائية مسيحية - إسلامية يفرضون علينا قاعدة جديدة ونظرية خطيرة أن يقوم لبنان على المثالثة، وهي لا تجعل المسيحيين جميعاً في ثلث وكفى، بل تجعل الهيمنة على القرار السياسي في لبنان لمفتلي الأزمة".

أفترض شخصياً أن كلام مفتي طرابلس والشمال يحمل في طياته نداء إستغاثة ما كان الشيخ مالك الشعار ليوجهه لو أنه رأى أن القدرة المحلية على مواجهة وضع مستجد على طرابلس متوافرة. ومع أن

السفير خوجة كعادته ينأى عن الإنفعال ويتحدث كما الشيخ الشعار بكل الهدوء داعياً إلى التهدئة "من أجل أن يبقى لبنان هذا البلد العظيم مستقراً"، إلا أن تشخيصه لمكانة طرابلس في النفس السعودية قيادة وشعباً كان أمراً جديداً علينا لم نسمعه من قبل مفترضين أن العاصمة بيروت هي كل ما يشغل البال السعودي فإذا بنا نرى أن المملكة مهمومة لأحوال العاصمة الثانية بالقدر نفسه للعاصمة الأولى وستكون مهمومة بالعاصمة الثالثة صيدا وبكل عاصمة محافظة من محافظات لبنان المبتلى بأبشع حالات التلاعب الحزبي والسياسي بمصيره. وهي إضافة إلى أنها مهمومة نراها مهتمة بإعادة كل ما هو مرتبك في الوطن إلى الوضع المستقر، ومن دون التوقف عند إفتراءات يتزامن حدوثها مع افتعال الفتن وكأنما بمقدور المفتري تغطية محاولات إشعاله الفتنة بالإكثار من الافتراءات. وهنا نلاحظ أن الرد السعودي على هذه الافتراءات وعلى نحو تلخيص السفير عبد العزيز خوجة له لا يكون بفظاظة المفتري وإنما بكل اللباقة الدبلوماسية واحترام الخصوصية اللبنانية وهذا لمسّه الذين حضروا مجلس المفتي الشعار وسمعوا الدكتور خوجة يقول "نحن في لبنان في بلاد حرة، كل واحد يقول ما يريد. ونحن لا نجبر الناس على شيء وكل أناء ينضح بما فيه. أننا نعمل بشفافية ووضوح والجميع يشهد على ذلك ولا نجبر أحداً على مبادلتنا الحب بالحب...".

وكاننا بالسفير الدكتور عبد العزيز خوجة يرى في لبنان.. كل لبنان، وليس طرابلس التي سارع الخطى للوقوف على محنتها ولا بيروت التي سبق أن أدمى وجدانه ما أصابها، انه القمر الذي يتمنى كشاعر أن يبقى على إضاءته لا أن ينتهي حاله كما جاء في الخمسة عشر بيتاً هي قصيدته التي كتبها يوم 2008/8/19 عندما تنأى إلى سمعه ما يحدث في طرابلس. ومن يتأمل في بعض كلمات الأبيات الخمسة عشر يستطيع تصوّر أي حال هي حال السفير خوجة التي هي من حال بلاده قيادة بارة بالأمة وكأنها الأم. ولبنان هو القمر الذي يجب ألا يافل ولا أن ينتحر. والأبيات هي:

تقول ابنتي أحقاً كان عندكم قمر.. يغازل النجوم كل ليلة ويؤنس العشاق في ليل السمر. يا ليتني يوماً أراه.. سهرت ألف ليلة حتى السحر. بحثت عنه في السماء لم

أره. ما عاد شخص ذكره. كأنه أسطورة قد كان من عمر البشر. قرأتُ عنه في الكتب.. سمعتُ عنه في الأغاني والأدب وفي قصائد الهوى.. يشدو بها لحن الوتر. سمعتُ عنه في الوعود.. سمعتُ عنه شاهداً على العهود. لكنه كما يقال قد رحل.. وبعضهم قد قال لي بأنه أفل.. وبعضهم أسرَّ لي بأنه إنتحر.

وهذه الأبيات هي توأم أبيات سابقة بدا فيها الدكتور السفير الشاعر عبد العزيز خوجة نائماً على لبنان وما إنتهى إليه مآله:

لبنان في قلبنا نار تؤرقنا.. خوفاً على بلد قد عزَّه الأزل. هذي هي الأرزة الشماء دامعة.. هذا هو الجبل العملاق ينفعل. كأن لبنان لا أرض ولا نسب.. وأهل لبنان من لبنان قد رحلوا. أين الثقافة هل جفَّت منابعها.. أين النهى نورُه ضاءت به الدول. جُرَّح على الأمل المكسور ينحرن.. لبنان عد أماً فالجرح يندمل. يا ساسة البلد المستنجد إتحدا.. هذي بلادكم والسهل والجبل. لبنان إني على عهدي رفيق هوى... مهما يطل بُعدنا فالجمع يشتمل.

ما لا تفيض حوله القريحة يتولاه اللسان. وما لا يدمل الجرح من خلال وقفات النخوة المستديمة من المملكة يستحضره سفيرها بعبارات لم يعتد اللبنانيون سماعها من زوارهم العرب والأجانب. وكلها عبارات تركز على أن الحوار يمنع الفتنة والإستقرار يحقق الإزدهار وإصلاح البنية التحتية يكون بإصلاح البنية السياسية. وهي عبارات سمعها اللبنانيون قبل الأزمة وخلال تداعياتها وسمعوها بعد أن إعتد السفير خوجة دبلوماسية التهئة لكل وزير تسلَّم حقيبة من دون تمييز بين حقائب سيادية مهمة وحقائب خدمات وحقائب شرفية. وهو يحرص على أن يتم كل ذلك في وضوح النهار. ولأنه شاعر فإنه يضيف على ما يقوله مفردات يستقبلها اللبنانيون بأقليتهم المعلنة وأكثريتهم الصامته بإمتنان. وهم جميعاً على إقتناع بما اعتمدته المملكة، ملوكاً أبناء عن والد مؤسس، صمد أمام الفتنة والمفتنين نهجاً ورؤية في التعامل مع شعوب الأمتين. وبالنسبة إلى لبنان فإن الرؤية مرفقة دائماً بالعبارة التي أوردتها الدكتور عبد العزيز خوجة في يونيو (حزيران) الماضي مع نبيه بري حامل الرئاسة برلمان ورئيسة "حركة أمل" المأمول منها استيلاء موقف سياسي شيعي موحد. والعبارة هي "إن علاقة المملكة هي مع لبنان

كدولة بكل طوائفه ومجموعاته السياسية".

وهكذا فإنه على خلفية القلق من تزايد الكلام حول حديث الفتنة السنية - الشيعية والضجيج الذي يرافق هذا الحديث جاءت زيارة السفير خوجة إلى طرابلس تشكل علامة فارقة تتسجم كل الإنسجام مع حرص الملك عبدالله بن عبد العزيز على تدعيم ما سبق أن تم إنجازه بالنسبة إلى لبنان في عهد الملك فهد بن العزيز وكيف أن إتفاق الطائف أنقذ وطناً. وها هي اللحظة الحرجة التي يواجه فيها الإتفاق مخاطر الفتنة تؤكد أن المنقذ يحتاج الآن إلى من ينقذه من تلاعب المتلاعبين. وليس غير عزيمة الملك عبدالله بن عبد العزيز وإخوانه وصفاء النوايا من جانب بعض أولي الأمر الحزبي والحركي والديني في لبنان، من في إستطاعته أن يتولى الإنقاذ، وبذلك ينجو لبنان المصوب عليه من خارج الحدود القريبة والبعيدة... والأبعد.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 10 سبتمبر (أيلول) 2008

* * *

"الرفيقان" بشار وفلاديمير:

من يستدرج من؟

في الوقت الذي كان مقياس التحدي الروسي يعلو قليلاً ثم يهبط كثيراً وتحاول المفردات السياسية يقولها الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف (معنى كلمة "ميدفيد" بالعربية الدب) المستقوي برئيس الحكومة فلاديمير بوتين (من كلمة "بوت" ومعناها بالعربية طريق أو هو طريق) وتتناغم إدارة هذا الأخير للأزمة مع ما يقوله صديقه ميدفيديف، فاجأ الرئيس بشار الأسد مضطراً الصديق الروسي بالوقوف إلى جانبه في موضوع الأزمة مع جورجيا معتبراً أن هذه آل "جورجيا" بالنسبة إلى روسيا مثل لبنان بالنسبة إلى سوريا. الدولتان منسلختان والتطلع إلى إستعادة كل منهما لا يخفى على من يتابع الفعل والقول من جانب الرئيس بشار عن "لبنانه" والشائئ ميدفيديف - بوتين عن "جورجياهما". ثم يرفع الرئيس بشار منسوب المفاجأة وكان أضاف إلى الإستقواء بالرفيق الروسي بعض الإستقواء بالصديق

الفرنسي المباغت الرئيس ساركوزي، وذلك بأن أهدى بحر طرطوس لتكون فيه بضعة أميال تستقر وتجوب فوقها وربما تحت الماء قطع من الأسطول الروسي.. وهو عرض يسيل له اللعاب البوتيني في زمن التهميش الأميركي - الأوروبي للكرملين كرقم صعب في المعادلة الدولية.

إلى هنا يكون "الرفيقان" بشار الأسد وعملياً فلاديمير بوتين إستدرج كل منهما الآخر مسافة ملحوظة لم تصل إلى منتصف الطريق لكنها قابلة للتطور أو للإندثار. وعلى وقع تصريحات ومواقف روسية لفظية لافتة وجهها رجلا الكرملين إلى أميركا والدول الأوروبية مثل "لسنا جمهورية موز" و"يجب أن نحسب لنا حساب" والرد على هذه المواقف بتصريحات لاذعة مثل قول كوندوليزا رايس الخبيرة أصلاً في شؤون الكرملين وملحقاته "إن روسيا تزداد تسلطاً في الداخل وعدوانية في الخارج وإن سياساتها تقودها إلى عزلة ذاتية وتهميش روسي"... على وقع هذه التصريحات التي تزامنت مع رسائل عسكرية المضمون من نوع تجربة صاروخ قادر على اختراق الدرع الأميركي وإرسال طائرتين قاذفتين من النوع المتطور إلى فنزويلا بما جعل رئيسها المشاكس تشافيز يرفع الصوت أعلى وأعلى ضد أميركا ومن يصطف وراءها، كان الهاجس البوتيني الأكبر هو استمرار تهريب الأموال من روسيا وبملايين الدولارات إلى الدول الأوروبية مما سيبين لاحقاً أن تأثيره على إستراتيجية التحدي الروسي كان سلبياً الأمر الذي جعل الحديث في شأن احتمال تطوّر الأزمة الناشئة عن محاولة إحراج جورجيا المتآمرة لروسيا ورد هذه الأخيرة بمحاولة إخضاع جورجيا وحصر شأنها بما لا يريده الأميركيان، إلى أن شُتت أوجاء الحرب الباردة، لكن بين من ومن، وذلك لأن روسيا الآن ليست بالشأن الذي كان عليه الإتحاد السوفياتي عندما خاض الحرب الباردة ومعه دول أوروبا الشرقية وعشرات الجمهوريات الدائرة في الفلك السوفياتي ضد أميركا ودول الغرب الأوروبي.

هنا نجد تبديلاً في الرؤية الروسية معتمدة بنسبة ملحوظة على الورقة البشارية. وبعدها كانت القيادة العسكرية الروسية قالت ما عندها مثل "على السفن الأطلسية أن تختار مكاناً للتنزه غير البحر الأسود" فإن الهدية البشارية أنعشت مفاصل قادة الكرملين ما جعل الحديث حول تزايد عدد السفن الحربية الزائرة إلى مرفأ

طرطوس في سوريا والمرافئ الصديقة الأخرى" يخرج من السر إلى العلن، وما جعل الرئيس بوتين يقول وقد إنتهت المشاورات الروسية - الأطلسية إلى مراوحة قائمة على الحذر وفقدان الثقة وتبادل الاتهامات في شأن الحرب الباردة وهل ستحدث ومن يتحمل الوزر. كما أن الهدية البشارية أي مرفأ طرطوس وهو المنشأة الوحيدة لروسيا في المنطقة التي ستخضع لعملية تجديد نوعية للبنى التحتية، رفع من منسوب الثقة بالنفس الروسية ذلك أن هذا المرفأ يجعل سفن الأسطول الروسي التي تجوب مياه المتوسط لا تضطر للعودة إلى الموانئ الروسية على ضفاف البحر الأسود وإنما تجد الملاذ تحت الشمس الدافئة في سوريا وفي قاعدة متطورة على ضفاف البحر الأبيض.

وعلى خلفية هذه الثقة بالنفس اطلق بوتين مفاجأة لا تتسم مع واقع حال الإضطراب الراهن في أسواق المال التي تأثرت بها روسيا كما غيرها وتتمثل في قوله إن الإنفاق الدفاعي لروسيا سيزيد بنسبة 27 في المئة في العام 2009 أي حوالي مئة مليار دولار وأتبع مسؤول عسكري قول بوتين بالإعلان عن تجربة جرت بنجاح على صاروخ عابر للقارات. لكن الإدارة البوشية ردت بالقول "إن توسيع قوة روسيا لن يغير مجرى التاريخ" وواصلت في الوقت نفسه السعي لفرض عزلة على روسيا وإنزال عقوبات عليها الأمر الذي جعل بوتين ومسؤولين آخرين يشددون على طلب الحوار مع الغرب وعلى أن المصالح فوق الخلافات.

لكن رصد الرئيس بشار لهذه الذبذبة في الموقف الروسي قد يكون جعله يقول في مقابلة لافتة مع التلفزيون الإيراني "إن الحرب الباردة قائمة بالفعل وإن على روسيا ألا تواجه هذه الحرب من داخل حدودها فقط".

وهنا يجوز الافتراض أن الإستدراج لم يصل إلى النهاية وأن "الرفيق" بوتين قطف من إستدراج "الرفيق" بشار موطئ قدم في بحر طرطوس في حين أن "الرفيق" بشار حاول جاهداً ومخاطراً أن يكون المردود من إستدراج روسيا موقفاً سميناً يخرج الحكم السوري من الآتي الذي ربما يكون الأعظم، لكن "الرفيق" بوتين كان واضحاً في قوله ومن قبل بث التلفزيون الإيراني للمقابلة اللافتة بثلاثة أيام "إن المصالح المشتركة مع أميركا

تتفوق على بعض الخلافات".

وإذا فالعودة البشّارية إلى الجمع العربي وبالذات السعودية ومصر هي المأمونة وتحتاج منه إلى إنحناء أخوية تغنيه عما لا نعتقد أنه سيفيد حاضراً... ولا حتى مستقبلاً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 24 سبتمبر (أيلول) 2008

* * *

السعودية بين عماد يشكر وعماد يفترى

مصادفة طيبة أن زيارة الشكر التي قام بها الرئيس ميشال سليمان إلى السعودية كانت إلى جدة التي لقي فيها من الملك عبدالله بن عبد العزيز وولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز واخوانهما ما يبعث في النفس شعوراً بالطمأنينة على لبنان، وكانت في هذا الشهر بالذات تشرين الأول/أكتوبر. ففي جدة توج رموز الشرعية اللبنانية يوم الثلاثاء 24 تشرين الأول 1989 في رحاب الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله وبعد شهر من المناقشات والمشاورات في الطائف، الحل التوافقي للمحنة اللبنانية وهو حل ما كان ليتحقق لولا المملكة العربية السعودية ذلك أن الطائف لم تكن مجرد مكان إستضافة مثل لوزان وإنما كانت الملاذ المصان بالحارس المخلص الذي يريد صادقاً وبعيداً عن أي مطامع إبراء الوطن المبتلى بصراعات وإحترابات دامت ست عشرة سنة ومن دون أن تنقي بعض الأطراف الإقليمية الله وتتوقف عن رمي الحطب فوق لهيب النار.

بعدما إشتعل لبنان حرباً بين أحزاب وحركات ميليشياوية منتصف العام 1975 كان الرئيس ميشال سليمان، المصادف مولده في عام نكبة العرب بفلسطين عام 1948، ما زال ضابطاً حديث التخرج من المدرسة الحربية يعاني كما سائر الزملاء الضباط والجنود مما أصاب الوطن لبنان وكيف أن إحدى جولات الصراع إنعكست على جيش البلاد فبعثرته شر تبعثر. وكان تقسيم الجيش وليس انقسامه وليد مخطط جهنمي إستهدف أن تحكم الميليشيات المتنوعة المشارب والعقائد السياسية الوطنية والمذهبية شكلاً، وهذا ما أكدته التداعيات وكيف أن الشيطان كان يوسوس في صدور

ناس الميليشيات وتحولهم من أصحاب قضايا وطنية إلى ناحري الوطن بخناجر مسمومة

وكان محزناً جداً أن قطاعات من جيش البلاد إستدرجت إلى حلبة الصراع الشيطاني فما عادت البوابة محروسة وأصبح البيت مستباحاً بالكامل. وتلك صورة محفورة ولا بد في وجدان ميشال سليمان الذي قاده الحرص بعدما بات يشغل منصب "أمين الأركان" منذ 1991/8/25 على عدم الإنحياز والضمير الوطني والسلوك المستقيم إلى أن يواصل الصعود إلى موقع قيادة الجيش يوم 1998/12/21.. فإلى أن يكون الرمز للتوافق على أن يكون هو رئيس البلاد متسبباً هذا الإجماع العفوي والتكتيكي معاً عليه في حذف العماد الآخر ميشال عون من ساحة الترشيح له رئيساً للجمهورية، وهو الذي من أجل ذلك تحالف مع "حزب الله" آملاً أن يكون الحزب والنظامان السوري والإيراني بمثابة الرافعة التي تنقله من "قيللا الرابية" إلى قصر بعيداً رئيساً للجمهورية. وهذا الحذف جعل العماد عون يتصرف وكما لو أن في البلد رئيسين للجمهورية أحدهما شرعي أي العماد ميشال سليمان والآخر "رئيس الظل" بما يعني أنه يُعد نفسه لكي يكون هو الرئيس في حال إختلطت الأوراق من جديد وجاء "الحق السوري - الإيراني" على خلفية زهوق "الباطل البوشي". ومن هذا المنطلق تعمّد "عماد الظل" ميشال عون أن يزور طهران في اليوم نفسه (الأحد 2008/10/12) لقيام "العماد الأصيل" ميشال سليمان بزيارته الأولى إلى المملكة العربية السعودية، وبذلك إنطلقت ومن مطار رفيق الحريري (المغضوب عليه ظمناً من العماد عون حتى وهو تحت التراب وفي رحاب رب العالمين) طائرة في اتجاه مطار الملك عبد العزيز في جدة وطائرة إلى دبي بين ركابها العماد عون الذي سيتوجه من دبي بطائرة أخرى إلى مطار الخميني في طهران بينما الشعب اللبناني لا يجد تفسيراً لذلك سوى أن "الرئيس الظل" أي العماد ميشال عون لا يريد للبنان أن يستقر وذلك بتترك رئيسه العماد ميشال سليمان يحاول ما إستطاع إلى ذلك سبيلاً إستكمال مسيرة إصلاح ذات البين، عسى ولعل بذلك يستعاد الرونق للوطن ويهدأ البال ويهاجر الخوف والقلق عوض هجرة الجيل اللبناني الباحث عن الطمأنينة في ديار الآخرين.

وبصرف النظر عما إذا كان التوقيت المشار إليه

جاء من ابتكار العماد عون أو أنه أُوحي إليه بأن يفعل ذلك، فإنه من نوع الابتكارات التي تصدر عن الإنسان الشغوف بإحتراف الإغظة كأسلوب للتعاطي مع قضايا وطنية تتطلب رجاحة عقل وليس مشاكسة. وكان يمكن النظر إلى التوقيت بمنظار حُسن النية لو أن العماد "الرئيس الظل" لم يُضف إلى التوقيت كلاماً غليظاً في حق دولة يزورها رئيس البلاد وذات أفضال على كل اللبنانيين، ليس فقط لأنها قبل تسع عشرة سنة ثبتت لهم دعائم كيان كاد يتساقط ووضعتهم على طريق الشرعية، وإنما لأنها بعد إنجاز إتفاق الطائف تواصل السهر وبكل يقظة الحارس المخلص على لبنان المسجي على ساحة الصراعات، ولأنها أيضاً في عدوان تموز 2006 الذي تعددت الاجتهادات في شأنه صدّت عنهم تداعيات كارثة العدوان فكان الدواء والنجدات المالية والصوت الذي ينادي بالتوافق والتفاهم والحرص على الخصوصية، وكان السفير الذي بذل جهداً لم يبذله سفير دولة أخرى قبل عبد العزيز خوجة وربما بعده بهذه الحيوية والمعاناة، وكان أيضاً العون المادي والتأهيلي لما تسببت به جولات "تضال فتح الإسلام"، وكذلك الكتاب والقلم والدفتر ورسوم التسجيل للالوف من الطلاب والطالبات الذين تحول الظروف المعيشية دون إلحاقهم بمدارسهم. وهكذا فإن وقفة الملك عبدالله بن عبد العزيز وإخوانه وشعب المملكة في مواجهة تداعيات كارثة العدوان التموزي هي امتداد لوقفة المملكة عام 1989 لإنجاز إتفاق الطائف الذي يمقته العماد عون لأنه لم يكن شريكاً فيه أو لأنه صيغة مثالية نسبياً لإستبدال الفوضى بالاستقرار وهو يرى أن تألقه السياسي وإستكمال ثارته لا يتحققا في ظل الاستقرار. وهكذا رأيناه لا يحترم قيام رئيس البلاد العماد ميشال سليمان بزيارته الأولى إلى السعودية ولا حتى يراعي مرافقة الرجل الثاني في "التيار العوني" عصام أبو جمره للرئيس سليمان في هذه الزيارة ويقول قبل أن يغادر إلى طهران كلاماً مسيئاً في حق واقع الحال، أي في الدور الكريم للمملكة العربية السعودية إزاء لبنان. وما قاله ليس فقط كلاماً ممقوتاً ربما يشنّف الأذن النجادية مع انه يشكل إحراجاً للرئيس الزائر وكذلك لإيران التي يزورها وأهداها افتراءات في حق السعودية قبل أن يصعد الطائرة إلى مطار الخميني. كما أنه إحراج للرئيس بشّار الأسد الذي وإن كان لم يصرح برغبته في أن يحاول الرئيس ميشال سليمان

خلال زيارته التمهيد لمصالحة سعودية - سورية إلا أن ذلك لا يعني انه لا يريد. وحيث ان العماد عون محسوب جزئياً أو كلياً في الوقت الحاضر وحتى إشعار آخر على الهوى السوري - الإيراني فإن ما يقوله في حق المملكة من إفتراء الكلام سيؤذي ما في خاطر الرئيس بشّار التمني بحدوثه.

والذي يلفت النظر أن الكلام العوني حول "التبعية السياسية من جانب لبنان للمملكة العربية السعودية والإدارة الأميركية" تزامن مع إطرء إيراني غير مسبوق لشخص عون كواحد من زعماء الشارع السياسي الماروني وللدور الذي يتطلع إليه من خلال زيارة إيران، وهو الذي (أي العماد عون) لخصه بالقول إنه في هذه الزيارة يمثل مسيحي الشرق الأمر الذي جعل أطيافاً مسيحية لبنانية تقول في سياق الإمتعاض من ذلك إن أحداً لم يكلف العماد عون بهذا التمثيل وأن ورقة مسيحي الشرق لن تكون في اليد الإيرانية إنسجاماً مع وضع العونية نفسها ورقة في يد "حزب الله" والطرفين اللذين يلوذ بهما الحزب: النظام السوري والنظام الإيراني. والإطرء الذي نشير إليه يتمثل في قول سفير إيران لدى لبنان محمد رضا شيباني "إن المكانة السامية التي يتمتع بها الاخوة المسيحيون في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفي المنطقة تحظى بإهتمام دؤوب من النائب عون. وهناك العديد من البرامج نُظمت سلفاً لهذه الزيارة ستتيح له أن يتعرف بشكل وثيق إلى تلك المكانة السامية. ان لدى العماد عون مكانة مهمة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ونعتبر أن النظرة الإستراتيجية الصائبة والعميقة والسليمة التي يتمتع بها تحظى بإحترامنا وتقديرنا. وقد دلت المراحل السابقة على صحة هذه النظرة الإستراتيجية لسعادته...".

يبقى القول إنه من حيث المبدأ والضرورة فإن اطلاعات العاملين الفاعلين المؤثرين في القرار السياسي بين الحين والآخر على دول عربية وإسلامية وأجنبية من شأنها افادة لبنان، لكن في حال تمت هذه الاطلاعات في الاطار الراقي والمسؤول والحرص الوطني وبمنأى عن أسلوب المكايده الذي لاحظناه في تعمّد "الرئيس الظل" العماد عون أن تكون زيارته لحليفه الإيراني يوم زيارة "الرئيس الأصيل" العماد ميشال سليمان للأصدقاء السعوديين الحاديين على لبنان.. وبالذات عندما يُبتلى بما لا قدرة له على تحمّله. وفي تعمّد العماد عون ما

تعمّده كان مثل تعمّد لوبان الفرنسي وهايدر النمساوي زيارة الرئيس صدام حسين في زمن الحصار الصعب ليس حرصاً عليه وإنما لأنهما من طبقة رجال السياسة المكايدين.. ولو حتى جاءت نتائج المكايذة على حساب بلديهما فرنسا والنمسا. وفي حينه شاءت الصدفة ان العماد عون كان ثالث المكايدين... إنما لن يكون الأخير في عالم إنخفاض منسوب الرقي في العمل السياسي وحيث صوت المكايذ يعلو على صوت رجل الدولة الوقور.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 20 أكتوبر (ت) 2008

* * *

المد الروسي والجزر الأميركي

في الوقت الذي يتواصل الجزر الأميركي ويتوسل الرئيس جورج بوش الابن الكونغرس من جهة والدول المقتردة من جهة أخرى ويستتجد في خطوة غير مسبوقة بقطبي السباق الرئاسي إلى حلول أحدهما في البيت الأبيض أوباما الأسود أو ماكين الأبيض فيدعوها إلى "قمة وطنية" طارئة من نوع القمم العربية الإستثنائية في البيت الأبيض للمشاركة في إستنباط خطة إنقاذ للإقتصاد الأميركي المقبل في رأيه على "ركود طويل ومؤلم" ثم لا يحصل في نهاية الأمر سوى على الحل بالتقسيم... في هذا الوقت كان المد الروسي يتواصل هو الآخر ويؤسس لحالة جديدة غير مسبوقة وهي أن روسيا تشق طريقها في اتجاه الثروة النفطية في أميركا اللاتينية وتستعمل ورقة أرثوذكسيتها في مخطط الحضور خارج الحدود لها حيث ستنبي الكنيسة الروسية في منطقة صيدنايا قرب دمشق أكبر تمثال للسيد المسيح من عمل نحات روسي يريده بوتين أهم من تمثال الحرية في نيويورك، كما تتجح في مرمرغة أنوف دول تحلق في المدار الأميركي وتستعجل فرض عقوبات على إيران، فلا تتمكن هذه الدول من عقد إجتماع حاسم وبعدها أمكن الإجتماع لم تتمكن من إتخاذ العقوبات التي تريدها أميركا ويقول وزير الخارجية الروسية وبعدها كان التهويل الكوندوليزي لم يؤثر عليه خلال إجتماعه بزميلته الأميركية يوم الخميس 2008.9.25 في نيويورك، وهو الأول بينهما بعد أزمة جورجيا، ما معناه إنه

لا ضرورة لإتخاذ العقوبات وكأنما هو في ذلك يوحي بتجبير الأزمة مع إيران النجادية إلى الإدارة التي ستتسلم في العام 2009 المتبقي على قدومها ثلاثة أشهر . بلغ المد الروسي مرحلة متقدمة يوم الجمعة 2008.9.26 عندما تم الإتفاق في موسكو بين الرئيس الفنزويلي المشاكس هوغو تشافيز، الذي وصل إليها من بكين حيث رفع مع حكومتها نسبة التعاون في معظم المجالات من بينها تزويد القوات الجوية الفنزويلية بـ 24 طائرة تدريب، والثنائي الممسك بزمام أمور الكرملين رئيس الدولة ديمتري ميدفيدف ورئيس الحكومة الأقوى شأنًا فلاديمير بوتين على الإستثمار في قطاعي النفط والغاز في فنزويلا بمليارات الدولارات. والأهم من ذلك هو أن تشافيز الذي دغدغ المشاعر الروسية نافخاً في صدور حكام الكرملين المزيد من العظمة مؤكداً دعم موقف روسيا من نزاعها مع جورجيا تماماً على نحو ما سبق أن فعل ذلك الرئيس بشّار الأسد، يتطلع متأثراً بالنهج النجادي ومسكوناً بفكرة توازن القوى مع الولايات المتحدة، إلى امتلاك فنزويلا السلاح النووي وبذلك تكون الدولة الأولى في أميركا الجنوبية التي تملك هذا السلاح وتصبح بذلك قادرة على تحدي الولايات المتحدة.. وهو تحد أين منه تحدي كوبا الستينات لأن الإتحاد السوفياتي كان في صدد تمليك كاسترو صواريخ كفيلة بتهديد الساحل الأميركي وما بعد الساحل من أعماق تصل إلى نيويورك وواشنطن. ولقد كان الموضوع النووي مدار بحث بين تشافيز وبوتين ومن قبل البحث في مكاسب الإستثمارات النفطية بمليارات الدولارات، الأمر الذي يعني أن الرئيس تشافيز إستعمل ورقة النفط لإغراء الرئيس بوتين الحالم بـ "عالم متعدد الأقطاب" وأن هذا الأخير كان خلال لقائهما منفردين يوم الخميس 2008.9.25 متجاوباً رغم إدراكه مخاطر أن تصبح شركات روسية - فنزويلية متحكمة بالنفط الذي تستورده الولايات المتحدة من فنزويلا. وكان الرئيس تشافيز إقترح ميدان المخاطر عندما وقف يوم الجمعة 2008.9.12 خطيباً في مهرجان شعبي حافل في العاصمة كراكاس تضامناً مع حليفه اليساري رئيس بوليفيا إيفو موراليس الذي يعيش أزمة دموية في بعض جوانبها مع معارضيه الذين توازروهم الولايات المتحدة. وفي خطابه أعطى سفير أميركا مهلة 72 ساعة لمغادرة البلاد وعلى نحو ما فعل قبل ذلك بيومين حليفه البوليفي موضحاً أن قراره سببه أن الإدارة البوشية ضالعة في مؤامرات لإسقاط

الحكومات اليسارية في أميركا الجنوبية عن طريق ضباط متقاعدين. وقال في الخطاب أيضاً وهو يشير إلى ساعة يده: "فلتذهبوا إلى الجحيم أيها اليانكيز. نحن شعب له كرامته. فلتذهبوا إلى الجحيم مئة مرة. وإذا وقع إعتداء على فنزويلا لن يكون هناك نفط لشعب وحكومة الولايات المتحدة".

شئنا أم لم نشأ، هنالك "عالم آخر بثلاثة أقطاب" قيد النشوء بعد أن تهدأ بعض الشيء عملية المد والجزر... هذا إذا كُتِبَ للظاهرة الناجدية - التشافيزية أن تستمر، وقررت روسيا البوتينية في الوقت نفسه ممارسة اللعبة إلى النهاية مستغلة أن أميركا البوشية دخلت مرحلة الإنهاك وأن الرئيس بوش الابن سينصرف تاركاً دولة خسرت الرهان إلى حد ما في العراق وإنتهى العلاج لأخطر أزمة إقتصادية تعيشها إلى أنها ستعتمد أسلوب التقسيط.. وهذا يتم على وقع معزوفة الشماتة بها من بعض دول العالم الثالث ومعها "دولة حماس" و"دولة «حزب الله»" و"دولة القاعدة" وزميلتها "دولة القراصنة". كما يتم قبل أسابيع قليلة من مناورات بحرية روسية - فنزويلية غير مسبوقة أمام سواحل فنزويلا في منقطة تُعتبر حديقة خلفية للولايات المتحدة.

لكن يمكن القول أيضاً أن ضربة نوعية ومن دون تهوُّر من جانب أميركا وحلفاء لها للتطلعات الناجدية النووية من شأنها قلب الطاولة على تجمُّع الشامتين. وليس بالضرورة أن تكون الضربة عسكرية وذلك لأن تنفيذ "الوعد البوشي" وقيام دولة فلسطينية بمواصفات "المبادرة العربية" ونصائح الملك عبدالله بن عبد العزيز يشكِّل أفضل بديل للمواجهة الحربية. وبهذا البديل تستقيم الأمور وتتقلب الآلية بحيث أن المد يصبح أميركياً والجزر روسياً... ويكون العالم على درجة من الطمأنينة

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 30 أكتوبر (ت) 2008

* * *

الأمثلة الأميركية للأنظمة

الطاعة في البقاء

حسمت الولايات المتحدة، التي يضيق بعض العرب والمسلمين الوقت في التظلمات حولها والتركيز على أنها

«دولة الاستكبار»، الأمر وأكدت يوم الثلاثاء 4 — 11 . 2008 انها شعباً ومؤسسات هي أفضل رموز العمل الديمقراطي الحر في العالم، بينما إخواننا في العراق يخوضون جدالات عقيمة في شأن معاهدة ينظر إليها بعض أولي الحكم والشأنين الشعبي والديني على انها تنتقص من السيادة ويتناسى هؤلاء أن إسقاط النظام الصدامي كان عبارة عن تمنيات لهم لكنه كفعل كان من صُنْع غزو أميركي تحوّل الى احتلال مقبول من هؤلاء الذين يعارضون المعاهدة وإن كانوا ضمناً في حالة امتنان لأن الرئيس جورج بوش الابن وحلفائه توني بلير البريطاني، وأزناار الإسباني، برلسكوني الإيطالي، وبعض صغار الحكام من الأوروبي الى الكندي الى الأسترالي، هم من أسقطوا لهم نظاماً كان من العسير عليهم إسقاطه بدليل ان أنظمة عربية طاعنة في البقاء لم تزحزح سطوتها السياسية ولا هيمنتها الأمني حركات المعارضة التي بعضها فولكلوري الطابع.

كما أن أهلنا في لبنان ما زالوا في حالة من العبث السياسي يتصدره بامتياز رموز الطائفة المارونية التي كانت في زمن زعامات عاقلة وحكيمة تشكل صمام أمان، ثم إذا بنا أمام محطات في المشهد السياسي يؤكد فيه زعماء في الطائفة المارونية أنهم لم يكونوا رجال دولة وربما لن يكونوا.

وأما إخواننا في فلسطين فإنهم على ما هم عليه من تبذير للقضية يواصلون فُصم عراها وإلى درجة انهم يعالجون الخطأ بالخطأ، فلا اتفاق مكة المثالي التزموا به، ولا المبادرة المصرية استوعبوا توازنها، ولا تمنيات القابعين في مجاهل المخيمات المزرية بين لبنان وسورية والأردن والأراضي الفلسطينية بالتفاهم لقيت في النفوس شيئاً من النهم.

وأما إخواننا في إيران فإنهم عن واقع الأمر ساهون يكيلون التقريع لقوى الاستكبار الأميركي منتظرين وقفة إنصاف تأتيهم من أوباما الذي لن يرتضي نوابيهم لكنه سيكون أكثر رفقاً بمرونة تصدر عنهم وتكون مثل المرونة الإضرطارية من جانب الإمام الخميني عندما وافق متأخراً على وقف الحرب مع العراق واصفاً قراره بأنه كمن يتجرع السم.

وحتى إذا قرر الرئيس بوش في ما تبقى له من اشهر التروؤس التي تنتهي بتتصيب الرئيس الجديد يوم 20 يناير (كانون الثاني) 2009 إيجاد مكان له في تاريخ

الحكام كأن يوجه ضربة إلى إيران تتسبب لها بالخلخلة وتدمير مواقع عسكرية وإستراتيجية وتتزامن مع هذه الضربة أو تستبقها قمة دولية - عربية - إسلامية . فاتيكانية يستضيفها ويعلن فيها قيام دولة فلسطين القابلة للعيش الى جانب دولة إسرائيل، فإن أوباما سيكون مع هذا الخيار أو على الأقل لن يعترض عليه.

وبالنسبة الى إخواننا في السودان فإنهم أيضاً ساهون عن حقيقة أن بقاء الأحوال على ما هي عليه من دون حسم مسألة التهويل القضائي وإحتمال تطبيق إجراء قضائي في حق رئيس البلاد، وأكاد أقول رئيس بعض البلاد، من شأنه تحويل السودان إلى ساحة صراع لن يكون أوباما أقل تشدداً فيه من الرئيس المنصرف بوش الابن وخصوصاً في حال تكررت واقعة إستهداف الصينيين العاملين في شركة نفط صينية خطفاً ثم قتلاً، وقررت الصين أن تحمي رعاياها النفطيين من خلال معاهدة تجيز لها إرسال قوات الى السودان.

هذا إلى جانب ان اصرار سيلفا كير النائب الأول لرئيس الجمهورية والمتأثر كما قيادات أفريقية كثيرة بالظاهرة الأوبامية على ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ضد الرئيس عمر البشير، يعني في نظرنا أن عقيدة «تحرير السودان» التي طرحها كبير الجنوبيين الراحل جون قرنق ما زالت واردة وأن الجنوبي يرى انه ما دام من حقه أن يكون أحد أبناء الجنوب (وهو هنا سيلفاكير) نائباً أول لرئيس الجمهورية فمن حقه أيضاً أن يكون أيضاً هو الرئيس.

ألم يحدث ذلك في العراق عندما أصبح الزعيم الكردي جلال طالباني هو رئيس الدولة ومن قبل أن يصبح باراك أوباما الشاب الكيني الوافد إلى بلاد العم سام عضواً في مجلس الشيوخ بكده وإجتهاده ثم تُوصله الأقدار إلى أن يكون الأسود الأول الذي يحكم أميركا، حاملاً الرقم 44 مدشناً ظاهرة أن رئاسة البيت الأبيض حق للأسود كما للأبيض ما دام أميركياً.. وربما لاحقاً للأصفر ذي الجذور الصينية والفيتنامية وربما كذلك من يدري للهندي الأحمر الذي إغتصب له الأميركي الأبيض أرضه وقد لا يجد ما يعوّضه ذلك سوى الجلوس في المكتب البيضاوي مزيلاً وصمة إغتصاب الأرض وعلى نحو إزالة أوباما لظاهرة أن السود هم عبيد البيض والشقر في الولايات المتحدة الأميركية.

وأما إخواننا في الجزائر فإن شغلهم الشاغل الآن هو

إجراء تعديلات في الدستور بحيث يتمكن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة من تجديد الولاية الرئاسية للمرة الثالثة، وذلك لأن الدستور الحالي يمنع الترشح لأكثر من ولايتين. وأما موجبات الرغبة بالتجديد فإن سي عبد العزيز الذي يترأس منذ العام 1999 رافعاً شعار «الوثام المدني» ثم «المصالحة الوطنية» فاجأنا بأنه ألغى تسمية «رئيس الحكومة» مستبدلاً إياها بـ «الوزير الأول» كي تكون كلمة «الرئيس» لشخصه فقط. كذلك فاجأنا بأنه شخصياً تحدّث يوم الجمعة 31 — 10 . 2008 لمناسبة مرور 54 عاماً على نهاية حرب التحرير من الإستعمار الفرنسي عن إنجازاته بالقول إن الجزائر تمكنت بفضل سياسته من إرساء دعائم تنمية شاملة «لا ينكرها إلا حاسد أو متطير متشائم النفس».

ولقد فاجأنا الرئيس بوتفليقة بخطوته هذه لأنه في وضع صحي لا يخلو من الدقة بالنسبة إلى عمره (71 سنة)، وهذا يعني بالنسبة إلى رجل حكيم مثله أن يهيئ وثامياً يخلفه على نحو ما فعل نيلسون مانديلا، لا أن يرى انه لماذا لا يكون من الرؤساء المستديمين الطاعنين في البقاء على رأس السلطة، ما دام جاره العقيد معمر القذافي يترأس ليبيا للسنة التاسعة والثلاثين على التوالي ويهيئ في الوقت نفسه أحد أبنائه مثل سيف الإسلام لخلافته، وما دام جاره الآخر زين العابدين بن علي يترأس تونس تحت مظلة «التحول» للسنة العشرين على التوالي، وصديقه الرئيس علي عبد الله صالح يترأس اليمن للسنة الثامنة عشرة على التوالي ويقوم بتحضير الإبن أحمد لكي تبدأ به الأسرة إقتباساً لما سبق وكان البادئ به الرئيس الراحل حافظ الأسد الذي بالابن بشّار بدأت الأسرة الأسدية الثانية، وكاد يأخذ بالإقتباس نفسه الرئيس صدام حسين لكي تبدأ بـ «الأمين» و«المأمون» أي بالابن عدي يليه قصي أو بأحدهما أو بالثاني يسبق الأول الأسرة الصدامية لولا أن بوش الابن إستأصل الحالة من جذورها بعدما غزا العراق وأخذ جنوده على عاتقهم إنزال تمثال صدام وتأمين عملية شنقه عقب سقوط الإبنين قتيلاً في مواجهة في منزل في الموصل إحتما فيه لكن الحامي وشى بهما.

وقد يقال إن بوتفليقة شأنه شأن بن علي وعمر البشير يتمسكون بإستمرارية التروّس لأنه لا أبناء ورثة لهم، ولأنهم يتمسكون فلماذا لا يكون التجديد ولماذا لا يتم تعديل الدستور . وهل أن الآخرين وبالذات في لبنان

إلتزموا بنصوص مواد الدستور لكي يبدو ما فعلوه إساءة إلى قدسية الدستور .

نعود إلى ما بدأناه لنقول إن الدولة الأعظم، الولايات المتحدة، حسمت في ظل أجواء من الحرية والديمقراطية وخلال أربعة أشهر أمرها وإختارت في معركة لم تحدث فيها ضربة كف من جمهوري لديمقراطي أو العكس رئيساً دخل التاريخ وساعده على الفوز المبين أن للإسم رنة موسيقية محببة على النفس الأميركية وأن أم الكوارث المالية حدثت بسبب سياسات الجمهوري بوش الابن، وربما لولا هذه الكارثة لما كان للظاهرة الأوبامية أن تحدث.

أما بعضنا في العالم الثالث فإنه في حالة من اختلال الوزن والعقل معاً. ولا علاج للحالة إلا برئاسات لا تتجدد أكثر من مرة في الحد الأدنى ومرتين لا ثلاثة لهما وبإحترام للدساتير لا يتلاعب بها أحد، وبحيث لا يبقى الدستور في خدمة الطاعنين في البقاء وإنما في خدمة التجدد... وعلى نحو ما حدث في بلاد العم سام.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 11 نوفمبر (ت) 2008

* * *

"سفينة عبد الله":

إصعد تسلم... وأسلك تفز

كانت كلمة الملك عبد الله بن عبد العزيز أمام قادة دول لبوا الدعوة إلى الدورة الثانية لـ "مؤتمر حوار الأديان والحضارات" التي بدأت في مقر الأمم المتحدة في نيويورك الأربعاء 17-11-2008 وانتهت اعمالها في اليوم التالي (الخميس) هي كلمة الحق التي يراد بها الحق ولا شيء غيره ويراد من وراء القصد فيها صعود المجتمع الدولي ومن دون بلد أو آخر إلى "سفينة عبد الله بن عبد العزيز" أطال الله عمره وسدد خطاه لينجز سعيه التي هي إذا جاز التشبيه مثل سفينة نوح عليه السلام من حيث الهدف.. سفينة إنقاذ من طوفان الإرهاب والبغضاء والإنهيار الخلقي وإنكسار مهابة التقاليد الحميدة.

وحيث أن الملك عبد الله بن عبد العزيز ليس مشغول

البال كما آخرين بالإجراءات الدستورية وغير الدستورية التي تتيح لهم البقاء في قمة السلطة ولاية رئاسية ثلاثة ورابعة وأكثر وإنما إنشغال باله هو في المصير العربي والإسلامي وفي مستقبل أجيال الأمتين، فإن ما يقوله له طابع الوصفة كما وصفات الطبيب للمرضى وكما مضمون خارطة الطريق لمن هم بين حكام العالم في حالة من التيه بيرعون في إصدار الأوامر من موقع السلطات التي يملكونها لكنهم لا يعرفون كيفية الخروج من حالة التخبط التي يعيشونها وتكابد شعوبهم من جزائها.

لقد وضع عبدالله بن عبد العزيز الذي عندما يتحدث فإنه ينطلق من ثقة عميقة بالنفس ومن إيمان مسنود بتراث ومن معاركة للحياة بطلوها ومرها، أمام الجمع الدولي واقع الحال من دون تزويق للكلمات وبأسلوب من يرى أن خير الكلام هو ما قل ودل. وأورد عبارات يتمنى كل سامعيه من القادة قولها، راسماً معالم طريق الهداية الإجتماعية على النحو الآتي: إما ان يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان في سلام وإما يحترق الإثنان بنيران سوء الفهم والحقد والكراهية. وهو كمسلم تتشرف بلاده بمكرمة من عند رب العالمين وهي أن الحرمي الشريفين على أرضها بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ينتظران بحرقه في نفس عبدالله بن عبد العزيز كرمز كريم لأمتة الإسلامية فك أسر الحرم الثالث، يستند في ما يدعو إليه إلى الآية الكريمة التي هي روح مؤتمر حوار الأديان (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم). وهذه الآية الكريمة تلخص الدافع الديني إلى جانب الدافع الإنساني لإستنباط الملك عبد الله بن عبد العزيز فكرة أن يحاول "حوار الأديان" إيجاد مخارج لمشاكل العالم إستعصى بسبب خشونة المفاهيم السياسية لدى البعض أو بسبب التزامات تكبل العقل قبل اليدين، وضّعها برسم المناقشة.. وربما إستعصى عليهم أصلاً إستنباطها.

ولكي لا يكون المؤتمر مناسبة إحتفالية وتقع اسيرة الرتابة والبيروقراطية فإن الملك عبد الله بن عبد العزيز رأى من البداية إنشاء لجنة تواصل الحوار كي لا تذوب المحاولة في بحر الهموم والقضايا الطارئة والتي ما كانت لتطرأ لو أن مفهوم الحوار على نحو ما يدور في خاطر الملك عبد الله يأخذ طريقه إلى شاطئ الحلول.

العلة التي يراها الملك عبد الله بن عبد العزيز هي في

الحروب التي قد تحقق لمحارب بصيغة الغزو أو الطمع بحق ليس له سيطرة آتية، لكن مقابل كل يوم من السيطرة يسقط المئات من بني البشر قتلى وجرحى ومعوقين وتتزايد تبعاً لذلك نسبة الأيتام في المجتمع ونسبة الفقر بين العائلات ونسبة الدمار في البنيان. وفي نهاية الأمر لا جدوى من كل ذلك. فهذه إسرائيل بعد سنتين سنة من إغتصاب وطن لا تستطيع حسم أمر بقائها بغير العدوان المستمر، وكلما حدث عدوان على الآخرين كلما تناقصت قدرة إسرائيل على تثبيت وجودها. وهذه الدولة الأعظم أميركا بعد كل الذي فعلته بالعراق، وفي إعتقاد الرئيس بوش أن الفعل كان فعل انقاذ، تجد نفسها مرفوضة حتى من إبرام معاهدة تخشى في حال عدم إبرامها أن تتبعث من بين رماد الحريق البوشي للعراق صرخات مظلومين تأخذ طريقها إلى حاكم وطني عادل ويخاف الله فيقاضي كل من أساء إلى بلاد الرافدين حتى إذا كان المسيء بلغ من العمر عتياً وهو هنا بوش الأب ومعه مارغريت تاتشر، أو إذا كان بوش الابن نفسه أو بلير نفسه أو برلسكوني نفسه.

وكما حال المؤمن الذي يخشى رب العالمين ويعمل لأخرفته كأنه يعيش أبداً ويستلهم القول الحسن من دينه الحنيف وما أنزله الله سبحانه وتعالى من آيات، فإن عبدالله بن عبد العزيز في ما طرحه بدءاً بالشق السياسي من رؤيته للسلام، أي أفكاره التي غدت في القمة الدورية الثانية في بيروت عام 2002 مبادرة عربية لقيت الإجماع لحاجة كل اخوانه القادة العرب المشاركين في المؤتمر إليها، وصولاً إلى فكرة "حوار الأديان والحضارات" كان يبحث من موقعه المتعدد الأهمية عن حل ينفذ الأمتين. ولعله رأى في الأحوال الراهنة حال الأمة العربية مع نفسها وحال هذه الأمة مع الأمة الإسلامية وحال الأمتين مع ما هو حاصل من بعض دول العالم نحو قضاياهما، مشهداً مفزعاً قد تكون من آثاره حالة طوفان لكل ما هو ضد الإنسان والإنسانية في زمن الحداثة والتناول على التقاليد والتراث والخصوصية الثقافية والدينية، فضلاً عن أن الرحمة تتحسر والكراهية تنتشر والبر بالوالدين يندثر، والاحتراب بين الأخ وأخيه أصبح من عادات السوء.. هذا إلى أن نظرة أبناء الأديان إلى بعضهم غدت قائمة على الحذر ينتظر كل منهم لحظة الإجهاز على الآخر قتلاً أو تكفيراً أو إتهاماً باطلاً. وعملاً بما يوصي به الدين الحنيف لجهة الإقتداء بأعمال الانبياء ورجال الله

الصالحين وأقوالهم ويقول الرسول (ص) في هذا الشأن (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فإن الملك عبد الله بن عبد العزيز إستحضر قبل أن يبادر وأن يبتكر ما رآه ينطبق على الأحوال الراهنة. وقد يكون تصوّر في لحظة صفاء وخشوع ان طوفان آل 2009 خصوصاً بعد أم الكوارث المالية إحدى افرازات الحقبة البوشية، سيكون شبيهاً بالطوفان في بعض المعاني من الطوفان الذي بفضل سفينة نوح عليه السلام التي ملأها بزوجين اثنين من كل حيوان وطيور ووحش حقق مطلب رب العالمين في إستمرارية الحياة. كما أن مبادرة عبد الله بن عبد العزيز بجناحيها السياسي في قمة بيروت عام 2002 ثم الحوار الديني في المؤتمرين الأول في مدريد والثاني في رحاب مقر منظمة الأمم المتحدة في نيويورك كانت أيضاً، إلى جانب السفينة مثل الجبل الذي عصم خطوة نوح من الماء، الوسيلة التي ستعصم في العام 2009 وما بعده من سنين من طوفان الحروب والبغضاء والكراهية والدماء والانهيئات المالية والجوع الذي في حال بدأ هذه المرة فإن رقعته ستكون متسعة ما دام النضوب بدأ يقتحم خزائن الدول المقتدرة.

وكما حصل مع نوح سنجد من يقولون لعبد الله بن عبد العزيز إنه جادلهم وأكثر الجدل وان مقياس صدقه هو ما سينتج عن مشروعه. وسنجد الملك الحكيم يقول لكل مجادل: ما اطرخه هو الطريق. أسلك تفر. كما سنجده يردد عليهم وأمامهم قول الله سبحانه وتعالى: وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم وإستغشوا ثيابهم وأصروا وإستكبروا استكباراً). كما سنجده يردد قوله تعالى: (إن ربك لبالمرصاد).

نخلص إلى القول إن دهرأ من العقائد والمشاريع الحزبية ومعها جولات من الانقلابات العسكرية والصراعات الدموية والإغتيالات والحروب والغزوات يستمر والحال من سيء إلى أسوأ. ثم ها هي المبادرة بجناحيها السياسي والديني يضعها الملك عبد الله بن عبد العزيز، وهو مرتاح الضمير متعب البدن من كثرة الترحال لإنقاذ ما يمكن إنقاذه متحملاً الافتراء والتجني ونكران الجميل، أمام المجتمع الدولي المثقل بأزمات لن يكون من السهل حلها. وكأنما لسان حاله يقول للجميع في المنطقة وفي العالم ومن دون إستثناء أحد خلال إجتماعات نيويورك ثم إجتماعات قمة واشنطن المالية: هذه هي "سفينة عبد الله". إصعد تسلم. وأسلك تفر.

مع خير تمنياتنا لصاحب السفينة بأن لا يصيبه يأس
نوح عليه السلام.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 20 نوفمبر (ت2) 2008

* * *

"حرب القبائل" في لبنان وفلسطين

ليس بين الذين يكابدون أهوال الحصار الجائر في غزة أحد من هؤلاء الذين يُكثرون من التنظير في موضوع الخصام الفلسطيني - الفلسطيني، ذلك أن كبار القوم من اخواننا في "حماس" الممسكين بمفاصل الغزاليين ونكاد نقول في رقابهم لا يشكون من إنقطاع الكهرباء ولا هم قلقون من وجود الأدوية على أنواعها ولا من مداواة مرضاهم أفراد العائلة، كما أن ارغفتهم ساخنة ومشاريهم حاضرة والمياه نقية ونظيفة في بيوتهم ومكاتبهم ودوائر حكومتهم. وعندما تكون هذه حالهم فلماذا لا يوصلون المكابرة ولا ينقاسمون مع امراء "دولة رام الله" التصرف الواقعي وبحيث يتوصل زعماء "الدولتين" إلى صيغة تُبقي الناس المغلوب على أمرهم في منأى عن العناد من جانب الطرفين، وهو عناد لم يحدث في تاريخ حركات المقاومة أن كان بمثل هذه الخشونة مع ما ينشأ عنها من ضرر بالغ يلحق بالناس. وليس من حق طرفي الخصام الفلسطيني الشكوى من أن إخوانهم القادة العرب لا يتدخلون، وبالعون في المفردات التي توحى بأن العرب ساهون عن أحوال شعب فلسطين. ونقول ليس من حق الطرفين الشكوى لأن أكثر من دولة عربية بذلت من المساعي الحميدة ما يحقق وفاقاً فلسطينياً لكن المتخاصمين لم يتصرفا بما من شأنه إنجاز الوفاق. ألم تبذل المملكة العربية السعودية المسعى الحميد؟ ألم يتوجه الملك عبدالله بن عبد العزيز من الرياض إلى مكة المكرمة ليكون المتابع والراعي للإتفاق بين وفد "فتح" يترأسه محمود عباس ووفد "حماس" يترأسه خالد مشعل وإسماعيل هنية؟ وألم يرحب "الإخوة الأعداء" "قبيلة فتح" و"قبيلة حماس" بالإتفاق ويحلفان على المصحف الشريف بأن الإتفاق سيكون راسخاً كالجبال؟

ثم ألم تبذل مصر مسعى مماثلاً بعدما أخلّ اخواننا

الحماسيون وبالتحديد خالد مشعل وإسماعيل هنية اللذان وقّعاً على إتفاق مكة، بذلك الإتفاق؟ وألم يأخذ الرئيس حسني مبارك شخصياً على عاتقه مسألة بذل المسعى وعندما كاد السعي يحقق لقاء الجانبين في القاهرة للخروج بإتفاق قاطعت اللقاء "حماس" في ربع الساعة الأخير للموعد المحدد؟

ثم ألم يقيم الرئيس علي عبدالله صالح بمسعى للتوفيق وفعل الشيء نفسه أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني؟

وإلى هؤلاء ألم يبذل أصحاب نوايا طيبة من غير جماعات الحكم في دول عربية وكذلك بعض كرام القوم الفلسطينيين المستقلين مسعى للتوفيق مقروناً بالتمنيات إلى حد الرجاء المرفق بالأدعية؟ لقد فعل الكثيرون ما هو مطلوب منهم لكن تأثير الجهات التي لا تريد وفاقاً فلسطينياً كان هو الغالب. وعلى هذا الأساس فليس من حق إخواننا في "حماس" الإكثار من مفردات الكلام التي توحى بأن الأشقاء العرب ساهون عن الشقيق الفلسطيني.

وإذا كان لا بد من المناشدة فلتكن من جانب "حماس" بالذات بحيث تطلب من الذين أو بالأحرى "الذين" لا يريدان للوفاق أن يتم قبل أن تتضح نوايا الإدارة الأميركية الجديدة نحوهما، المساعدة على أن يتهادن الطرفان الفلسطينيان المتخاصمان: "دولة رام الله" غير الرسمية و"دولة غزة" غير الشرعية، وينشأ عن هذا التهادن وفاق كالذي حدث في لبنان بعد طول عناد مشابه للعناد الفلسطيني الراهن، وفي ظل هذا الوفاق أمكن إنتخاب رئيس للجمهورية وتشكيل حكومة وإبعاد مخاطر الانهيار الكامل للوطن.

وقد نجد من يقول: وهل أن هذا الوفاق في لبنان حل نهائي، وهل هنالك ما يضمن بأن الموقف لن ينفجر ربما عشية الإنتخابات البرلمانية المقبلة وربما بعد إجراء الإنتخابات التي على الأرجح ستتم ضمن الأصول الديمقراطية إلا أن نتائجها مدمرة في الحالتين ذلك أن فوز الأكثرية الحالية المعروفة بتسمية (14 آذار) يعني أن يلجأ الطرف الآخر المعروف بتسميته (8 آذار) إلى الرد بإستعمال ورقة سلاحه الذي يتعثر "الحوار لوطني" بسببه، وإذا جاء الفوز من نصيب هذا الطرف (أي 8 آذار) فإن السلاح سينهمر على الأكثرية المهزومة. وعندئذ ستكون كارثة شعب فلسطين من جرّاء عناد

"قبيلة فتح" و"قبيلة حماس" بسيطة أمام كارثة شعب لبنان من الرد الذي سينشأ في حال انتصرت "قبيلة 14 آذار" على "قبيلة 8 آذار" أو العكس. ومن يقرأ بين سطور تصريحات "شيوخ" هاتين "القبيلتين" ونعفي القلم من ذكر الأسماء حفظاً للسلامة ودرءاً للخصومة، يتأكد له ذلك. هذا إلى جانب أن المحكمة الدولية ومدى الإصرار على أن تأخذ طريقها حتى الإنعقاد وحتى الإدلاء بقرار الاتهام وما يستتبع ذلك من إجراءات وكشف للمستور ستشكل في هذه الحال الحد الفاصل بين ما هو حاصل وبين واقع جديد ستشهد بعض مراحل جولات من حروب غير مسبوقه وذلك لأن المنطقة ستكون إذا جاز التصور ساحة للقرصنة البرية جبلاً وسهلاً وساحلاً.

ونعود إلى ما بدأناه لنتمنى بالنسبة إلى الكارثة التي يعاني منها إخواننا في "دولة رام الله" نتيجة الحصار الجائر لنقول لشخي "حماس" خالد مشعل وإسماعيل هنية: إن فك الحصار عن الرأي العام الغزوي يبدأ بفك الحصار المفروض منكم على الحوار مع الشقيق الفتاوي. وعندما يحدث ذلك وتستعيد القلوب الفلسطينية التآلف فإنه إذا عاودت إسرائيل الحصار ستجد أن العرب من المحيط إلى الخليج حكماً ومحكومين يستأنفون الوقفة كما في الماضي مع القضية الفلسطينية التي تتواصل إندثاراً على أيدي أبنائها وينحسر وهجها أمام عبارات غير نضالية يتبادلها قياديون من "فتح" مع شيوخ من "حماس" من نوع العبارات التي تتبادلها النساء الرذافات. وبعد ذلك يتساءل هؤلاء: لماذا لا يقف العرب مع الشعب الفلسطيني أو، إن الموقف العربي عار على الواقفين. معاذ الله منطوق هكذا.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 3 ديسمبر (ك) 2008

* * *

هل هذا وقت التصريحات "العذوانية"؟!

هنالك حالتان غريبتان تستحقان التأمل، طرفاهما حركة "حماس" وإستهدافها، وهنا وجه الغرابية، الدولتين اللتين من دون إنشغال بالهما بالحركة والعمل الدؤوب على انقاذها من مغامرة الانفصال لكانت حال هذه الحركة عربياً ودولياً أسوأ بكثير مما هي عليه الآن. والدولتان هما مصر

والسعودية.

بالنسبة إلى مصر تصرفت "حماس" على النحو الذي يجرح الدولة العربية الأكبر مع ملاحظة انه مقابل الإحراج تضررت "حماس" بالقدر نفسه. وهذا الإحراج حدث عندما اكتملت الترتيبات من جانب مصر الشهر الماضي لإستضافة مؤتمر للحوار بين "السلطة الوطنية الفلسطينية" و"حركة حماس" وتم وضع "أجندة" بالموضوعات والأسماء لجلسات المؤتمر، ثم فوجئت السلطات المصرية قبل ساعات من الموعد المحدد لإنعقاد المؤتمر بإتصال من قيادة "حركة حماس" يفيد بأن الحركة لن تشارك. وبطبيعة الحال فإن الإحراج حدث ولا بد ان إسرائيل ارتاحت لهذا التصرف لأنها ضد أي مسعى يستهدف توحيد الصف الفلسطيني من نوع المسعى المصري وقبل ذلك المسعى السعودي الذي خسرت القضية الفلسطينية بعدم توظيف "فتح" و"حماس" لنتائجه ولأجواء التي حدثت بين "الأخوة الأعداء" أي قيادة "فتح" برئاسة محمود عباس وقيادة "حماس" متمثلة في الرجل الأول في "حماس" خالد مشعل ورئيس الحكومة المنفصل عن "السلطة الوطنية" المترس "حكومة غزة" إسماعيل هنية.

مرة أخرى تتصرف "حماس" وإن كان التصرف هذه المرة جاء من خلال طرف دون مستوى القمة، بما من شأنه إلحاق الضرر بها ومحاولة إحراج المملكة العربية السعودية، حيث ان عضو البرلمان الفلسطيني عن "حركة حماس" عاطف عدوان أدلى بتصريحات متجنبة نقلها موقع "حماس" الإلكتروني في وقت اكتملت الإستعدادات لبدء موسم الحج وفق توجيهات من الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى رئيس لجنة الحج المركزية أمير منطقة مكة المكرمة خالد الفيصل بن عبد العزيز بأن يكون الموسم ناجحاً بامتياز. وفي التصريحات "العذوانية" ان السلطات السعودية منحت تأشيرات إلى آلاف الحجاج المسجلين لدى السلطة الوطنية في الضفة الغربية مستثنية 2200 حاج مسجلين في غزة لدى أجهزة "حماس". وهذا التجني دفع بالخارجية السعودية إلى التوضيح بأن المملكة "تتظر إلى جميع الفلسطينيين بعين المساواة ومنحت الآلاف منهم من جميع الأراضي المحتلة بما فيها قطاع غزة تأشيرات دخول إلى المملكة لأداء فريضة الحج سُلمت إلى السلطة الفلسطينية وأنها زادت الحصص المقررة لهم مراعاة لظروفهم الإنسانية، كما أن جميع منافذ المملكة مستعدة لإستقبالهم وتسهيل أدائهم للشعيرة...". وإنتهى توضيح الخارجية

الطواف الملايين بين مكة والمدينة والطواف البشّاري - العوني بين دمشق وحلب

كنا حتى اللحظة الأخيرة وعملاً بقاعدة تفاءلوا بالخير تجدوه، نتوقع آمليين متفائلين أن يتخذ أولو الأمر في الأمة خطوة ما على طريق تنقية الأجواء العربية-الإسلامية من الشوائب التي تكاثرت وغدت مثل الغيمة السوداء التي تحجب الشمس ولا تكون إيذاناً بهطول المطر. أما لماذا التوقع والأمل فلأن عيد الأضحى يحمل في طياته المعاني الجليلة الروحية والواقعية. فهو شكلاً إستبدال دم الخروف بحياة إنسان لكنه ضمناً يعني أن الإنسان مواطناً عادياً أو إستثنائياً، محكوماً أو حاكماً، مُطالب بالتضحية من أجل تصحيح لفظ صدر عنه في لحظة غابت عن المتلفظ الرجاحة والتبصر والحسابات الدقيقة، أو من أجل تصحيح أسلوب في التعامل لم يأخذ في الإعتبار كرامات الآخرين. بل انه مُطالب بالتضحية من أجل إنقاذ الوطن في حال أن الشخص الذي نعينه كان من الممسكين بمقاليد السلطة ولا يمكن لقرار أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ من دون موافقته عليه سواء من خلال مذكرة تحمل توقيعيه أو إيماءة من رمش عينيه تعني الموافقة.

ولقد حفلت الأشهر التي سبقت عيد الأضحى بالكثير من الهنات غير الهَيِّنات صدرت عن بعض من هم في القمة وتستوجب التصحيح. وهي لو صدرت عن من هم حول صاحب القرار أو في الحلقات الدنيا من المسؤولين لكان امكن رتق الثوب تأديباً لمن قال، أو على الأقل تبرؤاً من هذا الخطأ، يقوله الرجل صاحب القرار الأول والأخير وينتهي الإشكال على قاعدة عفا الله عما مضى. لكن الذي قيل ولم يكن إطلاقاً من الهنات الهَيِّنات صدر من صاحب القرار وهنا تصبح المسألة أكثر تعقيداً ولا مجال لحل التعقيدات بغير كلام ودود يقال في مناسبة مماثلة وأمام جمع غفير يصفق الحاضرون بعد سماعه كما تصفيقهم في المرة السابقة. قبل حلول شهر الصوم المبارك إفترضنا مثل كثيرين أن التصحيح لا بد سيحدث على قاعدة أن الصيام ليس عن الطعام والشراب وإنما هو أيضاً عن التلفظ بما قد يسيء إلى كرامات الآخرين. وعلى هذا الأساس فإن المتلفظ إساءة ربما يغتتم المعنى الروحي لشهر رمضان

السعودية إلى القول: "إنه أمام ذلك لا تستطيع المملكة إلا أن تستنكر الغرض من هذه التصريحات المغلوطة، إذ أن قلب الحقائق لا يمكن إلا أن يكون لأغراض ليست في مصلحة الشعب الفلسطيني ولا لتسهيل اداء شعائهم الدينية".

نتساءل هنا: هل هذا وقت التصريحات "العدوانية" (نسبة إلى تصريح البرلماني الفلسطيني عاطف عدوان)؟! وهل من الجائز يا اخواننا في "حماس" إستعمال ورقة الحج وكما لو أن الحجاج الفلسطينيين هم الحطب الذي ترميه "الحركة" على نار الأزمة لتزداد إشتعلاً وهل من المعقول ألا تصحح "حماس" موقفها مع مصر والسعودية ولا تحاول إنهاء عزلتها واستفراقها بغزة وذلك بالعودة عن خيار الانفصال الذي أثبتت التطورات عدم جدواه وأنه أضر بـ "حماس" كونه أظهرها انها ورقة في اليد وليست مالكة قرارها وعاملة من أجل القضية الاهم.

ولو ان "حركة حماس" هي حركة علمانية لجاز الافتراض بأنها توظف موسم الحج لتحقيق مآرب أو مكسب لكنها حركة ذات عقيدة إسلامية ولذلك فإنه بدل الحجر على حجاج غزأوين يريدون تأدية الفريضة والتنزع بأن السعودية تحابي السلطة الوطنية وتسهل أمر الحجاج الآتين من مدن الضفة الغربية ولا تمنح التأشيرات للغزأوين وهي ذرائع أكثر منها حقائق بدليل توضيحات الخارجية السعودية، فإن من واجب "حماس" تحييد الفريضة من نزاعها مع "فتح" ومن افتعال الأزمات مع مصر والسعودية بفعل الإيحاء أو توزيع الأدوار أو للشعور بالذنب من الإحراج الحديث العهد للمسعى المصري والإحراج قبل ذلك للمسعى السعودي من أجل توحيد الصف، ومحاولة تغطية هذا الذنب بأعذار لها صفة التجني وينطبق عليها المثل الشائع مع بعض التعديل وهو: عذر أشد مرارة من الذنب. والمعذرة لأننا لا نقرن كلامنا بوقائع حول لعبة "فتح" و"حماس" ومحاولة اللاعبين ضرب بعض الأنظمة ببعضها ومطاردة "دولة رام الله" لـ "دولة غزة" التي لا طعم لها ولا ضرورة، أو إنَّ مذاق طعمها كثير الملوحة وأنَّ ضررها يُلغي ضرورتها، كما انها ليست حتى مسلية مثل مطاردة "توم" لـ "جيري" ... وبالعكس.

صحيفة "الشرق الأوسط" - 11 ديسمبر (كانون الأول) 2008

* * *

ويصحح لفظاً طال أمد عدم تصحيحه. لكن الشهر الكريم بدأ من دون تصحيح. وانتهى الصوم، والذي نتوقه لم يحدث. وهذا جعلنا نصاب بخيبة أمل. لكن مع ذلك قلنا: هنالك بعد شهرين عيد الأضحى ولا بد من التصحيح في هذه المناسبة. ومع شديد الأسف فإن ذلك لم يحدث. وبذل أن تكون مناسبة الأضحى وموسم الحج هما خير ظروف لما يأمله المرء فإنه بينما كان الحجاج يطوفون ويسعون في بيت الله الحرام في مكة المكرمة ويتبركون بزيارة مثنى الرسول (ص) في المدينة المنورة ويتهلون إلى المولى عز وجل ان تلتئم الجراح ويتوحد الصف شاكرين من صميم قلوبهم الملك عبد الله بن عبد العزيز على سهره ورعايته ومتابعته الدؤوبة لكي يكون الثلاثة ملايين حاج على أفضل حال، كان الرئيس بشّار الأسد الذي طالما توقّعنا، ولا نزال، منه تصحيح لفظ غير مستحب في حق قائدَيْن عربيَيْن هما الملك عبدالله بن عبد العزيز والرئيس حسني مبارك لهما على سوريا الأسدية أكثر بكثير مما لإخواننا أهل الحكم الإيراني عليها، في حالة "طواف" و"سعي" بين دمشق وحمص وحلب و"رمي جمرات كلامية" مع ضيف شغوف بالمشاكسات المحرمة في سوريا على احد، هو الجنرال ميشال عون زعيم ثلث المسيحيين في لبنان وخليف بعض الشيعة. وبينما كان الثلاثة ملايين حاج مسلم عرب وغير عرب ملفوفين بثياب الإحرام البيضاء بلون الثلج كان الضيف الذي جاء إلى سورية في زيارة مكيدة ممهداً لها بسلسلة من التجنّيات على السعودية، مغموراً ومتدفناً بالعباءة الأسدية الجالس على كرسي رئيس الدولة المتسبب بهذا التكريم الإستثنائي بمشاعر صادمة وحاسدة في الوقت نفسه لعشرات من أهل السياسة في لبنان لم ينالوا هذا النوع من التكريم من سورية التي ولأوهم لها يتساوى مع ولأهم للبنان.. أي بما معناه تقاسم الولاء. ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الرئيس نبيه بري والاستاذ سليمان فرنجية المؤجل، على ما يجوز الافتراض، تكريمه، كما تكريم الجنرال عون، إلى ما بعد ترؤسه خلفاً للرئيس ميشال سليمان مروراً لفترة وجيزة انتقالية بـ "الرئيس ميشال عون". وهذا مرتبط بمفاجأة الإنتخابات البرلمانية ومن سيكون الفائز: 14 آذار الحريري- الجنبلاطي - الجعجي أم 8 آذار العوني- الشيعي بجناحيه "أمل" نبيه بري و"حزب الله". ومثل هذه المفاجأة لم يُخفها

الزعيم الدرزي وليد جنبلاط الذي لا يكف عن مقارعة الحكم السوري وبنسبة مدائحه في ما مضى لهذا الحكم، الذي وفيما الجمع اللبناني يأمل لو يتم تصحيح العلاقة اللبنانية - السورية يُطلق قذائف تبدد الأمل، كأن يقول عن الرئيس بشّار ووالده الرئيس الراحل كلاماً لا يخدم في أي حال المسعى المأمول لحالة من العلاقة الوفاقية بين لبنان وسورية تكون نقيض علاقة الماضي وفي الوقت نفسه نقيض عداوة مستقبلية يمكن أن تحدث. وكلام "الرفيق وليد بك جنبلاط" المبايع، كما الذي حصل للرئيس بشّار، برئاسة الحزب التقدمي الإشتراكي الذي لا يتأسسه غير جنبلاط الابن بعد الأب، والحفيد بعد الابن أطال الله عمر الأستاذ وليد، هو من النسيج نفسه لكلام الجنرال عون في سنوات المنفى الفرنسي بعدما أخرجه القصف السوري من القصر الجمهوري في بعثا وإستمر يقوله إلى حين تحالف مع "حزب الله" بغرض أن يكون هو رئيس الجمهورية وهو منصب ظنّه الجنرال عنياً وإذا به حصرم في حلب التي كانت محطة بارزة في "حجّه" السوري. وعلى هذا الأساس فكما أن الصدر البشّاري إتسع لإضفاء محبة على الجنرال عون كقيلة بمحو عداوته لسورية، فإن صدر بشّار حافظ الأسد ربما يتسع إزاء وليد كمال جنبلاط في حال أوجبت اللعبة السياسية على زعيم ثلاثة أرباع الدروز أن يستدير كثيراً كما استدارته في موضوع العلاقة مع "حزب الله" وبذلك تصبح عبارة سمعناها منه غير مستحبة وهي "الوحش نفسه والإبن سر أبيه وسوريا خطر علينا والإنتكاسة كبيرة إذا خسرنا الإنتخابات وأن رستم غزالي سيحكم لبنان من ريف دمشق...".

لا كلام الماضي الحافل بالإطراءات الجنبلاطية للنظام السوري كانت مستحبة وإن كانت نتيجة الإضطراب ولا كلام الحاضر الحافل بالعداوة مستحباً لأنه يسقي غرسة الخصومة التي تنتهي شجرة عداوة. نعود إلى ما بدأناه لنؤكد على أن الوضع يتطلب أن يسأل كل صاحب قرار على مستوى القمة نفسه في حال كان السبب في توتر علاقة: لماذا قلت الذي قلته؟ أما وقد كان القول وحدث رد الفعل الغاضب والساكت على مرارة فلماذا لا أبادر وأصح؟

وعندما يقول الملك عبدالله بن عبد العزيز أمام الشخصيات الإسلامية ورؤساء بعثات الحج الذين إستقبلهم في قصره في منى "نحن اليوم بحاجة إلى حوار

الأمة مع نفسها، فالفرقة والجهل والغلو عقبات تهدد آمال المسلمين... فكأنما يخاطب في الدرجة هؤلاء الذين نعينهم وأبرزهم الرئيس بشّار الذي يا ليت كان من بين الذين إستقبلهم الملك عبدالله شأنه في ذلك شأن الرئيس عمر البشير الذي أراد بأدائه فريضة الحج لهذا العام أن يقول لخادم الحرمين الشريفين إن من في إستطاعته إنجاز "حوار الأديان" أن يفعل للسودان ما من شأنه تخفيف وطأة "هجمة العدالة الدولية المصطنعة" عليه. ولو أن الرئيس بشّار جاء بعد كلام طيّب يقوله في دمشق عن القائدين العربيين اللذين تجنّى على مهايتهما ووقف مصافحاً الملك عبدالله بن عبد العزيز مع المصافحين في قصر منى بدل إنشغاله بـ "طقوس" الإستقبال غير المسبوق للجنرال عون ومبايعته زعيماً لمسيحي الشرق، لكان الشعب السوري بنسبة تفوق بكثير نسبة المبتهجين بـ "الحج العوني" ممتناً لرئيسه لأنه يضع البلد على سكة السلامة، ولكان الشعب اللبناني رأى أن الجار الرئيس إختار في نهاية الأمر لسوريا الأمان والإستقرار وهذا مردوده طيّب على لبنان. وكفى أبناء الأمة من المحيط إلى الخليج متاعب الهيمنة والوصاية والغزو والإنقسام.

وهذا هو المدخل الصحيح إلى "حوار الأمة مع نفسها".

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 23 ديسمبر (ك) 2008

* * *

التشرق الأوسط ASHARQ AL-AWSAT جريدة العرب الدولية

المقالات من يناير 2009 إلى ديسمبر 2009





م. طه
أ. م.
ع. م.
و. م.

في ١٩٨٤، تم إنشاء المجلس الأعلى للثقافة، وهو الهيئة العليا التي تهتم بالشؤون الثقافية في مصر. وقد تم إنشاء المجلس على يد الرئيس محمد أنور السادات، وكان من بين أهدافه الرئيسية تعزيز الثقافة والفنون في مصر، ودعم الفنانين، وتطوير البنية التحتية الثقافية، مثل المكتبات والمتاحف والمسارح. يعمل المجلس على تنظيم الفعاليات الثقافية، وإصدار القرارات المتعلقة بالشؤون الثقافية، وتقديم الدعم المالي والفني للفنانين والمؤسسات الثقافية. يعتبر المجلس الأعلى للثقافة من أهم المؤسسات الثقافية في مصر، وله دور كبير في تطوير المشهد الثقافي المصري.

التيسير السعودي بأسلوب علي عسيري



John F. Kennedy

المصادر:

س حركه فقدت ا
الانتماء السطحية... كلمة سر الايام

تأملات في الزمكان الغزالي

110

[illegible][illegible]

من «المستشار الثالث عشر» إلى الرئيس عمر البشير



JOHN



John E. Burt
 President, American Society of Mechanical Engineers

1000

[illegible]

1999

العولمي بين دمشق وحلب

المهملون في الأرض... قبل فترة وبضحا



Mr. [Name]
[Title]
[Company Name]



John F. Kennedy



تأملات في البركان الغزاوي

الجانب الأكثر مأساوية من المجزرة الغزاوية أ المجتمع الدولي من القطب إلى القطب شاملاً العرب والمسلمين يتعامل مع الموضوع من زاوية إنسانية فقط ويتحاشى التعامل السياسي معها. ودليلنا على ذلك أن جميع المواقف العربية والإسلامية والأجنبية، ونعني بذلك مواقف الحكام والحكومات، تتمحور حول الجانب غير السياسي حيث ليس هناك أي طرف يبادر إلى الاتصال بالمغتربين من قادة "حماس" ويناقش معهم الأمر. بل حتى الحكم السوري وحليفه الحكم الإيراني لا يتصرفان مع موضوع غزة كقضية سياسية وأن الإثنيتين شأنهما شأن دولة قطر لا يتجاوزان الخط الأحمر في النظرة إلى الموضوع. ونحن عندما نسمي هذه الأطراف الثلاثة بالذات فلأنها الوحيدة التي تستضيف وتمتد بالمال أو السلاح أو المؤازرة السياسية قادة الاغتراب "الحماسي" مع ملاحظة أن كل طرف له رؤية تختلف عن الآخر حيث أن الحكم السوري في حالة تفاوض غير مباشر ومتقطع مع إسرائيل مرشحة لأن تصبح تفاوضاً مباشراً من دون أن يكون على مستوى القمة، ولأنه كذلك فإن موقفه لا يصل إلى مرتبة الموقف السياسي الحاسم من المجزرة الغزاوية وتغلب على هذا الموقف دوافع نفسية ولمسات سياسية مدروسة بحيث لا تضع فرصة التسوية وفق جهود الوسيط التركي. أما الحكم الإيراني فإنه على رغم التعامل اللفظي البالغ الحزم مع إسرائيل كدولة معادية وترداد القول النجادي بأنها ستزول، فإنه بقي في موضوع المجزرة الغزاوية في إطار الحسابات الدقيقة مرجحاً الواجب الإنساني على الموقف السياسي - العسكري الحاسم القادر عليه، وهو ما جعل قادة "حماس" يفترضون أن الحليف الإيراني سيعزب ضربته الكبرى إذا هم صمدوا وسيقطفون معه ثمار "نصر آلهي" آخر. أما لماذا كان ترجيح الجبهة الخامنئية - النجادية للواجب الإنساني على الموقف المأمول فللخشية من الرد الإسرائيلي "المشروع" عندئذ في نظر حلفاء إسرائيل والذي قد يدمر في دقائق كل الإنجاز النووي الذي تعمل إيران الخمينية عليه منذ سنوات.. إلا إذا كان الموقف الإيراني من التزامه الحيطة هو إرسال إشارة إلى المجتمع الدولي مفادها أنه إذا كان الغرض من المجزرة، التي هي فعل إسرائيلي مألوف طوال نصف قرن منذ مجزرة دير ياسين وحتى المجزرة الغزاوية مروراً بمجزرة

قانا، تقطيع أوصال "حماس" وأخواتها للشروع في تسوية تؤكد وجود دولتين: دولة إسرائيل، ودولة فلسطينية، فإن الحكم الإيراني لا يمانع في ذلك بدليل أنه لم يكرر الفعل الصدامي عندما أرسل الرئيس العراقي أربعين صاروخاً تساقطت فوق أهداف إسرائيلية وكلفه ذلك ضرب نظامه فصاره فغزوه فاحتلاله فشنته. وهنا نشير إلى أن التصريحات الصدامية قبل إرسال الصواريخ في اتجاه إسرائيل لا تختلف عن تلك التي درج أهل الحكم الإيراني وبالذات كبيراً الحكم مرشد الثورة آية الله علي خامنئي ورئيس الدولة محمود أحمدي نجاد، على ترديدها: لكن الذي يميز الكبيرين الإيرانيين عن الكبير العراقي الأوحده، أن المرشد خامنئي والرئيس نجاد إستحضرا على ما يجوز الإعتقاد المصير الذي أصاب الرئيس صدام فقرر الإبقاء على الصواريخ في مخابئها كي لا يقال ذات يوم إن هذين الزعيمين لم يأخذا بقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه "ما أكثر العبر وأقل الإعتبار". وتبقى قطر من المثلث الداعم لـ "حماس" حمدياً وأرضياً وفضائياً. وهذه الدولة تلقى من خالد مشعل ورفاقه "الحماسيين" المغتربين كل التقهّم في شأن خصوصية التواصل القطري - الإسرائيلي والتواجد الأميركي الهائل وهو تقهّم مسبوق ضمن معادلة إرتضاها صدام حسين قبل خالد مشعل وقضت بأن تكون قطر ملاذ الشتات الصدامي تتقاسم ذلك مع اليمن.

ونحن عندما نقول ذلك نستغرب كيف أن إخواننا قادة "حماس" اختاروا لعبة تقوم على الرهان وليس على الحسابات الدقيقة. ونقول ذلك على أساس أن من يحسب بدقة، من مصلحته الأخذ في الإعتبار أن الأنظمة العربية ومعها حكومات المجتمع الدولي لا تستطيع الوقوف معها لأنها أصلاً قطعت خطوط التواصل مع هذه الأنظمة والحكومات، نستنتج من أجل الدقة إيران وسوريا وقطر. وجاء القطع على مرحلتين. الأولى بعد الخروج على إتفاقات تم التوصل إليها مع ما يشكّله هذا الخروج من إخراجات لبعض القادة. والثاني بعد التصرف على أساس أن على الأنظمة والحكومات الإعتراف بالخطوة غير المنطقية وغير الشرعية التي أقدمت عليها وهي الإستفراد بقطاع غزة والإنفصال عن السلطة الوطنية المعترف بها رسمياً على المستويين العربي والدولي وإعلان قيام حكومة يتزأسها إسماعيل هنية الذي هو رئيس حكومة "السلطة الوطنية الفلسطينية". وهذه الخطوة معناها أن هنالك

فلسطينيين: "فلسطين حماسية" لا إقراراً عربياً ودولياً بها و"فلسطين السلطة الوطنية" التي تتعامل الأنظمة العربية والحكومات الأجنبية معها. وربما كان من أوحى لـ "حماس" بالفكرة رأى أن تتكرر ظاهرة الألمانيتين والكوريتين والصينيين. وهذا أولاً وآخر نوع من التلاعب وتضييع للفرص وهدر للوقت.

ومن المؤكد أنه لو سلك "حماس" الصراط الواقعي والإلتزام بما لم تلتزم به، لكانت المجزرة ربما لن تقع. وحتى إذا نحن افترضنا أن الجنوح نحو العدوان المتأصل في النفس الإسرائيلية سيصل إلى حد ارتكاب المجزرة، فإن التعامل العربي والدولي مع الموضوع لن يكون على الإطلاق إنسانياً فقط. ونجيز لأنفسنا ونحن نقول ذلك، الافتراض بأنه في حال حدثت المجزرة وكان هنالك وفاق فلسطيني ووحدية حال خالية من التذاكي بين الطرفين الأقوى حضوراً في الساحة الفلسطينية وكان الرئيس إسماعيل هنية ملازماً مقر رئاسة الحكومة في رام الله إلى جانب أخيه رئيس السلطة محمود عباس، فإن هذا التباين في المواقف العربية والدولية الصديقة لن يكون في أي حال على ما هو عليه في ظل وجود فلسطينيين. كما لن يكون هنالك تباطؤ في عقد قمة عربية تواجه الوضع المستجد. بل إن القادة العرب قد يجدون أنفسهم وفي خطوة غير مسبقة يتلقون دعوة من سلطنة عُمان التي تستضيف دورة انعقاد القمة الخليجية للمشاركة معهم في جلسة إستثنائية على هامش الجلسة الخليجية. كما أن السلطان قابوس كان في هذه الحال قد يرى إشراك الرئيس نجاد في هذه القمة ما دام حضوره ليس للإجراج والإرباك كما الحضور السابق في قمة الدوحة، ويعمل على رأب الصدع في العلاقة السعودية - السورية والعلاقة المصرية - السورية. وكانت هذه القمة المشتركة الفريدة من نوعها ما دامت فلسطين مشاركة فيها بشخص رئيس السلطة "الفتاحي" ورئيس الحكومة "الحماسي" أو "الحمساوي" ستضع القضية الفلسطينية في صدر المشهد الدولي وتتخذ من القرارات ما هو لمصلحة الشعب الفلسطيني الذي إنتهت حاله نتيجة الانفصال إلى أن الأهواء الرهانية "الحماسية" عصفت به وشجعت إسرائيل على أن ترتكب مجزرة جاعلة من غزة ضاحية أخرى.. نسبة إلى الضاحية الجنوبية من بيروت التي أصابها ما أصاب غزة بعد سنتين.

وقد نجد بين إخواننا قادة "حماس" من يقول: لنفترض أن "حركة حماس" إختارت الموقف العنيد على أمل أن

تجني منه مكاسب للقضية، فهل معنى ذلك أن يكون التعامل إنسانياً فقط مع البركان الذي تفجّر؟ ولماذا لا يكون مثل ذلك الموقف الذي إتخذه العرب إزاء مصر عبد الناصر عندما إختار في مايو 1967 موقفاً يقوم على العناد وعدم التبصر في التداعيات التي تنشأ عن هذا الموقف شبيهاً في بعض منطلقاته بالموقف الذي إتخذته حماس. ولهذه الواقعة حديث آخر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - 3 يناير (كانون الثاني) 2009

ظروف الرئيس حسني من ظروف السيد حسن

عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر يواجه العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 كانت الأمة معه ومع المقاومين البواسل الذين لم يقصروا في أداء الواجب وتحمل التضحيات. كما أن مئات الطلاب العرب الذين يتابعون تحصيلهم في مصر سجلوا أسماءهم كمتطوعين في حال فرضت ظروف المواجهة توسيع مناطق المقاومة وكان من بين الشباب العرب المتفاعلين مع الانتفاضة المصرية ضد العدوان الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي بات أميراً للرياض. ولقد سجل المقاومون المصريون بطولات واضعين بذلك ما يجوز إعتباره حجر الأساس للمقاومة العربية التي تستهدف من عملياتها رد الأذى والعدوان عن الوطن.

في ذلك الزمن لم يكن السيد حسن نصر الله وُلد بعد. وهو عندما جاءت تقديرات الرئيس عبد الناصر في مايو/ أيار 1967 للموقف الإسرائيلي - الدولي غير دقيقة وورط بذلك مصر في مواجهة مع إسرائيل شكلت ندوباً في جبين الدولة العربية الأكبر، كان السيد حسن في السابعة من عمره لا يملك بعد قراءة الموقف الصحيح من الموقف الخطأ. إلا أنه عندما بدأت مصر تنتقل من مرحلة إزالة آثار الخسائر الناشئة عن عدوان يتحمل عبد الناصر شخصياً أو من خلال المشير عبد الحكيم عامر الذي لا راداً لرؤاه مع أنها غير واقعية، إلى مرحلة الثأر من هزيمة 1967 متمثلة هذه

المرحلة بـ "العبور العظيم" للجيش المصري وإسترجاع سيناء بإنتصارات عسكرية أسست بعد ذلك إنجاز الإسترجاع بمعارك دبلوماسية، كان السيد حسن في الثالثة عشرة من العمر يتابع عبر الراديو وهُج الإنتصار المصري الذي تجلّى في الحرب التي قادها الرئيس الخلف أنور السادات وكان دور القوات الجوية المصرية فيها مبهراً وفاعلاً من خلال همم مجموعة من الطيارين البواسل من بينهم حسني مبارك الذي كان زمناً في السادسة والثلاثين والذي أنجز الثمانين من العمر يوم 4 مايو/ أيار الماضي مواصلاً للسنة الثامنة والعشرين على التوالي منذ إغتيال الرئيس السادات يوم 6 أكتوبر/ تشرين الأول 1981 ترؤس مصر بشريعتين: الشرعية الدستورية كونه شغل في سنوات التروؤس الساداتي منصب نائب رئيس الجمهورية تنشيطاً للخيار الساداتي بأن يكون منصب نائب الرئيس من حصة الجيش، مما يعني أن يصبح السيد النائب هو السيد الرئيس بعد وفاة الرئيس، مع ملاحظة أن الرئيس مبارك أراد ضمناً بعدم تعيينه نائباً له هو على الأرجح لترئيس من ليس عسكرياً بما يتيح الفرصة أمام المدني الكفو لتولي المنصب. تلك هي الشرعية الدستورية التي بموجبها يتراأس مبارك. أما الشرعية المضافة فهي شرعية البطولة في تأدية الواجب وتمكّنه من إلحاق خسائر أرضية وجوية في صفوف الجيش الإسرائيلي خلال حرب 1973 وقيادته السرب الأكثر فاعلية في تلك المواجهة التي كانت تبدو مستحيلة إلى أن عبرت القوات المصرية وحطمت أسطورة خط بارليف.

ما نريد قوله من هذا الإستحضار لزمن مضى هو أن الرئيس مبارك لا يعيش، كما بلده، عقدة الواجب الوطني حيث إنه أداه أفضل تأدية، وهو أمر يدركه تمام الإدراك الشعب المصري والجيش المصري. والطرفان قد تستوقفهما سلبيات في سلوك التعامل مع مرحلة ما بعد التسوية مع إسرائيل برعاية أميركا كارتر التي بدأها الرئيس السلف أنور السادات ولا يفرط بها الرئيس الخلف حسني مبارك، وهي تسوية لم تأت في شكل هدية وإنما بعد توضّحات أريقت خلالها دماء وسقط من أجلها ألوف الشهداء. كما أنها جاءت على حساب مشاريع تنمية تعطلت أو جُمِدَت عملاً بشعار "لا صوت يعلو على صوت المعركة".

وفي ضوء هذا الإستحضار يستغرب المرء كيف أن

الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله وقد بات في صدارة المشهد العربي يقول ما قاله مرتين عن مصر، مع أنه يعرف مدى قسوة الظروف على القائد الذي يريد مخلصاً أن يساعد بشكل عملي أو من خلال موقف سياسي متقدم لكنه يجد ماردَ التداعيات منتصباً أمامه فلا يُقدّم على ما يتمنى صادقاً الإقدام عليه. وعندما نقول ذلك فإننا نعني أن الرئيس مبارك يتمنى في ضميره لو يستطيع تحريك قوات ترابط على مشارف غزة ليقول من خلالها للإسرائيليين: كفى عريضة... وإلاً. ولكن الظروف التي تعيشها مصر والقيود التي تكبل اليدين والناشئة عن معاهدة كامب ديفيد تجعل الرئيس مبارك يخوض فقط مواجهة سياسية قد تحقق نتائج ليست بمستوى التطلعات والتمنيات وإنما هي بمستوى الممكن.

وظروف مصر تبقى أكثر تعقيداً من ظروف الحكم السوري الذي لا يلام لأنه لا يُشعل الجبهة مع إسرائيل نأراً، خصوصاً أنه لم يرتبط بمعاهدة سلام. لكنه من أجل هذه المعاهدة التي طالما سعى لنيلها وطالما تجاوب مع وسطاء لم تتضح بعد وساطتهم، يتحمل ما يقال في شأن موقفه ويؤثر الإبقاء على موقفه الراهن الذي يؤازر "حماس" وأخواتها سياسياً وهي مؤازرة تجذب حكومات أجنبية للتحدث مع الرئيس بشأَر في شؤون كثيرة. كما أن ظروف مصر تبقى أكثر تعقيداً من ظروف الحكم الإيراني غير المكبل بمعاهدة والذي في إستطاعة صواريخه أن تصل إلى أي مكان في إسرائيل، لكن هذا الحكم يخشى أن يصيبه ما أصاب صدام حسين الذي أرسل صواريخه الأربعين ومن دون أن يكون حسابه دقيقاً. كذلك تبدو ظروف مصر أكثر تعقيداً من ظروف "حزب الله" نفسه، إذا نحن افترضنا أن الحزب لم يأخذ العبر مما جرى في المواجهة مع إسرائيل في يوليو (تموز) 2006 وأنه مستعد لنصرة الحليف "الحماسي" الذي يواجه عدواناً أكثر شراسة من العدوان التمزوي. لكن الحزب مكبل بإرادة المؤازرة بفعل الأمر الواقع الدولي المتمثل بوجود قوات "اليونيفيل" وهو واقع يفرض عليه ضبط النفس وكتم الغيظ والتشديد على نفي علاقته بأي صاروخ يتم العثور عليه في أرض حدودية أو ينطلق عبر الحدود في إتجاه إسرائيل.

ولأن الأمور على هذا النحو فإن الكلام الخشن في

منهم والمتجولين بين دمشق وطهران والدوحة كان من الأفضل لهم قراءة الموقف جيداً لإستبعاد الإستدراج.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 12 يناير (ك) 2009

* * *

لعبة الإستدراج من عبد الناصر

إلى خالد مشعل

بعد ثلاثة أيام من التدمير للقواعد الجوية المصرية، وتشتيت القوات التي كانت توزعت على نقاط من صحراء سيناء، وذلك في مشهد صاعق لم يجد الرئيس جمال عبد الناصر ما يخفف من وطأته على الشعب سوى الطلب من اليد اليسرى الإعلامية - التنظيرية له الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابة نص خطاب الاستقالة، بعدما خذلته اليد اليمنى العسكرية المشير عبد الحكيم عامر الذي ما زال حتى بعد إنتحار الأخير ثم رحيل عبد الناصر، يستعصي علينا فهم هذه الثقة من جانب الرئيس في وزير الدفاع والأخذ برؤيته وتقديراته، فضلاً عن أن واقعة إستدراج إسرائيل إرتبطت بصاحب عبارة «حا نبططهم يا ريس» وذلك رداً على إستفسار من جانب عبد الناصر عما يمكن أن يحدث في حال شنت إسرائيل الحرب على مصر.

أما كيف حدث الإستدراج، فإن عبد الناصر الذي إستوقعه تزايد التهديد الإسرائيلي لسوريا، مع أنها كانت بإنفصالها عنه ساعدت على انحسار مهابته، وبالذات تصريح أدلى به يوم 12 مايو/ أيار 1967 اسحق رابين الذي كان زمناً رئيساً للأركان جاء فيه «إننا سوف نشن هجوماً خاطفياً على سوريا وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ثم نعود»، إستقصى من المشير عامر عن قدرات الجيش المصري في حال نفذت إسرائيل ما ورد في تصريح رابين الذي أضفى عليه جدية سياسية رئيس الوزراء ليفي أشكول الذي صرّح بأن إسرائيل «مستعدة لإستخدام القوة ضد سوريا». ثم نقل رئيس الأركان المصري الفريق محمد فوزي بعد زيارة تفقدية للجبهة السورية معلومات جعلته يعلن حالة الطوارئ في الجيش المصري ويجري في الوقت نفسه إتصالات مع القيادة

حق مصر لا يجدي ويجر كلاماً بالخشونة نفسها وهذا ما حدث فضائياً وعلى صفحات الصحف. وفي هذه الحال فإن ما تخسره مهابة السيد حسن نصر الله في نفوس المصريين تبقى أكثر فداحة من بليلة إفتراض السيد أنها ستسود الصف المصري بجناحيه: الرأي العام ومؤسسة الجيش. وهو لو كان أدرى بحقيقة النسيج الشعبي للمصري تجاه حاكمه وجيشه لكان تفادى ما قاله، أو على الأقل بقي القول على لسان أوساطه وليس منه مباشرة.

ويبقى أن المشكلة الأساسية في ما هو حاصل وفي المحنة التي أصابت إخواننا الغزأوين هو أن الإستدراج يسبق التخطيط الدقيق والتصور الموضوعي لما بعد الإستدراج. ولو أن قادة "حماس" إستحضروا، وهم يعلنون عن إقتناع أو بالتكليف إنهاء التهدة، قول السيد حسن ما معناه انه لو كان يتصور أن إسرائيل ستشن حرباً تدميرية على لبنان رداً على خطف الجنديين لما كان أمر أو وافق أو إرتضى خطفهما. وهو قال الذي قاله لأن الإستدراج غير المحسوب يؤدي إلى كارثة. وهذا ما حدث من إستدراج "حماس" للإسرائيليين سواء من حيث خطف الجندي أو من حيث الإعلان بمفردات عنفوانية من أن إتفاق التهدة بات منتهاياً. وهو عنفوان كلف مصر عبد الناصر كارثة أين منها كارثة غزة، عندما إستدرج في مايو (أيار) 1967 إسرائيل موشي دايان إلى حرب ربما كان ضمناً لا يتوقعها لأنه ليس مستعداً لخوضها أصلاً، لكنها حدثت وجاءت في بعض جوانب ظروفها مثل إستدراج "حماس" لإسرائيل إيهود باراك وزير الدفاع في حكومة إيهود أولمرت المستقالة لكي تمارس أشرس إعتداء على شعب في تاريخ الإعتداءات. وأما الإستدراج المصري فإنه يبقى أكثر الخطوات غير المحسوبة خطورة والذي لا بد يستحضره الرئيس مبارك وهو يسمع كلاماً من هنا وكلاماً من هناك ومطالب لها صفة الواجب لو أن الظروف لم تكن على النحو الذي أشرنا إليه. أما كيف حدث الإستدراج وهل كان من الممكن تفاديه وبذلك لا تشن إسرائيل الحرب على مصر جاعلة عبد الناصر يُمنى بهزيمة رمت بثقلها على وجدان الأمة، فهذا له حديث آخر على هامش الحقيقة الأساسية وهي أن ظروف الرئيس حسني هي مثل ظروف السيد حسن وأن شيوخ "حماس" المقيمين

السوفياتية.

وهنا حدثت نقلة في اتجاه الإستدراج الذي كان خطأ استراتيجيا بكل المقاييس لأن عبد الناصر يريد التصعيد.. إنما إلى ما قبل المواجهة، وذلك عندما بعث المشير عامر يوم 16 مايو برسالة إلى الجنرال ريكي قائد قوات الطوارئ في قطاع غزة وشرم الشيخ جاء فيها الآتي: «أحيطكم علما بأنني أصدرت أوامري للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بأن تكون مستعدة لأي عمل ضد إسرائيل في نفس اللحظة التي ترتكب فيها أي عمل عدواني ضد أي دولة عربية. وطبقا لهذه الأوامر، فإن قواتنا تحتشد الآن في سيناء وعلى حدودنا الشرقية. وحرصا منا على سلامة القوات الدولية التي تتخذ مواقعها على حدودنا الشرقية، فإنني أطلب منك أن تصدر أوامرك بسحب هذه القوات من مراكزها على الفور. وقد أصدرت أوامري إلى قائد المنطقة الشرقية حول هذا الموضوع، وطلبت أن يبلغني تنفيذ هذه الأوامر».

إزاء رفض يوثانت مبدأ الانسحاب الجزئي وحلول قوات مصرية محل القوات الدولية، بدأت إسرائيل تستعد لاستثمار الفخ الذي ستقع مصر لاحقا فيه، وبدأت تتحدث عن حقها في حرية الملاحة لسفنها في خليج العقبة مستندة إلى التزام أميركي في هذا الشأن حصلت عليه عام 1957. أما ما يتعلق بالتهديدات لسورية وأكثرها خطورة ما صدر عن اسحق رابين وليفي أشكول، فإن الصوت الإسرائيلي هدا قليلا الأمر الذي يعني أنه كان من باب توريط عبد الناصر وليس تنفيذ التهديدات.

إلى ذلك تركت رسالة من الرئيس جونسون إلى الرئيس عبد الناصر، الذي كان أمر بإغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، مشاعر حائرة في نفس الرئيس المصري. فهو، أي الرئيس جونسون، يؤكد الإلتزام الذي تستند إليه إسرائيل في شأن حرية المرور في خليج العقبة. ومن جهة أخرى يقول لعبد الناصر، إن في إستطاعته الإعتماد على أن الإدارة الأميركية تعارض بحزم أي عدوان في المنطقة من أي نوع كان. وزيادة في تأكيد الموقف، أوضح جونسون أنه سيوفد نائبه هيوبرت همفري إلى المنطقة. لكن الرئيس الأميركي وبعدها حقق يوثانت خطوة نوعية على صعيد التهدة لم تلق قبول إسرائيل التي كانت تخطط للعدوان على مصر، فاجأ عبد الناصر والعالم بأنه بدا مؤيدا للعدوان في ضوء محادثات أجراها معه في البيت

الأبيض وزير خارجية إسرائيل أبا إيبان. أما عبد الناصر فبقي على درجة من الطمأنينة بأن القدرة العسكرية المصرية وعلى نحو ما يقوله المشير عامر، يرى أنه ما دام هذا هو موقف إسرائيل، وذاك موقف أميركا، وذلك موقف الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت، وما دام أغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، فليتك على الله ولتتم المواجهة مع إسرائيل.. إنما كدفاع رداً على عدوان وليس الهجوم، خصوصا أن المشير عامر روى له ولبعض المسؤولين العسكريين والمدنيين من بينهم محمود رياض يوم 28 مايو 1967 واقعة لاقتة خلاصتها أنه أرسل طائرتي «ميج 21» للإستطلاع فوق بحر السبع، وأن الطائرتين إلتقطتا إشارات إسرائيلية تدل على مدى الذعر الذي أصاب الإسرائيليين، مضيفا أن مصر بثلت قواتها تستطيع الوصول إلى بحر السبع في حال قامت إسرائيل بعمل ضد مصر. ومن الطبيعي عندما يسمع عبد الناصر من المشير هذا الموقف المطمئن أن يرد على رسالة جونسون مرحبا بزيارة همفري، متمسكا في الوقت نفسه بما إتخذ من إجراءات، متعهدا بأن مصر لن تكون البادئة بالعدوان، وبأن نائبه زكريا محيي الدين سينقل إلى الرئيس الأميركي الموقف بشكل ثابت.

حتى اللحظة الأخيرة، كان عبد الناصر يأمل ألا تحدث الحرب. وكثيراً ما سمعت شخصياً كلاماً في هذا الشأن من الملك حسين رحمة الله عليه (آخر حاكم قابل عبد الناصر في القاهرة قبل الحرب) في مكتبه في عمان بحضور الأستاذ عبد المجيد فريد الذي إسترسل في سرد وقائع تؤكد ذلك. كما سمعتُ الكلام في الإطار نفسه من الدكتور حسن صبري الخولي كممثل شخصي للرئيس السادات في مكتبه في قصر عابدين، فضلا عما رواه لنا السيد محمود رياض عندما زارنا في مكتب «التضامن» في لندن وزودنا بأوراق عن تجربته العريضة، أفادتني في ثلاثيتي ذات التسمية «زلازل مصر السياسية» التي أصدرتُ الجزء الأول منها على أن يصدر الجزآن المتبقيان لاحقا.

في نهاية الأمر كان الذي حدث عبارة عن بضع حلقات من الإستدراج. إسرائيل إستدرجت سوريا لكي تطلب هذه من عبد الناصر نجدها، وعبد الحكيم عامر استدرجوه لكي يرسم أمام عبد الناصر صورة وردية لواقع الحال في الجيش المصري الذي ذهب إلى سيناء وكان بعض أفراد منقوصي الغذاء والحذاء. وعبد الناصر استدرج إسرائيل إلى المواجهة غير المستعد لها وغير المقرر خوضها، إذ

"وصفة عبدالله" للتوكل العربي

لولا إنجاز وقف إطلاق النار وبدء الإنسحاب الإسرائيلي من غزة لما كان ربما لـ "القمة العربية الاقتصادية والاجتماعية والتنمية" أن تتعقد بل إن نسبة الغياب ستكون كثيرة واحتمالات التقجير داخل قاعة الإنعقاد ستكون أكبر.

ولولا السعي المخلص والصامت من جانب أمير الكويت الذي هو "أمير التخريجات" في عز الأزمات الشيخ صباح الأحمد الصباح لتحويل القمة إلى حدث إستثنائي في ما يخص رأب الصدع، ما دام الذين شاركوا كانوا تسعة وتسعين في المئة من الدول الأعضاء مع إستغرابنا لعدم مشاركة البعض من القادة وإفادهم من يمثلهم... أنه لولا السعي الأحمدى لكانت القمة إنتهت مجرد لقاء شارك فيه القادة وصدورهم ملأى بالعتب والغضب.

ولولا أن الملك عبدالله بن عبد العزيز لم يطلق مفاجأته في شأن إعادة التآلف إلى القلوب العربية مستحضراً رضى رب العالمين عن الكاظمين الغيظ أمثاله من بعض ناكري جمائله ومبادراته من أجل التوفيق بين الأشقاء المتنافرين ومن أجل إبقاء الموقف العربي من إسرائيل تحت سقف الثوابت، لما كان للقمة التي إستضافتها الكويت (الإثنين 19 والثلاثاء 20 يناير/ كانون الثاني 2009) أن تتحول خلال دقائق استغرقتها كلمة الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى حدث تاريخي قياساً بالظروف الراهنة، ثم جاءت ترجمتها وضّع الخلافات جانباً والبدء بعلاقة يمكن أن تحقق الكثير في حال لازمها الصديق وعدم المكيدة والاجتهاد وبحيث يعرف كل طرف حدوده ولا يتجاوز وزنه إقليمياً ودولياً.

وإذن فإن الفضل لما آلت إليه الأمور وتحقيق خطوة نوعية على طريق الوفاق والتضامن يعود لذويه القادة الثلاثة: الرئيس حسني مبارك الذي حقق للغزأوين وقف العدوان عليهم وذلك من خلال القمة التي إستضافها في "شرم الشيخ" عشية انعقاد قمة الكويت، مسجلاً في ذلك خطوة عربية - دولية غير مسبوقة إذ ليس مسبقاً أن يوجّه الرئيس مبارك الدعوة إلى قمة دولية عاجلة إلى أبرز الرؤساء الأوروبيين مثل ساركوزي وبراون وبرلوسكوني وثاباتيرو ومستشارة ألمانيا ميركل ورئيس وزراء تشيكيا الذي تترأس بلاده حالياً الإتحاد الأوروبي

كيف سيكون مستعداً ومقرراً، بينما جيشه غارق في المتاهات اليمينية. وإسرائيل استدرجت أميركا جونسون التي لا تحتاج بالنسبة إلى إسرائيل إلى الوقوف معها بفعل الإستدراج. وهكذا تكون حدث كارثة يتحمل الوزر في بعض مفاصلها الرئيس عبد الناصر الذي عندما لم يستوقفه مضمون رسالة المشير عامر إلى قائد القوات الدولية لسحب القوات الدولية جزئياً، وعندما لم يتدارك مطلب يوثانت بسحب القوات بالكامل، وعندما لم يفترض أنه إذا كان لن يبدأ الهجوم فإن الطرف الآخر، أي إسرائيل، سيهجم.

وبنل أن تكون حالة الإستدراج من عبد الناصر لإسرائيل وما أفرزته من كوارث في البشر والحجر والمعنويات، أمثلة لكي يتفادى من هم بعده من حكام وقيادات في الأمة لعبة الإستدراج هذه، فإننا نرى الأخ خالد مشعل ورفاقه في «حماس» يستدرجون بنصائح سورية - إيرانية لإنهاء «حالة التهدة» التي هي كما سحب القوات الدولية من قطاع غزة وشرم الشيخ ثم من غزة وسيناء بكاملها، وبذلك تتذرع إسرائيل ثم ترتكب مجزرة، ربما كانوا مثل الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله لا يتصورون أنها ستكون بمنل ما هي عليه وما ستنتهي إليه وإلا لما كانوا ارتأوا نتيجة الاقتناع أو الإيحاء أن يفعلوا ما فعلوه. وللمناسبة فإن «حالة التهدة» هذه لا تستحق أن تنتهي غزة بشرا وحجراً إلى ما آلت إليه. كما أن إستدراج الرئيس صدام حسين أميركا نتيجة غزوه للكويت لا تستحق أن ينتهي أمر العراق إلى ما انتهى إليه رقما محذوفاً من المعادلة الإقليمية وحضوراً باهتاً في المعادلة العربية.. هذا إلى جانب أن إستدراج «حزب الله» إسرائيل بخطف جنديين لها لا يستحق أن يصيب لبنان ما أصابه مع ملاحظة أن المصاب اللبناني كان رسالة إلى المصاب الغزأوي، وأن هذا الأخير هو في بعض جوانبه رد على الرسالة. وقانا الله من لعبة الإستدراج هذه، ولتكن هنالك صحة يستعد فيها الوعي وتراجع المراهنات والولاءات، وعلى أساس أن «المبادرة العربية» تبقى أفضل السعي الممكن من أجل ترجمتها إلى واقع. وبذلك تكفي المتنازعين العرب والمسلمين مخاطر التلاعب والمكيدة والشر الإسرائيلي المستطير المستديم.. حتى وضع المبادرة المشار إليها موضع التنفيذ.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 20 يناير (ك) 2009

والرئيس التركي عبدالله غول إلى جانب الملك عبدالله الثاني والرئيس محمود عباس والأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى، وخلال ساعات يلبي هؤلاء الدعوة وتتعد في شرم الشيخ يوم الأحد 18-1-2009 قمة لا تستهدف المكايده ولا بعثرة الصف ولا المزايدة، وإنما تحميل المجتمع الدولي مسؤولية تثبيت وقف إطلاق النار والتهدة وإنسحاب إسرائيل من غزة. وبجهود ملحوظة أمكن تحقيق ذلك وجاء مبارك إلى الكويت ليقول ما معناه لمضيف القمة الشيخ صباح الأحمد وكبير الأمة الملك عبدالله بن عبد العزيز: لقد فعلتُ كل ما في الإستطاعة وبات المجتمع الأوروبي شاهداً على ما قامت به مصر التي رماها الحاسدون والماكرون والحاقدون من كل صوب بسهام مسمومة يريدون شراً بها وتحويلها إلى عراق آخر من دون أن يأخذوا في الإعتبار أخلاقيات التعامل. وبعد الإنجاز الذي حققناه يبقى عليكما إنجاز الشق الآخر من مأساة التوعك العربي.

وجاءت كلمة الملك عبدالله بن عبد العزيز تفاجئ الجمع العربي الملتئم في الكويت. وهي مفاجأة لها صفة الهدية من كبير الأمة إلى الشعب العربي، يتجاوز معناها بكثير مفهوم المصالحة التقليدية بين عاتب ومعتوب عليه. فهي لو كانت تندرج في هذا المفهوم لكان أمكن تدبيرها في صيغة مختلفة. والقول بأنها هدية إلى الشعب العربي على أساس أن التوعك الذي إستبد بمفاصل الأمة بدأ يترك تداعياته على النفس العربية. وفي هذه الحال تأتي العزائم على قدر أهل العزم وهو هنا الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي نفترض أنه بالعفوية والإحساس الوطني العالي والخشية الدائمة على المصير، شعر أن الأمة بصغارها وكبارها وبالذات شعب سوريا وجماهير "حماس" داخل غزة وخارجها، ترنو شاخصة الوجدان نحوه تنتظر منه في أي لحظة موقفاً إنقاذياً كبيراً خصوصاً أنه صاحب المواقف العلاجية في إستمرار للتوعك العربي. هكذا فعل في القمة العربية الدورية في بيروت يومي 28 و 29 مارس/ آذار 2002 عندما حاول استعادة العراق الصّدّامي إلى جادة الصواب بدءاً بتشجيع عزت الدوري الذي مثل الرئيس صدام حسين في القمة على الانخراط في عملية مصالحة أمير الكويت الذي أساء العراق الصّدّامي إليه وإلى شعب العراق نفسه، وإلى شعب الكويت. ولو أن

عراق ذلك الزمن قرأ السعي بنسبة من الواقعية ثم رد على التحية بمثلها لكانت أمور كثيرة تبدلت وربما ما كان ليصيب العراق ما أصابه بعد ذلك. وإلى ذلك فإنه في القمة نفسها جعل رموز الفريق الثوري المتشاورف والحالم يتفقون مع إخوانهم السائرين في ظل التعقل والتقليل من الصوت العالي ويرى هؤلاء مجتمعين أن المبادرة التي يطرحها عبدالله بن عبد العزيز هي السقف الواقعي من الإختراقات وأنها تشكل ما هو مزيج من الواقعية والرومانسية في النظرة إلى الصراع العربي - الإسرائيلي والقضية الفلسطينية. ومن حيث إحساس الرأي العام العربي بالطمأنينة النسبية يجوز تشبيه الوضع زمنذاك بعد إعلان الموافقة بالإجماع على المبادرة التي باتت تحمل تسمية "المبادرة العربية" والتي تم إحيائها ونفض الغبار عنها خلال القمة العربية الدورية في الرياض عام 2007، بالوضع السائد قبل أن يطلق الملك عبدالله مفاجأته المثلة التوجه وحسب التسلسل: مأساة غزة أولاً. وثانياً إبلاغ المجتمع الدولي وإسرائيل بأن المبادرة لا يمكن أن تبقى على الطاولة إذا كان لن يتم التعامل معها بجدية، والأرجح أن طوني بلير ممثل اللجنة الرباعية الدولية حول الشرق الأوسط سمع من الملك عبدالله لدى الإجماع إليه في الرياض قبل مغادرة الملك إلى الكويت كلاماً أكثر حزمًا في هذا الشأن وعلى خلفية قول بلير تعليقاً على ما ذكره الرئيس بشّار الأسد في مؤتمر الدوحة من أن المبادرة بحكم الميته، حيث إن بلير يرى "أن المبادرة لم تمت لكنها تتطلب تأكيد جميع الأطراف مبدأ قيام الدولتين". وثالثاً تجاوز خلاقات الماضي والبدء بالعلاقة العربية على بياض.

وإذا كانت المبادرة حظيت في قمة بيروت بإجماع القادة المشاركين فإن مفاجأة الملك عبدالله في قمة الكويت حظيت بترحيب المشاركين كونهم فريقين من القادة: فريق ذهب لإفراجه بعيداً في إجتهدات تتسم بعدم التروي فأدى ذلك إلى تصدّع في الصف وريبة في النفس، وهؤلاء كانوا في إنتظار من ينقذهم من رهان خاسر سلفاً. كما أنها حظيت بإجماع شعبي عارم في صفوف الغزّوين الذين أسىء إستعمالهم على مدى ثلاثة أسابيع حطباً في نار الإيهودين الشّريرين: أولمرت رئيس الحكومة نصف المتوارية وباراك المتطلع إلى التروؤس على أنقاض جريمة العصر وثلاثة الأشرار

تسيبي ليفني التي ما زلنا مثل إخواننا شعب مصر مصدومين من رقة وزير الخارجية أحمد أبو الغيط في مساندتها كي لا تتعثر على السلم عندما زارت القاهرة وتصرفت لفظاً بالكثير من قلة اللياقة. كما أن مفاجأة خادم الحرمين الشريفين المهوم ليل نهار بحال الحرم الثالث الأسير والأخ البار بفلسطين ماضياً وحاضراً وأبداً حظيت بالترحيب، في صفوف الألوف من جماهير حركة "حماس" الذين باتوا مقتنعين بأن قياديي الحركة المقيم منهم والمغترب استُدرجوا إلى ما هو ليس لمصلحة الحركة والقضية عموماً. وهنا نجد الجواب عن دوافع الترحيب الفلسطيني برؤية عبدالله بن عبد العزيز ونخوته ونفترض وجود نسبة عالية من اللوم في ثنانيا الترحيب لأن القياديين لم يفوتوا فقط على الشعب الفلسطيني فرصة الإستفادة من إتفاق مكة الذي أعطاه خادم الحرمين من الوقت والحرص والمتابعة عن قرب ما يعطيه عادة للقضايا الكبرى، وإنما إستبدلوا مسعى الخير بالرهان الذي له طابع العناد. لكن مع ذلك فإن الملك عبدالله بن عبد العزيز لم يتوقف عند إستغراب أطراف كثيرة لتمنياته الترفق بـ "حماس" على رغم نقضها الإتفاق الذي رعاه. أما لماذا لم يتوقف فلأنه لم يبذل ما بذله من أجل أشخاص وإنما من أجل قضية وشعب. وها هو في قمة الكويت يؤكد ذلك كاظماً الغيظ وفي الوقت نفسه فاتحاً صدر المملكة أمام من يرى أن مصلحته هي في سلوك الصراط المستقيم.

وما يفعله عبدالله بن عبد العزيز ينسجم مع النهج الذي رسمه والده الملك المؤسس طيب الله ثراه. وهو نهج تعامل كل واحد من الأبناء الملوك الراحلين فيصل وخالد وفهد معه بالأسلوب الذي يعكس شخصية كل منهم. ولعلنا نتذكر هنا أسلوب الملك فيصل في قمة الخرطوم عام 1967 حيث كان المبادر إلى نجدة الرئيس جمال عبد الناصر ومساندته في مداواة جراح العدوان الإسرائيلي متجاوزاً بهذه المساندة المواقف غير الودودة من جانب الحقبة الناصرية ضد المملكة. كما نتذكر موقفاً في منتهى النخوة من جانب الملك خالد لدى الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران تمخّور حول تداعيات عدوان إسرائيل على مُفاعل تموز العراقي. ونتذكر أيضاً وقفة الملك فهد في قمة فاس لجمع الصف حول رؤية عربية مشتركة للصراع العربي - الإسرائيلي. ثم تأتي القمة العربية الدورية في بيروت عام 2002 تشكل

انطلاقة نوعية في أسلوب عبد الله بن عبد العزيز في معالجة تداعيات التصدع في الصف العربي وهو أسلوب يأخذ منذ ذلك الحين تنوعاً في الوصفات وكأنما خادم الحرمين الشريفين هو الطبيب الذي يداوي الحالات الطارئة واضعاً إياها كخطوة إنقاذية سريعة في غرفة العناية الفائقة.

يبقى القول إن أهمية الوقفة الجديدة للملك عبدالله بن عبد العزيز أو فلنسميها بلغة أهل الطب "وصفة عبد الله للتوكل العربي"، هي أنه لولاها لما كان لهذا الإحساس بالطمأنينة يتسرب إلى النفوس العربية التي كانت حالها مثل حال منازل طال إنقطاع التيار الكهربائي عنها، وفجأة طرّق الأبواب من يحمل شموعاً تبدد بعض الشيء من الظلمة في إنتظار إصلاح ذات البين وعودة الضوء الساطع إلى ديار الأمة. وهذا هو التحدي بالنسبة إلى أبو متعب الذي يدعو له بموفور الصحة وطول العمر كل بيت عربي.. وبالأذات بيوت إخوانه الغزاويين الذين يرون ولا شك ضمناً أن "حماس" في أشد الحاجة إلى حركة تصحيحية يمارس فيها القادة نقداً ذاتياً وليس الاكتفاء بإعتبار الكارثة كانت "تصراً إلهياً". ومن هنا يبدأ العلاج الصحيح.. والشافي الذي يكمل مداواة عبدالله بن عبد العزيز والخلصاء من قادة الأمة الذين شاركوا في قمة الكويت ومعهم الأمين العام للأمم المتحدة للمحنة الكبرى.

وفي إنتظار ما يؤكد حُسن النوايا نتطلع إلى أن تبدد القمة العربية الدورية في الدوحة بعد حوالي شهرين وعلى خلفية الأجواء الطيبة في القمة الإقتصادية - التصالحية في الكويت، الغيمة الثقيلة التي إرتسمت في سماء العلاقات العربية من جرّاء مؤتمر كنا في غنى عنه.. ذلك أنه مثلما ما هكذا تورّد الإبل، فإنه ما هكذا يُعالج حال الفلسطيني المقموع والمعتدى عليه.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 26 يناير (ك) 2009

* * *

المُهلون في الأرض.. قبل غزة وبعدها

يقدّر ما يُثير الإستغراب الموقف الأوروبي عموماً من العدوان الإسرائيلي على الغزاويين وبالأذات أولئك

المنتشرين في مخيمات قطاع غزة، بالقدر نفسه نتمنى لو أن الخطاب "الحماسي"، وعلى نحو ما قرأناه بين سطور بيان صادر يوم الثلاثاء 27-1-2009 عن رئيس "حكومة غزة الحماسية" إسماعيل هنية، يتطور بنسبة أكبر قليلاً كونه إيجابياً ولمصلحة تحقيق خطوات على طريق إختصار المحنة وإزالة الكم الهائل من آثار العدوان.

أمّا لماذا الإستغراب الممزوج بالأسى من جانبنا للموقف الأوروبي، فلأن دول الإتحاد الأوروبي عموماً لم تتصرف كطرف محايد في نظرتها إلى العدوان الذي إستهدف الغزّوين، ومن أجل ذلك بات إلى حد ما كأنه الصدى للموقف الأميركي الذي إتسم بعدائية ملحوظة تجاه "حماس"، ربما لأنّ جوهر الموقف الأميركي هو كذلك وربما لأن حمى الإنتخابات الرئاسية وتسديد الفواتير فرضت على أكثرية رجال الكونغرس وعلى الرئيس أوباما والفريق العامل معه أن يكونوا كثيري الترفق بالمعتدي الإسرائيلي وكثيري التفهم لذرائع العدوان، وفي الوقت نفسه عديمي الرحمة، ونكاد نقول المروءة والضمير تجاه المعتدى عليهم، وكأنما لم ير هؤلاء ما فعلته الصواريخ المحرّم دولياً إستعمالها بالألوف من الأطفال والنساء والشيوخ القابعين في منازلهم غير متوقعين أن يصل الظلم الدولي إلى ما وصل إليه. وإذا كان هذا الإنحياز مفهوماً من السياسيين وأصحاب القرار الأميركي فإنه غير مفهوم على الإطلاق من جانب معظم رؤساء دول الإتحاد الأوروبي الذين كانوا مشغولي البال بمصير الجندي الإسرائيلي الأسير لدى "حماس" أكثر من إهتمامهم بالدم المراق في شوارع غزة. وحتى في موضوع المساعدات الإنسانية فإن موقفهم كان خجولاً جداً. ولذا فإنه عندما ينتقد هنية قيام فرنسا بإرسال فرقاطة حربية لمراقبة إمكانية دخول السلاح إلى غزة ولا ترسل في الوقت نفسه مستشفى عائماً لتطبيب الجرحى والأطفال الذين حرقت وجوههم أو أجزاء من أبدانهم، الأسلحة المحرّم دولياً، فإن انتقاده في محله ويشاركه الإنتقاد كل مُتجرّد مثل حالنا.

وأما تمنياتنا بتطوير الخطاب من جانب "حماس" في شخص قائدها الميداني إسماعيل هنية فإنها تستند إلى ما قرأناه في البيان الصادر عنه والمتضمن المطالبة بتشكيل هيئة فلسطينية وعربية تتسم بالنزاهة والشفافية ومتابعة مشاريع إعادة الإعمار مع الجامعة العربية أو

"منظمة المؤتمر الإسلامي" وأن حكومته في القطاع ستسهّل عمل كل الجهات الحريصة على إعادة الإعمار. كما جاء في البيان أيضاً التشديد على أن حكومته "لا تحرص على تسلم أموال إعادة الإعمار ولا تسعى لذلك". وهذا الكلام وما تعنيه بعض المفردات قد يكون مؤشراً إلى أن هديل حمائم "حماس" سيعلو شيئاً فشيئاً على أصوات صقور الحركة وبالذات القيادات المغتربة، وخصوصاً صقر الصقور خالد مشعل الذي نقرأ بين سطور تصريحاته أن قضيته الأساسية الآن، ربما من منطلق التطلع إلى الزعامة المطلقة للشعب الفلسطيني وربما من منطلق التزامه السياسي والثوري بوعود لها صفة الديون التي تحتل الجدولة إنما غير قابلة للإلغاء، هي إسقاط الشرعية الفلسطينية الراهنة وذلك بإستحداث "منظمة تحرير فلسطينية" رديفة يكون هو بطبيعة الحال على رأسها أو يختار من يمثله خير تمثيل ليكون هو الرئيس على أن يكون الفعل للرأس. واللافت للإنتباه أنه بعدما قال تسديداً لبعض الدين السوري وهو يجتمع بالرئيس بشّار الأسد في دمشق ما معناه إن للدعم البشري حصة في "النصر الإلهي" الذي حقّقته "حماس" في غزة من دون أن نعرف ما إذا كان الرئيس السوري، وخصوصاً بعد الخطوة الأولى النوعية على طريق المصالحة التي حدثت خلال قمة الكويت، يشاركه الرأي في أن النصر كان بالفعل "تصراً إلهياً".. إن اللافت أن خالد مشعل يكمل من الدوحة يوم الأربعاء 28-1-2009 وبعد إجتماع مع أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ما بدأه في دمشق فلا يرحب بمسعى المصالحة الفلسطينية - الفلسطينية إلا على أساس "الثوابت الوطنية" ولا بالتهذئة الطويلة المدى وفق الشروط الإسرائيلية. ثم بعد هذا الرفض يبشر وعلى وقع الإعلان في اليوم نفسه في طهران بأن الرئيس محمود أحمدي نجاد حليف الرئيس بشّار والشيخ حمد للحالة "الحماسية" قرر الترشح لولاية رئاسية ثانية تنتهي في العام 2013، بمخطط يجري العمل عليه لإستحداث "منظمة تحرير فلسطينية" غير الحالية. وأما الذريعة فهي أن المنظمة الشرعية الراهنة والتي لن يمر دولار واحد مساعدة إلا من خلال حكومتها لم تعد في رأي مشعل والفصائل السورية الهوى "تمثّل مرجعية الفلسطينيين وتحولت إلى إدارة لإنقسام البيت الفلسطيني". ثم يتبين لنا سر الموقف هذا من خلال عبارة قالها وهي "إن ملف

اليوم نفسه (السبت 14 فبراير/ شباط 2009) ليكون يوم صلاة الاستسقاء في كل المحافظات السورية تقام فيه بعد صلاة الظهر.

الصلاة أمر واجب وضروري في ساعة الشدة. ولقد اعتدنا عليها تقام في كل بلد إسلامي تصيبه موجة جفاف، فينخفض تبعاً لذلك مردود الزرع ويتزامن معه انخفاض مردود الضرع. وعندما يحدث ذلك في ظروف كتلك التي يعيشها العالم عموماً وبالذات سورية التي تواجه أسوأ موجة جفاف منذ أربعة عقود، وينخفض إنتاج القمح المورد الرئيسي للبلاد من معدل خمسة ملايين طن إلى مليوني طن في العام 2008، فهذا يعني أن ما هو أكثر سوءاً قد يحدث، وفي هذه الحال وحيث إن صناديق النجدة العربية التقليدية مقفلة بعض الشيء لدواع كثيرة ومن دون أن تسد الحاجة للصناديق القطرية والإيرانية، فإن التوجه إلى الله سبحانه وتعالى من خلال صلاة الاستسقاء كي لا يستمر إنحباس المطر، فنحضر السهول وتحدث السيول وترتوي القطعان وتفيض الأنهار، يبقى هو السبيل الوحيد.

لا ندري ما إذا كان الرئيس بشار الذي أصدر الأمر إلى وزارة الأوقاف لإقامة الصلاة حدد في الوقت نفسه اليوم الذي تقام فيه، أم أن الوزير هو من اجتهد وحدد. وهكذا فإنه في الوقت الذي كان اللبنانيون بالألوف متجمهرين يتابعون كلمات خطباء مناسبة إحياء الذكرى، ويصلون ويقرأون الفاتحة على روح شهيدهم ورفاقه من نواب وسياسيين وإعلاميين وعسكريين، كان السوريون بعشرات الألوف يتضرعون إلى رب العالمين لكي ينعم عليهم بماء السماء.

إلى ذلك، يتقارب الموعد المحدد لبدء المحكمة الدولية أعمالها مع الذكرى الرابعة لإستشهاد الرئيس الحريري ومع الذكرى الثلاثين للثورة الإيرانية. ونجد أنفسنا هنا نتأمل في حالتين من الثأر، واحدة حدثت يشكل الإمام الخميني الرمز لها. والثانية ستحدث بإنجاز المحكمة الدولية مهمتها.

بالنسبة إلى الخميني، نشير إلى أن الإمام قرر في اللحظة التي بلغه فيها أن «السافاك» الشاهاني صفى له ابنه وقرع عينه مصطفى أن يثار من الشاه محمد رضا بهلوي شخصياً، وبدأ منذ ذلك المصائب المفجع له يخطط للإطاحة بالنظام معتمداً على ورقة السلطة الدينية التي يملكها وتأثيرها على مفاصل المجتمع

الإعمار ليس الخلاف على من يتسلم المال بل أن تصل الأموال لكل فلسطيني لا إلى الجيوب الفاسدة" مقترحاً أن تتم إعادة إعمار القطاع تحت إشراف الدول العربية المانحة. أما لماذا يقول ذلك فلأن ورقة الإعمار ستكون الأقوى بين الأوراق وحيث إن من يتسلمها يصبح المرجعية الفاعلة في الوضع الفلسطيني كما أن عدم إمساك "حماس" بها كلياً كما يتمنى مشعل أو حتى جزئياً ستترك انطباعاً لدى الرأي العام الفلسطيني بأن "حماس دمّرت والسلطة الوطنية عمّرت". لكننا في الوقت نفسه نفترض أن هذا التلويح بـ "منظمة تحرير جديدة" من جانب خالد مشعل هو نوع من التناغم مع رغبة الرئيس نجاد في الإستمرارية التي تشكل المحنة الفلسطينية المتكأ الوطني لمن يريد أن يستمر في السلطة ويمارس اللعبة وتحميل رب العالمين أي كوارث على أساس توصيف الخسارة بأنها "نصر إلهي" كما ذريعة بوش المنصرف بأن عدوانه على العراق كان بإلهام رباني. معاذ الله من ذاك التوصيف وتلك الذريعة ومن توأماها الثالث "أم المعمارك" الذي حاول الرئيس صدام حسين إقناع العراقيين وغيرهم به وعدم اعترافه بأن "أم المعمارك" هذه لا تختلف كثيراً في نتائجها عن المحنة الغزّافية التي توجّتها "حماس" بـ "النصر الإلهي" بعد المحنة اللبنانية التي كانت هي الأخرى "نصراً إلهياً" والمحنة العراقية التي جاءت في نظر رباعي العدوان على العراق: بوش الابن. بلير. برلسكوني. ازنار بفعل "إحياءات إلهية" تم يتبين النفاق ويتأكد أن الله يُمهّل ولا يُهمل. وقائمة المُمهّلين في الأرض عرباً وعجماً وأجانب وإسلاميين وفلسطينيين وإسرائيليين طويلة... وعلى قاعدة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 3 فبراير (شباط) 2009

* * *

الثأر الخميني.. والثأر الحريري

مصادفة لافتة وهي أنه في يوم إحياء اللبنانيين الذكرى الرابعة لشهيدهم الذي يفتقده الإستنهاض الذي لم يكتمل الرئيس رفيق الحريري، يختار الرئيس بشار الأسد

الإيراني، وبالذات مجتمع «البازار» وكذلك على الورقة المالية التي تجنيها المراجع الدينية بحكم الشرع. وهذه الورقة تبدو أحياناً أكثر تأثيراً من ورقة الحماية التي يؤمّن بها الجيش للنظام هذا في حال كان ولاء المؤسسة العسكرية محسوماً ولا مجال للاختراقات التي تؤدي إلى انقلابات عسكرية.

لم يهدأ بال الإمام الخميني إلا بعدما أنجز ثلاثة أرباع ثأره ونجح في إسقاط الشاه من دون أن تتزعج أميركا التي كانت السند القوي له. لكن يبقى الربع الذي من شأنه إطفاء نار الغضب على قاتل ابنه قرّة عينه مصطفى. ولقد تمثّل الربع المتبقي في مطاردة الشاه المريض بغرض حرمانه حتى من مواراة جثمانه الثرى في إيران. وتذكر هنا كيف أن المطاردة أثمرت إلى درجة أن الإدارة الأميركية لم تسمح للشاه حليفها التاريخي بالبقاء حتى للعلاج من السرطان الذي يفتك بجسمه، ثم تزايد عدد الأنظمة غير المرجّحة ببيواته إلى أن إستضافته مصر الساداتية وأكرمته خير تكريم. وبعد وفاته تم دفنه في مصر التي تحملت نتيجة ذلك في عهد الرئيس حسني مبارك قطيعة في العلاقات ما زالت مستمرة، وأخذت منحى التحرش المذهبي من جانب إيران وأعماقها اللبنانية والفلسطينية «الحماسية» بالحكم المصري.. وإلى درجة تخوينه أحياناً. والثأر على ما هو واضح مستمر حتى إشعار آخر.

في ضوء ذلك، يمكن القول إن الثورة الإيرانية قامت في البداية على خلفية ثأر الوالد آية الله الخميني للابن مصطفى. وبعدما نجحت في إسقاط النظام البهلوي أسبغ عليها الحكم الجديد عقيدة ومشروعاً أسّسا للثأر الآخر من الحكم الصّدّامي في العراق، وهو الثأر الذي أوجبت مقتضيات تحقيقه غض الطرف الإيراني عن احتلال أميركا وبريطانيا للعراق، ما دام حقّ لخلفاء الإمام الخميني إنجازاً طالما عجز الإمام عن تحقيقه ثم رحل وفي الروح رواسب مرارة القبول بوقف الحرب وقوله الشهير في هذا الشأن إنه كمن يتجرع السم. كما أن الخلفاء بدورهم عجزوا عن إسقاط ذلك النظام وبدأوا في سبيل تحقيق غرضهم بناء القوة العسكرية ثم النووية على أساس أنهم بها وفي حال استمر النظام الصّدّامي يُخضعون العراق لإرادتهم. وجاءت المغامرة العدوانية من إدارة بوش الابن وحكومة طوني بلير تحول دون تحقيق المأرب الإيراني من دون أن يوقف الاحتلال

الأميركي - البريطاني للعراق إستعدادهم الذي بلغ حسب تأكيد كبارهم آية الله خامنئي والرئيس محمود أحمدي نجاد والجنرالات أصحاب الشأن في الجيش والحرس الثوري الدرجة الأعلى من القدرة حتى أن عبارة «أصبحت إيران دولة عظمى» ترددت على السنة البعض منهم.

هذا بالنسبة إلى الثأر الخميني. أما بالنسبة إلى ما يخص الرئيس رفيق الحريري، فإن الثأر له أخذ المنحى القانوني وبحيث إن المحكمة الدولية التي تشكلت لهذا الغرض بطلب من الحكومة اللبنانية الحريية الهوى التي يترأسها فؤاد السنيورة أحد أقرب أصدقاء الحريري إلى أفكاره ورؤاه الاستنهاضية ومشروعه العمراني ستأخذ على عاتقها أمر الثأر الحريري. ومع أن القدرات المالية لورثة الحريري متوفرة وفي استطاعتهم الأخذ بالثأر عبر وسائل غير مشروعة، فإن هؤلاء رأوا في المحكمة الدولية أنها الجهة التي تحدد الجناة وأمرهم إستناداً إلى وثائق واعترافات وليس على قاعدة الظن أو المكيدة، فضلاً عن أن الثأر الشخصي يستنسخ ثأراً لاحقاً.

وعلى هذا الأساس، فإن خصوم رفيق الحريري من لبنانيين وغير لبنانيين غير محقين في مقارعتهم للمحكمة الدولية. وهم إذا أمعنوا التأمل في ظروف الثورة الإيرانية التي حلت ذكرها الثلاثين قبل أيام وكيف أن بدايتها ودوافعها كانت في الدرجة الأولى ثأرية، وفي تصميم الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله على الثأر من الذين إغتالوا كبار رموز المقاومة من عباس الموسوي إلى عماد مغنية وآخرين فضلاً عن إستشهاد هادي حسن نصرالله، وتأمّلوا أيضاً في ما فعله الحزب القومي السوري الإجتماعي الحليف لكل من النظامين السوري والإيراني كيف اغتال أحد عناصره رئيس وزراء لبنان الشهيد رياض الصلح على طريق المطار في العاصمة الأردنية، حيث كان في طريق العودة إلى بيروت من زيارة رسمية... إن هؤلاء لو أمعنوا لاعتبروا أن ورثة الحريري في شخص رمز استمرارية الحضور السياسي للعائلة النائب سعد الدين، هم في غاية المرونة بالمقارنة معهم، وذلك لأنهم سلّموا أمرهم إلى الله وتركوا للمحكمة الدولية تحقق وتحاكم وتصدر الأحكام مع التعهد بقبول أي أحكام تصدر عنها على نحو ما سمعناه من النائب سعد الدين الحريري الذي لم نتوقع وبالذات في ضوء أحاديث صحافية

أجريت معه ومن بينها الحديث الأكثر تميزاً الذي أجراه زميلنا ثائر عباس، أن يخطو هذا الوريث بهذه السرعة ويصبح خلال أربع سنوات من فاجعته وفاجعة اللبنانيين بوالده مشروع رجل دولة للسنوات المقبلة من العهد الحالي، بات يتحدث بطلاقة ويحلل بعمق ويتابع بدقة ما يحدث في العالم وبالذات ما يتعلق بالأزمة الاقتصادية العالمية المباشرة وي طرح في هذا الشأن أفكاراً جريئة ويحرص على أن يتقمص خصال والده الشهيد ليؤكد أنه الابن البار الذي في إستطاعته إكمال ما تبقي من الحلم الحريري... إنما بعد أن يكون الثأر القانوني، من خلال المحكمة الدولية في لاهاي وليس الثأر الشخصي على طريقة الإمام الخميني وآخرين يخلقون في فضاء الثورة الإيرانية، أخذ طريقه إلى النفوس.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 17 فبراير (شباط) 2009

* * *

خطوة خطوة على صراط

عبدالله بن عبد العزيز

على إيقاع لافت لإنقضاة دبلوماسية أميركية لافتة في كل الإتجاهات من الصين إلى الشرق الأوسط توجها الرئيس باراك أوباما يوم الجمعة 27-2-2008 بالإعلان عن بداية حقبة جديدة في الشرق الأوسط تعتمد "النهج المبدئي" مع سوريا وإيران و"مقاربة أذكى" من العزل متحدثاً في الوقت نفسه عن نهاية الحرب في العراق للتركيز على أفغانستان، وأيضاً على إيقاع صرخات مالية نتيجة إلهيارات في عالم المال والأعمال هزت كبريات المصارف والشركات، لم يسبق أن كانت على هذه الدرجة من الخطورة على مدى أكثر من نصف قرن... على هذين الإيقاعين يعيش العالم العربي حالة من اليقظة تواكب تلك الدبلوماسية والصرخات وتتمثل في أن إستيعاب مبادرة التسامح التي أهداها الملك عبد الله بن عبد العزيز للأمتين كونه يربط في إستمرار مصلحة الأمة العربية بمصلحة شقيقته الأمة الإسلامية، يشق طريقه بنسبة ملحوظة من الوعي ونسبة أكبر من الاقتناع بأن هدر الفرص لا يأتي بغير المزيد

من التعقيدات في حين أن اغتنام الفرصة مكسب كبير وبالذات إذا كانت صادرة من قائد تعنيه كثيراً مصلحة بني قومه وأمنيته مرضاة رب العالمين عليه وهاجسه تعويض الرعية وبسرعة قياسية الكثير مما يرى أنها تستحقه، ونعني بهذا القائد عبد الله بن عبد العزيز الذي يعزز المبادرة بإثنتين ويضيف إلى الإنجاز إنجازات ويتكرر للإصلاح وفي الوقت المناسب الصيغة الحكيمة التي تبقي على أساسات الاستقرار ثابتة.

ولأنه ضد الحالات العربية الشاردة ويشعر أنه المسؤول عن رسم طريق الهداية ما دام كبير القوم، وإن كان ليس هو المسبب لسقطه لسانية حدثت أو خذلان لمسعى حميد قام به، فإنه لم يكتف بأن قال في قمة الكويت ما معناه هذه صفحة طويت وعلينا البدء بكتابة صفحة التآلف الذي يحقق التوحد، وإنما أتبع القول بتحفيز من عليهم العودة عن رهانات فأرسل إلى الرئيس بشار الأسد، المسؤول الهادي في التخاطب الذي لا تفارقه الكياسة وهو يطرح الأفكار ونعني به الأمير مقرن بن عبد العزيز. وفي الوقت نفسه أراد من هذا التحفيز إعادة الإعتبار إلى الحدث الذي لم يأخذ رونقه الكافي وبذلك ضاعت على سورية مناسبة طالما انتظرتها، ونقصد بذلك القمة العربية الدورية التي كانت ستكتسب ذلك الرونق لولا أن المشاركة العربية فيها كانت غير مكتملة. كما أنه في الإتجاه نفسه، أوصى الرئيس حسني مبارك خيراً وصبراً بحركتي الصراع الفلسطيني المبعوض "فتح" و"حماس" ومن دون أن يزرعه في شيء أن يكال المسعى الحميد المصري بالنجاح وهو ما أثمر نتائج طيبة، فهو يتطلع إلى أن يحل الوفاق بين الفلسطينيين وعلى نحو تطلعه لإحلال الوفاق بين اللبنانيين ومن هنا كانت توجيهاته إلى سفيره الدكتور عبد العزيز خوجه الذي إصطفاه في ضوء إستيعاب السفير لروحية رؤية مليكة الوفاقية ليكون وزيراً للإعلام والثقافة. وفي تطلعه لإحلال الوفاق بين الفلسطينيين لا يتوقف خادم الحرمين الشريفين عند أن "فتح" و"حماس" خذلتا مجتمعين أو إحداهما، وفي هذا الأمر قولان على نحو لغة أهل الإفتاء المزهرة منذ حين، محاولته التي ستبقى حاضرة في الذاكرة العربية كدليل على أن كبير القوم يتصرف في لحظة الشدة تصيب القضية بكل ما أعانه الله من همة ونخوة وهذا ما فعله عندما إنتقل من الرياض إلى مكة لكي يَبقي الحوار

بين الرئيس محمود عباس (ممثلاً فتح والسلطة الوطنية) وقطبي "حماس" خالد مشعل المغترب دائماً عن الأرض الفلسطينية وإسماعيل هنية الحاضر دائماً على هذه الأرض، ولكي يطمئن أن الحوار يتم تحت رقابة وجدانه محروساً بقلقه على القضية خشية أن يصيبها مكروه ويصيب الشعب الفلسطيني أذى بالغ على خلفية عدم التوافق. وهذا ما حدث ذلك أن إسرائيل انتهزت التباعد الفلسطيني، الذي وصل إلى حد انفصال "حماس" عن السلطة وإستئثارها بقطاع غزة وإعلان قيام حكومة "حماسية" فيها لا يعترف رسمياً بها أحد، ونفذت أكثر إعتداءاتها خسة وإجراماً. وبذلك تعقدت الأمور أكثر وأكثر. ولقد بدا هذا التعقيد الذي قاد إلى ورطة وقع كبار قادة "حماس" وحركتهم وجمهورها فيها ربما لأن الإغواء أرخى حجاباً على البصيرة وربما لأن هؤلاء القادة اعتبروا أن الفرصة مواتية لنيل المطالب بغير التمني وذلك لأن شأن "السلطة الوطنية" سيضعف عندما يتم اقتطاع الجناح الغزراوي منها وبذلك تصبح عاجزة عن التحليق ولا يبقى لها إزاء ذلك سوى التسليم بالمحاصرة المجزية.

وإلى ذلك فكما أن الملك عبد الله بن عبد العزيز كان لن ينزعج في حال أثمر السعي المصري لدى قطبي الصراع الفلسطيني حواراً جدياً وإتفاقاً من حيث المبدأ على بناء علاقة تقوم على الثقة والتعاون عوض الشك وهواجس اقتسام الغنائم، فإنه لن يُغلق باب ديوانه أمام الذين أقسموا اليمين في مكة المكرمة برعايته وحضوره ومساندته على أن يتفقوا، ذلك أن من جملة القضايا الأساسية عنده هي أن تتكاتف الأيدي الفلسطينية وبتكاتفها يتعزز التوجه الذي تلخصه المبادرة العربية فيحركها مع الإدارة الأميركية الجديدة والمجتمع الدولي عموماً وبذلك يتم إعادة المبادرة إلى التداول وليس صرّف النظر عنها أو سحبها من الطاولة ووضعها في رف المنسيات. وعلى تقليده المستحب الذي يأخذ شكل المفاجأة القومية التي يتوق الجميع إلى حدوثها، تستوقفنا رسالته التي بعث بها إلى الرئيس حسني مبارك يوم الجمعة 27-2-2008 بعدما كان الملك إطمأن إلى أن المسعى المصري أنجز خطوة توفيقية من شأنها مساعدة "الإخوة الأعداء" على العيش النضالي المشترك. وهذه الرسالة التي تذكّرنا روحيتها ومفرداتها بالغائب - الحاضر رحمة الله عليه الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري وكيف أن أبو عبد المحسن ينتفض قولاً حكيماً

عندما يتلقى التوجيه من عبد الله بن عبد العزيز أطال الله عمره، تتدرج في ظاهرة مبادرات أبقت على الوضع العربي المرتبك في منأى عن السقوط في الهاوية، وهي في معظمها تشكّل ما يجوز تسميته "صراط عبد الله بن عبد العزيز". وفي مبادرته المفاجئة والمستحبة يتعمد الملك عبد الله، على نحو ما يلفت الإنتباه، أن يكون رد فعله على ما تم إنجازه في القاهرة على اليد المصرية، رسالة ماثلة وليس مجرد اتصال هاتفي بين خادم الحرمين الشريفين والرئيس مبارك يقول فيه: بارك الله بسعيك المشكور يا فخامة الرئيس وهذا عهد الأمة وعهدنا فيك وفي إخوانك الذين شاركوا في السعي وأبرزهم اللواء عمر سليمان، وإنما شاء أن يكون رد الفعل إستثنائياً لكي يقف عليه الجميع وربما لكي يكون هنالك نمط بالغ الرقي في لغة التخاطب يأخذ به من يريد خيراً بالأمة. ولم يأت رد الفعل إستثنائياً فقط وإنما جاء غير مسبوق، وفيه إشادة بـ "مصر العربية والإسلام" و"مصر الشعب الحر الأبي" و"عقل القاهرة المتيقظ" و"مصر الدور التاريخي". أما حصة الفلسطينيين من الرسالة ذات آل 494 كلمة فتنبه لهم من "الحاقدين الكارهين لأمتنا العربية والإسلامية" ودعوة إلى "الأخ محمود عباس والإخوة في حماس وجميع الفصائل الفلسطينية بلا إستثناء بأنه أن الأوان كي يقولوا لأمتهم العربية والإسلامية وللعالم أجمع بأنهم أكبر من الجراح وأعلى من "الخصومة".

إلى ذلك أيضاً إن الملك عبد الله بن عبد العزيز بالسعي الحثيث من أجل أن تكون السبل معبدة قبل انعقاد قمة الدوحة يومي 28 و29 مارس/ آذار 2009 يؤكد أمراً في منتهى الأهمية وهو أنه يتجاوز الإجتهاادات القطرية التي طالما أحدثت تقاطعات في الموقف العربي العام وأنه يريد لهذه القمة أن تتعقد وتكون ناجحة بإمتياز وتكون المشاركة فيها بالإجماع ولا يقتحم هدوء التشاور فيها ضيف الاجتهدادات القطرية التي لم تثمر نتائج مرجوة الرئيس محمود أحمدى نجاد. وهذه النظرة للملك عبد الله هي موضع الإرتياح لكل عاقل عربي وبصرّف النظر عما إذا كان هذا العربي مسيحياً أو مسلماً شيعياً أو سنياً بدليل أن أحد حكماء رجال الدين الشيعة في لبنان الشيخ عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وجد نفسه ينصح بني ملته في المملكة يوم الأربعاء 25 فبراير/ شباط 2009 بكلام تحتاج الرعاية الشيعية في لبنان المنقسمة بين الولاء لـ "حزب الله" والولاء

ل "حركة أمل" بقدر حاجة الشيعة في المملكة إليه ويقول في نداء هو أشبه بالأذان الذي يدعو المؤذن فيه المؤمنين إلى تأدية الصلاة: "من لبنان نوصيكم بأن تخالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم معها حنّوا إليكم، فعلينا أن نعيش مع محيطنا بعقلانية وحكمة ومدارة، وعلينا أن نتعامل مع الآخرين برفق وتواضع وحلم، ونطالب الآخرين بالتعاون مع إخوانهم من دون غلظة وقسوة فيتركوا الناس على عقائدهم الصحيحة عندهم، ويتعدوا عن كل إساءة لأن الإساءة تثير الأحقاد في النفوس وتؤدي إلى عواقب سيئة نحن في غنى عنها. وعلينا أن نكون مع إخواننا في محيطنا وأرضنا وبلادنا كرماء وصلحاء وعظماء، فكونوا كما أوصانا الإمام جعفر الصادق حين قال: "كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيئاً علينا". تعاونوا مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز فإنه الأمين على الناس وعقائدهم، ونحن لا نريد له إلا الخير، وكونوا من الأخيار الكرام من الطيبين الطاهرين، فالمدارة المطلوبة لأن أعقل الناس من دارى الناس فكونوا من خيرة الناس، ونطالب الجميع بأن يكونوا مع إخوانهم المسلمين على خير وفي وئام وسلام فيتعبدوا عن الحساسيات والكراهية ونطالبكم جميعاً بأن تكونوا عند حسن الظن بكم، فاعملوا خيراً وقلوا صواباً وكونوا على جانب كبير من الأخلاق الحميدة في تعاطيكم مع أهلكم وإبتعدوا عن كل إساءة وكونوا يداً واحدة حتى نصل إلى الغاية الشريفة..."

خلاصة القول وبينما قطار التسامح يواصل رحلته وبحيث إن أي مفاجآت دولية تحدث يكون الصف العربي على درجة من التوحد، فلا يقال أنه تم الإستقرار بهذا الحاكم أو ذاك في ظل الخلاف المستحكم، إن صراط عبدالله بن عبد العزيز هو الصراط الآمن وأن السلامة مأمونة في السير عليه... وإن كان السائرون يتحركون خطوة خطوة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 3 مارس (آذار) 2009

يسألونك عن السودان و... "إنقاذه"

عندما يسأل المراقب العربي مثل حالنا وهو يتأمل

المشهد السوداني المضحك المبكي: ماذا سيفعل الأشقاء العرب بالنسبة إلى الرئيس عمر حسن البشير وهل سيتركونه يواجه عاصفة المحكمة الجنائية وحيداً، يأتي الجواب: سامح الله عمر. لقد قيل له أكثر من مرة ومنذ أن باتت مسألة المحكمة في ضوء المعلومات المؤكدة أمراً محسوماً غير قابل للتراجع، لكن الأخ عمر لسبب لا يدري المرء طبيعته لم يأخذ بالرأي ولا هو تجاوب مع النصيحة.

وعندما يبحث المراقب عن المزيد من التوضيح وهل أن الضغط العربي ليس في استطاعته تعديل مسار عملية المحكمة، يأتي الجواب: أي ضغط هذا يمكن أن يحدث. ما هو ممكن من جانب أي دولة عربية لا يتجاوز بعض الإتصالات المرفقة بالتمنيات بأن يتم تأجيل القرار لمدة سنة، وخلالها ربما يستطيع بعض القادة إقناع الرئيس البشير بإعتماد شيء من المرونة.

وعندما يسأل المراقب نفسه عما إذا كانت المرونة تعني أن يستدير الرئيس مئة وثمانين درجة وكيف سيكون وضعه في نظر الناس خصوصاً أن حزبه وجماعة "الإنقاذ" يخططون من أجل ولاية رئاسية جديدة له، يأتي الجواب: عندما يكون الوطن عرضة للتهديد فإن التضحية تصبح واجباً لا بد لرجل الدولة صاحب القرار من أدائه. وفي اعتقادنا أن الرئيس البشير كان في استطاعته أن ينعطف بدل أن يستدير، أو بالأحرى تحاشياً من جانبه للنقد الخشن من جانب خصومه في حال إستتار. وما نعنيه بالانعطافة هو التأمل في واقع الحال وفي ما يمكن أن يحدث ثم يتم استخلاص الخيار الأقل ضرراً.

وعندما يسأل المراقب نفسه عما إذا كان المقصود بالانعطافة هي تسليم الثنائي أحمد هارون وعلي كوشيب وإعتبارهما فحيمة والمقرحي (رمزا التضحية الليبية) بطبعة سودانية، يأتي الجواب: ربما بذلك تتحقق معجزة النجاة وتستتبعها خيارات تُمكن الرئيس البشير من نيل الولاية الرئاسية الجديدة وأيضاً من إقناع الشريك الجنوبي بأن أسلوب التذبذب يجب أن يوضع له حد وعلى قاعدة الشريك أحق من الحليف، تماماً مثلما أن الجار القريب أولى من الصديق البعيد على نحو المثل الشعبي السائر. واستكمالاً لهذه النقطة بالذات يمكن القول إن الرئيس البشير كان في استطاعته إخضاع الكيشين الجنجويدين إلى محاكمة متجردة وإصدار الأحكام

النزيلة في حقهما. وبدل أن يرفض ذلك متباهياً بالحرص عليهما وعدم تسليمهما واستتباط مفردات وعبارات لتأكيد هذا الرفض وصل إلى حد أنه أقسم بالطلاق، فإنه بهذه المحاكمة والأحكام التي تصدر عنها يجد أشقاء عرباً وأجانب يساندون محنته وفي الوقت نفسه يتعالى على جراح التجارب الاضطرابي مع مسألة دولية وقانونية. كما أنه لو صدرت الأحكام من المحكمة السودانية ووافق على إرسال الكيشتين مخفورين إلى سجن "كوبر" مع التوصية بإقامة مريحة لهما ثم يحين ذات يوم الألوان ويتم الإفراج عنهما فإنه كان سيومي بإصبعي النصر على المخطط والمخططين ويُبقي السودان تحت خط السلامة.

ويسأل المراقب مثل حالنا نفسه أيضاً: الآن باتت خطوة الانعطاف متأخرة وباتت تبعاً لذلك الفأس في طريقها إلى الرأس، فما العمل؟ وهل هنالك ما يمكن إنفاذ "الإنقاذ" وإنقاذ السودان من غدر دولي مبالغت ليس بالضرورة أن يكون مثل غدر الثنائي بوش الابن وطوني بلير بالعراق؟

ويأتي الجواب بأن ما أصاب العراق كان في بعض جوانبه نتيجة تقديرات غير دقيقة وغير موضوعية من جانب الرئيس صدام حسين للموقف الدولي، حيث إنه تعامل بمنطق التحدي والرفض والتظاهرات مع أن بعض الكياسة من جانبه كانت ستتخذ العراق من شر الحصار وكان الشعب العراقي سيدي إمتانه لرئيسه لأنه إرتأى التراجع عن التحدي واعتبر أن عنفوان الحاكم ليس أهم من طمأنينة الناس. وعلى ضوء ذلك فإن الرئيس البشير بدل استتساخ الأسلوب الصدامي والصدامي وأسلوب الرئيس محمود أحمددي نجاد التهويلي وكذلك بدل الإغراق في خضم الإستخارات والغيبيات إعتد الموقف الحكيم، فإن الأشقاء العرب كانوا سيعطفون حوله مقدمة لإنتشاله من براثن المحكمة الجنائية أو بالأحرى المحكمة المتجنية وكان لن يكتب بنفسه في تاريخ بلده انه إذا كانت المحكمة متجنية فإنه هو الآخر تجنى على بلد يتوق أهله إلى الإستقرار النسبي نتيجة إتفاق السلام والتشارك مع السودان الجنوب الذي تحقق على عهده، أي عهد البشير، بعدما إكتوت الأبدان السودانية بالتداعيات الناشئة عن حروب ونزاعات وصراعات مقبلة على السلطة ودفاعات مستميتة من أجل الإستقرار بهذه السلطة وعدم إتاحة المجال أمام المشاركة. ونقول ذلك على أساس أن الأمور ما زالت في

البداية وأن الحصار الجوي والغذائي ربما يحدث. وإذا كانت ليبيا في زمن الحصار داوت الأمر بالقدرات المالية المتوفرة ومع ذلك لم يجد العقيد القذافي مفرأ من الاستدارة أو الانعطاف، فكيف هي الحال بالنسبة إلى السودان الذي بالكاد يقادى الشعب فيه الضائقات على أنواعها بالصبر.. الذي له حدود. ثم ألا يتذكر الرئيس البشير كيف أنه لولا النجدة السودانية من اللحوم للعراق لكانت أكثرية العراقيين في زمن الحصار إشتهت قطعة اللحم وكانت قبل الحصار تملأ التلاجبات بما يزيد عن حاجة أفراد الأسرة لإلتهام اللحوم.

وعندما يسأل المراقب مثل حالنا نفسه ما الذي يراه الرئيس البشير خطأ إن هو إختار افتداء السودان بالكيشتين هارون وكوشيب بدل القول إنه لن يسلم ولو قطعة إلى أوكامبو الذي شمله القصاص البشيري الحذائي، يأتي الجواب: إذا كان الرئيس البشير رمى في السجن عدة مرات صاحب "نظرية الإنقاذ" الشيخ حسن الترابي وشتت شمل رفاقه الترابيين وبذلك خالف صفة أنه "أخو إخوان"، وعلى نحو ما سبق وفعل الرئيس الراحل حافظ الأسد بصاحب "نظرية البعث" المرحوم الأستاذ ميشال عفلق حيث طارده وحكم عليه وشتت شمل العفالققة، ثم ما فعله الرئيس السوري الراحل بشقيقه رفعت وذلك بهدف ألا تهتز دعائم الاستقرار الذي حققه لسورية.. إنه إذا كان الرئيس البشير فعل بالترابي والترابين ما فعله فما الذي يضيره لو إستتسخ أسلوب الأسد الأب على خشونته وقال للكيشتين هارون وكوشيب: أدخل "كوبر" فأنتما السجناء من أجل ألا يتأذى السودان الشعب والنظام والكيان؟ وجوابنا إنه لو فعل ذلك لكان إختار الصيغة الإنقاذية، لكنه لم يفعل مع الأسف.

وخلاصة القول إن الرئيس عمر حسن البشير تصرف مع المجتمع الدولي كتصرف جنرال مع أفراد فرقة عسكرية يقودها وليس كرجل دولة. ومن البدهيات بالنسبة إلى رجل الدولة والأكثر سلامة له هو أن يلقي الخطاب مكتوباً ولا يتفاعل مع ضوضاء الجماهير، وألا يقول إن أخصامه بدءاً بالمحكمة وقضاتها ومدعيها العام تحت جزمته، كما لا يعلن على الملأ أنه سيطرده سفراء دول أجنبية وجمعيات تابعة للأمم المتحدة ولا يهدد وهو في محنة بالويل والثبور وعظائم الأمور وإنما يتذكر ماذا فعلت عبارات التحدي وبالذات ما يتعلق بالشرب من البحر بكبير الرؤساء الثوريين جمال عبد الناصر الذي رحل مقهوراً وبثاني الرؤساء الثوريين العرب شأناً صدام حسين الذي رحل قاهراً

ثم مقهوراً فمشنوقاً. وإذا كانت غابت عن الذاكرة البشيرية وقائع قديمة فإن عبارة صديقه العقيد معمر القذافي "طرز في أميركا" لم ينشف حبرها بعد وكلفت رجل ليبيا القوي ما لا يتمنى الإقدام عليه.

خلاصة القول أيضاً: إذا كان رئيس السلطة الأولى في البلد لم يأخذ كخطوة أولى ومن قبل تفاقم الأزمة بصيغة حكومة الاتحاد الوطني مع الكثير من التنازل عن "ثوابت إنقاذه" فكيف سيلتف الرأي العام معه بما يجعله في منأى عن إنكسار المهابة؟ ثم أين هم المستشارون وما أكثرهم وأحذقهم إلا إذا كانت تنطبق على حالة هؤلاء روحية قول الإمام علي بن أبي طالب "ما أكثر العبر وأقل الإصغاء.. ونعني بذلك ما أكثر المستشارين وأقل الإصغاء إليهم بدل الأخذ بتحريضات المساعدين وقول كبرائهم بأنهم جاهزون للمنازلة وتطبيع الأوصال وتحطيم المحكمة الجنائية التي هي في نظرهم "قار ميت" يا لغرابة هذا القول بالذات لسعادة الأخ عبد المحمود عبد الحليم الذي قاد "المواجهة" في نيويورك بدل إطفاء النار الآتية من الخرطوم. وهذا التساؤل في حد ذاته يجعلنا نفترض أن "الإنقاذ" الذي يؤكد رئيسه البشير أنه سيجنئ المجتمع الدولي وكأنما هذا المجتمع عاقل في الأساس، قد لا يستطيع بغير الاستدارة إنقاذ السودان لأن مباركة زعيم "حماس" خالد مشعل وأدعية إخواننا الإيرانيين وتحفظات الرفاق الصينيين ليست الرادع الكافي لإتقاء شرور الطامعين بالسودان الذين يمتطون خيول أشرار الجنائيين.. المتجنين. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 14 مارس (آذار) 2009

* * *

ختامها نصيحة من قلب عبد العزيز خوجه

جاء الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجه ليودّع لبنان الرسمي بعدما إصطفاه الملك عبد الله بن عبد العزيز ليكون وزيراً للإعلام والثقافة للمملكة العربية السعودية، فإذا به يجد نفسه مغموراً بالإمتنان والإقرار بأن ما كان يقوله كسفير في ذروة التأزم خلال السنوات الثلاث الماضية التي سبقت التوافق على الرئاسة

الأولى، كان عين الصواب.

وفي سنوات التأزم المشار إليه واجه الدكتور خوجه من المنغصات والأمزجة السياسية المتقلبة ما جعله يأسف من دون أن ييأس ما دام الله مع المسعى المخلص لبلده نحو لبنان الذي له في وجدان أبناء المغفور له الملك عبد العزيز المكانة الأرحب، كما له في خاطر عبد الله بن عبد العزيز شخصياً التعاطف المتميز عن أي تعاطف آخر. ونستحضر ونحن نكتب عن وداعه كسفير عبارة سمعناها منه بعد لقائه مع رئيس البرلمان اللبناني نبие بري يوم الإثنين 16-6-2008 وكان مطلب الوفاق لا يجد طريقه إلى التفاهم عليه وإستهدفت المملكة من هذا اللقاء لوي طيف العناد وعدم التشبث بالتناور السلبي. والعبارة هي "إن علاقة المملكة هي مع لبنان كدولة بكل طوائفه ومجموعاته السياسية ونحن مستعدون للتشاور والتعاون مع أي كان إذا كان ذلك يحقق الوفاق في لبنان". وهذه العبارة كانت إذا جاز القول خارطة الطريق السعودية التي وضع الملك عبد الله بن عبد العزيز الأسس الثابتة لروحيتها وأوكل إلى الجهات المختصة التي تساهم في صياغة القرار أمر التنفيذ. وبالنسبة إلى موضوع لبنان فإن كياسة عبد العزيز خوجه ساهمت بفعالية لجهة المثابرة وعدم التوقف أمام زلات لسان أساء الذين إقترفوها إلى بلدهم، وأثبتت خواتيم الأمور صحة ذلك.

وكما أن سنوات عبد العزيز خوجه كسفير اتسمت بمشاعر تجمع بين المسؤولية السياسية يكون التعبير عنها بتصريحات تتضمن عبارات مثل التي أشرنا إليها، وأحياناً يكون شعراً أو نثراً كونه جمع إلى جانب التخصص العلمي والحداقة الدبلوماسية موهبة الكتابة جامعاً في أبيات الشعر التي يقرضها بين التحسر على حال وطن أو قضية وبين الأمل بلحظة خلاص كتلك اللحظة التي حدثت في لبنان متمثلة بالوفاق. وهو عندما سمعناه يناشد في مناسبة تكريم الدارة الحربية له مساء الخميس 19-3-2009 اللبنانيين الإهتمام بوطنهم قائلاً كختام لمهمته الدبلوماسية وبما يشبه التمني والنصيحة "على المسؤولين في لبنان الترفع عن الحساسيات الضيقة وتغليب مصلحة الوطن عبر الإنكباب على حوار معمم مسؤول يؤدي إلى حلول مقبولة من كل الأطراف، و"حافظوا على لبنان بأشفار عيونكم لأن الله عز وجل حباه بخصائص لم يهبها لسواه" مضيفاً "بلدكم أمانة في أعناقكم فكونوا مثل

أجدادكم بمستوى الأمانة"... إننا عندما سمعنا هذه المناشدة تذكرنا مرثاته التفاؤلية للبنان بعدما أطبقت الظلاميات عليه وكادت تودي به، وإستحضرنّا أبياته في هذا الشأن ومنها "هذي هي الأرزّة الشّمَاء دامعة... هذا هو الجبل العملاق ينفعل" و"لبنان يا أملاً ما زلت موئله... لبنان يا شامخ الهامات يا بطل" و"لبنان في قلبنا نار تَوْقنا... خوفاً على بلد قد عرّه الأزل" و"لبنان أرض الحجي هل للحجي أجل... قد حلّ في جدل أم جاءنا الأجل" و"كأن لبنان لا أرض ولا نسب... وأهل لبنان من لبنان قد رحلوا" و"جُرح على الأمل المكسور ينحني... لبنان غداً أملاً فالجرح يندمل" و"يا ساسة البلد المستجِد إتحدوا... هذي بلادكم والسهل والجبل". وأما أقواله في مناسبة التكريم الحريية وكذلك قوله الكلام في الإطار نفسه أمام الرئيس ميشال سليمان الذي كرّمه قولاً ووساماً رفيعاً وأمام الرئيس فؤاد السنيورة الذي كرّمه امتناناً كما امتنان المفتي الشيخ محمد رشيد قباني ونائب رئيس المجلس الأعلى للطائفة الشيعية الشيخ عبد الأمير قبال والإشادة التباركية من جانب البطريرك الماروني نصرالله صفير... أما أقواله المشار إلى بعضها فتندرج في البيت الأخير من قصيدته التي إعتبرناها ترثي وتتفاءل في الوقت نفسه وهو "لبنان إني على عهدي رفيق هوى... مهما يطل بُعدنا فالجمع يشتمل". وهنا نشير إلى أن من حُسن حظ لبنان الذي يضع نفسه يوماً بعد آخر على سكة السلامة، أن عبد العزيز خوجه الوزير سيكون مثل عبد العزيز خوجه السفير في الحذب على لبنان حتى التعافي الكامل ذلك أن توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز تقضي بأن تشمل العين السعودية الساهرة لبنان حاضراً ومستقبلاً.. كما كانت ماضياً.

وتبقى الهدية التذكارية التي قدّمها نبيه بري بعد احتفائه الرسمي كرئيس لمجلس النواب، وليس كزعيم "حركة أمل" التي تنقسم مع "حزب الله" الطائفة الشيعية بأطرافها المتحزبة، بالدكتور خوجه، لافتة كما هداياه في بعض المناسبات لبعض الشخصيات التي تحمل دلالة ومنها هديته يوم الجمعة 17-10-2008 لمفتي الديار المصرية الشيخ علي جمعه الذي زار بري على هامش مشاركته في افتتاح مسجد محمد الأمين. وكانت الهدية عبارة عن إطار جميل تُنبت في داخله بخط جميل آيات "سورة الناس" وهي الأخيرة في المئة وأربع عشرة سورة

من كتاب الله. والآيات هي: "قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس". ومن الجائز أن الهدف من هذه الآية الروحانية بالذات كان تنبيه مصر من وسواس قد يكون زرعها أحد أقطاب الطائفة المارونية زعيم حزب "القوات اللبنانية" الدكتور سمير جعجع عندما زار مصر والتقى كبار القوم فيها خصوصاً أن توقيت الزيارة تزامن مع زيارتين قام بهما القطب الماروني الآخر الجنرال ميشال عون الذي أفقذته صيغة الوفاق اللبناني فرصة أن يكون هو رئيس الجمهورية اللبنانية، فأشهر غضبه مترجماً إياه بزيارة مثيرة للدهشة إلى سورية وزيارة لاحقة مثيرة للإستغراب إلى إيران.

وأما هدية بري إلى الدكتور خوجه فكانت لوحة تمثل لبنان مع تركيز مجسم على بيروت وكأنما أراد "أبو مصطفى البيروتي" كما أوجت هذه التسمية مقالته عن بيروت في ذكرى ثمانينية "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية" الصرح التربوي المحسوب على الطائفة السنية البيروتية بالذات، والتي أنشأت عدة كليات من بينها الكلية الأساس في العاصمة والذي نبيه بري أحد خريجيها. والذي أراده بري من هذه الزيارة هو التأكيد لمُحب "أم الشرائع" عبد العزيز خوجه بأنها ستكون محروسة ولن تتوعك بعد الآن من أي إجتهاادات كلامية أو مغامرات درّاجية نارية وأنه كزعيم لنصف الشيعة المتحزبين في لبنان يتمنى عليه طمأنة خادم الحرمين الشريفين إلى ذلك خصوصاً أن معادلتته، معادلة بري، التي طالما نادى بها وإعتبرها بوابة الحل والاستقرار وهي "س. س" أي مصالحة السعودية وسورية قد تحققت كإجراءات لكنها تنتظر دفاء العلاقة وتآلف القلوب وإقتناع الرئيس بشّار بما يسمعه كمطّلب ونصيحة، وخصوصاً أن بري الصديق الأكثر إخلاصاً للأسدين الإبن بعد الأب وحافظ جمائهما، هو القائل عندما زار قطر المنهمكة بتخمة أدوار تصالحية، أمام الجالية اللبنانية يوم الثلاثاء 16-4-2008 "سأقوم بكل ما يلزم لتأمين متطلبات نجاح الحل العربي انطلاقاً من زيارة المملكة العربية السعودية والتشرف بقاء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي أعرف حرصه على التضامن العربي وتطلّعه إلى المستقبل من أجل الخروج من واقع العجز العربي وإمتلاك الإرادة السياسية القوية، وأعرف حرصه

الشديد على لبنان ورغبته في دعم التوجه إلى تدارك الفراغ الخطير في لبنان عبر حل أزمتته ارتكازاً على المبادرة العربية". وها هو الحل بالنسبة إلى لبنان وفق المبادرة قد تحقق، وتبقى زيارة نبيه بري إلى السعودية التي طال إرجاؤها خصوصاً وقد انحسرت المنغصات وبات ممكناً تمييز اللون الأبيض من اللون الأغبر بعدما كانت الأحوال اللبنانية لا تسرُ وبالذات في العاصمة التي "عشقها قنر" للجميع بمن فيهم من يترأس برلماناً أو يتزعم تياراً أو يقود مقاومة أو يمثل بلده سفيراً أو يلوذ بها لاجئاً سياسياً... لكنها عصية على من يطمع بها بأكثر من حقه ومن لم يتعامل معها برفق فإنتهى محروماً منها. وهذه خصائص أدركها الدكتور عبد العزيز خوجه الذي لقي لمناسبة إنتهاء عمله كسفير لخدام الحرمين الشريفين لدى لبنان وداعية لا مثيل لرونقها من لبنان الذي أنقذه عبدالله بن عبد العزيز بـ "المبادرة العربية" من محنته بعدما كان المغفور له فهد بن عبد العزيز صان له شرعيته بإتفاق الطائف.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 26 مارس (آذار) 2009

* * *

من "المستشار الثالث عشر"

إلى الرئيس عمر البشير

الآن وقد حقق الرئيس عمر حسن أحمد البشير اختراقات نوعية مستقبلاً حصاراً قد يتعرض له السودان ويشمل النفط والغذاء والأجواء على نحو ما أصاب العراق الصدامي والصدامي، بات لا بد من نظرة معدلة للخطاب البشيري يأخذ في الاعتبار أنه إذا كان "الإنقاذ" كحزب مستأثر منذ العام 1989 بالحكم مهماً فإن سلامة السودان والسودانيين أكثر أهمية. وهنا نكاد نخشى أن يصيب أهل هذا البلد ما لا نتمناه لهم.

كانت الاختراقات تعكس حالة الغضب في نفس الرئيس البشير على إخلال بوعود أميركية ناشئة عن طيبة قلب البشير من جهة وتزويقات بعض المستشارين وسماسرة ترميم العلاقات من عرب وأجانب من جهة أخرى. كما أن حالة الغضب تلك ناشئة عن شغف في

الوقت نفسه من جانبه بالتحدي ومحاولة دؤوبة لإزالة تهمة ألصقتها بشخصه بعض أطراف المجتمع الدولي ووجدت داخل السودان من يتلظى وراءها لغاية في النفس يحاول المتلون من خلالها إضعاف هيبة البشير فيتم الانقضاض على زعامته التي هزت بدعة المحكمة الجنائية بعض الشيء أساساتها وحملت صاحبها على أن يمارس كل أساليب الشجاعة كي لا يحقق المدعي العام أوكامبو مأربه.

إختار الرئيس البشير أن يكون في منازلته ضد المحكمة مهاجماً خلافاً لما هو متعارف عليه في دنيا القضاء والمحاكمات وهو أن يكون المتهم مدافعاً عن التهمة المصقة به وليس لاعب كرة قدم تشهد الملاعب له بجسارة الهجوم، وذلك لأن رئيس المحكمة في هذه الحال سيطلب منه السكوت وتترك الأمر إلى المحامي يدافع عنه. ولكن الرئيس البشير إعتد إعتد الهجوم لأنه يرفض إعتباره متهماً، فضلاً عن أنه لم يجد حوله من الجيران والأصدقاء من يساند بغير التمني على المحكمة والذين وراءها أن تعلق القرار الإتهامي لمدة سنة وخلالها لا تصدر أحكام رسمية تستتبعها إجراءات قضائية تشرع طبيعتها الأمم المتحدة. وفي نظر الرئيس البشير كان هذا التمني بمثابة سهم أصاب وجدانه لأن معنى ذلك أن التهمة صحيحة والمحكمة الجنائية معترف بها وأن الرئيس البشير سيكون طوال سنة متهماً مع وقف تنفيذ الإجراءات في حقه.

هل أفادت الرئيس البشير المنازلة غير المتكافئة؟ وهل أبعدت صرخاته وإتهاماته وبينهما رقصاته وقفشاته وتلويحات عصاه وحش المحكمة الفاجر فمه؟

من حيث المبدأ حققت المنازلة تعبئة خففت بعض الشيء من قلب الرئيس فبات يشعر أنه محروس برأي عام. وهو إنتشى بعد الاختراق الحدودي الأول متمثلاً بالهبوط جواً في اريتريا التي كان رئيسها أسياش أفورقي في سنوات مضت يشكل الحاضنة للمعارضة السودانية مقترفاً في هذا التدخل وزراً أشد قسوة على المعنويات من الذي فعله أوكامبو حيث إنه أجاز لرموز المعارضة تحويل مقر السفارة السودانية في أسمره إلى غرفة عمليات سياسية وعسكرية لهم لإسقاط "حكم الإنقاذ" واستمرت التحرشات الأفورقية إلى أن إرتضى الإثنان البشير وأفورقي التعايش وفق صفقة تقضي بأن لا يستعمل كل منهما ورقة المعارضة لإضعاف شأن الآخر

وهز أساسات حكمه. ثم تعززت المعنويات بالإختراق الحدودي الثاني متمثلاً بزيارة القاهرة التي إمتزج فيها التعاطف المصري مع نصيحة من الرئيس حسني مبارك بأن يتروى الرئيس البشير وبأن يختصر الإختراقات لأن الجدوى ليست في كثرتها، وبأن يتقاضي ما أمكنه التعرض لبعض المقامات الدولية بالهجوم على أمل إبقاء الأزمة المتعلقة بالمحكمة الجنائية قابلة للأخذ والرد. لكن يبدو أن الرئيس البشير إرتأى المضي في إعتداد أسلوب التحدي النجادي مع اقتباسات لأسلوب هيوغو تشافيز وهو ما لاحظناه في إطلاقات كلامية له سبقت الإختراق الثالث الذي كان أيضاً حدودياً ويتمثل في زيارة ليبيا أتبعها وسط تساؤلات وتقديرات وتمنيات وإعتصامات وفتاوى تدور في معظمها حول المشاركة أو عدمها في القمة العربية، بالإختراق الأول عبر الحدود ويتمثل بالتوجه إلى الدوحة للمشاركة في القمة العربية الدورية التي كانت الفرصة المناسبة له كي يستبدل فيها التحدي ببعض المرونة وبذلك لا يُحرج القادة المشاركين الذين لا رغبة لهم بالوقوف معه على نحو ما يريد وأن أعلى الممكن هو تضمين "إعلان الدوحة" الفقرة الآتية "تؤكد على تضامنا مع السودان ورؤفنا لقرار الدائرة التمهيدية الأولى للمحكمة الجنائية الدولية بشأن فخامة الرئيس عمر حسن أحمد البشير ودعماً للسودان الشقيق في مواجهة كل ما يستهدف النيل من سيادته وأمنه واستقراره ووحدة أراضيه". وهذه وقفة وليست وقفة ولن تكون في أي حال موقفاً. والدليل على أنها ليست أكثر من وقفة انه كان هنالك إجماع عليها في حين أنه لو كان المأمول إتخاذ موقف لكان حدث انقسام في هذا الشأن وكان الرئيس البشير سينسحب غاضباً ولكنه إرتضى ما تم التوافق عليه لأنه بالإجماع مع ملاحظة أنه ليس لـ "الرفض" آلية تجعله قادراً على مقاومة "الرفض" من جانب المحكمة الجنائية.

إلى ذلك إن في غض الطرّف على الإختراق البشيري الأول خارج الحدود بعد الإختراقين الحدوديين يعود إلى أن المجتمع الدولي لا يريد إحراج أهل القمة العربية تاركاً لحكمة القادة المشاركين إتخاذ ما يروونه مناسباً من دون أن يعني أن "الرفض" سيطوي صفحة المحكمة لكنه سيساعد على فُسحة من التهذئة ما دام القادة العرب مجتمعين لم يطلبوا "الإلغاء" مكتفين بـ "الرفض". مع ذلك بدا الرئيس المتجنّي عليه من المحكمة

الجنائية حامداً شاكراً العلي القدير ومن أجل ذلك كان إختراقه الرابع، وهذه المرة إلى مدينة جدة الثغر البحري المحاذٍ لتوأمه الأحمر بورسودان. ومن جدة إلى بيت الله الحرام لتأدية العمرة وعلى نحو تأدية الرئيس صدام لها بعد خروجه من الحرب مع إيران الخميني مثخناً كما الشقيق الإيراني بالجراح المعنوية والعسكرية والمالية مثقلاً بتداعيات الحرب وما تسببت به للمجتمع والتي أوقفها الإمام الخميني على مضض بعد ثماني سنوات وكمن يتجرع السم على حد قوله. ولم يشمل برنامج الهبوط في الأرض السعودية لقاءات رسمية، عدا إستقبال محافظ جدة له في المطار، ما دام الرئيس البشير إلتقى في الدوحة بالملك عبدالله بن عبد العزيز وما دام الذين رافقوه إلتقوا بمسؤولين سعوديين آخرين كانوا صحبة خادم الحرمين الشريفين.

العودة إلى الخرطوم كانت عودة الرئيس المكمل بـ "الرفض العربي" المعنوي لقرار الدائرة التمهيدية الأولى للمحكمة الجنائية وبنجاح الإختراقات الجوية الحدودية والأبعد قليلاً مع ملاحظة أن الدوحة شكّلت أرضاً سودانية رمزية للتوفيق بين "حُكم الإنقاذ" والدارفوريين الخارجين على طاعة هذا الحكم. ولولا عبارات لافتة صدرت عن الرئيس نتيجة جرعة الإنعاش العربي له، أوردها خلال لقاء مع سودانيي قطر على هامش مشاركته في القمة، لكان جاز القول إن البشير عمل بنصيحة الرئيس مبارك تقادي مقارعة بعض المقامات الدولية، وكان أيضاً إستوقفه استنتاج لافت للرئيس علي عبدالله صالح خلاصته أن من جملة دوافع الرئيس بوش الابن لغزو العراق أن الرئيس صدام حسين وضع على مدخل "فندق الرشيد" رسماً بالموزاييك لوالده (الرئيس جورج بوش) انتقاماً منه لأنه استعاد الكويت التي غزاها (أي صدام) منه وفرض عليه من العقوبات ما جعل العراق يسرع الخطى ربع قرن إلى الوراء. لكن العنفوان البشيري المنتعش بـ "الرفض العربي" وبالإجماع جعله يخرج خلال لقائه بأبناء الجالية في قطر على لفّت الإنتباه من جانب مبارك له، ويقول أمامهم على نحو ما رواه زميلنا إسماعيل آدم "إن العدالة الدولية كان يجب أن تقتاد جورج بوش على خلفية تدمير العراق وأفغانستان ودعم إسرائيل لقتل الأطفال.. لكن اللي إختشوا ماتوا".

ماذا بعد الآن في ضوء ذلك؟

هل سيواصل الرئيس البشير التحدي إلى أن يتم من

جديد إستتساخ عقوبات "الحظر الجوي" و"النفط مقابل الغذاء" و"محاصرة السودان بحراً وجواً وغيرها من العقوبات كثير، أم يكفي بالإختراقات التي حققها وتشكل تعويضاً له مستبعداً الإختراق الإيراني الذي سيجعل أسراب الدبابير الدولية تلسع وجوه السودانيين. وأهمية هذا التعويض تكمن في أن قمة الدوحة بعد الإختراقات المشار إليها كانت تعويماً لحالة ميئوس منها ولوضع مرشح للاهتزازات من مقياس بالغ الخطوة.

للإجابة أجيئُ لنفسي تقمُّص شخصية "المستشار الثالث عشر" لأقول من منطلق إمام ومتابعة بأحوال السودان لم تنقطع على مدى أربعة عقود كان خلالها معظم مستشاري الرئيس البشير الحاليين الإثني عشر على مقاعد الدراسة، وكذلك بدافع الحرص والتعلق على هذا البلد كياناً وشعباً يشهد بذلك كبار القوم السودانيين من عسكريين جنرالات ورؤاد ومن سياسيين مدنيين بأجنحتهم الثلاثة اليمينية واليسارية والإسلامية... إنني من هذا المنطلق أجيئُ لنفسي أن أنقص متبرعاً واستناداً إلى محاولات طلب مني في سنوات مضت وخلال أزمت عاصفة، بعض الأقطاب الرأي والمسعى، وأقول في هذا الشأن للرئيس البشير: لقد صمدت وسعيت وقلت من كثير الكلام ما يمكن لبعضه أن يعبئ الصف ولبعضه الآخر أن يكيّد الأعداء والمتجنين وأوصلت الأزمة إلى أشقائك العرب فناصروك معنوياً من دون أن يكون في المقدور من ذلك ومن الإكرام تقادياً لإحراجات تصيب المهاية ومن قبل استحقاق الإنتخابات العامة عام 2010 بأمل تتويجك رئيساً للدولة الاستثناس بحنكة الزعيم الأفريقي القنوع نلسون مانديلا وابن بلدك ومؤسستكما العسكرية الكبير زهداً عبد الرحمن سواد الذهب فتقرر الانصراف طوعاً وبعد أن ترعى في البرلمان مؤتمراً وطنياً تشارك فيه جميع رموز القوى لا فضل لسوداني على آخر ولا تمييز لواحد دون آخر، في صيغة قيادة للسودان الموحد، وقطعاً للمكيدة الكبرى واستباقاً لما قد يكون شراً مستطيئاً يبعثر الخطوة الكبرى على طريق إنجاز السلام مع الجنوبيين كأن يرتأى إخواننا هؤلاء ومن ورائهم إنتهاز لحظة لهلة في الشريك الشمالي فيعلنون قيام دولتهم المستقلة من معالمها افتتاح مصنع للبيرة قبل أيام. كيف ذلك في الدولة الموحدة؟ وكيف سيتحمل السودان الذي أنت رئيسه منذ العام 1989 ذلك؟ وعلى نحو المثل الجزائري الشعبي مع

بعض التعديل "عشرون سنة... بركات". وتكراراً إنها وجهة نظر "المستشار الثالث عشر" لأن الإثني عشر الآخرين لا يقولون ذلك على الأرجح بمن فيهم صاحب الزلّة اللسانية الكبرى في شأن "السودانيين الشخّاتين" صدرت عنه وهو في الرياض التي طالما يردد ناسها كما الشعب السعودي عامة المثل الشعبي العميق المعنى "يا زينك ساكت"، وكأنما لا يتذكر الدكتور المستشار مصطفى عثمان إسماعيل ما تسببت به الزلّة البشّارية "أشباه الرجال" والزلاّت البوشية التي كانت أشبه بالشتائم. نأمل أن يغفر لك الشعب السوداني هذه الزلّة كما غفر الملك عبدالله بن عبد العزيز للرئيس بشّار زلّته وكما لا بد سيغفر الرئيس مبارك الزلّة البشّارية. أما الزلاّت البوشية فلن تغفرها شعوبنا وبالذات الشعب في السودان والعراق وفلسطين... لأن الشتيمة كما التجني جرائم لا تُغتفر.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 9 أبريل (نيسان) 2009

* * *

إشراقات في زمن عبدالله بن عبد العزيز

طوال شهرين إستحوذت على إهتمامنا كصحافيين المتابعة الدؤوبة للشأن العربي العام بمحطاته المختلفة من مفاجأة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز في القمة العربية الدورية في الدوحة حول استكمال خطوات المصالحة التي فتح الباب رحباً أمامها في القمة العربية الإقتصادية الأولى في الكويت، إلى المأزق السوداني، وما بين المفاجأة والمأزق من محطات لبنانية - لبنانية تتعلق بثبات التهدئة وفلسطينية - فلسطينية تتعلق بالحوار المتعثر بين "فتح" و"حماس" ودولية - عربية تتصل بالأزمة المالية العاصفة، التي تلفح بقوة وجوه مئات الخبراء الذين لم يتوقعوا أو يتنبهوا.. أو كانوا عن احتمالات انفجار الأزمة كوارث مالية ساهين.

وبسبب هذه المتابعة التي لن تتوقف لم يأخذ حقه منا الرونق الذي إتسمت به الدورة الرابعة والعشرين لمهرجان الثقافة والتراث (الجنادرية) بدءاً من يوم الأربعاء 4 مارس/ آذار 2009 ولمدة أسبوعين والذي

جاء على جناح من التميز كأوبريت جميلة في الجانب الفني المتطور وفي الأبيات الشعرية العميقة المعنى التي ازدادت تألقاً فيها قريحة الأمير الشاعر بدر بن عبد المحسن بن عبد العزيز وألحان الموسيقى العالي الثقافة عبد الرب إدريس وحناجر الفنانين محمد عبده وراشد الماجد وعبد المجيد عبد الله وصاحب أحدث الحناجر الذهبية الفنان الشاب عباس إبراهيم.

وهذه الأوبريت التي تحمل تسمية "وطن الشمس" تأتي وسط إشراقات متتالية على أكثر من صعيد محلي وإقليمي ودولي للملك عبدالله بن عبد العزيز الذي كان وضع الحجر الأساس لهذا المهرجان التراثي والحادث بنخوة عليه وعلى الطيب الذكر صديقه وأقرب الناس إلى فكره وروحه الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري والراعي الدائم له تشجيعاً وحضوراً وسخاء وحرصاً على أن يكون في مقدمة الذين يتابعون العمل الفني الذي به تبدأ فعاليات المهرجان بينما الإبل تتسابق على مقربة من مسرح الأوبريت لتأكيد رمزيتها ورمزية الحصان العربي لأهمية الصبر وضرورة الفروسية في الحياة المعاصرة على رغم اقتحام الابتكارات الحديدية براً وجواً من دبابات ومدافع وطائرات للتدليل على التفوق، للمجتمعات التي تتشد الاستقرار فلا يأتيها.

والإشراقات التي نغنيها تتمثل في كتاب التسامح الذي يسجل فيه الملك عبدالله بن عبد العزيز بين أزمة وأخرى سطوراً جديدة فتهدا نفوس أبناء الأمة، كما تتمثل في مشروع التنوير والتطوير الذي تتسارع الخطى المدروسة من أجل الإنجاز في أوقات قياسية بحيث تشمخ المدن الجامعية وترتبط السكك الحديدية مدن المملكة ببعضها البعض وتأخذ ابنة السعودية ما تتمناه وما يحققه خادم الحرمين وازناً الأمور كمثل من يزن الذهب وذلك كي لا تكون الخطوة المتخذة عرضة للتراجع عنها. وعندما تابغنا في الأوبريت ما صدحت به حنجره أنثوية سعودية تأكد لنا أن رقعة المحظورات إلى انحسار تماماً كما رقعة انحسار أساليب التشدد من جانب أطراف ذهب أفرادها بعيداً في التعامل الخشن مع حالات إجتماعية. وفي التعيينات المبالغية في مواقع بالغة الأهمية إشارات واضحة إلى التغيير على قاعدة حسن التدبير.

وأما الإشراقات على الصعيد الدولي التي تؤكد الصفة الشاعرية أي "وطن الشمس" للمملكة فتتمثل في

الحضور المتألق للملك عبدالله بن عبد العزيز في قمة العشرين التي هي في ضوء الأزمة الاقتصادية والمالية الدولية العاصفة الصيغة البديلة لـ "مجلس الأمن الدولي" الذي تستأثر به خمس دول لم تعد كبرى بمفهوم التأثير، أو فلنقل إنها باتت في أشد الحاجة إلى من يساندها. وفي هذا الصدد يجوز التوقع بأن يتلاشى مجلس الأمن كصيغة خصوصاً أن مصداقيته بفعل "فيتو" درجت أميركا على إستعماله لدفع خطر الإدانة لإسرائيل و"فيتو" آخر درجت دولتان أخريان هما الصين وروسيا على عدم إستعماله عند حاجة العرب إليه، وأن تصبح قمة العشرين التي تمثل كل الدول الفاعلة في القرار المالي والإقتصادي هي مجلس الأمن الجديد تحت تسمية "مجلس الأمن السياسي والإقتصادي" أو "مجلس العشرين" وربما تسمية أخرى. وفي هذه الحال يتمثل العرب بشخص المملكة العربية السعودية في هذا المجلس ولا تعود مطالب توسيع عضوية "مجلس الأمن الدولي" الراهن واردة وبالدات من جانب العرب والهند واليابان وألمانيا والبرازيل وإندونيسيا الدول الأكثر فعالية في عالم الإقتصاد والمال. وفي أي حال إن مشاركة الملك عبد الله بن عبد العزيز في قمة العشرين والثقاف الجميع حوله وكياسة الرئيس باراك أوباما في التعبير عن تقديره واحترامه للملك، أكدت أهمية شراكة العرب مستقبلاً في القرار الدولي وأكدت أن الخشية من "الفيتو" التقليدي إلى اندثار. وها هي "المبادرة العربية" التي ابتكر صيغتها الواقعية للملك عبد الله لا تجد الدول الخمس الكبرى ومعها الدول الأوروبية أي موجب لنقض هذه المبادرة مع ملاحظة أن ذلك لا يكفي من جانبها لمواجهة التباطؤ الإسرائيلي في الأخذ بها حلاً لا مثيل لواقعيته بين كل المشاريع المطروحة لإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي.

وتندرج في إشراقات الملك عبد الله بن عبد العزيز ظاهرة التكريم خلال مهرجان الجنادرية لرموز الفكر والصناعة والأعمال الذين أسهموا في رسم اللوحة الجميلة التي هي "وطن الشمس". ولقد وجدت نفسي شخصياً في ضوء إختيار الدكتور عبد العزيز الخويطر ليكون "الشخصية المكرمة" في الدورة الرابعة والعشرين لمهرجان الثقافة والتراث أتمنى لو أن التكريم يشمل مع اليوبيل الفضي للمهرجان العام المقبل تكريم من هم أهل للتكريم حتى بعد رحيلهم أمثال الطيب الذكر الشيخ

ناصر المنقور الذي كان صاحب تجربة سياسية ودبلوماسية مرموقة وأحد شهود الحق على مسيرة الملوك الأبناء الأربعة المغفور لهم سعود وفيصل وخالد وفهد، والمتفائل في استمرار بمسيرة الخير بهمة الإبن الخامس الملك عبد الله أطل الله عمره وضمن الرؤية الحكيمة والمتوازنة وجاء تعيينه لأخيه الأمير نايف بن عبد العزيز نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء عشية التوجه إلى القميتين في الدوحة ثم لندن مؤشراً إلى أن البيت محروس بأعلى درجات البقطة والأمانة والمسؤولية. وتلك مواصفات الأمير نايف كما مواصفات الشقيق ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز الذي يدعو الجميع له بسرعة التعافي والعودة. وفي إطار الحديث حول ما يتعلق بالفكر والثقافة كانت لافتة كثيراً لنا ظاهرة هذا التنوع في "معرض الرياض الدولي للكتاب" الذي واكبت دورته فعاليات مهرجان الجنادرية وكيف أن رحابة صدر الرقابة على التأليف والمؤلفين اتسعت كثيراً.. وإلى درجة أن الكثير مما كنا نظنه محظوراً وجدناه في عشرات الأجنحة وبالذات أجنحة الناشرين المصريين واللبنانيين والسوريين واليمنيين الذين عوّضهم رواد المعرض من الرجال والنساء على حد سواء وبسبب القدرة الشرائية للمواطن السعودي، كساد عوائد النشر في دولهم نتيجة شبه انعدام القدرة على الشراء وبذلك لم يعد الكتاب من الضرورات وإنما من الكماليات.. أو فلنقل من أنواع الترف. ونسجل ونحن نتحدث عن الحيوية التي لمسناها في معرض الرياض الدولي للكتاب التقدير لوزارة الثقافة والإعلام الدكتور عبد العزيز خوجه الذي أراد للمعرض أن يأتي نجاحاً بحجم طموح الوزير الدبلوماسي والشاعر إلى مواكبة المشروع التنويري الرحب للملك عبد الله بن عبد العزيز بما يتعلق بالثقافة والمسرح والسينما. وهذا يجعلنا نأمل أن نرى في دورة البوبيل الفضلي للجنادرية بعد عشرة أشهر حالة من النهوض المسرحي والسينمائي تكون برقي فيلم "ظلال الصمت" خصّنا بمشاهدته في مكتبته المخرج السينمائي الكثير الرقي عبد الله المحيسن الذي يزرع بأحدث أعماله الذي هو أول فيلم روائي عربي سعودي وأفلامه الوثائقية السابقة وهي "إغتيال مدينة" و"الإسلام جسر المستقبل" و"الصدمة" غرسة حالة من النهوض السينمائي السعودي - العربي مستقبلاً. وكدئ عندما جمّعنا لقاء بالوزير خوجه أن أقول رأيي أمام جمع من الإعلاميين والمتقنين والمفكرين

خصّهم الدكتور خوجه بصفتيه كوزير وكمثقف وشاعر بزيارة تفقدية في الفندق الذي نقيم فيه، في فيلم "ظلال الصمت" ولماذا لم يكن ضمن فعاليات الجنادرية يشاهده العشرات من الضيوف المدعوين ويخوضون مناقشة وتقييماً له، ثم أثرت عدم الكلام لدواعي ظروف اللفتة الخوجية لكن ذلك لا يعطيني أنني كصاحب قلم من الحديث حول هذا العمل السينمائي الراقي الذي لم أشاهد عملاً برّقيه في السينما المصرية في العقود الثلاثة الماضية والذي يذكّرنا برّقي أعمال سينمائية مصرية طالما شاهدناها في السبعينات. وفي هذا الصدد أقول إنه في انتظار أن يُجاز مبدأ عرض الأفلام في دور سينمائية في السعودية فإن عرض فيلم من نوع "ظلال الصمت" على شاشات فضائيات عربية سعودية وغير سعودية مفتونة بالمسلسلات التركية المدبلجة ومن قبلها المسلسلات المكسيكية المدبلجة هي الأخرى، يبقى أكثر إفادة وتثقيفاً للمواطن العربي كما أنه يشكّل تحفيزاً للوعي العربي، وهذا أمر مطلوب في سياق إستكمال بناء المشروع الفكري والتنويري والعلمي للملك عبد الله بن عبد العزيز المواكب لمشروعه القومي في الإتجاهين السياسي والإقتصادي... وهذا واجبه كخادم للحرمين وحارس للأمتين.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 20 أبريل (نيسان) 2009

مواسم التحرش بالمحروسة و... الحارسة

إفترض إخواننا أهل الحكم الإيراني أن وقوفهم إلى جانب طرف في وجه طرف هو نوع من الواجب الشرعي بالمعنيين الفقهي والأدبي. وهذا الوقوف بدأه رئيس البرلمان علي لاريجاني ثم إنتقل إلى وزير الخارجية منوشهر متقي. وبذل أن يكون الهدف احتواء الأزمة بين مصر (الحكم والشعب) و"حزب الله" فإن لاريجاني ومتقي أضافا خطباً على بداية نار فإزدادت المسألة اشتعالاً وقد تتطور الأمور أكثر وأكثر ولا يعود ينفع في إطفاء الحريق أي مسعى.. إلا إذا اصطلحت الأحوال بين الرئيسين حسني مبارك وبشار الأسد وأبلغ الثاني رئيس المحروسة بأن لا يشغل باله في موضوع

"حزب الله" والحكم الإيراني وأنه، أي رئيس سوريا التي ما زالت إلى الآن وحتى إشعار آخر تشكو ضمناً وطأة ما أصاب لبنانها، وأن هذا الذي إنتهى إليه لبنانها سيبقى غصة في الحلق إلا إذا حدثت استدارة من جانب خاطفي "لبنان السوري" كفيل بتبريد المشاعر التي يلمسها بعض أهل السياسة الذين يلتقون بالرئيس بشّار ويلاحظون في جلسته أمرين لافتين: الأول هو أنه بالنسبة إلى موضوع لبنان يسأل كثيراً وإذا سأله زائره فإنه لا يجيب وبذلك يعود الزائر بإنطباع أن الغصة اللبنانية قائمة في الحلق وباقية على ما يبدو في انتظار المجهول. أما الأمر الثاني فهو حرص الرئيس بشّار عندما يؤتى على ذكر الملك عبدالله بن عبد العزيز خلال الحديث على أن يردد أكثر من مرة عبارة انه الرجل الطيّب. ومن الجائز الافتراض أن الطيبة التي يعينها تستند إلى المبادرة التسامحية التي صدرت عن خادم الحرمين الشريفين في اليوم الأول للقمة الاقتصادية العربية في الكويت وبمقتضاها كان اللقاء الذي جمع الرئيس بشّار بالملك عبدالله بن عبد العزيز والرئيس حسني مبارك بحضور الشيخ صباح الأحمد أمير دولة الكويت. وبعد هذا اللقاء باتت إمكانية عودة الود إلى العلاقة بين سوريا البشّارية المتباعدة عن فضائها العربي وبالذات العلاقة مع السعودية ومصر أكثر يسراً... وهذا في أي حال يتوقف على همة الرئيس بشّار وتقليص رقعة الارتباط الإستراتيجي بالحكم الإيراني، أو على الأقل ترويض التطلعات الإيرانية إلى ما وراء الحدود المجاورة.

التحرّش بالدولة العربية الأكبر ليس جديداً، وبالذات التحرّش الثوري العربي بها. ومن قبل الواقعة التي مع الأسف دخل "حزب الله" طرفاً فيها، تحرّش "البعث" بجناحيه السوري والعراقي وكل منهما حسب مفردات خاصة به ونيات غير حميدة عموماً نحو مصر بمختلف جمهورياتها بمصر أيام عبد الناصر، وعلى سبيل المثال فإن تحرّش البعث العراقي وصل إلى حد أن صحيفة "الثورة" الناطقة بإسم "مجلس قيادة الثورة" وفيما كان صالح مهدي عماش نائب رئيس الجمهورية زمنذاك (أحمد حسن البكر) يتوجه إلى دمشق ويجري محادثات مع رئيس الدولة (زمنذاك) الدكتور نور الدين الأتاسي بحضور وزير الدفاع (زمنذاك) الفريق حافظ الأسد إستغرقت ثلاث ساعات وتمحورت حول التصدي لقبول

الرئيس عبد الناصر مبادرة روجرز، هاجمت عبد الناصر كما، مع إختلاف المفردات، هجوم الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله بعد 42 سنة على الرئيس مبارك، وكتبت تقول: "إن دور عبد الناصر على الصعيدين المحلي والعربي كان على الدوام مشوباً بالسلبية في أكثر من موقف والتفكير الناصري لم يسبّر الأعماق الحقيقية للطموح الجماهيري. كما أن قيادة عبد الناصر للنضال العربي إكتفها الشك في أكثر من موقع وأكثر من فترة، وفي كثير من المواقف يبادر عبد الناصر نيابة عن قوى الثورة والجماهير بمواقف دقيقة وخطرة، وفي أكثر من مرة كانت النتائج لغير مصلحة الثورة العربية والمصير العربي، وهو بموافقة على المقترحات الأميركية (مبادرة روجرز) إنما يعمل على ذبح المقاومة الفلسطينية وانهايار الجبهة الشرقية". ثم تحرّش الفلسطينيون في أشخاص بعض كبارهم بمصر وعبد الناصر ووصل التحرّش الأولي إلى حد إعتباره بعد هزيمة 1967 خسر ورقة الزعامة العربية وبات من الواجب عليه أن يسلم الراية لجيل آخر.

وفي سنوات الحكم الساداتي تحرّشت بعض الفصائل الفلسطينية بمصر وأمطروا هذا الحكم بإتهامات أدناها التفریط وأعلاها التخوين ووصل التحرّش ذات يوم إلى قيام عناصر فلسطينية بتكليفات خارجية بإغتيال رئيس وزراء الأردن وصفي التل الذي كان يشارك في مؤتمر سياسي في القاهرة وتمت عملية الإغتيال على مدخل فندق "شيراتون" وفي وضّح النهار. وفي معرض الحديث حول التحرّش الفلسطيني نستحضر من الذاكرة العنوان الرئيسي في الصفحة الأولى من صحيفة "فتح" الذي إختاره زعيم الحركة ياسر عرفات متناسياً أن إطلالته الدولية كانت من خلال عبد الناصر الذي إصطحبه مع قياديين آخرين من "فتح" إلى موسكو وقدمه إلى قادة الكرملين. كان العنوان طويلاً وعلى النحو الآتي: "مسير الحل السلمي تحدده إرادة بنادقنا. أبو عمار يوجّه دعوة إلى كاسترو ورفاقه لزيارة قواعد الثورة. رفيقنا الثوري العظيم غيفارا أدرك حقيقة أساسية عندما دعا إلى أكثر من فيتنام لهزيمة الإمبريالية". ومع هذا العنوان المثلث الأسطر والإستغراضي (كونه يستبدل الزعامة الناصرية بالزعامة الكوبية برمزيها فيدل كاسترو وتشي غيفارا... يا لقلّة الوفاء هذه) بعرض الصفحة المقال الافتتاحي بعنوان "لا" ويتضمن الآتي: "إن مشروع

روجرز لم يأت بجديد ومن السهل أن نرى في طياته أبعاد التآمر الأميركي - الصهيوني الذي ما زال مصراً على تصفية القضية الفلسطينية وتمزيق الشعب العربي الفلسطيني بعد القضاء على ثورته. لذا ما علينا إلا أن ننتهياً للدفاع عن ثورتنا وقضيتنا المقدسة مهما غلا الثمن وارتفعت التضحيات. ولا بد من التذكير بحقيقة أساسية وهي أن بنادقنا هي التي ستحسم الأمر في النهاية...". وذهب الدكتور جورج حبش الأمين العام لـ "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" التي كانت زمناً بأهمية "حركة حماس" حجماً وتشدداً هذه الأيام، أبعد من ذلك حيث إنه ومن بيروت التي كان يتخذ منها مقراً له مثل إتخاذ خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لـ "حركة حماس" من دمشق مقراً له، أسقط فجأة وطنية عبد الناصر وثورته ودعا رجال الصحافة اللبنانية والمراسلين الأجانب العاملين في لبنان إلى مؤتمر صحافي عقده في اليوم التالي (السبت 25 تموز/ يوليو 1970) في غرفة حديثة البناء سقّفها من "الإنترنت". وقد فُرشت أرض الغرفة بالبطانيات (تصرف استعراضي من قبل الجبهة الشعبية لأن في استطاعتها أن تستأجر طاولة وخمسين كرسيًا) وجلس الدكتور حبش والصحافيون والمراسلون أرضاً وبدأ الحديث معهم وهو في أوج صحته وحيويته قائلاً بلهجة من يتهم وينذر ويهدد في الوقت نفسه: "إذا بقيت مصر ماضية في الحل السلمي فستكون هي والأنظمة في جانب وحركة المقاومة الفلسطينية في جانب آخر. إذا كان القبول تكتيكاً فهو خطأ. أما إذا نفذ الحل السلمي وسُحقت المقاومة تحته فإن أي رئيس سيُصنّف عدواً كاملاً في نظر شعبنا. ونحن مستعدون لتحويل المنطقة العربية إلى جهنم....". (كان لهم دور كبير كما أثبتت التطورات مدى عشرين عاماً في جهنم التي تكتوي بنارها الأمة. وعند التأمل في الذي جرى في لبنان والكويت وما الذي جرى لهاتين الواحيتين يتأكد لنا ذلك).

وإزاء هذا التحرش وبالذات من عرفات وحبش وافق عبد الناصر، لأن صديقه ومُنظّر رؤاه السياسية الأستاذ محمد حسنين هيكل هو الذي اقترح، على وقف إذاعي "صوت العاصفة" و"صوت فلسطين" عن البث مؤقتاً مع التأكيد على استمرار الدعم العسكري والمادي والسياسي لحركة المقاومة الفلسطينية وتضمين القرار الذي أذيع في هذا الشأن حيثية جاء فيها: "لقد تقرّر وقف الإذاعتين

عن البث مؤقتاً بعد الموقف الذي إتخذته بعض المنظمات الفلسطينية إزاء قبول مصر لما سُمّي المبادرة الأميركية. والجمهورية العربية المتحدة (التسمية قبل أن يستبدلها الرئيس السادات بإسم "جمهورية مصر العربية") مع تقديرها الشديد لظروف العلاقات بين مختلف المنظمات الفلسطينية تعتبر أن هناك حدوداً يتحتم فيها على كل طرف أن يتحمل مسؤوليته...". وأتذكر وأنا أتابع شخصياً في القاهرة كمراسل لصحيفة "النهار" اللبنانية كم كان مؤلماً على نفس عبد الناصر أن يتولى رجال الشرطة المصريون منع موظفي الإذاعتين من دخول المكاتب، مع العلم أن تأثير كل منهما كان محدوداً حيث إن "صوت العاصفة" الناطقة بإسم حركة "فتح" تبث (منذ بدئها عام 1968) ساعة يومياً وأن "صوت فلسطين" الناطقة بإسم "منظمة التحرير الفلسطينية" تبث (منذ بدئها عام 1965) برامج خاصة لمدة 8 ساعات يومياً على ثلاث فترات. ولكن الأهمية التي لهاتين الإذاعتين هي انهما تبثان من القاهرة وأنها نواة تدريب وتأهيل لعشرات الإذاعيين لفلسطين الدولة عندما تقوم. ثم إن عتب مصر على عرفات وحبش ليس لأنهما أعلنوا رفض مبادرة روجرز فهذا حقهما وإنما لأن الرفض شيء ومهاجمة حكومة مصر لقبولها المقترحات الأميركية شيء آخر، وأن الأولى بهما كان إتخاذ موقف كالذي إتخذه العقيد معمر القذافي (كبير الثوريين المتشددين زمنذاك) حيث إن وزير الخارجية الليبية المستتير والموضوعي المرحوم صالح بويصير أبلغني يوم الإثنين 27 تموز/ يوليو 1970 وأنا أستوضح منه سر ليبيا القذافية عدم الإعتراض على قبول مصر عبد الناصر مبادرة روجرز، مع أن الرئيس هوري بومدين أمر بسحب القوات الجزائرية من جبهة قناة السويس إحتجاجاً، الآتي: "كنا دائماً نأخذ على عبد الناصر أنه يعتمد الحماسة المفرطة من دون أن يجرب أسلوب الدبلوماسية في العمل السياسي. وما دام إرتأى أن يجرب فعلياً مؤازرته وليس إطلاق الأحكام عليه لعله ينجح. وحتى إذا أخفق فإنه يكون إجتهد وهذا شيء طيب منه. وإلى ذلك أنه عندما يسلك عبد الناصر الذي هو عميد الثوريين في العالم العربي المسلك الدبلوماسي فإنه سيشجع بقية الثوريين العرب على تقليده خصوصاً أن بعضهم (لعله يقصد العقيد القذافي ورفاقه) متأثر به إلى درجة تأثر التلميذ بأستاذه". لكن ليبيا

القذافية التي تفهمت ظروف عبد الناصر بالنسبة إلى قبول مبادرة روجرز فأثرت عدم التحرش، كان تحرشها في استمرار عاصفاً مع مصر الساداتية الأمر الذي جعل الرئيس السادات يعلن ما يشبه "الحرب" على ليبيا. ومن وقائع التحرش أن ليبيا اقترحت الأراضي المصرية بمسيرة تطالب بالوحدة معها، لكن السلطات الساداتية منعت وصول المسيرة إلى القاهرة وأوقفتها في الإسكندرية بعدما كانت إجتازت مرسى مطروح نقطة الحدود مع ليبيا.

وحتى السودان تؤام المحروسة مصر، والذي خطفه الشيخ حسن الترابي واللواء عمر البشير من السيد الصادق المهدي وحلفائه، كانت له حصة في التحرش. لكن ذلك كان بعيداً عن مصر وتمثل بمحاولة لإغتيال الرئيس حسني مبارك على طريق مطار أديس أبابا التي كان سيشارك فيها في قمة منظمة الوحدة الأفريقية. وبعد تلك المحاولة التي تم والحمد لله إكتشافها، وإلا كانت ستحدث داحس وغبراء جديدة تؤسس لإنبعاث نيل ثالث من الدم الأحمر القاني إلى جانب النيلين الأبيض والأزرق، ساءت العلاقات كثير السوء ثم تبدلت المواقع القيادية في السودان وأمكن في ضوء ذلك رأب الصدع. لكن هل إنتهى الأمر إلى "صافي يا لبن" على نحو التعبير الشعبي؟ لا نظن.

في سياق الطموح الثوري الإيراني كان لإخواننا أهل الحكم في إيران محاولات للتحرش بالمحروسة مصر بادئين كخطوة أولى ورداً على إستضافة السادات لإبن إيران (الشاه المخلوع والمريض إلى حد التلاشي محمد رضا بهلوي) إطلاق إسم الإسلامبولي الذي إغتال الرئيس السادات وهو على المنصة يحتفل بذكرى حرب أكتوبر، على شارع مهم في العاصمة طهران وساءت العلاقات منذ ذلك الحين وإلى ما لا نهاية منظورة. وكان ورثة الإمام الخميني في مواصلة التحرش شأنهم في ذلك شأن أطراف أخرى من قبل مثل البعث الذي بذل جهوداً كبرى لإنشاء فرع مصر لهذه العقيدة لكنه لم ينجح في ذلك، ومثل ليبيا القذافية التي بذلت جهوداً لتكوين "لوبي" تكون لأفرادها كلمة في صياغة القرار السياسي في مصر، ومثل حركة "فتح" التي اعتبرت أن نصيرتها حركة "الإخوان المسلمين" تشكل الذراع المعنوية القوية لها داخل مصر.

هذه التحرشات وغيرها أزعجت أهل الحكم المصري.

إلا أن الأمر إقتصر على الإزعاج، إلى أن جاءت محاولة التحرش الجديدة متمثلة بإفتعال مشكلة غزة من جانب حركة "حماس" وجاءت في وقت تحاول إسرائيل إيقاظ الغضب المصري الدفين حيث يهدد أحد رموز الطبعة الجديدة من التشدد أفيدور ليبرمان، الذي بات وزيراً للخارجية، بتدمير السد العالي أي بما يعني تعطيش مصر بشراً وأرضاً زرعاً وضرعاً، وحيث تعترض الحكومة الإسرائيلية على مناورات عسكرية يقوم بها الجيش المصري وتتمحور حول الرد على هجوم مباغت ضد مصر. كما يأتي التحرش بصيغة رسائل لفظية تُنشر في وسائل الإعلام الإسرائيلية والأميركية المتصهينة تتعلق مضامينها بعدم زيارة الرئيس حسني مبارك إلى إسرائيل وكذلك عدم زيارة وزير الدفاع المشير حسين طنطاوي وعدم زيارة رئيس الحكومة المصرية وزيارة رئيس البرلمان المصري رداً على زيارات عدة يقوم بها مسؤولون إسرائيليون مماثلون من حيث المنصب.

يطول الحديث ولا يتسع المجال للسرد حول مواسم التحرش الثوري العربي مضافاً إليه التحرش الثوري الإيراني، وتتنوع الوقائع التي جاءت عليها التحرشات منذ أكثر من أربعة عقود وشملت الجمهورية الأولى (عبد الناصر) والجمهورية الثانية (السادات) والجمهورية الثالثة (مبارك). وما أوردناه هنا هو القليل من الكثير. وفي كل مرة يحدث التحرش يكون الغرض نبيلاً شكلاً وخبيثاً ضمناً وهو أن تفقد مصر التي ضحت أكثر مما ضحى أي طرف آخر مهابتها فلا تبقى الرقم الصعب في المعادلة العربية والمعادلة الإقليمية. ومن خلال بعض التأمل في أحوال الذين تحرشوا ونهاياتهم يمكن التأكد بأن المحروسة تبقى رغم مناطحتها والتحرش بها هي الحارسة الأمانة. أليس الذي فعله الرئيس عبد الناصر يومي 27 و28 أيلول (سبتمبر) 1970 في قمة "الهيلتون" وبمؤازرة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز وحنكته من أجل ياسر عرفات ورفاقه هو بروحية الذي يفعله منذ أسابيع الرئيس مبارك من أجل ورثة النضال الفلسطيني والذي جاء تحرش "حزب الله" والتحفيز الإيراني له كمن لا يريد لفعل المصالحة أن يكتمل أو أنه انتهاز لظاهرة "فوضى الألسنة السائدة في أوساط أهل السياسة والأحزاب والإعلام في مصر حيث تُقال غرائب وعجائب من سيئ الكلام من بعض هؤلاء وأيضاً من حملة أقلام في حق كبار المسؤولين. وكمثال

على "فوضى الألسنة" تملكنا الدهشة عندما نرى أن رئيس الوزراء الأسبق الدكتور علي لطفي وهو القطب الإقتصادي ينظم في حق رئيس مجلس الشعب (البرلمان) الحالي الدكتور فتحي سرور، القصيدة الزجلية الآتية:

(فتحي سرور يا ويكا الكل يحبك حب الفرخة للديكا، أما حُبُّكَ للقانون فهو في دمك وكلاويكا، أستاذ قانون ناجح لما تعرف شُغل البوليتيكا، لأن مصر دايماً في قلبك ليس لها شريكا، طلبة الحقوق يقولوا كلامك حلو وسُكّر وعامل زي المزيكا). هذا كلام "الدكتور" رئيس الوزراء الأسبق أم هو كلام شعبان عبد الرحيم... أو فلنقل هو كلام علوشه توأم شعبولا.. لا فرق كبيراً).

ويبقى أننا عندما نسمع الرئيس مبارك ينه بمفردات إنذارية المتحرّشين خلال لقائه يوم الخميس 23-4-2009 بضباط وجنود الجيش الثاني لمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لتحرير سيناء... قائلاً: "أقول للقوى التي تغذي الخلافات على الساحتين العربية والفلسطينية وتدفع بعملائها في المنطقة لتهديد أمن مصر القومي واستباحة حدودها وزعزعة استقرارها أننا واعون تماماً لمخططاتكم وسنكشف تأمركم ونرد كيدهم إلى نحوركم. كفاكم تمسحاً بالقضية الفلسطينية واحذروا غضب مصر وشعبها"... إننا عندما نسمع الرئيس مبارك يتحدث وأمام جيش مصر بهذا الأسلوب الغاضب فإننا نجد أنفسنا نحن الذين يعرفون حقائق الخصوصية المصرية مقتنعين بأن مصر الوديعة تبقى على وداعتها إلى أن يتحرّش بها المتحرّشون.

كُتبت لصحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ أبريل (نيسان) 2009

* * *

حكاية "الحاج بنديكتوس"

والشاهدين العدلين

لا يلام قاضي قضاة فلسطين الشيخ تيسير التميمي بسبب اغتنامه فرصة مشاركته في لقاء حوارى بين رجال دين مسيحيين ويهود في اليوم الأول (الإثنين 11-5-2009) لزيارة البابا بنديكتوس السادس عشر إلى القدس

المحتلة من إسرائيل منذ العام 1967، وإلقاء كلمة استغرقت ست دقائق مستوحاة من مضمون "المبادرة العربية" المتعثرة طلب فيها من رئيس الكنيسة الكاثوليكية "باسم الله الواحد إدانة الجرائم الإسرائيلية والضغط على حكومة إسرائيل لتوقف إعتداءها على الشعب الفلسطيني وإعلان القدس عاصمة أبدية وسياسية ووطنية وروحية لفلسطين" مضيفاً القول "إن إسرائيل إنتهكت حرمة القدس وحولتها إلى سجن ومن واجب المسيحيين والمسلمين العمل معاً ضد الإحتلال الإسرائيلي والكفاح معاً من أجل التحرير والاستقلال وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة".

كان اللقاء عبارة عن "منتدى للحوار" حضرته بعض الشخصيات والفاعليات. ومن منطلق الإحساس بالظلم الدولي والشكوى المرة من ممارسات الإحتلال الإسرائيلي، ما الذي يمكن أن يقوله قاضي قضاة فلسطين في مثل هكذا مناسبة غير الذي قاله. هل يكفي بالحديث عن أهمية الحوار وإطراء الضيف الزائر أم يقول كلمة الحق التي يراد بها الحق ولا شيء غيره وهذا ما فعله.

المؤسف أن بطريرك الطائفة اللاتينية في القدس فؤاد طوأل بدل أن يضيف كلاماً مماثلاً في روحيته لكلام الشيخ التميمي فإنه حاول مقاطعة التميمي الأمر الذي شجع بعض الحاضرين على مغادرة القاعة، كما أن بعض الحاخامات اعتبروها ذريعة جاءت من غير الإسرائيليين لكي يقاطعوا منتدى الحوار.

أما الأكثر مدعاة للأسف فهو أن البابا بنديكتوس إلتمز الصمت محتجاً على كلمة الشيخ التميمي مع أن الرجل نطق حقاً وفي صيغة الشاكي والمتظلم. وكان يمكن أن يقتصر الأمر عند هذا الحد لولا أن الفاتيكان بعلم البابا بنديكتوس أو من دون علمه أصدر بيان إدانة لتصرف الشيخ التميمي وتحت حثية "إن المداخلة - أي كلمة قاضي قضاة فلسطين - كانت إنكاراً مباشراً لما يجب أن يكون عليه الحوار".

أي حوار هذا الذي أنكره الشيخ التميمي؟ وأي منطق هذا الذي يجيز الحوار الذي لا يحقق أي مردود ويُبقي الحالة المأساوية على نحو تلخيص الدكتور حنان عشاوي لها بقولها: "لا ننسى أن الكرامة والعدل ليسا في قطاع غزة حيث إن مليوناً ونصف المليون مجبرون على العيش في عزلة عن العالم في سجن كبير، كما أن العدالة والكرامة لا يمكن لهما أن ينموا في ظل الجدار

الذي أقامته إسرائيل في الضفة الغربية لذلك فعلى البابا أن لا يغلق عينيه أمام هذه المأساة فهناك شعب تُهدر حقوقه وتُداس وهو الشعب الفلسطيني وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن تعتيمها".

والدكتورة عشراوي ليست كما الشيخ التميمي من "حركة حماس" لكي ينسجم الإحتجاج البابوي مع الإحتجاج الدولي والرفض الإسرائيلي للإقرار بأن الحركة ذات حضور شعبي فاعل في المجتمع الفلسطيني، وإنما هي سيدة فاضلة فلسطينية عربية مستقلة ومسيحية مستقيمة الرأي فضلاً عن أنها عضو في البرلمان الفلسطيني وسبق أن شغلت منصباً وزارياً وتجمعها إلى جانب هذه الصفات بالشيخ التميمي المعاناة الناشئة عن الظلم الدولي في حق فلسطين وطناً وشعباً. وعلى هذا الأساس فإن كلمة الشيخ التميمي وكلام الدكتورة حنان عشراوي الذي أوردنا خلاصته يشكّلان، إذا جاز القول، شهادة شاهدين عدلين من أهل القضية المستباحة، أو من باب الدقة إن كلمة الشيخ المسلم وكلام الدكتورة المسيحية يشكّلان خلاصة الرأي الفلسطيني في ما هو مطلوب من رئيس الكنيسة الكاثوليكية التأمل فيه، وبذلك تحدث إعادة النظر في المفهوم السائد في العقل المسيحي وهو أن تسليم أمر القدس إلى الإسلام في شخص الحاكم الفلسطيني المسلم بطبيعة الحال يعني وضع المقدسات المسيحية في القبضة الإسلامية وهذه مخاطرة كبرى، وأن الأفضل وحتى إشعار آخر الإبقاء على الوضع كما هو عليه أي لا حل للصراع العربي - الفلسطيني ولا تسوية للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي إلى أن يستسلم العرب والمسلمون عموماً إلى أن القدس إذا كانت لن تكون موحدة وعاصمة لدولة إسرائيل فإنها لن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية المأمولة على افتراض أنها ستقام. وهذا التوجه يفسر لنا حملات التشويه المتواصلة للإسلام وتصويره للرأي العام المسيحي على أنه الإرهاب الذي يهدد استقرار العالم. بل إن هذا التوجه يجعلنا نميل إلى التأكيد بأن وراء كل العمليات الإرهابية يقوم بها مسلمون بدءاً بـ 11 سبتمبر وصولاً إلى ما جرى ولا يزال في أكثر من بلد عربي وإسلامي، عقولاً صهيونية ذات هدف واضح وهو: كيف ترضى أيها المسيحي أن يكون مهد المسيح تحت رحمة المسلم الذي يستعذب العمليات الانتحارية ويستعمل الطائرات المدنية في تفجير رمز التجارة العالمية في نيويورك ويضع العبوات الناسفة في

قطارات الأنفاق وفي المخازن التجارية الكبرى تقتل الأطفال والنساء. ولأن آلة الإعلام المكتوب والمرئي والمذاع ملك اليد اليهودية بنسبة كبيرة وبعضها في عهدة المتصهينين، فإن المكيدة تحقق الغرض.

ولكن ما يقتنع به المسيحي العادي في أكثر دول العالم من القطب إلى القطب هل من الطبيعي أن يأخذه في الإعتبار رئيس الكنيسة الكاثوليكية الذي عندما جاء يحج بين الأردن وفلسطين المحتلة والمعتدى عليها افتراضنا انه سيحسم الأمر ولمصلحة الموقف العادل لا أن يكون كما كل حكام دول العالم المسيحي يبيعون الأمتين الأوهام مطمئنين إلى أن التفكك المستشري في أوصال أهل القرار العربي والإسلامي يجعل بعض هؤلاء يعتبرون الأوهام وعداً قابلة للتنفيذ ثم يتبين بعد إنصراف هذا الواعد أو ذاك أن الوعود أكاذيب وأن أهل القرار في الدول الكبرى أصحاب تجارة تنطبق عليها صفة الذي يبيع السمك وهو في البحر.

عسى ولعل بعدما دخل "الحاج بنيدكتوس" يوم الثلاثاء 12-5-2009 حافياً مسجد قبة الصخرة في باحة المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وكان بذلك أول بابا فاتيكان يدخل المسجد الواقع في القدس الشرقية.. عسى ولعل بعد الآن يرفق حديثه عن معاناة الشعب الفلسطيني بحديثه في القداس الذي أقامه مساء اليوم نفسه في وادي الجوز الواقع بين جبل الزيتون وأسوار البلدة القديمة في القدس المحتلة وركّز فيه قبل أن يصلي في مكان العشاء الأخير للسيد المسيح على الصعوبات والإحباط والألم والمعاناة التي يواجهها المسيحيون في الأرض المقدسة، وكأنما بقية شعب فلسطين من المسلمين في أحسن حال. بذلك يكون حجّ وأنصف ودشن دُرب العدالة أمام قادة دول العالم المسيحي... الذين هم مع الباطل الصهيوني متورطون وعن العدل الفلسطيني ساهون.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 16 مايو (أيار) 2009

* * *

أميركا سبتمبر الأخضر بعد الأخير؟

ما دام الهدف من الزيارة إلى مصر التي قرر

الرئيس باراك أوباما القيام بها هو تبييض الصفحة الأميركية المألوفة بالتشوهات في صياغة النظرة للإسلام كدين والعرب كافة، فإن مخاطبة الأمتين من إحدى قاعات مركز المؤتمرات في الجامع الأزهر تبدو الخيار الأفضل.

زيارة الرئيس أوباما إلى القاهرة ستكون للتحادث مع الرئيس حسني مبارك ومناسبة لتعزية الرئيس المصري المحزون بفقدان صاعق لحفيده الأول (الذي يحمل إسمه محمد علاء)، ومن أجل ذلك أرجأ زيارة إلى واشنطن. كما أن قدوم الرئيس أوباما إلى مصر يوجّه منها رسالته إلى العرب المسلمين بعدما كان وجه رسالته إلى المسلمين غير العرب من تركيا، يتم بعد زيارة الرئيس الفلسطيني محمود عباس الذي حسم التريث والتعثر في الحوار مع "حماس" وأنجز تعديلاً وزارياً لحكومة سلام فياض كأنه تشكيل جديد ومن قبلها زيارة الملك عبدالله الثاني، وكذلك على خلفية اللقاء الذي تم في لندن على هامش قمة العشرين بين الملك عبدالله بن عبد العزيز والرئيس أوباما، وهذا يعني أن الإدارة الأميركية محيطة وبوضوح تام بالمطالب العربية. وإذا كان الرئيس أوباما لم يفصح تماماً عما طلبه من رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو عندما التقى به يوم الإثنين 18-5-2009 في الزيارة الأولى لهذا الأخير إلى أميركا في عهد الرئيس أوباما، فهذا لا يعني أنه لم يضع أمامه الكثير من النقاط على الحروف وإبلاغه أن موقفه من موقف الرأي العام الأميركي وهو موقف يؤكد بأن المواطن الأميركي لن يرتضي بعد الأزمة الخائفة التي تواجه البلاد دفع دولار واحد من أموال الضرائب لتمويل مغامرات إسرائيل العدوانية. ومن دون الخيرات الأميركية المادية (مالاً وسلاحاً) والمعنوية (مواقف سياسية وفيتوات فيتو تلو الآخر) كيف كانت ستصمد إسرائيل.

وفي تقديرنا إن الرئيس أوباما هو من تمنى على الملك عبد الله الثاني رفد الموقف العربي الداعي إلى التسوية العادلة والموضوعية والمقبولة فلسطينياً على علّاتها بدعم إسلامي وأنه بذلك يجد نفسه أكثر استعداداً لطرح ما هو أكثر من مبادرة لإنجاز التسوية. وعندما يغتنم ملك الأردن مناسبة افتتاح المنتدى الإقتصادي العالمي للشرق الأوسط في منطقة البحر الميت يوم الجمعة 15-5-2009 ويقول أمام أكثر من

1300 شخصية سياسية ورجال أعمال وممثلين عن المجتمع المدني من أكثر من ثمانين دولة "إن المبادرة العربية للسلام توفر فرصة تاريخية لإيجاد مستقبل أفضل للشرق الأوسط"، ثم يقترح توسيعها لكي تشمل العالم الإسلامي بالكامل، فإن ملك الأردن بذلك يبعث برسالة إلى أهل الحكم الإيراني بالذات، لأن لا مشكلة مع تركيا وإندونيسيا وباكستان، مفادها أن الإدارة الأميركية ستري في انتساب الجمهورية الإسلامية في إيران إلى المبادرة العربية مدخلاً للتشاور في أمور كثيرة تؤدي إلى إسكات أصوات المعارضة وثني إسرائيل عن حديث المواجهة المحتملة ورسم السيناريوهات لها. وفي أي حال إن فكرة الملك عملية وتذكرنا بأفكار من هذا القبيل طالما طرحها والده الراحل الملك حسين وبقيت أفكاراً إيجابية على رغم عدم نيل فرصتها من الموافقة.

وتبقى الإشارة إلى أن الرئيس أوباما في ضوء اجتماعاته مع بعض قادة المنطقة وبعدها كان أمضى المئة يوم الأولى التي هي فترة الاختبار، ربما يخطط من أجل أن تكون الدورة العادية المقبلة للجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر/أيلول المقبل دورة إستثنائية، أو إذا جازت التسمية "دورة السلام العالمي" يشارك فيها الجميع وبالذات الكبار على مستوى القمة ومعهم أصحاب القضايا العالقة ويتم خلالها إعلان التسوية والتصويت عليها لأن الرئيس أوباما على درجة من الحصافة تجعله يرى أن التسوية لكي تتجح فبمشاركة الجميع وليس على الإطلاق بإحتكار أميركي للحل كما سبق وحدث مع مصر فإنقسم العالم إزاء ذلك ضيقاً بهذا الاحتكار وحسداً من هذا الجشع الأميركي. وليس أفضل من الجمعية العامة للأمم المتحدة وخلال الدورة السنوية العادية كمنااسبة ومكان لتحقيق الفكرة. وفي سبتمبر 2009 الذي يحتمل أن يكون أخضر زاهياً كما ألوان ورود حديقة صيفية جميلة في حال تحقّق الأمل المنشود وهو التسوية العادلة ومفعماً بالأمل والسلام، ما يعوّض سبتمبر الأغبر عام 2001 الذي كان بداية حقبة الحقد على العرب والكراهية لكل ما هو مسلم... وشرّاً على أميركا وعلى المجتمع الدولي عموماً.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 26 مايو (أيار) 2009

خارطة طريق أوباما لملاقاة مبادرة

عبدالله بن عبد العزيز

نستحضر ونحن نتأمل في نتائج الزيارة النوعية للرئيس التركي عبدالله غول إلى سوريا ومحادثاته طوال الأيام الثلاثة التي استغرقتها الزيارة وكانت في الجزء الأكبر منها حول معاودة إطلاق السعي التركي من أجل الإنتقال بالمحادثات السورية - الإسرائيلية غير المباشرة إلى محادثات مباشرة تتم على ضفاف البوسفور.. إننا ونحن نتأمل في النتائج والإرتياح الواضح على الوجهين الرئيسيين السوري والتركي نستحضر الوقفة الإنسانية لدواعٍ إدارية أكثر منها سياسية لرئيس الحكومة التركية رجب طيّب أردوغان في منتدى "دافوس" يوم الخميس (29-1-2009) وكيف أنه بعدما كان استعاده هدوءه بخروجه الإحتجاجي من ندوة شارك فيها صديق تركيا شيمون بيريز رئيس الدولة في إسرائيل، قال في ما يشبه الفضفضة مع عدد من الصحافيين "إن الإتفاق السوري - الإسرائيلي كان يتطلب بعض الكلمات لإستكماله لكنه توقّف بسبب غزة". ثم عاد وزاد توضيحاً قائلاً "كنا قريبين جداً من إتفاق سوري - إسرائيلي ليلة 27-12-2008 بعد محادثات دامت ست ساعات مع إيهود أولمرت وبعدها بأيام فوجئنا بالقنابل تسقط على غزة، وبات من غير المنطقي أن تستمر الوساطة في الوقت الذي يكون هناك دمار في غزة". أما ما هي هذه الكلمات القليلة التي لها فعل السحر لكي تُحقق إتفاق سلام بين سورية وإسرائيل، فإن الرئيس أردوغان تكتم عليها تاركاً لمخيلة المراقبين والمتابعين مثل حالنا الإفتراض والإستنتاج. وما يجوز إفتراضه في هذا الشأن هو أن أهل الحكم الإيراني الذين يزعمهم تحقيق تسوية سورية - إسرائيلية بينما الموضوع الإيراني في المرمى الدولي، أشعلوا حريق غزة وفي تخطيطهم أن هذا الحريق سيُربك أي مسعى للتسوية، إذ كيف سيوافق الرئيس بشّار عليها بينما صواريخ أولمرت وبقية ذئاب وثمانب حكومته تنهمر كالمطر على الشعب الغزّاوي ويسقط الشهداء بالمئات والجرحى بالألوف فضلاً عن التدمير الممنهج للبيوت والمؤسسات الأمنية والمستشفيات وإحكام الحصار بغرض التجويع والإذلال وإجراج الحكومة "الحامسية" التي تدير شؤون القطاع.

هذا الإستنتاج في محله على الأرجح لأكثر من حيثية لعل أبرزها أن العلاقة بين الحكم الإيراني وبعض قادة "حماس" وبالذات أولئك الذين يعيشون في الخارج جوالين بين دمشق وطهران والدوحة مع إطلاقات خاطفة على بيروت، من النوع الذي يصعب على الجانب الإيراني التراجع عنه ما دام السيف الدولي في حالة تهديد للعنق النجادي، كما يصعب على "حماسي" الإغتراب التملص منه لأسباب مالية وأمنية. إستناداً إلى هذا الإستنتاج تكون إيران حققت المبتغى على حسابين:

على حساب أرواح سقطت كالخراف المذبوحة على أرض غزة وأبدان شواها السلاح المحرّم دولياً وأرضاً كان يعتاش من خيرات مواسمها أصحابها والفلاحون وفجأة ذهب كل شيء ومن دون مردود يخفف من حرقة نفوس الأحياء على ما أصاب الأهل والأبناء والبنات والأولاد والأطفال، ومن دون أن يقلل الكلام الممنهج عن الصمود والإنتصار وإستمرار المقاومة من الصدمات التي نشأت وكانت بتقل الجبال.

وعلى حساب اللهفة السورية لحسم موضوع التفاوض بعدما بقي من رحلة الألف ميل بضعة أميال قليلة.

ونحن عندما نتأمل في أسلوب تعامل الرئيس بشّار الأسد مع محنة الغزّاويين نلاحظ أنه تعامل من أسقط في يده وذلك لأن المحنة مباغته ولا تفيده في شيء على الإطلاق ما دام قرر المضي في التفاوض مع إسرائيل ووفق الوسيط التركي الصديق والمؤهل لتحقيق تسوية يمكن هضم حصارها، فضلاً عن أنه بحكم الجيرة يمكن أن يكون حامياً غير عربي لهذه التسوية.

وقد نجد من يقول: إذا كان الأمر كذلك فما معنى هذه الإطراء من جانب كبير المغتربين من قادة "حماس" خالد مشعل للرئيس بشّار والقول له ما معناه إن له حصته في "إنتصار غزة" خصوصاً أن الإطراء هذه جاءت عقب الخطوة النوعية الأولى على طريق رتق الثوب العربي لاستعادة سورية إلى بني قومها وهو ما كان الرئيس بشّار يأمل فيه دائماً لكنه لا يحدث وتنتهز إيران النجادية التريث السعودي - المصري في انتظار أن يصحح المخطئ خطأه ذلك فتلف الصديق الحليف بالمزيد من الخيوط البراقة كي لا يقوض لها تطلعاتها من جهة ولا يتركها من جهة أخرى مكشوفة الظهر أمام إستفراد المجتمع الدولي بها. ونجد أنفسنا هنا نقول إنه

لو كان الرئيس بشّار يدري أن هنالك مفاجأة مُبهجة تنتظره في القمة العربية الإقتصادية التي إستضافتها الكويت لكان أطلق وهو في دمشق إشارات برسم كبير الأمة الملك عبدالله بن عبد العزيز و"توأمة" من حيث الرؤية العاقلة المتأنية الرئيس حسني مبارك، ولما كان على ما يجوز الإفتراض أيضاً شارك في "القمة الحمدية" في الدوحة وترك للسانه يقول، مع انه يترأس القمة الدورية التي تنتهي رئاسته لها يوم 28 مارس/ آذار 2009، ما معناه أن المبادرة العربية ماتت أو بحكم الميتة. فهذه المبادرة قرار جرى التصويت على تبنيها بالإجماع في القمة الدورية في بيروت عام 2002 ولا يلغيها سوى قرار بالإجماع، لكن في إستطاعة من يريد العودة عن الموافقة أن يتصرف شخصياً. والرئيس بشّار لا مصلحة له في التملص من أمر وافق عليه، كونه بدأ التفاوض مع إسرائيل عبر الوسيط التركي تمهيداً لتفاوض مباشر كما كان يأمل ويأمل أردوغان ثم خلطت إيران السكر بالملح بإشغالها حريق غزة فعادت الأمور من جديد إلى المربع الأول. ثم جاءت الخطوة الأولى على طريق لم الشمل بمبادرة على الملأ من الملك عبد الله بن عبد العزيز وفي الوقت نفسه إبلاغ المجتمع الدولي وتحديد الرئيس الأميركي الجديد باراك أوباما ويوم تنصيبه رسمياً، تبعث بعض الطمأنينة في النفس البشّارية خصوصاً أن خادم الحرمين الشريفين أبلغ الإدارة الأميركية قبل أن يقول في كلمته أمام قمة الكويت إن المبادرة العربية على الطاولة ولا يمكن أن تبقى عليها إلى ما شاء الله. وهذه العبارة التي هي أقل من إنذار وأكثر من لفّظ نظر للعهد الأميركي الجديد وأيضاً لدول الإتحاد الأوروبي عجلت في أن يكون الإتصال الهاتفي الأول للرئيس باراك أوباما، مع الرئيس محمود عباس وأن تكون إطلالته التلفزيونية الأولى على فضائية سعودية ومع صحافي عربي الأمر الذي له أكثر من معنى ومغزى والذي يثير الحسد وتداعياته الكتابية في نفوس إعلاميين أميركان أمثال توماس فريدمان.

ونخلص إلى القول إن هذه الحالات الثلاث مترابطة في شكل أساسي: الوساطة التي على الرف والمبادرة التي على الطاولة والمصالحة الفلسطينية التي هي على المحك. ولمجرد أن تتحقق المصالحة العربية التي تتحرك إيران للإبقاء عليها مجرد "كسر حالة الجليد" كما قال الرئيس بشّار مخيّباً الأمل في تصنيفه هذا يتم

إجتراح معجزة المصالحة الفلسطينية سواء بالرضى أو حتى بعد حركة تصحيحية يقرر فيها فريق "حماس" المصحح أن الأولوية، بحكم المنطق والمصلحة الوطنية التي هي أهم بكثير من المصلحة الشخصية، بعد حريق غزة ومحرقة الغزّاويين هي لـ "حماس الدولة" و"حماس المتصالحة" و"حماس" التي لا تدار بالمراسلة وإنما ميدانياً للتعجيل في الإعمار.. وبما معناه أن فريق "حماس الثورة" بالتحالفات والرهانات والإستدراجات غير المحسوبة النتائج، عليه أن يخلد إلى إستراحة طويلة تشبه في بعض جوانبها إستراحة أبو عمار ورفاقه بعد مغامرتهم اللبنانية إثر المغامرة الأردنية، ومثل إستراحة الدكتور جورج حبش الذي أقرّ بالواقع من دون أن يستسلم له حفاظاً على تراثه واضعاً مسؤولية القيادة بين أيدي جيل آخر. إستراحة لمحاسبة النفس والترميم وإعادة النظر والإعتذار من اجتهدات غير جدية ولم تخدم على الإطلاق القضية. إستراحة لإستعادة الروح والأمل.. وليست أبداً إستراحة المحارب.

نخلص إلى القول أيضاً إن لحظة الحسم هي في ملاقة خارطة الطريق العاقلة للتسوية التي سيطلقها الرئيس باراك أوباما من الجامع الأزهر، على ما يجوز الافتراض، عندما سيزور مصر، للمبادرة الرائدة والواعية والبعيدة النظر التي أطلقها الملك عبدالله بن عبد العزيز من القمة العربية الدورية في بيروت (أواخر آذار/ مارس) 2002 وحظيت بإجماع عربي غير مسبوق. ومن دون تلك المبادرة ما كان لخارطة الطريق الأوبامية أن تتبلور... وهذا مدعاة للتفاؤل بالخير الذي يمكن أن تجده الأمتان العربية والإسلامية ومعهما أمم الأرض من القطب إلى القطب.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 30 مايو (أيار) 2009

التيسير السعودي بأسلوب علي عسيري

في لبنان يستيق السفير السعودي علي بن سعيد آل عواض عسيري يوم الإنتخابات (الأحد 7 حزيران/ يونيو 2009) ويواصل زيارته لرموز العمل السياسي والحزبي في لبنان، ليس لأنه يريد تكوين فكرة عن واقع

الأحوال اللبنانية لأنه على دراية بها ولأن الملف السعودي لدى مركز القرار في المملكة حافل وواضح ولكل امرئ في لبنان السياسي والحزبي والمذهبي من سلوكه وتعاطيه مع الشأن صفحة أو فلنقل بضعة سطور في صفحة من كتاب لبنان الشقيق الصغير للمملكة الكبرى الحانية عليه. أما لماذا الزيارات وعلى وتيرة لافتة فلأن هذا الدبلوماسي العريق، الخلف لدبلوماسي بالعراقة نفسها هو الدكتور عبد العزيز خوجه الذي إصطفاه وليّ الأمير ليكون وزيراً للإعلام والثقافة، لا يكتفي بتطمين الجميع من خلال تصريح كالذي أدلى به بعد تقديم أوراق إعماده إلى الرئيس ميشال سليمان إلى حرص المملكة على لبنان المتنوع مذاهب وسياسات وإنما يزور الرموز رمزاً ورمزاً وبكل لياقة الدبلوماسية النجدية والحجازية كما وضع أساساتها الراحل الملك فيصل بن عبد العزيز في جدة ويستحضرها الأمير سعود الفيصل وسائر المهتمين والمعنيين من أبناء الطيب الذكر الملك عبد العزيز وأبنائهم، في ترجمته لتوجيهات خادم الحرمين وسيد مبادرات الترميم السياسي والاجتماعي والمذهبي والمصالحة الملك عبدالله بن عبد العزيز.

ومن المؤكد أن بعض هذه الزيارات كان ضرورياً بعدما تركت بعض الشوائب بصمة على ذاكرة كثيرين تناسوا أن إهتمام المملكة العربية السعودية بلبنان ليس موسمياً، وإنما هو جزء من إستراتيجية أعمق وأشمل وتتجاوز الإساءات الشخصية من أجل تدعيم الكيان وتنشيط الصيغة. وفي تقديرنا أن زيارة السفير علي عسيري للشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله شكّلت لحظة مستحبة في نفوس جماهير الحزب وفي أوساط الطائفة الشيعية عموماً وسجّلت في المشهد العام احتمال انحسار احتقان تحتاج الطائفة الحزب والطائفة الرأي العام إلى إزالته. ولقد تجاوزت الزيارة المألوف بكثير حيث إنها لم تأت كزيارة إلى من يمثل "حزب الله" في الحكومة، أي إلى الروافد وإنما إلى النبع. ونقول ذلك على أساس أنه لو كانت الظروف الأمنية للسيد حسن تجيز للقاءاته أن تتم في الهواء الطلق، لكان السفير علي عسيري الحريص كما هو واضح على أن يكون دائم الظهور بالعباءة والغترة إلتقى بالسيد حسن. ولكن اللقاء بنائبه الشيخ نعيم قاسم لا يقلل من أهمية الزيارة التي ترتقي

إلى مرتبة الحدث وتشكّل ما يجوز إعتباره خطوة نوعية تؤسس للمزيد من التواصل.

واللافت أن السفير علي عسيري لا يعتمد الرهان في زيارته أي بما معناه لا تقتصر زيارته على من هم برسم الفوز في الإنتخابات النيابية، وذلك لتشكيل "لوبي سعودي" يمكن الاتكال عليه، وإنما هو يزور الرموز بدليل أن زيارته شملت رئيس الوزراء الأسبق الدكتور سليم الحص الذي نأى بنفسه عن السباق الإنتخابي وإرتأى أن يكون مرجعية سياسية سنية يملك القدرة على محاورة الجميع وتبقى أبواب مكتبه المتواضع كما منزله مفتوحة أمام الذين يتكادون في الشوارع وعبر الفضائيات وصفحات الصحف، إلا أنهم في لحظات التخبّط والحيرة يأمنون إلى رأيه ونصائحه.. وبصرف النظر عما إذا كانت تروق لهم أو تتعارض مع ظروفهم ومعتقداتهم السياسية.

كذلك من اللافت أن الزيارات شملت حتى بعض رموز أطياف حزبية شاركت في ما مضى في التجني على المملكة تنفيذاً لتعليمات أوصياء عليها تعمدت الكيد من المملكة عن طريق هذا الطيف الحزبي أو ذاك. وهذا مؤشّر إلى أن وليّ الأمر الملك عبد الله بن عبد العزيز أراد من سفيره وهو يزوده بالتوجيه أن يكون التعالي على الصغائر من ضمن أسلوب التعاطي مع الأشقاء اللبنانيين وعلى أساس أن من يسامح الأكبر لا تعود تستوقفه مسامحة الأصغر.

يبقى أن هذا الأسلوب الذي يعتمده السفير علي عسيري والذي يندرج في سياق تيسير المملكة للأحوال اللبنانية، يحدث في زمن اتساع رقعة الانفراجات العربية والدولية والتي يعود الفضل فيها للملك عبد الله بن عبد العزيز الذي قصّ، إذا جاز القول، في القمة العربية الإقتصادية في الكويت شريط تدشين حقبة استعادة التقهّم إلى نفوس أهل القرار ومن يلوذ بهم. ومنذ تلك اللحظة والمتابعة الدؤوبة للخطوة تبعث في النفس العربية شعوراً بالطمأنينة. وفي هذا السياق جاء علي بن سعيد آل عواض عسيري سفيراً للمملكة الحانية على لبنان وجاءت حيويته في لقاءاته وزياراته لكل رموز العمل السياسي والحزبي في لبنان تؤكد المعنى النبيل للقول الطيب: إن مع العسر في لبنان يسراً من المملكة العربية السعودية. هكذا أيام المحنة لا أعادها الله في زمن عبد العزيز خوجه وهكذا في لبنان

الآتي بعد إنتخابات عكست زيارات علي عسيري ولقاءاته بالرموز السياسية والحزبية إنطباعاً بأن المملكة مع لبنان المتعافي والمتعاش ومن لا يسير في هذا الإتجاه لا مكان له في كتاب التفهم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 6 يونيو (حزيران) 2009

* * *

لبنان العجيب... وبرلمانه الأعجب

من المهم التوضيح بأن تعريف النائب بأنه يمثل الشعب ليس دقيقاً تماماً بالنسبة إلى لبنان العجيب وأن هذه الحقيقة تتعارض مع المناخ الديمقراطي الذي يتباهى به هذا الوطن إلى جانب تباهيه بخصوصيته من حيث التعددية المذهبية مع أنها أحياناً سر مشاكلة، وباعتماد سرية المصارف التي لا نظن أنها سرية ما دام مصرف لبنان المركزي هو صندوق الأسرار وهذا المصرف له رئيس ونواب رئيس يمثلون طوائفهم. وحيث إن الولاء هو للطائفة ولحزبتها أو حزبها أو تيارها فإن من يمثلها في حاكمية المصرف المركزي قادر على أن يحيطها بما من شأنه إفقاد هذه السرية عذريتها.

ما يعيننا الآن هو ما يتعلق بالانتخابات البرلمانية التي امتلأت ساحات مناطق لبنان الخمس بالكم الهائل من المرشحين الذين يخوض بعضهم السباق عن جدارة وهؤلاء نسبتهم قليلة. أما غير الجديرين وغير المؤهلين للسباق وهم بالعشرات فإنهم يطمحون إلى أن يقال عنهم انهم خاضوا السباق وملأوا الجدران في العاصمة بيروت وبقية البلدات والقرى بالصور وبشعارات لا تبقى عالقاً في الأذهان.

عملياً يجوز القول إنه إذا كان لبنان عجيباً فإن برلمانه هو الأعجب حيث إنه يتألف من 128 نائباً كعدد لكن الذين تنطبق عليهم صفة النائب الذي يمثل الشعب ليسوا أكثر من 28 وأن الباقيين يمثلهم زعيم أو رئيس أو مرجعية هذا الطيف أو ذاك. ودليلنا على ذلك انه في زحمة السباق الإنتخابي لم يردد أي من المرشحين المورعين على عربات يقودها الزعيم - الرئيس - المرجعية كلاماً خارج النص. وهذا ليس مندرجاً ضمن أدبيات الإلتزام وإنما لأن الكلمة هي للمتزعم المترس

المرجعية ومن أجل ذلك نقول إن البرلمان اللبناني بدءاً من يوم 8 حزيران/ يونيو 2009 يتشكل من 28 نائباً فاعلاً ومقرراً ومناقشاً ومن مئة يرددون ويصفقون ويرفعون الإصبع بالموافقة أو الصوت بالإحتجاج في حال جاءت كلمة السر من ولي الأمر.

على هامش هذه الحقيقة تبقى هنالك بضعة حقائق وملاحظات تجوز الإشارة إليها إستباقاً للإعلان الرسمي عن نتائج السباق الإنتخابي مع الاستناد في ذلك إلى واقع الحال لـ "الأعجوبة اللبنانية" وليس من باب القراءة في الفجاءة.

الحقيقة الأولى هي أن من سيفوز بالعواصم الثلاث للبنان سيكون مالكا زمام ممارسة اللعبة بعد الفوز بجدارة. والعواصم الثلاث هي: بيروت عاصمة كل لبنان. وطرابلس العاصمة الثانية. وصيدا عاصمة الجنوب. بل أن الفوز بالعواصم الثلاث وبعض البقاع وهو ما خطط له ماضياً الرئيس رفيق الحريري ويطبق التخطيط بحذافيره وريثه السياسي ابنه الثاني سعد الدين، هو على صعيد الورقة السياسية بأهمية ورقة السلاح التي في يدي "حزب الله" والتي لن تبقى ورقة ضغط في حال نال الحزب أكثر مما توقع ويات قادراً على أن يثبت حضوره لاحقاً كما يحلم أو يخطط في ثلاث وزارات هي المالية والإعلام والدفاع. أما لماذا لن تبقى ورقة ضغط فلأن الفوز يشكل أفضل غطاء لإنصرافه إلى الدور السياسي فضلاً عن أنه أياً كان حجم فوزه سيحتاج إلى اعتراف العالم به كي لا ينتهي أمره مثل حال "حماس" في "دولة غزة" بل مثل حال إيران نفسها التي لم ترفع قدراتها الصاروخية والكلامية عنها سيف العزلة المسلط عليها. ولقد شهد بذلك شاهد من أهل الثورة هو مهدي كروبي المرشح للرئاسة خلفاً للرئيس المشاكس محمود أحمددي نجاد. ومن قبل كروبي شهد شاهد آخر من أهل الثورة ومرشح للرئاسة هو مير حسين موسوي.

وأما إذا حدثت المفاجآت وكان الجبل بـ "كسروانه" و"بترونه" و"جبيله" و"متنه" محاكياً لـ "شوفه" الجنبلاطي المستقر والحليف فهذا سيضع "حزب الله" المستأثر مع "حركة أمل" بكل جنوبه ومعظم "بعلبكه" أمام إعادة نظر جذرية في التحالف ويكون الجنرال ميشال عون في محصلة الأمر أدنى قسطه لـ "الشراكة" مع "حزب الله" وترك الميدان أو تركه على مضض للمسيحية السياسية

المنتفضة على المسيحية السياسية المراهنة على قطبين إقليميين لم تعد قدرتهما على التصعيد كما من قبل، وذلك في ضوء الحالة الدولية الجديدة التي يمكن لهما من خلال قراءة خطاب الرئيس الأميركي باراك أوباما ذي الـ 5804 كلمات من على منبر جامعة القاهرة يوم الخميس الماضي (7-6-2009) الوقوف على ما سيكون عليه المشهد الآتي مع نهاية هذه السنة حيث إنلقى الرأي الأميركي مع الرأي الأوروبي وبمباركة النصيحة السعودية والحصافة المصرية على أن تكون في المشهد المشار إليه بداية التنفيذ لحل الدولتين. وبهذا الحل يتراجع المغامرون ويسعى كل طرف إلى الحصول ما أمكنه على نصيبه من قالب الحلوى. وحصة لبنان كبيرة في أي حال إذ لولا القلق الدولي عليه من الطمع الإقليمي به لما كان هنالك الإسراع من جانب كبار أهل القرار العربي والدولي في التوجه نحو التسوية المأمولة. والمشهد الانتخابي اللبناني مؤشر إلى ما نقول... وإلى احتمال ما يمكن أن يحدث.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 8 يونيو (حزيران) 2009

* * *

الكلام المُحَنِّ والكلام المُجَنِّ

في بلاد آية الله

مثلاً أن "الجمعة العظيمة" لدى إخواننا المسيحيين هو يوم الحزن العميق على السيد المسيح عيسى بن مريم، فإن يوم الجمعة 12-6-2009 سيبقى حتى إشعار آخر يوم "الجمعة الأعظم" أو يوم الانتفاضة الإيرانية من أجل التغيير التي لم يوقد شعلتها آية الله الخميني على نحو ما حدث عام 1979 ولم تكن أصلاً بدافع التغيير وإنما بدافع الثأر من الشاه الذي قتل سافاكوه (أي مخابرات الإمبراطور) الابن مصطفى قُرّة عين والده آية الله الخميني، وإنما الذي أوقد الشعلة رجل دولة علماني متدين إسمه مير حسين موسوي يخاف الله وصاحب تجربة في إدارة شؤون البلاد ورعاية مصالح العباد وليس في تاريخ ممارسته العمل الرسمي ما يمكن إعتبارها شوائب، كما أن له رؤية ثاقبة لما يحدث في

العالم ولما آلت إليه علاقات إيران مع الجيران والأصدقاء ومع دول العالم عموماً بإستثناء فنزويلا لأن بين الرئيسين الحاكمين الطموحين هيوغو تشافيز ومحمود أحدي نجاد جوامع مشتركة من بينها شغف الإثنين في أن يكونا إمبراطورين جديدين في زمن إندثرت فيه مظاهر العظمة، وبات الحاكم الصالح تبعاً لذلك هو من يوظف مكانة بلده وثروتها في خدمة الناس وتطوير حياتهم وبناء مستقبل واعد لأبنائهم ونجدة الملهوف والمحتاج والذي إذا أصابته مصيبة في أمة المليار ونصف المليار نسمة وجد من يخفف الضيم عنه، وهذا ما يفعله الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي دعا أبناء الأمتين له بطول العمر وموفق الصحة لمناسبة الذكرى الرابعة لتوليته مقاليد الحكم التي صادفت يوم الجمعة 19-6-2009.

أما مستلزمات التتويج الإمبراطوري في نظر الإثنين فهي: بالقدرات المالية من النفط وليس من السجاد والفسق بيني الرئيس نجاد قوة نووية وصاروخية عابرة للحدود ويصل مداها إلى إسرائيل وبعض دول أوروبا ويعزز شأن الأعماق المذهبية في لبنان ويصادر نصف القرار الفلسطيني من خلال الاستتار بـ "حركة حماس" وفصائل الصف الثالث المستوطنة في سوريا ويخص روسيا بأن تكون المتعهد النووي والصاروخي. وفي الداخل يستقطب "الحرس الثوري" كما استقطب الرئيس صدام حسين من قبل لـ "الحرس الجمهوري" وبذلك يصبح جنرالات الحرس مثل جنرالات ألمانيا في زمن الفوهرر، كما يواصل مدعوماً برعاية المرشد والآلة الإعلامية التوجيه بأن القضية المركزية في برنامجه هي تحقيق أمنية المسلمين في إزالة إسرائيل، وإستعادة ثالث الحرمين والمسجد الأقصى لأن العرب غير قادرين على ذلك. وعلى هامش هذه الجبوحة في بناء العظمة يهتم بفقراء إيران متناسياً الشريحة الأهم وهي إيران المتقنين وإيران البازار الذي بفضل مؤازرة تجاره أمكن الخميني تحقيق ثورته عم 1979.

أما بالنسبة إلى الطامح الآخر في أن يكون إمبراطوراً في القارة الأميركية الجنوبية هيوغو تشافيز فإنه إختصر الأمر بتحدي أميركا وتوريث نفسه زعامة الرئيس الكوبي فيدل كاسترو على أساس أن الرجل مريض وتحتي طوعاً وأن شقيقه راوول على أهبة الإنكاس الصحي لكن لا يتحمل إقام تشافيز نفسه في أمر كوبا. ومع ذلك فإن

الفنزويلي الطامح المستند كما الرئيس نجاد إلى ورقة النفط في بناء التطلعات، لا يستكين ويدق كما الحكم الإيراني الخامنئي - النجادي أبواب نقاط الضعف والعوز في أميركا الجنوبية أملاً في تكوين كتلة تؤهل تشافيز ليكون الزعيم الأول في القارة الأميركية الجنوبية في مواجهة الزعيم الأول في القارة الأميركية الشمالية. لكن الذي حصل أن الرئيس باراك أوباما الذي جاء على جناح التغيير واستعادة الوعي أربك الإثنين كما لم يرتبكا من قبل. فقد ارتأى الطامح الفنزويلي، وكانت تجددت رئاسته، الاكتفاء بعد لقاء باراك أوباما بتقديم كتاب له أراد به تذكيره بمساوئ أميركا الماضي ولم يعد مسلطاً للسان بأغرب أنواع المفردات في حق أميركا. أما الطامح الإيراني فاستمر يتحدى مقتعاً بأنه قادر على تحقيق التطلعات من خلال تطوير الخيار النووي والصاروخي والإبقاء على الحذر الخليجي منه قائماً، وإلى ذلك ورقة الأعماق تلك الذراع التي تتبادل إيران معها الإستقواء، ونعني بذلك "حزب الله" في لبنان و"حركة حماس" في غزة إلى جانب الثقل النوعي في العراق الحالي. ما حصل في إيران يوم "الجمعة الأعظم" كان نقطة تحول في تاريخ بلد أرادت جمهوريته التاسعة أن تستكمل مع جمهوريته العاشرة في حال تحقق الفوز للرئيس نجاد أن يكون إمبراطورية. بل إن الخطة المرسومة كانت على هذا الأساس مع استهانة بالغة من الرئيس نجاد في الطيف المنافس وبالذات مير حسين موسوي. وكيف لا يستهين ما دام المرشد معه والحرس وراءه. وما دام الكلام الذي يجنّ في حق موسوي وزوجته والشيخ رفسنجاني وأسرته والرئيس السابق خاتمي والطيف الخاتمي عموماً قيل في حدة لا مثيل لها عبر مناظرات تلفزيونية، بدأ يتفاعل ويلقي ظلالاً ثقيلة الوطأة على المنافسين. وعملياً إن الانتخابات في ذاك اليوم الجمعة 2009/6/12 وفي المناظرات المُستتسخة من التقاليد الانتخابية الأميركية والأوروبية وغير المألوفة في دول العالم الثالث، كانت ديمقراطية ومحل إعجاب وتقدير المتابعين لها، لكن ظاهرة الإقبال المنقطع النظير على الإقتراع جعلت رسمي خطة إستمرارية الرئيس نجاد يستدركون الصدمة عند الفرز بما يحقق فوز نجاد، وهو ما إصطلح على تسميته "تزوير النتائج". ولقد اعتدنا في العالم الثالث على هذه اللعبة غير السوية خصوصاً عندما يكون الذي يخوض الانتخابات في موقعه الرسمي وبين يديه كل السلطات وبإمرته كل الأجهزة بينما من ينافسه لا منصب له وربما

لا حول ولا قوة. كما اعتدنا على المنافس يرتضي صاغراً أي نتيجة ما دام الرئيس الذي خاض المعركة خرج رابحاً. لكن الشعب الإيراني سجل مفاجأة ليست في الحسبان لم تحدث في "جمهورية أبو الحسن بني صدر" ولا في "جمهورية محمد علي رجائي" ولا في "جمهورية علي خامنئي" الذي بات مرشداً بدل صاحب الحق في المنصب آية الله منتظري، أو محمد نجيب إيران، ولا في "جمهورية هاشمي رفسنجاني"، لكنها حدثت في "جمهورية محمد خاتمي" حيث إنه خاض المعركة ضد الرجل القوي الشيخ رفسنجاني بالكلام الطيب الذي يحنّ وعدم الانشغال بالكثير من القضايا الخارجية فضلاً عن اعتماد التواضع وعدم التحدي ومعالجة الأمور بالتّي هي احسن والأخذ بالحوار سبيلاً إلى العلاقة المتوترة بين إيران والغير.. أي تماماً نقبض أسلوب الرئيس نجاد ومفردات خطابه وكيل الاتهامات لمن هم شركاء في ثورة قادها آية الله الخميني. ومن هنا يجوز القول إن الاتهامات المشار إليها وخصوصاً أنها لمست في موسوي سمعته وزوجته وفي رفسنجاني ذمته وأبناءه وفي خاتمي نقاءه ومرونته وفي كروبي تذكيره بأموال من إشتري منزله وفي محسن رضائي الرئيس السابق للحرس الثوري تفوّده في إتخاذ القرار ومحاباته البعض ضد البعض، وكل ذلك لأن المنافسين الثلاثة لمسوا إخفاقات أصابت إيران جرّاء إدارة نجاد من بينها إرتفاع حجم التضخم ونسبة البطالة والإكثار من توزيع الهبات النقدية والكذب في الجداول والأرقام حول ما يتعلق بالإنجازات.

يطول الحديث في شأن الانتفاضة الإيرانية التي جاءت بفعل الكم الهائل من الاحتقانات في نفوس الناس. واللافت للإنتباه أن الرأي العام الإيراني إستوعب ظاهرة التغيير التي حدثت في أميركا بينما لا تحدث في إيران الأحوج إلى التغيير. كما أن اللافت هو التعبير بعفوية ودون موجب للتعبئة المسبقة، وبأسلوب السلمي الذي يجعلنا نستحضر أسلوب المهاتما غاندي في المواجهة مع ملاحظة أن طبيعة الهندي تميل إلى المسالمة بينما طبيعة الإيراني حادة ودموية. وسيبقى المنظر الذي يتواجه فيه شرطي نجاد مع متظاهر موسوي أشبه بـ "بوستر" يعكس لناظره انطباعاً بأن إيران تعيش في ظل حكم عسكري يقوده جنرالات وليس ثورة رحيمة يتقاسم آيات الله المناصب الفاعلة فيها. وأياً انتهى إليه أمر هذه الإنتفاضة فإن الذي يمكن

قوله إن الكلام النجادي المجنّ خلاف كلام موسوي المحنّ كان سبباً أساسياً في ما حدث ويحدث وسيحدث كون الانتفاضة في ضوء كلام المرشد خامنئي في خطبة الجمعة قد لا تبقى خضراء ولا مخملية مع ملاحظة. أن المرشد الذي يفرض عليه منصبه أن يكون مع الجميع وحكماً على سير العملية الانتخابية ورفضاً أي تلاعب أو تزوير، استمر متمسكاً بموقف مناز كان إختاره منذ البداية أن يكون طرفاً بدليل أنه في خطابه الذي ألقاه من سندانج كبرى مدن كردستان إيران يوم الثلاثاء 2009/5/12 (أي قبل شهر من الموعد المقرر للإنتخابات) حدد مواصفات من يجب أن يكون الرئيس على النحو الآتي: "شخص يفهم مشاكل الناس، آت من الشعب، يعيش هو وأسرته وأقربائه حياة بسيطة بعيدة عن الفساد والإسراف والحياة الباذخة، لا يسعى إلى أن يكون أرستقراطياً". ولم ينقص كلام المرشد خامنئي سوى القول إنه يرى في محمود أحمدي نجاد أنه الوحيد الذي تنطبق عليه هذه المواصفات.

وأما بالنسبة إلى جدار إيران مع أميركا الذي صممه الإمام الخميني قبل رحيله فإنه يتشقق وكذلك مهابة الثورة الإيرانية التي لم تعد كما كان الإنطباع عنها، لأن الانتفاضة إنتهت إلى أن إيران باتت عملياً إثنين. ومن مصلحة الذين يخلقون في رحاب الثورة الخمينية أن يتنبهوا إلى هذه الحقيقة وتبدأ من جانبهم إعادة النظر.. وترتيب الأوضاع.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 23 يونيو (حزيران) 2009

* * *

المملكة المرجع

وعبدالله بن عبد العزيز المرجعية

في ذكرى مرور أربعة أعوام على تولي الملك عبدالله بن عبد العزيز مقاليد الحكم، يتأمل المرء المتابع مثل حالنا لحركة التطوير الدؤوبة داخل المملكة وللتعاطي الموضوعي في إتجاه ما يُحقّق التهذئة في المحيط العربي وما يجعل النظرة الدولية إلى الأمتين أكثر صفاء من قبل، فيجد أن الحضور الحيوي،

المقرون بالحكمة والنخوة المستديمتين لخدام الحرمين الشريفين، كان من سمات أربعة أعوام ليس مبالغة القول إنها كانت إستثنائية. وفي هذه السنوات كان الملك عبدالله بن عبد العزيز شديد الحرص على تعويض الأمة بالإصرار على المصالحة سنوات من الجفوة والعراك أضرت أكثر مما أفادت. وجاءت الإنتفاضة الإيرانية لتؤكد للأطراف التي تراهن على الكتف الإيراني بدلاً من التحليق في الفضاء العربي، انه لولا تلك المصالحة التي أرادها الملك عبدالله بن عبد العزيز أن تكون الإنجاز الأهم في القمة الإقتصادية العربية في الكويت ثم في ما تلا تلك القمة من لقاءات وإجتماعات على المستوى الأعلى، لكانت أحوال المراهنين المكايدين غير سارة الآن على الإطلاق، ولكانت أياديهم مغلولة إلى أعناقهم لا يدرون ماذا يفعلون وبأي وسيلة يمكن حفظ ماء الوجه. وإلى ذلك إن التسامح الذي على أساسه عاد الود ومعه استحضار المفردات التضامنية، أحدث في نفوس الرأي العام حالة من الإرتياح وبذلك انحسرت بعض الشيء موجة القلق من النفوس وبدأت العزلة تنحسر بالتدرج عن الحكم السوري كما أن التشبث بالرأي بدأ يتراجع لدى أطراف العمل الفلسطيني أمام إمكانية الحوار بأمل التوصل إلى مصالحة فلسطينية - فلسطينية تصب لاحقاً في بحيرة المصالحة العربية - العربية التي بدأت مياهاها تصفو بعدما كانت تعكس انطباعاً بأن لا أمل يرتجى من صفاء النوايا وتنظيف النفوس من الشوائب. كما أنه بمفاعيل التسامح وجد لبنان نفسه يتجه نحو الإستقرار النسبي في ضوء خيارات حسمتها الإرادة الشعبية وبما لا يجعل الصيغة تهتز والخصوصية تتدثر.

ودائماً نجد الملك عبدالله بن عبد العزيز حاضراً في هذا الإنجاز، تماماً كحضوره في قمة العشرين ممثلاً بكل مسؤولية وحرص وضمير مصالح الأمتين خير تمثيل وعلى نحو تمثيله للأمتين في حوار الأديان وفي السعي الدؤوب لتثبيت دعائم المبادرة العربية. وعندما نجد الرئيس باراك أوباما يأتيه يوم الأربعاء 3-6-2009 ولا يتردد في القول إنه قبل أن يُلقي كلمته التاريخية من على منبر جامعة القاهرة في اليوم التالي يهيمه الإصغاء إلى رؤية خادم الحرمين الشريفين وطُلب النصيحة منه، ثم يحصل الرئيس الأميركي بعد لقاء الساعتين منفرداً مع الملك الناصح الحكيم عليها وبما يزيد من ثقة الضيف الإستثنائي

لبنان السلاح والرئاسات:

إنطباعات من دمشق

كنا وما زلنا بموضوع السلاح الثقيل في لبنان المستضعف نرى أن ترشيده وقوننته وكذلك الاحتفاظ به وبالتالي إستعماله، غدت من الأمور الواجب الحسم بها وعلى قاعدة التفهم وليس التحدي ومن خلال الإستراتيجية الدفاعية أو ما أشبه ذلك من النظريات. وعلى رغم التعثر الذي إنتهى إليه الفصل الأول من "الحوار الوطني" في شأن هذا السلاح، إلا أن التوجهات الدولية والظروف الإقليمية المستجدة واقتناع الحكم السوري أن الأقاليم الثلاثة، إذا جازت التسمية، وهي التهدة والوحدة الوطنية والإعلام العفيف اللسان هي المدخل إلى الجوار المثالي والمصلحة المتبادلة بين الشعبين... بل إن الأقاليم الثلاثة بالنسبة إلى وطن صغير متنوع المذاهب ومتعدد المشارب عاش ظروفاً مأساوية وفواجع رافقها الدمار والتخريب الأمر الذي أربك عجلة نموه وأحدث شروخاً في نسيجه الإجتماعي، هي مثل الأقاليم الثلاثة التي تظلل الحكم السوري وهي الوحدة والحرية والإشتراكية ومن خلال التمسك بها تعيش سورية البشّارية في أجواء من الطمأنينة والتنمية المدروسة والتطوير المتدرج والآمال المعقودة على الرئيس بشّار في مواصلة تصحيح ما لم يتم تصحيحه لأن الظروف غير مواتية وما هو قيد التصحيح بحكم ملامح التبدل في الظروف، وكل ذلك من دون هز الثوابت بفعل أمزجة بعض أولي الأمر في الصفوف الخلفية التي لها أساليبها وأطماعها وجشعها وثعلبتها.

الآن نحن أمام توأم السلاح الثقيل ونعني به السلاح الخفيف الذي هو في لبنان بين أيادي غير مسؤولة تستعمله ساعة تريد ترحيباً بإطالة أو إبتهاجاً بعبارات من الوعيد أو تهليلاً بالرصاص لإنتخاب وهو تقليد لا يليق بلبنان المتجدد تبريره بأنه مجرد فرحة شباب أو غضبة شباب من أمر لا يعجبهم. وعندما لعل رصاص شباب "أمل" من رشاشاتهم ومسدساتهم في الشارع ومن على الشرفات أو السطوح إبتهاجاً بتجديد زعامة الأستاذ نبيه بري لمجلس النواب فإن هذا الرصاص وما تسبّب به أزعجنا وأفزعنا نحن الذين رأينا في تجديد إنتخاب أبو مصطفى رئيساً للبرلمان عنصر توازن في الرئاسات

بارك أوباما بأهمية السير في اتجاه التغيير إنسجاماً مع فوزه برئاسة أميركا على موجة عارمة تريد التغيير حتى مع شخص من أصول أفريقية وجنور إسلامية.. إننا عندما نجد الرئيس أوباما يفعل ذلك فإننا نعتز كثير الاعتزاز بمكانة عبدالله بن عبد العزيز قائداً حكيماً يساعد برؤاه صانعي القرار الدولي على استنباط ما من شأنه أن يفيد من القرارات. ونجد هنا في تقييم الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض لمناسبة الذكرى وبالذات لما يتعلق بالإنجاز العربي والإقليمي والدولي الذي حققه الملك عبد الله بحكمته وحنكته واستحضار ثوابت والده المغفور له الملك عبد العزيز، ما ينبو عن الأمتين في شأنه وبالذات قوله في هذا التقييم "إن السياسة المتوازنة مع السعي الحثيث لخدمة قضايا الأمتين حققتا للمملكة مكانة متميزة في العالم العربي والإسلامي وأصبحت تبعاً لذلك مرجعاً مهماً لحل قضايا المنطقة بل وشريكاً دولياً بارزاً في العديد من المحافل الدولية السياسية والإقتصادية التي كان آخرها قمة العشرين لحل الأزمة المالية العالمية".

يبقى أن لإخواننا أبناء المملكة أن يعتزوا بإنجازات أربع سنوات من البناء والتطوير وتقليص تعقيدات حالات عالقة والمضي في سباق مع الزمن للمزيد من البناء والتطوير وبالذات في مجال تنويع الجامعات واستحداث المدن الصناعية فضلاً عن الإنجاز الأهم في تاريخ منطقة الشرق الأوسط وهو "جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية" التي ستكون محط أحلام الواعدين من أبناء السعودية وأبناء الأمتين يتخرجون منها في مجالات علمية تواكب التطور التقني والعلمي وبما يجعلنا نعوض قدر الإمكان ما فات.

أما بالنسبة إلى كاتب متابع مثل الحالي للشأن العربي وللتعاطي المرتبك من جانب الأمتين مع المجتمع الدولي فإنه يجد في النهج التسامحي الذي يعتمده الملك عبد الله مع قضايا الأمتين بداية علاج للتأهين والمراهنين. وهذا على ما يجوز القول واجب من تفرض المسؤولية الوطنية والقومية والدينية عليه أن يكون حامل هموم أمتيه. ولأنه كذلك فإنه المرجعية للمملكة التي يقول الأمير سلمان إنها أصبحت مرجعاً. مع الدعاء للملك عبدالله بن عبد العزيز بطول العمر وموفور الصحة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 1 يوليو (تموز) 2009

الثلاث، أو فنقل في الرئاسة الثانية والثالثة بحيث تتعادل كفتا الميزان الرئاسي من حيث الأهمية، لأن في تعادل كفة الزعامة للشريعة السياسية مع كفة الزعامة للسنية السياسية (أي سعد الدين رفيق الحريري) ما يحقق الاستقرار المأمول. أما لماذا أزعجنا وأزعجنا فلأن هذا الترحيب الرصاصي فضلاً عما أحدثه من إصابة أشخاص بجروح ومдарس بشظايا، عكّر علينا شعور الإرتياح بالإستمرارية النبوية لما لصاحبها من تجربة عريقة وعلاقات كفيلة، بعد تعديلات لا بد منها في الرؤية، بأن تجعل المثلث الذهبي العربي (مصر والسعودية وسوريا) أقل هموماً من الحالة اللبنانية وأكثر إهتماماً بها وتجعل المربع الماسي (أميركا وفرنسا وبريطانيا وروسيا) أقل تحرشاً بتلك الحالة وأكثر رعاية لها، كما تجعل الخشية الفاتيكانية لا تعود على نحو ما يعكسها نصحاً وتحذيراً غبطة البطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير.

ولقد افترضنا أن الرئيس المتجدد لبرلماننا الجديد سيأمر بأن لا تتطلق بعد اليوم أي رصاصة من مُحارِك (نسبة إلى حركة) أو من نصير والاكتفاء بالترحيب وإعلان الولاء عبر إعلانات في الصحف أو يافطات، وذلك بعدما قضى أمر الفوز وحرصاً على هدوء يزيل وإلى غير رجعة ندوب ظروف مضت وبذلك تتأكد مقولة أبو مصطفى بأن الذين لم ينتخبوه يوم الخميس 25 حزيران/ يونيو 2009 سيصوتون له يوم الخميس 25 حزيران 2013 (ربما هذا اليوم وربما يصادف يوماً آخر). وكان إفتراضنا من منطلق أن الرئيس بري حريص على أن تكون مهابة المنصب في المقام الأول ولا تختلط مقتضياتها مع ضرورات الزعامة الشعبية كون الرئيس بري يتأسس "حركة أمل". وهو من هذا المنطلق قادر أن يأمر فيطاع وبحيث إن الخروج على الأمر وبالذات بالنسبة إلى مسألة الإبتهاج الذي يؤدي ويزعج هو معصية تخضع للمعاقبة.

مساء الأحد 28 حزيران/ يونيو 2009 باغتتا السلاح الخفيف في قلب العاصمة بيروت وذلك بعد دقائق من عودتي من زيارة إلى دمشق لمسئلاً خلالها إرتياحاً لما يؤول إليه الوضع اللبناني من خلال جولات أفق كلامية مع بعض إخواننا في مفاصل الدولة وبالذات من وزير الإعلام الدكتور محسن بلال الذي بعدما كان الدماغ العربي خسر برحيل شقيقه جراح الأعصاب الأشهر

الدكتور علي بلال، خسرت المشارط وغرف العمليات رشاقة يديه (أي محسن) في الحالات الجراحية المستعصية وربحته الحالة الإعلامية العربية عموماً واللبنانية - السورية بوجه خاص لكثرة ما في جنباتها من أشواك، وهما حالتان يتعاطى معهما وكأنما هو في غرفة عمليات وبكل الحرص في أن تنتهي العملية التي يجريها إلى النتيجة التي يحققها جراح فصل التوائم السيامية الأشهر على المستوى العالمي الدكتور عبدالله الربيعه الذي أجرى حتى الآن 21 عملية فصل تكللت بالنجاح. وكلاهما إختير لمسؤولية إصلاح ما يمكن إصلاحه: الجراح الدكتور محسن بلال الذي إختاره الرئيس بشّار الأسد طالب الطب قبل التروؤس الذي يعرف أهمية استأذنه في إصلاح الحالة الإعلامية. والجراح الدكتور عبدالله الربيعه الذي رأى فيه الملك عبد الله بن عبد العزيز القدرة على إصلاح أحوال وزارة الصحة السعودية ومن منطلق أن من يفصل مرة وثانية وثالثة وعدة مرات التوائم الملتصقة وفي عمليات تستغرق الواحدة أكثر من نصف يوم ففي إستطاعة هذه الدقة في إستعمال مشارطه إصلاح أحوال وزارة الصحة ولذا جاء إختياره ليكون وزيرها. وزادت التكريم لفئة إستثنائية حيث إن خادم الحرمين الشريفين قَدَّم لكتاب بعنوان "تجربتي مع التوائم السيامية" وتوق فيه الدكتور الربيعه تجربته الطبية وأعرب الملك في التقديم عن فخره بهذه القيمة العلمية السعودية العربية المسلمة. عسى ولعل يوثق الدكتور محسن بلال في كتاب تجربته وتجربة الأخ المرحوم علي مازجاً (أي الدكتور محسن) الذكريات الطبية مع ذكرياته عن سنوات العمل البرلماني والدبلوماسي التي خطفته من عالم الجراحة.

هذه المباغته للسلاح الخفيف جعلنا نتساءل: لقد تم التوافق أو التراضي ونالت كل طائفة نصيبها. وبعد إنقضاء شهر العسل الرئاسي ستكون هنالك عودة إلى الحوار الوطني وسيأخذ موضوع السلاح الثقيل حصته الكبرى من المناقشة بأمل التوصل إلى الإقتناع بأن السلاح الثقيل يُستعمل وفق تنسيق بين لجنة تمثل القيادتين السياسية والعسكرية للدولة (رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة) من جهة ومندوب دائم للمقاومة في هذه اللجنة، وذلك في حال الرد على عدوان وتحاشي ذريعة تعريض البلاد لعدوان. وهذه اللجنة تتخذ أيضاً القرار بالتراضي وليس بالتصويت لأن القرار في هذه

الحال يكون بالإجماع. أما بالنسبة إلى السلاح الخفيف الذي يقض المضاجع ويتسبب في إزهاق أرواح وجرح أفراد وترعيب أطفال نيام أو مستنات ومسنين مرضى، فهذا أمر يحتاج إلى خطوتين متلازمتين: الأولى مصادرة هذا السلاح وتحريم استعماله وبذلك لا يكون دور قوات الجيش هو فقط فض الاشتباك ومطاردة حاملي رشاشات ومسدسات إلى حين وصولهم إلى منازلهم أو مخابئهم. أما الخطوة الثانية فهي إصدار تعميم حازم تتعهد فيه الرئاسة الثلاث (الجمهورية، مجلس النواب، الحكومة) رفع الغطاء عن مرتكبي المظاهر الحربية أيأ كانوا. وقد يقال إن الدولة التي تتساهل مع وسائل الإعلام فيها على أنواعها في التعريض بكرامات الآخرين وتعمم على الورق وعلى الهواء عبر الفضائيات، التي تستضيف المتوترين، من سيئ الكلام ما يشبه الحطب يُلقى به على النار لتزداد اشتعالاً لماذا يجب أن تكون حازمة مع الذين يحملون الأسلحة الخفيفة ويروعون الناس. أليست أحياناً القذائف تتطلق من الألسنة مثل القذائف التي تتطلق من الرشاشات والمسدسات؟

وهذا صحيح، إلا أن كل شيء بأوانه. والأهم يتقدم على المهم... وعلى وجه السرعة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 11 يوليو (تموز) 2009

* * *

تأملات في حركة فقدت المبررات

بانعقاد القمة الخامسة عشرة لـ "حركة عدم الإنحياز" في شرم الشيخ يومي الأربعاء - الخميس 15-16 تموز/ يوليو 2009 يكون الرئيس حسني مبارك أعاد بعد 45 سنة إستضافة مصر لـ "عالم عدم الإنحياز" أحد المؤسسين له، ويكون أيضاً كرس هذا المنتج السياحي كـ "عاصمة ثانية" لمصر بعدما كانت الإسكندرية في زمن الرئيسين الراحلين جمال عبد الناصر وأنور السادات هي العاصمة الثانية بمعنى أن اللقاءات الرسمية وفي فصل الصيف بالذات تتم فيها، أما المؤتمرات فتبقى في القاهرة. وكان لافتاً أن الانعقاد جرى بعد 48 ساعة من حفل تخريج دفعة من طلبة

الكلية الجوية أقيم في قاعدة بليبس وتخلله عرض جوي تابع خلاله الرئيس مبارك وضيفه الرئيس السوداني عمر البشير بياناً عملياً لتحرير قاعدة جوية في زمن قياسي شاركت فيه 180 طائرة متعددة الأنواع، الأمر الذي إستوقف المراقبين الذين إستنتجوا أن الإنسحاب إلى "عدم الإنحياز" لا يعني أن لا تكون الدولة جاهزة لكل احتمالات المواجهة.. وبالذات مع جار هدد ذات يوم رمز الدبلوماسية الحالية فيه أفغدور لبيرمان بتدمير السد العالي ويواصل الإستهانة بالرئيس مبارك الذي يرفض دعوته لزيارة مصر ويرفض أيضاً إختيار لبيرمان أحد المقربين منه الجنرال المتقاعد شاوول كميحا سفيراً لدى مصر وذلك من باب مكابدة الرئيس مبارك. ومن الأمثلة على الإستهانة قوله "إن بإمكان مبارك أن يذهب للجحيم إن كان لا يرغب في زيارة إسرائيل".

وقبل القمة الخامسة عشرة لـ "حركة عدم الإنحياز" كانت شرم الشيخ إستضافت عشرات المؤتمرات والقمم العربية والدولية المصغرة، إلا أنها المرة الأولى التي تستضيف 118 دولة أي أكثر من نصف دول العالم متمثلة هذه الدول بعدد لا بأس به من الرؤساء وعدد أكبر من رؤساء الحكومات أو الوزراء. وكان من شأن مشاركة الرئيس محمود أحمدى نجاد في المؤتمر وكذلك الرئيس بشار الأسد وصديق الإثنين وحليفهما الشيخ حمد بن خليفة آل ثان أمير دولة قطر إضفاء مسحة تصالحية على المؤتمر، لكن الرئيس نجاد لم يلب الدعوة لأنه لا يريد الإطالة على مؤتمر قبل إبراء الندوب الناشئة عن الانتفاضة غير المحسوم أمرها في إيران، وأن الرئيس بشار إرتأى أن يتعامل مع مؤتمر تستضيفه مصر بمثل تعامل الرئيس مبارك مع القمة العربية الدورية التي إستضافتها دمشق العام الماضي، أي أن يكون التمثيل في مستوى دون الوزير بقليل مع أن الظروف الراهنة تستوجب ترجيح المرونة على المكابدة. أما غياب الشيخ حمد فإنه يندرج في الدواعي نفسها.

قد يبدو انعقاد مؤتمر أكثر من نصف عدد دول العالم ضمن تصنيف عدم الإنحياز مثيراً للإستغراب بعض الشيء، ذلك أن مبررات وموجبات إستنباط هذه الفكرة قبل أكثر من نصف قرن، أي إنشاء الحركة من خلال لقاء بعض كبار قادة ذلك الزمن الغابر عقوده عام 1955 في باندونغ، لم تعد واردة بعد حدثين أشبه بالزلزلة: الأول عندما تساقط الإتحاد السوفياتي وبقيت

الولايات المتحدة قوة عظمى أحادية لم تجد من يواجهها من حيث التوازن فأعلنت عريضة ومغامرات حربية أوصلتها إدارة الرئيس جورج بوش الابن إلى حافة التساقط المالي الذي هو الزلزال الثاني، وها هي منذ انصراف تلك الإدارة الهوجاء تحاول إصلاح الوضع المالي المرتبك ولا يلقى سعيها النتيجة المرجوة الأمر الذي جعل حال أميركا كقوة عظمى مثل حال الاتحاد السوفياتي عندما تساقط. دولتان كانتا عظميين تحاولان الآن إستعادة الشأن من خلال الاستحواذ على ثروة النفط الإيرانية بالنسبة إلى روسيا مقابل تأهيل إيران نووياً، وعلى ثروات النفط الخليجية بالنسبة إلى أميركا مقابل إغراءات كلامية من نوع إعتبار أمن دول الخليج من أمن الولايات المتحدة وبالتالي فإن أي إنجاز نووي إيراني سيقابله ردع أميركي، ومن نوع تحقيق التسوية بتنفيذ صيغة الدولتين حلاً للموضوع الفلسطيني وحشماً للصراع العربي - الإسرائيلي.

وعندما تكون هذه حال الدولتين اللتين بسبب حربهما الباردة وصراعهما للسيطرة على صغار العالم فكيف يجوز الإبقاء على مفهوم "حركة عدم الإنحياز". ثم إن عدم الإنحياز إلى من والخشية من التخوف من عواقب الإنحياز إلى من؟ من هنا بات لزاماً وقد اختارت الحركة للقمة الخامسة عشرة شعار "التضامن من أجل السلام والتنمية" أن يكون هذا الشعار مع شيء من التعديل هو التسمية. ومثل هذا الأمر يُسبغ عليها مصداقية أكثر وتلقى من الناس نظرة جديدة تقتنطها منذ أن حدث التساقط بنوع يختلف عن الآخر للدولتين العظميين.

ومثل أي مؤتمر دولي حيث تكون هنالك دلالات لافتة، كانت القمة الخامسة عشرة لـ "حركة عدم الإنحياز" تتسم ببعض الدلالات لعل أبرزها أن الدبلوماسية المصرية قُربت المسافة بين رئيس الحكومة الهندية ورئيس الحكومة الباكستانية اللذين ترأسا وفدَي بلديهما إلى القمة. فقد استطاع الرئيس مبارك جمع الجارين اللذين كادا يقتتلان على خلفية عملية إرهابية لكنهما إعتصما بحبل الله ربما لأنهما إقتنعا مجتمعين بأن السلاح النووي بين يدي كل منهما سيحولهما في لحظة عناد إلى أنهما سيضعان الشعبين في الجحيم النووي. أما العقيد معمر القذافي الذي قدّمه الرئيس مبارك للحدث في المؤتمر على أنه "ملك ملوك أفريقيا" فإنه إعتبر مجلس الأمن الدولي الحالي تلك القوة التي يجب

على دول "حركة عدم الإنحياز" العمل على زعزعتها. وذهب أبعد من ذلك حيث طالب بإعتماد إقتراح سيقدمه في الدورة المقبلة للجمعية العمومية للأمم المتحدة في سبتمبر/ أيلول المقبل بصفة كونه الرئيس الحالي للاتحاد الأفريقي ويقضي بأن يكون للاتحاد مقعد دائم في مجلس الأمن على أن يكون له حق النقض مثله مثل الأعضاء الخمسة الدائمين في المجلس. وعندها لن يعود مجلس الأمن في نظر العقيد ذلك المجلس "المحتكر من مجموعة صغيرة من أصحاب المقاعد الدائمة وهم بدورهم يقعون تحت تأثير إحدى القوى الكبرى". وهو في عدم تحديد هذه الـ "إحدى" التي هي أميركا يريد أن يُبقي على الود المستجد بينه وبين الرئيس الأميركي ذي الأصول الأفريقية والإسلامية بآرك أوباما. وفي أي حال ربما كان من الأجدي أن يكون الإقتراح يتضمن تمثيل "حركة عدم الإنحياز" كعضو سادس في مجلس الأمن إلى جانب أميركا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين، لكن إنتساب الأخيرتين في صيغة ما إلى الحركة ربما تعيقان الأخذ بالإقتراح، فضلاً عن أن عدداً من الأعضاء سيتعاركون لأن مصر ستري أنها الأحق بالتمثيل وأن إيران ستقول إنها، وقد صنّعت نفسها وعلى لسان رئيسها محمود أحمدي نجاد وبعض جنرالات الحرس الثوري على أنها من الدول العظمى، هي صاحبة الحق. كما أن دول الخليج ستقدم نفسها على أن مساهماتها في نجدة الحالة الإقتصادية والمالية المتعثرة للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإتفاقاتها المجزية مع كل من روسيا والصين، أي مع الدول الخمس الدائمة العضوية، تجعلها ترى أن المملكة العربية السعودية كبرى المجموعة الخليجية، هي الأحق والأجدر بأن تكون العضو السادس الذي يمثل الأمتين فضلاً عن أن مشاركة الملك عبدالله بن عبد العزيز في قمة العشرين في لندن كانت إختباراً بالغ الأهمية لشراكة من يمثل "عالم عدم الإنحياز" إذا كان لا بد من هذا التمثيل لتحقيق توازن مفقود وإفراغ مجلس الأمن من الصفة التي رماه بها العقيد القذافي وهي "إننا لا نثق فيه ولا تأثير لنا عليه ولا يهتم بمشاكلنا".

من الدلالات أيضاً أن إيران التي تمثّلت في قمة شرم الشيخ بوزير خارجيتها منوشهر منقي هي من حيث لغة التخاطب غير إيران ما قبل الإنتفاضة الموسوية التي عززها لاحقاً شيخ الثورة هاشمي رافسنجاني. وكان لافتاً

قول منكي بعد إنتهاء أعمال القمة وإعتماد الوثائق وإقرار البيان الختامي ذي المئة صفحة والخمسمئة فقرة والتفاهم على أن تتعقد القمة المقبلة بعد ثلاث سنوات (2012) في طهران، مخاطباً مبارك المزدوج الرئاسة رئاسة مصر ورئاسة حركة تنتسب إليها 118 دولة على مدى ثلاث سنوات كالآتي: "السيد الرئيس حسني مبارك. نيابة عن حكومتي وبلادي أشكركم بإخلاص وأمانة للشرف الذي أعطيتمونا إياه وذلك من خلال استجابتكم دعوة بلادي لإستضافة القمة السادسة عشرة لحركة عدم الإنحياز. كما أننا نعتمد على تعاونكم ودعمكم من أجل إعطاء دفعة للقضايا المشتركة ومصالح البلدان وتحمل المسؤوليات التي ترتبط بهذا المنصب المرموق. ومن دواعي فخر بلادي أن تتعاون مع كوبا ومصر خلال السنوات المقبلة".

خلاصة القول إن القضية الأساسية لهذه الدول التي إستضافها الرئيس حسني مبارك في شرم الشيخ التي غدت "شاطئ المؤتمرات الكبرى والمصغرة" والتي كان قيل في ما مضى أن الأمير سعود الفيصل، الذي إفتقد المؤتمر إطلالته حيث ناب عن المملكة وزير الدولة للشؤون الخارجية نزار عبيد مدني الذي مدد أمر ملكي يوم الجمعة 17-7-2009 خدمته لمدة أربع سنوات، أَرادها أن تكون المقر الدائم للإنعقاد للقمة العربية الدورية، هي أن تُبلور هويتها الجديدة. وهي إذا كانت لن تفعل ذلك وبحيث تصبح "مجموعة التضامن من أجل السلام والتنمية والإستقرار الدولي" بدل تسمية "حركة عدم الإنحياز"، فإنها ستبقى مجرد تجمع دولي لدول الدرجة الثانية تلتقي كل ثلاث سنوات على مستوى القمة فتكرّم من يستحق التكريم على نحو إختيار قمة شرم الشيخ يوم 18 يوليو من العام الذي هو يوم ميلاد الزعيم الأفريقي الأفريقيجنوبي نيلسون مانديلا يوماً عالمياً، وتنادي بـ "نظام دولي سياسي وإقتصادي أكثر عدالة وتوازناً بحيث يرسي هذا النظام ديمقراطية التعامل بين الأغنياء والفقراء" على نحو ما طالب بذلك مضيف المؤتمر الرئيس مبارك وتدعو إلى "نظام مالي وإقتصادي جديد يقوم على مشاركة فعلية من جميع الدول خصوصاً الدول النامية" على نحو ما طالب بذلك رئيس كوبا راوول كاسترو. كما تواصل السعي لتوسيع وجود الحركة في منظمات ووكالات الأمم المتحدة والهيئات الدولية، وتسعى لتصفية كل أشكال التعصب الديني والقضاء

على ظاهرة الازدراء أو التشهير بالأديان وكذلك تشجيع حوار الحضارات والعقائد وبما يراعي الخصوصية الثقافية لها. وإلى ذلك تستمر تطالب بحق الشعب الفلسطيني في أن تكون له دولته وعاصمتها القدس الشرقية وغيرها من المطالب الرئيسية.. إلا إذا كانت حدثت متغيرات يسعى إليها الرئيس أوباما لكي تأخذ طريقها إلى التنفيذ مع نهاية ولايته الرئاسية. وكان لافتاً للانتباه انه لم يبعث إلى المؤتمر بتحية كذلك التي بعث بها الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف وكان بعدم التنبه إلى هذه اللفتة وفي الوقت نفسه عدم التعرض للمؤتمر كما حال أقرانه السابقين، يوحي بأن أميركا التي بسببها ومعها الإتحاد السوفياتي كانت مبادرة جمال عبد الناصر وأحمد سوكرانو وجواهر لال نهرو والسيدة باندرانيكه والمارشال تيتو وشو ان لأي وكوامي نكروما، لم تعد أميركا التي يشكل عدم الإنحياز إليها قضية وطنية، فما كان قبل 54 سنة لا وجود له الآن وليس وارداً على الأرجح في حسابات أحد بعد أن دشّن أوباما ظاهرة التغيير في الدولة الأعظم... وليس أمام الآخرين وبالذات مجتمع المعاندين أمثال إسرائيل العنصرية وإيران ذات الخلطة غير السحرية كما أثبتت ذلك الانتفاضة المتواصلة سوى المسارعة إلى الأخذ بهذه الظاهرة نشداناً للسلامة الشخصية والعامّة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 25 يوليو (تموز) 2009

* * *

زائر أميركا "غير المنحاز"

رئيس حركة فقدت المبررات

بعد غياب طال خمس سنوات موحياً بأنه نوع من أنواع القطيعة الناشئة عن العتب، يقوم الرئيس حسني مبارك هذا الأسبوع (السبت 15-8-2009) بزيارة إلى الولايات المتحدة تستمر ثلاثة أيام، وحافلة بالملفات التي تحرص مصر مبارك على رؤية أكثر وضوحاً من أميركا أوباما في شأنها. وبين آخر زيارة للرئيس مبارك إلى البيت الأبيض البوشي في نيسان (أبريل) 2004 والزيارة الأولى للبيت الأبيض الأوبامي هذا الأسبوع، حفلت

المنطقة بأكثر القضايا تعقيداً، لكن زيارة الرئيس أوباما إلى مصر وإلقاء الخطاب (الخميس 4 حزيران/يونيو 2009) المطالعة له من على منبر جامعة القاهرة، ترك في النفوس بعض الأمل من أن القضايا الأكثر تعقيداً قد تجد لها حلاً كما يتمنى المرء، ومتنفساً يبعث على التفاؤل في الحد الأدنى إذا إستحالت معجزة الحل. ويزور الرئيس مبارك أميركا هذه المرة "غير منحاز"، رافضاً على حد قوله قبل أيام (الإثنين 3-8-2009) عروضاً تقدمت بها "قوى كبرى" - يقصد أميركا - لإقامة قواعد عسكرية وإدخال معدات وأجهزة لتكون نواة "مظلة دفاعية أميركية". كما أفادت معلومات ونقول "غير منحاز"، انسجاماً مع القمة الخامسة عشرة لـ "حركة عدم الإنحياز" التي إستضافها مبارك في شرم الشيخ يومي الأربعاء - الخميس 15-16 تموز/يوليو 2009 وأعاد مصر بهذه الإستضافة بعد 45 سنة إلى "عالم عدم الإنحياز" أحد المؤسسين له. كما أن يكون بهذه القمة أيضاً كرس هذا المنتج السياحي كـ "عاصمة ثانية" لمصر بعدما كانت الإسكندرية في زمن الرئيسين الراحلين جمال عبد الناصر وأنور السادات هي العاصمة الثانية بمعنى أن اللقاءات الرسمية وفي فصل الصيف بالذات تتم فيها، أما المؤتمرات فتبقى في القاهرة. وكان لافتاً أن الإنعقاد جرى بعد 48 ساعة من حفل تخريج دفعة من طلبة الكلية الجوية أقيم في قاعدة بلبس وتخلله عرض جوي تابع خلاله الرئيس مبارك وضييفه الرئيس السوداني عمر البشير بياناً عملياً لتحرير قاعدة جوية في زمن قياسي شاركت فيه 180 طائرة متعددة الأنواع، الأمر الذي إستوقف المراقبين الذين استنتجوا أن الإنتساب إلى "عدم الإنحياز" لا يعني أن لا تكون الدولة جاهزة لكل احتمالات المواجهة.. وبالذات مع جار هدد ذات يوم رمز الدبلوماسية الحالية فيه أفيدور ليبيرمان بتدمير السد العالي ويواصل الإستهانة بالرئيس مبارك الذي يرفض دعوته لزيارة مصر ويرفض أيضاً إختيار ليبيرمان أحد المقرّبين منه الجنرال المتقاعد شاوول كميسا سفيراً لدى مصر وذلك من باب مكايده الرئيس مبارك. ومن الأمثلة على الإستهانة قوله "إن بإمكان مبارك أن يذهب للجحيم إن كان لا يرغب في زيارة إسرائيل". وقبل القمة الخامسة عشرة لـ "حركة عدم الإنحياز" كانت شرم الشيخ إستضافت عشرات المؤتمرات والقمم العربية والدولية المصغرة، إلا أنها المرة الأولى التي

تستضيف 118 دولة أي أكثر من نصف دول العالم متمثلة هذه الدول بعدد لا بأس به من الرؤساء وعدد أكبر من رؤساء الحكومات أو الوزراء. وكان من شأن مشاركة الرئيس محمود أحمددي نجاد في المؤتمر وكذلك الرئيس بشار الأسد وصديق الإثنين وحليفهما الشيخ حمد بن خليفة آل ثان أمير دولة قطر إضفاء مسحة تصالحية على المؤتمر، لكن الرئيس نجاد لم يلجّ الدعوة لأنه لا يريد الإطلالة على مؤتمر قبل إبراء الندوب الناشئة عن الانتفاضة غير المحسوم أمرها في إيران، وأن الرئيس بشار إرتأى أن يتعامل مع مؤتمر تستضيفه مصر بمثل تعامل الرئيس مبارك مع القمة العربية الدورية التي إستضافتها دمشق العام الماضي، أي أن يكون التمثيل في مستوى دون الوزير بقليل مع أن الظروف الراهنة تستوجب ترجيح المرونة على المكايده. أما غياب الشيخ حمد فإنه يندرج في الدواعي نفسها.

قد يبدو إنعقاد مؤتمر أكثر من نصف عدد دول العالم ضمن تصنيف عدم الإنحياز مثيراً للإستغراب بعض الشيء، ذلك أن مبررات وموجبات إستنباط هذه الفكرة قبل أكثر من نصف قرن، أي إنشاء الحركة من خلال لقاء بعض كبار قادة ذلك الزمن الغابر عقدوه عام 1955 في باندونغ، لم تعد واردة بعد حدثين أشبه بالزلازل: الأول عندما تساقط الإتحاد السوفياتي وبقيت الولايات المتحدة قوة عظمى أحادية لم تجد من يواجهها من حيث التوازن فأمنت عربة ومغامرات حربية أوصلتها إدارة الرئيس جورج بوش الإبن إلى حافة التساقط المالي الذي هو الزلزال الثاني، وما هي منذ انصراف تلك الإدارة الهوجاء تحاول إصلاح الوضع المالي المرتبك ولا يلقي سعيها النتيجة المرجوة الأمر الذي جعل حال أميركا كقوة عظمى مثل حال الإتحاد السوفياتي عندما تساقط. دولتان كانتا عظميين تحاولان الآن إستعادة الشأن من خلال الاستحواذ على ثروة النفط الإيرانية بالنسبة إلى روسيا مقابل تأهيل إيران نووياً، وعلى ثروات النفط الخليجية بالنسبة إلى أميركا مقابل إغراءات كلامية من نوع إعتبار أمن دول الخليج من أمن الولايات المتحدة وبالتالي فإن أي إنجاز نووي إيراني سيقابله ردع أميركي، ومن نوع تحقيق التسوية بتنفيذ صيغة الدولتين حلاً للموضوع الفلسطيني وحسماً للصراع العربي - الإسرائيلي.

وعندما تكون هذه حال الدولتين اللتين بسبب حربهما الباردة وصراعهما للسيطرة على صغار العالم فكيف

يجوز الإبقاء على مفهوم "حركة عدم الإنحياز". ثم إن عدم الإنحياز إلى من والخشية من التخوف من عواقب الإنحياز إلى من؟ من هنا بات لزاماً وقد إختارت الحركة للقمة الخامسة عشرة شعار "التضامن من أجل السلام والتنمية" أن يكون هذا الشعار مع شيء من التعديل هو التسمية. ومثل هذا الأمر يُسبغ عليها مصداقية أكثر وتلقى من الناس نظرة جديدة تقتدها منذ أن حدث التساقط بنوع يختلف عن الآخر للدولتين العظميين.

ومثل أي مؤتمر دولي حيث تكون هنالك دلالات لافتة، كانت القمة الخامسة عشرة لـ "حركة عدم الإنحياز" تتسم ببعض الدلالات لعل أبرزها أن الدبلوماسية المصرية قُربت المسافة بين رئيس الحكومة الهندية ورئيس الحكومة الباكستانية اللذين ترأسا وفدي بلديهما إلى القمة. فقد استطاع الرئيس مبارك جمع الجارين اللذين كادا يقتتلان على خلفية عملية إرهابية لكنهما إعتصما بحبل الله ربما لأنهما إقتنعا مجتمعين بأن السلاح النووي بين يدي كل منهما سيحولهما في لحظة عناد إلى أنهما سيضعان الشعبين في الجحيم النووي. أما العقيد معمر القذافي الذي قدّمه الرئيس مبارك للحدث في المؤتمر على أنه "ملك ملوك أفريقيا" فإنه إعتبر مجلس الأمن الدولي الحالي تلك القوة التي يجب على دول "حركة عدم الإنحياز" العمل على زعزعتها. وذهب أبعد من ذلك حيث طالب بإعتماد إقتراح سيقدمه في الدورة المقبلة للجمعية العمومية للأمم المتحدة في سبتمبر/ أيلول المقبل بصفة كونه الرئيس الحالي للإتحاد الأفريقي ويقضي بأن يكون للإتحاد مقعد دائم في مجلس الأمن على أن يكون له حق النقض مثله مثل الأعضاء الخمسة الدائمين في المجلس. وعندها لن يعود مجلس الأمن في نظر العقيد ذلك المجلس "المحتكر من مجموعة صغيرة من أصحاب المقاعد الدائمة وهم بدورهم يقعون تحت تأثير إحدى القوى الكبرى". وهو في عدم تحديد هذه الـ "إحدى" التي هي أميركا يريد أن يُبقي على الود المستجد بينه وبين الرئيس الأميركي ذي الأصول الأفريقية والإسلامية باراك أوباما. وفي أي حال ربما كان من الأجدي أن يكون الإقتراح يتضمن تمثيل "حركة عدم الإنحياز" كعضو سادس في مجلس الأمن إلى جانب أميركا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين، لكن إنتساب الأخيرتين في صيغة ما إلى الحركة ربما تعيقان الأخذ بالإقتراح، فضلاً عن أن عدداً من

الأعضاء سيتعاركون لأن مصر ستري أنها الأحق بالتمثيل وأن إيران ستقول إنها، وقد صنّفت نفسها وعلى لسان رئيسها محمود أحمدني نجاد وبعض جنرالات الحرس الثوري على أنها من الدول العظمى، هي صاحبة الحق. كما أن دول الخليج ستقدم نفسها على أن مساهماتها في نجدة الحالة الإقتصادية والمالية المتعثرة للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإتفاقاتها المجزية مع كل من روسيا والصين، أي مع الدول الخمس الدائمة العضوية، تجعلها ترى أن المملكة العربية السعودية كبرى المجموعة الخليجية، هي الأحق والأجدر بأن تكون العضو السادس الذي يمثل الأمتين فضلاً عن أن مشاركة الملك عبد الله بن عبد العزيز في قمة العشرين في لندن كانت اختباراً بالغ الأهمية لشراكة من يمثل "عالم عدم الإنحياز" إذا كان لا بد من هذا التمثيل لتحقيق توازن مفقود وإفراغ مجلس الأمن من الصفة التي رماه بها العقيد القذافي وهي "إننا لا ننق فيه ولا تأثير لنا عليه ولا يهتم بمشاكلنا".

من الدلالات أيضاً أن إيران التي تمثّلت في قمة شرم الشيخ بوزير خارجيتها منوشهر متقي هي من حيث لغة التخاطب غير إيران ما قبل الإنتفاضة الموسوية التي عززها لاحقاً شيخ الثورة هاشمي رافسنجاني. وكان لافتاً قول متكي بعد إنتهاء أعمال القمة وإعتماد الوثائق وإقرار البيان الختامي ذي المئة صفحة والخمسة فقرة والنقاهم على أن تتعدّد القمة المقبلة بعد ثلاث سنوات (2012) في طهران، مخاطباً مبارك المزدوج الرئاسة رئاسة مصر ورئاسة حركة تنتسب إليها 118 دولة على مدى ثلاث سنوات كالآتي: "السيد الرئيس حسني مبارك. نيابة عن حكومتي وبلادي أشكركم بإخلاص وأمانة للشرف الذي أعطيتمونا إياه وذلك من خلال استجابتكم دعوة بلادي لإستضافة القمة السادسة عشرة لحركة عدم الإنحياز. كما أننا نعتد على تعاونكم ودعمكم من أجل إعطاء دفعة للقضايا المشتركة ومصالح البلدان وتحمل المسؤوليات التي ترتبط بهذا المنصب المرموق. ومن دواعي فخر بلادي أن تتعاون مع كوبا ومصر خلال السنوات المقبلة". خلاصة القول إن القضية الأساسية لهذه الدول التي إستضافها الرئيس حسني مبارك في شرم الشيخ التي غدت "شاطئ المؤتمرات الكبرى والمصغرة" والتي كان قيل في ما مضى أن الأمير سعود الفيصل، الذي إفتقد المؤتمر إطلالته حيث ناب عن المملكة وزير الدولة

وإيران ذات الخلطة غير السحرية كما أثبتت ذلك الإنتفاضة المتواصلة سوى المسارعة إلى الأخذ بهذه الظاهرة نشداناً للسلامة الشخصية والعامة.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 15 أغسطس (آب) 2009

يا لثارات الأخ معمر!

نستحضر هذه الأيام كيف أن العقيد معمر القذافي وجد نفسه عندما أوحى الرئيس أنور السادات في أكثر من مناسبة أن ليبيا القذافية لم تساند مصر في زمن التحضير للمعركة، يوجه وسائل الإعلام في جماهيريته لنشر قوائم مفصلة بكل سلعة قذمتها ليبيا إلى مصر الساداتية. وكانت تلك الخطوة على رغم الجانب الإضطرابي منها مؤلمة خصوصاً عندما قرأنا في هذه القوائم أنواعاً من الدعم مثل السكر والشاي والصابون والزيت والمناديل الورقية. وفي تقديري أن العقيد القذافي لا بد ندم متأخراً على خطوته هذه ليس من أجل ود مفقود مع السادات الذي أقلقه إصرار القذافي على مسيرة ليبية وحدوية تدخل القاهرة بالقوة لتسليم السادات مذكرة إعلان الوحدة مع ليبيا ومحاضرات لا يستسيغها الساداتيان أنور وجيهان فأرسل طائرات قصفت قواعد عسكرية ليبية يوم 19 يوليو 1977 وكادت ترتكب الخطأ الأكبر في حق الدولة الشقيقة الجارة التي تستوعب حوالي مليوني مصري، بمعنى أن تسقط صواريخ فوق باب العزيزية مقر سكن وقيادة القذافي كما حدث لاحقاً على أيدي الرئيس ريغان في أبريل/نيسان 1986 حيث دمرت الطائرات الريغانية المعتدية منزل الأخ معمر وتسببت في قتل ابنة له بالتبني، وذلك رداً على تفجير قاعة رقص في برلين يرتادها جنود أميركيون وتوجيه الاتهام إلى ليبيا، وإنما من أجل مصر وبعض الذكريات الحميمة في بدايات ثورة الفاتح ومبايعة عبد الناصر للضابط الشاب معمر القذافي أميناً للقومية العربية من بعده.

في خطوته المندوم عليها، على نحو ما يجوز الاعتقاد، كان الأخ معمر يثار من استهانة السادات به إلى حد إستعمال عبارة "مجنون ليبيا" في خطبه التي يلقيها وفي أحاديثه مع بعض الذين يلتقي بهم من

للشؤون الخارجية نزار عبيد مدني الذي مدد أمر ملكي يوم الجمعة 17-7-2009 خدمته لمدة أربع سنوات، أرادها أن تكون المقر الدائم للإنعقاد للقمم العربية الدورية، هي أن ثلور هويتها الجديدة. وهي إذا كانت لن تفعل ذلك وبحيث تصبح "مجموعة التضامن من أجل السلام والتنمية والاستقرار الدولي" بدل تسمية "حركة عدم الإنحياز"، فإنها ستبقى مجرد تجمع دولي لدول الدرجة الثانية تلتقي كل ثلاث سنوات على مستوى القمة فتكرم من يستحق التكريم على نحو إختيار قمة شرم الشيخ يوم 18 يوليو من العام الذي هو يوم ميلاد الزعيم الأفريقي الأفريقيجنوبي نيلسون مانديلا يوماً عالمياً، وتتادي بـ "نظام دولي سياسي واقتصادي أكثر عدالة وتوازناً بحيث يرسي هذا النظام ديمقراطية التعامل بين الأغنياء والفقراء" على نحو ما طالب بذلك مضيف المؤتمر الرئيس مبارك وتدعو إلى "نظام مالي واقتصادي جديد يقوم على مشاركة فعلية من جميع الدول خصوصاً الدول النامية" على نحو ما طالب بذلك رئيس كوبا راوول كاسترو. كما تواصل السعي لتوسيع وجود الحركة في منظمات ووكالات الأمم المتحدة والهيئات الدولية، وتسعى لتصفية كل أشكال التعصب الديني والقضاء على ظاهرة الإزدراء أو التشهير بالأديان وكذلك تشجيع حوار الحضارات والعقائد وبما يراعي الخصوصية الثقافية لها. وإلى ذلك تستمر تطالب بحق الشعب الفلسطيني في أن تكون له دولته وعاصمتها القدس الشرقية وغيرها من المطالب الرئيسية.. إلا إذا كانت حدثت متغيرات يسعى إليها الرئيس أوباما لكي تأخذ طريقها إلى التنفيذ مع نهاية ولايته الرئاسية. وكان لافتاً للانتباه أنه لم يبعث إلى المؤتمر بتحية كتلك التي بعث بها الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف وكان بعدم التنبه إلى هذه اللفتة وفي الوقت نفسه عدم التعرض للمؤتمر كما حال أقرانه السابقين، يوحي بأن أميركا التي بسببها ومعها الإتحاد السوفياتي كانت مبادرة جمال عبد الناصر وأحمد سوكارنو وجواهر لال نهرو والسيدة باندرانيكه والماريشال تيتو وشو ان لأي وكوامي نكروما، لم تعد أميركا التي يشكل عدم الإنحياز إليها قضية وطنية، فما كان قبل 54 سنة لا وجود له الآن وليس وارداً على الأرجح في حسابات أحد بعد أن دشّن أوباما ظاهرة التغيير في الدولة الأعظم... وليس أمام الآخرين وبالذات مجتمع المعاندين أمثال إسرائيل العنصرية

مسؤولين عرب وأجانب.

أما لماذا نستحضر الواقعة القذافية - الساداتية فلأن وقائع أخرى حدثت وتعكس الطبيعة الثأرية عند القذافي مع التركيز هنا على ثلاث حالات: حالة الثأر من إيطاليا التي فعلت بليليا بأكثر مما فعلته فرنسا بالجزائر، وحالة الثأر غير المكتمل من أميركا وبريطانيا اللتين اضطرتاه، إدارة الأولى وحكومة الثانية، لتنازلات في موضوع سقوط طائرة الركاب الأميركية فوق لوكوربي (اسكوتلنده) عام 1998. ففي الحالة الأولى نرى القذافي يتوجه إلى روما يوم الأربعاء 10 يونيو/ حزيران 2009 في زيارة رسمية هي الأولى منذ تولّيه السلطة في البلاد يوم أول سبتمبر/ أيلول 1969، مصحوباً بمحمد المختار نجل المجاهد الليبي عمر المختار وعدد من أبناء مجاهدين ومنفيين. وكان لافتاً أن القذافي وصل مرتدياً زي المارشالية وقد علّق على صدره لجهة اليمين صورة قائد المقاومة الليبية ضد المستعمر الإيطالي في عشرينات القرن الماضي الشهيد عمر المختار وهو مقيد بالأغلال إلى جانب أسرته الإيطاليين عام 1931 وذلك قبل إعدامه شنقاً. وقد إنتظر القذافي على الدرجة ما قبل الأخيرة من سلّم الطائرة ممسكاً بعصا المارشالية إلى حين نزول محمد عمر المختار البالغ من العمر سبعة وثمانين عاماً الذي كان ينزل سلّم الطائرة درجة درجة بصعوبة يعاونه مرافق يمسك بعصا الشيخ. وكانت من محاسن الصدف للعقيد القذافي أن محمد المختار ما زال على قيد الحياة لأن إصطحابه في الزيارة أيقظ في نفوس أحفاد الحقبة الفاشية وأبناء الأحفاد ذكريات بالغة المرارة عن حقبة تاريخية غير مشرّقة لهم. وإلى اصطحاب محمد المختار وأبناء مجاهدين ومنفيين إضافة إلى وفد ضخم يملأ طائرتي ركاب حرص القذافي، وجاراه الرئيس برلسكوني في الحرص، على نصب خيمته الشهيرة في أكثر حدائق روما اتساعاً وهي حدائق "قيلا دوريا بامفيلي".

لم تتم زيارة القذافي إلا بعدما تحققت نسبة خمسين في المئة من الثأر متمثلة بإعتذار إيطاليا البرلسكونية خلال زيارة برلسكوني إلى ليبيا عام 2008 عن سنوات بالغة الشراسة من الاستعمار الإيطالي على مدى 32 سنة (من 1911 إلى 1943) ثم تحققت نسبة الخمسين في المئة الأخرى من خلال الوصول نوعاً وشكلاً ومن دون أن تستوقفه احتجاجات من هنا وهناك رد عليها بما يهدئ الخواطر وذلك من خلال الإيحاء للإيطاليين بأنه

كان قادراً على أن يكون مالك سلاح نووي مثل سعي إيران إلى ذلك الآن وهذا يعني أن تكون إيطاليا التي تفصلها عن ليبيا ساعة طيران فوق مياه المتوسط تحت رحمة الصواريخ الليبية ذات الرؤوس النووية، لكن ليبيا تخلت عن مشروع امتلاك أسلحة الدمار الشامل ومع ذلك عوقبت بالحصارات.

وبالنسبة إلى برلسكوني رمز المصالحة الليبية - الإيطالية فإن كل ما يهمه من الأمر هو الاطمئنان إلى وفرة النفط الليبي إلى إيطاليا فضلاً عن إستثمارات ليبية مجزية في زمن تتكاثر فيه تداعيات الأزمة المالية والإقتصادية على دول العالم الأول بدءاً من أميركا وصولاً إلى إيطاليا.

بعد الثأر من الحقبة الفاشية فُتحت بوابة إيطاليا البرلسكونية أمام عبور الأخ معمر إلى المجتمع الدولي، وها نحن نراه مشاركاً يوم الخميس 9 يوليو/ تموز 2009 في قمة الثماني في منتجع "لاكويلا" في إيطاليا. فهو في فترة تمهد لعهد أميركي - ليبي جديد تبادل خلال عشاء للرؤساء المشاركين في هذه القمة التصافح مع الرئيس الأميركي باراك أوباما، وهذا يحدث للمرة الأولى وبات طبيعياً في ضوء استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وليبيا في يونيو 2004 وزيارة خارجية الإدارة البوشية كوندوليزا رايس إلى طرابلس (وهي الأولى من نوعها على هذا المستوى منذ العام 1953) ولقائهما القذافي، وكان تم وضع نهاية مالية للأزمة المتعلقة بحادثة الطائرة الأميركية فوق "لوكوربي" خلال زيارة وزير الخارجية الليبية (السابق) عبد الرحمن شلقم إلى واشنطن في أغسطس/ آب 2008 والتي كانت الأولى منذ العام 1972. ومن الجائز الافتراض أن هذه المصافحة ستغني القذافي عن الثأر من أميركا التي اكتوت لبيياه بعقوباتها الإقتصادية وتجميد أموال لها في المصارف الأميركية على نحو التجميد المتواصل للأرصدة الإيرانية في هذه المصارف. وهي ستغنيه لأن أميركا ليست إيطاليا ولا هي سويسرا التي نجح الثأر القذافي منها رداً على إحتجاز سلطات الأمن السويسرية خلال يوليو/ تموز من العام 2008 هنيئيل القذافي وزوجته الحامل وكانا يقيمان في أحد فنادق جنيف وذلك في ضوء شكوى خادمين إدعى أن الزوجين أساءا معاملتهما ولم يُفرج عن ابن القذافي وزوجته إلا بعدما أسقط الخادمان الشكوى لكن التعامل الأمني مع هنيئيل

والزوجة الحامل إستخدم على ما يبدو أساليب غير ملائمة ولم يأخذ في الإعتبار مكانة ابن العقيد الذي كان بات يحمل لقب "ملك ملوك أفريقيا". وهذه الواقعة كان رد الفعل العائلي - الرسمي عليها متدرجاً ومن دون التوقف عند انه ليست لدى السلطات السويسرية إعتبارات لأي حالات خاصة. في البداية أقامت الدولة الليبية دعوى قضائية ضد السلطات السويسرية مطالبة بدفع نفقات المحامين مع الفوائد وبتعويض نصف مليون فرنك سويسري بدعوى إستخدام الشرطة لأساليب غير ملائمة خلال الاعتقال وهي على نحو ما نشرته وسائل الإعلام السويسرية "أن الشرطة لم تتردد في استخدام القوة الجسدية والتصرف بوحشية وتعتمد أكثر الطُرق إذلالاً على رغم انعدام المقاومة". بعد ذلك قطعت ليبيا إمدادات النفط إلى سويسرا وسحبت من البنوك السويسرية أصولاً قيمتها تتجاوز الخمسة بلايين دولار. وعندما بدأت مفاعيل الثأر تأخذ طابع شعور الدولة السويسرية بالأذى فإن ليبيا انتقلت إلى المرحلة الثالثة من الثأر وهي المطالبة أن تعتذر سويسرا عما جنّته أيدي السلطات المختصة في حق الإبن هنيبل الذي إستمر اعتقاله يومين، وإحتجزت إثنين من الرعايا السويسريين، كما أن هيئة الطيران المدني الليبية اعتذرت عن إستقبال الرحلة الوحيدة لطائرة شركة الخطوط السويسرية بسبب مشاكل فنية غير محددة. وإلى الثأر الرسمي تحركت اللجان الثورية وشهدت طرابلس تظاهرات تندد بالدولة السويسرية وترفع صور العقيد القذافي بزيه الليبي وصور هنيبل بقميص "الجنيز".

حاولت سويسرا بأسلوب دبلوماسي معالجة الأمر وأرسلت وزارة الخارجية وفداً إلى طرابلس ونفت أن يكون هنيبل تعرّض لمعاملة سيئة وهو في الاحتجاز. لكن ذلك لا يكفي لأنه ما زال دون الحد المقبول لـ "الدية" المطلوبة من دولة الحياد (سويسرا). وعندما تفاقت الأزمة ووصلت إلى حد أن فصل الشتاء على الأبواب وهذا يعني إستباق ما هو أعظم مثل أنفلونزا الخنازير التي تنتشر بسبب موجات البرد القارس، فإن الأخ معمر إستعمل الطلقة الثأرية الأقوى وقال في قمة الثماني وعلى هامشها كلاماً في غاية القساوة عن سويسرا. وقد أصابت الطلقة حيث إن الرئيس السويسري هانس رودونو مرتس توجه إلى طرابلس يوم الخميس 20 أغسطس/ آب 2009 وقال في مؤتمر صحفي مبثوث

على الهواء لكي يسمعه الليبيون "أقَدِمَ إعتذاري إلى الشعب الليبي على إعتقال شرطة جنيف دبلوماسيين ليبيين ظلماً". وأضاف بحضور أمين اللجنة الشعبية العامة (التسمية الثورية لرئيس الحكومة في ليبيا) البغدادي علي المحمودي: "اليوم نفّذت مهمتي وحققْتُ أهدافي وهي طي صفحة العام الماضي وفتح الطريق أمام الشركات السويسرية للعودة إلى السوق الليبية. إنها نتيجة مُرضية بالنسبة لي". لكن المحمودي على رغم ذلك إعتذر الاعتذار "مجرد خطوة أولى!" يكفي إخراجاً يا أخ البغدادي لرئيس حضاري قام بدور يعتمد على الحكمة.

يا لثارات الأخ معمر التي تتوالى ثاراً بعد آخر مع ملاحظة أن ما حصل لعبد الباسط المقرحي المستعاد إلى ليبيا من السجن الاسكوتلندي كان حالة إبتهاج حل فيها الشكر لحكومة اسكوتلندا ولرئيس حكومة بريطانيا محل الثأر. وأما الطلب الأميركي بأن يوضع عبد الباسط في الإقامة الجبرية فإنه كان مجرد مداعبة إذ ما الذي تخشاه الإدارة البوشية من رجل على موعد مع الموت في أي لحظة بسبب السرطان الذي ينتشر في بدنه واضعاً الرجل في الإقامة السرطانية... التي هي أقسى على النفس من الإقامة الجبرية.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 27 أغسطس (آب) 2009

* * *

سوريا والعراق: التباغض يعيد نفسه

عندما إنتهت الزيارة القصيرة التي قام بها رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي إلى دمشق يوم الثلاثاء 18 أغسطس/ آب 2009 بإعلانه مع زميله رئيس الحكومة السورية محمد ناجي عطري عن "تأسيس مجلس للتعاون الإستراتيجي عالي المستوى" إستوقفنا نحن الذين نتابع ايقاعات التحول البشري المتأني وفُق الحرص ألا تأتي التوازنات على حساب الثوابت، هذه السرعة في الإتفاق، ووجدنا أنفسنا نتساءل: هل إقتنع الرئيس بشار الأسد، عندما أجرى جلسة محادثات صريحة مع الرئيس المالكي قبل أن يوجّه بعقد المؤتمر الصحافي للإعلان عن الإتفاق بقول المالكي "إن العراق

صاحب سيادة الآن وأن الإنسحاب العسكري الأميركي يجري وفق توقيت ملتزم"، أم أن الرئيس السوري يعتبر كلام رئيس الوزراء العراقي نوعاً من التمني لحالة وليس تأكيداً بحصولها. لكن في أي حال تم الإتفاق مع المالكي على إنشاء "المجلس الإستراتيجي" المشار إليه من منطلق أنه إذا كان العراق لم يصبح سيداً بالكامل فإن الإتفاق ربما يساعد على ذلك. وإذا كان التشاور بين البلدين يتم حتى الآن على قاعدة تشاور أهل الحوار وعلى أرضية من الحذر المتبادل فإن "المجلس الإستراتيجي" ربما يعطي ثقلًا للعراق يساعد أكثر على تحقيق الإنسحاب ويشجع أطرافاً عربية أساسية على التعاون مع "العراق السيد".

مقومات التعاون إستراتيجياً بين سوريا والعراق كثيرة. فهناك الأمن والغاز والنفط والتجارة والفرات والعشيرة إضافة إلى ذوي القربى عن طريق المصاهرة، وكلا البلدين في أشد الحاجة إلى الآخر. ثم هنالك النقطة الأهم وهي أن الحساسيات الحزبية ليست قائمة حيث حزب "البعث" يحكم سورية وحيداً حتى إشعار آخر بينما الأحزاب المتصارعة عدا "البعث"، المعمول من جانب إيراني الهوى على إجتثاثه، تتحكم بالعراق. وإذا كان التعاون في إطار "إتفاق إستراتيجي" يبقى أكثر راحة بال من إتفاق وحدوي أو اتحادي بين دولتين محكومتين بحزب ذي عقيدة واحدة وتعقيدات كثيرة على مستوى التعامل بين صاحبي الحل والربط كما الحال قبل ثلاثين سنة بين الرئيس حافظ الأسد والرئيس صدام حسين.

هنا، وبعدما كان المالكي من جهة وعطري من جهة مقابلة أشاعا أجواء أخوية طيبة من خلال الكلام السياسي الرومنسي عن "العراق الظهير للأمة" و"ما يصيب العراق يصيب سوريا" وخلاف ذلك من طيب الكلام الذي يتوق الشعبان في سورية والعراق إلى تنفيذ مضامينه، توجّه الرئيس بشار إلى طهران في زيارة قصيرة هي الأخرى، لكي يهنئ الرئيس محمود أحمدي نجاد بإنجائه من براثن "انتفاضة الإصلاحيين" عليه وعلى والده الروحي آية الله علي خامنئي. وهناك كثر إخواننا أهل الحكم الإيراني، الذين إستقرت أحوالهم نسبياً، على الرئيس بشار فكرة حلف أخوي يضم إيران والعراق وتركيا وسورية. ونلاحظ أن مفاجأة لم تكن في الحسبان "أهديت إليه" بعد عودته من طهران غير مرحّب بطبيعة الحال بهذه الخلطة التطويقية للأشقاء العرب من

جهة وللأوروبيين من جهة أخرى يتم عرضها عليه في وقت يسعى من أجل الإنطلاق بسوريا نحو مرحلة من الإستقرار الذي يحقق التسوية المضمونة دولياً ويحقق السلام تبعاً لذلك حالة من الإزدهار عن طريق جذب المزيد من الإستثمارات العربية والأجنبية تُغني النظام عن الإستيجاد مكرهاً ومضطراً، وهذا ما إستتجنه من قول المستشار السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية الدكتورة بثينة شعبان بعد جولة محادثات أجراها المبعوث الرئاسي الأميركي جورج ميتشيل مع الرئيس بشار يوم الأحد 26-7-2009 "إن ميتشيل أجرى محادثات إيجابية وبناءة مع الرئيس الأسد. هنالك حوار بدأ بين سوريا والولايات المتحدة نعتقد أنه سيستمر وستكون نتائجه إيجابية على المديين المتوسط والبعيد".

كانت "الهدية" إلى الأسد الإبن من العراق شبيهة بـ "هدية" الرئيس صدام حسين إلى الأسد الأب عام 1979 والتي جاءت بعد إتفاق إستراتيجي آخر.. إنما في إطار وحدة قوى الحزب الواحد.

تمثلت "الهدية" إلى الرئيس بشار من العراق المالكي بإعلان الحكومة العراقية يوم الثلاثاء 25-8-2009 أنها إستدعت السفير من دمشق علاء حسين الجوادي الذي كان الرئيس بشار تسلم أوراق إعتماده يوم 16 فبراير/ شباط 2009 وفي الوقت نفسه عين نواف الفارس سفيراً لدى العراق وذلك بعد عودة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة منذ بداية حكم البعث الصدامي وأعيدت خلال زيارة وزير الخارجية السورية وليد المعلم إلى بغداد يوم 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 2006. أما لماذا الاستدعاء المبالغت هذا فلأن الرئيس المالكي شخصياً حمل الحكم السوري مسؤولية أكثر التقييدات قساوة وإحراجاً للمالكي حدثت يوم الأربعاء 19 آب أي في اليوم التالي لعودة الرجل من الزيارة الإستراتيجية إلى دمشق. ومع أن "دولة العراق الإسلامية" التي هي الفرع العراقي لتنظيم "القاعدة" أو حسب التسمية البعثية "تنظيم القاعدة" - فرع فطر العراق" تبنت التقييدات المرحجة إلا أن قرار اتهام كان شبه جاهز وتحديد المسؤول عن هذه التقييدات التي لم تقتصر الخسارة المادية والبشرية على بضع مئات من القتلى والجرحى وإنما إستهدفت وزارة الخارجية ووزارة المالية ووزارة الدفاع ومبنى محافظة بغداد وبعض المقرات في "المنطقة الخضراء" ووصف جيران الخارجية التي يتربع فيها هوشيار زيباري بأن الدوي الذي نتج عن

التفجير قرب الخارجية جعلهم يظنون أن قنبلة ذرية انفجرت.

لم يتم الإستدعاء للسفير العراقي لدى سوريا من خلال بيان يصدر عن الخارجية وإنما من المتحدث بإسم الحكومة علي الدباغ الذي صاغ التصريح بمفردات إستهدفت على ما يجوز الافتراض أن يرد الحكم السوري على الخطوة بالمثل وفوراً، وهذا ما حدث. وفي البيان الدباغي نقرأ الآتي: "إن مجلس الوزراء قرر مطالبة الحكومة السورية بتسليم محمد يونس الأحمد وسطام فرحان لدورهما المباشر في تنفيذ العملية الإرهابية وأن وزارة الخارجية ستطالب الحكومة السورية بتسليم جميع المطلوبين قضائياً ممن ارتكبوا جرائم قتل وتدمير بحق العراقيين وطرد المنظمات الإرهابية التي تتخذ من سورية مقراً ومنطلقاً للتخطيط للعمليات الإرهابية ضد الشعب العراقي. كما أن مجلس الوزراء قرر إستدعاء السفير العراقي في سورية للتشاور معه في شأن الموضوع وكلف وزارة الخارجية مطالبة مجلس الأمن الدولي بتشكيل محكمة جنائية دولية لمحاكمة مجرمي الحرب الذين خططوا ونفذوا جرائم حرب وجرائم إبادة ضد الإنسانية بحق المدنيين العراقيين والإيعاز إلى وزارتي الداخلية والعدل بتنظيم ملفات استرداد المجرمين المطلوبين عن جرائم الإرهاب".

ردت سوريا على طريقتها وبدرجة أقل سخونة من البيان الاتهامي العراقي الذي بدأ بإستدعاء السفير لينتهي إلى المطالبة بتشكيل محكمة دولية على غرار المحكمة غير المحسوم أمرها بالنسبة إلى جريمة إغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وأبدت إستعدادها لإستقبال وفد يتقصى الحقيقة. وفي هذه الأثناء كان تبادل الاتهامات بين الأطباء العراقية يأخذ مداه وكان "تنظيم القاعدة" الذي تبني الجريمة يتباهى بما فعل ويهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور "لضرب رؤوس الكفر في الحكومة المرتدة".

أما الأكثر إيلاماً فهو أننا لم نجد بين العراقيين والسوريين سعة خير لرأب الصدع. كما لم نجد الأمين العام للجامعة العربية ينتقل إلى "ميدان المعركة السياسية العراقية - السورية" ليصلح بين ذوي الجيرة تاركاً الأمر إلى إيران وتركيا اللتين تنشط كل منهما على طريقتها لخطف سوريا من خيمتها العربية وفي وقت تواصل الإدارة الأميركية من جانبها وبمؤازرة بعض الأوروبيين

العمل على إستمالة هذه الحسنة الغالي كثيراً مَهَرَهَا. ونصل إلى الأكثر إثارة في الأمر وهو أن هذا التباغض المستجد بين سوريا الأسد وابن بشار والعراق المتعدد الرؤوس حالياً، هو في بعض جوانبه مثل التباغض الذي حدث بين سوريا الأسد الأب وعراق صدام حسين. بدأ المشهد بلقاء على مستوى القمة في بغداد بين الرئيسين حافظ الأسد وأحمد حسن البكر وتم بين الشقيقتين البعثيتين بعد محادثات معمقة من 16 إلى 19 يونيو/ حزيران 1979 التوصل إلى "ميثاق للعمل المشترك" و"قيادة سياسية موحدة للقطين" وإقترح كل منهما التسمية التي يراها للدولة الموحدة الجديدة حيث إقترح الرئيس حافظ الأسد إسم "الجمهورية العربية المتحدة" لإحياء وحدة 1958 (المقصوفة من الكُزْبَرِيَّة) بين سورية ومصر ووافق الجانب العراقي على التسمية رغم أن الرجل القوي في النظام صدام حسين أو "السيد النائب" كان يفضل تسمية "الدولة العربية الاتحادية". ثم يحدث فجأة اكتشاف "مؤامرة تقف سورية وراءها" كانت وفق الاتهام العراقي تعمل على الحؤول دون تسلم صدام حسين المسؤولية الكاملة في الحزب والدولة ويتم إعدام عدد من القياديين البعثيين البارزين والمخلصين ببنادق رفاق لهم بتوجيه من صدام حسين الذي بات الحاكم المطلق الذي لا راداً لمشيتته، والذي عين بعض أعضاء "مجلس قيادة الثورة" لمحاكمة أعضاء في هذا المجلس. والتهمة هي: "التآمر" مع سوريا ضده. وبعد تلك المحاكمة والإعدامات من حيث السرعة والأسلوب بدأت صورة صدام تبتهت في النفوس وانقطعت العلاقات بين البعث السوري والبعث العراقي. ثم تغير العراق وأعيدت العلاقات إنما لبضعة أيام وربما إلى قطيعة جديدة من ثلاثين سنة أخرى، الله أعلم.. خصوصاً في حال أصر العراق المالكي لغرض في نفس إيران التي لم يكتمل ثأرها من العراق الصدامي على أن تسلم سورية البشارية البعثية رفيقي العقيدة الأحمد وسطام اللذين مع كثيرين وجدوا الملاذ في البيت الذي يحميهم وليس من شيم الرفيق الحامي أن يسلم رأس الرفيق طالب الحماية إلى من يبغي قطعاً للرأس. وهكذا، كما التاريخ فإن التباغض يعيد نفسه... وبالذات بين العراق وسوريا.

سورية والعراق: التباغض يعيد نفسه
عندما إنتهت الزيارة القصيرة التي قام بها رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي إلى دمشق يوم الثلاثاء

18 أغسطس/ آب 2009 بإعلانه مع زميله رئيس الحكومة السورية محمد ناجي عطري عن "تأسيس مجلس للتعاون الإستراتيجي عالي المستوى" إستوقعنا نحن الذين نتابع ايقاعات التحول البشّاري المتأني وفّق الحرص ألا تأتي التوازنات على حساب الثوابت، هذه السرعة في الإتفاق، ووجدنا أنفسنا نتساءل: هل إقتنع الرئيس بشّار الأسد، عندما أجرى جلسة محادثات صريحة مع الرئيس المالكي قبل أن يوجّه بعقد المؤتمر الصحافي للإعلان عن الإتفاق بقول المالكي "إن العراق صاحب سيادة الآن وأن الإنسحاب العسكري الأميركي يجري وفق توقيت ملتزم"، أم أن الرئيس السوري إعتبر كلام رئيس الوزراء العراقي نوعاً من التمني لحالة وليس تأكيداً بحصولها. لكن في أي حال تم الإتفاق مع المالكي على إنشاء "المجلس الإستراتيجي" المشار إليه من منطلق انه إذا كان العراق لم يصبح سيداً بالكامل فإن الإتفاق ربما يساعده على ذلك. وإذا كان التشاور بين البلدين يتم حتى الآن على قاعدة تشاور أهل الحوار وعلى أرضية من الحذر المتبادل فإن "المجلس الإستراتيجي" ربما يعطي ثقلًا للعراق يساعده أكثر على تحقيق الإنسحاب ويشجع أطرافاً عربية أساسية على التعاون مع "العراق السيد".

مقومات التعاون إستراتيجياً بين سوريا والعراق كثيرة. فهناك الأمن والغاز والنفط والتجارة والفرات والعشيرة إضافة إلى ذوي القربى عن طريق المصاهرة، وكلا البلدين في أشد الحاجة إلى الآخر. ثم هنالك النقطة الأهم وهي أن الحساسيات الحزبية ليست قائمة حيث حزب "البعث" يحكم سوريا وحيداً حتى إشعار آخر بينما الأحزاب المتصارعة عدا "البعث"، المعمول من جانب إيرانيي الهوى على إجتثاثه، تتحكم بالعراق. وإذن فإن التعاون في إطار "إتفاق إستراتيجي" يبقى أكثر راحة بال من إتفاق وحدوي أو إتحادي بين دولتين محكومتين بحزب ذي عقيدة واحدة وتعقيدات كثيرة على مستوى التعامل بين صاحبي الحل والربط كما الحال قبل ثلاثين سنة بين الرئيس حافظ الأسد والرئيس صدام حسين.

هنا، وبعدها كان المالكي من جهة وعطري من جهة مقابلة أشاعا أجواء أخوية طيبة من خلال الكلام السياسي الرومنسي عن "العراق الظهير للأمة" و"ما يصيب العراق يصيب سوريا" وخلاف ذلك من طيّب الكلام الذي يتوق الشعبان في سوريا والعراق إلى تنفيذ

مضامينه، توجّه الرئيس بشّار إلى طهران في زيارة قصيرة هي الأخرى، لكي يهنئ الرئيس محمود أحمدي نجاد بإنجائه من براثن "إنتفاضة الإصلاحيين" عليه وعلى والده الروحي آية الله علي خامنئي. وهناك كرر إخواننا أهل الحكم الإيراني، الذين إستقرت أحوالهم نسبياً، على الرئيس بشّار فكرة حلف أخوي يضم إيران والعراق وتركيا وسوريا. ونلاحظ أن مفاجأة لم تكن في الحسبان "أهديت إليه" بعد عودته من طهران غير مرحّب بطبيعة الحال بهذه الخطة التطويقية للأشقاء العرب من جهة وللأوروبيين من جهة أخرى يتم عرضها عليه في وقت يسعى من أجل الانطلاق بسوريا نحو مرحلة من الاستقرار الذي يحقق التسوية المضمونة دولياً ويحقق السلام تبعاً لذلك حالة من الإزدهار عن طريق جذب المزيد من الإستثمارات العربية والأجنبية تُغني النظام عن الاستئجار مكرهاً ومضطراً، وهذا ما استنتجناه من قول المستشارة السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية الدكتورة بثينة شعبان بعد جولة محادثات أجراها المبعوث الرئاسي الأميركي جورج ميتشيل مع الرئيس بشّار يوم الأحد 26-7-2009 "إن ميتشيل أجرى محادثات إيجابية وبناءة مع الرئيس الأسد. هنالك حوار بدأ بين سوريا والولايات المتحدة نعتقد أنه سيستمر وستكون نتائجه إيجابية على المديين المتوسط والبعيد".

كانت "الهدية" إلى الأسد الابن من العراق شبيهة بـ "هدية" الرئيس صدام حسين إلى الأسد الأب عام 1979 والتي جاءت بعد إتفاق إستراتيجي آخر.. إنما في إطار وحدة قوى الحزب الواحد.

تمثّلت "الهدية" إلى الرئيس بشّار من العراق المالكي بإعلان الحكومة العراقية يوم الثلاثاء 25-8-2009 أنها استدعت السفير من دمشق علاء حسين الجوادي الذي كان الرئيس بشّار تسلّم أوراق إعتماده يوم 16 فبراير/ شباط 2009 وفي الوقت نفسه عين نواف الفارس سفيراً لدى العراق وذلك بعد عودة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة منذ بداية حكم البعث الصدامي وأعيدت خلال زيارة وزير الخارجية السورية وليد المعلم إلى بغداد يوم 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 2006. أما لماذا الإستدعاء المباغت هذا فلأن الرئيس المالكي شخصياً حملّ الحكم السوري مسؤولية أكثر التفجيرات قساوة وإحراجاً للمالكي حدثت يوم الأربعاء 19 آب أي في اليوم التالي لعودة الرجل من الزيارة الإستراتيجية إلى دمشق. ومع أن "دولة

العراق الإسلامية" التي هي الفرع العراقي لتنظيم "القاعدة" أو حسب التسمية البعثية "تنظيم القاعدة - فرع قطر العراق" تبنت التفجيرات المحرّجة إلا أن قرار اتهام كان شبه جاهز وتحديد المسؤول عن هذه التفجيرات التي لم تقتصر الخسارة المادية والبشرية على بضع مئات من القتلى والجرحى وإنما استهدفت وزارة الخارجية ووزارة المالية ووزارة الدفاع ومبنى محافظة بغداد وبعض المقرات في "المنطقة الخضراء" ووصف جيران الخارجية التي يتربع فيها هوشيار زيارى بأن الدوي الذي نتج عن التفجير قرب الخارجية جعلهم يظنون أن قنبلة ذرية انفجرت.

لم يتم الاستدعاء للسفير العراقي لدى سورية من خلال بيان يصدر عن الخارجية وإنما من المتحدث باسم الحكومة علي الدباغ الذي صاغ التصريح بمفردات استهدفت على ما يجوز الافتراض أن يرد الحكم السوري على الخطوة بالمثل وفوراً، وهذا ما حدث. وفي البيان الدباغي نقراً الآتي: "إن مجلس الوزراء قرر مطالبة الحكومة السورية بتسليم محمد يونس الأحمد وسطام فرحان لدورهما المباشر في تنفيذ العملية الإرهابية وأن وزارة الخارجية ستطالب الحكومة السورية بتسليم جميع المطلوبين قضائياً ممن ارتكبوا جرائم قتل وتدمير بحق العراقيين وطرد المنظمات الإرهابية التي تتخذ من سورية مقراً ومنطلقاً للتخطيط للعمليات الإرهابية ضد الشعب العراقي. كما أن مجلس الوزراء قرر استدعاء السفير العراقي في سورية للتشاور معه في شأن الموضوع وكلف وزارة الخارجية مطالبة مجلس الأمن الدولي بتشكيل محكمة جنائية دولية لمحاكمة مجرمي الحرب الذين خططوا ونفذوا جرائم حرب وجرائم إبادة ضد الإنسانية بحق المدنيين العراقيين والإيعاز إلى وزارتي الداخلية والعدل بتنظيم ملفات إسترداد المجرمين المطلوبين عن جرائم الإرهاب".

ردت سوريا على طريقتها وبدرجة أقل سخونة من البيان الاتهامي العراقي الذي بدأ باستدعاء السفير لينتهي إلى المطالبة بتشكيل محكمة دولية على غرار المحكمة غير المحسوم أمرها بالنسبة إلى جريمة إغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وأبدت استعدادها لإستقبال وفد يتقصى الحقيقة. وفي هذه الأثناء كان تبادل الاتهامات بين الأطياف العراقية يأخذ مداه وكان "تنظيم القاعدة" الذي تبنت الجريمة يتباهى بما فعل ويهدد

بالويل والشبور وعظائم الأمور "لضرب رؤوس الكفر في الحكومة المرتدة".

أما الأكثر إيلاماً فهو أننا لم نجد بين العراقيين والسوريين سعة خير لرأب الصدع. كما لم نجد الأمين العام للجامعة العربية ينتقل إلى "ميدان المعركة السياسية العراقية - السورية" ليصلح بين ذوي الجيرة تاركاً الأمر إلى إيران وتركيا اللتين تتشبط كل منهما على طريقتها لخطف سوريا من خيمتها العربية وفي وقت تواصل الإدارة الأميركية من جانبها وبمؤازرة بعض الأوروبيين العمل على إستمالة هذه الحساء الغالي كثيراً مَهْزَها.

ونصل إلى الأكثر إثارة في الأمر وهو أن هذا التباغض المستجد بين سوريا الأسد وابن بشار والعراق المتعدد الرؤوس حالياً، هو في بعض جوانبه مثل التباغض الذي حدث بين سوريا الأسد الأب وعراق صدام حسين. بدأ المشهد بلقاء على مستوى القمة في بغداد بين الرئيسين حافظ الأسد وأحمد حسن البكر وتم بين الشقيقتين البعثيتين بعد محادثات معمّمة من 16 إلى 19 يونيو/ حزيران 1979 التوصل إلى "ميثاق للعمل المشترك" و"قيادة سياسية موحدة للقطرين" وإقترح كل منهما التسمية التي يراها للدولة الموحدة الجديدة حيث إقترح الرئيس حافظ الأسد إسم "الجمهورية العربية المتحدة" لإحياء وحدة 1958 (المقصوفة من الكُزْبَرِيَّة) بين سورية ومصر ووافق الجانب العراقي على التسمية رغم أن الرجل القوي في النظام صدام حسين أو "السيد النائب" كان يُفضل تسمية "الدولة العربية الاتحادية". ثم يحدث فجأة إكتشاف "مؤامرة تقف سوريا وراءها" كانت وفق الاتهام العراقي تعمل على الحؤول دون تسلّم صدام حسين المسؤولية الكاملة في الحزب والدولة ويتم إعدام عدد من القياديين البعثيين البارزين والمخلصين ببنادق رفاق لهم بتوجيه من صدام حسين الذي بات الحاكم المطلق الذي لا رادّ لمشئته، والذي عيّن بعض أعضاء "مجلس قيادة الثورة" لمحاكمة أعضاء في هذا المجلس. والتهمة هي: "التآمر" مع سوريا ضده. وبعد تلك المحاكمة والإعدامات من حيث السرعة والأسلوب بدأت صورة صدام تبهت في النفوس وإنقطعت العلاقات بين البعث السوري والبعث العراقي. ثم تغير العراق وأعيدت العلاقات إنما لبضعة أيام وربما إلى قطيعة جديدة من ثلاثين سنة أخرى، الله أعلم.. خصوصاً في حال أصر العراق المالكي لغرض في نفس إيران التي لم يكتمل

ثأرها من العراق الصّدّامي على أن تُسلّم سوريا البشّارية البعثية رفيقي العقيدة الأحمد وسطّام اللذين مع كثيرين وجدوا الملاذ في البيت الذي يحميمهم وليس من شيم الرفيق الحامي أن يسلم رأس الرفيق طالب الحماية إلى من يبغى قطعاً للرأس. وهكذا، كما التاريخ فإن التباعد يعيد نفسه... وبالذات بين العراق وسوريا.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الإثنين 7 سبتمبر (أيلول) 2009

* * *

لبنان الديمقراطي... ودكتاتورية التعطيل

من حق العرب وبالذات الخليجيين والمصريين والسوريين الذين بات الحريري الإبن سعد الدين جزءاً من إهتمامهم مثل الذي كانت عليه حال الحريري الأب الرئيس الشهيد رفيق الحريري، أن يعرفوا لماذا تيسر أمر التروؤس للمرة الأولى للأب قبل سبع عشرة سنة ولماذا تعثرت محاولة التروؤس الأولى للإبن فوصل بعد معاناة دامت ثلاثة وسبعين يوماً إلى أن يعتذر عن محاولة التشكيل ما دامت الصيغة التشاورية التي انتهى إليها لم تلق القبول من الطيف الذي يتحرك وفق ثارات من الواقع الذي إنتهت إليه الإنتخابات النيابية.

في زمن حكومة الحريري الأب كان رئيس الجمهورية هو المرحوم الياس الهراوي الرئيس الأول الذي لم يشمله العقاب الذي أنزل في حق النائب رينيه معوض الذي إستقر عليه التوافق العربي/ الدولي ليكون هو الرئيس الأول للجمهورية بموجب إتفاق الطائف وتم إنتخابه في القاعدة العسكرية الجوية في بلدة القليعات شمال لبنان يوم الأحد 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1989. لكن تبين أن في هذا التوافق ثغرة ما، ذلك أنه تمت تصفية الرجل على نحو تصفية الحريري الأب يوم الإثنين 14 فبراير/ شباط 2005. وعلى رغم فداحة الخسارة التي تتساوى مع فداحة خسارة مارونية أخرى كانت قد سبقتها وتمثلت بإغتيال النجم الأكثر سطوعاً في حرب الخمس عشرة سنة التي إكتوى بنيرانها لبنان، الرئيس بشير الجميل الذي جرى إنتخابه في المدرسة الحربية يوم 23 أغسطس/ آب 1982 لكنه نال من الرئاسة جلسة الإنتخاب من دون أن يتمكن من أداء القسم وذلك نتيجة

إغتياله أيضاً على نحو إغتيال رينيه معوض ثم رفيق الحريري بعد ذلك. وجاء الإغتيال بالنسبة إلى بشير الجميل يستبق جلسة للبرلمان كان من المقرر عقدها يوم 23 سبتمبر/ أيلول 1982 من أجل أداء اليمين الدستورية. وقد يكون تسريب نص الخطاب الذي أعده لإلقائه في الجلسة أحد أسباب تصفية الرجل الذي إبتهج الرئيس السلف الياس سركيس بعد إعلان إنتخابه في البرلمان بأصوات 57 نائباً من أصل 62 حضروا الجلسة بعد تأخير لإفتتاحها ساعتين ونصف الساعة لإحضار النواب على طريقة إحضار زهير محسن زعيم منظمة الصاعقة (الفلسطينية الموالية للحكم السوري) النواب قبل ثلاث ساعات من عقد جلسة إنتخاب الياس سركيس يوم السبت 8 مايو/ أيار 1976. وعندما نستحضر بعض مضامين ذلك الخطاب تتضح لنا دواعي تصفية الرجل داخل مكتب الحزب الذي أدار منه الحرب ضد الوجود الفلسطيني والدور السوري. ومن جملة ما ورد في ذلك الخطاب قوله: "لا وصاية ولا إنتداب. لا تبعية وإحتلال. لا ضغط ولا إكراه، وتنتهي مرحلة الإستضعاف. لا تدخّل في شؤون لبنان الداخلية. لا غريب يخرج على القانون. لا طارئ يستوطن البلاد. لا فروع لأحزاب مستوردة. لا أمن مستعار. إن كل القوات الغربية الموجودة داخل الأراضي اللبنانية مدعوة إلى الإنسحاب ليتولى الجيش اللبناني بمعاونة أجهزة الأمن اللبنانية بشط سلطة الدولة وتوفير الأمن على طول حدود الوطن بحيث تكون حدودنا مصدر طمأنينة وسياج سلام لجيراننا ومظهر سيادة لإستقلالنا...". وهذا الكلام كان الرئيس السلف الياس سركيس هو ما يتمنى لو يستطيع قوله ولعله من أجل ذلك لم يُخف إبتهاجه عندما أبلغ بنتيجة إنتخاب بشير الجميل فقال: "من كان يصدّق. بشير الجميل رئيس للجمهورية ويأسر عرفات على وشك مغادرة بيروت. الله أكبر. لقد نجا لبنان. إنها معجزة". لكن قراءة سركيس للأمر خالفت قوله هذا ذلك أن المعجزة لم تحدث، وها هو لبنان غارق في خضم الإرتباكات.

ما جرى بعد إغتيال بشير الجميل وتعويض العائلة وما تمثّل مسيحياً وإقليمياً بإنتخاب شقيقه أمين رئيساً للجمهورية، كان الحكم عبارة أن إدارة أزمة، وكان الرؤساء الثلاثة: رئيس البرلمان ورئيس الحكومة إلى جانب رئيس الجمهورية مجرد مدراء للبنان المريض

المستمر إنهياراً ونزفاً. ثم جاء الحل الواقعي من خلال إتفاق الطائف الذي ما كان لينجز على غير اليد السعودية ونخوة الملك فهد بن عبد العزيز وحوله إخوانه وليّ العهد عبدالله ووزير الدفاع سلطان وأمير الرياض سلمان ووزير الخارجية سعود. وهؤلاء كانوا مثل الطاقم الطبي الذي يقوم بإجراء عملية فصل توأمين. وبالنسبة إلى الموضوع اللبناني كان الأمر أكثر تعقيداً.

بعد الإتفاق في الطائف كان بات لا بد، وقد تمّ انتخاب الياس الهراوي رئيساً للجمهورية، من استكمال عملية تثبيت دعائم الشرعية اللبنانية. وبعد إنتخابات أنجزتها حكومة ترأسها رشيد الصلح الذي أنصف نفسه بالقول في بيان الاستقالة يوم الخميس 15 أكتوبر/ تشرين الأول 1992 "إن من بين إنجازات حكومتي أنها أجرت الإنتخابات النيابية العامة بعد توقّف عن إجراءات إستمر عشرين عاماً، وتمّ ذلك في جو من الحرية والحياد التامين". وبعد خمسة أيام (الثلاثاء 20 أكتوبر) تمّ إنتخاب نبيه بري رئيساً لمجلس النواب بأكثرية 105 أصوات مقابل 14 صوتاً نالها منافسه (شكلياً وليس مبارزة) محمد يوسف بيضون ووُجدت خمس أوراق بيضاء إلى ورقة سادسة اعتُبرت ملغاة. بعد ذلك بدأت التكهّنات حول من سيشكل الحكومة. وهنا بدأ "العصر السياسي الحريري" إذا جازت التسمية وبدأت ظاهرة "الترويك" التي تحكم لبنان. وبعد التشاور وصدور إحياءات من عبد الحليم خدام لمصلحة التكليف طلب الهراوي من رفيق الحريري يوم الخميس 22 أكتوبر تشكيل "حكومة متجانسة ومتضامنة بكل معنى الكلمة وأن تتألف من عناصر توحى بالثقة وبنظافة الكف وبالكفاءة والاختصاص".

لم يلق الحريري الأب مشقة ما دام الضوء الأخضر السوري ساطعاً. وبعد زيارة إلى دمشق يوم الجمعة 30 أكتوبر تشاور خلالها مع خدام في أسماء الوزراء أذاع في اليوم التالي (31 أكتوبر) أسماء أعضاء حكومته والحقائب التي أسندها إلى كل وزير مراعيّاً مسألة الكفاءة مقدّماً للمرة الأولى مستشاره المالي فؤاد السنيورة كوزير دولة محتفظاً بنفسه بوزارة المال إلى جانب رئاسة الحكومة.

بعد سبع عشرة سنة وعقب سنوات من المعاناة عاشها رفيق الحريري الرئيس المعارض، وبلوغ المأساة ذروتها بتفجير موكب الرجل الذي لم يكتمل طموحه في إعمار الوطن تتوالى التطورات والتداعيات ويستأنف

الحريري الإبن سعد الدين المسيرة السياسية ويفوز عن حق بإسناد مهمة تشكيل حكومة معتمداً على أنه قطب الأكثرية النيابية لكن ثقته بالإنجاز كانت أعلى بكثير من درجة إستيعاب واقع الحال السياسي في لبنان، كما أن قراءته لخريطة مراكز القوى وإرتباطاتها لم تأخذ في الإعتبار أنه من دون أن يفعل ما فعله العماد ميشال سليمان قبل أن يتّرس ثم مباشرة بعد التّرس عندما زار دمشق ربما بغرض تهدئة المشاعر السورية التي لم تبرد بعد نتيجة الانسحاب الاضطراري من لبنان وربما كبادرة شكر للرئيس بشار على موقف سوري سابق قضى بتركية سوريا لكي يكون ميشال سليمان وليس أي ضابط ماروني آخر وزيراً للدفاع وبذلك فإنه لولا هذه التركيبة التي لقيت تجاوب الرئيس إميل لحود بطبيعة الحال لما كان للعماد سليمان أن يصبح تلقائياً هو رئيس البلاد.

كان سعد الدين الحريري مطمئناً إلى أن إندفاعه في إتجاه تجديد رئاسة نبيه بري للبرلمان لا بد سيقابله وقفة من جانب الرئيس بري معه. كما كان مطمئناً إلى أن اندفاعه في إتجاه تحقيق الغلبة لترئيس العماد ميشال سليمان لا بد ستقابله وقفة من جانب رئيس الجمهورية معه وفي الحالتين ضمن الأصول الدستورية. وإلى ذلك كان مطمئناً إلى أن خطوطه الأمامية والخلفية عند التشكيل آمنة ومستقرة وبالذات الخط الذي يتولاه الحليف وليد جنبلاط.

على هذا الأساس بدأ التشاور ولم يترك باباً إلاّ وطرقه لكن الصدمات توالى صدمة تلو أخرى. فالذين ظن أنهم سيلتقون حوله إلتقوا عليه. وليد جنبلاط إنتفض من دون سابق تمهيد، نبيه بري صام قلبه مع سعد الدين الحريري لكن حذّره من العماد ميشال عون لا يرقى، مراعاة لـ "حزب الله"، إلى درجة تغليب المشاعر القلبية على مقتضيات التحالف وعلى قاعدة أن ميشال عون حليف لـ "حزب الله" وما دام بري هو شريك السيد حسن نصر الله في زعامة الطائفة الشيعية فإن حليف الشريك يصبح شريكاً معه. ميشال سليمان يوزع المراضاة في أكثر من اتجاه وهكذا إحتّمى سعد الدين الحريري بالدستور الذي هو مع الأسف على هامش المزاج السياسي في لبنان. مكايده من هنا وإستفزاز من هناك وخيبة أمل بالحليف الجنبلاطي الذي وصل إلى مرحلة أنه لم يعد يتحمل نظرة الناس بأنه يسير في موكب سعد الدين الحريري وأنه بالتالي ليس الزعيم السياسي كما

كان عليه والده المرحوم الشهيد كمال جنبلاط وإنما هو فرع من شجرة الزعامة الحيرية.

وفي لحظة يأس من هذا الذي يحدث، وقبل ساعات من إلتقاء التسعات الثلاث: يوم 9 من شهر 9 من عام 2009 توجه إلى المقر الصيفي لرئيس الجمهورية ميشال سليمان وقدم له لائحة بأعضاء الحكومة تتسم بالتشاطر إلا أنها واقعية في حال كانت الأطياف السياسية تريد للبنان حكومة تدير شؤونها قبل أن تقع الفأس على الرأس وربما قبل أن يقتحم فيروس أنفلونزا الخنازير الأكثرية والأقلية على حد سواء.

وإكتشف سعد الدين الحريري أن اعتذاره ليس الأول من نوعه فقد سبقه خلال ثلاثة وخمسين عاماً عدة اعتذارات بدأت عام 1945 بإعتذار رئيس الحكومة المرحوم عبد الحميد كرامي (والد الرئيس الشهيد المرحوم رشيد كرامي والرئيس عمر) وكان آخرها وليس أخيراً عام 1998 عندما إعتذر والده الرئيس رفيق الحريري بسبب مشاكسات ونوايا الرئيس السابق إميل لحود. وبين هذين الإعتذارين كان هنالك إعتذار رئيس الحكومة المرحوم الدكتور أمين الحافظ عام 1973 وتلاه في العام 1974 إعتذار رئيس الحكومة صائب سلام إلى أن جاء الإعتذار السريع للرئيس المكلف نقي الدين الصلح الذي كان الفارق الزمني بين تكليفه وإعتذاره نصف المدة التي إستغرقها تكليف سعد الدين الحريري ثم الإعتذار مباشرة.

ويبقى القول إن ثلاثة أقطاب كان في إستطاعتهم المساعدة على أن تأخذ الصيغة التي انتهى إليها سعد الدين الحريري فرصتها في القبول. لكن حسابات الثلاثة (الرئيس ميشال سليمان والرئيس نبيه بري والأستاذ وليد جنبلاط) كانت تلتقي حول أمر يُقال بصيغة التساؤل: كيف سيشكل سعد الدين الحريري حكومة وهو متردد في أمر التوجه إلى دمشق؟ وهل كان في مقدور والده أن يشكل الحكومة الأولى له في عهد الرئيس الهراوي والتي سبق أن أشرنا إليها لو أنه لم يذهب الجمعة إلى دمشق ليعلن السبب عن الحكومة.

وهكذا فإن سعد الدين الحريري أمام خيارين أحلاهما مر: إما زيارة لا يرتاح لها ضميراً وإما رئاسة تُدرج إسمه في نادي رؤساء الحكومات.

يبقى أيضاً أن لبنان الديمقراطي سيبقى محكوماً بدكتاتورية التعطيل ما لم تقرر الدول الكبرى التداعي

إلى مؤتمر يناقش فيه أمر هذا الوطن وأمر الوطن الفلسطيني المأمول إستتباطه وتتفق هذه الدول على وضع الوطنين الاثنين في خانة الحياد وإدارة دولية سياسية تقيه شرور العصبية التي تكاد تتلف أعصاب الناس. والله الموفق.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 17 سبتمبر (أيلول) 2009

* * *

عبدالله بن عبد العزيز..

وصية الـ 220 سنة

كأنما أراد خادم الحرمين الشريفين أن تكون للعيد الوطني في ذكره السابعة والسبعين نكهة تراثية يستحضر فيها بالكثير من التأمل والتطبيق الوصية التي تركها الوالد المؤسس الملك عبد العزيز طيب الله ثراه لتكون النهج الذي يعتمد عليه الأبناء الملوك من بعده.

عمر الوصية ثلاثة وسبعون عاماً وجاءت كما توضح وثائق وأدبيات حقبة التأسيس بعدما استقر التشاور بين الملك عبد العزيز وكبار القوم على تعديل إسم البلاد التي توحدت ليصبح "المملكة العربية السعودية" بدل "المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها"، وعلى انعقاد مجلس الوكلاء والشورى يوم 11 مايو/ أيار 1933م حيث أبرم قرار مبايعة كبير الأبناء الأمير سعود ولياً للعهد. هنا كان لا بد في نظر الملك عبد العزيز من تحديد معالم الطريق لمن سيصبح من بعده ملكاً ولسائر إخوانه الذين سيتعاقبون على قمة المسؤولية فلا يجتهد الواحد منهم في ما سيفعله ولا يختار في ما يقدمه للناس، وإنما يضعون أمامهم الوصية فهي تلخص المطلوب وتنتهي عما من شأنه حدوث إرتباك. بل إن الوصية هي البنيان مع إبقاء الهامش على درجة من الرحابة للملك الإبن الذي سيثري بما يؤتيه الله عز وجل من عزيمة وبما يبقى ضميره مرتاحاً تجاه الله الذي أعطى والوالد الذي أسس والشعب الذي ساعد وإرتضى.

الوصية موضوع مقالنا عبارة عن برقية من مئتين وعشرين كلمة بعث بها الوالد المؤسس الملك عبد العزيز إلى ولي العهد الأول الأمير سعود وجاءت كما لو أنها

بالتقليد المتبع في العالم الحديث للحكم والحكام والحكومات كتاب التكليف يسير المكلف في هديه فينجح، أو لا يأخذ به فيكابد نتيجة ذلك متاعب الإخفاق.

لقد أبلى الملوك الأبناء الذين رحلوا رحمة الله عليهم سعود وفيصل وخالد وفهد ما استطاعوا ووفق مضمون الوصية. ولكن الظروف العربية والإقليمية والدولية والتداعيات الناشئة عن حروب ومواجهات وصراعات أحدثت الكثير من التريث في أمور عالقة في الأصل، وفي إهتمامات تنموية مرجأة. وعندما بويع عبدالله بن عبد العزيز وجد أن عامل الوقت والقدرات الصحية هو ما يجب مواجهة المؤجلات على أنواعها به. وعند التأمل في طبيعة حركته منذ الأسابيع القليلة الأولى لتوليته نراه واضعاً أمامه، أو فلنقل مبرمجاً لمضامين وصية الوالد المؤسس منفذاً بهمة عالية ما حوته الوصية من واجبات يؤديها من يأتي دوره للقيادة محاولاً على ما يجوز القول إن يأتي التنفيذ سريعاً وفي منأى عن التسرع، وتلك إحدى صفات عبدالله بن عبد العزيز القيادية.

في الوصية ذات المئتين وعشرين كلمة يطلب الملك المؤسس عبد العزيز من الإبن الثاني ولي العهد سعود، ومن دون أن يغيب عن خاطره طيف الإبن الأول تركي (الذي توفي من جملة آلاف قضت عليهم أنفلونزا حادة من بينهم الزوجة التي كانت ساكنة قلب الملك عبد العزيز وهي الأميرة الجوهرة والدة الملك خالد الذي بويع خلفاً للملك الشهيد فيصل) الآتي: "تفهم أننا نحن والناس جميعاً، ما تُعزّز أحداً ولا نُذل أحداً، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى. من التجأ إليه نجا ومن إغترّ بغيره (عياذ الله) وقع وهلك. موقفك اليوم غير موقفك بالأمس. ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور: أولاً - نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله. وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك. فعد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة. وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة ولا يصح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه. ثانياً - عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سرّاً وعلانية والعدل في

المحب والمبغض وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً. وينبغي ألا تأخذك في الله لومة لائم. ثالثاً - عليك أن تتظر في أمر المسلمين عامة وفي أمر أسرتك خاصة. إجعل كبيرهم والداً ومتوسّطهم أماً وصغيرهم ولداً، وهن نفسك لرضاهم وإمخ زلهم وأقل عثرتهم وانصح لهم وإقضي لوازمهم بقدر إمكانك. فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فأبشر بالخير. أوصيك بعلماء المسلمين خيراً. إحرص على توقيهرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم. وإحرص على تعليم العلم ومعرفة هذه العقيدة. إحفظ الله يحفظك. هذه مقدمة نصيحتي إليك والباقي يصلك إن شاء الله في غيره هذا...".

عندما نستحضر، ومنذ الأسابيع الأولى لمبايعة ملكاً ومبايعة أخيه الأمير سلطان ولياً للعهد، الحركة الدؤوبة داخلياً وعربياً وإقليمياً ودولياً بدءاً بإقتحامه أبعد البوابات الآسيوية الصين التي زارها ضمن جولة شملت الهند وباكستان وماليزيا ثم الخطوة الداخلية الأكثر أهمية والمتمثلة بإستحداث "هيئة البيعة" ثم إستصدار اللائحة التنظيمية لهذه الهيئة، فالحضور الدولي ممثلاً للأمتين العربية والإسلامية في قمة العشرين ونقرأ ما قاله في هذه المناسبات نجد أنفسنا نراه مستحضرًا دائماً مضمون وصية الوالد المؤسس. وعندما نتأمل في قلقه من إستمرار صراع أبناء القضية الفلسطينية وكيف ترجم هذا القلق إلى محاولة تاريخية تمثلت بقمة الشقيقتين المتخاصمتين الأخ الفتاوي والأخ الحمساوي في مكة المكرمة يأخذها شخصياً على عاتقه من حيث الرعاية والإكثار من التمنيات وإلى حد أن الشقيقتين أقسما على المصحف الشريف في لقاءهما معه بأنهما طويا صفحة الصراع، نجده في ذلك ينفذ الوصية خير تنفيذ. إما أن ينكت الشقيقتان الوعد وهما اللذان أقسما اليمين على كتاب الله، فإنه على رغم غلاظة قلبيهما أبقى على الجانب الفلسطيني من قلبه يخفق حرصاً عليهما فلا يترك جلسة لمجلس الوزراء إلا ويتمنى عليهما التنبه إلى فوضى سلوكيهما. كما أنه عندما عقدت حركة "فتح" مؤتمرها العام أطلق نداءه الداعي إلى التوافق موضحاً في مضمون ندائه الطيب هذا انه لا يميز بين فلسطيني وفلسطيني، أي بين هذا من "فتح" وذاك من "حماس" إلا من حيث التعقل والتنبه إلى أنه حتى إذا إتفق العالم على حل القضية الفلسطينية فإن الحل مع إستمرار هذا

الصراع سيتلاشى ويستفيد العدو منه.

وإلى قلقه هذا هناك قلقه من إستمرار الخلافات في الصف العربي والتي لولا وصفة التسامح التي أطلقها من اليوم الأول لإنعقاد القمة الإقتصادية العربية في الكويت لكانت الحال العربية أسوأ بكثير مما كانت عليه. ولكنها الوصية وبالذات عبارة "إجعل كبيرهم والداً ومتوسّطهم أحاً وصغيرهم ولداً، وهن نفسك لرضاهم وإمخ زلهم وأقل عثرتهم وانصح لهم وإقض لوازمهم بقدر إمكانك" جعلت عبد الله بن عبد العزيز يتعالى عن إساءات ويمحو زلات لسان ولا يتأخر في علاج عثرات. وعندما يجب كل مناطق المملكة ويخص كل منطقة باحتياجات وتطوير مع تركيز على استحداث صناعات ومشاريع إنتاجية، بل ويعقد في نجران، التي كما سائر مناطق المملكة قلقه من الذي يحدث في اليمن، جلسة لمجلس الوزراء وتلك لفئة غير مطروقة جعلت أبناء المنطقة يشعرون بإعتزاز ما دامت جلسة مجلس الوزراء وبرئاسة مليكهم لم تعد تقتصر على الرياض وجدة والطائف وأحياناً المنطقة الشرقية، وإنما ها هي نجران المنسية أيضاً تستضيف جلسة كما المدن الكبرى... انه عندما يفعل ذلك ويتوج عملية التطوير للمناطق بـ "جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية" التي هي هدية المملكة إلى مجتمع العلم والمعرفة والتكنولوجيا للسعوديين وإخوانهم العرب والمسلمين ومن الجنسين، في الذكرى السابعة والسبعين للعيد الوطني فإنه بهذه الهدية ينقذ في الألفية الثالثة وصية الوالد قبل ثلاث وسبعين سنة التي اختصرها طيب الله ثراه بعبارة "إحرص على تعليم العلم".

وعندما يفقد الملك عبد الله بن عبد العزيز الحضور البهي لأخيه ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز فيجعل من إجازته مناسبة لكي يتفقه ويطمئن عليه وهو في مرحلة التعافي في أغادير محاطاً بأمر العائلة سلمان بن عبد العزيز ويخف بعد ذلك معظم الاخوة والأبناء لكي يطمئنوا، الإخوة على الأخ والأبناء على العم والأحفاد على الجد، ويخف إلى هؤلاء كبار القوم العربي عموماً والخليجي خصوصاً، وبذلك لم تعد هذه الإطلاقات على ولي العهد ذات طابع تفقدي وإنما هي للاشتياق إليه... إن الملك عبد الله عندما يضيف هذه اللمسة الأخوية على ولي العهد في مرحلة تعافيه، فإنه بذلك يسجل أمثلة في التألف تتسجم مع الروحية العامة

للوصية.

وأما عندما يلبي الإحتياجات وينظر في أحوال الناس ويدأوي الصدمة الناشئة عن محاولة إغتيال الأمير محمد بن نايف بزيارته في المستشفى ويشد على يده من أجل الإبقاء على صفحة التسامح مفتوحة لا تُطوى نتيجة العملية الغادرة، ويُرفق شد اليد بتوسيم صدر الأمير الشاب بوشاح يحمل إسم جده الملك المؤسس، فإنه بذلك كمن يضيف إلى وصية الوالد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه العبارة التي وردت في كلام أطلقه من قصر الصفا في مكة المكرمة يوم الأربعاء 16 سبتمبر/ أيلول 2009 ومفادها أن العفو هو العلاج حتى إذا تباطأ الغادرون في إستيعاب رسالة التسامح وأن الذي يحمي عقول الشباب من التيارات المضلّة هو في "إستراتيجية وطنية تمكّن الشباب من التعرف على الطريق الصحيح نحو العمل والتنمية وتثير عقولهم بقيم الوسطية والتسامح والإخاء التي يدعو لها ديننا الإسلامي الحنيف وتحميهم من الإنجراف وراء التيارات الفكرية المضلّة التي لا تريد لهذا الوطن الخير ولا الاستقرار وتحاول السيطرة على عقول بعض الشباب لثنيهم عن الدور المنشود منهم في مجال البناء والتنمية". هذا بعض ما أعنيه من النكهة التراثية لمناسبة استحضاري الوصية ذات المئتين وعشرين كلمة لمناسبة العيد الوطني السابع والسبعين.

أعاده الله على أصحاب العيد بالخير. وأقول أصحاب على أساس انه عيد كل العرب والمسلمين وليس فقط عيد السعودية.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 22 سبتمبر (أيلول) 2009

* * *

سلطان التهذئة والتوازن والباب المفتوح

نستحضر ونحن نتابع منذ أيام اللهجة الإيرانية في مخاطبة المجتمع الدولي وكيف بدل أن يهدئ آية الله خامنئي بصفة كونه المرشد من حدة خطاب الرئيس محمود أحمدي نجاد الخارج من معركة الإنتخابات أقل شأنًا لكنه أكثر تشددًا، فإنه يرمي في الموقد النجادي المشتعل المزيد من الحطب، الأسلوب الذي كان في

إستمرار يعتمد على الأمير سلطان بن عبد العزيز عندما كان وزيراً للدفاع ثم بعد مبايعته ولياً للعهد في التعاطي مع الأزمات وما أكثرها تعصف بالمنطقة. ففي كل أزمة يتسبب بنشوتها عن سابق تصور وتصميم فرد مستكبر من محتكري القرار في نظام ما، كنا نجد سلطان بن عبد العزيز يرفع الصوت هادئاً وناصحاً فيقول ما معناه إنه لا يجوز أبداً أن يُترك لفرد أن يلعب ويناهض آراء العالم. كذلك نراه دائم الخشية من أن يتسبب هذا الفرد في فرض حالة تؤسس لمخطط استنزاف للقدرات العربية. وهذه الخشية تجعلنا أيضاً نستحضر الجهد الذي بذله شخصياً في زمن المحنة الكبرى التي واجهتها الأمة نتيجة الاجتياح الصدامي للكويت يوم الخميس 2 أغسطس (آب) 1990 وكيف أن الأمير سلطان تمنى لو أن تصحيح الخطأ يتم على وجه السرعة، وفي ضوء التصحيح الذي هو إنسحاب القوات العراقية من الكويت يمكن للصدمة أن تعالج بالاعتذار. ولكن العناد والمكابرة وعدم التبصر في ما يمكن أن تنتهي إليه المغامرة وقفت حائلاً دون أن يأخذ الجهد طريقه إلى نقطة معالجة الحالة المستجدة على الأمة، إذ ليس هناك ما يبرر لا بفعل أزمة طارئة حول حقل نفطي ولا بذريعة الحق التاريخي أن تجتاح قوات دولة عربية أرض دولة عربية جارة وتتعامل معها على نحو التعامل الذي لقيته الكويت من العراق الصدامي. وكان الإستنزاف المتواصل إلى الآن.

في هذه الأيام تعيش المنطقة حالة مماثلة في بعض جوانبها لحالة يوم الثاني من أغسطس 1990، حيث إن إيران النجادية ومن شعور يصعب تفسيره بالعظمة تنشط من أجل إستيلاء حالة استنزاف جديدة. وإذا كانت الحالة الأولى حدثت في زمن كان الخير كثيراً فإن الحالة التي تستجد تحدث في زمن أزمة مالية تعصف بالكبار قبل الصغار من دول العالم، وفي زمن تحتاج فيه الأمة إلى الإنفاق على التنمية والعلم والصحة والزراعة وتحلية المياه، وهي من الأمور التي كانت في إستمرار موضع إهتمام الأمير سلطان الذي حقق توازناً ملحوظاً بين المسؤولية الدفاعية والمسؤولية الاجتماعية والصحية والثقافية من جهة ومسؤولية الحرص على إبقاء العلاقة العربية - العربية في دائرة التوافق السياسي الذي هو توأم التراحم العائلي، وإبقاء علاقة الأمتين العربية والإسلامية مع المجتمع الدولي في دائرة التواصل

الإيجابي. ولهذا التوجه عند الأمير سلطان الوزير ثم ولي العهد "كلمة السر"، إذا جاز القول، المتمثلة بإبتسامة قلَّ نظيرها بين أهل القرار العربي والدولي الذين ربما يرون في تقطيب الوجه ما يؤكد قوة الشخصية في حين أن ثقة "أبو خالد" بنفسه تجعله يحرص على هذه الابتسامة حتى في أخرج الظروف عندما كان يجادل بالمنطق المسؤولين الأميركيين والبريطانيين والفرنسيين عندما يزورهم أو يستقبلهم في ديوانه في الرياض في بنود "الأجندة السلطانية" التي في إستمرار تبدأ بالقدس كي لا تغيب عن ذاكرة أهل القرار في الدول الكبرى الثلاث ويأخذ كل منهم في الإعتبار سواء كان سينصرف أو سيجدد الولاية بضع سنوات أخرى أن مسألة القدس لا تتحمل عدم اكتراث دولي بها. وهؤلاء تأكد لهم ذلك منذ واقعة الملك فيصل رحمة الله عليه مع ثعلب الدبلوماسية الأميركية الدكتور هنري كيسينجر الذي خاطب فيصل بن عبد العزيز بمفردات ثعلبية مأكرة فجاءه الجواب بلغة الملك عبد العزيز وكيف كان حديثه مع أهل القرار الأميركي والبريطاني في زمانه أمثال روزفلت وتشيرشل. ومن باب التذكير نشير إلى تلك الواقعة وعلى نحو ما سمعناها من الأمير خالد الفيصل أمير مكة المكرمة، التي جرت على النحو الآتي: إنقى كيسينجر وزير الخارجية الأميركية مع الملك فيصل في جدة بعد حرب 1973 متطلعا إلى الحصول من العاهل السعودي على قرار بعدم وقف ضخ النفط. ولاحظ كيسينجر أن الملك فيصل متجهم الوجه فخاطبه مداعباً: إن طائرتي تقف هامة في مطار جدة بسبب نفاذ الوقود فهل تأمرون جلالكم بملئها وأنا مستعد للدفع بالأسعار الحرة. ولم يبتسم الملك فيصل بل رفع رأسه نحو كيسينجر وقال له: أنا رجل طاعن في السن وأمنيتي أن أصلي ركعتين في المسجد الأقصى قبل أن أموت فهل تساعدني على تحقيق هذه الأمنية؟

تلك هي الواقعة التي من الجائز الافتراض إنها كانت من جملة أسباب دفعت بالأشهر إلى ترتيب عملية إغتيال الملك فيصل. أما بقية الأسباب فهي أن المغفور له حقق في تاريخ العلاقات العربية المتأزمة حالة صفاء أوصلت الأمة إلى مشارف الصمود بعدما كادت تصل إلى حافة الهاوية، وهذا الصفاء حدث في القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم صيف 1967 وكان فيصل بن عبد العزيز بتجاوزه الخلاف المستحکم

مع الرئيس عبد الناصر يساعد في استيلاء اللاءات الثلاث، وأعان مصر على النهوض من كبوة الخامس من يونيو 1967 وبذلك قوت على الصهيونية فرصة تحقيق المخطط الجهنمي والذي تلخصه مقولة "من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل".

وبعد هذه الواقعة لم تعد سياسة المكر على طريقة كيسينجر قائمة وإن كانت السياسة البديلة لا ترقى إلى مستوى طموح القيادة السعودية التي طالما سعت لتكون أميركا أكثر التزاماً بالعهد وتنفيذاً للوعد منذ أيام الملك فيصل ثم بعد رحيله ومبايعة أخيه خالد ملكاً وكذلك في سنوات الملك فهد رحمة الله عليهم وصولاً إلى ما نعيشه اليوم حيث التعهد الأميركي على المحك وصنق النوايا الأميركية قيد الاختبار. وطوال سنوات الملوك الثلاثة الراحلين ومع ولايته لعهد أخيه الملك عبدالله أطال الله عمر الإثنتين بقيت "الأجنحة السلطانية" على حالها وبقيت وقائع التعاطي مع المملكة كصاحبة حق في امتلاك قوة عسكرية تحميها وليس لتهديد الآخرين بها على الوثيرة نفسها منذ ذلك اللقاء التاريخي في باريس الذي إنلقى خلاله الملك فيصل بالرئيس شارل ديغول قبل تسع وثلاثين سنة، وكان الأمير سلطان كوزير للدفاع برفقة أخيه الملك بينما رئيس الوزراء زمنذاك (الرئيس بعد ذلك) جورج بومبيدو ووزير الدفاع الفرنسي مسمير يشاركان الجنرال ديغول اللقاء الذي دام أربع ساعات وهو ما لم يستغرقه لقاء بهذا الطول بين رئيسي دولة. ويوم انعقاد الاجتماع كانت أحوال الأمة غير سارة على الإطلاق لكن الرئيس الفرنسي كان من الشفافية بمكان خصوصاً انه صاحب الموقف الشهير وخلصته أن فرنسا في موضوع الأزمة الحادة بين مصر وإسرائيل ستكون إلى جانب المعتدى عليه. وبالفعل كانت كذلك: وللتمييز بين ثعلبة كيسينجر ومبدئية ديغول نشير إلى واقعة سمعناها من الأمير سلطان وخلصتها أن الرئيس الفرنسي وبعدما كان أصغى بإهتمام إلى حديث الملك فيصل والعرض الذي لخصه الأمير سلطان في شأن الاحتياجات العسكرية قال وهو يودع الملك على باب القصر، مخاطباً وزير الدفاع مسمير: نفذ ما يريده منك وزير الدفاع السعودي.

يحتاج الحديث حول ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى صفحات فهو كتاب متعدد الفصول. لكن الحال الصعبة التي تواجهها القضية الفلسطينية وما

يحاك من الأعياب دولية متصهينة في شأن القدس والحالة الأصعب الناشئة عن مزاج الفرد الواحد الذي هو الرئيس الجار محمود أمحمدي نجاد وإصراره على مناهضة المجتمع الدولي ولو إنتهى الأمر إلى عودة إستتزاز الأمتين من جديد، تجعلنا ونحن نعيش وهج ذكرى جديدة لليوم الوطني نستحضر في مقالة سلطان التهدة والباب المفتوح والتوازن في المسؤوليات المدنية والعسكرية والحاضر في وجدان الجميع سواء وهو في رحلة العلاج أو مرحلة النقاهة أو على أرض الوطن. أطال الله عمره وأبقى على ابتسامته "كلمة سر" في الأيام الصعبة التي تعيشها الأمة... وما أكثرها.

كُتبت لصحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ سبتمبر (أيلول) 2009

* * *

معادلة س. س. ودبلوماسية ع. م.

أدخل الرئيس بشار الأسد على أجنحة العلاقة مع المملكة العربية السعودية الصديق التاريخي لسوريا الشعب والدولة والعائلة، المتحدث الذي يتقن لغة التخاطب بأسلوب إتقان تقطيب الجرح الناشئ عن عملية جراحية معقدة، مما يعني أنه وقد وبات وزيراً متميزاً للإعلام يحرص شديد الحرص على أن تتأى مفردات كلامه عن التحديات وإستعمال الكلمة التي إذا قيلت في غير التأني فإنه يصعب محو آثار تداعياتها. فبعد أن زار الرئيس بشار المملكة ملبياً دعوة الملك عبدالله بن عبد العزيز لحضور افتتاح الإنجاز العلمي والتقني الواعد المتمثل بـ "جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية" وكانت للقائدين جولة أفق تتسجم وحقيقة مشاعر الإثنتين سياسياً وشخصياً وعائلياً بينهما كان طيف الرئيس الراحل حافظ الأسد حاضراً فيها، بات ملحاً على ما يجوز الاعتقاد إدخال تعديل جذري على لغة التخاطب بحيث إن المسؤول الذي يوفده الرئيس بشار يكون قريباً من عقل الرئيس وموضع ثقة لا تحتاج إلى مساءلات وينأى في الوقت نفسه عن مفردات هو أدري بخشونة إستحضرها. ولنا في مفردات سابقة لرسميين آخرين المثل على الضرر.

من هذا المنطلق وحرصاً من الرئيس بشار على أن تكون زيارة الملك عبدالله إلى سوريا هي "أم الزيارات"

التي تؤسس لإنطلاقة نوعية، جاء إيفاده وزير الإعلام الدكتور محسن بلال إلى السعودية للإجتماع بزميله وزير الإعلام السعودي الدكتور عبدالعزيز خوجه. وقد يكون هذا التكليف فاجاً الدكتور محسن العائد للتو من زيارة إلى الصين حافلة بالإعجاب من جانبه بالتحول البالغ الدقة والمدروس الذي يحدث في هذا البلد الملياري، وكيف أنه بأقلياته الست والخمسين وعلى رغم التحرشات من جانب بعض الأوساط في أميركا يعيد بناء الدولة على أسس من الانضباط والإهتمام بالحياة المعيشية للناس.. إنما من دون إغراق في البهرجة والاستساح لتقاليد الغرب. والأهم من ذلك إنفتاحه على العالم وعدم التدخل في شؤون الآخرين ومواكبة التطور الصناعي العسكري والتقني إنما من دون استعراضات صاروخية وإنشاء محطات نووية بغرض التحدي. وإلى ذلك هناك أهم الأهم وهو التواضع حيث إن الذين تعاقبوا على زعامة الصين بعد ماوتسي تونغ الذي جعل من نفسه حالة صنمية كما فعل فيدل كاسترو من بعده في كوبا ويحاول تشايفز وراثه هذا الفعل بعد كاسترو، إكتسبوا صفة التواضع أيضاً. وبينما نرى اللسان الصيني في غاية الدفء في مخاطبة أميركا وأوروبا عموماً فإننا نرى سلطة أكثر من اللازم في اللسان الكوبي ومثيلاً لها في اللسان التشايفزي مع أن التأمل في السلوك الصيني منذ الثمانينات مع دينغ سياو بينغ ثم التسعينات مع جيانغ زيمين وصولاً إلى هو جينتاو الذي تسلم دفة القيادة قبل ثماني سنوات، كفيل بحل إشكالات كثيرة لدول بات من الضروري لمصلحة الاستقرار والطمأنينة وجذب الإستثمارات اعتماد التحول. وفي اعتقادنا أن سورية المؤهلة لكل أنواع الإستثمارات المطمئنة أكثر من أي زمن مضى للجارة المستقرة تركيا ستري أن الصين تستحوذ على ترحيب الآخرين بها لأنها تتداخل تجارياً وطبياً وإلكترونياً معهم عوض التدخل في شؤونهم سياسياً وفنوياً وبما يتسبب في صدام تنعكس تداعياته على عملية التطوير والتنمية. ولذا نرى خزانة الصين ممثلة وخزائن أميركا وغيرها على أهبة النضوب من كثرة الثقوب والفساد والفوضى الاقتصادية في الإستثمار والعقار وبطاقات الائتمان.

ومن المؤكد أن الإطراءات الصينية لسوريا الدور وسورية القيادة وسورية المفصل الإستراتيجي التي سمعها الوزير محسن بلال إضافة إلى ما في ملف

السفير السوري المتميز والمستنير لدى الصين الدكتور خلف الجراد عن تقييم إيجابي لسورية وتصنيف القيادة الصينية لتلك الزيارة التي قام بها الرئيس بشار إلى الصين عام 2004 بأنها "زيارة تاريخية"، تشكّل في حد ذاتها وقفة تأمل لا بد آتية من جانب الحكم السوري وهي أن مردود درهم تدأخل أكثر جدوى من قنطار تدأخل مباشر أو بالإيحاء.. أو من خلال أنصار عابرين على نحو ما هو حاصل من لبنانيين يستقون بالحكم السوري من أجل أن يكونوا أصحاب شأن في السياسة وغيرها.

وفي تقديري أن لغة الحوار الذي تم بين الوزيرين الدكتورين عبد العزيز خوجه ومحسن بلال، وكلاهما من جيل علمي ربحته من دنيا العلوم والمختبرات والمشارط وغرفة العمليات العقلانية السياسية تعالج في "غرفة عمليات" سياسية خلال لقاء في مكتب تتخلله فناجين القهوة العربية والشاي العابق بالهيل والزعفران أو إلى طاولة طعام أو خلال إستقبال أو توديع في مطار الملك عبد العزيز في جدة ينتهي عند سلم الطائرة يتم الرد عليها في دمشق بما يليق بالمقام والأريحية. ونقول ذلك لأن لغة الحوار بين خوجه الشاعر إلى جانب دكتوراه العلمية وبلال المبتكر صياغات سياسية متأثرة بماضي القدرات الطبية الجراحية، لمست وبكثير من الإشارات التي لا تخفى على اللبيب أهمية التداخل وتفضيله على التدخل وهو أمر لا بد إستشعره السياسي - الجراح العائد من الصين متأثراً بأهمية الدولة المتحدة للسنة الستين على التوالي وتلك أهمية تتساوى مع أهمية الدولة المتحدة أي المملكة العربية السعودية، التي كان الوزير بلال وهو في جولة أفق مع الوزير خوجه يعيشان معاً أجواء توأهما للسنة التاسعة والسبعين على التوالي ووفق نهج أن التداخل بمعنى التعاطي الإيجابي والأخوي وتفهم الخصوصية ومراعاة الكبير للذي ليس في كبره، كي لا نقول الصغير، ونجدته عندما تكثر عثراته وويلاته واقتنالاته، يبقى راسخاً في القلب والوجدان وأكرم من التدخل الذي تنمو على جنباته أنواع من الأعشاب الضارة وبحيث تصبح النجدة هيمنة وطمعاً وعدم إعتراف بالخصوصية. وعندما نرى أن معظم ما نقوله المملكة العربية السعودية وما كان يوجّه به الملك عبدالله بن عبد العزيز سفيره في بيروت عبد العزيز خوجه الذي كرّمه بتسميته سفيراً أول بدرجة وزير قبل أن يتم إختياره وزيراً للإعلام هو أن الذي يهم المملكة

هو الاستقرار للبنان وأنها على مسافة واحدة من الجميع ولا نجد في أي تصريح سعودي كلاماً يتجاوز النصح والتمنيات، ونرى أن بعض ما كان يقوله مسؤولون سوريون ينطلق من النظرة نفسها، فهذا يعني أن الأرضية صالحة لصياغة رؤية مشتركة لكن الذي كان يعرقل هذه الصياغة أن هوى التدخل كان أقوى من خيار التداخل وأن التعامل الأمني كان يمتزج مع السياسي ويفتقد التحرك تلك النكهة الدبلوماسية المحيطة، وأن المفردات الثأرية التي صدرت عن زعامات لبنانية كانت لا تتقن الروية وبذلك بدأت تتعامل مع الحكم السوري تعامل المنتصر مع مهزوم وتعبئ الناس في اتجاه عداوة مستديمة. وتناسى بعض "أمراء الانتقام" ذوي الخلفية الميليشيائية أن الرئيس بشار الذي سحب القوات طوعاً تصرفاً بحكمة وكان قادراً لو أراد نفوذ اليد من مضمون خطاب القسَم في تموز/ يوليو 2000 التصرف على الطريقة الصدامية عندما يصاب المرء صاحب السلطة والقرار في كبريائه. ومن هنا أُجيز لقلمي تسجيل وجهة نظر خلاصتها أن حكاية الأكثرية والأقلية في لبنان أقرب إلى الخرافة منها إلى الأمر الواقع كما أن لعبة الديمقراطية أقرب منها إلى الدهشة منها إلى التجربة الحقيقية كما ديمقراطيات الآخرين. ولذا فإن ما كان من البدهي أن يفعل النائب سعد الدين الحريري بعد تكليفه تشكيل حكومة أن يفاجئ اللبنانيين بزيارة إلى دمشق تتدرج في سياق التدخل الذي لا بد منه وتكون زيارة من أجل إزالة شوائب عالقة. أما إن ذلك لا يحدث مع أن المملكة العربية السعودية كانت سترتاح إلى حدوثه، ويتزامن مع ذلك سيل من التصريحات والتطبيقات الكيدية فهذا كان نوعاً من التعطيل. وأقول إنه كان لا بد من هذه الزيارة بل وقول الكلام الطيب الذي يرحج الأخ السوري. كما كان لا بد من زيارة مماثلة إلى طهران. نعم إلى طهران ومن المنطلق نفسه. أليست سوريا وإيران هما الدولتين الأكثر فعالية في تيسير الأمور.

لا مجال لإضافة المزيد من المعاندة. فالسياسي الحاذق هو من يرى الأمور بالعين المجردة ويكون متجرباً. وفي تقديري كمراقب أن معادلة س.س. (السعودية - سوريا) التي كان الأستاذ نبيه بري رئيس البرلمان اللبناني وزميل أبو الهول لبعض الوقت يطرحها ويُذكر بها دائماً من دون إتباع التنكير بالتعجيل، وجدت في دبلوماسية ع.م.

(عبد العزيز خوجه - محسن بلال) الثنائي الذي يقوم بتطويع بعض ما إستعصى من الأفكار والصيغ، وهذا أمر لن يلقى سوى الإرتياح في نفس خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي يواصل تنقية العلاقات مما حفلت به من شوائب ومن دون أن تستوقفه تساؤلات من هنا أو هناك.

ومنذ اللقاء الأخير للرئيس بشار مع الملك في جدة نقرأ هذه الحيوية في العاطفة السورية شعباً وقيادة وعائلة شخصية نحو السعودية والتي يلحظها المرء من خلال التأهب العفوي لتكون زيارة الملك عبدالله إلى كل سوريا تاريخية... لزعيم تاريخي.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 6 أكتوبر (ت) 2009

"أبو حافظ" ما بعد إنزياح الأثقال عن الكاهل

ها هو الرئيس بشار الأسد "أبو حافظ" وقد أزاح عن الكاهل أثقال جفوة مع المملكة العربية السعودية بالقمة التي إستضافتها عاصمة الأمويين في الزمن الغابر، الأسديين في العقود الخمسة المتواصلة، يوم الأربعاء 7 أكتوبر (تشرين الأول) 2009 وجمعت خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بالرئيس بشار الأسد فإستعادت العلاقة خصوصية سابقة وبدا الملك عبد الله أباً روحياً لمن هو في مكانة ابنه أي الرئيس بشار... ها هو "أبو حافظ" المطمئن إلى علاقة إقتصادية متطورة مع السعودية يجد بوابات أهل الحكم في العالم مفتوحة أمامه ومن دون ما كانت عليه سابقاً من تحفظات. وفي أجندة الرئيس السوري إلى جانب زيارة إلى فرنسا المرتاحة كل الإرتياح إلى نتائج القمة السعودية - السورية وإلى التعديل المتدرج النوعي في الخطاب البشاري نحو لبنان الوطن السيد ولبنان الأزمة الحكومية التقليدية، زيارات أخرى يجري التحضير لها بكل الدقة التي تُبقيها في منأى عن الإخفاق. ومن الجائز الافتراض أن زيارة يقوم بها الرئيس بشار إلى واشنطن هي من ضمن ما يتم التشاور السوري -

الأميركي في شأنه. وفي كل عملية رُصد من جانب الإدارة الأميركية تزداد هذه الأخيرة اقتناعاً بأنه لا بد من تعديل جذري في التعامل مع سورية بصفة كونها العامل الأكثر فعالية في تحقيق التسوية المستقرة. وهذه حقيقة إستوعبها الزعيم التركي رجب طيّب أردوغان من خلال التلاقي مع الرئيس بشار حول خطوات محسوبة بدقة من بينها إستباق الإنضمام المتعثر لتركيا إلى الإتحاد الأوروبي المتدرج بإنضمامها إلى سوريا وترحيب الأخيرة بهذا الانضمام. وهذا ما يمكن استنتاجه من إتفاق فاجاً السوريين قبل الأتراك أو بالعكس وفاجاً كل أقطار الأمة أيضاً، وبموجبه قرر الرئيس بشار والزعيم الإسلامي التركي أردوغان استحداث صدمة إيجابية وهي تلك التي تمثلت بإتفاقات نوعية يرتاح لها الناس وإعتبار نقاط الحدود الفاصلة وكأنها غير موجودة فيتصرف التركي كما السوري على أن بلد كل منهما هو بلد الآخر. وهي ربما تكون رسالة إلى العراق لكي يحذو الحذو التركي - السوري ولا ينشغل بتسوير الحدود مع سوريا عوض التفهم والتفاهم معها. ومن الواضح أن الرئيس بشار الأسد في صدد إستكمال رسم إستراتيجية جديدة للولاية الرئاسية المقبلة وأن تسريعه في إزالة الحساسية في العلاقة مع السعودية جزء من هذه الإستراتيجية. وكان لافتاً في هذا الصدد حرصه على أن تكون المستشارية الإعلامية والسياسية في رئاسة الجمهورية الوزيرة الدكتور بثينة شعبان إلى جانب نائبه الأستاذ فاروق الشرع في مهمة إطلاع أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح على نتائج الزيارة التي قام بها الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى دمشق. كما كان لافتاً الحرص نفسه على أن تكون المستشارية أيضاً إلى جانب نائب الرئيس في المهمة المماثلة لدى السلطان قابوس. والمهمتان حصلتا في أسبوع واحد تدليلاً على تقدير الظروف.

هذا الحرص ربما لكي يكون الإطلاع خالياً من أي تنظيرات وذلك لأن تجارب التنظير في الماضي تسببت بإرتباكات وتعقيدات وبصرف النظر عما إذا كان التنظير بغرض تعزيز الموقف العام أو أنه نوازع فكرية. الآن بحضور المستشارية الدكتور بثينة ستكون مهمة الإطلاع في منأى عما يشغل بال الرئيس بشار الذي هو على ما يجوز الإفتراض في مرحلة فُرز لملفات كثيرة إختلطت فيها الرؤى الأمر الذي تسبب في إرباكات

لا يريدتها الرئيس في إستراتيجيته الجديدة التي من معالمها حالتان: الحالة اليمنية - الإيرانية وموضوع الشراكة السورية - الأوروبية. فبالنسبة إلى أزمة اليمن مع إيران نرى الرئيس بشار أعلن يوم الأربعاء 21-10-2009 موقفاً متوازناً بالنسبة إليها بعدما كان إرتأى عدم إقحام الأزمة في المحادثات التي أجراها مع الملك عبدالله بن عبد العزيز (الأربعاء 7-10-2009)، أو فلنقل إنها كانت من ضمن المحادثات، لكنه أثر عدم الإيحاء بأن موقفه هو نتيجة رغبة من الملك فلم يأت على ذكرها في البيان الصحافي الصادر عن المحادثات. وفي الموقف المتوازن نلاحظ أن الرئيس السوري وفي ضوء معطيات كثيرة من بينها عزوف الرئيس اليمني عن إستقبال وزير خارجية إيران منوشهر متقي الذي كان أدلى بتصريح غير موفّق على الإطلاق قال فيه انه سيتوسط بين الحكم اليمن والحوثيين الذين يخوضون معارك مع الجيش اليمني ثم وصول وزير الخارجية اليمنية أبو بكر القربي إلى دمشق مزوداً على ما يجوز الافتراض بوثائق تؤكد حدوث الدور الإيراني الفاعل في الصمود الحوثي، فضلاً عن إتصالات مقرونة بالوثائق المماثلة قام القربي بحملها إلى الرئيس مبارك... في الموقف السوري المتوازن نلاحظ أن الرئيس بشار قال في بيان رئاسي "إن سوريا تدعم وحدة اليمن أرضاً وشعباً بعيداً عن تدخّل أي دولة أخرى في شؤونه الداخلية مع الإستعداد الدائم لمساعدة الشعب اليمني للخروج من أزمتة الراهنة".

بطبيعة الحال لولا خصوصية تنسم بها العلاقة السورية - الإيرانية وتلقي بأثقالها على الحركة السياسية للحكم السوري في أكثر من اتجاه عربي وإقليمي ودولي، لكان موقف الرئيس بشار من هذا الذي يحدث في اليمن أقوى بكثير. لكن الخصوصية والحرص على عدم اشتعال النار في الصدر الإيراني المكتوي منذ أسابيع بصددمات أصابت مهابة الحكم في الصميم، جعلت الموقف على النحو الذي أوردناه والذي هو قابل للتطوير، خصوصاً أن حديث إنفصال الجنوب بتشجيع من إيران يجعل الرئيس بشار يستحضر البعد الوجودي في العقيدة التي تُحكم بها سوريا. لكن على رغم ذلك فإن عبارة "بعيداً عن تدخّل أي دولة أخرى بشؤونه الداخلية" هي منتصف الطريق بين الموقف الذي لا يلغي إغفال تسمية إيران بالإسم أنها ليست هي

المقصودة بـ "أي دولة أخرى".

هذا بالنسبة إلى الحال اليمنية. أما بالنسبة إلى الموضوع الأوروبي فإنه كان مستهجنًا موقف وزير الخارجية الفرنسية برنار كوشنير الذي ألغى زيارة مقررة إلى دمشق ضمن جولة تشمل أيضاً بيروت وتل أبيب. والذريعة هي إزدحام برنامج الوزير مع أن حقيقة الأمر هي أن رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو رفض تحديد موعد للقاء كوشنير احتجاجاً على موقف فرنسا من تقرير غولدستون الذي يثبت جرائم حرب ارتكبتها إسرائيل ضد الغزّاء، وإزاء ذلك ولكي لا يتحدى نتنياهو بأنه نكابة به يزور دمشق وبيروت العاصمتين اللتين تتحديان ذئاب حكومة إسرائيل وفعاليتها، فإنه سحب قلمه وشطب من برنامج الجولة دمشق مبقياً على زيارة بيروت كي لا يشعر بخذلان قد يجرجه كثيراً في حال اخفق في بيروت في تسريع عملية تذليل عقبات تشكيل الحكومة.

أما إذا كان إلغاء زيارة دمشق مرتبطاً بإعلان الحكومة السورية عزوفها عن توقيع إتفاق الشراكة مع أوروبا المحدد أصلاً موعده يوم 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2009، فإن كوشنير يفتقد في ذلك إلى الكياسة المطلوبة. ذلك أن الحكومة السورية أثرت التريث في التوقيع لأن الإستراتيجية الجديدة للتحرك السياسي للرئيس بشار وعلى نحو ما أوردنا في سطور سابقة، تستوجب التأمل العميق في مواقف وإرتباطات حفلت بها السنوات الماضية ومن بينها إتفاق الشراكة مع أوروبا الذي يحتاج في نظر الرئيس بشار على ما يجوز الافتراض إلى الوقوف على عوائد دول مثل مصر وتونس سبق أن وقّعت على إتفاق الشراكة، مع ملاحظة أن الإتفاق مع سورية كان سيوقع قبل خمس سنوات لكن الإتحاد الأوروبي ولحسابات سياسية جمّد التوقيع أربع سنوات ولذا فمن حق سورية أن تتريث بضعة أسابيع مقابل تجميد أوروبي استغرق بضع سنوات.. إلا إذا تمت زيارة الرئيس بشار إلى فرنسا ضمن الأصول التي تجعله يتوجّه هذه الزيارة بتوقيع إتفاق الشراكة. لكن سيبقى من باب حُسن الظن من جانبنا التمني بأن يكون إلغاء كوشنير زيارة تل أبيب ليس لأن نتنياهو لم يحدد موعداً لإستقباله وإنما لأنه (أي كوشنير) صاحب ضمير مقتنع كل الإقتناع بأن إسرائيل ارتكبت جرائم حرب ضد الغزّاء وأن إلغاء الزيارة يندرج ضمن حيثيات إلغاء

وزير خارجية تركيا أحمد داود أوغلو زيارة إلى إسرائيل قبل أسابيع بعدما رفضت السلطات الإسرائيلية تسهيل عبوره من تل أبيب إلى غزة المعتدى عليها لأن "حماس" انفردت بها ولأن الإنفراد في ضوء تحديد الرئيس محمود عباس 24 يناير (كانون الثاني) 2010 موعداً لانتخابات رئاسية وبرلمانية قد يجعل الإنفراد انفصالاً لا قدر الله. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الثلاثاء 27 أكتوبر (ت) 2009

* * *

لعنة التطبيع.. وتساؤلات "المثقف المصري الفصيح"

لم يحدث في تاريخ مصر الجمهورية أن لقيت واقعة ذات طابع ثقافي ما لقيته من إهتمام على صفحات الصحافة المصرية واقعة إخفاق وزير الثقافة الفنان التشكيلي فاروق حسني بمنصب المدير العام لمنظمة "اليونيسكو" ومقرها باريس. وتقادياً للجزم بأن التعامل مع هذه الواقعة يحدث للمرة الأولى، نشير إلى واقعة ذات طابع محلي بمعنى أنها اقتصرّت على مصر وتتمثل في كُتَيْب أصدره الروائي المخضرم توفيق الحكيم وبسمية "عودة الوعي" وكان عبارة عن رؤية لتداعيات هزيمة 5 يونيو/حزيران 1967، حيث إنقسم أهل الفكر والثقافة في شأن هذا الكُتَيْب الذي كان مضمونه على درجة من المرارة تجاه الهزيمة ودعوة إلى القيادة من أجل اعتماد الوعي لإنتشال المواطن من آثار الصدمة التي أصابته. وقد دام الأخذ والرد في شأن "عودة الوعي" إلى ما بعد حرب النّار من الهزيمة (6 أكتوبر 1973) وما بعد رحيل الكاتب الكبير الذي كان "عودة الوعي" ختام عمره الفكري الثقافي والروائي المقل نسبياً لكنه من النوع الذي وضع توفيق الحكيم في قائمة كبار المبدعين في المشهد الثقافي، فضلاً عن أنه كان كما نحبب محفوظ زميله في "الأهرام" الهيكلي (أي في عهد الأستاذ محمد حسنين هيكل) يحلم بلحظة نيله جائزة "نوبل" لكن الإختيار وقع على صاحب الثلاثية الشهيرة وليس على صاحب "الرباط المقدس" و"يوميات نائب في الأرياف".

بداية الواقعة حدثت عندما قرر الرئيس حسني مبارك أن يكون وزير الثقافة الذي هو أحد وزراء قليلين مصنّفين بأنهم "وزراء الرئيس"، مرشح مصر لمنصب المدير العام لمنظمة اليونيسكو خلفاً للياباني كوتشيرا الذي سبق أن خطف المنصب من مرشح عربي كامل المواصفات (الدكتور غازي القصيبي) عام 1999. وبذل أن ينتقل الدكتور غازي من لندن حيث كان يشغل منصب السفير لدى المملكة المتحدة فإنه بعدما لم يفز بالمنصب الذي يستحقه إنتقل إلى الرياض وزيراً يتحلى بدinامية ملحوظة وقدرة استشارية سياسية تتلزم أحياناً مع القدرات الشعرية والكتابية.

أراد فاروق حسني أن يكون مختلفاً، ومن قبل أن تبدأ الجولات الانتخابية في مقر المنظمة في باريس مساء الخميس 17-9-2009 وهي جولات شبيهة بتلك التي تجري في حاضرة الفاتيكان لإنتخاب رئيس جديد للكنيسة الكاثوليكية، مع فارق أن هذا يُنتخب خلفاً للبابا الذي توفي بينما يتم إنتخاب مدير جديد لليونيسكو خلفاً للمدير المنصرف بعد إنتهاء ولايته المنصوص عليها في نظام المؤسسة. ومن مظاهر الإختلاف انه لكي يمثل الأمة بجناحيها التطبيعي المنتسب إليه بحكم كونه وزيراً للثقافة في مصر التي أبرمت إتفاق سلام مع إسرائيل والجناح غير التطبيعي الذي هو أكثرية الدول العربية، فإنه في إحدى جلسات "مجلس الشعب" أي البرلمان قال ما معناه انه إذا كانت هنالك كتب باللغة العبرية موجودة في مكتبة الإسكندرية التي يرجع الفضل في إحياؤها وتطويرها إلى السيدة سوزان زوجة الرئيس مبارك، فإنه سيطلب إحراق هذه الكتب. وحيث إن مجرد كلمة الإحراق أو الحريق تجعل إسرائيل تستحضر "المحرقة"، التي طالما أثار عواصف حولها الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، فإن الدوائر الإسرائيلية ومعها الجماعات المتصهينة الفرنسية والأوروبية عموماً اعتبرت فاروق حسني معادياً للسامية وأن مثل هذه الصفة تحجب عنه فرصة أن يكون المدير العام لمنظمة اليونيسكو. وهنا وجد نفسه وتحت تأثير "لوبي" مجموعة من رجال الأعمال المصريين الذين ازدهرت تجارتهم في ظل مرحلة ما بعد إبرام إتفاق السلام مع إسرائيل يأخذ بالوجه الآخر من الإختلاف فيوصي بطبع كتب مترجمة عن العبرية وترميم آثار يهودية في مصر (من بينها معبد موسى بن ميمون) ويدعو المايسترو الإسرائيلي دانيال

بارنبويم إلى مصر ويؤجج نار الحساسية مع الإسلاميين. لكن هذا الإختلاف لم يعط النتيجة المرجوة، ذلك أن الصراعات داخل كواليس المنظمة بدأت تتحدث عن الإمكانات الفكرية والثقافية واللغوية للوزير فاروق حسني. تارة يقولون إنه غير ملم بلغات أجنبية. وأحياناً يتحدثون عن أن تاريخه كملحق ثقافي في باريس في السبعينيات ثم مديراً للأكاديمية المصرية في روما لا يؤهله للمنصب الثقافي الأول. لكن هؤلاء يغفلون إنجازاته على الصعيد المحلي (متاحف وترجمات وترميمات ومعارض فنية له حيث إنه من التشكيليين ولرسامين مصريين آخرين).

من أجل أن يفوز بالمنصب كان لا بد من حصوله على ثلاثين صوتاً من أصل مجموع 58 عدد المقترعين. وفي الدورة الأولى للاقتراع مساء الخميس 17-9-2009 كان بينه وبين الفوز ثمانية أصوات نالتها إيرينا بوكوفا مرشحة بلغاريا المنافسة الأساسية له. هنا بدأ الصراع يحتم. وبات واضحاً أن المعركة ستحصر بين الإثنين. كذلك بات واضحاً انبعاث العصبية الأوروبية لأن الرئيس ساركوزي الذي كان وعد الرئيس مبارك بتأييد فاروق حسني أخلف الوعد. وهذا يتناقض مع "مانشيت" الصفحة الأولى من "الأهرام" يوم السبت 19-9-2009 المتضمن عبارة "فرنسا غير مستعدة للتضحية بعلاقتها مع مصر".

في نهاية المطاف نجح التسييس في أمر ثقافي وتبين أن فرنسا مستعدة وأن المتوسطة المصرية لا تتقدم على العصبية الأوروبية وأن وزيرة الخارجية السابقة لبلغاريا إيرينا فازت بعد خمس دورات اقتراع بالأصوات الأربعة القاضية على فرصة فوز فاروق حسني بالمنصب الثقافي الدولي. لكن حصول فاروق حسني على 27 صوتاً مقابل 31 لمنافسته، من أصل الأعضاء الـ 58 الذين لهم حق الاقتراع، في معركة خاض غمارها ثمانية مرشحين يشكل حالة اختبار بأن التطبيق لعنة في حد ذاته ولا يشكل مكافأة لمصر من أجل الفوز بمنصب تستحقه كصاحبة تراث عريق في مجال الفكر والثقافة والفنون على أنواعها فضلاً عن التراث الأثاري العريق. ولو أن التطبيق كان يحقق الغرض لما كان فاروق حسني أخفق ودلينا على ذلك أن رد فعله الأول بعد فوز بلغاريا بالغنيمة تمثّل بقوله إن خسارته لصوتين في الجولة الحاسمة كانت نتيجة خيانة لأن الضغوط الصهيونية كانت رهبة وأن طبخة استبعاد

أعدت في نيويورك على هامش الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة كما أن السفير الأمريكي لدى اليونيسكو (الذي يجاهر بعدائه للعرب والمسلمين) كان يتصرف بقوة وبكل ما يمكنه من إمكانيات لمنعي من الفوز بالمنصب". هذا إلى جانب معلومات أفادت أن نتتها هو أيضاً لم يف بوعده للرئيس مبارك بعدم الاعتراض على فاروق حسني. ولا بد أن "المتقف المصري الفصيح" وجد نفسه يتساءل: إذا كانت الإدارة الأميركية وحليفاتها الدول الأوروبية تقف بقوة إلى جانب إمارة شيوعية الأصل (والدها ترأس تحرير صحيفة الحزب الشيوعي البلغاري) ومن أقل بلدان أوروبا أهمية وأكثرها فقراً وكانت في المنظومة الشيوعية، ولا تساند مرشح أكبر دولة عربية دشنت مرحلة التطبيع مع إسرائيل متدرة بأن فاروق حسني هو صاحب "محرقة الكتب العبرية" وهو من ساعد خاطفي سفينة "اكيلي لاورو" على الهروب من إيطاليا عام 1985، فهذا معناه استصغار شأن مصر ومعناه أيضاً أن التطبيع كما ذكرنا إنما هو لعنة وليس تأشيرة لدخول نادي المناصب الدولية الكبرى. كما أن "المتقف المصري الفصيح" وجد نفسه يتساءل: ما هذا السر الذي جمع الأمريكي على الألماني على النمساوي على البريطاني على الياباني من أجل إلحاق هزيمة بمرشح مصر طالبة الود لكل هؤلاء؟ ثم إذا كانت ذريعة عدم اكتمال المؤهلات لدى فاروق حسني لا تجيز ترشيحه لليونسكو فهل هذه المؤهلات متوفرة لدى البلغارية إيرينا بوكوفا التي أبرز ما فعلته إلى جانب بضع دراسات ومؤلفات إنها كوزيرة للخارجية في بلغاريا تتقن الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والروسية إلى جانب اللغة البلغارية ودافعت بقوة عام 1996-1997 عن دخول بلدها إلى الحلف الأطلسي والإتحاد الأوروبي. وما أهمية هذا الإنجاز بالمقارنة مع الخطوة المصرية المتمثلة بإبرام معاهدة سلام مع إسرائيل؟

خلاصة القول إن التعويل على ورقة التطبيع هو من الرهانات الخاسرة. وبعد الذي جرى لا بد من عدم المبالغة في إظهار حُسن النية تجاه إسرائيل والطابور الذي يحمي ظهرها ويفيض خيرات مالية وعسكرية وسياسية عليها، وخصوصاً أنها منذ أشهر تلح على الرئيس أوباما وعُز موفده الرئاسي إلى المنطقة ميتشيل على إنجاز تطبيعات عربية معها. ويا ليت الوزير فاروق حسني الذي واساه الرئيس مبارك بعبارة "بص لشغلك وارمي ورا ظهرك" وشدّ من أزره رئيس الحكومة أحمد

نظيف بالقول "كسبنك في مصر كمل مشروعاتك العظيمة" يعمل بموجب هذه المواصفة فينشط مصححاً أكثر. ومن قبله فعل الدكتور غازي القصيبي الشيء نفسه لمجرد أن قال له الملك عبد الله بن عبد العزيز عام 1999 (وكان ما زال ولياً للعهد) عند اتصاله به ليوضح له خفايا وألأعيب ومناورات دهايز العملية الانتخابية لليونسكو ولماذا فضّلوا الياباني على العربي السعودي مع أن كفة ميزان الكفاءة لمصلحة الأخير: "لا تهتم. أبلت بلاء حسناً. أردنا شيئاً وأراد الله غيره. لا تلفت إلى الخلف وأنظر إلى الأمام".

إنها لعبة الأمم فينا وتلاعبهم علينا. ولذا فإلى جانب طي صفحة التفكير بأي تطبيع قبل أن تأخذ إسرائيل ومن ورائها الدول التي تعطينا من أطراف ألسنتها حلاوة، بمضمون المبادرة العربية علينا أن نتأمل في إبتكار وسائل ضغط كثيرة. وهذه تركيا الأردوغانية تدشن أسلوباً جديداً في الضغط الفاعل نسبياً على المدى القصير. ولذا فلا فضل لأعجمي أو تركي على أخيه العربي إلا بممارسة الضغط حسب قدرته إلى جانب التقوى بطبيعة الحال. وبذلك ربما يستعاد الحق ولا يستباح الحرم الثالث.

صحيفة "الشرق الأوسط" - السبت 31 أكتوبر (ت) 2009

* * *

إنفصال الجنوبيين عن شماليهما لا قدر الله.. وتأتي البقية

مع شديد الأسف تبدو الأمة على موعد مع انفصاليين يعززان في حال حصولهما ظاهرة الانقسامات المستشرية في بعض الدول العربية والتي ربما تنتهي إلى انفصالات صغيرة أو إلى "كانتونات" على نحو التسمية المتعارف عليها، كأن نصل إلى يوم يصبح فيه لبنان على سبيل المثال لبنانات "لبنان إيراني" و"لبنان عوني" و"لبنان جعجي" و"لبنان جنبلاطي" و"لبنان حريري" وهكذا.. وتصبح فلسطين فلسطينات فلسطين فتحاوية عباسية و"فلسطين حماسية مشعلية" و"فلسطين جهادية شلحية" و"فلسطين جبهوية حواتمية".. وهكذا ويصبح العراق

عراقات "عراق مالكي" و"عراق تكريتي" و"عراق صديري" و"عراق موصللي" و"عراق بصراوي" و"عراق كركوكي" و"عراق كردي"... وهكذا. ومثل هذا الإحتمال ليس بعيداً في حال أمضينا بعض الوقت نتأمل في هذا الذي يحدث في لبنان الذي يناحر بعضه بعضاً بذريعة أن إستلاب الزعامات السياسية والحزبية للغنائم ليس عادلاً مع ملاحظة أن ما يعتبره هؤلاء حقاً لهم هو حق مقدس للناس إستولت عليه الزعامات الحزبية والنيابية والحركية. وما نستنتجه عند التأمل في ما هو حاصل في لبنان نستنتج مثيله عند التأمل في ما هو حاصل بين "دولة رام الله" و"دولة غزة". كما نستنتجه عند التأمل في ما هو حاصل في العراق.

الإنفصالان الوارد حدوثهما لا قدر الله هما: انفصال الجنوبيين عن شماليهما. جنوب السودان عن شماله. وجنوب اليمن عن شماله. والمؤشرات على ذلك كثيرة. ومن خلال بعض التوضيحات والملاحظات يتأكد لنا الآتي:

بالنسبة إلى السودان هنالك موعد محدد له مطلع العام 2011 لإجراء الإستفتاء لتقرير المصير، أي بما معناه يقرر الجنوبيون إما الاستقلال بالانفصال وإما أن خيرهم في الإنصهار بالسودان الموحد لأن بناء دولة مستقلة ليس بالأمر السهل كما إنشاء حركة تمرد. ثم إن الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية التي غرست في الجنوبيين فكرة الدولة المستقلة عن الشمال وعملت لبضع سنوات على تعزيز الفكرة وبحيث تتحول إلى حس قومي ومسيحي في بعض المفاصل، ليست الولايات المتحدة الراهنة التي تنن تحت وطأة أزمات إقتصادية خانقة وإخفاقات عسكرية متلاحقة وهذا يعني أنها لن تستطيع تعويم إستنباط دولة جديدة ستكون قابلة للانتهيار في حال تباطأ المستتب، وهو هنا أميركا وبعض دول أوروبا، في تقدم العون.

ولقد باننت ملامح الجنوح نحو الانفصال منذ أن انتهى تقاسم أراضي الثروة البترولية إلى أن الجنوبيين يحظون بمساحات هائلة من شأن الذهب الأسود الذي في باطن جزء كبير من أراضي تلك المساحات، أن يسد رمق الجنوبي ويغنيه عن مد اليد إلى الغير. وبعد هذا التقاسم رأينا الشريك الجنوبي يتصرف مع الشريك الشمالي بالندية، ثم نراه أيضاً يتصرف في علاقاته الدولية على أساس انه مستقل وليس طرفاً في شراكة مع

الحكم في الشمال من دون أن يستوقعه أن هنالك بعض العهود والإتفاقات التي تفرض عليه الانسجام في ما يفعل. وكانت هنالك أمثلة ووقائع كثيرة في هذا الشأن وإلى درجة أنه في بعض المواقف كانت الحالة تتطوي على بعض السخرية والاستهزاء، بحيث إن رئيس الدولة يتخذ موقفاً من قضية ما لكن النائب الأول للرئيس يتخذ وعلى الملأ موقفاً مناقضاً لموقف الرئيس الذي كان يتقبل ذلك من منطلق الحفاظ على الخط الرفيع المشدود بحيث لا ينقطع مع الشريك الجنوبي قبل انقضاء سنوات الاختبار التوحيدي الذي يسبق الاستفتاء إما بالإتكال على الله وعقد القران الشمالي - الجنوبي وإما بالإنفصال من جانب الجنوب بالرضى في هذه الحال وبما لا يوجب إعلان الحرب على المنفصل كونه يفعل ذلك بشرعية الإستفتاء وليس بالأمر الواقع الانقلابي كالذي فعلته سورية الكزيرية عندما انفصلت عن عبد الناصر، متسببة له بصدمة نفسية أسست بدورها لحالة صحية صعبة تقوم على اضطراب في الضغط وتورم في شرايين القلب وعدم استقرار في نسبة السكر في الدم. وبقيت تداعيات الصدمة وما تلاها مستمرة إلى أن لقي الرئيس وجه ربه يوم 28 سبتمبر/ أيلول 1970 عن 52 سنة، أي أنه لو كان ما زال حياً لكان الآن في الوحدة والتسعين من العمر وهو عمر جائز افتراضاً، ذلك أن شقيقه شوقي الذي سبق أن شغل مدير مكتب شقيقه الرئيس للشؤون الداخلية ثم مناصب أخرى من بينها منصب وكيل وزارة التربية والتعليم عاش طويلاً وتوفي يوم الخميس 5 نوفمبر/ تشرين الثاني عن 83 عاماً.

ونخطئ الظن إذا نحن إفترضنا أن وسواس الانفصال يوسوس فقط في نفوس كبراء الجنوبيين ومن بينهم سيلفاكير الوارث على أهون السبل زعامة كانت من نصيب الزعيم الأبرز للطيف الجنوبي القائد التاريخي جون قرنق الذي غيَّبه عارفو أرقام حسابات مالية في حادثة هليكوبتر رئاسية غير سودانية. فها هو خال الرئيس عمر حسن البشير يستبق الجميع بالدعوة إلى انفصال الشمال عن الجنوب وها هم زعماء المعارضة في الشمال وبالذات السيد الإمام الصادق المهدي والكتور الشيخ حسن الترابي عافاه الله يحتار الأمر في شأن مداولاتهم في جوبا مع أقطاب الزعامة الجنوبية هل هي لتقويض الشراكة مع "الإنقاذ" الحاكم أم هي لإقناعهم بأن التعايش تحت سقف السودان الموحد

أكرم بكثير من الاستفراد بالجنوب لإقامة دولة مستقلة شكلاً لأن الاستقلال هو استقلال الإرادة في الدرجة الأولى، وإرادة الجنوبيين مصادرة ومقفل عليها داخل إضبارات في دهاليز مؤسسات سياسية وأمنية أميركية. وعندما يقول خال البشير ما قاله وبالصوت العالي فإن الرجل إما فعل ذلك كوسيلة ضغط على الشريك الجنوبي لمصلحة ابن أخته الرئيس البشير. وإما أن الرجل مقتنع أيضاً بأن الاندماج بالكامل لن يكون سهلاً وأن خير السودان هو في اعتماد قاعدة الجنوبي جنوبي والشمالي شمالي ولن يتطابقا. ثم نجد في أوساط العاصمة المثلة من يقول ما معناه: إذا قال الخال فصّقه فإن القول ما قال الخال.. تماماً كمثل وجوب تصديق قول خُدام في الزمن الغابر.

يحاول الرئيس البشير إنقاذ ما يمكن إنقاذه كي يجدد الرئاسة انسجاماً مع ظاهرة الرئاسة العربية التي تجددت إماراتياً وتونسياً وجزائرياً قبل ذلك، أو التي برسم التجديد، مرتاحاً بذلك من صدام التوريث كما الحال مع الجارتين مصر وليبيا، ويحاول في هذا السياق تبديل المواقع ورفع منسوب التحدي في وجه الذين ينوون به اعتقالاً. وعلى رغم كل هذا الجهد المضني يبقى وسواس الجنوب المستقل يوسوس في نفوس الشريك الجنوبي وفي الوقت نفسه يرمي بثقله على الرئيس البشير الذي جاء إلى السلطة رافعاً راية إنقاذ السودان فإذا به لا ينقذ ولا مَنْ يُنقذون وهي صدمة وندبة من الصعب أن تمحي من الجبين.

وأما الجنوب الآخر فإن مشكلته كبيرة وأكثر تعقيداً. فكما أن اللاعب الأميركي - الأوروبي - التبشيري يمسك بخيوط لعبة جنوب السودان، فإن اللاعب الإيراني يراهن من خلال الحوثيين الذين يخوضون مغامرة تمرد سبق أن خاضها جنوب السودان وأكراد العراق، على أن الجبهة اليمنية هي البوابة الرديف للبوابة العراقية من أجل إقحام المملكة العربية السعودية في أتون التدخلات التي يرفضها الملك عبدالله بن عبد العزيز ويريد بدلاً من ذلك نشر ثقافة الحوار الوطني والمصالحة وحوار الأديان والتنمية عنواناً لحقبة جديدة تعوض الأمتين إخفاقات سنوات صعبة مضت ودفعت الأمتان الكثير من الخسائر والمهانات نتيجة ذلك.

ومن المؤسف أن بعض القيادات الجنوبية تمارس ورقة الانفصال وكأنما هي لعبة مسلية وليست ضربة

في الصميم للكيان الموحد. لكننا من باب الإنصاف نقول إن ما يجعل هؤلاء يجنحون نحو هذا الخيار المر هو أن صيانة العملية الوحيدة كانت تقتقد إلى الحصافة آخذة بمبدأ الاستتثار أحياناً والإلغاء أحياناً أخرى وهاجس التوريث بين الأحيان والأحيان الأخرى، وفي ظل هذا الواقع وأيضاً في غفلة عين من جانب النظام الذي يقوده الرئيس علي عبد الله صالح، تغلغت إيران وانتشرت ودربت وشرذمت وبعثت ووضعت النظام أمام خيارين: أحدهما مر والآخر أكثر مرارة.. أي إما الانخراط في علاقة ذات طابع إستراتيجي مع الثورة الإيرانية تستهدف تطويق الخليج من النقطة الأبعد ما دام الخليجيون يرفضون إلحاح اليمن في الإنتساب إلى منظومتهم، وإما تثوير الجيب الحوثي الزيدي الذي يتبين انه كان على درجة من الجهولية سلفاً، بدليل أن الرئيس علي عبد الله صالح يكثر من التعهدات بأن القضاء على التمرد الحوثي سينتهي قريباً لكن ذلك لا يحدث ويضع الشأن العسكري لليمن على المحك.

خلاصة القول: إذا استمرت الأمور على نحو ما نلاحظه في السودان فإن جنوبه إلى انفصال وهذه رغبة دفينة أفصح عنها الرجل الأول سيلفاكير وإن كان بعض حواريه خففوا من باب التكتكة حدثها. وإذا استمرت الأمور على نحو ما نلاحظه في اليمن فإن رهان المراهنين على انفصال الجنوب سيتحقق. وفي حال حدوث هذين الانفصاليين لا قدر الله ستكر سُبحة الانفصالات الصغيرة التي أشرنا إليها. والله أعلم.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 12 نوفمبر (ت) 2009

تخرجة أزهريّة - محجوبية

لـ «يوم المريخ»

تقع على عاتق إخواننا أهل حُكم «الإنقاذ» في السودان مسؤولية معنوية كبرى كونهم يستضيفون في ملعب «نادي المريخ» الجولة الثانية الحاسمة بين مصر الكروية وشقيقتها الجزائر الكروية. ومع الأسف الذي أبداه كل عربي بالنسبة إلى الجولة الأولى وما

رافقها من تشجيع تهريجي وإستفزات وعبارات تخاطب لا تمت في معظمها إلى التهذيب واللياقة والأخوة بأي صلة، فإن أجواء هذه المباراة لا تتسم بروح رياضية ولا حتى بالتنافس العقلاني وإنما في ظل حالة طوارئ إستثنائية وإستنفار عسكري وبعضية تحمل في مفاصلها دوافع الانتقام وكأنما اللاعبين المصريان اللذان خطفا فرصة التأهل من المنتخب الجزائري إرتكبا جريمة لا تغتفر توجب على أنصار هذا الأخير أن يرجعوا بالحجارة مكاتب «شركة مصر للطيران» في الجزائر ويدخلوا الرهبة على المصريين الذين يعيشون في مناطق جزائرية بعدما كان مصريون مشجعون لمنتخبهم ارتكبوا في حق المنتخب الجزائري عندما جاء إلى القاهرة تصرفات بالغة السوء شملت كذلك إيذاء مشجعين للمنتخب الشقيق.

ما كان خطيرا خلال مباراة القاهرة يبدو أنه أكثر خطورة في «يوم المريخ»، حيث سيلتقي المنتخبان لكي يفوز أحدهما بمجد التأهل لكأس العالم في جنوب إفريقيا عام 2010 عن المجموعة الثالثة. ودلينا على أنه أكثر خطورة أن إجتياحاً جزائرياً ومصرياً من المشجعين وعناصر الأمن يحدث منذ يومين جواً وبراً للعاصمة المثانة الخرطوم. كما أن الإتصالات على المستوى المخابراتي والدبلوماسي نشطت كما لم تنشط في أي أزمة غير سياسية الطابع.

في ضوء ذلك يأتي قولنا إن رئيس «الإنقاذ» الفريق عمر حسن البشير يتحمل مسؤولية معنوية كبرى لا تقل أهمية عن المسؤولية المعنوية التي سبق، ومع اختلاف الظروف والموجبات، أن تحملها لمناسبة انعقاد القمة العربية الطارئة في الخرطوم صيف 1967 الرئيس الراحل إسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محبوب. فهما بالحنكة وحسن التصرف حولاً إستقبال قطبي الأمة ورمزي الخصومة الأكثر تعقيدا في معظم سنوات قيادتهما الملك فيصل بن عبد العزيز والرئيس جمال عبد الناصر إلى عمل ناجح بامتياز. بل يجوز القول إنه لولا تلك التخرجة الأزهرية - المحجوبة لربما كان وقع ما ليس في الحسابان. ولقد تمثلت التخرجة في إستقبال الزعيمين في توقيت متقارب لهبوط طائرتيهما في مطار الخرطوم والانتقال بهما في موكب واحد: الملك فيصل والرئيس الأزهرى في سيارة مكشوفة واحدة والرئيس عبد الناصر ومعه الرئيس

محبوب في سيارة أخرى. وبهذه التخرجة تحوّل الألوف من السودانيين المصطفين على جانبي الشارع بمسافة عشرة كيلومترات من مطار الخرطوم إلى فندق السودان المقر الأكثر تواضعا بين المقرات التي إستضافت ملوك القمم العربية ورؤساءها من حزانى على الواقع العربي المتردي والمتعاطفين مع عبد الناصر الذي أصابته هزيمة 5 يونيو (حزيران) ثم مؤامرة رفيق الثورة والحكم المشير عبد الحكيم عامر عليه في صميم كبريائه، إلى جمهور مبتهج بالزعميين العربيين الكبيزين فيصل بن عبد العزيز وجمال عبد الناصر وقد وضعهما الرئيسان الأزهرى ومحبوب على طريق المصالحة التاريخية. وبذلك حققت القمة العربية الطارئة نجاحا لم تحققه قمة لا من قبل ولا من بعد بإستثناء القمة العربية الدورية الثانية في بيروت (28 - 29 مارس «آذار» 2002) التي تبنت بالإجماع مبادرة الملك عبدالله بن عبد العزيز (كان زمن ذاك ما زال وليا للعهد) للتسوية وهي المبادرة التي شكلت السقف الواقى للتماسك العربي في وجه التطبيع العشوائي.

في مقدور الرئيس عمر البشير، المحاط بعدد من المستشارين الذين يجمعون بين الكياسة والدهاء السياسي والقدرة على الابتكار، تحويل هذه المباراة إلى لحظة رياضية عربية أخوية. ألم يحول بكبيرى المحيطين به علي عثمان محمد طه وغازي صلاح الدين العتباتي حربا بين الشمال والجنوب دامت عقدين إلى مشروع سلام وإن كان المشروع عرضة للإنتكاس نتيجة اختلاط الصالح بالطالح من النيات؟

أما كيف يمكنه تحقيق ذلك فبالعودة إلى روحية التخرجة الأزهرية - المحجوبة ومن دون إقحام هذه الروحانية بما فعله مع شيخ «الإنقاذ» الدكتور حسن الترابي الذي ندعو له بالتعافي وبوصل ما إنقطع بين الإنقاذ «الفقهي» والإنقاذ «الجنرالي» وبذلك تتجو العلاقة المصرية - الجزائرية من مضاعفات تنشأ في «يوم المريخ السوداني».. وهذا ما لا يتمناه السودان الذي هو أخو إخوان العرب ويتمناه كل عربي معه. والله الموفق.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الأربعاء 18 نوفمبر (ت) 2009

صدّامات ذوي القربى..

وأحدثها «الرعب الكروي»

فجأة وبينما الأمة مهمومة بحالات من الصراعات والخلافات العالقة جاءت الحالة المصرية - الجزائرية تضيف نفسها كموضوع له صفة الجرح العميق وليس بالأمر السهل احتواء تداعياته.

ومن حيث الأهمية والتسلسل كانت الهموم والإهتمامات تتمحور حول إستمرار النزاع الذي لا مبرر له ولا جدوى منه للقضية وللشعب بين «فلسطين الشرعية العربية والدولية» المتمثلة في شخص الرئيس محمود عباس ومن حوله وخلفه وبين «فلسطين المكتفية بالشرعية الإيرانية» المتمثلة في شخص القائد المغترب خالد مشعل والقائد المقيم في غزة إسماعيل هنية. وبسبب إستمرار هذا النزاع ضاعت فرص كثيرة على الشعب الفلسطيني الذي تولت الصدّامات عليه من عدوه ثم من أصدقاء عدوه. لكن الصدمة الأشد مرارة كانت صدمة بني القوم عليه، لمجرد خروج حماس على إتفاق مكة الذي أعطاه الملك عبدالله بن عبد العزيز من الوقت ومن الرعاية ما يتناسب واقتناعه بأن كل الصعاب يمكن تذليلها في إطار الحوار والنوايا الطيبة. ولذا فإنه بعدما خرجت حماس على الإتفاق مع أن قطيبتها «أبو الوليد» و«أبو العبد» أقسما أغلظ الأيمان بأنهما على العهد سائران وبالوعد ملتزمان، ازداد أسى على بضعة ملايين فلسطيني موزعين بين غزة وبلدات الضفة وداخل المدن الفلسطينية المحتلة بين أعالي الجليل وتلال القدس مروراً بشواطئ المتوسط، وعلى بضعة ألوف منتشرين في دول العالم ومئات قابعين في سجون إسرائيل النازية الأسلوب وعلى عشرات الألوف الصابرين على الضيم وهم في مخيمات العيش المذل في لبنان والأردن وسوريا وفي الخيام المنصوبة على الحدود بين العراق والأردن بعد فرارهم وإبعادهم من الكويت التي حررها بوش الأب من الغزوة الصّدّامية.

وفي الوقت الذي كانت الصدمة الناشئة عن إستمرار النزاع الفلسطيني - الفلسطيني تأخذ مكانها الرحب في «أجنحة الصدّامات» وتتضاءل فُرص التسوية التي كان من المحتمل إنجازها في ظل وحدة صف وهدف فلسطينية، جاءت الأزمة الحكومية في لبنان تشكل

صدمة تترك انطباعاً بأن رموز العمل السياسي والحركي والحزبي في لبنان معنيون بمصالحهم وبذوي القربى ولا يعنيه الوطن ومفهوم المواطنة المستقيمة في شيء. وعندما يطول أمد الأزمة وتستغرق ستة أشهر لتنتهي بتشكيل «حكومة وحدة وطنية» شكلاً مع أنها ليست أكثر من «حكومة الصبر الجميل» التي تقوم على توزيع غنائم ونصّب كمائن سياسية وتصفية حسابات ضيقة، ولا يتم التشكيل إلا بعد تحفيز سعودي - سوري لها، فهذا يعني أن الطرفين اللذين أديا مهمة التحفيز سيستمران مشغولي البال على أداء هذه الحكومة وهل أنها ستمارس الواجب المنوط بها على طريقة المباراة الكروية بين مصر والجزائر أم ستكون بالفعل كما سائر نظيراتها الحكومات العربية وغير العربية تؤدي دورها في تسيير أمور الناس ومصالح الشعب وتحقيق الإستقرار فلا يدعى مسؤول عسكري مرؤوس من رئيسه إلى إجتماع لكنه لا يحضر لأن مرجعيته غير الرسمية أهم من صلاحية رئيسه. ثم لا ينتهي الأمر عند عدم الحضور وإنما ينتصر لهذا المسؤول زملاء له في المجلس الذي يضمهم مع آخرين. وإزاء ذلك يقرر الرئيس المسابير لتتار سياسي يناصب التوتر للتتار الذي ينتمي إليه المرؤوس إنزال العقوبة المسلكية في هذا الأخير. وعندما يحدث ذلك ينتفض وزير الداخلية الذي هو مرجع الرئيس والمرؤوس ويقاطع إجتماع الحكومة ولا يعود إلا بعد مرضاة خاطره. هل يحدث هذا التهريج في أي بلد عربي غير لبنان؟ لا ونعم. لا لأن لا مجال أمام العسكري المرؤوس أن يرفض ما يطلبه الرئيس لأن ذلك نوع من التمرد يحاسب عليه. ونعم لأن التهريج اللبناني المشار إليه تزامن مع تهريج يمني تبعه تهريج مصري - جزائري ولكل من التهريجين صفاته.

كان التهريج اليمني في البداية عبارة عن مناوشات بين نظام مستأثر أقسم رئيسه (أبو أحمد) كما فعل الحماسيان «أبو الوليد» و«أبو العبد» (وكل في اتجاه مختلف) بأنه سئم تكاليف الرئاسة ثم قال إن حزبه فرض عليه التجديد فعاد عن القرار الذي صاغه بالأسلوب الحاسم وأعلن فيه أنه لن يجدد، وبين جماعة من الواضح أن وريث زعامتها يريد حصة دسمة من كعكة السلطة. ومن هذه النقطة حدث التسلسل الأول من جانب دولة التصدير الثوري (الجمهورية الإسلامية في إيران) شحناً مذهبياً وسلاحاً ومالاً وتدريباً لیتلو التسلسل الثاني

إلى الأرض السعودية، وهو الهدف الرئيسي موضوعاً فيما مشاكسة النظام في اليمن هي من باب الشكل والذريعة والغطاء المتقوب. وعندما يكون المتسللون يمينيين وصوماليين وربما من جنسيات أخرى ويكون هؤلاء مدربين وإنتحاريين ويأتون إلى الأرض السعودية برا وبحرا متتكرين عند الضرورة متذرعين بأنهم هاربون من جحيم الحرب بين القوات اليمنية والجماعات الحوثية، فهذا يعني أن هنالك مخططاً بالغ الخطورة يستهدف إشغال آخر القلاع العربية في وجه التبعر والتطبيع العشوائي، وبانشغال هذه القلعة المحروسة من الملك عبدالله بن عبد العزيز الساهر على بواباتها كي لا يخترقها مكر أو عابث لا تعود الأمة قادرة على الوقوف بثبات أمام اللاهثين من أجل تقويضها. كما أن إطلاق رصاصة البدء بالمخطط تمت بعد أن كسر عبدالله بن عبد العزيز حاجز العتب والتحفظات على إخوان وأبناء وأصدقاء في الأمة. ونجد أنفسنا هنا نميل إلى الاعتقاد بأن التسلسل الحوثي الإيراني الإيعاز والدعم هو واحد من الردود الأولية الممكنة على المصالحة السعودية - السورية التي تبعث الخشية في النفس الإيرانية الأمانة بالطموحات المستعصية من أن تصبح من دون سند عربي رسمي ينعكس بالتدرج على الأعماق العربية غير الرسمية مثل حزب الله الذي تجددت قيادته تلقائياً وحركة حماس التي تراوح مكانها فضلاً عن بعض المنصات السياسية في دولة خليجية أظهرت في موضوع التسلسل الحوثي إلى المملكة العربية السعودية أنها تعاني فقراً في الولاء للوطن وهو، أي الفقر، من نوع فقر الدم الذي في حال أصاب إنساناً يُفقد القدرة على الرؤية المتوازنة للأمر.

وإذا جاز للمرء مثل حالي الإفتراض، فإن الألم الذي يعتصر في نفس عبدالله بن عبد العزيز مما يفعله اليمني العربي الحوثي وكيف يضطر شقيقه السعودي إلى رده، حتى إذا تطلّب الأمر سفك دم، لا يوازيه ألم. وهذا طبع القائد الذي يؤمن بالتسامح ويرى أن يسود بين أبناء الأمة من أقصى المحيط إلى أقصى الخليج، ويتمنى لو أن كل رصاصة انطلقت لا تريق دم إنسان عربي وتبقى برسم الإطلاق عندما يدعو الواجب كل أبناء الأمة حكماً ومحكومين إلى كلمة سواء يعقبها فرض إرادة الموقف الواحد على العدو الغاصب أو الأخ المسلم الذي يستعذب تقريق الشمل وزرع الشقاق في جسم الأمة.

وعندما نتأمل في الذي جرى بين مصر الأم والجزائر الابنة وكيف أن الأولى وبسبب واقعة كروية فقدت حنانها كأم وأن الثانية فقدت شعور الرحمة كابنة، فإن القلب ليحزن والعين لتدمع والصبر على هذا الضيم لينفذ. فهذه صدمة ولا بقية الصدمات، إذ كيف يجوز أن تحدث «حرب متعب وعنتر» بين مصر أم الدنيا وجزائر المليون ونصف المليون شهيد؟ مع ملاحظة أن شلال الدم الجزائري الإستشهادي كان سيتواصل بضع سنوات أخرى لولا وقفة مصر عبد الناصر مع ثورة الجزائر وإيقاظه حالة نهوض عربي من أجل هذه الثورة، لا يفقهها هؤلاء الذين وفدوا بالألوف من الجزائر مشحونين بالغضب والثأر ولم يسارع الواحد منهم إلى شراء تذكار من العظم أو الأبنوس أو العاج أو جلد التمساح أو «الأصلة» يهديه إلى والده أو والدته أو زوجته أو حبيبته، وإنما كل الذي أردوه من أسواق الخرطوم الأدوات الجارحة من مطاوي وسكاكين وخناجر لإيذاء من تصل إليهم أيديهم من إخوانهم المشجعين المصريين لمنتخبهم الذي جاء هو الآخر مشحوناً بتدعيمات إعلامية وحزبية تقتقد إلى التروي وتلتقي في ذلك مع تدعيمات إعلامية وحزبية جزائرية للمنتخب المبارز الذي اعتبر عدم فوزه في مباراة «استاد القاهرة» يوم السبت 14 نوفمبر بأنه هزيمة نداء متساوياً في ذلك مع التصوير الإعلامي المصري أرضياً وفنائياً وورقياً بأن الفوز الذي تحقق بالأقدام المصرية هو نوع من المعجزة والهزيمة النكراء يتم إلحاقها بالأخ الجزائري. وعندما نقول ذلك فلأن العبارات التي سمعناها وقرأناها ومعها اللقطات الهستيرية التي شاهدناها تحدث في القاهرة أولاً ثم في الجزائر وبعدها في الخرطوم ثم في القاهرة ثانية وفي الجزائر وصولاً إلى فرنسا، لم تكن صادرة عن عقال، إلا إذا كان هؤلاء بتصوير فوز «الفراعنة»، وهي تسمية إستفزازية، على الجزائر في مباراة «استاد القاهرة» يوم الأربعاء 14 نوفمبر كان العبور الثاني في تاريخ مصر بعد عبور القناة صبيحة السادس من أكتوبر 1973 ويستحق هذا الاستنفار لنظم وتلحين وغناء طقاطيق ما أبعدها من حيث الرقي عن أغاني وأناشيد راقية وهادفة مثل «صبرنا وعبرنا» و«الله أكبر» و«قلنا حنبلي وادي احنا بنينا السد العالي» وأن فوز «صناديد الصحراء» الجزائريين في مباراة «ملعب المريخ» في أم درمان هو الجزء المتبقي من ثورة الجزائر، على

الإستعمار الفرنسي.

تبقى إستكمالاً لصدمة «الرعب الكروي» ثلاث ملاحظات: الأولى هي أن السودان مهياً عاطفة وحماسة لإستضافة المباراة التي تمت إلا أنه غير مهياً لإستيعاب وإستضافة إجتياح كروي من الجزائر وآخر من مصر خصوصاً أن أم درمان ما زالت تعيش مرارة ذكريات إجتياحين مماثلين، الإجتياح الجنوبي والإجتياح الدارفوري. وكرم الضيافة من الرئيس عمر البشير وفق قاعدة «أخو أخوان» ليس بتجاوز مسألة التأشيرة المسبقة وإنما بالإستفسار أولاً عن عدد المسفرين مجاناً أو بأسعار تشجيعية من الجزائر ومصر إلى السودان عبر جسور جوية بلغت 67 طائرة من الجزائر و32 طائرة من مصر مع ملاحظة أن الجسور الجوية تكون في ظروف مساندة بلد شقيق يتعرض للعدوان أو زلزال مدمر. أما أن يحدث هذا الإجتياح الجوي بغرض التشجيع ومن دولتين مكتويتين بالفقر مثل مصر والجزائر فهذا لا يعود تشجيعاً وإنما لمأرب أخرى مثل عصا موسى. وفي هذه المأرب تلنقي الأنظمة الثلاثة مصر والجزائر والسودان الذي كان عليه أن يعتذر بلباقة السوداني في الإعتذار. الملاحظة الثانية: أن الحكومات الثلاث المصرية والجزائرية والسودانية تتحمل مسؤولية ما حدث. أما المطلوب بعد الذي حدث فهو مباراة حبية بين المنتخبين في بيروت أو أبو ظبي العاصمتين العزيزتين على الرئيس حسني مبارك والرئيس عبد العزيز بوتفليقة وبحضور الرئيسين والرئيس المستضيف سواء كان الرئيس الشيخ خليفة بن زايد أو الرئيس ميشال سليمان. الملاحظة الثالثة: لقد عاشت القاهرة ذات يوم في زمن الرئيس أنور السادات إنتفاضة شعبية أمعنّت تخريباً وأذى وسمّها الرئيس الراحل «إنتفاضة الحرامية». وعاشت الجزائر صولات وجولات ساطورية مخزية. وفي الحالتين كانت الأمور داخلية وأكثر خطورة من «الرعب الكروي» الذي إنتهى إليه الأمر بين مصر والجزائر.

وخلاصة القول في ضوء ذلك أنه بات لا بد من ترصين لبعض حملة الأقلام للكتابة ولأصحاب الإطلالات على الفضائيات وترشيد لظاهرة لعبة كرة القدم كي لا تنتهي العلاقات متوترة تحت وطأة سلوك مشجعين، وضعوا الأمة في وضع التأسيس لـ «داحس وغبراء» من نوع جديد يتمثل في «حرب متعب المصري وعنتر الجزائري».

ونختم بالدعاء: اللهم نجنا من المزيد من صدمات ذوي القربى. واللهم اشرح قلوب بعض إخواننا المصريين والجزائريين أصحاب آخر الصدمات التي نتمنى أن تكون أخيرها وييسر أمر إعتمادهم التعقل والصبر بدل الجنون والتهرج عندما يشاهدون مباراة بين منتخَب ومُنْتَخَب. ألا تكفينا فوضى الفتاوى لكي نتضم إليها فوضى التشجيع الكروي.. بالإجتياح.

صحيفة "الشرق الأوسط" - الخميس 26 نوفمبر (ت2) 2009

* * *

الإبتساماة السلطانية..

«كلمة سر» الأيام الصعبة

نعيش منذ أيام مع الشعب السعودي والقيادة السعودية فرحة عودة ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز من رحلة علاج ونقاها طالت وكاد القلق يتكاثر في شأنها لولا أن أمثلة الأمير الشقيق سلمان بن عبد العزيز في التراحم وملازمة ولي العهد من يوم الإثنين 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2008 وحتى يوم العودة الجمعة 11 ديسمبر (كانون الأول) 2009 إختصرت القلق.

ونتابع منذ أيام اللعبة الحوثية الشريرة ومعها اللهجة الإيرانية في مخاطبة المجتمع الدولي وكيف بدل أن يهدئ آية الله خامنئي بصفة كونه المرشد من حدة خطاب الرئيس محمود أحمدي نجاد الخارج من معركة الانتخابات أقل شأنًا لكنه أكثر تشدداً وبدل أن يزود خالد مشعل بما من شأنه الإبقاء على حماس متباعدة عن فتح ومتوددة للحوثيين، فإنه يرمي في الموقد النجادي المشتعل المزيد من الحطب.

ونستحضر ونحن نعيش فرحة العودة السلطانية ونتابع التداعيات الناشئة عن حدة الخطاب الإيراني، ذلك الأسلوب الذي كان بإستمرار يعتمده الأمير سلطان بن عبد العزيز عندما كان وزيراً للدفاع ثم بعد مبايعته ولياً للعهد إلى جانب وزارة الدفاع في التعاطي مع الأزمات وما أكثرها تعصف بالمنطقة. ففي كل أزمة يتسبب بنشوتها عن سابق تصور وتصميم فرد مستكبر

من محتكري القرار في نظام ما، كنا نجد سلطان بن عبد العزيز يرفع الصوت هادئاً وناصحاً فيقول ما معناه إنه لا يجوز أبداً أن يُترك لفرد أن يلعب ويناهض آراء العالم. كذلك نراه دائم الخشية من أن يتسبب هذا الفرد في فرض حالة تؤسس لمخطط إستنزاف للقدرات العربية. وهذه الخشية تجعلنا أيضاً نستحضر الجهد الذي بذله شخصياً في زمن المحنة الكبرى التي واجهتها الأمة نتيجة الاجتياح الصّدامي للكويت يوم الخميس 2 أغسطس (آب) 1990 وكيف أن الأمير سلطان تمنى لو أن تصحيح الخطأ يتم على وجه السرعة، وفي ضوء التصحيح الذي هو إنسحاب القوات العراقية من الكويت يمكن للصدمة أن تعالج بالاعتذار. ولكن العناد والمكابرة وعدم التبصر في ما يمكن أن تنتهي إليه المغامرة وقفت حائلاً دون أن يأخذ الجهد طريقه إلى نقطة معالجة الحالة المستجدة على الأمة، إذ ليس هناك ما يبرر، لا بفعل أزمة طارئة حول حقل نفطي ولا بذريعة الحق التاريخي، أن تجتاح قوات دولة عربية أرض دولة عربية جارة وتتعامل معها على نحو التعامل الذي لقيته الكويت من العراق الصّدامي. وكان الإستنزاف المتواصل إلى الآن.

في هذه الأيام تعيش المنطقة حالة مماثلة في بعض جوانبها لحالة يوم الثاني من أغسطس 1990، حيث إن إيران النجادية ومن شعور يصعب تفسيره بالعظمة تنشط من أجل استيلاء حالة استنزاف جديدة. وإذا كانت الحالة الأولى حدثت في زمن كان الخير كثيراً فإن الحالة التي تستجد تحدث في زمن أزمة مالية تعصف بالكبار قبل الصغار من دول العالم، وفي زمن تحتاج فيه الأمة إلى الإنفاق على التنمية والعلم والصحة والزراعة وتحلية المياه، وهي من الأمور التي كانت بإستمرار موضع إهتمام الأمير سلطان الذي حقق توازناً ملحوظاً بين المسؤولية الدفاعية والمسؤولية الاجتماعية والصحية والثقافية من جهة ومسؤولية الحرص على إبقاء العلاقة العربية - العربية في دائرة التوافق السياسي الذي هو توائم التراحم العائلي، وإبقاء علاقة الأمتين العربية والإسلامية مع المجتمع الدولي في دائرة التواصل الإيجابي. ولهذا التوجه عند الأمير سلطان الوزير ثم ولي العهد «كلمة السر»، إذا جاز القول، المتمثلة بابتسامة قلّ نظيرها بين أهل القرار العربي والدولي الذين ربما يرون في تقطيب الوجه ما يؤكد قوة الشخصية في

حين أن ثقة «أبو خالد» بنفسه تجعله يحرص على هذه الابتسامة حتى في أحرج الظروف عندما كان يجادل بالمنطق المسؤولين الأميركيين والبريطانيين والفرنسيين عندما يزورهم أو يستقبلهم في ديوانه في الرياض في بنود «الأجندة السلطانية» التي بإستمرار تبدأ بالقدس كي لا تغيب عن ذاكرة أهل القرار في الدول الكبرى الثلاث ويأخذ كل منهم في الإعتبار سواء كان سينصرف أو سيجدد الولاية بضع سنوات أخرى أن مسألة القدس لا تتحمل عدم اكتراث دولي بها. وهؤلاء تأكد لهم ذلك منذ واقعة الملك فيصل رحمة الله عليه مع ثعلب الدبلوماسية الأميركية الدكتور هنري كيسينغر الذي خاطب فيصل بن عبد العزيز بمفردات ثعلبية مأكرة فجاءه الجواب بلغة الملك عبد العزيز وكيف كان حديثه مع أهل القرار الأميركي والبريطاني في زمانه أمثال روزفلت وتشرشل. ومن باب التذكير نشير إلى تلك الواقعة والتي على نحو ما سمعناها من الأمير خالد الفيصل أمير مكة المكرمة، جرت على النحو الآتي: التقى كيسينغر وزير الخارجية الأميركية مع الملك فيصل في جدة بعد حرب 1973 متطلعا إلى الحصول من العاهل السعودي على قرار بعدم وقف ضخ النفط. ولاحظ كيسينغر أن الملك فيصل متجهم الوجه فخاطبه مداعباً: إن طائرتي تقف هادمة في مطار جدة بسبب نفاد الوقود فهل تأمرون جلاتكم بملئها وأنا مستعد للدفع بالأسعار الحرة. ولم يبتسم الملك فيصل بل رفع رأسه نحو كيسينغر وقال له: أنا رجل طاعن في السن وأمنيته أن أصلي ركعتين في المسجد الأقصى قبل أن أموت فهل تساعدني على تحقيق هذه الأمنية؟

تلك هي الواقعة التي من الجائر الافتراض أنها كانت من جملة أسباب دفعت بالأشهر إلى ترتيب عملية اغتيال الملك فيصل. أما بقية الأسباب فهي أن المغفور له حقق في تاريخ العلاقات العربية المتأزمة حالة صفاء أوصلت الأمة إلى مشارف الصمود بعدما كادت تصل إلى حافة الهاوية، وهذا الصفاء حدث في القمة العربية الاستثنائية في الخرطوم صيف 1967 وكان فيصل بن عبد العزيز بتجاوزه الخلاف المستحكم مع الرئيس عبد الناصر يساعد في استيلاء اللاءات الثلاث، وأعان مصر على النهوض من كبوة الخامس من يونيو (حزيران) 1967 وبذلك فوّت على الصهيونية فرصة تحقيق المخطط الجهنمي والذي تلخصه مقولة «من

النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل».

وبعد هذه الواقعة لم تعد سياسة المكر على طريقة كيسينغر قائمة وإن كانت السياسة البديلة لا ترقى إلى مستوى طموح القيادة السعودية التي طالما سعت لتكون أميركا أكثر التزاماً بالعهد وتنفيذاً للوعد منذ أيام الملك فيصل ثم بعد رحيله ومبايعة أخيه خالد ملكاً وكذلك في سنوات الملك فهد رحمة الله عليهم وصولاً إلى ما نعيشه اليوم حيث التعهد الأميركي على المحك وصدق النوايا الأميركية قيد الاختبار. وطوال سنوات الملوك الثلاثة الراحلين ومع ولايته لعهد أخيه الملك عبدالله، أطال الله عمر الاثنين، بقيت «الأجندة السلطانية» على حالها، وبقيت وقائع التعاطي مع المملكة كصاحبة حق في إمتلاك قوة عسكرية تحميها وليس لتهديد الآخرين بها على الوتيرة نفسها منذ ذلك اللقاء التاريخي في باريس الذي التقى خلاله الملك فيصل بالرئيس شارل ديغول قبل تسع وثلاثين سنة، وكان الأمير سلطان كوزير للدفاع برفقة أخيه الملك بينما رئيس الوزراء زمنذاك (الرئيس بعد ذلك) جورج بومبيدو ووزير الدفاع الفرنسي مسمير يشاركان الجنرال ديغول اللقاء الذي دام أربع ساعات وهو ما لم يستغرقه لقاء بهذا الطول بين رئيسي دولة. ويوم انعقاد الاجتماع كانت أحوال الأمة غير سارة على الإطلاق لكن الرئيس الفرنسي كان من الشفافية بمكان خصوصاً أنه صاحب الموقف الشهير وخلاصته أن فرنسا في موضوع الأزمة الحادة بين مصر وإسرائيل ستكون إلى جانب المعتدى عليه. وبالفعل كانت كذلك: وللتمييز بين ثعلبة كيسينغر ومبدئية ديغول تشير إلى واقعة سمعناها من الأمير سلطان وخلاصتها أن الرئيس الفرنسي وبعدما كان أصغى باهتمام إلى حديث الملك فيصل والعرض الذي لخصه الأمير سلطان في شأن الاحتياجات العسكرية قال وهو يودع الملك على باب القصر، مخاطباً وزير الدفاع مسمير: نقذ ما يريده منك وزير الدفاع السعودي.

يحتاج الحديث حول ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى صفحات فهو كتاب من ستين سنة حافلة بالعطاء والإنجازات والمبدئية والإبتسامة الدائمة التي تستهدف إشاعة التفاؤل والإتكال دائماً على الله.. كتاب متعدد الفصول وحافل بالوقائع والأمثولات التي يحتاجها الجيل الثاني الذي هو في ضوء «هيئة البيعة» على موعد مع مسؤوليات تناط بالأصلح. لكن الحال

الصعبة التي تواجهها المنطقة جرّاء العناد الإيراني تواجهها بنسبة أكبر القضية الفلسطينية نتيجة ما يحاك من ألاعيب دولية متصهينة في شأن القدس، والحالة الأصعب الناشئة عن مزاج الفرد الواحد الذي هو الرئيس الجار محمود أحمددي نجاد وإصراره على مناهضة المجتمع الدولي ولو إنتهى الأمر إلى عودة إستنزاف الأمتين من جديد، تجعلنا ونحن نعيش وهج تعافي ولي العهد وعودته بعد غياب دام 347 يوماً كان الإفتقاد خلاله إليه شاملاً وتلك واحدة من الحالات الإستثنائية في تاريخ التوعك وما يرافقه من القلق على المتوَعك، نتطلع وقد إستأنف النشاط إستقبلاً وترؤساً لمجلس الوزراء في غياب الملك وزيارات تقفدية، إلى ما كان بإستمرار يعتمده في تعاطيه مع الأزمات كمعالجة وكعلاج في الوقت نفسه. وهو بذلك يخفف من قلق خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على ما يحدث في بعض أقطار الأمتين من باكستان إلى السودان ومن العراق إلى اليمن ومن إيران إلى لبنان. وهذا الذي يحدث وبالذات من بعض الفلسطينيين وبعض اليمنيين المجندين أو المتطوعين في مخطط يستهدف أمتهم ومستقبل أبنائهم، هو العلة في ما يصيب أهل القضية الفلسطينية التي طالما سعى الملك عبد الله وولي عهده الأمير سلطان وإخوانهما ومعهم شعب المملكة وأدعية المخلصين من أبناء الأمتين من أجل ترسيخ الكلمة السواء بين أبناء تلك القضية. وفي تقديرنا أن القمة الخليجية الثلاثين في الكويت يوم الثلاثاء 15 ديسمبر (كانون الأول) 2009 كانت مدركة لهذه الحقيقة أكثر من أي قمم سبقت.

أطال الله عمر «أبو خالد» وأبقى على إبتسامته «كلمة سر» في الأيام الصعبة التي تعيشها الأمة.. وما أكثرها.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 19 ديسمبر (ك) 2009

التشرق الأوسط ASHARQ AL-AWSAT جريدة العرب الدولية

المقالات من يناير 2010 إلى ديسمبر 2010





احتجاب الهلال النجادي وإستطلاع رؤية البدر الأردوغاني

يتوالى التصدع في الجبهة الداخلية الإيرانية، وإلى درجة أن الجمهورية الإسلامية باتت جمهوريتين: جمهورية يترأسها محمود أحمدي نجاد تتحصن بسلطة المرشد آية الله خامنئي والحرس الثوري، وجمهورية الظل التي وُلدت بشكل عفوي، وتأخذ يوماً بعد آخر شكل التمرد الإيجابي الذي يؤدي إلى حالة أشبه بالذي جرى في الاتحاد السوفياتي مع غورباتشوف الذي قوّض الإمبراطورية، ثم مع يلتسن الذي خطف التغيير من صاحب «البيروستريكا» ليورثه إلى فلاديمير بوتين الناتج الأول من الطبقة الحديثة للظاهرة القيصريّة.

وعلى دوي هتافات مسيرات شعبية منظمة هدفها القول إن الشارع الخامنئي النجادي الحرسى النووي أهم من الشارع الإصلاحى الموسوى الكروبي، وهذا على الأرجح في انتظار الشارع الرفسنجاني الذي ربما تكون ملامحه مزيجاً من الغورباتشوفية واليلتسينية واليوتينية معاً، يتصرف أهل الحلم الإيراني بثقة بالنفس أشبه بالغرسة، وصلت إلى حد أن الرئيس محمود أحمدي نجاد لا يكتفي بترديد القول حول أن إيران باتت أهم دولة، وأنها تريد شراكة مع كبراء العالم في إتخاذ القرار الدولي وأنها.. وأنها، وإنما يرد على إنتهاء المهلة الدولية (آخر العام الذي إنقضى) في شأن الحل الوسط لمبادلة اليورانيوم عالي التخصيب، بأن يوكل إلى وزير خارجيته منشهر متقي أمر إطلاق تحذير مماثل، وهو إمهال الدول الكبرى الست المتابعة الملف النووي الإيراني شهراً ينتهي باليوم الأخير لشهر يناير (كانون الثاني) 2010 للموافقة على شروطها، وإلا فإن إيران ستبدأ إعتباراً من أول فبراير (شباط) خطوات إنتاج اليورانيوم عالي التخصيب بنفسها.

روحية هذا التحذير وكلام كثير سمعناه من الرئيس نجاد يُذكرنا بكلام قاله الرئيس صدام حسين، يوم الأحد، 15 فبراير (مصادفة أنه شهر الإنذار الإيراني للمجتمع الدولي) في كلمة وجهها «إلى الشعب العراقي العظيم وأبناء أمتنا العربية المجيدة والمسلمين في كل مكان» وقال فيها: «إننا بكامل الإستعداد وبسلاح فتاك سنجعل المنازل نهاية الإمبراطورية الأميركية». وإذن فنحن بعد

هذا التحذير الذي أطلقه متقي يوم السبت 2010/1/2 بعد يومين من إنتهاء المهلة الدولية، مغتنماً الفرصة أن قادة الدول الست ما زالوا في أجواء إجازة الميلاد ورأس السنة الجديدة، على موعد مع مناطق لا سبيل أمام تعديل حدودها، خصوصاً وأن روسيا والصين تحفظتا ما فيه الكفاية، وباتتا أقل إبتعاداً عن موقف الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وألمانيا، وبذلك لا يعود في إستطاعة الحكم الإيراني أن يلعب على التناقض الدولي. وفي حين تبدو المناطق واردة بقوة، ونكاد نقول إنها في الأصل مقررة، إلا أن الرئيس باراك أوباما ارتأى الأخذ بدبلوماسية التهذئة، والنأي عن أي إقحام للإسلام والمسلمين في أي حديث له حول الإرهاب، الذي كانت عملية الشاب النيجيري، الذي فيه من حيث الشكل واللون ملامح من الرئيس أوباما، الحلقة الأحدث والأخطر فيه. ووجه الخطورة أن «القاعدة» التي تمكنت من تجنيد عناصر مثقفة وجامعية من أبناء المملكة العربية السعودية بدأت تُبم في مخطط التجنيد شطر المجتمع الأفريقي، وبالذات في أوساط طلاب من عائلات ميسورة يتلقون العلم في كليات مرموقة في بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية.. هذا إلى جانب تقنية الإرهاب وعلى نحو ما حصل مع الشاب النيجيري، تجعلنا نفترض أن ما يتم تزويده لـ «جيمس بوند القاعدي»، أكثر تطوراً من الذي طالما شاهده الناس في أفلام «جيمس بوند الهوليوودي». والتطوير الجهنمي على ما يبدو مستمر، ومع كل حالة، سيبقى الإسلام والمسلم حاضرين بقوة في المشهد الإرهابي. يا لهذا الظلم للدين الحنيف والرسالة العظيمة تأتي من «جهاديين في سبيل الإرهاب» وفي ظنهم أنه في سبيل الله والدين الحنيف.

وعلى وقع مؤشرات إلى التصدع في الجبهة الداخلية الإيرانية ودوي هتافات المسيرات الشبيهة بدوي الهتافات في المسيرة الصدامية المليونية للتأكيد بأن العراق الثوري البعثي عصي على أن تهزه العقوبات والتهديدات الدولية، وهو تأكيد تبين أنه كان يفتقر إلى الحكمة والقراءة المتأنية لطبيعة الواقع الدولي.. على وقع المؤشرات ودوي الهتافات يحدث من جانب تركيا السنية ما يعني أن الهلال الشيعي الذي تسعى إيران ضمناً إليه، وبحيث يبدأ بإيران وينتهي بلبنان شاملاً العراق والأردن وسوريا في انتظار أن يشمل لاحقاً فلسطين، قد

يأفل أو يحجبه البدر الذي قد يكتمل ومن دون أن يتأبط قاداته القوة النووية وبذلك لا يخشاهم المجتمع الدولي وإنما يطلب ودهم. وهذا البدر بدأت، على ما يجوز القول، عملية استطلاع رؤيته منذ أن طرح الزعيم التركي رجب طيب أردوغان خطته لإقامة مجالس للتعاون الإستراتيجي مع كل من سوريا والعراق ولبنان والأردن والسلطة الوطنية الفلسطينية. وتقاديا من جانبه للحساسية التي من شأنها إعاقة خطته، فإنه وضع خطأ أحمر لا يجب تجاوزه مع إسرائيل الأمر الذي أوجد حالة من الإرتياح الشكلي في نفوس الجماهير العربية والفلسطينية المنزعجة من التطبيع غير المجدي، خصوصاً أن طبيعة العدوان الإسرائيلي بعد التطبيع غدت أشرس بكثير منها قبل التطبيع الساداتي المستمر ثم التطبيعين اللاحقين الأردني والفلسطيني، فضلاً عن بعض البوابات الخليجية المفتوحة أمام حالات من التطبيع الذي ينفع إسرائيل ويضر بمهابة وسمعة أصحاب هذه البوابات.

وإلى الخط الأحمر في موضوع العلاقة مع إسرائيل نجد الرئيس أردوغان يجزئ خطته، بحيث إنه لا يدعو إلى قيام مجلس تعاون يضم الدول المشار إليها دفعة واحدة، وذلك كي لا يبدو في تصرفه هذا على نحو ما فعل الرئيس صدام عندما طرح على الرئيس حسني مبارك والرئيس علي عبدالله صالح والملك حسين خطته المتمثلة بتأسيس «مجلس التعاون العربي»، وهدفه أن يواجه به سياسياً «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» ومعنوياً وعسكرياً إيران الخمينية. ثم يتبين أن المجلس الصدامي هذا قام تحت وطأة ظروف اضطرارية للشركاء الآخرين وبحيث إن الحال وصلت بالرئيس مبارك بعدما نفّض اليد من الشراكة نتيجة الإجتياح الصدامي للكويت يوم الخميس 2 أغسطس (آب) 1990 إلى حد وُصف المجلس الذي كانت مصر أحد أعمدته بأنه «مجلس التآمر العربي» وليس «مجلس التعاون العربي».

وفي تجزئة الخطة من جانب أردوغان ما قد يجعلها تصمد، وبحيث تتأكد الأطراف المتعاونة بعد سنوات من التعامل التعاوني الثنائي أن انضواء الدول تحت مظلة «مجلس التعاون العربي - الإسلامي» على ما يجوز افتراض التسمية أمر ممكن، خصوصاً أن لا هيمنة فيه ولا مهيمنون، وخصوصاً أيضاً أنه مجلس لتنشيط التسوية السلمية في المنطقة بدليل أن مضمون البيان المشترك

عن محادثات أجراها الرئيس أردوغان مع الرئيس الأسد صدر يوم الخميس 24 ديسمبر (كانون الأول) 2009 أكد بوضوح على ذلك. وبالقراءة المتأنية للمضمون لا نجد سوى مفردات التهذئة والتطلع إلى السلام وليس المواجهة. والذي يستوقفنا في البيان الفقرة الآتية: «إن تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة يشكل بُعداً أساسياً لتعاونها خصوصاً وأنهما يواجهان كما تواجه المنطقة الأخطار والتحديات ذاتها. وتشديداً على الحاجة لإيجاد حل شامل للصراع العربي - الإسرائيلي في مساراته الثلاثة أعاد الجانبان تأكيد قناعتهما بأن الحل العادل والشامل لهذا الصراع يجب أن يتحقق على أساس قرارات مجلس الأمن ذات الصلة ومبدأ الأرض مقابل السلام ومرجعية مؤتمر مدريد ومبادرة السلام العربي. واتفقا على استمرار التنسيق والتعاون في هذا المجال بهدف إيجاد حل عادل يضمن الإنسحاب الإسرائيلي الكامل من الجولان السوري المحتل عام 1967، وبما يسهم في تدعيم الأمن والاستقرار في المنطقة». وإلى جانب ما يستوقفنا في البيان ووصف الرئيس أردوغان للرئيس بشار بـ «شقيقي الغالي الرئيس الأسد» تأكيد وزير الخارجية السورية وليد المعلم أمام البرلمان السوري يوم الثلاثاء 29 ديسمبر 2009 «أن العلاقة المميّزة والإستراتيجية مع تركيا تشكّل نواة لتضم في المستقبل القريب لبنان والأردن والعراق، وبالتالي صُنّع الشرق الأوسط الجديد بأيدي أبناء المنطقة». كما يستوقفنا قول أحمد داود أوغلو صاحب نظرية «العثمانية الجديدة»، ومن ملامحها البدر العربي - الإسلامي الذي يتم استطلاع رؤيته، حجباً للهِلال الشيعي الذي سعت، وما زالت، إليه إيران، في مؤتمر صحفي عقده يوم الخميس 31 ديسمبر (نهاية العام التركي بامتياز) وعرض فيه تقييمه للسياسة الخارجية التركية خلال ذلك العام «إن هدف تركيا هو الوصول بمشاكلها مع دول الجوار إلى نقطة الصفر وصولاً إلى تحقيق مبدأ سلام في الوطن و سلام في العالم. وبالنسبة إلى العلاقة مع أميركا فإنها اكتسبت زخماً جديداً مع بداية عهد الرئيس أوباما ونعمل معها على شراكة نموذجية ليس على أسس عسكرية وحسب، بل إستراتيجية وإقتصادية أيضاً». إذن فـ «مجلس التعاون الأردوغي» مقبول من حيث المبدأ أميركياً ودولياً.. وخليجياً، في ضوء إستقبال الملك عبدالله بن عبد العزيز للمنظر التركي أوغلو بعد محادثات أجراها الأخير يوم الأحد 3 يناير 2010 مع

الأمير سعود الفيصل الذي شدد على «أهمية الدور التركي في حل مشكلات المنطقة نظراً إلى الثقل الذي تتمتع به سياسياً وإقتصادياً». وقد يكون العام 2010 هو عام ثبوت رؤية البدر العربي - الإسلامي وأقول أو احتجاب الهلال الشيعي ذلك أن سماء المنطقة لا تتحمل كثرة المشاريع التعاونية.. إلا في حال كانت على نحو ما فعل قادة الخليج، ويسعى أردوغان لتحقيق المجلس الذي لا يثير البغضاء، وتنضوي مصر والسودان وليبيا ودول المغرب الأخرى تحت راية «مجلس التعاون العربي - الأفريقي» بدلاً لـ «الإتحاد المغاربي» المستغرق في تنويم أصحابه له. ويحدد العراق نهائياً مكانه فلا يبقى الموقف على نحو قول وزير خارجيته هوشيار زيباري: «إن التنافس على مستقبل العراق يأتي من دولتين غير عربيتين هما إيران وتركيا». وبدءاً من أول يناير 2010 علينا أن نستطلع لنعرف أي هلال ستثبّت رؤيته، بالوجه الموضوعي، وأي هلال سيؤكد أنه كان تحت خط الاقتناع ولذا فإنه سيحتجب. والله أعلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 26 يناير (ك) 2010

* * *

كوارث وفواجع عدم التوقع..

من عبد الناصر إلى أوباما

وجدت نفسي بعدما قال الرئيس باراك أوباما يوم الجمعة 22 - 1 - 2010 في مقابلة أجرتها معه مجلة «تايم» ما معناه، إنه لم يتوقع هذه المشكلات من الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني في ما يتعلق بمشروعه للتسوية وأنه «لو شعرنا بمثل هذه المشكلات في الجانبين في وقت مبكر لما رفعنا سقف التوقعات»، أستحضر بعض حالات عدم التوقع من جانب قادة كبار، تسبب عدم التوقع من جانبهم بكوارث وفواجع.

أبدأ بالرئيس جمال عبد الناصر، رحمة الله عليه، الذي لم يتوقع أن يتسبب قراره بسحب القوات الدولية في عدوان إسرائيل عليه، وافترض أن الأمين العام للأمم المتحدة يوثاننت سيقول له عندما يطلب ذلك، ما معناه إن من الأفضل التريث واعتبار الطلب وكأنه لم يتقدم

به، أي أنه مثل الإستقالة يتقدم بها مسؤول في لحظة غضب أو نتيجة خطأ، لكن المسؤول الأعلى يطويها ويضعها في الأدراج، وبذلك يكون قد حقق هدفين في وقت واحد، احتفظ بالمسؤول صاحب الإستقالة الذي سيصبح أكثر ولاء وورقة في يده تنفع في صراعات القوى، وجعل من صاحب الإستقالة رهينة لا يرد له طلبا في حالات التصويت على قرارات صعبة.

إلى ذلك افترض عبد الناصر أن الدول الكبرى بجناحيها الغربي والشرقي، ولدى كل جناح بمجموع دوله حيثياته في الموقف الذي سيخذه، لن تترك إسرائيل ترتكب حماقة الحربية التي تتسبب في تعقيدات وإحراجات دولية، وأنه بذلك يكون قد كسب جولة أو نقطة في لعبة سياسة حافة الهاوية.

ودليلاً على ما افترضه عبد الناصر متوقعاً ألا يكون هنالك رد عليه، وأي رد كان الرد! أنه بعدما تزايدت صيحة الإستجداد به من جانب الحكم السوري حول احتمال عدوان إسرائيلي على سوريا إرتأتى تحريك قوات إلى سيناء وأيضاً مع عدم التوقع بأن يؤدي هذا التحريك إلى حرب من جانب إسرائيل لا على مصر ولا حتى على سورية على أساس أن الصديق الإستراتيجي السوفياتي لن يسمح بذلك، وما دام هذا هو الاحتمال، فإنه يكون بالتحريك قد قدم واجباً قومياً إلى سوريا يجعل أهل الحكم والشعب معا يستحضرون لحظة الانفصال التي حدثت، وكيف أن الرأي العام السوري لم يقاوم الانفصاليين وإرتضى الوضع الناشئ عن إنقلاب بالغ السهولة ألقى ظلالاً كثيفة على مهابة عبد الناصر ومشروع الوحدة.

ونتساءل ونحن نقول ذلك، كيف أن عبد الناصر لم يتوقع الحرب نتيجة تحريك القوات لتخفيف الضغط على سورية مع أن إسحاق رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي زمنذاك كان واضحاً في تهديده يوم 12 مايو (أيار) 1967 المتمثل بقوله: «إننا سوف نشن هجوماً خاطفاً على سوريا وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ثم نعود»، ومع أن ليفي اشكول رئيس الوزراء قال أيضاً: «إن إسرائيل مستعدة لاستخدام القوة ضد سوريا» وأن وزير الخارجية أبا إيبان طلب من سفراء إسرائيل في الخارج بأن يبلغوا المسؤولين لدى الدول التي لهم سفراء فيها «بأن إسرائيل قد تضطر لاستخدام القوة ضد سوريا».

كذلك نتساءل: كيف أن عبد الناصر لم يتوقع أن تنتهي إلى مواجهة ضد مصر، تلك الخطوة المتمثلة بإعلانه حالة الطوارئ في الجيش، وإرسال رئيس الأركان الفريق محمد فوزي إلى دمشق لتفقد الوضع والتشاور، وكذلك يطلب المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة المصرية من رئيس الأركان الفريق فوزي إرسال خطاب إلى الجنرال ريكي قائد قوات الطوارئ الدولية في قطاع غزة وشرم الشيخ (وهذا خطأ بروتوكولي لأن الخطاب يوجه من وزير خارجية مصر إلى الأمين العام للأمم المتحدة) لكي يبلغ، أي الجنرال ريكي، الأمين العام يوثانت بأن مصر قررت سحب قوات الطوارئ الموجودة على الحدود المصرية مع إسرائيل، وأن رد الأمين العام كان صامداً، حيث قال إنه لا يستطيع سحب القوات الدولية من منطقة الحدود وتركها في شرم الشيخ وقطاع غزة، وأنه مضطر لسحب كافة القوات في غزة وسيناء بالكامل وإبلاغ الجمعية العامة بذلك.

هنا بات من مصلحة عبد الناصر أن يتوقع الحرب وليس ألا يتوقع، لأن دخول القوات المصرية إلى شرم الشيخ يعني منع إسرائيل من الملاحه في خليج العقبة، صحيح أنه أراد بتحريك القوات وما استتبع ذلك من تخفيف ما يمكن تخفيفه من التهديد الإسرائيلي لسورية، لكن يوثانت بمنطق الصلاحية الدولية التي لا تحتمل اجتهادات تصرف بما يحقق لإسرائيل توجيه ضربة إلى مصر لأن عبد الناصر هو هدفها الأساسي قبل سوريا. وعلى الرغم من أن مصلحة مصر والنظام التراجع عن الخطوات التي اتخذها، أي إعادة القوات التي تم تحريكها والاكتفاء بالسعي السياسي والتأييد المعنوي لسورية، فإن خشيته من تداعيات التراجع وما يمكن أن يقوله الشعب المصري وشعوب الأمة قاطبة عنه جعله يتراجع نصف تراجع، وذلك بقبوله مشروع تهدة من يوثانت يتضمن عدم مزاولة مصر حق تفتيش السفن التي تمر عبر مضيق العقبة.

ويعني يوثانت بذلك سفن إسرائيل، كما أن نصف التراجع شمل سؤالاً من يوثانت وجواباً من عبد الناصر، طلب الأمين العام من الرئيس المصري أن يعده بأن مصر لن تهاجم إسرائيل، ورد عبد الناصر بعبارة: «نحن لم نعلن في أي وقت بأننا سنهاجم إسرائيل، إن إسرائيل هي التي هددت رسمياً بغزو سورية وما نفعله

هو إجراء دفاعي لمنع هذا التهديد».

بعد الذي حدث صباح يوم 5 يونيو (حزيران) 1967، لم يعد مقنعاً على الإطلاق أن عبد الناصر بنى تقديراته على أساس أنه لا يتوقع حرباً من إسرائيل على مصر، فالذي مكانه في القمة مطالب بأن يتوقع ما دام هو صاحب القرار، وعندما تكون المؤشرات بالخطر حاضرة في المشهد أمامه لا تعود المسألة مجرد تخمينات ولا هي إفتراضات، وهو لو توقع لكان قد تفادى الكارثة التي حفرت تداعياتها في نفوس المصريين وأبناء الأمة.

وعبد الناصر ليس القائد العربي الكبير الذي يتصرف على أساس أنه لا يتوقع، ذلك أن الرئيس الخلف أنور السادات لم يتوقع انصراف نصف الأمة عنه بسبب إبرامه اتفاقية سلام مع إسرائيل من دون أن يتشاور أو يستشير، بل إنه عندما بنى قراره على زيارة القدس ومخاطبة الإسرائيليين من على منبر الكنيسة، كان يفترض حدوث ما لم يحدث من تطورات، فهو لم يتوقع أن تقرر الدول العربية معاقبة مصر بتعليق عضويتها في الجامعة العربية وإسقاط أنواع من الحرم على تجارها وصناعاتها وفنائنها ومطربيهها وصحافتها، بدل أن يسير الحكام العرب بدءاً بالرئيس ياسر عرفات في موكبه، على أساس أنه طوى صفحة الحرب وبدأ الكتابة في صفحة السلام ينشر الإزدهار في ربوع أقطار الأمة.

وفي تقديري، أنه لو توقع التداعيات وافترض حدوث الأسوأ بدل الأحسن لما كان ألقى خطابه الشهير في مجلس الشعب وبحضور ياسر عرفات، ولو توقع لكان شاور وناقش وإرتضى الأخذ بالأحوط، وكان ما زال إلى الآن يحكم مصر ويملك حتى القدرة على توريث وحيدة جمال بإعتبار أنه ابن بطل النصر عام 1973، الذي خفف من أوجاع الهزيمة عام 1967، ولكن إصراره على تلبية الدعوة الرسمية التي وجهها إليه مناحم بيغن يوم الثلاثاء 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1977 وقيامه يوم السبت 19 نوفمبر بزيارة إسرائيل، وكان ذلك عشية عيد الأضحى (مع أن مناسبة الأضحى تُوجب عليه أن يكون في مصر وليس في إسرائيل مع ملاحظة حرصه على تأدية صلاة العيد في المسجد الأقصى)، وضعه هدفاً للذين قرروا إغتياله يوم 6 أكتوبر (تشرين الأول) 1981، وهو جالس في منصة الإحتفال بذكرى الإنتصار على إسرائيل عام 1973. وأما الرئيس صدام

تحميلهم المسؤولية أمام الله والأوطان والشعوب، أما عدم توقع بوش (الابن) بما آل إليه عدوانه مع شريكه توني بلير على العراق، فهذا نوع من أنواع الجريمة المنظمة، خصوصاً أن سيناريو العدوان كان مبنياً على الاختلاق والتهيؤات، لا سامحهما الله ولا غفرت لهما شعوب الأمتين.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 9 فبراير (شباط) 2010

* * *

الصديق السوري.. والضيق الإيراني

يتصل الرئيس محمود أحمددي نجاد يوم الخميس 2010/2/11 بالرئيس بشار الأسد هاتفياً ليقول له من جانبه كلاماً لا ندري إذا كان الرئيس بشار يشاركة النظرة نفسها، مع ملاحظة أن ما قاله الرئيس الإيراني عبّر المكاملة الهاتفية لا يلتقي مع الذي أورده الرئيس بشار، وفي اليوم نفسه، في برقية التهئة التي بعث بها إلى الرئيس نجاد بمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين للثورة الخمينية. وبعد هذا الإتصال، وما تخلله من قول، يتبادل أهل الحكم الإيراني مع الإدارة الأميركية وبعض الحكومات الأوروبية التوصيفات الحادة، مثل قول هيلاري كلينتون: «إن إيران في طور التحول إلى دكتاتورية عسكرية»، وقول رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني: «إن الإدارة الأميركية مريضة»، ثم يتبع الرئيس نجاد هذا الحوار الخشن عبر الأثير بزيارة إلى دمشق قام بها يوم الخميس 2010/2/25، ويختار ذكرى المولد النبوي في اليوم التالي لهذه الزيارة لكي يؤدي مع الرئيس بشار الأسد صلاة الجمعة في مسجد الرئيس حافظ الأسد، وليس في الجامع الأموي الذي زاره حديثاً رئيس وزراء فرنسا فرنسوا فييون خلال زيارته إلى دمشق بهدف تمتين العلاقة الفرنسية - السورية، وليطلب إلى الرئيس بشار «منع إيران من إتخاذ قرارات خطيرة على السلام العالمي»، وجاء اختيار المسجد من جانب الرئيس بشار مراعاة لضيفه الرئيس نجاد، الذي يتحسس أهل الحكم الإيراني كثير التحسس من أي ذكر للأمويين كما تحسسهم من أي طرف يعتبر الخليج عربياً - وهذا واقع الحال - وليس «الخليج الفارسي»، وتبلغ بهم

حسين الذي شنفه الاحتلال الأميركي صبيحة الأضحى أيضاً من دون التنبه من جانب المحتلين وأهل الحكم العراقي إلى مهابة المناسبة وحساسيتها دينياً، فإنه هو الآخر بنى حساباته عندما غزا الكويت على أن حكام دول المنطقة سيعتبرون المسألة مجرد أمر واقع حصل، ويتعاملون مع الرئيس الذي غزا، كما بنى حساباته على أن أميركا التي غضت سفيرتها أبريل غلاسي الطرف مع أنها رمت الطعم لكي تعلق الزعامة العراقية بالصنارة، لكنه قرأ كلامها على نحو ما يحب، وليس على نحو ما تقصد أو تتوي أو تضرر شراً به، سترتضي برئيسها وكونغرسها وبنتاغونها الواقع الجديد وتتعامل معه، وعندما قال أمام أحد زواره بعد شهرين من الغزو، إنه لو كان يتوقع من العرب والمجتمع الدولي الموقف الذي تم اتخاذه معه لما كان غزا، فإنه بذلك كان مثل عبد الناصر الذي لم يتوقع ومثل السادات الذي لم يتوقع هو الآخر.

كما أن الأربعة الكبار الذين أوردنا وقائع حول ما فعلوا على سبيل المثال لا الحصر وهم، باراك أوباما، وجمال عبد الناصر، وأنور السادات، وصدام حسين قد ينضم إليهم الرئيس الخامس محمود أحمددي نجاد في حال ذاب الثلج وباتت السماء الإيرانية والخليجية عموماً الربيعية صافية، وقرر المجتمع الدولي تحويل المنطقة إلى براكين وساحة منازل لكل أنواع صواريخ التدمير الشامل، ونقول ذلك على أساس أن الرئيس نجاد وحرس إيران الثوري والمرشد آية الله خامنئي.. أي المثلث الذي يملك قرار المواجهة لا يصغي إلى تمنيات الإصلاحيين، لأنه لا يتوقع أن يتجرأ على إيران أحد، وقد نجد في حال حدث ذلك لإيران ربيع 2010 الرئيس نجاد يقف خطيباً ليقول، إنه لو كان يتوقع أن يرتكب المجتمع الدولي هذه حماقة لما كان عاند في الموضوع النووي، وعلى نحو ما قاله الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله صيف 2006 بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان من أنه لو كان يتوقع أن إسرائيل ستقوم بهذا العدوان رداً على خطف جنديين إسرائيليين لما كان لعملية الخطف أن تتم.

وخلاصة القول، إن عدم التوقع من جانب القادة الكبار، وأحدثهم باراك أوباما، الذي لم يتوقع أن تخذله إسرائيل في سعيه لتحقيق التسوية بقيام دولة فلسطينية قابلة للعيش إلى جانب دولة إسرائيل، لا يبرئ هؤلاء من

الحساسية حد طرد مضيف جوي غير إيراني نطق الاسم بـ «الخليج العربي» وكانت هذه «الخطيئة» مناسبة للتعميم على شركات الطيران الآتية إلى إيران بعدم قول «الخليج العربي»، وإنما «الخليج الفارسي».

الذي قاله الرئيس نجاد للرئيس بشار، وبثت الكلام قناة «برس تي في» الحكومية الإيرانية الناطقة بالإنجليزية، كان الآتي: «لدينا معلومات يعتمد عليها بأن النظام الصهيوني يبحث عن طريقة لتعويض هزائمه المخزية من أبناء غزة وحزب الله اللبناني. إذا كرر النظام الصهيوني أخطاءه، وبدأ عملية عسكرية فلى الدول الإقليمية أن تقف موحدة بقوة والقضاء عليه لمرة واحدة وإلى الأبد. وستظل إيران في صف دول المنطقة بما في ذلك سورية ولبنان وفلسطين». أما الذي لخصه الرئيس بشار في برقية التهئة، فكان الإعراب باسمه وباسم الشعب العربي السوري عن «أخلص التهاني وأطيب التمنيات». وهذه المفردات كررها الرئيس نجاد خلال الزيارة المشار إليها إلى دمشق، والتقى خلالها رموز الجناح الإيراني في الصف الفلسطيني المستوطنين، لكن ضمن الأصول في دمشق، ووفدا من حزب الله، برئاسة الأمين العام السيد حسن نصر الله، الذي لم يعد كما الحال من قبل يتحاشى إستقبال زواره، وكان آخرهم النائب السابق إلياس سكاف، ورئيس الحكومة اللبنانية الأسبق، نجيب ميقاتي. وأضاف إلى المفردات أمام زائريه اللبنانيين والفلسطينيين القول: «إن الصهاينة وحلفاءهم وصلوا إلى طريق مسدود. لقد إنتهت فلسفة وجود هذا الكيان الصهيوني ويتجه نحو الزوال».

من الواضح أن الرئيس نجاد المبتهج بـ «الإعجاز النووي»، وما يقال بأن إيران باتت قادرة على تخصيب اليورانيوم بنسبة مائة في المائة، الأمر الذي يعني أنها على حافة الانتقال إلى صنع قنبلة نووية، يريد غطاء سياسيا عربيا، وأنه يغتتم مناسبة التوتير اللفظي الراهن من جانب إسرائيل ضد سورية وحزب الله لكي يبقى على الطرفين، وبالذات على الحكم السوري، سندا وغطاء له في مواجهة مرحلة ما بعد العقوبات الدولية، التي بات مؤكدا أنها ستكون قاسية بما يجعل الوطأة تثقل الكاهل، وأن الصديق الروسي القريب، والصديق الصيني البعيد، لن يخالفا الإجماع الدولي في موضوع العقوبات، ولن يستعملا على نحو وعدهما للرئيس أوباما «الفيتو» عند التصويت. أما مرحلة ما بعد العقوبات، فربما تكون

ساخنة، ومن هنا الحرص الإيراني على أن تكون سوريا هي الميمنة لإيران في المواجهة إذا حدثت، ويكون حزب الله وحماس هما الميسرة. ومن باب التشجيع على خوض غمار المواجهة في حال حدوثها، يأتي قول الرئيس نجاد: «إن إسرائيل باتت ضعيفة وتتجه نحو السقوط ويجب التصدي لها والقضاء عليها لمرة واحدة وإلى الأبد إذا شنت حربا جديدة في المنطقة».

نحن إذا أمام وضع بالغ التعقيد. الحكم الإيراني يسرع الخطى في اتجاه الطموح النووي على أساس أنه بالإصرار على التخصيب يحافظ على مصداقيته أمام الرأي العام. والمجتمع الدولي لا يتراجع عن مخططه الذي يستهدف إخضاع الحكم الإيراني بالعقوبات بعد الدبلوماسية، وبالمواجهة في حال أن إيران النجادية تحملت العقوبات بمرارة وعذاب ليس من العدالة أن يتحملة الشعب الإيراني. وإزاء ذلك ما الذي يمكن أن يفعله الصديق السوري؟ هل يلبي متطلبات لحظة الضيق ويجاري إيران؟ أم يرى أن بعض الحكمة في التعاطي مع الموضوع الإيراني يبقى هو الأسلم خصوصاً بعدما استعادت علاقته مع المجتمع الدولي حيويتها؟ وأحدث خطوات الاستعادة التي تنسجم مع قول الرئيس بشار خلال المؤتمر الصحافي مع الرئيس نجاد «إن سورية أدرى بمصالحها» تمثلت في الموافقة على السفير الأميركي المعين لدى سوريا، روبرت فورد، إلى جانب استمرار الإطراءات اللفظية حول أهمية الدور السوري، ورفع الحظر عن عمليات ذات طابع إقتصادي وتجاري في مجالات من بينها ما يتعلق بطائرات الركاب.

إزاء هذه التساؤلات تستوقفنا زيارة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، لموسكو مصحوبا بممثل حماس في لبنان، أسامة حمدان، الذي رتب الزيارة مع السفير الروسي لدى لبنان. وفي هذه الزيارة وهي الثالثة لمشعل بعد زيارة أولى في مارس (آذار) 2006، وثانية في فبراير (شباط) 2007 اقتصر التحدث خلالها مع وزير الخارجية سيرغي لافروف يوم الإثنين 2010/2/8 سمع مشعل كلاما في اتجاه إبداء المرونة وتحقيق المصالحة مع السلطة الوطنية، التي كان الكرملين شدد عليها يوم زار الرئيس محمود عباس موسكو، قبل أن يزورها مشعل ببضعة أيام. وجاء كلام لافروف هذا يستبق زيارة مباغته قام بها لموسكو رئيس

الحكومة الإسرائيلية تنتباهو، تستهدف إقناع الحكم الروسي بفرض عقوبات لا يمكن أن يكون لها تأثير إلا إذا كانت ذات أنياب «وهذا ما سمعه مني الرئيس ميدفيدف»، كما أنه جاء وسط تعديل أقل من جذري وأكثر من طفيف تجاه الموقف من الموضوع النووي الإيراني وإلى حد أن روسيا التقت فرنسا يوم الإثنين 2010/2/15 في نفي كلام إيراني يشير إلى وجود عرض جديد من الدول الكبرى حول البرنامج النووي. كما تستوقفنا الخطوة الصادرة يوم نفسه الخميس 2010/2/11 عن رئيس فنزويلا هيوغو تشافيز، الذي هو أقرب حكام القارة الأميركية الجنوبية إلى إيران النجادية ولسوريا البشّارية، وتتمثل (أي الخطوة) في أن تشافيز الذي طالما نادى بالويل والثبور وعظائم الأمور ضد أميركا، اكتشف أن التنمية تبقى أكثر أهمية للناس ولبقائه ولتاريخه من مسلسل التهديدات بمفرداته الثورية المشابهة للمفردات النجادية - الكاستروية. ومن أجل ذلك طوى صفحة التأميم السارية منذ ثمانية أعوام، ومنح شركتين تنتميان إلى دولة الاستكبار، الولايات المتحدة، والدولة السائرة عملياً في ركاب دولة الاستكبار إياها، إسبانيا، أكبر الاستثمارات في قطاع النفط، ستحصل فنزويلا التشيفازية بموجبها على عشرات المليارات من الدولارات. وكأننا بالرئيس تشافيز يقول لصديقه نجاد إن استدارة العقيد معمر القذافي في السابق كانت فعل حكمة على الرغم من كثرة التفسيرات في شأنها، وأن الاتفاق الذي أبرمناه مع شركة «شيفرون» الأميركية وشركة «ريسبول» الإسبانية يبقى أفضل من المشاكسة بالخطب الطويلة الحافلة بأنواع الاتهامات القاسية كلها، والتي لم أحصل منها سوى على التصفيق مع أنني دولة نفطية ذات أهمية قصوى في «أوبك»، وأن التنمية مرتبة والشعب يسأل: لماذا هذه حالنا مع أننا دولة نفطية؟ كأننا أيضاً بالرئيس تشافيز يهمس وهو في كراكاس، يحاول استخلاص العبر من سنوات التحدي، في أذن آية الله علي خامنئي مرشد الثورة في إيران، ناصحاً إياه وهو الأعلى مقاما في بلده المستهدف، بأن يتروى ويبادر إلى تعديل أسلوب المخاطبة الذي يعتمد في حديثه عن الولايات المتحدة والمجتمع الدولي الملتف حولها، مقابل الالتفاف على إيران، وبالذات ما قاله يوم الإثنين 2010/2/8 خلال إحياء ذكرى مرور 31 سنة على تقديم القوات الجوية الإيرانية الدعم للإمام الخميني،

وبذلك أمكنه الإطاحة بنظام الشاه. ففي كلمته جاء الآتي: «إن النظام الإسلامي في إيران يتعرض لأكثر هجوم إعلامي كاذب وضغوط سياسية واقتصادية ومختلف أنواع الحظر لكنه يقف كالطود الشامخ أمام كل هذه الضغوط حيث لن تقدر أميركا والصهيونية والاستكبار على زعزعة هذه الثورة قيد أنملة»، ثم يضيف: «إن هؤلاء، أي التيار الإصلاحية بزعامه موسوي وكروبي، الذين وقفوا ضد العمل العظيم الذي قام به الإيرانيون في الانتخابات ليسوا جزءاً من الشعب الإيراني، وإن الأمة الإيرانية بوحدتها وبفضل الله ستوجه إلى قوى الاستكبار صفعة 11 فبراير، أي يوم الاحتفال بذكرى الثورة، بطريقة ستذهلها». ومثل هذا الكلام يفيد كتعبئة، إنما لا يبدل من تعقيدات الأزمة. من هنا نقول: عسى ولعل يقرأ الرئيس نجاد بعناية طبيعة السباق الذي يخوضه صديقه الرئيس بشار منذ مدة، والرئيس تشافيز بدءاً من مطلع فبراير 2010 في اتجاه التنمية. وهذان الصديقان مقتنعان بأن الإهتمام بالبلد والشعب والتروي وخوض غمار التنمية، يبقى أفضل من خوض غمار الطموح في اتجاه الزعامة النووية. وفي تقديرنا أنه إذا أصغى بعناية إلى النصائح التركية ومضامين الرسائل الشفهية التي يحملها الصديق القطري له، وهي رسائل حافلة بالتحذيرات الأميركية - الأوروبية الجديدة، والشبيهة - الرسائل والتحذيرات - بتلك التي نقلها الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني، كان ما زال فقط وزيرا للخارجية، ولم يكن الوجود العسكري الأميركي في قطر وبعض دول الخليج بالكثافة التي بات عليها لاحقاً، إلى الرئيس صدام الذي لم يأخذها على محمل الجد، فأمن عناداً لتمتع الإدارة البوشية عدواناً.. إنه إذا أصغى الرئيس نجاد إلى ما نقله ولي عهد قطر ثم رئيس وزراء قطر ثم وزير خارجية تركيا، فإنه لن يخسر ويمني إيران الشعب والوطن بخسائر لا يرضى رب العالمين إلحاقها بعباده. كما أنه لن يخسر إذا هو قرأ بعناية أيضاً كلام وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون يوم الإثنين 2010/2/15، وبالذات في الدوحة القلعة الإستراتيجية العسكرية الأميركية، كما بالذات أيضاً أمام الدورة السابعة من منتدى «الولايات المتحدة والعالم الإسلامي»، فإنه لا بد سيتخذ وقفة تأمل لا يفيد فيها التحدي، خصوصاً أن كلينتون كانت واضحة عندما قالت أمام الجمع الإسلامي الكبير: «إن إيران لا تترك

للمجتمع الدولي سوى خيار فرض ثمن باهظ ضد إجراءاتها الإستقرارية، وإنما تُعد بالتعاون مع حلفائنا إجراءات جديدة لإرغام إيران على العودة عن قراراتها الإستقرارية»، ثم أتت بعد انتقالها إلى الرياض يوم الإثنين 2010/2/15 للتحادث مع الملك عبدالله بن عبد العزيز، التحذير أو التنبيه أو النصيحة، لا فرق، بالقول: «إن عددا من قادة المنطقة يشعرون بالقلق من نيات إيران، التي تتحول إلى ديكتاتورية عسكرية، ويدركون أنها تمول في شكل مباشر أنشطة إرهابية»، الأمر الذي حدا بالأمير سعود الفيصل إلى أن يقول في المؤتمر الصحفي المشترك مع وزيرة كلينتون قبل مغادرتها الرياض: «علينا أن نفكر في خطة حقيقية لتلافي انتشار السلاح النووي في المنطقة، فالتاريخ يشهد بأنه لا يوجد سلاح إلا وتم استخدامه. ونحن ندعو إيران إلى الاستجابة لما يزيل الشكوك الإقليمية والدولية حيال برنامجها النووي». وفي ضوء الإصغاء والقراءة والتأمل لما أوردناه، نفترض أن الحكمة توجب على الرئيس نجاد توجيه الدعوة إلى إيران المتحفظة، أي الحركة الإصلاحية المعارضة، للوقوف إلى جانب إيران المحافظة، أي المرشد والرئيس نجاد والحرس الثوري، من أجل طي صفحة المواجهة المستندة إلى طموح نووي، لن يكون في أي حال من الممكن توظيفه لا ضد إسرائيل النووية، ولا ضد إرادة المجتمع الدولي في أن يكون الهاجس الأساسي هو استنباط تسويات متوازنة تلغي القضايا العالقة، التي من أهمها أن يكون للشعب الفلسطيني دولته، وهذا في أي حال لن يحققه الطموح النووي وبالذات في حال امتلكت إيران قنبلتها.

وتبقى الإشارة إلى أنه إذا كان الهاجس النووي الإيراني ناشئاً عن أن الطيف الشيعي في العالم الإسلامي لا يملك القوة النووية، بينما الطيف السني متمثلاً في باكستان يملك هذه القوة، فهذا معناه أن المسألة تخرج عن نطاق ما هو سائد من محاولات إقناع بأن إيران تستعد نووياً من أجل القضية الفلسطينية. والهاجس الذي نشير إليه لا يخفيه المسؤولون الإيرانيون، بل إنهم تحدثوا صراحة حوله، معتبرين ما معناه أن التقنية الإيرانية أكثر تقدماً من تلك التقنية التي اعتمدت في بناء القنبلة النووية الباكستانية، وأن السيطرة على الجبهة الداخلية في إيران تتسم بانضباط غير متوافر للجبهة الداخلية في باكستان، مما يعني أن القنبلة النووية الباكستانية يمكن أن تقع في أي لحظة فوضى، كما الحال السائدة في باكستان بأيدي «القاعدة». وإذا يجوز

إعتبار هذه الإشارة من جانب مرجع نووي إيراني بأنها رسالة إلى أميركا مفادها «أننا، أي الثورة الإيرانية، سنكون معكم في حال امتلكتنا القنبلة النووية». وقد يكون صهر الرئيس نجاد هو الذي يفتح الأميركيين سرا بهذه التخريجة - الهدية. تبقى الإشارة أيضاً إلى أنه إذا كان الرئيس نجاد مقتنعاً بأن إيران هي «خط الدفاع في مواجهة الأطلسي» على نحو قوله الذي سمعناه منه، فإن ذلك يتطلب وجود خطوط إسناد عربية وإسلامية له، ومن أجل ذلك رأيناه وفي لحظة الشعور بالضيق يطرق شخصياً يوم الخميس 2010/2/25، بعد الطرق الكلامي الذي تنوعت مفرداته، باب الصديق الوحيد، الذي هو الحكم السوري. ولكن فاته أن هذا الصديق، على نحو قراءتنا ما بين سطور كلامه في المؤتمر الصحفي مع الرئيس النووي الزائر وإمتزاج الجد بالظرف في الإجابة ابتعاداً عن التحديد الحاسم للموقف، في مرحلة إعادة ترتيب الأوراق على الطاولة، وأن الأطالس يدقون أبواب دمشق ويجدون من يفتحها لهم ما داموا يطلبون علاقة متجددة، وما دامت سوريا البشّارية في صدد استكمال تصحيح ما سبق البدء في تصحيحه وترميم ما يجب ترميمه، وفي منأى عن النجادية وإقتراب من الحنكة القذافية في تفهم واقع أحوال العالم، مع أن إفتعال الأزمة مجدداً بين سويسرا وليبيا مؤشر إلى مرحلة ما بعد الأخذ بتلك الحنكة، التي لا ليت يستوعبها نجاد في المرحلة الراهنة من الضيق وبذلك لا يجرح الصديق السوري المستغرق في إعادة ترتيب الأوراق على الطاولة العربية - الدولية، مكتفياً بقرار إلغاء التأشيرات بين سوريا وإيران، وهي خطوة كانت تركيا الأريوغانية السبّاقة إليها وسوريا البشّارية التواقة إليها.. أو العكس.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 2 مارس (آذار) 2010

* * *

«يوم الرياض» في اليمن.. بإطلالة الملك

عبد الله بن عبد العزيز

كان لا بد من أجل اكتمال معاني اللفتة - النخوة من جانب الملك عبدالله بن عبد العزيز إزاء اليمن الخارج من حالة تمرد، لا أعادها الله، وقد ملأت المشهد

جراح معنوية هي في واقع الحال بخطورة جراح الذين سقطوا وعذابات الذين نزحوا.. كان لا بد من تلمس رؤية يمنية متجردة لما بعد اللفتة التي تمثلت في استضافة الرياض مؤتمر المانحين، ومسارة المملكة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله ومباركة وليّ عهده الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى تسديد المنحة السعودية كاملة وقدرها مليار دولار. وبهذه المسارعة لا تكون بقية الدول المانحة متريثة في تأدية واجب الدفع، وبما يحقق لليمن الشروع في بدء عملية تنمية تؤسس للاستقرار المنشود، وبذلك لا تعود الأرض اليمنية لاستقطاب «القاعدة» وأخواتها ولا العم سام وشركائه.

وعن طريق الإنترنت تواصلت مع الأخ لطفي نعمان في صنعاء لكي يوضح لنا ماذا بعدما هدا الإعصار الحوثي وحلت بركات خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز على ذوي الجيرة الطيبة أهل اليمن. أما لماذا الأخ لطفي بالذات، فلأنه باحث ومتابع وأحد الواعدين في العائلة الثالثة في السلالة النعمانية، كما أنه حفيد النعمان الكبير الأستاذ أحمد عضو المجلس الجمهوري وأحد بناء اليمن الجديد، والبالذ كثير الجهد بدعم ميمون من الراحل الطيب الذكر عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري (رحمة الله على الحكيمين المنارين الشيخ عبد العزيز والأستاذ أحمد)، من أجل تحقيق فكرة إنتساب اليمن إلى مجتمعه الخليجي، وبذلك تتلاشى مع الوقت احتمالات الخطر عليه أيضاً منه. وعلى النحو الآتي ألخص الرؤية النعمانية ناسباً الكلام إلى الأخ لطفي الذي قال:

«إنقضى يوم اليمن في الرياض، حيث وفد إلى هنالك من الشمال والشرق والغرب والجنوب المعنيون باليمن من أصدقائه وأشقائه المانحين وأبنائه الممنوحين عوضاً عن عقد الإجتماع في البلد الممنوح.

المسافة الزمنية لم تكن بعيدة بين انقضاء يوم اليمن في لندن، وانقضاء المواجهة المسلحة بين الحوثيين والجيشين السعودي واليميني، واليوم اليمني الحافل في موطن الدور الأساسي في الجوار القريب، الذي ظل لوقت غير بعيد (بوابة العالم) إلى اليمن، ويظل بوابة تخليج اليمن، والمسافة المكانية كذلك لا تبعد كثيراً عن صنعاء أو حضرموت أو عدن أو تعز أو الحديدة ليصل المانحون في قادم الأيام زائرين للممنوحين.

بعيدا عن إفرازات إجتماع فريق العمل المشترك بين

اليمن والمانحين لتحديد الإحتياجات التنموية اليمنية، تجري مقارنة لأجزاء مما بيّنه البيان الصادر عن مجلس التنسيق السعودي - اليمني، (المنشأ منذ 35 عاماً) في دورته التاسعة عشرة برئاسة رئيسي الجانبين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وصاحب الدولة الدكتور علي محمد مجور.

شغل المجالان الإنمائي والتجاري والصناعي أكبر حيز في البيان وفي الإجتماع. واختصرت مجالات أخرى اقتصر فيها على الترحيب بما وُقّع بشأنها. وأكثر المجالات (المختصرة) أهمية من وجهة نظر بعض المهتمين بتنمية هذه الجوانب في العلاقات مجال الثقافة والإعلام ومجال المياه والكهرباء.. حيث إهتموا في الأول بتجديد البرنامج التنفيذي الإعلامي فقط وغفلوا عن الثقافي، مع أنه ما يجدد روح العلاقات وينميها وينقيها من بعض الشوائب السياسية التي لم تُنق بعد. أما في مجال المياه والكهرباء فخير ما يفعل البلدان أن يبددا معا الظلمة المتقطعة التي يعيشها المواطنون اليمنيون، ويحولا دون الظلم المحتمل لهذه البلدة الطيبة. واختتم البيان كما يُختتم كل بيان صادر عن الدورات بتطلع رئيس الحكومة اليمنية إلى إستقبال الوفد السعودي إلى الدورة القادمة، أي الدورة العشرين في اليمن. وقد كان من المفترض أن يصل الوفد السعودي إلى اليمن في هذه الدورة لولا تداعيات حالت دون ترتيبات الوصول. والتعويض عن هذا الأمر سهل ويمكن الإسراع فيه تمتيناً للروابط القائمة بين البلدين. باستعراض موجز لمسار العلاقات بين البلدين، يتجلى أنه لم يزر اليمن ملك سعودي غير الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود في يوليو (تموز) 1954 أيام (اليمن الملكي)، أما الملك فهد فإنه زارها أميراً عام 1955، فيما زار ولياً العهد عبد الله (منذ عام 1985 - 2001) وسلطان (منذ عام 1976 - 2006) (اليمن الجمهوري) مراراً، لا سيما الأخير لترؤسه الجانب السعودي في مجلس التنسيق الذي إنعقد تسع عشرة دورة، منها ست دورات فقط انعقدت في صنعاء والمكلا، بخلاف زيارات خاصة، تطول أو تقصر، للأمرأ نايف بن عبد العزيز وسعود الفيصل ومحمد بن نايف وخالد بن سلطان مؤخرًا.. وغيرهم من الأمرأ المسؤولين. من الأولى وقد إرتقت العلاقات إلى مستوى التنسيق الوثيق والتشابك العميق، مبادرة خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود والرئيس علي عبد الله صالح، إلى تجديد هذه السنة في العلاقات دعوة واستجابة، خاصة أن عشرًا من السنين انقضت على توقيع معاهدة جدة بين اليمن والسعودية، ويفترض الاحتفاء بها على نحو يليق بالمناسبة من خلال ندوات علمية مشتركة بين مراكز وهيئات وصحف سعودية ويمنية تحتضنها العاصمة صنعاء برعاية العاهلين الكريمين.

أن يشهد العالم (يوم الرياض) في اليمن، ويتابعوا نتائج زيارة أول ملك سعودي للجمهورية اليمنية، وثاني ملك سعودي يزور اليمن، وأول قائد لأهم بلد مانح يزور اليمن الممنوح، إثباتاً لعدم صحة المخاوف الأمنية، إنما هي أمنية غير مستحيلة التحقق، لقرب المسافة المكانية وتلاشي الحدود والسواتر النفسية والثقة المتبادلة بين البلدين والقيادتين والمولاة للجهات المعنية في اليمن لتأمين الزيارة المرتقبة».

يبقى أن ما أضيفه إلى هذه الرؤية النعمانية هو التمني بأن يأتيها في أي لحظة نبأ يثلج الصدر، ومفاده أن شعب اليمن يستقبل في صنعاء وبجفاوة قل نظيرها الملك عبدالله بن عبد العزيز. وأما بالنسبة إلى الحوثيين فإن خير تكفير عن إساءة اقترفوها هو أن يكونوا مشاركين في استقبال القائد المتسامح والحكيم الحادب على اليمن وسائر أقطار الأمتين عبد الله بن عبد العزيز.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 9 مارس (آذار) 2010

قمة العقيد العميد العنيد

في مواجهة الغياب والتغيب

من غرائب الأمور المتصلة بالعلاقات أن العقيد معمر القذافي يعيش في خضم انهماكه باستضافته الأولى للقمة العربية الدورية، حالة صداع مزدوجة من ومع دولتين إلتقى التوصيف لهما على أنهما توأمان: سويسرا التي إنتهت صراعات التنوع فيها إلى إعتبارها دولة مثالية للحياة، وتوأمها لبنان حامل صفة أنه «سويسرا الشرق» الذي لا تستقر حاله نتيجة صراعات

التنوع ولأن خيار الحياد لم تتضح بعد عملية إستتباطه. وإذا كانت الإرادة الدولية لن تتوصل إلى إعتبار لبنان ومن بعده الدولة الفلسطينية المأمولة كيانين لهما صفة الحياد في المشرق العربي فإن هاتين الدولتين، دولة لبنان القائمة والدولة الفلسطينية التي قيامتها على طاولة المجتمع الدولي، ستبقين ساحتيّن لمن هبّ ودبّ ولكل ما من شأنه استيلاد أنواع الصراعات والفوضى التي لا مثيل لخطورتها.

افترضنا بعدما استقر التشاور في القمة العربية الدورية في الدوحة (2009) وكانت التاسعة بعد الأولى في عمان (2001) ثم قمة مبادرة السلام العربية في بيروت (2002) تلتها القمة الثالثة (2003) في شرم الشيخ بديلاً عن تونس التي احتفظت بحق استضافة القمة الرابعة (2004) ثم القمة الخامسة في الجزائر (2005) والسادسة في الخرطوم (2006) ثم قمة نقد الذات العربية من جانب الملك عبدالله بن عبد العزيز (الرياض 2007) وبعدها قمة الغياب الكبار (دمشق 2009) ... افترضنا بعدما إستقر التشاور في قمة الدوحة على أن تكون القمة التالية في ليبيا، وليست في العراق بموجب الترتيب الأبجدي، إذ كيف يمكن أنعقاد قمة في عاصمة الرشيد على دوي مسلسل الانفجارات حتى في المنطقة الخضراء التي تتربع فيها قيادة الاحتلال الأميركي وسقوط الضحايا بالمئات قتلى وجرحى، بأن العقيد معمر القذافي الذي لم يعوضه التتويج الأفريقي فقدانه الحضور الفاعل بين بني قومه العرب، سيبدأ انطلاقاً من القمة التي تتعقد للمرة الأولى في ليبيا واختار لمكان الانعقاد عاصمته الشخصية (سرت) لا عاصمة الجماهيرية (طرابلس) رحلة العودة من أدغال السياسات الأفريقية إلى دهاليز السياسات العربية. كما أن إفتراضنا كان على أساس أن العلاقات العربية لليبيا تحتاج إلى ترميم وتصحيح وأن التصويب الذي حظيت به العلاقات الليبية مع المجتمع الدولي بدءاً بإيطاليا وصولاً إلى الولايات المتحدة مروراً ببريطانيا وفرنسا وألمانيا تعريجا على روسيا التي استأنفت بحوية دور تاجر السلاح تبعية من دول مقتدرة ذهباً أسود مثل إيران وليبيا وذهباً رناناً مثل الهند، يجعل العقيد القذافي يبادر إلى الترميم والتصحيح وأن القمة العربية الدورية التي سيستضيفها هي أفضل مناسبة لكي يحقق ذلك لكن من سوء الحظ جاءه الصداق السويسري المزدوج. الأول من

«سويسرا الغرب» المتكئة على سفوح جبال الألب المتعممة بخيرات تأتيتها على جناح الحياد، بحيث إن مصارفها متخمة بأموال الباحثين عن صناديق آمنة لثرواتهم الشخصية أو للثروات المنهوبة. و«سويسرا الشرق» لبنان الذي لم يلقَ إهتماماً دولياً وإقليمياً وعربياً مثل الإهتمام الذي يلقاه ويرلوح بين أن يكون ساحة صراع وأرض إستثمار، ثم يبلغ الإهتمام أعلى درجاته متمثلاً في تعاملات متناقضة، حيث هنالك مؤتمرات للمانحين من جانب البعض لدعم الدولة وتزويد بأنواع من الأسلحة الصاروخية من جانب البعض لدعم المقاومة التي يتولاها منفرداً حزب الله. كما أن هنالك من أكثرية دول العالم مجتمعة قوات بمئات الأفراد والآليات تستوطن مناطق على الحدود مع إسرائيل لتمنع حدوث أي إختراق أو إجتياح وتسكين نشاط المقاومين فلا يستعملون الصواريخ ولا تتكرر واقعة الخطف، وذلك في إنتظار إستكمال إنضاج التسوية على نار خفيفة.

جاء الصُداق السويسري يعكس أسلوباً ثانياً من جانب الدولة الصغرى حجماً الكبرى من حيث الحياد والتنوع الإيجابي. ومحور الثأر واقعة بطلها هنيبعل القذافي الذي كان، كما حال بعض المتميزين والميسورين في النظام الليبي، يستعذب الإجازة والتسوق في سويسرا، في زيارة خاصة إلى جنيف ترافقه زوجته، وتعرض الإثنان لمساءلة من البوليس السويسري نتيجة شكوى تتعلق بسوء معاملة المخدمين للخدم. وحدث ذلك دون أن يأخذ البوليس السويسري في الإعتبار أن ما قد يراه طبيعياً وفي نطاق القانون الذي لا يميز بين شخص وآخر عندما تكون هنالك شكوى، لا يمكن قبوله في مجتمع أهل الحكم عموماً في العالم الثالث وبالذات من جانب العقيد القذافي الذي رأى في التصرف السويسري مع أحد أبنائه إساءة لشخصه. وبما أن حاجة سويسرا إلى ليبيا وبالذات إلى نفطها وزوارها المتميزين الميسورين أكثر من ماسّة، فإنها تحملت إجراءات من جانب النظام الليبي، لكن ذلك لم يشكل الرضا الكافي فاضطر رئيس الدولة السويسري إلى الذهاب شخصياً إلى ليبيا لتطبيب خاطر العقيد القذافي مع مراعاة عدم إستعمال عبارة الاعتذار التي يريد الرئيس الليبي سماعها وليس بالأمر السهل على المسؤول السويسري الأرفع شأنًا قولها. ومع ذلك لم ينجح هذا المسؤول في لوم اللاتمين في بلده لما فعل، ذلك أن الصحافة السويسرية بالغت في

انتقاده معتبرة أنه خدش بزيارته الكبرياء السويسرية مع أن الرجل أوضح، كما الخارجية السويسرية، بأن الزيارة هي من أجل الحفاظ على المصالح الإقتصادية للبلد المحايد.

ويبدو أن المسألة استمرت تتفاعل لدى الجانبين وتتشأ نتيجة ذلك تعقيدات وإجراءات من بينها إحتجاز رجلَي أعمال سويسريّين في سجن في طرابلس وقيود فرضتها سلطات الهجرة السويسرية ردت عليها ليبيا بالمثل. ثم حدثت الغلطة الأكثر حدة عندما نشرت الحكومة السويسرية «قائمة سوداء» تتضمن أسماء 188 مسؤولاً ليبيا من بينهم العقيد القذافي نفسه وأفراد أسرته وكبار مساعديه ومسؤولي الحكومة الليبية تمنعهم من دخول الأراضي السويسرية! أما لماذا هي غلطة فلأن جنيف هي المقر الأوروبي للأمم المتحدة ولأن سويسرا دولة حياد. والتصرف ربما هو طبيعي لو كانت الصفتان غير موجودتين، أي أن سويسرا ليست دولة محايدة لا تعالج الأمور بالعقلية الثأرية رداً على إنفعالات ثورية وأنها لا تستضيف المقر الأوروبي للأمم المتحدة. وهذا التميز لا يجيز لها منع مسؤولين من دولة عضو في الأمم المتحدة من المشاركة في مؤتمرات تتعقد في رحاب المقر الأوروبي للمنظمة الدولية.

وعلى قاعدة «كما تعاملني يا صديق أو يا غريب أعاملك»، وجّه العقيد القذافي رداً على الفعل السويسري المستهجن صدوره باتخاذ ما هو أشد منه مستحضراً هذه المرة واقعة قرار حظر بناء المآذن في سويسرا. كما أنه اغتتم مناسبة ذكرى المولد النبوي فدعا في إحتفال حاشد أقيم مساء الخميس 2010/2/25 وبحضور عدد من رؤساء الدول الإسلامية والإفريقية أمّ بهم صلاة المغرب إلى «إعلان الجهاد بكل الوسائل ضد سويسرا ومقاطعة منتجاتها». وعلّل الدعوة بالقول: «قاطعو سويسرا. قاطعو بضائعها. قاطعو طائراتها. قاطعو سفنها. قاطعو سفارتها. قاطعو هذه الملة الكافرة الفاجرة المعتدية على بيوت الله. إن أي مسلم في أي مكان من العالم يتعامل مع سويسرا هو كافر وضد الإسلام وضد محمد وضد الله وضد القرآن. وعلى كل مسلم أن يجاهد ضد سويسرا. ضد الصهيونية. ضد العدوان الأجنبي. وما لم يستطع المسلم الجهاد بالنفس فليكن الجهاد بالمال، وهذا ليس

إرهاها».

بعد هذا الموقف المتبادل عنادا دخل السعي الدبلوماسي على خط التهدئة وبدأ رئيس الدبلوماسية الليبية موسى كوسى الذي ينهج أسلوب اللواء عمر سليمان في التفاوض مهمة إيجاد صيغة ما لعلاج الحالتين اللتين تُلقيان بأثقاليهما على قمة العقيد العميد العنيد: حالة الأزمة مع «سويسرا الغرب» معتمداً في سعيه على انسجام نوعي في العلاقة الليبية - الإيطالية وبأمل أن تجدي المحاولة التي سيقوم بها الرئيس برلسكوني لدى دول الاتحاد الأوروبي ولدى سويسرا التي يتعاطف معها الاتحاد. وحالة الأزمة مع «سويسرا الشرق» أي لبنان الذي يشكّل غيابه عن القمة ثغرة لمؤسسة أهل الحكم العربي ويشكّل حضوره نجاحاً نوعياً لهذه القمة التي بادر رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري الذي هو في الوقت نفسه رئيس «حركة أمل» إلى المطالبة بمقاطعة لبنان لها باعتبار أن تغيب الإمام موسى الصدر قضية وطنية، ثم اتسع نطاق الدعوة إلى المقاطعة والإكثار من الكلام الاتهامي في حق العقيد القذافي والتذكير في الوقت نفسه بدعوى قضائية في لبنان ضد الرئيس الليبي وإصدار مذكرات توقيف بحقه وسبعة عشر آخرين من المسؤولين الليبيين بتهمة الاشتراك في خطف الإمام الصدر ورفيقه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين يوم 1978/8/31. وهذه المطالبة بعدم مشاركة لبنان في القمة تعني وضع القادة العرب أمام حالة غير مسبوقة كما تضع رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الحكومة أمام مأزق حقيقي، حيث إن مسايرة الرئيس نبيه بري ضرورية لهما وفي الوقت نفسه إن مقاطعة لبنان للقمة ضرر للبنان.

ومن هنا يبدو تكليف موسى كوسى أو عمر سليمان الليبي بمهمة دعوة الرئيس بشّار الأسد إلى القمة لا أحمد قذاف الدم كما لو أنه من أجل أن يستخدم المسعى الحميد لدى لبنان فلا يقاطع أولاً، ويشارك على المستوى الأرفع ثانياً، خصوصاً أن التخرجة التي دعا إليها الرئيس بري وتقضي بنقل القمة إلى القاهرة غير قابلة للتنفيذ لكونها رأياً خاصاً لا رأياً صادراً عن الدولة اللبنانية. وعلى هامش المشاركة يكون لمن سيمثل لبنان حديث في العمق حول تغيب الإمام موسى الصدر تقديراً لعدم غياب لبنان عن القمة.

وفي زمن المصالحات العربية التي نرى أن الرئيس بشّار الأسد لكونه محوراً أدري بعوائدها ومخاطر تداعيات إستمرار الخصومات، تجوز كل الإجهادات وتصيح المحاولات لرأب الصدع سعياً مشكوراً.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 24 مارس (آذار) 2010

النمر الإسلامي والنمر الهندوسي..

والانحياز الإيجابي إلى التنمية والسلام

تزداد بين المملكة العربية السعودية والهند علاقة تجعلنا نستحضر بدايات نموها في الستينات على أيدي رموز مضيئة في العمل السياسي من الجانبين الهندي والعربي، مثل الملك فيصل بن عبد العزيز والرئيس جمال عبد الناصر والبانديت نهرو. ثم بدأ ذلك النمو بالانحسار إلى أن جاء الملك عبد الله بن عبد العزيز قبل ثلاث سنوات، وتحديداً من خلال زيارة تاريخية للهند من الثلاثاء 24 إلى الجمعة 27 يناير (كانون الثاني) 2006، يعيد إلى تلك العلاقة حيويتها ويضيء - إذا جاز التعبير - المزيد من الشموع لكي تستمر الإضاءة بين دولتين تجمعهما الرؤى المشتركة بنسبة ملحوظة. وهذه الرؤى لخصها «إعلان نيودلهي» الصادر في اليوم الأخير للزيارة بالقول: «إن زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز تعكس نظرة القيادتين السعودية والهندية الإستراتيجية الواسعة، والعزم على العمل معا عن قرب لرفاهية ومصالحة شعبيهما، ولخدمة السلام والاستقرار في العالم».

وفي ظل هذه العلاقة المستقرة والمتطورة في منأى عن الضغوط والتحديات جاءت الزيارة التي قام بها الأمير سلمان بن عبد العزيز للهند يوم الأحد 11 أبريل (نيسان) 2010، مصحوباً بوفد من رجال الأعمال على نحو ما سبق أن فعل الملك عبد الله بن عبد العزيز في جولته التي شملت الصين والهند واليابان وماليزيا، وهو إصطحاب بات جزءاً من أجندة الزيارات الرسمية السعودية، كما جاءت زيارة الأمير سلمان مصحوباً بالأبناء الخمسة الأمراء فيصل ومحمد وتركي ونايف

وبندر لكي يضيفوا بالمشاهدة وإن في رحلة خاطفة ما يسمعون من والدهم عندما يروي وهو المعاش والقارئ والمتابع لتطورات العلاقة العربية - الهندية في حقبتها: حقبة الحياذ الإيجابي بمفهوم عبد الناصر، الذي يتسم بالتحدي للغرب والشرق في زمن الحرب الباردة، والحياذ الإيجابي بالمفهوم السعودي الذي يتسم بمنأى عن التحدي بالسعي لجمع الغرب والشرق على كلمة سواء. وجاءت «المبادرة العربية» كما تكونت من خلال مشروع الملك فهد في «قمة فاس» ورؤية الملك عبدالله بن عبد العزيز التي إنتهت في «قمة بيروت» مبادرة عربية بالإجماع، تؤكد إرتياحا وقبولا على المستوى الدولي لهذا التوجه. ومن الجائز الافتراض أن هذه الرؤية كانت من جملة مستلزمات ساعدت بنسبة ملحوظة على أن تبدأ ملامح التصدع النسبي للمرة الأولى في العلاقة الأميركية - الإسرائيلية، وعلى أن يتواصل العلاج للعقدة الإيرانية وفق قاعدة المجادلة والتي هي أحسن، ثم أن يبادر الرئيس باراك أوباما إلى إستتساخ «العقيدة النووية» من «المبادرة العربية»، وكلتاها حل وسط بين مواجهة العناد بالحرب أو المواجهة بالحسن، حتى إذا تطلب الأمر الكثير من سعة الصدر والكثير من كظم الغيظ. بل إن عقيدة باراك أوباما ومبادرة عبد الله بن عبد العزيز قبل ذلك بثمانين سنوات هما للسلام الذي تتوق إليه شعوب العالم تجاوبا مع الديانات السماوية الثلاث والمذاهب الدنيوية الفلسفية الأخرى مثل الهندوسية التي تعتنقها الهند ذات المليار والمائة والأربعين مليون نسمة، بنسبة ثمانين في المائة. أما المسلمون المائة والثلاثون مليون نسمة فيشكلون نسبة 14% من مجموع السكان، يليهم المسيحيون بنسبة 2,4%، والسيخ بنسبة 2%. ونشير إلى أن عدد المسلمين في الهند هم بعدد سكان باكستان المسلمة بالكامل، التي لا تستقر على حال، والتي كان عدم الإستقرار فيها واحتمال تسرب «طالبانها» وبمساعدة من إيران إلى الإمساك بسلاتها النووي يتفجر عشوائيا من جملة الهواجس التي قادت إلى «العقيدة النووية» للرئيس أوباما، ثم مسارعه إلى ترجمتها إلى قمة استضافت الدول الست والأربعين المدعوة إليها من جانبه، وامتناع الدولة المشكلة إسرائيل عن الحضور، مع أن المشاركة، وفي الوقت نفسه دعوة إيران العvisية على الإرادة الدولية في الموضوع النووي، وكذلك دعوة كوريا الشمالية، كان

ربما سيحقق مصالحة تدعم تلك العقيدة. وهذه المصالحة يتوق إليها الجميع وفي المقدمة السعودية القادرة، لو كانت قيادتها مسكونة كالجارة إيران بتطلعات الهيمنة، على امتلاك السلاح النووي تصنيعا أو استعارة، والهند التي تملك هذا السلاح إلا أنها تتمنى أن تدق في أي لحظة ساعة الخلاص بنفض اليد من هذا «التراث» النووي الذي لا يتناسب مع عقيدة المهاتما غاندي، وأوجبت امتلاكه ظروف الحرب الباردة ويوجب مناخ التعايش الدولي النظيف التخلص منه خلال سنتين وعلى نحو ما فعلت أوكرانيا وحذت حذوها المكسيك وكندا وتشيلي.

ومع أن التبادل التجاري بين المملكة العربية السعودية والهند في خط بياني متصاعد، كونه موضع إهتمام من القيادتين، وهذا ما يرتاح إليه رجال الأعمال في الدولتين، إلا أن زيارة كالتي قام بها الملك عبدالله بن عبد العزيز بعد أسابيع قليلة من مبايعته خلفا لأخيه الراحل الملك فهد بن عبد العزيز، ثم رد رئيس الوزراء الهندي الدكتور مانموهان سينغ بزيارة للمملكة يوم الأحد 28 فبراير (شباط) 2010، فالزيارة التي قام بها الأمير سلمان بن عبد العزيز يوم 11 أبريل 2010، من شأنها أن تضع العلاقة الإقتصادية بين الهند ذات المليار والمائة والأربعين مليون نسمة، التي هي النمر الهندوسي الإقتصادي الصامد في زمن الإرتباك المالي والإقتصادي الدولي، والنمر العربي الإسلامي الذي يزداد صلابة ومُصيًا في عملية تصنيع لا تقتصر على المدن الرئيسية وإنما تشمل المحافظات، وهو ما بدا واضحا في المدن الصناعية التي وجّه الملك عبدالله بن عبد العزيز بسرعة الإنجاز لها. كما تلفت إنتباهنا إشارة الأمير سلمان وقبل ثلاثة أيام من التوجه إلى الهند خلال تشييده يوم الأربعاء 7 أبريل 2010 أعمال تطوير «مدينة سدير للصناعة والأعمال» إلى أن ثمة إستراتيجية جديدة يتم العمل في ضوئها، وهي الهجرة المعاكسة، أي هجرة متدرجة من المدن إلى المحافظات أو استباق هجرة سكان المحافظات إلى المدن، وبذلك تتراكم المشكلات على أنواعها، وأبرزها مشكلة إزدحام السير. والإستباق الذي نشير إليه هو على نحو ما قاله الأمير سلمان وهو يبدش أعمال تطوير «مدينة سدير للصناعة والأعمال»، يحيط به حشد من الأمراء ورموز النهضة الصناعية والإقتصادية من فعاليات إقتصادية، «إن أهمية المدن

الصناعية أنها توفر المنتجات وتؤمن فرص العمل وتواكب الحراك الإقتصادي الكبير الذي يشهده الوطن»، مشدداً على حرص مجلس منطقة الرياض على إيجاد جامعات وكليات ومدن صناعية في محافظات المنطقة «حتى لا تكون هناك هجرة من المحافظات إلى العاصمة». وكاننا بالأمر سلمان عندما استعاد من الذاكرة التي تستحضر الوقائع بالتفاصيل والأرقام والأسماء عندما يتطرق في الحديث إلى أمر ما أمام زائريه، كيف أن مدينة «سدير» كانت قبل سنوات مكاناً للصيد ثم أصبحت الآن مدينة صناعية تتوفر فيها فرص التوظيف لأهالي المحافظة والمحافظات المجاورة.. كأننا بأمر الرياض والذاكرة التي نغبطه مثل كثيرين عليها يقارب بين المدينة التي باتت من حيث الصناعة بأهمية حلوان في زمن عبد الناصر كقلعة صناعية وبين الموقع الذي أُقيمت فيه «جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية» المرموز إليها بكلمة (كاوست)، التي افتتحها الملك عبد الله مساء يوم الأربعاء 23 سبتمبر (أيلول) 2009 بحضور حشد من كبار أهل الحكم والعلم عربياً ودولياً. والموقع المشار إليه عبارة عن قرية «تول» على الشاطئ بين مدينة جدة والمدينة المنورة، وهي قرية منسية وعبرة عن إستراحة للعابرين بين المدينتين، أما سكانها فيعتاشون على صيد السمك، ثم هبطت عليهم الثروة المزدوجة: ثروة مالية لأن أسعار الأراضي في المنطقة باتت خيالية، وثروة معنوية لأن الصرح العلمي الأهم في المملكة بات في قريتهم الصغيرة الوادعة.

وهذا الإنطباع عن سلمان بن عبد العزيز لجهة مواكبته خادم الحرمين الشريفين في موضوع النهوض الصناعي، وحرصه على متابعة التطور في قطاع الأعمال من صناعة وتجارة، فضلاً عن خصال طيبة أخرى كثيرة لجهة الحالات الإنسانية، حاضرة في محيط أهل القرار الهندي وبالذات أولئك الذين يقصدون المملكة في مهمات رسمية أو لإنجاز مشاريع، ويحرص هؤلاء على أن يكون اللقاء بالأمر سلمان من ضمن برنامجهم. كما أنه أكثر من حاضر في محيط الذين عملوا على مدى بضعة عقود سفراء للهند لدى المملكة وتابعوا عن كثب كيف يقود أمير العاصمة أنشط عملية تطوير في تاريخ المدن. ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر محمد حامد أنصاري نائب رئيس جمهورية

الهند الذي تربطه بالأمر صداقة نشأت أيام كان أنصاري سفيراً لبلاده لدى المملكة العربية السعودية. واللافت للانتباه تركيز أهل الحكم في الهند، كأهل الحكم في السعودية، منذ زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى الهند وخلال زيارة الأمير سلمان، وبينهما زيارة رئيس وزراء الهند للسعودية، على توصيف العلاقة بين بلديهما بـ «الإستراتيجية» وفي جميع المجالات. بل إن كثيرين في أوساط مجتمع الإقتصاد والتجارة والصناعة من الجانبين يتوقفون عند أن ما يربط البلدين هو «شراكة إستراتيجية» نمت بالتدرج وفي منأى عن أي أزمات ومن دون أن تشكل المذهبية الهندية عائناً لدى الدولة التي خصها الله بالحرمين الشريفين أو أي حساسية. وطوال 63 سنة من العلاقات بدأت عام 1947 وتعززت كخطوة أولى بعد زيارة قام بها الملك سعود إلى الهند عام 1955 ووصلت القمة بزيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز ثم شكلت زيارة الأمير سلمان ما يشبه الاطمئنان إلى هذه العلاقات.. إنه طوال الـ 63 سنة هذه لم يحدث أن تأزمت العلاقة بين البلدين، وذلك لأن الحكمة والمنطلقات كانت بمثابة التحصين لها من المفاجآت. ومن ثمار «الشراكة الإستراتيجية» أن في المملكة نحو مليون ونصف مليون هندي لا شكوى منهم. كما أن نحو 200 ألف هندي مسلم بين حاج أو معتمر على مدار السنة. ومقابل هذا الحضور نجد الأمير سلمان يقول للشعب الهندي خلال زيارته، وتحديدًا لمناسبة منحه الدكتوراه الفخرية من «الجامعة الملوية الإسلامية» في الهند، ما معناه أن «الشراكة الإستراتيجية» لا تقتصر على التبادل التجاري والإنفاقات المعقودة وإنما تشمل مساهمة عمال وخبراء من الهند في عملية البناء والتطوير في المملكة. كما لا بد شعر أركان «الجامعة الملوية» ومعهم مائة المليون ونصف المليون مسلم في الهند باعتزاز وهم يسمعون زائريهم الأمير سلمان الإبن الخامس والعشرين للملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، يقول لهم إن والده طيب الله ثراه كان يقدر الكثيرين من علماء المملكة الذين ذهبوا إلى الهند لطلب العلم ورجعوا لبلادهم وعملوا في القضاء وتولوا أعمالاً مهمة، مضيفاً بما يؤكد الإعتراز: «إن العلاقات قديمة قدم التاريخ بين الهند والعالم العربي». كما أنعش معنويات أركان الجامعة ومائة المليون ونصف المليون مسلم أن الأمير خصّ

البشر، وأنا في كلامي هذا أمثل المملكة وأعبر عن سياساتها، وهي سياسة التعاون والتآخي والتواد». كما يلاحظه المرء مثل حالنا عندما نكون في مجلس الأمير ونسمعه في سياق التحليل للموقف يشدد على أن المواطن الصالح والصادق هو الذي يؤمن بأن وطنه أولاً. وبهذا الإيمان يسلم الوطن ويطمئن المواطن ويتعزز مبدأ المواطنة.. كما تتعزز أهمية الانحياز الإيجابي إلى التنمية والسلام.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 24 أبريل (نيسان) 2010

* * *

إحتلال مرفوض وآخر مبغوض

يضيف رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو وسائر أفراد الحكومة التي لا تريد سلاماً وإستقراراً في المنطقة، إلى أخطائهم وخطاياهم الظن بأن عدواناً من جانبها على إيران سيكون موضع ترحيب أو حتى قبول أي حكومة مسلمة عربية أو غير عربية، ذلك أن التحفظات من جانب الأنظمة العربية والإسلامية دون إستثناء على التطلعات النووية الطموحة للنظام الإيراني الشقيق لا تصل إلى حد الرضا بأن تعتدي إسرائيل على الإنجازات النووية الإيرانية أو على أهداف عسكرية وقواعد جوية ومصانع حربية إيرانية. ومن المؤكد في حال حدوث هذا العدوان أن يلتف الجمع العربي المسلم وغير المسلم حول إيران كما التفت حول مصر عبد الناصر رداً على العدوان الثلاثي عام 1956 وكان من بين الملتفين الأمير فهد بن عبد العزيز وشقيقه الأمير سلمان. وجاء الإلتفاف من منطلق أن قناة السويس حق مصري وتأميمها واجب وطني، تماماً كما أن السعي للتقنية النووية حق لأي دولة ما دامت لأغراض سلمية، وهذا ما يقول النظام في إيران إنه يقوم به، لكن التصريحات والإنجازات الصاروخية الإيرانية تجعل السلمي دماراً شاملاً.

وحتى دولة الإمارات العربية المتحدة التي بينها وبين إيران الثورة مشكلة موروثية من إيران الشاه وتتمثل في احتلال إيران ثلاث جزر إماراتية هي «طمب الكبرى» و«طمب الصغرى» و«أبو موسى»، لا يمكن أن تسكت

هذه الجامعة بالذات التي تضم أكثر من خمسة آلاف طالب، والتي هي إذا جازت المقارنة «أزهر الهند المسلمة»، دون غيرها من سائر جامعات أرادت تكريمه، بتشرفه الحصول على الدكتوراه الفخرية من «الجامعة الملكية الإسلامية» التي سبق أن منحت الشهادة الفخرية هذه لخدام الحرمين الشريفين عندما زار الهند. أما الحشيات التي بُني عليها منح الدكتوراه الفخرية للأمير سلمان فهي أنه المعروف دولياً بأعمال الخير ورجل الدولة المشهود له عالمياً ورجل النزاهة والخلق الرفيع، وكذلك مساهمات الأمير في جوانب إجتماعية وثقافية وإنسانية، وترؤسه الجمعيات الخيرية والصحية، والمساهمة في دعم المؤسسات التعليمية ومنها المعاهد التعليمية الهندية في الرياض.

تبقى الإشارة إلى أن دعوة الأمير سلمان إلى زيارة الهند كانت في مستوى مكانته وجاءت من نائب رئيس الجمهورية الهندية، وليست من عمدة نيودلهي أو حاكمها أو محافظها. كما تبقى الإشارة إلى أن ما سبق أن عرفه الأمير سلمان بن عبد العزيز عن الهند من خلال قراءاته وأحاديث زواره المسؤولين والدبلوماسيين الهنود وما تخرنزه الذاكرة من رؤية عبد الناصر للهند والشغف الروحي لكمال جنبلاط بنسّاكها، فضلاً عما سمعه في مناسبات من السعوديين من الذين طلبوا العلم ولو في الهند، وقف عليه ميدانياً خلال زيارة لم يتصور أن إحترام الجمع الهندي من سياسيين ومتقنين ودبلوماسيين ومن الديانتين بهذا القدر من الود والحميمية والتقدير الكبير من جانب الهند، التي أورث زعيمها التاريخي المهاتما غاندي سلالات الحكم بعده كم أن الانحياز عندما يصبح إيجابياً يكون لصالح التهدئة والمرونة في سبيل التنمية والسلام وإحترام خصوصيات الآخرين والنأي عن التدخل في شؤونهم، وهذا منهج تتبنى الهند التبشير به في حال تحقّق سعيها لتكون عضواً دائماً في مجلس الأمن بدعم مأمول من السعودية. كما أن التوريت نفسه جاء من جانب الملك عبد العزيز لأبنائه وللسلالات التي تتولى المسؤولية من بعده، وهذا ما يلاحظه المرء مثل حالنا في الأمير سلمان عندما تحدّث خلال زيارة الهند بروحية ومفردات المهاتما غاندي، وقال أمام النخبة السياسية والفكرية الهندية: «إن الإرهاب آفة، نستكره من أي جهة كانت، وإن ديننا الإسلامي يمنع أن يكون هنالك إرهاب أو قتل أو التسبب في إضرار

على أذى يلحق بإيران من جانب إسرائيل. ونقول ذلك لأن وزير خارجية الإمارات الشيخ عبدالله بن زايد قال يوم الثلاثاء 20 أبريل (نيسان) 2010 رداً على سؤال برلماني خلال جلسة للمجلس الوطني الاتحادي: «إن احتلال أي أرض عربية هو احتلال وليس سوء فهم ولا فرق بين احتلال إسرائيل للجولان أو لجنوب لبنان أو للضفة الغربية أو غزة، فالاحتلال هو الاحتلال ولا توجد أرض عربية أعلى من أرض عربية أخرى. والاحتلال غير قانوني في العرف العربي كما هو غير قانوني إسلامياً ودولياً. كما أن إيران تقف موقف المتعنت والرافض لكل مبادرات حكومة الإمارات لحل القضية بالتفاوض المباشر أو التحكيم الدولي».

من البدهي أن الشيخ عبدالله لا يقارن هنا بين دولة عدوة ودولة شقيقة، وإنما هو ينظر إلى الأمر من زاوية الفعل المبغوض الذي هو إحتلال لثلاث جزر إماراتية ذات موقع إستراتيجي كونها في مدخل الخليج العربي (الذي ترفض إيران بشدة إعتباره عربياً وتقتص من مؤسسات أو شركات طيران لا تسمى «الخليج الفارسي» ويصل العقاب إلى حد الطرد من الوظيفة). ولا يشكل قُرب الجزر من الساحل الإيراني (مسافة 75 كيلومتراً، أي ثلاثة أرباع الساعة بزورق حربي) أحقية لإيران في وضع اليد عليها وخصوصاً أن هذا الفعل حدث في زمن الشاه وليس من المنطق في شيء أن كل عهد محمد رضا بهلوي مدان ومرفوض من جانب الحكم الثوري عدا احتلال الجزر الإماراتية الثلاث. ولو أن الثورة الخمينية بادرت منذ اللحظة الأولى بعد انقضاء السنة الأولى لإستقرار النظام الخميني إلى القول للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ما معناه إن لدولة الإمارات في الذمة الإيرانية ثلاث جزر احتلها الشاه ونأمل إعتبارها وديعة يستردها أصحابها بمجرد أن تستقر أحوال الثورة ولا يعود الأميركي المصدوم من الذي جرى يحاول تقويض ما حدث، لكان الشيخ زايد استوعب حُسن النية هذه ورداً على إقرار النظام الخميني بأحقية دولة الإمارات بهذه الجزر، بما يناسب المقام ويراعي لبعض السنين مسألة عدم التكافؤ لجهة القوة بين دولة مجروحة الكبرياء من الحرب مع العراق الصدامي ودولة اتحادية من سبع إمارات صغيرة يبذل رئيسها وشيوخ بقية الإمارات ما في استطاعتهم للإبقاء على أوتاد الخيمة الإماراتية عصية على رياح الصراعات في منطقة الخليج وعليه. لكن

إيران الخمينية اعتبرت الجزر الإماراتية الثلاث حقاً مشروعاً، أو فلنقل شرعياً، ثم أورثت «الحق» إلى إيران الخامنئية - النجادية التي وصلت الحال معها إلى التصريح رسمياً بأن الجزر «جزء لا يتجزأ من الأرض الإيرانية».

وعلى هامش هذا الموقف الرافض من جانب إيران بالنسبة إلى موضوع الجزر الإماراتية، نسمع بعض إخواننا الإيرانيين يقولون عند تباسطنا في الحديث معهم حول أمور المنطقة وبالذات الجموح النووي والصاروخي وكذلك الكلام الناري الذي يحوي في طياته ما لا يدعو إلى الطمأنينة الجوارية، كلاماً نتمنى ألا يكون جزءاً من نظرتهم. وخلاصة هذا الكلام أن هذه الجزر ليست بالنسبة إلى دولة الإمارات أكثر من بقعة أرض مسكونة ببعض الصيادين في حين أنها بالنسبة إلى إيران كونها تواجه قوى الإستكبار تشكّل مواقع إستراتيجية ونقاط قوة في حال حدثت مواجهة، وذلك على أساس أن منصات من الصواريخ المتطورة التي تنتجها إيران توضع في هذه الجزر قادرة على إرباك الملاحة الدولية في مضيق هرمز الذي يبعد 100 كيلومتر عن هذه الجزر مما يعني أن صواريخ قصيرة المدى قادرة على تأدية مهمة الإرباك المشار إليها. كما نسمع من المشار إليهم عبارات مثل: إن إيران الآن مستهدفة ومن واجب الإخوة قادة الدول العربية والمسلمة الوقوف معها، كما من مصلحة دولة الإمارات وقف إثارة موضوع الجزر والتفاهم مع الحكم الإيراني لمقابضتها بموقف سياسي أي تحييد دولة الإمارات من أي مخطط تنوي إيران تنفيذه في المنطقة. وفي هذا الإطار تندرج المقولة الإيرانية بأن موضوع الجزر ليس أكثر من «سوء فهم بين البلدين». كما في هذا الإطار يندرج الافتراء الإيراني بالنسبة إلى سيادة البحرين وهو إفتراء خيراً تم سحبه من بورصة التداول والتظهير وخيراً كان العلاج الدبلوماسي له من جانب أولي الأمر في البحرين.

وهذه النظرة من جانب الحكم الإيراني تجعلنا آسفين، كما إضطرار الشيخ عبدالله بن زايد إلى المقارنة التي أشرنا إليها مطلع المقال وتدعيم القول بزيارات ثلاث لها دلالتها كونها فقط إلى دول تحتل إسرائيل مساحات من أراضيها وهي السلطة الوطنية الفلسطينية للتحدث مع رئيسها محمود عباس في مقرها في رام الله والدولة اللبنانية من خلال لقاء مع الرئيسين الموجودين نبيه بري

وسعد الحريري (كون الرئيس الأول ميشال سليمان في زيارة إلى البرازيل)، وسوريا التي تبادل الشيخ عبدالله مع رئيسها بشّار الأسد يوم الإثنين 26 أبريل 2010 فضفضة أراحت الصدور من غرائب ألغاز التعامل الإيراني مع العرب.. إن هذه النظرة نراها تؤام النظرة الإسرائيلية التي طالما لاحظها الرئيس رجب طيب أردوغان ووزير خارجيته الذي يُنظر لـ «تركيا العثمانية المتجددة» أحمد داود أوغلو عند الحديث مع الإسرائيليين في شأن الوساطة مع سورية، حيث إن هؤلاء يقولون كلاماً يثير الدهشة وخلصته أن الحكم السوري يمكن أن يتعامل مع موضوع الجولان مثل تعامله مع تركيا في موضوع لواء إسكندرون. وعندما نستحضر هذه «التخرجة» الإسرائيلية نتقهم المقارنة الإضرطارية من جانب الشيخ عبدالله بن زايد بين احتلال إسرائيل المرفوض للأراضي العربية واحتلال إيران المبعوض للجزر الإماراتية الثلاث وحرصه على أن يقول للرؤساء الذين زارهم ما معناه إننا في الهمّ من الاحتلال واحد، ومن دون أن يستوقفه الغمز الإيراني لجهة التذكير بأن العلم الإسرائيلي رُفع خلال أكتوبر (تشرين الأول) من عام 2009 في أبو ظبي لأن وفداً إسرائيلياً شارك في مؤتمر عقده «الوكالة الدولية للطاقة المتجددة - إيرينا» التي هي إحدى المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة وفازت أبو ظبي باستضافة المقر الدائم لهذه الوكالة.

إلى ذلك يحاول بعض إخواننا الإيرانيين عند إثارتنا أمامهم مسألة عدم تسمية الخليج بـ «الخليج العربي الإسلامي» وبذلك تنسجم التسمية مع ثورتهم الإسلامية ويرتاح الجيران العرب (العراق ودول مجلس التعاون) من حساسية التسمية، ومسألة عدم حسم موضوع الجزر الإماراتية من خلال التحكيم الدولي وإن كان الأفضل من خلال التقهم والتفاهم مع أصحاب الجزر.. إن إخواننا الإيرانيين عند إثارة المسألتين معهم يقولون ما معناه: أميركا وإسرائيل ودول حليفة لهما تُعدّ العدة للهجوم علينا، ويأتي في هذه الحالة الحجة من يثير موضوعات ثانوية. وهذا المنطق هو نفسه الذي طالما سمعناه بعد السنة الأولى لقيام الثورة الخمينية عندما سمعنا من يقول: هل هذا وقت إثارة موضوع بسيط مثل الجزر بينما إيران الثورة تواجه الإستكبار الأميركي؟ على هذا الأساس هل يبدو التأجيل هو المعمول به، أم أن الجزر التي احتلها الشاه كانت في نظر الثورة

الإيرانية تراثاً يجب الحفاظ عليه وليس إحتلالاً مبعوضاً من الأفضل التخلص من تداعياته. وإذا كان هذا الأمر لن يُحسم في الزمن الراهن فكيف سيُحسم في حال بات النووي سيد الموقف من جانب إيران ليس فقط بالنسبة إلى الجزر وإنما بالنسبة إلى كل الخليج وكل المنطقة التي عليها عندئذ السلام.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 10 مايو (أيار) 2010

بشّار التنموي.. ونجاد النووي

في الوقت الذي يبدو فيه الرئيس الأميركي باراك أوباما مصمماً على إنجاز بالنسبة إلى الموضوع الفلسطيني، يغنيه عن خيار الحرب وويلاتها على إيران، ويضمن من خلاله الطمأنينة على صعيد عدم إهتزاز العلاقات مع العرب والمسلمين، وهي علاقات أرادها منذ الشهر الثاني لتسلمه مقاليد الرئاسة في الولايات المتحدة.. في الوقت نفسه يتواصل ماراثون التحدي الإيراني للإدارة الأميركية على أكثر من جبهة، حيث نجد الرئيس محمود أحمدي نجاد لا يوظف على النحو المأمول والمعقول إطلائته من على منبر الأمم المتحدة فيقول من الكلام ما يحقق القبول به، وفي الوقت نفسه يضع الصديق السوري أمام إحراجات لا تتناسب مع تطلعات الرئيس بشّار الأسد إلى استكمال المصالحة باللقاء مع الرئيس حسني مبارك، وبالتأكيد للذين يزورونه من المسؤولين الأميركيين والأوروبيين.

إن ما تسعى إليه سورية للسنوات العشر المقبلة هو خوض غمار تنمية شاملة من بين برامجها التنقيب عن مزيد من النفط والغاز، فضلاً عن تنشيط السياحة وتحفيز المستثمرين العرب على إنجاز المزيد من المشاريع في سورية.

ومن مظاهر التوجهات السورية، التي تشير إليها على سبيل المثال لا الحصر، أن وزارة السياحة السورية طرحت خلال «ملتقى سوق الإستثمار السياحي الدولي» يوم الثلاثاء 27 أبريل (نيسان) 2010 عشرات المشاريع للإستثمار السياحي داخل بعض المدن وفي المناطق الساحلية، وهذا بهدف رفع عدد السياح العرب والأجانب

خلال ثلاث سنوات من حوالي سبعة ملايين عام 2009 - 2010 إلى 12 مليوناً. وهنا نشير إلى أهمية التحسن الذي تشهده ثلاث جبهات سياحية بفعل تحسين مسار علاقات من جهة (لبنان أهمها) والانتقال بالعلاقة السورية - التركية إلى حالة من اليسر وصلت إلى حد إلغاء التأشيرات بين سوريا وتركيا، وبذلك باتت السياحة الأوروبية، وبالسيارات، متيسرة، وتشمل أربع دول متجاورة حافلة بالآثار والمناخ الطيب، وهي تركيا وسورية والأردن ولبنان، وهذا في انتظار تطوير شبكة السكة الحديد التي يمكن من خلالها للقطارات إختصار مشقة السفر بالسيارات.

وإلى ذلك، فإن مساحة الإزدهار السياحي ستتسع عندما يقرر أهل الحكم في العراق أن من واجبهم طيّ صفحة التحديات والبدء بصفحة التنمية والسياحة، وتوظيف الثروة النفطية في الأمور الصحيحة، والنأي عن التشنجات المذهبية التي لا تفرز سوى الإرهاب والدم، مع أن في العراق من الآثار والحضارة والمناظر الجميلة في الشمال ما يُغري الأجانب بزيارة بلاد الرافدين للسياحة وليس للإحتلال، وبغريهم أكثر أنهم من خلال رحلة واحدة قادرون على زيارة خمس دول دفعة واحدة، هي كما سبق وذكرنا، تركيا والأردن وسورية ولبنان، إضافة إلى العراق بعد أن يستعيد أهل الحكم وعيهم، ومستقبلاً إيران بعد أن يطوي أهل الحكم فيها صفحة التطلعات إلى امتلاك السلاح النووي، وبذلك ينتهي حال إيران مثل حال كوريا الشمالية، دولة تتخبط في دهاليز العزلة الدولية، ولا تجد منافذ لها سوى علاقة لا جدوى منها، إما مع فنزويلا شافيز أو شافيز فنزويلا، ومع كوريا كيم جونج إيل أو جونج إيل كوريا، الذي زار الصين يوم الإثنين 3 مايو (أيار) 2010 عن طريق البر وبواسطة قطاره المصفح الذي يتنقل فيه، كونه يخشى ركوب الطائرات.

لكن كيف ستتم زيارة كيم الإبن إلى إيران وهو الذي لا يسافر سوى بالقطار مزوداً بخمسين سيارة «ليموزين» خاصة بالزعيم، على نحو زيارته الجديدة إلى الصين، وهي الأولى منذ أربع سنوات، لكنه سبق وقام حتى عام 2000 بأربع زيارات ثم توقّف عن السفر نتيجة إصابته عام 2008 بجلطة دماغية.

خلاصة القول: إن استدارة إيران القوية إلى التجاوب مع التوجه الدولي ليس نقطة ضعف، بل العكس إنه

نقطة قوة. ونقول ذلك كي لا ينتهي أمر الجمهورية الإسلامية، نتيجة المزيد من العقوبات عليها، إلى أن حالها مثل حال كوريا الشمالية، وهذا مصير لا نتمناه لإخواننا الإيرانيين، وبالذات لا يتمناه، كما نتصور، الصديق التاريخي الذي هو الحاكم السوري. ودليلنا على ذلك أن الرئيس بشار يواصل عملية تنقية شوائب داخل الأجهزة الحكومية، فضلاً عن تنظيم قانون العمل في القطاع الخاص، يحدد ساعات العمل الأسبوعية بـ 48 ساعة. كما يواصل فتح النوافذ على المجتمع الدولي ويلقى الترحيب تلو الترحيب. وهذا يعزز، على نحو ما أسلفنا، البرنامج التنموي الذي يخوضه بهدف جذب استثمارات، وبالذات من السعودية وبعض دول الخليج العربي (وليس الفارسي بالطبع) ببلايين الدولارات، ومن دون أن تستوقفه تحرشات بعض الأطراف داخل مؤسسات الحكم في الولايات المتحدة، ودون أن يثنيه عن التوجه التنموي أن الصديق الإيراني وفي كل مرة يرتفع منسوب الإقبال العربي والدولي على سوريا، وبحيث إن الأجندة البشّارية حافلة دائماً بمواعيد معوثين ورسميين دوليين، آخرهم وليس أخيرهم الرئيس الروسي ميديديف الذي تأتي زيارته، وهي الأولى لرئيس روسي إلى سوريا، رداً على الزيارة التي قام بها الرئيس بشار إلى موسكو قبل خمس سنوات. وربما تُغري سياسة الإنفتاح، التي يقوم بها الرئيس بشار، الحكومة الروسية، التي باتت لسفنها وأسطولها الحربي مساحة رحبة في ميناء طرطوس ومن دون أن يشوش ذلك على خطة استثمار الشاطئ السوري سياحياً، بشطب الجزء الأكبر من ديون روسيا الموروثة في معظمها من العهد السوفيياتي وعلى نحو ما فعلت الدولة الأوروبية المتواضعة بلغاريا، التي أبلغ رئيس وزرائها بويكو بوريسوف الرئيس بشار الذي إستقبله في دمشق يوم الجمعة 25 أبريل 2010 قرار الحكومة البلغارية شطب 54 مليون دولار من أصل الدين العام البالغ 74 مليوناً، على أن تتم جدولة تسديد المبلغ المتبقي (17 مليون دولار)، مما يعني عملياً أن سوريا ماضية في تسديد الديون الأجنبية عليها، وهنا تُلْطَى أهمية العلاقات السعودية والخليج العربي.

وكما توازنت علاقة سوريا مع إيران كانت الإستثمارات الخليجية وربما الودائع على نحو ما حصل مع لبنان على درجة من اليسر. وعندما تبني شخصية خليجية رفيعة

قصرًا منيفاً لا نظير له على تلة تشرف على كل جهات دمشق، فمن الطبيعي على نحو التقاليد الخليجية أن يبادر أهل الإقتدار المالي إلى مجاورة كُبرائهم وذلك ببناء دارات واسعة حول القصر الكبير.

ونشير هنا إلى أنه عندما تشطب بلغاريا 54 مليون دولار من ديونها على سوريا أملا في الفوز لاحقا بعقود لإنشاء مترو الأنفاق في دمشق وبناء منشآت للطاقة، فمن تحصيل الحاصل أن يتكرم سيّد الحكم الروسي ميديفيد - بوتين ويشطباً النسبة الكبرى من الديون على سورية البشّارية التي أعطت بحريتهما المدنية والحربية ملاذا دائما في مياه ميناء طرطوس الدافئة، وهو مكسب له أهمية بالنسبة إلى الدولة الروسية، ومثل المكسب الذي نالته الدولة السوفياتية في الستينات من مصر عبد الناصر. ولولا هذا الرسو الآمن والدافئ للأساطيل والسفن الحربية والمدنية السوفياتية في المياه المصرية الناصرية لكانت هذه الأساطيل لا تجد غير مراسيها على شواطئ البحر الأسود، أو راسية فوق مياه البحار.

وقد يجوز للبعض أن يتساءل: لماذا إذن هذا التذبذب في الموقف الأميركي، ونبش ما هو قديم، وتجديد العقوبات التي تتعارض مع تصريحات يذلي بها زوار دمشق من مسؤولين أميركيين يمثلون الحزبين، إذا كان التوجه السوري نحو التنمية والتقيب عن النفط ورفع إنتاج الغاز ومجارة مصر وتونس والمغرب ولبنان في موضوع الإستثمار السياحي والإنتفاع داخليا مصرفياً وإعلامياً وديمقراطياً، والتجاوب مع الرغبات العربية والدولية في صياغة علاقة جوار مُتفهم مع لبنان، وهو أمر يتحقق بالترج وإلى درجة أن حفلة الإستقبال الأولى التي أقامها السفير السوري في ظل العلاقات الدبلوماسية المتبادلة جاءت من نوع الحفلات التي كان يقيمها السفراء العراقيون لدى الكويت قبل الغزوة الصّدّامية، بمعنى أن كل الأطياف تتدافع لتلبية الدعوات ومن دون أن يعني ذلك أن المشاركة عفوية؛ لأن ما في القلوب هو غير ما في قانون المصالح الشخصية الضيقة.

ولماذا المماحكة في موضوع السفير الأميركي بعد تعيينه، مع ملاحظة أنه تمّ إختيار الدبلوماسية المحنك والمستشرق، إذا جاز التوصيف، روبرت ستيفن فورد ليكون السفير الذي يتقن العربية والملم بالتركية وربما هو مُلم بالفارسية، فلا يحتاج إلى مترجمين عندما يلتقي المسؤولين السوريين، وبالذات عندما تكون هنالك لقاءات

ثنائية تقوم على التبليغ والتبليغ.. أو العكس. وإذا أُجيز لنا الإجابة فإن الإدارة الأميركية تريد من الرئيس بشّار إختصار العلاقة مع الحكم الإيراني، مع أنها تشهد بعض التقلص. ومن هنا فإنه عندما يباغت الرئيس محمود أحمدي نجاد الصديق السوري الرئيس بشّار باتصال، وتكون مفرداته المُداعة من جانب وسائل الإعلام الإيرانية شبه محجوبة من جانب وسائل الإعلام السورية، توحى بأن التوجه الإيراني/ السوري إستراتيجي وغير قابل للتعديل، ثم يأتي محمد رضا رحيمي نائب الرئيس نجاد إلى دمشق يوم الخميس 29 أبريل 2010 ليقول للرئيس بشّار إننا سننشئ معكم وبعض دول المنطقة كتلا إقتصاديا، وسنرفع التبادل التجاري معكم إلى خمسة بلايين دولار بدل ثلاثمائة وخمسين مليون دولار حالياً، فهذا تقرأه إدارة الرئيس أوباما على أن الموقف السوري في الإتجاه الدولي غير محسوم؛ ولذا استوجبت المسألة تلك الملاحظة بالغة الخشونة، وهي أن سورية تزود حزب الله بصواريخ سكود وكأنما هذه الصواريخ ليست منصوبة في قواعد المقاومة في جنوب لبنان منذ سنوات، وإلا فكيف كان سيد المقاومة حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله يطلق، ومن قبل النيش الأميركي - الإسرائيلي لموضوع الصواريخ بمدّة طويلة، وكذلك قبل قرار تعيين السفير الأميركي، تحذيره بأن من يعتد فسيكون الرد عليه بالمثل، مدينة مقابل مدينة، ومطار مقابل مطار، بل وتل أبيب مقابل بيروت.. وهكذا.

ونصل في ضوء ذلك إلى القول: إن الرئيس بشّار التتموي هو الآن أمام معضلة الرئيس نجاد النوي، وأن كل الاقتراءات الأميركية تتمحور حول أن الضربة الموجهة البديلة عن المواجهة الحربية لإيران هي في إبعاد بشّار التتموي عن نجاد النوي. وهذا ليس بالأمر السهل حصوله إذا كانت اللعبة الأميركية - الإسرائيلية ترى تقديم التسوية الفلسطينية - الإسرائيلية على التسوية السورية - الإسرائيلية، وبذلك تتأخر إستعادة الجولان على نحو إستعادة سيناء من قبل.. هذا إذا لم يحدث للجولان ما سبق وحدث للإسكندرون. وهنا يكمن إختبار النوايا والإرادات.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 18 مايو (أيار) 2010

* * *

زيارة يزهو بها البيت الأبيض

هنالك أكثر من موجب لكي يتصرف الرئيس باراك أوباما بنزاهة مع الملك عبدالله بن عبد العزيز، ذلك أنه على الرغم من أن العلاقة بينهما حديثة العهد فإن خادم الحرمين الشريفين قرأ في كلام الرئيس أوباما منذ اللقاء الأول بينهما أن معدن الرجل على درجة من النقاء، وأنه بالتالي لن يكون مراوغاً كالرئيس السلف جورج بوش الابن. ومن كانت هذه صفاته يصبح من مصلحته أن يكون عند حسن ظن الآخرين به، وخصوصاً مع قائد حكيم، مثل الملك عبدالله بن عبد العزيز، يفضل الصراحة على المداينة ويرى أن خير المبدئية على قلته أكثر ديمومة من عوائد التلاعب وتغيير الجلد وانتهاز الفرص.

في قمة العشرين الأولى كان تأثير الرئيس أوباما بالملك عبدالله بن عبد العزيز تلقائياً. وفي القمة الثانية شعر الرئيس أوباما بأهمية أن يصغي أكثر إلى هذا القائد الحكيم الذي عركه الزمن وواجهه، بالحنكة والحكمة والصبر الجميل من دون أن يخذله العزم، قضايا محلية وإقليمية بعضها أشبه بالعواصف. لكنه مع ذلك استمر مقتنعا بصوابية طروحاته ما دام من نسيج الرجال الذين يعملون لأخرتهم ويعينهم كثيراً أن يكونوا عند حسن تقييم التاريخ لما فعلوا أو أنجزوا.

وطوال سنوات التعارف القليلة التي إكتسبت صفة الصداقة المتميزة، لم يكن الرئيس أوباما بحاجة إلى أن يتقصى نوايا الملك عبدالله بن عبد العزيز لأن خادم الحرمين الشريفين كان في استمرار يقول للرئيس الأميركي، الذي شكّل ترؤسه لحظة تاريخية في الوجدان الأميركي، ما يجول في خاطره ويغلف الملاحظة التي لا بد منها بالنصيحة والرأي الذي لا جدال في سداده للطرفين. وهنا قوة الموقف السعودي الذي كان في استمرار جامعاً شاملاً الأمتين العربية والإسلامية، وفي الوقت نفسه وإعياً مصلحة الجانب الأميركي من زاوية الصديق وليس فقط الحليف صاحب الشأن في القرار الدولي.

ولقد بدا أن الرئيس أوباما، وبالذات بعد زيارته المتميزة للرياض العام الماضي، رأى أن تكون الزيارة الرسمية الأولى للملك عبدالله بن عبد العزيز إلى الولايات المتحدة عبارة عن مناسبة لصياغة رؤية متجددة تستند إلى أفكار طالما تداولها في شأنها خلال اللقاءات القليلة عدداً الكثيرة

أهمية، وهي بمعظمها تخدم قضية السلام الذي يضعه المعاندون الإسرائيليون وغيرهم العقبات في طريق تحقيقه. وإذا جاز الافتراض فإن الملك عبدالله يرى في التعامل المستحدث من جانب الإدارة الأميركية مع إسرائيل ملامح موقف جديد من شأن تطويره أن يخدم قضية التسوية، ومن هنا فإن الإدارة الأميركية، التي سبق أن تعاطت بالكثير من الرخاوة مع مبادرة السلام العربية فجعلت بذلك الملك عبد الله يقول بصريح العبارة إن هذه المبادرة لن تبقى على الطاولة، أي بمعنى طيها ووضعها في ملف الفرص الضائعة، تتمنى الآن على خادم الحرمين الشريفين أن يروي المبادرة التي تكاد تنبسط، بالمزيد من المساندة لأنها بالفعل الحل الذي يناسب الجميع، حيث إنها تتقد من يحتاج إلى إنقاذ سمعة وتبييض وجوه أطراف اسودّت وجوهها، ومعظم هؤلاء من صانعي القرار في الاتحاد الأوروبي، وتضيء النور الأخضر أمام أطراف زادت المحنة إحمراراً، وتنبه الحالمين بالتمدد على سيادات وأوطان وقضايا غيرهم بأن الأفضل لهم الإهتمام بشؤونهم ووقف التلاعب بقضايا الآخرين. ومن باب النقاول نرى أن ما هو آت سيكون أفضل مما سبق.

ويبقى أننا بهذه الروحية نقرأ طبيعة الزيارة الرسمية الأولى لعبد الله بن عبد العزيز كملك إلى أميركا القابلة للاختلاف للمرة الأولى. وبهذه الروحية نرى نوعية الحفاوة من جانب الرئيس أوباما بالملك الصديق. وبهذه الروحية نقرأ ما بين سطور الكلام الذي تبادلته الزعيمان في منأى عن التكلفة ومشقة البحث عن مفردات تراعي مراسم البروتوكول لمناسبة زيارة يلاحظ المراقب، مثل حالنا وهو يتأمل في الصور وفي الإرتياح الذي يغمر الوجوه، كم أن البيت الأبيض يزهو كما لم يحدث من قبل بزيارة قائد ينطق حقاً وحكمة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 3 يوليو (تموز) 2010

«أيلول الأبيض».. والله أعلم

هنالك أكثر من حيثية تجعلنا نفترض أن شهر سبتمبر (أيلول) 2010 سيكون «أيلول الأبيض» الذي سيبدد من ذاكرة المجتمع الدولي المشهد الأيلول

المزدوج الناشئ عن «أيلول الأسود» عربي وآخر أميركي. الأيلول الأسود العربي بدأ أردنياً - فلسطينياً وانتهى حدثاً مأساوياً عام 1970 في القاهرة حيث إن الرئيس جمال عبد الناصر - وبعدما كان استضاف يومى 27 و28 سبتمبر في فندق «هيلتون النيل» قمة مصغرة نوعية شارك فيها الملك فيصل بن عبد العزيز والملك حسين والشيخ صباح السالم أمير الكويت والرئيس السوداني جعفر نميري والرئيس اللبناني سليمان فرنجية والباهي الأدغم الممثل الشخصي للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة (الجميع في ذمة الله) والعقيد معمر القذافي، لوقف الاحتراب الأردني - الفلسطيني، وحققت القمة إتفاقاً في هذا الشأن - ودع القادة المشاركين وكان آخرهم أمير الكويت، ثم شعر بإرهاق شديد وهو يغادر المطار إلى منزله، وتبين أن الإرهاق والإغماء العابرة التي أصابته بعدما لوح للشيخ صباح مودعا كانت بداية نوبة قلبية ما لبثت أن بلغت مداها بعدما كان تمدد على السرير في غرفة نومه يحيط به الأطباء ثم فاضت روحه إلى بارئها عن 52 سنة.

أما «الأيلول الأسود» الأميركي فهو الذي كان عام 2001 عند حدوثه يوم 11 سبتمبر، وكان عبارة عن عملية تهريبية لا مثيل لجسارة الذين نفذوها وتعددت التفسيرات لها والتخمينات في شأن الجهة التي كانت وراءها، حيث إن تفجير طائرة ركاب بمبنى التجارة العالمي في نيويورك لم يكن فقط عملاً غير مسبوق، وإنما كان من العمليات التي تتطلب «كونسلتو» استخباراتياً متمرساً في غواية التدمير والترعيب وبحيث ينشأ عن العملية التي ينم عن تنفيذها ضرب علاقات وحقق نفوس بالكرهية للعرب والمسلمين.

وهذا ما حدث بالفعل واستوجب ترميم التصدعات التي نشأت بذل جهود كانت تأخذ من طريق خطط يمكن أن تثمر نتائج طيبة لمصلحة الاستقرار.

نحن الآن أمام احتمال أن نعيش «أيلول الأبيض» بعد شهرين، ذلك أن بداية خيبة الأمل بالرئيس الأميركي باراك أوباما ترجعت إلى حد كبير بعد اللقاء الذي جرى في البيت الأبيض يوم الثلاثاء (2010/7/6) بينه وبين رئيس الحكومة الإسرائيلية الذي جاءه مختلفاً بعض الشيء هذه المرة. هذا إذا كنا لن نقول إنه جاء صاغراً وهذا يحدث للمرة الأولى في تاريخ اللقاءات الخمسة حتى الآن لرئيس الحكومة الإسرائيلية (نتنياهو) الذي

طالما كان يراهن على خبرته بنقاط الضعف الأميركية أمام إسرائيل، ونقاط القوة تمارسها الإدارات الجمهورية والديمقراطية ضد كل العاتبين من الأصدقاء العرب والمسلمين على هذه الإدارات، لأنها لا تأخذ في الاعتبار مخاطر تراكم الكراهية في النفس العربية - الإسلامية نتيجة عدم احتكام هذه الإدارات إلى المنطق في تعاطيها مع الصراع العربي - الإسرائيلي عموماً وفي ممالأتها للباطل الإسرائيلي عدواناً في الحد الأقصى وإستهانة بأي مبادرة لتحقيق التسوية. ولأنه جاء مختلفاً أو صاغراً أو بين بين فإن نتياهاو لقي في هذه المرة الإستقبال الودي من جانب الرئيس أوباما بدءاً بالإقامة في «بلير هاوس» الذي يحل فيه الزوار الرسميون ثم ببوابة الدخول للتحدث على مدى ساعة ونصف الساعة ومن دون الحاجة إلى مترجم وإنهاء بالمؤتمر الصحافي والتوديع الحميم بعد الغداء إلى حيث السيارة واقفة وبينهما الصورة والابتسامات تبثها الفضائيات.

وعند المقارنة بين الذي حدث خلال الزيارة السابقة في مارس (آذار) حيث لم يحظ نتياهاو بكل الذي نشير إليه، أي لا صورة ولا لهفة ولا إقامة رئاسية، وأكثر من ذلك التعامل معه على طريقة تعامل الخارجية الإسرائيلية قبل أشهر مع السفير التركي، حيث أبقاه مع المساعدين ويقال له إن الإجتماع بالرئيس سيتم بمجرد انتهائه من تناول الغداء مع زوجته وابنتيه (وهو أمر متعمد من جانب الرئيس أوباما).. إننا عند المقارنة نجد أنفسنا نميل إلى الافتراض بأن «أيلول الأبيض» آت، وأن الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة قد يتم تتويجها بإعلان الشروع في التسوية وبحضور بعض القادة العرب الذين يكونون أنهموا قمتهم الإستثنائية المتفق خلال القمة العربية الدورية في «سرت» على عقدها.

هل ما نشير إليه هو مجرد الأمل بخير يتحقق بالتفاؤل، أم أن الرئيس أوباما - الذي زاده كلام الملك عبدالله بن عبد العزيز إقتناعاً بالإقدام ثم جاء التحذير التركي وإلى درجة التلويح بقطع العلاقات يعزز هذا الإقتناع - إرتأى أن يضغط على نتياهاو، وذلك من خلال إبلاغه أن أي تأخير لتسوية الموضوع الفلسطيني والصراع العربي - الإسرائيلي معناه أن تفقد أميركا مهابتها وتفقد إسرائيل ديمومتها. وأما طوق النجاة من هذا الاحتمال الوارد بقوة وكما لم يكن وروده بهذا الشكل من قبل، فإنه بإغتنام الفرصة الذهبية المتمثلة في

معادلة جديدة على لعبة الصراع؛ وهي أن العرب لديهم مبادرة ما زالت على الطاولة، وأن الإدارة الأميركية ومعها المجتمع الدولي وبالذات دول الإتحاد الأوروبي ترى أن هذه المبادرة هي خير علاج للعبة التي تنزف ويلات على أصحابها وأصدقائهم من القطب إلى القطب.

ونخلص إلى القول: إننا من باب التفاؤل بالخير يمكن أن نرى في الحالة الأميركية - الإسرائيلية المستجدة - التي يجوز اعتبارها صفقة على خلفية مصالح أو إستراتيجية علاقة جديدة غير الذي كان سائدا من عهد الرئيس ترومان إلى عهد الرئيس بوش الابن - ملامح «أيلول أبيض» قد يحدث بين الفطر السعيد والأضحى المبارك، والله أعلم. ويكون حدوثه تأكيدا لإقتناع العالم المسيحي للمرة الأولى بأن الله، سبحانه وتعالى، يريد أن يسود السلام على الأرض وتستقر المسرة في نفوس العباد.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 15 يوليو (تموز) 2010

آبار وآثار.. وبينهما جامعة الملك عبدالله

قبل عشر سنين، أوحى لي ككاتب متابع لإيقاعات الدور السعودي وللتحولات المتأنية في إتجاه الحوار وطنيا ومع الأديان إلى جانب التوجه النوعي في مجال التنمية والتصنيع، خطوة تمثلت في قرار غير متوقع أصدره مجلس الوزراء السعودي يوم الإثنين 17 أبريل (نيسان) 2000 في الجلسة التي ترأسها الملك فهد بن عبد العزيز، طيب الله ثرى الأب والابن، وقضى بإنشاء «الهيئة العليا للسياحة» هدفها الإهتمام بالسياحة في المملكة وتنميتها وتطويرها والعمل على تعزيز دور قطاع السياحة وتذليل معوقات نموه بإعتباره رافداً مهما من روافد الإقتصاد الوطني. تلك هي الحيات. والقول إن القرار غير متوقع، لأن الذي هو سائد عن المملكة أنها دولة الحرمين الشريفين تنفق عليهما تطويرا وتوسعة ملايين الريالات سنويا، ولا تنظر إلى حجاج بيت الله الحرام وزوار مئوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا أيضاً إلى الآتين لأداء العمرة على أنهم سياح سينفقون

المال خلال أيام تأدية الفريضة والزيارة. كما أن المعروف عن المملكة أنها دولة ذات تقاليد لا تتناسب مع مفهوم السياحة، فضلاً عن أن أرضها ذات آبار وليست ذات آثار، وأن الشعب السعودي، عدا نسبة يطيب لأفرادها تمضية بعض أيام الصيف بين مدن جدة وأبها والطائف، هو من نوعية الشعوب الأكثر سياحة خارج بلادهم، يستوي في ذلك المقتر على سياحة باهظة التكلفة والمستور الحال الذي يسبح بين الأردن وسوريا ولبنان ومصر وقبرص وبعض دول أوروبا والمغرب حيث التكلفة معقولة. ولذا فإنه من الطبيعي أن يستوقني «القرار السياحي» ليس فقط من حيث إصداره، وإنما أيضاً للأهمية الإستثنائية التي أضفاها التشكيل على هذه الخطوة حيث تقرر أن يكون لـ «الهيئة العليا للسياحة» مجلس إدارة يرأسه النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع الأمير سلطان بن عبد العزيز (ولي العهد بعد وفاة الملك فهد ومبايعة أخيه عبد الله بن عبد العزيز)، ويضم في عضويته وزير الداخلية (الأمير نايف بن عبد العزيز) ووزير الخارجية (الأمير سعود الفيصل) والرئيس العام لرعاية الشباب (الأمير سلطان بن فهد بن عبد العزيز) ووزير المالية والإقتصاد الوطني ووزير التخطيط ووزير التجارة ووزير الزراعة والمياه ووزير المعارف ووزير الشؤون البلدية والقروية ووزير الحج. وإلى هؤلاء، الذين هم مجلس وزاري مصغر، الأمين العام للهيئة بمرتبة وزير، الذي اختاره ولي العهد (زمناك) عبد الله بن عبد العزيز، وصدر الأمر الملكي يوم الثلاثاء 9 مايو (أيار) 2000 بتعيينه، وكان الأمير سلطان بن سلمان الرائد العربي للفضاء. وهكذا فإن سلطان بن سلمان يزهو إلى جانب أنه حفيد الملك عبد العزيز، بأن عمه الملك فهد عينه، وعمه الملك عبد الله يشهد الإنجاز المبهز الذي حققته الهيئة وهو الذي كان إختياره ليكون أمينها العام. كما يزهو بأنه يقتبس من والده الأمير سلمان لهفة أعمال الخير والإهتمام بذوي الإحتياجات الخاصة. وأما زهو بأنه الرائد العربي للفضاء فهذا عنصر تنشيط للهيئة التي ستضع المملكة على خارطة السياحة.

نحن الآن في السنة العاشرة لإنشاء «الهيئة العليا للسياحة». وكما إنبهرت مجتمعات دولية بظاهرة التعريف بالمملكة من خلال «معرض الرياض بين الأمس واليوم» الذي واكبناه في إنتقاله من عاصمة إلى

وتكون باتت من معالم حركة النهوض الشاملة في المملكة، التي تشكل «جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية» التي افتتحت مساء الأربعاء 23 سبتمبر (أيلول) 2009 الرمز المضيء لهذا النهوض.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 27 يوليو (تموز) 2010

قمة تغليب الحكمة على العنفوان

من مصلحة لبنان الذي يُرى في إطلالة خادم الحرمين الشريفين ومعه الرئيس بشار الأسد عليه يوم الجمعة 30-7-2010، أن يعتبر (وأن يتصرف في الوقت نفسه) بأن الموقف الذي إتخذه عند التصويت على قرار العقوبات على إيران، التي يتواصل إلزام الدول بها وتأكيد التأثير الذي تسببه للرأي العام وللدولة معاً، هو تسليف وقفة لتدعيم الموقف الإيراني في مواجهة الهجمة الدولية العقابية من جانب مجلس الأمن على الجمهورية الإسلامية.

ومن مصلحة أهل الحكم الإيراني التأمل في التعامل المتجرد من المملكة العربية السعودية مع لبنان عندما يتوعدك، والتفكير في وسيلة ما لتسديد هذا التسليف، وعلى قاعدة أن الديون ملازمة للتسديدات، سواء كانت بين مصرف ودولة أو مواطن، أو كانت بين شخص دائن وآخر مدين.

ولمزيد من التوضيح نقول إن الامتناع عن التصويت كان أمراً دون قدرة لبنان وظروفه الدولية على تحمّله ودون قدرة ظروف لبنان الداخلية للإجماع عليه، لكن الخشية من تداعيات في الداخل تغلبت على مكاسب إغراءات ومكافآت من الخارج، فكان قرار الامتناع عن التصويت الذي يمكن، في حسابات الربح والخسارة، إعتبره مكسباً للحكم الإيراني، حيث هو قادر على تدعيم موقفه من قرارات مجلس الأمن بالقول ما معناه إنه حتى لبنان المثقل بالقرارات الدولية، التي لا يلقي بعضها التنفيذ عندما يشكّل إدانة لإسرائيل، يقر بأن العقوبات على إيران الناجدية نوع من التجني الذي لا مبرر له ما دامت ارتضت الصيغة التركية - البرازيلية للتسوية ووافقت على اقتراح التبادل النووي.

أخرى وأراده الأمير سلمان بن عبد العزيز الأكثر شمولاً بحيث باتت التسمية «المملكة بين الأمس واليوم»، فإن بدايات انبهار تحدث بالترج في أوساط مجتمعات من بينها مجتمع رواد متحف «الوهر» الباريسي العريق الذي أطلقت منه «الهيئة العليا للسياحة» الإشارة الأولى إلى أن المملكة هي أرض ذات آثار وليست فقط ذات آبار. وفي هذا المعرض شاهد الزوار 320 قطعة أثرية من أصل مئات تم إستكشافها وتسرد تاريخ السعودية منذ العصر الحجري حتى الزمن الحالي. وقياساً بالنسبة للهيئة، فإن ما أنجزته كان لافتاً وسيكون محفزاً للمشروع في خطة طويلة المدى تتسع فيها رقعة التنقيب والإستقصاء عن المزيد من الآثار التي تعزز فكرة الإهتمام المستجد بإضافة المكانة السياحية إلى قائمة التميزات للمملكة العربية السعودية. وبقدر ما سيتم إكتشاف المزيد من الآثار بالقدر نفسه تكتسب المكانة أهميتها. ولكننا في الوقت نفسه نخشى على هذا التوجه من مكائد الجماعات التي تفكر بعقلية الطالبانيين الذي حطموا تماثيل محفورة على الصخور كان من شأن إبقائها أن تجعل أفغانستان مزاراً لبعض شعوب شرق آسيا وينفق الزوار بسخاء، الأمر الذي يغني الأفغانيين عن الأفيون والإستضعاف والإحتلالات على أنواعها شرقية وغربية.

وقد نجد من يتساءل: أي سياحة هي التي تتطلع إليها المملكة؟ وجوابنا عن ذلك إن هذا التساؤل تجيب عنه إشارات ذات دلالات من بينها الآثار التي تبين أنها كثيرة ومن بينها سياحة الباحثين عن الحياة الفطرية وسياحة المعرفة فضلاً عن السياحة الدينية والسياحة العلاجية. ومن الإشارات الكثيرة أيضاً تركيز الهيئة على قطاع الإيواء السياحي واقتناع شرائح من القطاع الخاص بأن الإستثمار في بناء حالة من النهوض السياحي في الداخل يشكل نوعاً من الواجب الذي يفوق عائدته من حيث الأريحية الوطنية العوائد المالية من مشاريع هنا وهناك في دول في المنطقة أو عبر المحيط.

وبالعودة إلى بداية هذا المقال، أجد نفسي بعد عشر سنين من قراءة في المشهد المستقبلي الناشئ عن إنشاء «الهيئة العليا للسياحة» وكيف أن مجلس إدارتها عبارة عن مجلس وزاري مصغر يرعى ويناقش ويتابع وكأنما هو في غرفة عمليات، أكرر القول بأن تلك الخطوة كانت إيذاناً بـ «طفرة سياحية» لن تتقضي السنوات العشر التالية إلا

في ضوء ما نشير إليه، نرى أن الإمتناع اللبناني، الذي لم يرق لمعظم رموز الأطياف السياسية والحزبية المتعاطفة مع إيران النجادية - الخامنئية، مع أن السفير الإيراني الجديد غضنفر ركن آبادي أشاد بالإمتناع، كان سلفة ذات أهمية كبرى من جانب لبنان الرسمي للحكم الإيراني ومن دون أن يشكّل هذا الإمتناع تقويضاً لقرار العقوبات أو خلخلة فيه. وهنا نتساءل: كيف يمكن أن تسد إيران النجادية هذه السلفة. ونقول سلفة على أساس أن الامتناع عن التصويت كان نصف دين، علماً بأن امتناع لبنان عن التصويت بينما هنالك إنقسام ضمنى ومعلن داخل بعض أطيافه وطوائفه هو بمثابة الدين.

وعندما نتساءل نستحضر العبارة التي سبق أن قالها على الملأ، وباللغة العربية التي يتكلمها لأنه خريج الجامعة اللبنانية، السفير الإيراني غضنفر يوم الجمعة 21 مايو (أيار) الماضي بعدما كان قدم أوراق إعتماده إلى رئيس الجمهورية ثم زار قبر الرئيس الشهيد رفيق الحريري واضعاً باقة ورد على القبر قارئاً الفاتحة على روح أبو بهاء. والعبارة اللافتة التي قالها باللغة العربية تقادياً للتأويل أو التقويل عند الترجمة من الفارسية هي: «إن الجمهورية الإسلامية مستعدة لإقامة علاقات جديدة مع لبنان وإننا نشيد بالدور البارز الذي لعبه الشهيد رفيق الحريري طيلة السنوات الماضية وفي فترات عصيبة وصعبة في لبنان خصوصاً الدور الذي لعبه في توحيد الساحة الداخلية اللبنانية ووقوفه إلى جانب المقاومة ودعمه استتباب الأمن والاستقرار في لبنان وأيضاً الجهود الجبارة التي بذلها لأجل ترسيخ العلاقات الثنائية بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والجمهورية اللبنانية التي لا ننساها أبداً». ولم يقتصر هذا الإبلاغ عن الموقف الإيراني المستجد على الحالة الحزبية التي تكانثرت في شأنها أقاويل استوجبت توضيحاً إيرانياً بوضوح مضمون كلام السفير غضنفر، وإنما قيل الكلام في شأن إستعداد إيران النجادية - الخامنئية لإقامة علاقة جديدة مع لبنان، لرئيس الطائفة المارونية البطريرك صفيير عندما زاره السفير الإيراني في مقر البطريركية. ومن الطبيعي أنه أوضح الكلام أكثر عندما زار رئيس الحكومة سعد الدين الحريري.

لا ندري ما هي دوافع الحكم الإيراني إلى مثل هذه اللقطة وهل كانت تمهيداً لوقفه من جانب لبنان الرسمي وليس فقط «لبنان حزب الله والمقاومة وحركة أمل» عندما

يضيق الإلتفاف الدولي على إيران النجادية - الخامنئية، أم أنها لتعديلات في أسلوب تعامل الطيف اللبناني المتعاطف مع إيران بحيث يتساوى التعاطف مع المصلحة اللبنانية العامة.

بالامتناع عن التصويت على قرار مجلس الأمن 1929 الذي قضى بإنزال عقوبات إقتصادية ومالية وعسكرية على إيران ذات الطموح النووي، يأتي قولنا بأن الذي حدث هو تسليف لبناني بالغ الأهمية من واجب الحكم النجادي - الخامنئي التسديد وعلى قاعدة الرد على التحية بمثلها أو بأحسن منها وفي ضوء ما أشار إليه السفير الإيراني غضنفر آبادي ومباشرة بعد تقديم أوراق إعتماده لإضفاء البعد الرسمي على القول، في شأن العلاقة الجديدة مع لبنان.

كيف هو شكل هذه العلاقة؟

إذا كانت مساعدات، فإن الحكم الإيراني يساعد عمقه المتمثل بـ «حزب الله» الذي بدوره يتولى تنفيذ مضامين بنود المساعدة. أما على صعيد المساعدة الأشمل فإن هذا غير مرئي ولا مجاهرة في شأنه.

لكن المساعدة المأمولة والتي يمكن إختصار واجب التسديد لها فإنها بدفع حزب الله سلاحاً وسياسة إلى الانصهار في الدولة اللبنانية ما دام الحصار قد بدأ وسيطول ويسهم في بروز ظواهر سلبية من بينها التهريب على أنواعه من نفط وسلع إستراتيجية، ومن بينها بطبيعة الحال الأخذ بأسلوب «كوبونات النفط» للحفاظ على ولاءات الأعماق الإيرانية وهو الأسلوب نفسه الذي إعتمده الرئيس العراقي صدام حسين في السنوات الأربع التي سبقت إحكام أطواق الحصار على نظامه.

ومثل هذا الأسلوب في التسديد، أي دفع الحزب بسلاحه وسياسته إلى الانصهار في الدولة وإصداره وثيقة الانتقال من المقاومة العسكرية إلى المقاومة السياسية، كفيل بحفظ الكرامات والإبقاء على وهج المقاومة مستقراً في المشهد العربي والإسلامي والدولي وفي الوجدان الوطني.

تبقى الإشارة إلى أن إطلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم الجمعة 30-7-2010 على لبنان المتوقع تجعلنا نستحضر زيارته، المماثلة من حيث الهدف، التي قام بها يوم الأربعاء أول مارس (آذار) 2000 (وكان ما زال ولياً للعهد) وسمع خلال إستقباله في مقر إقامته في قصر الرئيس رفيق الحريري كلاماً تقديرياً بالغ الأهمية

معادلة «س.س» الحنطوية

مصائب قوم عند قوم مصائب هذه المرة وليست فوائده. القوم الذين أصابتهم المصيبة أولاً وكانت أشبه بالكارثة هم الروس الذين أحرقت النيران مساحات شاسعة من غاباتهم وحقولهم وأنت على محاصيل تشكّل خيراتها أرزاقاً لهم ومؤونة لأيام الشتاء القارس دائماً. وبصرف النظر عما إذا كان الحريق بفعل عمل شرير من صنّع التكنولوجيا الأميركية الخفية كما شاع في بعض الأوساط، أو كان إشارة غضب إلهية وجدت معتقدين إلى درجة الإيمان بها في أوساط أطراف من الشعب الروسي الذين استعادت قلوبهم مسيحيتها الأرثوذكسية التي أطبقت عليها عقود العصر الماركسي، أو كانت استجابة لدعوات الأفغان الذين ذاقوا مرارة أيام الاحتلال الشيوعي السوفياتي لدولتهم ورحلوا وقد أسسوا لإحتلال أميركي - أطلسي أكثر سوءاً من الأول... إنه بصرف النظر عن هذه الإحتمالات والاعتقادات، إلا أن الحرائق التي لن تتطفئ بالكامل إلا إذا أثلجت وأمطرت وبذلك ينتهي أمر "أغسطس الروسي" في الذاكرة محفوراً كما أمر «سبتمبر الأميركي» الذي ما زالت شعوب الولايات المتحدة على دهشتها من أن غزوة جوية أشبه بـ «الطير الأبائيلي» قادرة على إحراج هيبة الدولة الأعظم التي تملأ البحار والقفار وبعض مساحات من السماوات أحياناً أنواعاً من أسلحة الدمار الذي يحول الاستقرار إلى فوضى والذي لا يحقق ديمقراطية مقفلاً عليها، فضلاً عن أنه يحول الحذر والريية والهواجس المكبوتة إلى إحترابات أهلية لا تسلم منها حتى بيوت الله وأولئك الساجدين في رحابها طلباً للرحمة أو للمغفرة.. أو ربما الدعوات إلى رب العالمين لكي يهدي الضالين الذين يبيعون أوطانهم وكراماتهم بما «يجود» به المستببحون الأوطان بمنصب لا رأي لحامله في المسؤولية وبمصلح يكتشف أن شركاءه في عوائدها على ضلال مثله.

شكّلت الحرائق الروسية إحراجاً ما بعده إحراج للدولة التي تملك من المخزون النووي صواريخ وقنابل ومن السلاح التدميري مستودعات. وعلى رغم هذا الغنى التدميري إلا أن الحريق كان أقوى ومن دون أن يكون في استطاعة عشرات الألوف من رجال الجيش والأمن الداخلي والمتطوعين محاصرة الحرائق. وأتصور شعب

من وفد حزب الله الذي زاره للتحية ويضم النائب (السابق) إبراهيم السيد الذي كان يترأس «كتلة الوفاء للمقاومة» وعضوي الكتلة النائبين الحاليين محمد فنيش وعمار الموسوي. ومما قاله رئيس الوفد إبراهيم السيد «إلتقينا بسمو الأمير عبدالله لنعرب له عن تقديرنا العميق لموقف السعودية الداعم للمقاومة ولموقفه المتميز شخصياً. ولا يمكن النظر إلى حركة سمو الأمير على أنها خطوة في الفراغ، إنها حركة مهمة جداً وتأتي في قلب المواجهة مع العدو الإسرائيلي. كما أنها المرة الأولى التي يلتقي فيها مسؤولون في حزب الله مسؤولاً سعودياً رفيعاً، أمليين أن يكون هذا اللقاء فاتحة خير».

وأمنية كل اللبنانيين بمن فيهم جمهور حزب الله أن يتم في مرحلة لاحقة لقاء يرتب له الرئيس بشّار الأسد وينعقد في مكة المكرمة ويكون اللقاء هذه المرة على أعلى مستوى من جانب حزب الله، ومن نوعية لقاء المصالحة الفلسطينية بين محمود عباس وقادة من «فتح» وخالد مشعل وإسماعيل هنية مع قياديين من حماس، والذي ارتكب الطرف الفلسطيني الذي لم يلتزم بالإتفاق الخطأ الكبير. كما يكون لقاء مكة الذي يرتب له الرئيس بشّار هو القمة التي تتخذ ما يمكن إنقاذه.. هذا في حال كانت النية طيبة وكان هنالك إصغاء مسؤول. وهذا أمر على درجة من اليسر في ضوء الحالة السعودية - السورية - اللبنانية المتمثلة في لقاء القمة في بيروت وكذلك في ضوء الضجيج السياسي بالنسبة إلى المحكمة الدولية وما يقال حول شبهة لعناصر من حزب الله في عملية إغتيال الرئيس رفيق الحريري، ورد السيد حسن نصر الله على ذلك بوقائع تؤكد في تحليله أن إسرائيل وعملاءها نفّذوا عملية الإغتيال. والأهم من هذا ألا يكون هنالك من الرئيس نجاد، الذي سيزور لبنان لاحقاً، تحفيز أو تصعيد، وتلك مهمة موكولة إلى الرئيس بشّار الأسد الذي أبلغ وزير خارجية إيران منوشهر متقي وقبل ذلك علي أكبر ولايتي كبير مستشاري آية الله خامنئي، اللذين زارا سورية بهدف طمأنة القيادة في إيران، ما معناه أن الإصغاء إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز يجعل المرء يرتتي تغليب الحكمة على العنفوان وبذلك يمكن نيل المطالب... ولو بعد حين.

صحيفة «الشرق الأوسط» - 19 أغسطس (آب) 2010

روسيا يتضرع إلى الله أن يملأ السماء غيوماً تمطر .
وهم لو كانوا مسلمين لهرعوا إلى المساجد يؤدون صلاة
الإستسقاء المستجابة من رب العالمين.

يطول الحديث في هذا الشأن وفي "العقدة
الأغسطسية" لدى الروس الذين كلما حل ثامن شهور
السنة تصيبهم مصيبة ما، والذين حالهم في ذلك من
حال أبناء العم سام وأحفاده الذين يكابدون على رغم
المكابرة من «العقدة السبتمبرية»، ونلاحظ أنهم يستبقون
ذكرها العاشرة بإحتجاجات من جانب غير العقلاء
والمتردين منهم أشبه بقزع الطبول لأن مركزاً إسلامياً
يضم مسجداً هنالك رغبة بإنشائه على مقربة من المكان
الذي كان يقوم فيه برجاً «مركز التجارة العالمي في
نيويورك» المعروف بعد هجمات 11 سبتمبر 2001
بـ «غراوند زيرو». أما الذي نحن في صدد وقفة إزاءه
فهو أن المصيبة الروسية التي إحترق حقول من القمح
كان من جملة خسائرها الفادحة، انعكست فوراً على
الشعب المصري الذي وفق إحصاءات افتراضية يحتاج
يومياً إلى 35000000 رغيف على أساس أن عدد
السكان هو 70 مليوناً وأن الفرد يحتاج في الحد الأدنى
إلى رغيفين ثلاث مرات يومياً، أما في شهر الصوم
الذي تصادف أنه هلّ على الأمتين بينما النيران الروسية
تواصل من جانبها إحراق الأخضر واليابس على حد
سواء فإن عدد الأرغفة يزداد بطبيعة الحال ومن دون أن
نتجاهل طقوس الكحك الذي هو هبة المصريين كما
القول انسجاماً مع حقيقة أن أرض الكنانة هي هبة النيل
الذي تحاول بعض دول القارة السمراء بين المنع وما
قبل المصب "النيل" من حصّة مصر من النهر الذي
كان ذات يوم ملهم أمراء القوافي ثم أصبح غير ذلك
تماماً لكثرة ما يُرمى به من أوساخ وجيف وبذلك يتناسى
أحفاد الفراعنة أن مياه النيل في نظر أجدادهم كانت
على درجة من القداسة. وسبب انعكاس المصيبة على
الشعب المصري أن حسابات الحكومة في مصر قائمة
على أن روسيا هي مصدر نصف احتياجات المصريين
من القمح.

وإذا جاز التشبيه فإن الحريق الذي بدأت شرارته
الأولى في مناطق بعيدة عن العاصمة موسكو ثم ازداد
امتداداً بحيث صنّفه المخضرمون بأنه، كما موجة الحر،
الأسوأ منذ ألف عام حيث قاربت درجة الحرارة الأربعين،
لفح وجه الجهات المسؤولة في مصر عن التخزين

والتموين ووفق سياسة تقليدية وهي أن مخزون السلع
الإستراتيجية هو لمدة أربعة أشهر .

هذه الكارثة التي أصابت روسيا الحنطية كانت مثل
صرخة وصل صداها إلى مصر الحكومة والشعب،
وجعلت الجميع مشغولي البال بما يمكن أن يحدث ما
دامت نصف كميات القمح الروسي المتّفق على
إستيرادها لن تصل وأن ما سيتم توريده لن يكون بالسعر
المتفق عليه. وفي الحالتين تبدو الأمور في دائرة
مشارف الخطر.

محاصرة الأزمة ليست مستحيلة لمرة واحدة وبحيث
يمكن تدوير الميزانيات فلا يصحو المصري ذات صباح
على مخابز أقفلت أبوابها. ولكن لا بد من إستراتيجية
جديدة متعددة الجوانب بحيث تستعيد مصر إنتاجها الغذائي
كما في الزمن الذي كان الشجر أهم من الحجر وكانت
الأرض التي تزرع قمحاً وشعيراً وذرة وقطناً أكثر حاجة
للمصري من الأبراج التي ترتفع وبذلك تحل الجزر
الإسمنتية محل الحقول الخضراء المزدهرة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن «معادلة س. س»
ونعني بها التشارك المتأني بين السعودية والسودان
وعلى قاعدة استقرار الأعمال وضمان الأموال من شأنها
أن تُبقي شعوب الأمة في دائرة الطمأنينة إلى وفرة القمح
الذي في استطاعة من ينتجه أن يبقى في مأمن من
عاديّات الزمن تأتي على النحو الذي حدث في روسيا.
وهذه المعادلة - العلاج للأزمة الحنطية هي توأم
المعادلة الأخرى (السعودية وسوريا) لعلاج الأزمة
اللبنانية والتي لولا مبادرة الملك عبدالله بن عبد العزيز
غير المطروقة في الحياة السياسية العربية لكانت النار
التي تحرق لبنان أقوى من تلك التي إكتوت بها روسيا.
وعندما نشير إلى «معادلة س. س» الحنطية نستحضر
تجربة خاضها الملك فهد بن عبد العزيز رحمة الله عليه
وأنتجت قمحاً تولّى أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز،
الذي نحمد الله على تعافيه من العملية الجراحية التي
أُجريت له في الولايات المتحدة، تقديم كمية من هذا
الإنتاج إلى الرئيس حسني مبارك. وإذا أُجيز لي
الافتراض فإن الملك فهد كان يقرأ قبل ربع قرن من
الزمن في ما يمكن أن يصيب الأمة إذا كان القمح لن
يتوافر على أرضها، وهذا جزء من الإستراتيجية التي من
المصلحة العودة إلى إعتمادها بحيث يوظّف أهل
الإقتدار المالي العربي أموالاً لدى أصحاب الإمكانيات

الزراعية. وفي المعادلة الحنطوية السعودية - السودانية ما من شأنه جعل الإستراتيجية تنطلق وعلى قاعدة أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. وعندما نكتب ما كتبناه فإننا بذلك نخاطب الملك عبدالله بن عبد العزيز رمز النهوض على أنواعه... وجابر عثرات الكرام من أبناء الأمتين، بفعل حرائق في روسيا جاءت العثرات أو بفعل سيول في باكستان جرفت الزرع والضرع وأغرقت الكثير من البشر والحجر.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 9 سبتمبر (أيلول) 2010

* * *

بشّار ما بين لواء المرشد و«لواء السيد»

قبل أن يزور الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد دمشق يوم السبت (18-9-2010) وهي زيارة - محطة كونها اقتصرت على لقاء الرئيسين بشّار الأسد ونجاد في المطار) وليست زيارة وفق التقاليد المألوفة للزيارات، كان زار دمشق مبعوثان دوليان مهمان هما جان كلود كوسران المسؤول الثقة والكاتم الأسرار في «جمهورية ساركوزي» الذي سلّم الرئيس بشّار رسالة خطية من الرئيس الفرنسي ثم زار دمشق بعد ذلك المبعوث الرئاسي الأميركي جورج ميتشيل الذي كان شارك في الجولات الثلاث للمفاوضات المباشرة بين «السلطة الوطنية الفلسطينية» بشخص رئيسها محمود عباس والحكومة الإسرائيلية بشخص رئيسها بنيامين نتنياهو. واستناداً إلى البيانين الرئيسيين السوريين عن المحادثات التي أجراها المبعوثان وإلى معلومات خاصة وتحليل شخصي من جانب مراقب متابع للتطورات مثل حالي، فإن الإثنتين جاءا على وجه السرعة للترغيب وليس للتهويل.. هذا إذا لم نقل الترهيب.

والترغيب الذي نعينه هو أن تساعد سوريا (التي تخشى إستباق تسوية الموضوع الفلسطيني قبل تسوية موضوع الجولان) في تدعيم عملية المفاوضات المباشرة، وفي حال التجاوب وإنجاز العملية فإن التسوية اللاحقة المضمونة ستكون التوصل إلى صيغة ما تتعلق بالجولان المحتل وبما يرضي الخاطر السوري وينقل بالتالي الصراع العربي - الإسرائيلي إلى مدار جديد..

أي بما معناه إن مشكلة إسرائيل مع العرب إنتهت ما دامت التسوية، على قاعدة التراضي وليس الحق التاريخي للعرب والحكم التوراتي للإسرائيليين، وُضعت برسم التنفيذ. وفي هذه الحال تفقد إيران الشريك العربي في طروحاتها من أجل فلسطين وهو شريك أعطاهما زخماً لبضع سنوات وكلفت بالتالي هذا الشريك الكثير. وحيث إن هذا الاحتمال يُقلق الجمهورية الإسلامية التي تخشى أن تشكّل الدورة السنوية للجمعية العمومية للأمم المتحدة التي وصل عدد من القادة ومعهم وزراء خارجياتهم إلى نيويورك من أجل المشاركة فيها، المفصل الأساسي لما نشير إليه، نرى الرئيس نجاد لا يتوجه مباشرة إلى نيويورك وإنما يُعرج على دمشق ثم الجزائر للإيحاء بأن إيران ليست وحدها وأن ما تطلبه فرنسا ساركوزي وأميركا أوباما من الرئيس بشّار عليهما أن تطلباه أيضاً منه وترققا الطلب ببعض المغريات. ولعله من أجل ذلك انفرد بالقول (وفق مصدر مقرب منه) بعدما أنهى المحادثات في "صالون الشرف" في مطار دمشق مع الرئيس بشّار «إن سوريا وإيران حقتا انتصارات كبيرة لأنهما أفشلتا مخططات الأعداء لتغيير الخريطة السياسية في المنطقة، وأن دول المنطقة تتضمن واحدة تلو الأخرى إلى هذا الخط الذي تسير في مقدمته سورية وإيران». والذي يلفت الإنتباه أن هذا الكلام لم يصدر في بيان سوري - إيراني مشترك، وكيف سيصدر إذا كانت كل دول المنطقة بما فيها سورية مع التسوية ووفق رؤية بشّارية تقوم على إشراك تركيا في أي مسعى لتحقيق التسوية مع إسرائيل. ومثل هذا التمييز بين الموقف السوري والموقف الإيراني لا يحدث للمرة الأولى، فعندما زار علي أكبر ولايتي مستشار المرشد الأعلى آية الله خامنئي للشؤون الدولية سورية آتياً من لبنان الذي زاره عاصمة وجنوباً لمدة خمسة أيام بدأت الأربعاء 4-8-2010 بهدف الوقوف على أجواء القمة الثلاثية في القصر الجمهوري في لبنان يوم الجمعة 3-7-2010 التي لم تلق الإرتياح في نفوس أهل الحكم في إيران وتعديل اتجاه البوصلة ما أمكن «اللوبي الإيراني» في لبنان تحقيق هذا التعديل ومن دون مراعاة المعين السوري وتقدير ظروف رؤيته المعدلة للموقف وللتعامل عموماً مع المجتمع الدولي... انه عندما زار ولايتي سوريا والتقى الرئيس بشّار في طرطوس ثم بعض المسؤولين في دمشق بعد لقاء مع القيادات الفلسطينية

المعتزلة على توجهات "السلطة الوطنية" فإن الذي قاله عن طبيعة الزيارة لم يكن متطابقاً تماماً مع الذي أذيع رسمياً من جانب الرئاسة السورية. كذلك حدث الشيء نفسه عندما جاء إلى دمشق لاحقاً وزير الخارجية منوشهر متقي وبغرض تعديل اتجاه البوصلة إياها.

ثم كيف سيتبنى الرئيس بشار الرؤية الإيرانية وهو الذي بات (في ضوء تعبيرات صادرة عن حالة انفعال وتسببت في توتر علاقات لفترة طويلة) يتحفظ على لغة التخاطب تصدر عن صديق أو حليف ومقرّب محسوب عليه، عندما تتم زيارة الرئيس نجاد إلى دمشق يوم السبت (18-9-2010) على دوي قذائف كلامية إيرانية من نوع قول اللواء يحيى صفوي مستشار المرشد الأعلى خامنئي لشؤون القوات المسلحة «إن الأساطيل الحربية الأميركية في مرمى صواريخ القوات الإيرانية التي لديها ساحل بطول ألفي كيلومتر في الخليج وبحر عُمان». ثم تتزامن قذيفة الجنرال الإيراني (اللواء صفوي) وفي اليوم نفسه مع قذيفة الجنرال اللبناني (اللواء جميل السيد) وما حوته من تهديدات تلتها حالة جديدة لم يألفها كما لم يتوقعها اللبنانيون وتمثلت في أن "أمن دولة حزب الله وبيروتوكوله" نابا عن الدولة والقضاء والأمن الرسمي في التعامل مع وصول اللواء جميل السيد إلى المطار آتياً من فرنسا، وهو إستقبال أريد من طقوسه الشككية واللفظية إبلاغ من يعينهم الأمر بأن كلمة "حزب الله" هي الأعلى ومن دون أن تستوقف الأمين العام للحزب التداعيات النفسية لدى أطراف عريضة من الشعب اللبناني كانت حتى هذه الواقعة متعاطفة مع إنجازات حققها على صعيد المواجهة مع إسرائيل ثم جاءت المواجهة السياسية والأمنية الداخلية تأخذ من رونق تلك الإنجازات.

والقذائف المشار إليها تجعل المرء يشعر أنها لإبراك التوجه الذي لخصه وزير الخارجية السورية وليد المعلم يوم الإثنين 8 مارس/ آذار 2009 خلال مشاركته في مؤتمر من أجل الفلسطينيين استضافته مصر في شرم الشيخ بالقول: «إن السعودية وسوريا إتفقتا على أن تنظرا معاً إلى الأمام وإلى المستقبل». ومنذ ذلك الحين وحتى القمة الثلاثية في بيروت وقدم الرئيس بشار في طائرة صديق سوريا الحادب عليها وعلى لبنان الملك عبدالله بن عبد العزيز، وأهل الحكم الإيراني يتوافدون للإرباك بدل توظيف الدور السوري - اللبناني لدى قادة

مصر ودول الخليج وشعوبها ولدى المجتمع الدولي من أجل حل أزمته التي لا يمكن للصواريخ أن تحلها حتى إذا كانت منصوبة في اتجاه الأساطيل على نحو قول اللواء يحيى صفوي توأم اللواء جميل السيد... أو «لواء السيد» في ضوء «عرضة المطار» غير المستحبة حيث إستقبل الحزب من على باب الطائرة إلى «صالون الشرف» اللواء جميل السيد وإنتهت «العرضة» بنقل الحليف العائد في سيارات لم يألف اللبنانيون مشاهدتها من قبل. ولقد حدثت "العرضة" في وقت كان الرئيس بشار الأسد يتحدث في اليوم نفسه في «صالون الشرف» في مطار دمشق مع الرئيس محمود أحمد نجاد. ما أبعد الإستقبال بالأصول عن الإستقبال بغير الأصول. وب «العرضة» غير المستحبة تلك وقف اللبنانيون والعرب والمجتمع الدولي عموماً وبنسبة عالية من الذهول على طبيعة «بيروتوكول حزب الله» عند إستقبال أحد وعلى إعتقاد أسلوب الكلام الذي يُجَنّ بدل أن يُحَيّن ويجعل «حزب الله» إما يتبنى أو يثني على هذا الكلام. هدى الله الجميع.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 30 سبتمبر (أيلول) 2010

خير الإقتراحات وأصوبها ما إقترحه الأمير سعود

لم يكن يتوقع أحد أن جولات التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي المباشر التي تمت ستثمر نتائج فورية، ذلك أن هذه الجولات من الأولى في واشنطن إلى الثانية في شرم الشيخ إلى الثالثة المزدوجة في القدس ورام الله كانت نوعاً من الإستعراضات وتدريبات على الانتقال من الحذر إلى جوهر المشكلة. كما أنها كانت نوعاً من الإختبار للنوايا.. نوايا الإدارة الأميركية ونوايا قطاع الذئاب الإسرائيلي مقابل وداعة الخروف الفلسطيني متمثلاً بالرئيس محمود عباس الذي خاض المحاولة الجديدة للتفاوض تحت مقولة إنه لن يخسر شيئاً في حال لم يكن القطاف وفيراً لكنه يربح قليلاً تعاطف المجتمع الدولي حوله تقديراً للمرونة التي يبديها مقابل

التي يُقصد بها تنفيذ القرارات التي سبق لمجلس الأمن إقرارها.

ولكي يكون هذا الطلب الموضوعي في منأى عن المشاورات العقيمة وكثرة تنقلات المبعوثين وتبادل الرسائل والاتصالات الهاتفية في هذا الشأن وتسبب التصويت على مشروع القرار، فإن الأمير سعود الفيصل أعلن ذلك ومن على منبر الأمم المتحدة يوم الإثنين 27-9-2010 وبعدما كانت غالب إسرائيل تحالفت وثناب حكومتها برزت الأنبياب على هدير آلات البناء غير الشرعي على أرض الغير.

توضيحاً من جانبه لحيثيات الطلب الموضوعي في شأن عدم إستخدام الإدارة الأميركية والدول الأربع الأخرى المستأثرات بـ «سلاح النقض» هذا السلاح في ما يتعلق بالإجراءات التي يُقصد بها تنفيذ القرارات التي سبق لمجلس الأمن اتخاذها، قال الأمير سعود «إن سبق لمجلس الإسرائيلي يكاد يكون الوحيد القائم في العالم بعد إنتهاء عهد الإستعمار وإنحسار سياسة التفرقة العنصرية».

وتوضيحاً أيضاً لموجبات هذه الدعوة لتحرير العالم من الإستعمار الإسرائيلي الوحيد القائم في كوكب العولمة، إذا جاز تصنيفنا لكوكب الأرض في وضعها الراهن، قال الأمير سعود صاحب أعرق تجربة دبلوماسية عربية وعميد الطيف الدبلوماسي الدولي الذي يجمع بين الحنكة والإبتكار مستنداً في ذلك إلى حكمة عمه الملك عبدالله بن عبد العزيز «إن السعودية تؤكد على ضرورة وضع مبادئ الأمم المتحدة وما تضمنته ميثاقها موضع التنفيذ العملي والفعل بعيدياً عن ازدواجية المعايير وانتقائية التطبيق» ثم أضاف إلى ذلك حيثية ترتاح لها كل دول العالم المنتسبة إلى المنظمة الدولية وتشكو في شكل أو آخر من عدم فعالية المنظمة وبيروقراطية السلوك السائد في إدارتها. وهذه الحيثية هي «أن الحكومة السعودية تدرك أهمية تحديث وتطوير الأمم المتحدة والأجهزة التابعة لتمكينها من الإضطلاع بالدور المناط بها». أما كيف يرى الأمير سعود التحديث فمن خلال «إعطاء الجمعية العامة دوراً أساسياً في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين أسوة بدور مجلس الأمن».

هنا قد يكون من المناسب إستحضار واقعة إبتكار القرار 242 الذي أصدره مجلس الأمن وكان من صنف بضاعة «صُنع في الغرب» وتحديدًا من جانب الدولتين

تعنت الجانب الإسرائيلي، ويربح كثيراً في حال إهتدى نتتياهو إلى سواء السبيل وقرر الخروج من الفجور السياسي لوزير الخارجية ليبرمان الذي يمارس العمل الدبلوماسي بعقلية وزراء الحرب ومن محاصرة التوراتيين المتشددين له وحسّم أمر التجاوب مع صيغة الحل المطروحة من جانب الرئيس باراك أوباما.

بعد جولات التفاوض سقط الجانب الإسرائيلي في الإختبار بدافع الخوف من فقدان منصبه أمام الطامعين الذين يرون في أبهة التروّس ما هو أهم من تحقيق الطمأنينة المستدامة للشعب اليهودي المحتار في أمر قاداته، وظهر أمام المجتمع الدولي متمرداً على إرادة الكبار ورحابة الصدر العربي من أجل طي الصفحة العالقة من النزاع وهي الصفحة الفلسطينية. ومن خلال ما يحدث يتبارى رموز العمل الحزبي والسياسي في إسرائيل في مسابقة من هو الرمز الأكثر فظاظة والأقل إستيعاباً لواقع الحال الدولي وتدور المزايدة حول بناء وحدات سكنية ضمن مخطط الإستيطان غير الشرعي أصلاً كونه يتم في أرض محتلة وثمة قرار دولي واضح على رغم تأجيل حسمه ثلاثة وأربعين عاماً.

في ضوء التشبث الإسرائيلي والإصرار على المضي في بناء الوحدات السكنية في محاولة لإخراج الرئيس محمود عباس فأخراجه بمعنى رفع راية القنوط فالإستسلام، ما الذي يجوز الإقدام عليه من الجانب العربي، الذي لولا دفع «السلطة الوطنية الفلسطينية» في اتجاه التجاوب مع الدعوة الأميركية الملحة للتفاوض المباشر لما كان الرئيس محمود عباس توجه إلى واشنطن وواصل التنقل بعد ذلك.

تحديد تواريخ معينة لوقف الإستيطان لن يفيد. والإنسحاب نهائياً من التفاوض لن يجدي. والأفضل في انتظار اقتناع الرئيس أوباما بأن إسرائيل تتأمر عليه، ودرءاً لرسوخ افتراضات بأن الإدارة الأميركية وبالذات بعض الجيوب المتصهينة في ديوان الرئيس أوباما الطيب النية تتواطأ مع إسرائيل لوضع القادة العرب وشقيقهم الفلسطيني أمام أمر واقع لا حل يرتجى منه، هو أن ترفع القمة العربية في دورتها الإستثنائية المنفق في القمة العربية الدورية السابقة في سرت (ليبيا) على عقدها هذا الشهر على مشروع يلزم إسرائيل بتنفيذ ما تبقى من مضامين قرار مجلس الأمن 242 على أن تتعهد الإدارة الأميركية سلفاً بعدم إستخدام حق النقض (الفيتو) بالنسبة إلى الإجراءات

الحاضنتين لإسرائيل تأسيساً ودعمًا وحمايةً وتسليحاً ووقوفاً إلى جانبها في أي عدوان ترتكبه على سيادة بلد عربي أو مذبحة تقتربها في مخيم فلسطيني، هذا فضلاً عن تفهم ضرورات إسرائيل عند قيامها بإجتياح بلد آمن وقتل ما أمكنها من شعبه وتدمير ما طاب لها التدمير من بنيته التحتية وذلك تحت الترخيصة الدولية من جانب الحماية الحاضنين بأن المسألة فيها نظر رداً على سعي الشعب المسلوب حقه وأرضه وإعتبار الاستلاب مسألة فيها نظر! أما إطلاق صاروخين من «حماس» على مستوطنة غير شرعية فهذه هي الجريمة التي لا تغتفر! كانت صياغة قرار مجلس الأمن الدولي 242 مزيجاً من إحياءات العبقرية الكيسنجيرية الذي ورط مصر الساداتية في ثغرة «الدفرسوار» فإنتصف إنتصار حرب رمضان (أكتوبر 1973) ثاراً لهزيمة 5 يونيو 1967 ومن دهاء اللورد كارادون المترس وفد بريطانيا زمناً إلى مجلس الأمن وبعد أخذ وردٍ في شأن تفسير «الإنسحاب من أراضٍ» بدل «الإنسحاب من الأراضي»، ومحاولات من التشويق أحياناً والتسويق أحياناً أخرى واطمئنان مصر إلى أن قرار مجلس الأمن 242 يضمن إنسحاب إسرائيل من سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية كاملة والجولان (هذا ما أكده صائغ القرار اللورد كارادون لوزير خارجية مصر محمود رياض وزاده تأكيداً نائب وزير الخارجية السوفياتية كوزينيتسوف) كان التصويت على القرار بالإجماع ومع التصويت تصفيق مندوبي الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدائمي العضوية أصحاب «الفيتو» والدول العشر السنوي العضوية.

منذ صدور قرار مجلس الأمن 242 يوم 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 1967 وبإجماع الدول الخمس عشرة الأعضاء وإسرائيل تتلاعب وتعتدي وتجتاح وتحاصر ولا تحترم قراراً صيغ في الأصل بما يرضيها. ومنذ ثلاث وأربعين سنة والتمرد الإسرائيلي على القرار الذي يمثل دول العالم من القطب إلى القطب على حاله. ثم ها هي المبادرة التي أطلقها الملك عبدالله بن عبد العزيز ونالت الإجماع العربي عليها، وها هي الصيغة العاقلة التي أطلقها الرئيس باراك أوباما وتلقى القبول الدولي بالإجماع عليها، تحتاجان إلى سند قانوني ودولي لكي تأخذ تسوية النزاع العربي - الإسرائيلي طريقها إلى الحل الثابت والشامل. وليس هنالك أصوب من الاقتراح الذي أطلقه الأمير سعود الفيصل في لحظة إنكاسة أولية

للتفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي. ومن شأن الأخذ بالاقتراح واقتناع دولتي القرار 242 بعدم إستعمال «الفيتو» في حال معاودة التصويت عليه بغرض تفعيله فإن التسوية تتحرك ولا تعود لعبة بناء المزيد من الوحدات السكنية في مستوطنات على أرض الغير ذات قيمة. كما لا يعود هناك مجال لبقاء الجولان وبعض الأرض في لبنان تحت الاحتلال. أليس هذا ما ينص عليه القرار 242 الذي هو كما المبادرة العربية لا يعني تهريب إسرائيل من وضعتها موضع التنفيذ أنهما إلى اندثار.

والأهم من ذلك لا يعود هنالك مجال لغلبة المتشددين على العقلاء في المسعى الطيب لتحقيق التسوية الشاملة والثانية. وكفى الجميع شرور الصراع.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 13 أكتوبر (ت) 2010

العالم الثالث يداوي جراح العالم الأول

ثمة ظاهرة لافتة تحدث في الزمن الأكثر تعقيداً سياسياً واقتصادياً للدول المندرجة في بند العالم الأول مثل أميركا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وهي دول كادت ترفع الراية البيضاء جراء شدة الأزمة المالية وكثرة العاطلين عن العمل. ومن المؤشرات على الأزمة مظاهرات هنا واعتصامات هناك وإضرابات هناك، حتى إن المظاهرات التي شهدتها فرنسا طوال شهر أكتوبر (تشرين الأول) 2010 وضعت «جمهورية ساركوزي» على شفير أحد إحتمالين أحلاهما - لجهة الجدوى - مُر. فهو إذا عاند ستتحول عاصمة النور باريس ومدن أخرى إلى ميادين للعنف والمطاردات تعيد إلى الأذهان ما سبق أن حدث عام 1968 ولم تتحسر إلا بعدما احتكم الرئيس الجنرال شارل ديغول إلى العقل الراجح بدل العنفوان الصارخ مفضلاً التضحية بمهابته وهو القائل «فرنسا.. أنا» على أن تسود الفوضى جمهوريته التي وضعت فرنسا على طريق تنظيف نفسها من أدران الحقبة الاستعمارية ونقشت إسمها في السجل الدولي الذي يضم أسماء قادة يريدون الصداقة على قاعدة الإحترام ويرفضون طأطأة الرأس للعم سام. وهو إذا

تراجع (أي ساركوزي) فإنه لن يذوق طعم تجديد الولاية وسينتهي مجرد حالة رئاسية عابرة بوغت بها الفرنسيون نتيجة مناورات باهتة وجياد تنقصها الحيوية للفوز في سباق الرئاسة.

فجأة يحل يوم الخميس 4 نوفمبر (تشرين الثاني) 2010 المارد الصيني في شخص هو جينتاو رئيس أم الدول الكبرى ضعيفاً على فرنسا الساركوزية، وفجأة تتبدد الغمة الإقتصادية والفرنسية المالية بفضل ضوء من التتين الأصفر في صيغة إتفاقات مليارية (نحو 23 مليار دولار) أبرمها الرئيس الصيني الزائر مع فرنسا الساركوزية في مجالات البتروكيماويات والوقود النووي وفي عشرات طائرات الركاب الحديثة «إيرباص 102» ابتاعتها الصين وحقت بالصفقة الكبرى لفرنسا الساركوزية حلاً له صفة الإنقاذ لأنه سيوفر فرص عمل كثيرة ويحمي إحدى أبرز صناعاتها الإستراتيجية من صواعق مالية.

وعلى ما يجوز التوقع فإن هجمة صينية على العقارات في فرنسا، وبالذات بعد أن يعرف الصينيون أن رئيسهم معجب بالشاطئ الأزوردي بدءاً بعاصمة هذا الشاطئ مدينة «نيس» التي طلب من مضيفه ساركوزي زيارتها، وصولاً إلى بقية مدن جنوب فرنسا المتكئة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وستكون هذه الهجمة مثل الهجمة الروسية على العقارات في بريطانيا وكيف أن أسعار الشقق والبيوت سجلت ارتفاعاً غير مسبوق نتيجة اندفاع أثرياء جدد، أو أثرياء التحول من الشيوعية إلى مشارف النظام الحر، اقتحموا سوق العقارات في بريطانيا واشتروا مئات الشقق والبيوت في العاصمة لندن وفي بعض المدن والمناطق الريفية، وبذلك بات سعر الشقة أو البيت المستقل عشرة أضعاف السعر سابقاً. وكان لافتاً أن الرئيس الصيني اتفق مع الرئيس ساركوزي على شراكة إستراتيجية، بما يعني أن المجالات تبدأ بالغذاء والعمور وتنتهي بالطاقة النووية وما بينهما من مجالات حيوية. كذلك كان لافتاً أن الرئيس الصيني الزائر يتطلع إلى «لوبي» رئاسي فرنسي يعزز العلاقة بين البلدين، ومن أجل ذلك طلب أن يلتقي بالرئيس السابق جاك شيراك فيزوره هذا الأخير في مقر إقامته في فندق جورج الخامس الذي هو ملكية طرف من العالم الثالث، شأنه في ذلك شأن الفندق الآخر الأكثر أهمية «كريون» الذي آلت ملكيته إلى طرف من العالم الثالث

أيضاً. وبهذه الملكية تتحقق نسبة وإن ضئيلة من مداواة العالم الثالث لإحدى أهم مدن العالم الأول باريس عاصمة النور.

وفي نيودلهي عاصمة الهند إحدى منارات كتلة عدم الانحياز سابقاً وثالث أكبر إقتصاد في القارة الصفراء يلقي الرئيس باراك أوباما الذي بدأ بها يوم السبت 6 نوفمبر 2010 جولة آسيوية تشمل إندونيسيا واليابان وكوريا الجنوبية، كاطما الخيبة الناشئة عن خسوف ربما يطول في مهابته نتيجة انتزاع الحزب الجمهوري منه في الإنتخابات النصفية الشأن الذي كان للحزب الديمقراطي وبذلك بات الجمهوريون مسيطرين على مجلس النواب وقادرين على إضعاف الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ، إسعافاً أولياً من جانب الحكم الهندي تمثل بإبرام عقود بقيمة عشرة بلايين دولار من شأنها تحقيق بعض الحلول لمشكلة البطالة المتفاقمة في الولايات المتحدة من خلال تأمين خمسين ألف فرصة عمل.

ومن الواضح أن أهل الحكم الهندي قدروا في أوباما طريقة تعامله مع الهزيمة وكيف أنه تصرف مثل الرئيس جمال عبد الناصر عندما مني بهزيمة 4 يونيو (حزيران) 1967 مع فارق أن عبد الناصر توجه إلى الإذاعة والتلفزيون ليعلن من خلالهما كامل مسؤوليته عن الهزيمة وقراره التنحي من منصبه كرئيس والنزول إلى الشارع يناضل مع الشعب من أجل إزالة آثار العدوان الإسرائيلي (في اليوم التالي عاد عن التنحي) في حين أن أوباما اكتفى بالقول في مؤتمر صحافي يوم الأربعاء 3 نوفمبر 2010 مباشرة بعد إعلان النتائج رسمياً «إن الهزيمة تبعث في النفس شعوراً سيئاً، وأعتقد أن علي أن أتحمل المسؤولية المباشرة عن أننا لم نحرز التقدم الذي كان علينا أن نحزّه، كما أعتقد أن الإقتصاد هو أكثر ما يقلق الناس لأننا لم نحقق تقدماً كافياً في شأنه، وعلي أن أقوم بعمل أفضل، تماماً مثل ما يفعل الجميع في واشنطن. وبالنظر إلى المستقبل أرى أن الأميركيين قالوا إنه ليس بإمكان أي حزب أن يفرض منظوره من الآن فصاعداً وعلينا أن نجد الجوامع المشتركة لننقدم معا حول بعض التحديات غير العادية، وإنني أطلع إلى الجلوس مع قادة الحزبين الديمقراطي والجمهوري لبحث كيفية التقدم، وأن الشعب الأمريكي ينتظر من الطرفين التركيز على كل ما يؤثر على وظائفهم وأمنهم ومستقبلهم وتخفيض الدين ودعم مشاريع الطاقة النظيفة والإستثمار في التكنولوجيا

التي تسمح للولايات المتحدة بالحفاظ على تنافسيتها في الإقتصاد العالمي، فالمنافسة الأساسية ليست بين الجمهوريين والديمقراطيين ولكنها بين أميركا والمنافسين الإقتصاديين في العالم. ولكي نفوز في هذه المنافسة ونحتفظ بالريادة الإقتصادية علينا أن نتحلى بالقوة والوحدة». كما أن أهل الحكم الهندي قدروا في أوباما الاتي إليهم مهزوماً إستهلاله زيارة الهند بمدينة «مومباي» قبل نيودلهي وإقامة زوجته في فندق «تاج محل» الذي إستهدفه إعتداء إرهابي يوم 26 نوفمبر 2008. كما قدروا توقيع رئيس الدولة الأكبر في سجل التعازي بضحايا الفندق.

ما جناه أوباما من الهند سيجنيه أقل أو أكثر من إندونيسيا واليابان وكوريا الجنوبية ومن الصديقة المملكة العربية السعودية (30 طائرة «بوينغ» جديدة تساهم في إنعاش أكبر شركة مصدرة في أميركا)، وهي عمليا ليست من دول العالم الأول وأقرب إلى العالم الثالث، الذي بدأت بعض دوله تضخ استثمارات قطرية إلى بريطانيا المثقلة بالإرتباك المالي ومثيلتها إيطاليا التي دقت الباب السعودي ووجدت من يفتح لها الباب بحسابات دقيقة (التفاهم على رفع مستوى التبادل خلال سنوات إلى 15 بليون دولار) كي لا تبقى البهلوانية البرلسكونية في التعامل على نحو ما هي عليه تضر ولا تنفع. وبسؤال أهل الحكم الليبي يمكن إستنتاج الإجابة الوافية.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 10 نوفمبر (ت2) 2010

* * *

الشفافية النهج... والجَزَع الحق

كما أن الشفافية هي مبدؤه وهي نهجه وهي الشميلة التي طمأنت أبناء الأمة على حاضرمهم ومستقبلهم، فإن جَزَع هؤلاء حق مشروع على خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز بعدما جاءهم النبأ على جناح الشفافية وفي صيغة بيان بثه الديوان الملكي مساء الجمعة 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2010 يفيد بأنه حفظه الله يعاني وعكة صحية نتيجة إنزلاق غضروفي في الظهر أوصى الأطباء بخلوده إلى الراحة طوال فترة

العلاج. أما لماذا الجَزَع فلأن الشفافية في عبدالله بن عبد العزيز، الملك وقبل ذلك وليّ العهد، بالقول الحسن والعمل الدؤوب الصالح تُعطي ما أمكنها التعطيل أزمات تحولت إلى معضلات ولم تعد تقتصر على جناح من جناحي الوطن وإنما غدت مثل غيمة ثقيلة في سماوات أقطار الأمة تحجب الصفاء ولا تمطر فضلاً عن الدم الذي يراق، وهذا مشهد لا يحتاج إلى تأكيد عندما نتأمل في الذي أصاب الأمة التي هي خير أمة للناس.. إنما في حال تصرّف الناس بالحكمة، فجد أن جدارها الأفريقي بات عرضة للتشقق وأن سياجها اللبناني كان حالة نضالية فإذا بالمقاومة تتسيّس وتبث الخشية في نفوس اللبنانيين الذين إختلطت عليهم الأمور بعدما بات السياسي مقاوماً من دون أن يقاوم والمقاوم سياسياً من دون أن يتوافق.

وعندما تكون حالة الأمة على هذا النحو لأن طيف المغامرين والمعاندين والمفسدين والمتاجرين بالكيانات والأرواح ما زال يستبج الحقائق الموضوعية، يصبح بالتالي من الطبيعي أن تتطلع الأكثرية العربية المغلوب على أمرها إلى رجل الدولة الذي إذا نوى يعمل وإذا عزم يتوكل وإذا إقترح يُخلص وإذا وعد يوفي وإذا ضُمد يتحمل وإذا غضب يتروى وإذا إغتاط يكتم وإذا استشعر المخاطر يسامح. ومثل هذه السمائل فضلاً عن شميلة الشفافية ونظيراتها النخوة والمبدئية وإستحضار رؤية الوالد المؤسس عند كل خطوة تُوجب الظروف خطوها، كانت خارطة طريق عبدالله بن عبد العزيز منذ اللحظة الأولى لتسلّمه القيادة، فيطرق آخر البوابات الآسيوية منتقلاً من بلد يرحب به إلى بلد يتوق إلى الترحيب به إلى مؤتمرات تقنّد أجواءها المتوترة إلى كلمة سواء ورأي سديد فلا يحجبه، متحملاً في هذا الترحال مشقة يتناسى فيها أن لجسمه عليه حقاً. ثم ها هو من أجل ملاحظته أن لبنان العرب على مشارف الغرق في بحر الفتنة يقول بينه وبين نفسه أن إنقاذ وطن عزيز يتقدم على حاجة بدن إلى الراحة في إجازة يطيب له تمضيها في "روضة خريم" المغاربية توأم "روضة خريم" الأصل التي حتى في ساعات الإسترخاء فيها يطرق استراحته أصحاب الهموم الثقيلة ورموز الأزمات الخطيرة وطالبي الإهتمامات التي لا تتحمل التأجيل. وقبل ذلك فإنه من أجل جمع الصف الفلسطيني ارتحل إلى مكة المكرمة بهمة الفارس المقدم كي لا يخرج الشقيقان المتشاكيان

المتشابكان المتلاصقان من دون الإتفاق على كلمة سواء . كما أنه بعد ذلك ومن أجل إزاحة البغضاء من النفوس وتبديد شبح الفرقة الذي يرمي بثقله على الأمة جعل من قمة إقتصادية، كان المرء يفترض أنها ستكون للإهتمام بأحوال ذوي الحاجة التنموية في الأمة، حدثاً بالغ الأهمية في الحياة السياسية العربية، ومن أجل ذلك لم يكلف كما آخرين مسؤولاً من أهل الاختصاص المالي والإقتصادي والتنموي لتمثيل المملكة في المؤتمر وبذلك يريح بدنه بعض الشيء من مشقة الترحال الذي لا يتوقف عبر الأطلسي وعبر الفيافي عربياً ودولياً والحافل بالطقوس والتقاليد ذهاباً وإياباً وخلال المشاركة، وإنما توجه بنفسه وقال كلمة حق أراد بها الحق ولا شيء غير الحق، وهو أن التسامي فوق الكلام غير المستحب أمر مطلوب أكثر من أي وقت مضى كي لا يبقى الصف العربي على التبعر الذي هو عليه.

ومرة أخرى يجوز التساؤل: وماذا عن الجسم يا بومتعب أليس له نصيبه من الإهتمام؟

هنا يجيز كاتب هذه السطور لنفسه كمواطن عربي من أبناء الأمة، التي يتواصل النزف المعنوي والأخلاقي والدموي فيها، القول ما لا بد من قوله في ضوء الوعكة التي نحمد الله أنها إقتصرت على غضروف تسبب بالآلام للملك عبدالله بن عبد العزيز فرضت عليه الأخذ بما يوصي به الطب. والقول الذي نجيز لأنفسنا تلخيصه هو: إن هذا الاستقرار النسبي في الأحوال العربية يعود في الدرجة الأولى إلى سعي عبدالله بن عبد العزيز. فلولا رؤيته للتسوية التي إنتهت مبادرة حظيت بالإجماع الذي كان حالة إجماع عربي نادر حول أمر ما، لكان الآن الإستقرار التطبيعي مستمراً ولكن المبادرة حددت السقف الذي لا يجوز اختراقه من أحد. وبهذا السقف إعتدلت بعض الشيء نظرة المجتمع الدولي بكباره والملحقين بالكبار، إلى الصراع العربي - الإسرائيلي. وإعتدال النظرة ربما يقود إلى تحسين السلوك فتصويب التعامل وصولاً إلى إكتمال الإقتناع بوضع النهاية العاقلة لصراع بالغ المرارة تتوارى من جرائه بالتدرج عاديّات التعصب ووسائله المبعوضة أمام عوائد حوار الأديان والحضارات والإفتتاح الواعي والمتبادل على خصوصيات المجتمعات وليس على أسواقها ونفوطها وثرواتها المكتشف منها وأيضاً الذي هو برسم الإكتشاف في الوقت المناسب. ولولا الترميم المضني للعلاقات العربية لما كان للوضع في

لبنان أن يبقى تحت السيطرة. ولولا أحدث المبادرات وليس أخيراً ونعني بذلك "نداء الغيور" للعراقيين لما كان للنتبه إلى المحاذير أن يحدث ولا للثقمة النسبي أن يتقدم خطوة بعدما كان تراجع خطوات على مدى ثمانية أشهر عجز خلالها رموز العمل السياسي والحزبي في العراق المبتلّى بالاحتلال غير المنتهي والرعب غير المغادر على تشكيل حكومة. ولولا الضغط الدائم على الدول الكبرى، المعلن منه والمستتر.. والناغم منه والخشن، لما كان للمفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية ووفق روحية المبادرة العربية أن تبدأ. وحتى إذا هي تعثرت فإن التملص منها ليس بالأمر المتيسر. ولولا اليقظة إزاء ما يحدث في اليمن وإلى درجة تحمّل مشقة تقفد أبنائه الجنود على طول جبهة يريدها مفتوحة وليست مسورة في وجه المتسللين المخربين، لكان الشقاق بعد إستشراء العنف إبتلع حُلم اليمنيين في وضع داخلي مستقر وجوار متعل مزدهر.

هذا ليس كل شيء، ذلك أن المشروع النهضوي والتنموي والعلمي والصناعي للملك عبدالله بن عبد العزيز داخل المملكة ما زال في مرحلة الحاجة القصوى إلى الرعاية، كونه مثل مشاريع نهضوية حصلت في دول إنتهت إلى أنها ودعت النمو البطيء وإنتسبت إلى فئة النمرور وإرتبط استكمالها والحفاظ على رونقها برائدها الذي هو صاحب القرار. وكما أن اكتمال هذا المشروع واستمرار نموه وتطويره هو لمصلحة السعوديين في الدرجة الأولى فإن خيره بالتالي يشمل أبناء الأمة.

خلاصة القول إن حالة توعك بسيطة وعابرة تصيب الملك عبد الله بن عبد العزيز وفي هذه الظروف بالذات هي حالة صداع يشعر بها المواطن العربي وكل حسب الظروف التي يعيشها والآمال التي يعلّقها على قائد يجمع بين الحكمة والحنكة.

ونقول ذلك على أساس أن الخطوة الرائدة المتمثلة بـ "هيئة البيعة" لم تكتمل تحديداً. والحوار الوطني لم تكتمل ملامحه. والمشاريع النهضوية في سنواتها الأولى. ومثل هذه الأمور وغيرها كثير تجعلنا نقول إنه كما أن الشفافية نهج عبدالله بن عبد العزيز في كل ما عمل وأنجز وما زال يعمل لينجز، فإن من حق أبناء الأمة قاطبة وليس أبناء السعودية فقط أن يجزوا وأن يتمتعوا عليه إختصار الترحال وإختصار الطقوس. فالأمة يمكن أن تصبح بخير إذا كان هو بخير يراقب وينصح ويرفد المستعصي من الأزمات بالحكمة والحنكة والنخوة. حفظ

الله لها إبنها البار بومتعب. وتلك كانت دعوة أبناء الأمتين له منذ أن بلغهم نبأ توّعه وبالدّات الملايين الذين أدوا فريضة الحج لهذا العام وانتقلوا محفوفين بالسلامة إلى المشاعر من عرفة إلى مزدلفة داخل القطار الأخضر إحدى هداياه للمسلمين الذين يريدونهم وهم يؤدون الفريضة آمنين ومرتاحين بفضل لفئات وخدمات كثيرة من بينها "قطار عبدالله" الذي اختصر في دقائق خمس ساعات في الماضي القريب وساعات عشر قبل ذلك. جعله الله وإخوانه الأمراء سلطان ونايف وسلمان وكل امرئ مسلم صالح ومستقيم الرأي من عواده.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ 10 نوفمبر (ت) 2010

* * *

نجاد النووي المهموم بعد عرفات بالتنازل

قبل إجتماع نيويورك النووي في رحاب منظمة الأمم المتحدة الإثنين 2010/5/3 بمشاركة 190 دولة، كان الرئيس محمود أحمددي نجاد الذي ترأس وفد إيران إلى الإجتماع بعد منحه والأعضاء المرافقين تأشيرة دخول من «دولة الإستكبار» الولايات المتحدة مشغول البال وهو في طهران ليس فقط بما قد ينتهي إليه مؤتمر نيويورك من قرارات في شأن المحاور الثلاثة التي عالجها وهي: نزع السلاح النووي (الموجود حالياً) ومحاربة انتشار السلاح النووي، وتطوير النووي المدني، وإنما أيضاً من موضوع التنازل المتكاسل الذي هو نقيض التنازل الحيوي في مصر التي تشكو "المحرسة" للرئيس الثالث لها على مدى 58 سنة من هذا التدفق للمواليد الذي يجعل الأزمات المعيشية والمشاكل الإجتماعية والقضايا التنموية تزداد تفاقماً.

ولقد إستوفقنا قلق الرئيس نجاد من تكاسل الإيرانيين وإنحباس الرغبة عندهم في الإكثار من الإنجاب، وإلى درجة التحذير وللمرة الثالثة خلال أسبوع من أن هذا التكاسل سيتسبب في «شيخوخة الأمة».

ومن جملة مضامين قلق الرئيس نجاد ورؤيته للمستقبل الإيراني، قوله: «إن البعض يقول بولدين فقط للعائلة، وهذا يعني أنه لن يبقى شيء من الأمة الإيرانية

خلال أربعين عاماً. أنا هنا لا أستطيع وغيري إرغام الناس على فعل شيء إلا أنني أرى الخطر وأحذر. وبالنسبة إلى الإيرانيين الذين يقلدون الغربيين والاكتفاء بولدين أقول إنه قبل أربعين عاماً كان الغربيون يؤيدون تحديد النسل ويعتبرون أن الحياة أفضل إذا كان عدد الأولاد أقل، لكن شعوبهم شاخت اليوم وهم يشجعون العائلات على إنجاب مزيد من الأولاد عبر تقديم إغراءات مالية».

إستناداً إلى واقع الحال فإن عدد الإيرانيين حتى العام 2010 وصل إلى 75 مليون نسمة. وعندما انقلبت إيران من شاهانية إلى خمينية كان العدد حسب إحصاء رسمي 36 مليون نسمة، أي بمعدل مليون وبضع عشرات مولود سنوياً. ومن قبل الرئيس نجاد كان آية الله الخميني شجع الإيرانيين على الإنجاب فلبى الإيرانيون النداء وارتفع عدد الشعب عام 1988، أي خلال تسع سنوات ثورية إلى 55 مليون نسمة. وكأنما الإمام الخميني كان يستبق سلفاً ما ستنتهي إليه الحرب مع العراق يخوضها ضد نظامه الصّدّامي متطلعاً إلى وضع اليد على بلاد الرافدين، ويسقط خلالها الألوف من الإيرانيين، فدعا الشعب إلى المزيد من الإنجاب وبذلك يتم التعويض بمولود على أي مدني أو عسكري يقضي في الحرب.

ثم تبين في ضوء نتائج الحرب أن مواجهة التداعيات التي نشأت تكون بتحديد النسل وأطلقت الجهات المختصة لهذا الغرض برنامجاً يشجع الأزواج على الإكتفاء بولدين. ولهذا الغرض وتحت ستار «طفلان يكفيان» وزعت الحكومة مجاناً حبوباً لمنع الحمل وواقيات ذكورية ونظمت دروساً حول أهمية منع الحمل وضروراته، ثم جاء الرئيس نجاد ليفاجئ الإيرانيين بأن تحديد النسل سيتسبب في «شيخوخة إيران» ولذا عليهم أن ينشطوا ويتناسلوا بكثرة.

وبطبيعة الحال هناك حيثيات يمكن افتراضها، تعمّد الرئيس نجاد إغفالها تاركاً للمتابعين مثل حالنا الإشارة إليها. ومن هذه الحيثيات، أن المواجهة في التقديرات النجادية آتية، وحيث إن التراجع عن الطموح النووي خسارة للشأن وإهانة للثورة فإن الضحايا للمواجهة هذه بالألوف. ولهذا لا بد من باب إستباق الأمور بتحفيز الناس على الإنجاب كي تعوّض إيران الأرواح التي سقطت على مذبح الطموح النووي والصاروخي والعنوان الأميركي - الأوروبي - الإسرائيلي عقاباً لإيران التي

تريد أن تكون نووية مثل باكستان لكن المجتمع الدولي لا يريد.

والرئيس نجاد الذي عاود يوم الأحد 21-11-2010 الخوض في الموضوع داعياً الفتيات الإيرانيات إلى الزواج في سن السادسة عشرة معتبراً الدعوات لتحديد النسل بأنها «غير إلهية وأنها إستيراد غربي»، ليس الرائد في مجال إستتھاض الھم الذكورية للإكثار من المواليد تآھباً لتعويض إيران قوافل ضحايا مواجهة يفترض الرئيس الإيراني وقوعها. فقد سبقه ولإعتبارات مختلفة الرئيس الراحل ياسر عرفات الذي طالما كان يرى أن ظاهرة حيوية الحمل عند النساء الفلسطينيات، إيجابية ومن الضرورة الوطنية أن تبقى مزدهرة، وذلك بهدف أن تكسب القضية الفلسطينية الورقة السكانية بمعنى أن عدد الفلسطينيين أينما كانوا في المخيمات والشتات العالمي هو أكثر من عدد الإسرائيليين.

وعلى رغم سلبيات الظاهرة من الناحية الإجتماعية والسكنية وبالذات بالنسبة إلى ضيوف الدل في المخيمات، إلا أن الرئيس عرفات رحل وهو يرى أن التنازل المتكاسل يضر بالقضية وأن على الذكر الفلسطيني أن يكثر من الإنجاب. إلا أننا عندما نتأمل في الأحوال السكانية والإجتماعية للفلسطينيين نرى أن نظرية أبو عمار خلقت مجتمعات تحتاج الأجيال الجديدة من الشعب إلى جهود للتأهيل وتأمين وسائل العيش البسيط ثم مجالات العمل لاحقاً، فضلاً عن أن مدارس "الأونروا" تعجز عن إستيعاب هذا الكم الهائل من النّاتج الفلسطيني.

لكن في المقابل نرى أن دعوة أبو عمار إلى الإكثار من المواليد تحولت إلى سلاح طالما أشاع الخشية في نفوس الحكومات الإسرائيلية التي ردت عليه بتشجيع اليهودي الإسرائيلي على أن ينشط، والعمل في الوقت نفسه على استيراد المزيد من اليهود المنتشرين في دول العالم.

ولقد إفترضنا أن ما بعد إتفاق طهران يوم الإثنين 17/5/2010 الذي أنجزه الثنائي التركي - البرازيلي بمباركة الثنائي السوري - القطري سيشجع الرئيس نجاد على أن يعيد التأمل في نظرية التنازل المتكاسل لجهة الأخذ بالرأي القائل إن الطمأنينة تجعل المواطن لا يخشى كثرة النسل ما دام البلد مزدهراً والأعمال نشطة والتنمية مستديمة والإستقرار ثابتاً والكلام خالياً من

التحديات، وتلك أمور تجعل الإنسان يحب الحياة لنفسه ولذريته مهما كثر عدد أفرادها. لكن إفترضنا جوبه بعد ذلك بحوالى شهرين (الثلاثاء 27/6/2010) بتحفيز مدعم بالمغريات من جانب الرئيس نجاد الذي لم تستوقفه العقوبات الدولية التي صدرت من جانب الولايات المتحدة وأوروبا وجاءت بالغة القساوة، أو إنه من أجل الإلتفاف عليها، طرح في احتفال شعبي برنامجاً لتنظيم النسل يبدأ من 21/3/2011 ويقضي بوضع مبلغ 950 دولاراً في حساب بنكي لكل مولود جديد ثم يحصل المولود على 95 دولاراً سنوياً حتى يبلغ الثامنة عشرة من العمر على أن يسهم الآباء بمبالغ مماثلة في هذا الحساب. وبعد أن يُتم صاحب الحساب سن العشرين يستطيع أن يسحب الأموال للإنفاق على التعليم أو الزواج أو السكن.

العرض جذاب إنما ليس لكل الناس خصوصاً أن ثلث سكان إيران (26 مليوناً من اصل 75 مليوناً) تراوح أعمارهم بين 15 و30 سنة وأن نسبة البطالة تتجاوز العشرة في المئة، فضلاً عن أن رقعة العقوبات الدولية تتسع وتهدد برفع منسوب التوتر الإجتماعي من دون أن يسمعوا الكلام الواقعي من جانب الرئيس نجاد عدا القول إن العقوبات على إيران ستلحق الضرر بدول أوروبا لأن الإيرانيين عندما يسافرون للسياحة أو التجارة يفيدون تلك الدول. لكن الرئيس نجاد يتطلع إلى إيران وقد تضاعف عدد سكانها خلال عقدين أو أقل من الزمن ومن أجل ذلك أطلق الخطة التحفيزية الشبيهة بالعروضات التي تقدمها المخازن الكبرى في مواسم الكساد أو من أجل تصريف بضاعة على أهبة أن تنتهي صلاحيتها. ولقد أطلق الخطة من دون أن يوضح كيف سيتم التمويل وهل سيكون هنالك إقبال على التنازل الذي يريد الرئيس نجاد الأخذ به إنسجماً مع حالة انتظاره لـ «عصر تحقيق العدالة الإلهية» وتكون فيه إيران تغادت فيروس الشيخوخة.

ويبقى القول إن ما يحلم به الرئيس محمود أحمدي نجاد المتطلع إلى دولة المئة وخمسين مليون نسمة أو «إيران الكبرى من أفغانستان إلى فلسطين» كما يتصورها محمد باقر خرازي الذي يسعى لوراثة نجاد، لم يفارق خاطر الرئيس عرفات الذي كان يحلم بالدولة التي طالما ردد بأنه يراها على بعد مرمى حجر مزدهرة بالحجاج المسلمين إلى الأقصى والحجاج المسيحيين إلى كنيسة

المهد ومزحمة بالفلسطينيين العائدين إلى الديار من المنافي والمخيمات، عندما أبرم «صفقة أوسلو» وقامت قيادة آخرين عليه. وبعدها يعاد النظر في الأمر وتبدأ دعوة معاكسة كما الحال في مصر والصين لتحديد النسل ما دامت موجبات سلاح عدد السكان أدت الغرض... أو إنها زادت المشكلة الإجتماعية تفاقماً. والله أعلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 29 نوفمبر (ت2) 2010

* * *

عاشورائيات سياسية ومن العيار الأثقل

من الطبيعي ما دام «حزب الله» مستهدفاً وما دامت قيادته تؤكد هذا الإستهداف وتستعدي المحكمة الدولية التي تنتظر في موضوع يعني اللبنانيين من دون إستثناء طيف دون آخر وكل طيف يعنيه من زاوية تختلف عن الأخرى، أن يواجه هذا الإستهداف استباقاً، وبصرف النظر عما إذا كانت مطالعته وقذائفه الإتهامية للمحكمة مبنية على حدس أو على معلومة.. أو فقط على ما نُشر هناك لكي يتم ترويجه هنا على أمل أن يُحتضن هنالك.. أي في رحاب الأمم المتحدة حيث مجلس أمنها بأعضائه الخمسة عشر هو صاحب هذه المحكمة وبأذل جهود خارقة من أجل أن لا تكون مثل تلك المحكمة التي تلاحق الرئيس السوداني عمر حسن البشير من بلد مجاور يزوره إلى بلد مجاور يستقبله على مضض، ومن دون أن يُعقل لتسليمه إلى محكمة تطارد الرئيس البشير ولا تتمكن من القبض عليه كما عدم التمكن الأممي، أي من جانب أميركا وحلفائها على أنواعهم، من العثور على أسامة بن لادن، وتلك في أي حال أكذوبة من جانب العم سام وأبناء عمومته الأوروبيين وبعض أصدقائه في العالم الثالث، إذ أين هي تلك التقنيات العجيبة التي لم تتغلب على الأسلوب العجائبي الذي يجعل بن لادن ولا حتى الظواهر وبقية «شيوخ القاعدة ومجاهديها» لا قدرة على رؤيتهم بالعين الأميركية المجردة. أملنا كبير في أن تكشف لنا واحدة أو أكثر من الوثائق ال «ويليكسية» الزلزالية خفايا علاقة «الشيخ المجاهد» بن لادن و«فرسان» قاعدته بمن هم «يعادونه» و«يعاديهم».

من الطبيعي أن يستبق «حزب الله» ما يدبر له وراء أسوار المحكمة في لاهاي فيطلق من القذائف الكلامية أشدها ملوحاً بأن ما سيليهها ربما يكون الأعظم. وهو بهذا إما يُطمئن قواعده فلا تهاب الأحكام وهي التي أفرادها لا يهابون الموت إستشهاداً وإما يعتمد في ما يقال على السنة بعض قياديه المعتم منه وغير المعتم مبدأ: اللهم فإشهد. اللهم إني قد بلغت.

لكن غير الطبيعي في الأمر هو تحويل المجالس العاشورائية إلى مناسبة لإطلاق التبليغ، مع أن هذه المجالس هي فرصة للتأمل في مآلات الصراعات التي تكاثرت وتنوعت بعدما إختار المولى عز وجل نبيه المصطفى إلى رحابه تاركاً الأمة الموعودة المعتبرة بأنها خير أمة أخرجت للناس، تصارع بعضها بعضاً وكأنما الأمة عبارة عن غابة وأن رموز الصراع يميلون في طباعهم إلى الإفتراس بدل الفروسية وإلى أسلوب الانقلابات بدل أسلوب إعتد الشورى لأمرهم المستعصي منها بالذات.

وفي المجالس العاشورائية يقال المفيد من الكلام وليس الوعيد ويتم إستحضار المفردات التي تعكس معنى الشهادة ومعنى التضحية وليس كما لا يطيب للنفس سماعها أي المفردات التي تتادي بالويل والثبور وعظائم الأمور.. هذا فضلاً عن مفردات إفتراضنا بعدما دُفنا في الستينات والسبعينات مرارة تداعياتها أنها لن تُستحضر بعد تلك المرارة في أي كلام يُقال من على المنابر منابر المساجد أو الحسينيات أو المجالس العاشورائية كمثّل القول وفيما الناس في حالة من الأسى الوجداني المتواصل مع سيد الشهداء «روحوا بلطوا البحر فهذه المقاومة أكرم من أن يستطيع أحد أن ينال منها وأشرف وأنزه وأطهر» وكمثّل القول «إذا صدر القرار الظني عن المحكمة الدولية من دون تسوية بين اللبنانيين نقول لكم إن لبنان ما قبل القرار هو غير ما بعده». ومثّل القول «بالنسبة إلينا في حزب الله المحكمة الدولية الآن غير موجودة وليس لها سلطة على لبنان حتى لو إجتمع مجلس الأمن بأسره...». وكمثّل تحديد مهلة بضعة أيام للخضوع وإلا فإن ذنب من لا يخضع على جنبه كما التعبير الشائع.

ما نشير إليه من كلام هنا إنما هو على سبيل المثال لا الحصر. فقد قيل ما هو أشد، إنما كان ذلك قبل المناسبة العاشورائية الحزينة التي باتت مجالسها إما

«لوكوربي»... وإلى أبد الأبد، وكانت الدية مليارية وصفحة منزوعة من كتاب مُعَرِّق في التحدي والتصدير الثوري كما حال التصدير الإيراني المقتبس بتصرف إلى حد ما.

كُتِبَت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 13 ديسمبر (ك) 2010

* * *

هل تعود مصر

والسودان (الشمال) حنة واحدة

لم يجد الرئيسان حسني مبارك ومعمّر القذافي ما يقولانه في إجتماعهما في الخرطوم يوم الثلاثاء 21 ديسمبر/ كانون الأول 2010 مع الشقيقتين الشمالي (الرئيس عمر البشير) والجنوبي (سيلفاكير) وبحضور الرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز سوى التعبير عن الأسف لصدمة ستقع وتتمثل، في حال لم تحدث صحوّة في الربع الساعة الأخير الذي يسبق الإستفتاء يوم 19 يناير/ كانون الثاني 2011، في أن الجنوب جنوب والشمال شمال وأن لا مجال للتوحد بينهما.

مشهد اللقاء الخماسي في حد ذاته يؤشر إلى أن حال القادة الخمسة كان كما لو انهم في منزل فقيد رفيع الشأن وأن التشاور بينهم هو حول كيفية التشييع، فضلاً عن أن هذا الجمع العسكري الأصول في حالة من الخجل للصدمة الآتية وكيف أنهم غير قادرين على حسن المصير بحيث استبقاء الجنوب شريكاً دائماً للشمال وهو ليس بالأمر المنطقي إذا كان الحكم بثقافتين ووجهين وخصوصيتين. والأهم من ذلك إذا كان رئيس السودان إسلامياً ونائبه الأول مسيحياً وأنه في حال أُلْمِتَ بالرئيس مصيبة تعيقه عن ممارسة مسؤولياته فإن من هو الأول سيكون حكماً الرئيس ولن يرتضي جلد هذه أو ذاك كما أن ديوان الرئاسة سيأخذ شخصية رئيسه. وللمرء أن يتصور مثل هذا المشهد.

منذ البداية كان واضحاً كل الوضوح أن الخلطة الجنوبية - الشمالية السحرية ليست مناسبة. بل إن التوقيع من جانب الطرفين على تلك الإتفاقات المبهرة

ذات طابع إجتماعي وكأنما هي لرد دعوات سابقة في مناسبات احتفالية، وإما من أجل إعلان الأصوات منها عالية بهدف تسجيل مواقف يمكن تسجيلها في صيغة بيان أو مؤتمر صحافي إستثنائي ولمرة واحدة فقط إذ أن في التكرار ما يثير الإستغراب.

إلى ذلك ثمة مسألة لافتة وهي المتعلقة بظاهرة الإستضعاف في الموقف التحذيري الذي أشرنا إليه، بحيث إن الذي يجب تحديه بالنسبة إلى المحكمة الدولية هو الطرف الذي إبتكرها أو إبتدعها لا فرق، وهو هنا خمس عشرة دولة تتصدرها أميركا وعلى ميمنتها بريطانيا وعلى ميسرتها فرنسا فضلاً عن أن الثلاث عشرة الأخريات مقتنعات بالحيثيات التي يرددها المثلث المشار إليه. لكن مع ذلك نلاحظ أن سيف الانتقام موجّه إلى لبنان المستضعف وكأنما هو الولاية الأميركية التي لم توضع نجمتها بعد في علم العم سام، نتيجة الإهتمام الأميركي الدولي به. وأحدث المؤشرات إلى ذلك قول وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون يوم الجمعة (10-12-2010) أن الإدارة الأميركية «ملتزمة بسيادة لبنان وحرمة أراضيه ووجودته واستقلاله السياسي». وهذا الإستضعاف يعود إلى أن العظم اللبناني في جسم الدولة طري بل وكثير الطراوة في حين أن عضلات «حزب الله» من القوة بحيث إن العظم الطري يصبح قابلاً للكسر وهذا في حسابات الحزب سيدفع الدولة الكبرى أميركا وحليفاتها إلى التعامل مع موضوع المحكمة في الربع ساعة الأخير من إستصدار القرار الظني بالقليل من الحنكة، وبعد الاستصدار وما ينشأ عنه من تداعيات بالكثير من الحكمة، وعلى قاعدة الإنتقال من التحديات إلى المقايضات والتعهدات والسير بلبنان سياسياً كما حدثت خارطة طريقه بعد مؤتمر الطائف حيث أصبح أمراء الحرب وزراء الحكومة وغفر هذا لذلك. ولم يبق للذين إسترحلوا سوى الترحم على قاعدة الحي أبقى من الميت أو إستلهم القول المأثور: إذا كنتم تعبدون محمداً فإن محمداً قد مات وإذا كنتم تعبدون الله فإن الله حي باق... إلّا إذا كانت المواجهة من جانب "حزب الله" للمحكمة ورعاتها تستهدف إدراج مصير السيد موسى الصدر في قائمة المغيّبين وتستهدف أيضاً تحويل تداعيات القرار الظني إلى ثأر من إيران وأعماقها اللبنانية والخليجية والفلسطينية على نحو الثأر من ليبيا القذافية الذي بموجبه أغلق ملف

كان إيداناً بأن اللذين طالما تحاربا وإستنزفت حربهما موارد بلد هي في الأصل شحيحة ولا تتحمل إنفاق مليون دولار صبيحة كل يوم على حرب عبثية، إنما كانا عملياً يوقّعان على وثيقة الهجر في الحد الأدنى والطلاق في الحد الأقصى، وأن ما توافقا على إعتباره فترة انتقالية لعل الصدر لا يعود على الضيق الذي هو عليه، لم يكن بهدف العيش تحت مظلة السودان الموحد وإنما كانت الفترة، إذا جاز القول، فترة إنتقال الجنوبي إلى خياره وهو الانفصال، وأما الشمالي فإنها فترة تحضير إجابات عملية يرد بها على الشامتين به الذين يشيرون بالأصابع على "إنقاذه" للسودان، وكيف أن الذين جاءوا رافعين شعار «الإنقاذ» واستمروا متمسكين بهذه الصفة لحكمهم وصلوا إلى منعطف بالغ الخطورة وهو أنهم يحتاجون إلى من ينقذهم. ومن هنا فإن إطلالة الثنائي الأكثر تأثراً بالمصير السوداني (الرئيس مبارك والرئيس القذافي) لم يحضرا للنجدة ولا حتى لتعويم النظام بجناحيه الشمالي والجنوبي وإنما الدافع إلى الحضور هو كيف ستكون عليه الأحوال بعد أن يرى النظامان المصري والليبي أنهما أمام سودان لم يحافظ عليه أهل الحكم في الشمال ورفاقهم أهل التمرد في الجنوب فحق تشبيههم بالأندلسيين الذين بكوا كالنساء ملكاً لم يحافظوا عليه كالرجال.

والقول بأن التوقيع على إتفاقات السلام والمرحلة الإنتقالية كان توقيعاً ليس من أجل السلام المستقر وإنما السلام - التهدة الذي في ظله يرتب الطرف المتطلع إلى الهجر نفسه وقد أنجز الترتيبات أفضل ترتيب بدءاً بإنشاء مصانع صغيرة بأمل أن تكبر ومنها مصنع لإنتاج البيرة المحرمة لدى الشريك «الإنقاذي» مروراً بإنشاء مكاتب خارجية بأمل أن تصبح سفارات وصولاً إلى وضع العلم والنشيد الرسمي والمصرف المركزي وخارطة طريق العلاقات التي تصل إلى إسرائيل بتشجيع من مراكز قوى في الكونغرس الأميركي وفي دواوين بعض الحكومات الأوروبية.

وطوال الفترة الانتقالية إنشغل الطرفان بالنفط الموعود وخصوصاً بعد الترويج بأن السودان سيصبح عضواً في الدول المصدرة للنفط (أوبك) مع أن هذه الفترة هي كما المألوف لتأهيل الشعبين من أجل حالة تتآلف خلالها القلوب ويعالج فيها أهل السلطة ساحات

السودان الملأى بالفقر والفواجع الإجتماعية. ولقد أدى الإهتمام بالكنز النفطي إلى أن الطرفين ابتعدا أكثر عن واجبات التأهيل وإزدهرت في ظل هذا الوضع التنتظيرات التي ترجّح الانفصال الحاصل أصلاً، على الانصهار الكامل في الكيان الموحد. وإزاء ذلك لم يبق أمام الأشقاء العرب سوى الدعاء بالسلامة لشقيقهم السوداني الذي سئجى له على الأرجح عملية كتلك التي طالما برع فيها بعض الأطباء السعوديين وهي فصل التوائم مع الأخذ في الإعتبار أن العملية السودانية أقل تعقيداً لأن الإلتصاق لوناً وثقافة وديناً وتقاليد وخلاف ذلك، ليس متيناً إلى درجة تحتاج إلى الجراح الحاذق.

بعد ثلاث ساعات من اللقاء الجنائزي الذي بدت فيه الوجوه عابسة من وجه الرئيس البشير الملتحف عباءة وعمّة سودانيتين إلى سيلفاكير الذي يعتمر قبعته الشهيرة وبدلته الإفرنجية، وكذلك وجوه الرئيس مبارك والرئيس القذافي والرئيس الموريتاني الذي جاء وحيداً، إنفضّ اللقاء بـ «نعي أخوي» بالغ الرقة وكان عبارة عن بيان تضمّن عبارتين لافتتين: الأولى «إن القمة الخماسية بحثت مستقبل العلاقة بين شمال السودان وجنوبه وأكدت أن الروابط العضوية بين الشمال والجنوب التي تدعمها إعتبارات التاريخ والجغرافيا والثقافة والقيم الإجتماعية والمصالح المشتركة تستوجب من الأطراف كافة العمل على تدعيم واستمرار هذه الوشائج في جوانبها السياسية والإقتصادية والإجتماعية وبصرف النظر عن نتيجة الاستفتاء». والعبارة الثانية هي «إن المشاركين في القمة شددوا على احترامهم لإرادة شعب جنوب السودان في البقاء في إطار السودان الموحد أو الانفصال السلمي...». ونلاحظ أن البيان إعتبر القمة «خماسية» أي أنه سلفاً إفترض السودان دولتين، دولة يترأسها البشير ودولة يترأسها سيلفاكير. ولم يقل إنها قمة رباعية يتمثل فيها السودان بالرئيس ونائبه الأول. خلاصة القول: ضاع السودان يا... زول (أي

يا أخ بالتعبير السوداني الشعبي) وهكذا يكون ختامها إنفصال على ما لا نتمنى. وأما بعد مراسم التشييع فإن عضوية جنوب السودان، في حال قضي الأمر، في الجامعة العربية سيكون أمراً يحفر ندماً في الوجدان خصوصاً إذا جاء يوم بعد ربع قرن من الآن

ورأينا أن الحل الجنوبي سـيـتبعـه الحل الغربـي
الدارفورـي وربما بعد ذلك الحل الشرقي. وبذلك
يُستـصـغر شأن شبه القارة التي إسمها السودان. وقد
نسمع بعد حين أصواتاً تطالب بعودة السودان
(الشمال) إلى مصر وتحت إنبعاث شعار وهتافات:
مصر والسودان حـتـة واحدة. والله أعلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - 27 ديسمبر (كانون الأول) 2010

* * *

التشرق الأوسط

ASHARQ AL-AWSAT

جريدة العرب الدولية

المقالات من يناير 2011 إلى ديسمبر 2011





هذا الـ «يناير» الأسود

بفعل ذلك «السيد» الأبيض

نحن، كما الأصدقاء إخواننا في السودان عشنا شهراً كاملاً من القلق غير المسبوقه حدثه في انتظار ذلك الموعد المبعوض مع ذلك الفعل الذي طبخه «السيد» الأبيض ليولمه في عهد رئيسه الأسود. موعد مع يناير الانفصال... «يناير الأسود» بالمعنى اللوني للذين اختاروا الانفصال، والمعنى الكارثي الوجداني للذين ساهموا بهدف مداواة جرح الاستنزاف بالأموال والأرواح، فإذا بجرح الكيان يفتح وينذر بما هو أشد...

ولا بد ونحن أمام هذا الموعد من التوقف عند نخوة جاءت من الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى الذي قام يوم الثلاثاء (28-12-2010) بزيارة إلى الخرطوم شملت لقاءات مع الرئيس عمر البشير وبعض المسؤولين الشماليين وأخرى مع قيادات جنوبية فضلاً عن تقديمه خلال انتقاله إلى «جوبا» عاصمة التوأم الجنوبي للشقيق الشمالي «هدية ميلادية» من الجامعة العربية إلى الجنوبيين عبارة عن عشر عيادات طبية تعمل كمستشفى متنقل وبوسعها توفير الخدمات العلاجية وإجراء الجراحات البسيطة. وينطبق على هذه الهدية من الجامعة العربية، التي أمانتها العامة وأمنائها المتعاقبون من عبد الرحمن عزام إلى عبد الخالق حسونة إلى محمود رياض إلى الشاذلي القليبي إلى عصمت عبد المجيد وصولاً إلى عمرو موسى، دائمة الشكوى من الوضع المالي وعدم إنتظام تسديد مساهمات الدول الأعضاء - عدا قلة - في ميزانية جامعتهم، قول الشاعر: «لا خيل عندي أهديها ولا مال...». والقصد من القول والتشبيه أن الجامعة ليست في بحبوة لكي تهدي، ولكنها أريحية الأمين العام الذي تأتي هديته العيادية الطبية إلى الجنوبيين وكأنها هي «دبلة» الخطوبة لدولة عضو جديدة في الجامعة ويعني بها العروس الداكنة اللون التي إسمها «دولة الجنوب» أو «السودان الجديد» أو «السودان الجنوبي» كما «كوريا الجنوبية» مقابل «كوريا الشمالية» وكما ربما ليس بالبعيد «العراق الشمالي» في حال إستقر راسمو الخريطة الجديدة للمنطقة على أن يستقل الأكراد في دولة تنتسب لاحقاً إلى الجامعة العربية كما جنوب

السودان، وبحيث يعاد النظر في تسمية هذه الـ «جامعة» وهو ما كان قيد التشاور في القمة العربية التي استضافها الرئيس معمر القذافي مرتين خلال العام المنصرم مرةً دورياً ومرةً إستثنائياً في عاصمته السياسية «سرت».

وهدية الأمين العام عمرو موسى الذي شارك ثمانون من دبلوماسيي الجامعة العربية كمراقبين في عملية الإستفتاء الذي تمّ الأحد 9-1-2011 لا تختلف من حيث (لا خيل عندي أهديها...) عن هدية فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي الذي هاله المشهد الانفصالي المتوقع حدوثه فأفتى بتحريم إقدام الجنوبيين المسلمين على التصويت إلى جانب الانفصال. عظم الله أجر مولانا القرضاوي وعوض الله أميننا العام عمرو موسى على هديته.

وأما الرئيس عمر البشير الذي يتزامن خيار الانفصال مع الذكرى الخامسة والخمسين للاستقلال بعدما كانت قامت ثورة 23 يوليو 1952 في مصر وارتضت عام 1953 إعطاء شعب السودان حق تقرير المصير، فإن هديته للمناسبة كانت مزدوجة. من جهة وبما يؤكد إقتناعه بأن كفة حدوث الانفصال تميل على كفة البقاء في كنف التوحد، قال «إنني أتعهد قبول نتيجة الإستفتاء وحدة أو إنفصلاً، لا نكوص عن هذا العهد ولا تردد أو تراجع فيه» وكان ينقص أن يقول «أقسم بالله العظيم» أو على نحو «القسم» السوداني التراثي الذي عموماً لا يلقي التنفيذ وهو «عليّ الطلاق». ومن جهة يفتح الباب أمام الطيف المعارض من أجل نوع من المشاركة وفق خريطة يرسمها بطبيعة الحال «الإنقاذ» الذي سيكون بعد إستفتاء «9 يناير» "غيره قبل ذلك أي أقلّ عنفواناً. ويتمثل فتحه الباب أمام الطيف المعارض بقوله: «أدعو القوى والأحزاب السياسية وقادتها لتوحيد قلوبهم وأذهانهم وراء هدف واحد هو تدعيم أسس الأمة وإستقلالها بعيداً عن التدخل الأجنبي».

هذه الهدية البشيرية مثل هدايا «بابا نويل» لمناسبة عيد الميلاد. تبعث البهجة في نفوس الأطفال ثم سرعان ما يستأنف هؤلاء المتاعب. لكن في أي حال عظم الله أجر الرئيس البشير وطاقم «الإنقاذ» من الحواريين الذين لم يقرأوا قبل خمس سنوات نوايا إخوانهم الجنوبيين وبذلك وصلت الحال إلى وقت يقول الأخ ياسر عرمان - وليس الأخ منصور خالد - والإثنان شماليان أباً عن جدّ ما معناه أنه من الممكن عدم حدوث الانفصال، لو أن

عهد «الإنقاذ» وافق على تداول الرئاسة، وهو اقتراح فولكلوري بتوليفة ديمقراطية حضارية في بلد متخلف اجتماعياً متقدّم ديمقراطياً بحيث يكون الرئيس لدورة هو الرئيس (المسلم) عمر النشير أو من يتم إختياره من مرّبع الشورى (نافع نافع، علي طه، مصطفى إسماعيل، قطبي المهدي)، ويكون الرئيس لدورة تالية هو سيلفاكير أو من تراه «الحركة الشعبية لإنفصال السودان»، كما حقيقة مبتغاها وإن هي اعتبرت الانفصال تحريراً كغطاء للنوايا مع ملاحظة أن مفردة «التحرير» ربما تكون فعل انفصال وربما فعل استيلاء. كما أن من الشروط العرمانية بقاء جيش الحركة على حاله، أي أن يكون السودان بجيشين كما حال لبنان حالياً وكما حاله أيام إزدهار الهيمنة الفلسطينية العرفانية على لبنان، ثم كما حاله في بداية الحرب الأهلية (أبريل/ نيسان 1975) حيث بات الجيش جيوشاً إلى أن استقرت الحال طوال سنوات الدور السوري حيث كان الجيش الشقيق ولا أي جيش، وكان الجيش في لبنان حالة عسكرية مكسورة المهابة قيد النمو. وعندما تكون هذه هي بعض الشروط العرمانية بطريقة ياسر العرفاتي عن لبنان، فإنّ ياسر السوداني الذي دفعت به الحركة للترشح رئيساً وإزدرد الرئيس النشير و«إنقاذه» في حينه هذه اللقمة المغمسة بالحصى يكون بقوله مبشراً بإنفصال قريب ويكون القول تأكيداً لبواطن العلاقة الملتبسة وبأن الجنوبيين يتقدمون إنفصالاً، وأن «أهل الإنقاذ» يراوون مكانهم ويحاولون إقناع أنفسهم بروحية قول الشاعر: «وإن الذي بني وبين عمي لمختلف جداً. إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً». عوّض الله لـ «الإنقاذ» المجد الذي ذهب مخطوفاً وكان الله في عون العصفورين الشماليين منصور خالد وياسر عرمان اللذين غرّدا على مدار الساعة في السرب الجنوبي السوداني كما تغريد العماد ميشال عون في السرب الجنوبي اللبناني الذي لم ينل منه حتى إشعار آخر ما ناله السرب الجنوبي السوداني. وتغريد الثلاثة هو من أجل النّيل بالتمني من التحالف ما لا يُنال غالباً في إطار واقع الحال. والعصفوران الشماليان خسرا في ضوء الإنفصال «كُسرة» التراث الشمالي من دون أن يتنعما بغنائم الإنفصال و«التراث الجنوبي» فأصابهما عملياً بعض الذي أصاب الصاغ المصري الثوري الراقص صلاح سالم (رفيق جمال عبد الناصر في ثورة 23

يوليو 1952)، ذلك أن خيار الإنفصال الذي ما كان ليتمّاه كل منهما أفقدهما ذريعة الانتساب إلى الطيف الجنوبي الذي كان يخوض كتسمية غمار «تحرير السودان» ثم إنتهى الأمر عملياً «انفصال الجنوب» وبذلك فإن وجود العصفورين في السرب الجنوبي سيكون فولكلورياً بعض الشيء... إلا إذا إعتبر سيلفاكير أن هذين العصفورين الوارثهما عن الزعيم الجنوبي المغيب جون قرنق هما مثل تشي غيفارا بالنسبة إلى الزعيم المعمّر فيديل كاسترو، أو أن كلاً منهما هو خير من يكون «المفوض السامي الجنوبي» في الخرطوم، لكن ذلك قد يصطدم بمسألة الجنسية وهل يمكن أن يحتفظ كل منهما بالجنسيتين الشمالية والجنوبية وهل في هذه الحال يخضع لقوانين الشمال. وهذه أيضاً أحجية.

الحكاية السودانية وبالذات الفصل «الإنقاذ» منها حكاية طويلة. وكل مشاهدها تثير الدهشة وبالذات المشهد ما قبل الأخير قبل إسدال الستارة حيث أراد «المُخرج الإنقاذي» أن يؤكد أهمية إضفاء الروح الرياضية على قسمة الوطن وإلى درجة إعلان سيد «الإنقاذ» بأنه سيحترم إرادة الأخ الجنوبي الذي لا يتطابق البقاء تحت السقف الواحد فإذا بهذا المُخرج يجسد الحال على أن الذي جرى هو ما ينطبق عليه القول شعراً مع بعض التعديل: وفي السودان «الإنقاذي» ضحك كالبكا.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 15 يناير (كانون الثاني) 2011

عن اللي جرى وقد يجري

الآن وفي ضوء الذي جرى لتونس وما زال يجري فيها وما حدث في السودان وسيجري الكثير فيه وما قد يدق الذي جرى باب اليمن والباب الجزائري والباب السوري والباب المصري، يصح القول إن طول بقاء الحاكم في السلطة ولاية رئاسية بعد أخرى يشكل في بعض جوانبه إحساساً شعبياً بضرورة الانصراف عنه بالحسنى إذا أمكن وبالإكراه على الرحيل إذا عاند المتمترس بالسلطة. زيادة في التوضيح نقول إنه عندما تزايدت حدة الضجر الشعبي من الرئيس (الراحل) جعفر نميري قرر

أن يعتمد تطبيق الشريعة في السودان خشية أن يسبقه أحد من الذين يسيل لعابهم لإمتلاك السلطة. ولكي لا يترك المجال أمام الناس للإفتراض بأن كلامه عن الشريعة هو وثقة لا أكثر، أي كلام للدردشة في مجلس وليس لتعديل دستوري صاق، فإنه أصدر من الأحكام على فقراء وسكارى وزناة، تسبب التنفيذ لبعضها بحالات من الهلع في أوساط المجتمع. كما أن مهرجان تحطيم ألوف زجاجات الخمر على ضفة «المقرن» حيث ملتقى النيلين جاء خطوة فولكلورية قوبلت بالاعتب على الرئيس من أصدقائه الجنوبيين المتسالم معهم الذين كانوا يتمنون لو خصهم بهذه الزجاجات بدل تحطيمها تغنيهم عن شراب «الماريسا» الذي يتهته أدمغتهم ويزيدهم ضياعاً.

بعد حوالي ربع قرن من هذا الذي فعله المشير نميري يأتي نظيره في الجنرالالية الفريق أول عمر حسن البشير ليقول في لحظة إتساع حدة الضجر الشعبي من طول بقاء «ثورة الإنقاذ»، متفردة لا تستضيف من يعارض ولا من يطلب شراكة، ما معناه إنه في حال انفصل الجنوب فإنه سيعلم السودان المنزوع جنوبه دولة إسلامية القوانين. وكانت حيثية «الإنقاذ» عند فوزها بالسلطة التي انتزعها من صيغة حكم متدين ويحترم بعض الشيء الأصول الديمقراطية أن مشكلة السودان هي في إبتعاد حكام تعاقبوا عليه عن الدين والشريعة. كما كانت حيثية «صدامها» الرئيس البشير و«ميشال علقها» الشيخ حسن الترابي هو التطبيق الحرفي للقوانين الإسلامية التي لم يُحسن المبادر الأول لها نميري تطبيقها.

من الصعب تفسير ذلك التوجه الذي لم يجرؤ ورثة الحقبة النميرية، من المرور العابر للجنرال سوار الذهب إلى الصادق المهدي الإمام حفيد الإمام عبد الرحمن لا على إلغاء القوانين ولا على التطبيق الحرفي لها، وهذا من أجل أن لا ينفصل الجنوب ذات يوم. كما من المستغرب قول الرئيس البشير إنه إذا إختار الجنوبيون الانفصال فإنه سيحترم خيارهم وأنه سيساعد الجنوب، ربما لإقتناع من جانبه بأن الأمر لن يعدو كونه حالة غير مستقرة وأن الجنوب في هذه الحال مهاجر أو مغترب حاله من حال ملايين السودانيين المهاجرين إلى ديار الله الواسعة في الخليج شرعاً أو تهريباً عبر الحدود السورية - اللبنانية طلباً للعمل والعيش الكريم بما يتيسر.

وهذا الذي سمعناه من الرئيس البشير وحواريه وبالذات أولئك الذين يرون في السودان منزوع جنوبه فرصة شبه

مضمونة لهم لكي يصمدوا في مواقعهم حول الرئيس الذي تتجدد ولايته الرئاسية أو يرثوا منه السلطة، ومن أجل ذلك نلاحظ أنهم في الشمال باتوا يتحدثون عن دستور جديد يتضمن القوانين الإسلامية، يجعلنا نتأمل في سيناريو قد يكون بدأ «الإنقاذيون» رسم خطوطه العريضة والبدائل اللاحقة في مرحلة ما بعد 9 يناير/ كانون الثاني 2011. وتلك من البدائل إلى جانب الإحتمال الوارد بإنبعث نزع التوحّد المصري - السوداني العvisية على التنفيذ في حال كان «الإنقاذيون» سيعتمدون تطبيق القوانين الإسلامية بينما مصر الرئيس مبارك لا تتحمل التوجه الإخواني الذي يرى «أن الإسلام هو الحل». ودليلنا على ذلك ما حدث في الإنتخابات البرلمانية الأخيرة في ديسمبر/ كانون الأول 2010 حيث حدث بروز «إقطاع حزبي» يتمثل بإستئثار «الحزب الوطني» الحاكم بـ 99,99 في المئة من مقاعد البرلمان، أو إنه ليس «قطاعاً حزبياً» وإنما إرادة شعبية والأمر ليس كذلك، علماً بأن الذي حدث كان عملية تأمين حزبية من جانب الحزب الحاكم لسائر الأحزاب مع مراعاة لها طابع الرأفة بالتوجه الديمقراطي. وما دام هذا التوحد نتيجة الواقع الذي نشير إليه على درجة من العسر فإن قدرة الحكم المصري وبالتتسيق مع الحكم الليبي وكلاهما لا يحذان قيام السودان منزوع الجنوب بقوانين إسلامية تصبح ممكنة لتغيير أخوي في السودان يتولى أمر القيام به بعض الضباط الودحيين وهم كثر على رغم التهميش «الإنقاذي» لهذا التوجه العربي داخل المؤسسة العسكرية. وحتى إذا كانت مصر مبارك وليبيا القذافي لن تفعل ذلك فإن «العم سام» جاهز وبتشجيع الأوروبيين لهذا التغيير، كي لا تصبح حال السودان المنزوع الجنوب مثل حال اليمن الشمالي الذي إستعاد جنوبه بقوة السلاح. ولأن الإستعادة كانت على هذا النحو فإن جنوبي اليمن يحاولون التمثل بجنوبي السودان «المحظوظين» بالدعم الأمريكي - الأوروبي لهم خصوصاً بعدما بدأ يلوح في الأفق إحتمال نشوء «الإمامة الجمهورية» كما الحال في تونس أو «الرئاسة البابوية» متمثلة بالرئاسة الدائمة للرئيس علي عبدالله صالح عوض تضيق الوقت في التمديد ولاية بعد ولاية. وهذا الإحتمال بات ممكناً (من أجل أحمد) للرئيس (أبو أحمد)، الذي يحكم منذ 33 سنة بعد التعديل الذي وافقت عليه في اليوم الأول من يناير 2011 (يوم الأحد) الكتلة البرلمانية التابعة للحزب الحاكم (حزب المؤتمر الشعبي) المستنسخ من «الحزب الوطني» في مصر روحاً

وسلوياً وتطلعاً لجهة التمديد والتوريث. ويقضي التعديل الذي وافقت عليه الكتلة ذات المئة وسبعين نائباً بخفض مدة ولاية الرئيس من سبع إلى خمس سنوات... إنما (وهنا) يجوز القول إن فن المقايضة يمانى كما الحكمة يمانى) عدم تحديد عدد الولايات بإثنين. وما هو أكثر غرابية من التعديل هي الحثيات وخلصتها «إن المدة المحددة القائمة حالياً تُعتبر طويلة قياساً بما هو سائد في معظم البلدان الديمقراطية، كما أن التعديل يحقق فرصة أوسع لتداول السلطة سلمياً. أما تحديد دورات لتداول رئاسة الجمهورية في بلد نام فإنه يُعتبر قفراً على الواقع». وأما الحذاقة في المقايضة فإنها من خلال اعتماد نظام الغرفتين في البرلمان (مجلس شورى ومجلس نواب وتحديد حصة للمرأة من 44 مقعداً مع زيادة عدد النواب من 301 إلى 345) (الإقتباس عن مصر إلى حد ما). هنا لا بد من الإشارة إلى أن الرئيس عبدالله صالح كان قبل ولايته الرئاسية الحالية (التي بدأت يوم 27-9-2006) أعلن أنه لن يرشح نفسه ثم ترشح تحت ضغط حزبه وهو ضغط مستحب كما بدا من جانبه ولا راداً له.

هذا الكلام يوصلنا إلى افتراض آخر في «السيناريو الإنقاذي» وهو أن التسليم بالإنفصال لن يكون إلى ما لا نهاية وأن الرئيس البشير سيفعل ما سبق أن فعله الرئيس علي عبد الله صالح الذي يمّن النفس كما الرئيس مبارك والرئيس القذافي والرئيس زين العابدين بن علي برئاسة مدى الحياة، أي على نحو ما يحدث مع بابا الفاتيكان. والذي فعله الرئيس علي عبدالله صالح (ابن التاسعة والستين المترئس منذ 17-7-1978 بإنقلابه على أحمد الغشمي ثم جامع اليمن الجنوبي مع الشمالي بعد ضربة موجعة للنظام الماركسي في عدن يوم 22-5-1990) هو أنه ضم الجنوب بقوة السلاح ومن دون أن يشغل باله بإستقتات وإستطلاعات رأي. وها هي النتيجة أمامنا: يمن يهتز بفعل زلازل جنوبيين وحوثيين وشيوخ قبائل مهمشين وكلهم عيونهم شاخصة نحو الذي يتواصل حدوثه في العراق ويمكن حدوثه في لبنان وبدأت نُذر حدوثه في تونس تتكون.

مرة أخرى نتساءل: هل إن «الإنقاذ» برئيسه والجمع الملتف حوله وبينهم من يضمم الثقافاً عليه سيرى أن ثلاث سنوات من دون جنوب يمكن أن تكون استراحة محارب وفرصة لإلتقاط الأنفاس يهتم خلالها بإصلاح الحال في الغرب كي لا يحذو الدارفوريون حذو الجنوبيين

وبحيث تصبح دارفور جبهة إقلاق للجنوب المنفصل بدل أن يستعملها هذا الأخير شوكة تدمي «الخاصرة الإنقاذية». وبعد السنوات الثلاث هذه ينقض على الجنوب كإنقضاض صدام حسين على الكويت التي صَنَّفها «المحافظة التاسعة عشرة» فإنتهى انقضاضه إلى أن المثلثة تكرست في العراق بعد انقضاض البوشية أياً ثم ابناً عليه وتحويل «بعثه» إلى انقضاض، لا وحدة ولا حرية ولا اشتراكية، أو يُنشط صولات وجولات حرب بين «الدينكا» الجنوبية و«المسيرية» العربية كبرى قبائل السودان، تكون مثل حرب «داحس والغبراء».

وهذه الاحتمالات واردة على أساس أن الجنوب هو توأم إسكندرون اللواء السوري السليب والجولان المحتل وأنهما ترابان من الواجب استعادتهما عندما تتيح الظروف والإمكانات ذلك.. وإن طال الانتظار.

خلاصة القول إن هذا الذي جرى في تونس متلازماً مع الذي جرى في السودان ويحدث في شكل آخر في اليمن ونخشى أن يحدث في الأردن وسورية ومصر ثم في ليبيا وغيرها، سببه في بعض مقتضيات حدوثه هو إلى جانب الأحوال المعيشية الصعبة وسيادة الأمن على القانون وتسيّد مجتمع العائلة وروافدها على سائر بني الوطن، تزايد حدة الضجر الشعبي من عدم تنوع الذي يحكمون خارج صيغة التمديد لمترين فقط للرئيس لخصها سياسي يمّني خير تلخيص بقوله إن ذلك هو «نزع عدّاد الرئاسة كما نزع عدّاد السيارة». وقصده أن السيارة هنا هي البلد وأن السائق هو الرئيس وأن الركاب هم الرأي العام لا يجادل الواحد منهم في كم سيدفع بذريعة أن العدّاد معطل. يا لهذه الشطارة للتوانسة الذين خرجوا على ما هو سائد وأنجزوا أعجوبة التغيير بما قدّره الله عليه.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 25 يناير (كانون الثاني) 2011

زيجات اللغز اللبناني من الخلع إلى المساكنة إلى المتعة

على رغم أن الفضائيات العربية عموماً وبالذات الفضائيات اللبنانية لا تقصّر في بث الحوارات السياسية

الهادئ منها والهادر حول اللغز اللبناني وكيف أن الوضع السياسي في هذا البلد الصغير يستهلك النسبة الكبرى من ساعات البث للحوارات، فإننا نفاجأ بأصدقاء خليجيين يتصلون بين الحين والآخر طالبين تفسيراً لهذا اللغز الذي حارت البرية فيه لجهة أنه الأصغر حجماً الأكثر تنوعاً المضطرب دائماً وشاغل بال الأشقاء العرب عموماً والأصدقاء الدوليين في بعض مواسم التدخلات والصراعات.. هذا إلى أنه المطموح به لكي يكون رأس حربة تقيّد البعض العربي والإقليمي في المساومة. والذي يستوقف الأصدقاء السائلين هو هذه العلاقات المستهجنة بين أطراف، والخصومات التي تستجد بين ليلة وضحاها بحيث إن صديق الأمس يصبح خصم اليوم وبالعكس. كما يستوقف الأصدقاء في اللغز اللبناني هذه البجحة في حرية التعبير إلى درجة أن المرء يحترق أحياناً وهو يصغي إلى بعض التصريحات والعبارات من جانب أطراف سياسية وحزبية هل إنه يسير في شارع لا رادع فيه لمن يتحدث تأدباً أو شتماً، أو أنه أمام شاشة فضائية من تلك الفضائيات غير المستقلة عموماً ومع ذلك فإنها تلتزم بالحد الأدنى من التأدب الكلامي، فلا تصل الحال بها إلى ما وصلت إليه فضائيتان تبثان برنامجاً مشابهاً مادته الأساسية النكات الرذيلة ومن دون أن يتهيب النكّاتون والنكّاتات والطاغم الذي يقدم البرنامج أن عشرات الفتية والفتيات ممن هم دون العشرين من العمر هم الديكور البشري للبرنامج وما على هؤلاء سوى التصفيق والتلهيل.

يا لهذه «التربية الفضائية» التي يستغرب المرء ارتضاء «الإصلاحي - التغيير» الجنرال ميشال عون الترويج لها من محطته الفضائية وكذلك ارتضاء ميشال المر (النجم الإعلامي نجل غبريال وليس النجم الوزاري إلياس ابن السياسي العريق ميشال) الترويج لها من محطته العائدة قبل أشهر إلى النشاط بعد طول احتجاب.

وشخصياً لم أستغرب حيرة أصدقائنا العرب عموماً وبالذات الطيف الخليجي منهم، من اللغز السياسي اللبناني الذي أشير إليه. وذلك في ضوء الحديث الأبرز وهو إسقاط حكومة سعد الدين الحريري وتكليف النائب الحالي رئيس الوزراء الأسبق رجل الأعمال نجيب ميقاتي تشكيل حكومة جديدة، أو بالأحرى إسقاط حكومة الحريري لتكليف ميقاتي.

وكما أن الإسقاط كان لا مفر منه ما دام حدث نوع من التخلي السعودي عن التعاطي في شأن الأزمة اللبنانية بينما لا عقلاء يتقهمون، فإن الإستبدال - وبالذات اختيار نجيب ميقاتي وليس كما كان واداً ترشيح الرئيس الأسبق عمر كرامي - كان لا مفر منه ما دام ذلك يرضي الرئيس بشّار ويحقق لـ «حزب الله» والجنرال ميشال عون النصر كل من خطة مدروسة. فالسيد حسن نصرالله يرفع بإسقاط حكومة الحريري معنويات جمهور الطائفة الشيعية المتعاطف مع الحزب بحيث لا تعود هنالك أصوات هامة داخل هذا الجمهور تقول ما معناه: لماذا لا نعيد النظر في اتجاه التفاهم ما دمنا لم نتمكن من إلغاء المحكمة بقرار من الحكومة. ثم يأتي الإسقاط بمثابة إجابة عن الهمس بأننا لم نلغ المحكمة إنما أسقطنا «حكومة المحكمة» وتلك خطوة على الطريق يمكن اتباعها بخطوة أكثر أهمية من خلال الحكومة الجديدة التي نحن اخترنا رئيسها، أي نجيب ميقاتي، الذي لا بد سياًخذ في الاعتبار دوافع الإختيار والمطالب التي تبدأ من القمة نزولاً، أي من تنفيذ ما لم تتفّده الحكومة الحزبية. وأما مطالب ما دون القمة نزولاً فإنها سلاح المقاومة الذي لن يمس والمثالثة التي يرى صاحب القرار الشيعي في الزمن الحالي أنه لا بد من مباشرة الحديث رسمياً فيها بأمل الأخذ بها على أساس أنها إذا كانت لن تحدث في ظل ورقة السلاح فإنها ربما لا تحدث بعد ذلك.

وهنا ربما يجترح أبو الابتكارات، الرئيس نبيه بري، فكرة أن تكون هنالك مقايضة السلاح بالمثالثة. وفي هذه المقايضة لا يعود هنالك مقاومة. وبالتالي لا يعود هنالك موجب للقلق.

هذا لجهة غرض «حزب الله» من اختيار ميقاتي وتزكية «حركة أمل» المعقود لواء الزعامة الأوحدية فيها للرئيس بري. أما غرض الجنرال عون فإنه بالإلتفاف حول نجيب ميقاتي والحماسة الملحوظة لترشيحه، فعلى أساس أنه في ظل الحكومة الجديدة يمنح لنفسه شرعية للحملة الشخصية البالغة الضراوة على العهد الحريري ابناً بعد أب.

زيادة في محاولتنا الإجابة عن تساؤلات بعض إخواننا الخليجيين حول اللغز اللبناني العجيب وكيف أن رئيساً للحكومة تقف إلى جانبه الدول الكبرى والدول العربية الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالدول الكبرى يتم

إسقاطه بهذه السهولة؟ وكيف يمكن تشخيص التحالفات السياسية في لبنان التي هي جزء من اللغز؟ إننا زيادة في محاولتنا الإجابة نقول إن سعد الدين رفيق الحريري الذي قضى إقالة وليس إستقالة طوعية بمقتضى ملعوب إنما استهجن فُعل الذين استقالوه ربما لطيبة قلب هذا الرئيس، وربما لأنه ما زال في سنة أولى سياسة ورئاسة يقارع بمجموعة مستشارين سنة أولى مشورة، أقطاباً خاضوا غمار اللعبة السياسية على مدى عقود فباتوا يمارسونها أحياناً كلاعبين وعند الإضطراب كمتلاعبين ومن دون أن يرفف لهذا اللاعب جفن أو تحمّر وجنة ذلك المتلاعب. ففي النهاية لا فضيلة في نظرهم تتقدم على الفهولة والحدافة ونضوب المكامن، علماً بأن في قاموس السياسة ما هو أكثر نقاء من «الغاية تبرر الوسيلة» أي هنالك الإستدارة بنسبة 180 درجة.

ونخلص إلى بعض التشبيهات التي تعطي فكرة عن التحالفات السياسية في لبنان معتمدين في ذلك مقارنة التحالفات وما إنتهت إليه حيث أسقطت الحكومة الحزبية مزرجة بخبيات الأمل والصدمات، بحالات الزواج.

وفي هذا الصدد نرى أن الذي جرى بين وليد جنبلاط وسعد الدين الحريري كان حالة خلع و«مسيار» في الوقت نفسه من الجانب الجنبلاطي للطيف الحريري، وأن الذي جرى من جانب نجيب ميقاتي وشريكه محمد الصفدي مع سعد الدين الحريري كان بمثابة إنهاء للمساكنة. أما الذي هو قائم بين سعد الدين الحريري والطيف المسيحي الصامد إلى جانبه «سمير جعجع - أمين الجميل - آخرون» فإنه زواج كاثوليكي يقابله زواج المتعة الصامد إلى حين بين «حزب الله» والجنرال ميشال عون. والمتعة هنا بالنسبة إلى الحزب أن ذراعه المارونية كفيلة بتخفيف حدة الإنطباع الذي يروج له الطيف الماروني الآخر وهو أن «حزب الله» هدفه وضع اليد على لبنان وأنه قادر على ذلك بالشأن العسكري الذي يملكه إضافة إلى الشأن السياسي المستجد الذي جرّبه بتنصيب من يراه مناسباً رئيساً لـ «سراي البيارتة»، التي هي حصة السنة في لبنان. أما المتعة بالنسبة إلى الجنرال عون فهي أن تكتمل الحلقات المتبقية من السيناريو في حال ثبات الحلقة الأولى المتمثلة بإسقاط سعد الدين الحريري لترئيس نجيب ميقاتي، فتجرى انتخابات نيابية قبل إنتهاء ولاية البرلمان الحالي وتأتي

نتائجها، ما دامت الحكومة ميقاتية، بالأكثرية التي في إستطاعتها، وضمن متفرعات السيناريو إياه، إختصار ولاية الرئيس الحالي ميشال سليمان وإنتخاب الجنرال عون رئيساً للجمهورية. وهذا مبتغاه أصلاً من التحالف مع الحزب الذي هو أيضاً ليس غائب النظر عن ذلك. وإذا كان ذلك لن يحصل فإن زواج المتعة تؤم الزواج العرفي ينتهي وينفرد عقد شهود هذا الزواج توائم «شهود الزور».

.. وعساني ولعلني أيها الأصدقاء الخليجيين الحائرين في تفسير اللغز اللبناني والتحالفات الغريبة المثيرة المريبة شأنها شأن التدخلات، أوضحت بما يفى بالإجابة غير العسيرة على الإستيعاب.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 1 فبراير (شباط) 2011

* * *

«المهمشون في مصر»

و«الفورة الشبابية»

قبل «الفورة الشبابية» في مصر حسني مبارك يوم 25 يناير (كانون الثاني) 2011 والمتواصلة حتى إشعار آخر، كان بسطاء الناس الذين لم ينعموا بخيرات إنفتاح مصر أنور السادات ويشكلون الأكثرية في الـ 80 مليون نسمة، يعتمدون القول الشعاري: «ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل». وكانوا، على الرغم من الشكوى الصامتة، صابرين حامدين شاكرين يحدهم الأمل بأن الأمور لا بد ستتحسن، عملاً بالقول الشعاري أيضاً: «يغير الله الحال السيئة إلى الحال الحسنة.. فالأحسن».

ولولا هذه القدرية لدى الأكثرية المصرية لكان في استطاعة فورة يقوم بها المهمشون، أو الذين لخص عميد الأدب العربي طه حسين حالهم - بالعين البصيرة بديلة للعين الضريرة - بالقول إنهم المعذبون في الأرض، أن تقتحم الأبراج التي بدأت تلعو على ضفتي النيل الذي تهدد منسوبه نزعة استهائية مفاجئة من بعض الدول الأفريقية لبناء سدود تؤثر سلباً على الحصة المصرية، كما تلوثه من جانب المصريين أنواع من الملوثات تضيف إلى البلهارسيا أوبئة لا علاج لها. لكن هؤلاء

المهمشين الذين يعيشون في مناطق أقل سوءاً بكثير من تلك «المستوطنات» الفلسطينية في لبنان والأردن وغزة وغيرها وتسمى تأدياً مخيمات لم يثروا واكتفوا بالتعبير عن مر الشكوى من هذا العيش الذليل ينقله عنهم برنامج لاقت يقدمه الإعلامي عمرو الليثي أسبوعياً من فضائية «دريم».

ولو أن الطبقة الأكثر اكتنازا من رجال الأعمال تفاعلوا مع حالة هؤلاء المهمشين على نحو ما يعرضه البرنامج المشار إليه بالصوت والصورة لكانوا استوعبوا ما معنى خوف الأجيال الشبابية من مستقبل قائم يجعل أكثرية شعب مصر على درجات متفاوتة من التهميش. ولقد كنت، كإعلامي مخضرم يتابع - وفق متطلبات العمل الصحافي منذ منتصف الستينات - الأحوال المصرية سياسياً ومجتمعياً، أستغرب كيف أن الذين يعيشون بجوار قبور الموتى لا ينتفضون، ربما لأنهم يتفهمون ظروف البلد المتنقل من حرب إلى حرب ولأن الإشتراكية سائرة أوجاع الناس نتيجة أن الفوارق الاجتماعية ليست حادة؛ كون ميسوري الحال يتصرفون بتعقل، إلى أن وصل الحال إلى زمن اكتشفنا فيه أن المسألة أخطر بكثير وأن الخافي هو الأعظم وأن زنار الفقر الذي يطوق مهرجات الإنفتاح قد يعصف ذات يوم وبحيث لا يقتصر الأمر على «فورة شبابية» كالتى حدثت وإنما يحدث إحصار اجتماعي يقوض كل شيء. وعندما نرى أنه على مسافة دقائق من قلب العاصمة المصرية هنالك عائلات تعيش طوال السنة داخل قارب لصيد السمك النهري وينام أفراد العائلة الذين هم بين خمسة وعشرة في هذا القارب ويلتحفون جميعاً ببطانية، بينما هنالك مهرجات يزدادون اكتنازا ومن دون التبصر بما يمكن أن يحدث، لا نعود نستغرب دوافع الشباب إلى فورة ذات طابع اجتماعي في جوهرها وناشئة عن الخوف من أن يتحكم «إقطاع الإنفتاح» بعد حين بالملايين الذين يغادرون بالتدرج موقعهم كطبقة متوسطة في طريقهم إلى مواقع التهميش.

تلك هي حقيقة «الفورة الشبابية» التي غلفت بمطالب ذات طابع سياسي. وحتى لو لم يحدث استئثار واحتكار، بمعنى وضع اليد على الحياة البرلمانية وتأجيل متعمد لتعيين نائب لرئيس الجمهورية وعدم وضوح في مسألة التجديد ولاية سادسة لرئيس الجمهورية يتم خلالها التوريث ما دام البرلمان برلمان الرئيس ومجلس الشورى

مجلسه والدستور مفصلاً على قياسه، فإن «الفورة» كانت لا بد أن تحدث ويقوم بها الجيل الشاب خشية من المستقبل الذي يتقدم فيه التهميش على الحد الأدنى من العيش المأمون المضمون.

إن كلاماً كثيراً يمكن قوله في هذه «الفورة الشبابية» التي رسمت في المشهد التغييري في العالم العربي حقيقة جديدة، هي أن «البلاغ رقم واحد» المدني وبالذات الشبابي والعفوي هو أصدق أنباء من «البلاغ رقم واحد» العسكري بل وحتى من سائر البلاغات وأكثرها فاعلية. فمن كان يتصور دبابات الجيش تحرس، بل وتسهو على طمأنينة وراحة الجمهور الشبابي الذي إفتقد الثقة بحكامه فخرج عليهم شاهراً «فيسبوكه» الذي يداوي من غير أن يجرح.

وأضيف إلى ما ذكرنا أعلاه تأملات خمسة، الأول: هو أن الذي صان مكانة الرئيس مبارك هو الشرعية التي على جناحها حكم مصر ثلاثة عقود.

الثاني: هو أن الأبناء أصحاب «الفورة الشبابية» كانوا في حالة تقاطع مع الآباء؛ ذلك أن الأبناء ولدوا وعاشوا في ظل حالة مضطربة اجتماعياً، لكن الآباء عاشوا محنة حالة مضطربة وطنياً ناشئة عن هزيمة 5 يونيو (حزيران) 1967؛ لذا فإنهم يذكرون بالخير أن رئيسهم حسني مبارك منذ عام 1981 كان يوم السادس من أكتوبر (تشرين الأول) 1973 أحد نجوم النصر العسكري الذي قلص صدمة الهزيمة. ومثل رجل كهذا يستحق وقفة التقاف حوله من جانب الآباء بدلاً من وقفة الإلتفاف عليه من جانب الأبناء المنتسبين إلى جيل العولمة ومن أدواتها الـ «فيسبوك» الذي ملأ فراغات عربية على نحو ملء البطون بـ «الهمبرغر» المسرطن. والتأمل الثالث هو أن الأمر مقبول كحالة إحتجاج، لكن في الوقت نفسه أن وراء الحالة ما وراءها. وعندما ينطق آية الله خامنئي لغة عربية، وهو أمر غير مألوف من جانبه، ويدعو من على منبر صلاة الجمعة (4 فبراير/شباط 2011)، في خطبة هي الأولى منذ بضعة أشهر، جيش مصر الذي حمى «الفورة الشبابية» إلى «الالتحاق بالشعب إن شاء الله». ويضيف: «إن الوضع الراهن يتطلب من الأزهر أن يتخذ موقفاً بارزاً مما يجري في مصر».. واتهم الرئيس المصري بمعاداة الحرية والعمالة وقال بأن «أول بوابة ستعلق بوجهه هي الولايات المتحدة» في حال رحيله.. إنه عندما ينطق لسان

الضروري تعديله، سلوكاً ودستوراً ونهجاً، أو واصل ما تبقى من أشهر الولاية، فإن مصر العربية ستبقى في الحفظ والصون محروسة على ما خصها الله، سبحانه وتعالى، بتبريك لها. وأما الذي أصابها فإن الذي ينطبق عليه هو القول الشاعرى حول النصال التي تتكسر على النصال بدءاً من «ثورة 1919»، مروراً بـ «ثورة 23 يوليو 1952»، ووصولاً إلى «الفورة الشبابة 2011».

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 9 فبراير (شباط) 2011

* * *

الإعتراض المحترم والإستفتاء المأمول

من حق الجيل الشاب في مصر أن يتباهى أمام العالم بأنه كان النموذج الواعي للإعتراض وأن صوته كان الصوت المسموع لأنه لا يتجنى وهو يطالب بالتغيير وإنما يستند في مطالبته إلى وقائع وحقائق.

لم يستوطن شبان وشابات مصر ميدان عاصمتهم بهدف إلحاق الأذى بالغير على نحو ما حدث زمن الإستيطان في ساحة الوسط التجاري في بيروت. وعندما غادروا فإنهم تولوا تنظيف المكان كنساً وشطفاً ومن دون أن يتعفف هذا الشاب أو تلك الشابة عن القيام بذلك، في حين لم يفعل ذلك الذين شاركوا في الإستيطان البيروتي.

ولم يترك الشبان والشابات مجالاً للأحزاب والتيارات لكي تخطف منهم موقفاً إتخذوه ويتسم بالمنطق. كما أنهم حصروا المطالب بأهداف واقعية ومن دون أن يحرقوا أعلام دول أو صور حكام أو حتى إطلاق هتافات غير ذات مردود وعلى نحو ما حدث في بيروت.

كانوا في غاية الرقي في ما فعلوا وكانوا مجردين من أدوات العنف وكأنما هم بذلك يستحضرون أمثولات الإحتجاج السلمي الأبيض الذي مارسه المهاتما غاندي في الزمن الغابر فاستحق ذكره دائماً بالخير. كما أنهم لم يحرقوا الدواليب ولم يلقبوا مستوعبات الزبالة ولم يرهبوا الغير فاستحقوا إحترام المجتمع الدولي إلى جانب إحترام إخوانهم أفراد الجيش وحرصهم على تأمين السلامة لهم. هذا الأمر لم يحظ به الذين نصبوا خيامهم بضعة أشهر

خامنئي بالعربية هذا الكلام وغيره من النوعية نفسها ويسبقه في الكلام وزير الخارجية النجادي (صالحي) صاحب الدعوة إلى «شرق أوسط إسلامي» فهذا يعني بداية مواجهة جديدة مع العروبة والعالم العربي، يشارك فيها لغرض آخر وبأسلوب مختلف رجب طيب أردوغان الذي يتطلع إلى هيمنة تركية على العالم العربي المتوَعك، وإلا فما معنى الإكتثار من النصائح الأردنية لمبارك بالانصراف؟

والتأمل الرابع الذي هو امتداد للتأمل السابق هو أن الولايات المتحدة ربما تخطط، بالتناغم مع الإتحاد الأوروبي، لاستيلاء زعامة أصولية سنية تواجه بها الأصولية الشيعية التي تقودها إيران. وهي لهذا الغرض ترى أن تستبدل بحسني مبارك العروبي رئيساً إخوانياً يتشارك مع الرئيس التركي الآتي قريباً (أي أردوغان بعد الرئيس الحالي غل)، وإلا فما معنى الضغوط على مبارك من أجل أن ينصرف؟

التأمل الخامس هو نقيض ما سبقه، وهو أن إدارة الرئيس أوباما، بالتنسيق مع حكومات الإتحاد الأوروبي، تصب الزيت على النار المصرية بهدف الضغط على إسرائيل للقبول بتسوية دائمة تقوم بموجبها الدولة الفلسطينية؛ لأن عودة مصر في النظام الآتي بفعل التغيير، عن معاهدة كامب ديفيد، تعني جمع العرب من أجل مواجهة حاسمة ضد إسرائيل. وحتى إذا كان الأمر ليس هو الحاصل فإن الأخذ به يشكل فرصة للمجتمع الدولي من أجل وضع نهاية لأعقد مشكلة.

خلاصة القول: إن الدوافع النفسية لـ «الفورة الشبابة» هي الخوف من أن يصبح التهميش الذي دام 30 سنة هو الأمر الواقع في مصر إجتماعياً وسياسياً، أي بما معناه يبقى النظام على إستثنائه ورفضه مبدأ الحوار مع الآخرين وأيضاً على تجاهله بضعة ملايين من أبناء الشعب مهمشين ويتكاثرون يوماً بعد يوم، بينما هنالك حصانة من الدولة لطبقة مهرجات كانوا في بداية الإنفتاح الساداتي معروفين بـ «القطط السمان» ثم ها هم حيتان وأسماك قرش لا ترحم، كما يبقى التهميش لبقية الأحزاب والتيارات على ما هو عليه تحقيقاً لهيمنة الحزب الواحد الحاكم.

خلاصة القول أيضاً: إنه حتى إذا إنصرف مبارك نتيجة الإقتناع بعد التشقق الذي يحدث في «الفورة الشبابة» بفعل الحوار السليمانى المتقطع لتعديل ما من

في «ميدان التحرير البيروتى».. ساحة رياض الصلح.
ما أراده هذا الجيل الشاب في مصر تحققت الخطوة
الأولى منه وهي أن الباب لبداية عهد جديد فتح على
مصريه.

وما أراده هذا الجيل الشاب في مصر كان رسالة
واضحة المعاني مفادها أن التغيير ممكن بغير السلاح
بدليل أن جهازاً علمياً لا يتجاوز ثمنه وجبة طعام لمدة
أسبوع في استطاعته هز مداميك أي نظام لا يتقهم
مصالح الناس ومطالبهم. كما أن التغيير ممكن في حال
كان الجيل المطالب بالتغيير مزوداً بأخلاقيات عالية
وإيمان بالوطن، وهذا لمسنه بالنسبة إلى شبان وشابات
مصر الذين لم يهتفوا سوى من أجل مصر ولم يمجّدوا
(كما حدث في لبنان) حاكماً خارج مصر وهم يطالبون
بتحى من يحكم مصر. كما أن هؤلاء لم يرفعوا صور
حكام غريباء عن بلدهم (كما فعل لبنانيون). وتحت
شعار «نحن نحب مصر» تحركوا ثم رابطوا ثم صمدوا
ثم قطعوا ثم انصرفوا بعد ما نظفوا وبذلك حق عليهم
القول: كانوا قدوة في السلوك وكانوا برة في حق الوطن.
يا ليت حدث ذلك في لبنان.

وما فعله هؤلاء نتمنى أن يفعله الذين ينشدون
الإعتراض والتغيير في كل دولة عربية، فلا نزول من
أجل الإعتراض بشباب الميدان على نحو التعبير
المألوف، أو حتى بالثياب السوداء المفزعة. ولا نزول
من أجل الترويع وإنما من أجل إطلاق عبارة «اللهم إني
قد بلغت.. اللهم فاشهد». وعندما يتم الإطلاق على هذا
النحو، فإن خاصية الاحترام فيه لها فعل قوة الصخر،
فضلاً عن قوة السلاح.

تبقى أمنية مستوحاة من الفوز المبين للإعتراض
الشبابي المصري تمنناها على المؤسسة العسكرية
المصرية الشجاعة التي بدافع الولاء لمصر فقط لا تنقسم
عند حدوث الأزمات كما هي المخاوف في لبنان إزاء
مؤسسة الجيش في زمن الصراع الطائفي، وأما إذا كان
لا بد من تفضيل جانب على آخر، فإنه يكون لما
يصون الوطن. وهذا كان سلوك المؤسسة العسكرية
المصرية طوال المحنة التي عاشتها المحروسة.

والأمنية التي نشير إليها هي النظر في أمر معاهدة
«كامب ديفيد» ليس بغرض إلغائها لمجرد الإلغاء
الإستعراضي للمزايدة، ولا أيضاً من أجل العودة إلى
الحرب، وإنما إستعمال ورقة هذه المعاهدة لدعم مبادرة

السلام العربية التي كانت خلاصة أفكار للملك
عبدالله بن عبد العزيز الذي ندعو له بالعودة والسلامة
من فترة النفاهة وإستكمال العلاج الطبيعى في المغرب
بعد العملية الجراحية التي أجريت له في نيويورك. ومن
حق مصر الحديثة - إن هي تريد الإستناد إلى حيثية
قانونية في هذا الشأن - القول ما معناه إن المعاهدة
أبرمت على يدي رئيس جرى إغتياله (أي الرئيس أنور
السادات) وبقيت ثلاثين سنة في عهد رئيس وريث (أي
الرئيس حسني مبارك) الذي كان عهده إمتداداً لعهد
سلفه. أما وقد انتهى هذا العهد بكل مؤسساته ليبدأ عهد
جديد، فإن المعاهدة تصبح موضع إلغاء في الحد
الأقصى وإعادة نظر في الحد الأدنى. وإعادة النظر
ضرورية، كون الجزء الأكبر من متاعب مصر
الإقتصادية والإجتماعية - فضلاً عن القلق الوطنى
والاستهانة بمصر من كل صوب - كانت في ظل هذه
المعاهدة أو بسببها، لأن إسرائيل بدل أن تستكين وتجنح
إلى السلام، وبذلك تستقر المنطقة وتزدهر الأعمال،
إزدادت شراسة وعدواناً، واضعة الدولة الأهم والأكبر -
أو فنقل الدولة الأم مصر - في وضع المكبل اليدين،
لا قدرة لها على ردع العدوان ولا حق لها بالمساندة
العملية العسكرية، إلتزاماً بتلك المعاهدة وبجزأياها المعلن
والسري.

إننا ننقهم قول المتحدث بإسم «المجلس الأعلى
للقوات المسلحة» في البيان رقم 4 الذي أذيع السبت
الماضى 12 فبراير (شباط) 2011، وتنص الفقرة
الخامسة منه على «إلتزام جمهورية مصر العربية بكافة
الإلتزامات والمعاهدات الإقليمية والدولية». وهذا التزم
طبيعى لأن عهد التغيير لم يبدأ رسمياً بعد ولن يتم ذلك
إلا بعد إجراء إنتخابات برلمانية ثم رئاسية. لكن الذي
نقصده هو أن يتم مع بداية العهد الجديد الدعوة إلى
استفتاء على معاهدة «كامب ديفيد»: تبقى كما هي؟
تلغى جملة وتقصيلاً؟ تعدل؟ يرتبط بقاؤها بإعلان
إسرائيل القبول ب «مبادرة السلام العربية» بما يعنى قيام
الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس؟

أما في حال عدم الأخذ بمبدأ الاستفتاء، فإن جيلاً
لاحقاً من شباب مصر سيولد وسيكون حاسماً في
موضوع هذه المعاهدة. وعلى هذا الأساس، فمن واجب
المجتمع الدولى - وبالذات أميركا ودول أوروبا -
الضغط على إسرائيل من أجل أن تتدرك تداعيات

مرافئ، وبذلك حرمت مصر، المحتاجة أصلاً إلى مداخل، المرور في القناة.

من خلال الغضب الناشئ عن فساد استشرى وبقاء طال عما هو حق واستثنى بالمناصب والمكاسب، تكونت حركة احتجاج استهان بها أهل السلطة، على أساس أنه ما دام الجيش مستكيناً ولا إعتراض من جانبه على ما يجري فإن الأمور تبقى، مهما اتسعت دائرة الاحتجاج والغضب، تحت السيطرة. وكان يمكن أن يبقى الأمر كذلك لولا أن وقائع الفساد والإفساد شملت الذين في أيديهم مصائر البلاد والعباد، ولذا بات لا بد من فعل حازم، فكان الاحتكام إلى الميدان وبسلاح يدوي وإرادة تتحمل تحديات أهل السلطة. وانتهى الأمر إلى أن معجزة العبور العسكري من أجل التحرير، والقائمة على الإيمان بالحق والصبر الجميل والعزيمة الراسخة، بات لها بعد 38 سنة معجزة شقيقة هي معجزة العبور السلمي من أجل التغيير، وتتجلى أهمية الحدث في أن الجيش ينضم إلى الشعب أو يصطف إلى جانبه حامياً، عكس ما كان يحدث عندما يتحرك الجيش منذ انقلاب حسني الزعيم في سورية ويبدل جهداً خارقاً لجذب الشعب إلى جانبه من خلال التظاهر أو برقيات التأييد.

والقول بأن العبورين هما معجزتان، تؤكد صوابيته الظروف التي حدثت فيها كل منهما. وكما الأول دخل التاريخ العسكري كنموذج للتحرير، فإن الثاني سيأخذ طريقه إلى التاريخ السياسي كنموذج للتغيير، وكيف أن المؤسسة العسكرية، وفي العالم الثالث حيث هوية الانقلابات العسكرية هي السائدة، يتناغم أفراد الجيش مع المتظاهرين، ويصل التناغم إلى حد أن هؤلاء المتظاهرين باتوا يرون أن جيش البلاد وشبابها في مركب واحد، وأن ما هو سائد عن المؤسسة العسكرية، بأن دورها هو حماية النظام من المعترضين عليه، سيأخذ في ضوء ما حدث في مصر بين 25 يناير (كانون الثاني) و11 فبراير (شباط) 2011 طريقه إلى التعديل الجذري بعدما بات لهذين الشهرين علامتهما الفارقة مثل أشهر يوليو ويونيو ومايو وأكتوبر، أي بما معناه أنه عندما سيؤتى على ذكر الشهرين فسيفال إنهما شهرا التغيير المعجزة، مثلما يوليو شهر الثورة المعجزة، ويونيو شهر الهزيمة المفزعة، وأكتوبر شهر التحرير المعجزة، ومايو شهر الثورة المضحكة - المبكية.

المهم وقد إنتهى أمر الرئيس حسني مبارك يوم 11

استمرارها دولة معتدية وفاجرة، وليس كما سمعنا مستشارة ألمانيا أنجيلا ميركل التي لا ترى سوى إبداء الخشية على أمن إسرائيل من رياح التغيير العربية المرشحة لأن تتحول إلى إعصارات. ومن يعيش ما يمكن أن يؤسس له التغيير الذي حدث في مصر عام 2011 بعد التحرير الذي سبق أن حدث عام 1973. وللحديث بقية عن هذين المستحيلين الممكنين عندما تتوافر الإرادة ويأخذ الإيمان طريقه إلى النفوس.. ويستقر.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 21 فبراير (شباط) 2011

الإستحالة الممكنة في مصر:

التحرير والتغيير

أضاف المصريون علامة فارقة إلى إثنين من أشهر السنة في بلدهم فلم تعد العلامة الفارقة هذه حكراً على شهر يوليو (تموز)، الذي حدث في الثالث والعشرين منه عام 1952 ثورة الضباط الأحرار، وشهر يونيو (حزيران) الذي حدث في اليوم الخامس منه عام 1967 الهزيمة، وشهر مايو (أيار) الذي اقتلع الرئيس أنور السادات في الخامس عشر منه عام 1971، بمساعدة من أشرف مروان (صهر عبد الناصر) الذي لقي حقه إنتحاراً في لندن، المجموعة الناصرية التي سماها «مراكز القوى»، وشهر أكتوبر (تشرين الأول) الذي أنجز الجيش المصري في اليوم السادس منه عام 1973، حدثاً ما كانت لتتوقع حدوثه الأوساط العسكرية الدولية، وأخذ بالتالي طريقه إلى التصنيف بأنه معجزة عسكرية، كون القوات المصرية نجحت وبوسائل لا علاقة لها بالتقنيات العسكرية المتقدمة في عبور قناة السويس من الغرب إلى الشرق، وهي الحاجز المائي الأكثر صعوبة، الذي اعتبرته إسرائيل حتى اليوم الخامس من أكتوبر حاجز الأمان بالنسبة إلى قواتها التي تحتل الضفة الشرقية من قناة السويس وصحراء سيناء بكاملها، ثم إذا بأبطال المحروسة مصر يعبرون على أهون السبل ثم يذبيون جدار بارليف، ذلك الحصن الحصين بخراطيم مياه القناة، التي عطل العدوان الإسرائيلي مجراها بإغراق سفن كانت في طريقها إلى

فبراير إلى ما انتهى إليه أمر الجنرال ديغول عام 1968 حيث إن الجيش في البلدين (مصر وفرنسا) التزم الحياد الممزوج بالتعاطف. الحياد في فرنسا بين مظاهرات الطلاب والزعيم التاريخي الجنرال ديغول، وذلك بحماية الطلاب من الإيذاء الأمني، وفي الوقت نفسه تقدير الهالة التاريخية لرئيس البلاد شارل ديغول، بحيث يغادر طوعاً إلى مسقط رأسه ويعيش في عزلة لا يجزؤ أحد على وصم سنواته وتاريخه العسكري بالفساد والذمة المالية الملوثة، وبذلك صانت فرنسا نفسها وبقي الجنرال ديغول محفوراً في الذاكرة الفرنسية كما عبد الناصر في الذاكرة المصرية، وذلك لأنه رحل منزهاً عن الفساد المالي. والحياد في مصر بين مظاهرات الشباب التي لكل مشارك فيها أخ أو نسيب في القوات المسلحة، وهذا يعني أن يتقهم الأخ المتظاهر دور أخيه أو نسيبه العسكري، والرئيس الثلاثيني البقاء حسني مبارك وذلك بإبقاء الهالة الوطنية والدور العسكري للرئيس في معجزة التحرير يوم العبور (6 أكتوبر 1973) عندما حمى بالسرب الذي يقوده كطيار في الخامسة والأربعين من العمر العابرين القناة من أجل التحرير، فلا يتصرف المتظاهرون بما يوجب الرد عليهم ويبقى الموقف على هدوئه إلى حين ينهي الرئيس اختياراته بالتدرج أملاً، وقد اقتنع بأنه لن يرشح نفسه لرئاسة سادسة ولن يتمسك بتوريث ابنه، أن تسلك الأمور الطريق التي لا يكون ختامها مأساوياً. وإزاء عدم صبر الحشود المعترضة التي تتكاثر ويرمي الصديق الأميركي بالمزيد من الحطب على النار بغرض الإيحاء بأن له نصيبه في التغيير، بدأ تفكير مبارك بالخطوة الأكثر قساوة على النفس. وعلى هذا الأساس إنتهت ولاية عمر سليمان كرئيس مكلف «الصلاحيات الرئاسية وفق الدستور» على نحو خلافة ابن المعتز التي دامت يوماً وليلة. وسلم الرئيس مبارك أمره إلى الجهة الضامنة التي هي «المجلس الأعلى للقوات المسلحة» مغادراً كما الجنرال ديغول مع فارق أن الأخير عزل نفسه في مسقط رأسه (كولومبي لي دواغليز)، أي «كولومبي الكنيستين» إلى أن رحل يوم 9 - 11 - 1970 (بعد أقل من سنتين من المظاهرات الطلابية التي هزت سلطانه)، في حين أن الرئيس مبارك غادر القصر إلى ضفاف البحر في شرم الشيخ التي اصطلح على إعتبارها عاصمته السياسية يقضي فيها أكثر من قضائه في القاهرة مستبدلاً إياها

بالإسكندرية، مستضيفاً فيها القمم والمؤتمرات والاجتماعات الطارئة وأكثر إجتماعاته مع زواره المسؤولين الإسرائيليين الذين لم يغفروا له إصراره على عدم زيارة إسرائيل قبل أن يتم حل المشكلة الفلسطينية. أما لماذا الانتقال من القصر الرئاسي في مصر الجديدة إلى ضفاف البحر في شرم الشيخ وليس إلى «كفر مصيلحة» مسقط رأسه في محافظة المنوفية، فلأن الرجل الذي تعمد المجلس العسكري الوريث إنصافه من خلال عبارة تقديرية في «البيان الثالث»، يعز على نفسه العودة إلى ربعه، أو بلدياته، مهزوماً فضلاً عن أن وضعه الصحي يفرض عليه الخلود إلى أيام من الراحة والتأمل في الذي حدث، وفي ما كان عليه أن يفعله، كأن يغلق نهائياً قبل بدء ولايته الخامسة صفحة التوريث، ثم يكبح إجتياح رجال الأعمال لمصر الأرض ومصالح الناس والمصانع، ولكثير من الصدمات بعدما بدأ الداء يقتحم جسمه، بل وقبل ذلك أن يرى في الزهد بعد فقدانه حفيده الحامل اسمه علاجاً للروح كفيفاً بطرد «فيروس» البقاء في السلطة، وكأنما مثله الأعلى في ذلك الرئيس الفرنسي الأسبق العليل فرنسوا ميتران. ومع الأسف أنه لم يفعل هذا الذي تشير إليه مع أن الأكرم له كان أن يغادر الحكم طوعاً ويشارك في صيغة حكم تعقب مغادرته، وبذلك يصبح بحكم دوره الوطني التحريري عام 1973 مرجعية لمن بعده يسدي النصح وينبه من المزالق. أما لماذا لم يفعل ولم يعلن وهو ينهي العلاج في ألمانيا في مارس (آذار) 2010 أنه في صدد التحضير لمؤتمر وطني مدني - عسكري - ديني يناقش المستقبل والخلافة من بعده لأن وضعه الصحي لا يسمح له بالبقاء على رأس السلطة، فلأن نفس الحاكم عندما يطول بقاؤه في السلطة تصبح مع الأسف أمارة بالشراسة والنزوع إلى المزيد من التملك، وبذلك يتناسى القول المأثور الذي طلب الرئيس الشهيد رفيق الحريري حفره على بوابة «سراي البيارتة» لكي يكون عبرة لمن لا يعتبر وهو «ما دامت لغيرك حتى تدوم لك». وهكذا ضاع مجد التحرير وسط غبار الكلام المتزايد عن الفساد والإفساد والثروة المليارية، التي بالإضافة إلى أنها لم تلق نفعاً أو توضيحاً من الرئيس أو ابنه فإنها لا تشفي في حال صحة وجودها في مصارف سويسرا أو غيرها وجعاً ولا تحول دون تراكم السنين. هكذا أيضاً ونحن نتأمل في النهاية وفي نهايات سبقتها نتمنى أن

تضع البداية غير الواضحة المعالم إلى حين إكمال مشهد التغيير، مصر على سكة السلامة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 2 مارس (آذار) 2011

* * *

الاجتثاث المصري بعد العراقي

سواء كان يدري الذين أحدثوا الخطوات الأولى على طريق التغيير في مصر أنهم يحولون أنفسهم إلى «مراكز قوى»، مثل «مراكز القوى» في زمن الحقبة الناصرية، و«مراكز القوى» التي حلت محلهم في الحقبة الساداتية، و«مراكز القوى» في الحقبة المباركية، أو أنهم لا يدرون، ففي الحالتين ينطبق عليهم قول الشاعر: إن كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

فما يحدث هو عملياً نوع على درجة من الرقة من أسلوب أخذ مداه في العراق بعدما أسقطت الولايات المتحدة الحكم هناك، ثم أدار بلاد الرافدين بول بريمر السيئ الذكر، وكذلك في السنوات التي تعاقب عليها ممثلو «الديمقراطية البوشية»، التي حولت العراق إلى ظاهرة مأساوية على مدار الساعة. والأسلوب الذي نعينه هو «سياسة الاجتثاث»، أي إلغاء رموز ما قبل يناير (كانون الثاني) 2011. وحيث إن حقبة ما قبل التاريخ المشار إليه حافلة بمئات الأسماء والوقائع والملفات، فهذا يعني أن تبقى «سياسة الاجتثاث» تتواصل، وكلما اتسع نطاقها، انقسمت مصر بين رؤيتين؛ رؤية يتطلع المقتنعون بها إلى أن تهدأ «المشاعر الثورية»، وتبدأ مصر بلملمة نفسها، كي لا يصل الأمر إلى وقت تصبح فيه «سياسة الاجتثاث» حالة ثأرية تؤسس لحالة مماثلة، ورؤية عنفوانية، تجعل أصحابها، «شباب الثورة»، يمعنون في المطالب، مستندين في ذلك إلى أنهم ما داموا نجحوا في تحركهم، وأسقطوا من هو في القمة؛ فلماذا لا يكملون التحرك في اتجاه الحلقات الأضعف، واضعين «فيتو» على هذا، و«فيتو» على ذاك، ودعوة عاجلة إلى من يتأسس الحكومة أن يعتبر نفسه من المجتثين، وعليه التصرف وفق ما استقر عليه رأيهم، وهو أن يللم هذا الذي أدار

الدفة كرئيس للحكومة أوراقه ويرحل، على أساس أنه من الماضي غير البعيد، ومن دون أن يكون إقترب ذنباً محرماً إرتكابه بموجب قوانين «شباب الثورة»، التي هي عبارة عن خلاصة دردشات بين طيف وآخر.

على «شباب الثورة» أن يخلدوا إلى السكينة وإلى الأخذ في الاعتبار أنهم، حتى إذا إختاروا من بينهم من يتأسس ويتوزر؛ فإنه لن ينجح بالعنفوان، ذلك أن مشكلات مصر ليست من النوع الذي يمكن حله فقط من خلال «الشعب يريد إسقاط النظام»، وإنما من خلال إسقاط مبدأ الغلبة، أياً كان الغالبون.

وثمة مسألة في غاية الأهمية، وهي أن الماضي موجود من خلال طيفه العسكري، وهو الذي حمى شباب الثورة، كما أنه هو الذي يمسك بمقاليده الأمور، وهو الذي يمارس، من خلال ضبط النفس، ما يجعل «شباب الثورة» يواصلون التموج في الساحة. وإلى ذلك، فإن أهم ما في الماضي، ونعني به معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية، كان طوال جولات «ميدان التحرير» خارج المطالب وخارج الهتاف، ثم استمر في الهامش، وبات لا مجال للجدال في شأنه، بعدما أعلن «المجلس الأعلى للقوات المسلحة» احترام الإتفاقات والمعاهدات الدولية. ومن الطبيعي في هذه الحال أن لا ينبري «شباب الثورة» إلى «جُمعة» من «الجُمعات» التصعيدية، برفع مطلب تعديل المعاهدة المشار إليها أو إلغائها، وتغيير أي سلطة تتبناها، لأن معنى ذلك أن الـ «شباب» هنا يطالبون بـ «مجلس أعلى» آخر، بإعتبار أن جزرات المجلس الحاليين، بدءاً من رئيسهم، المشير محمد حسين طنطاوي، ورئيس الأركان، الفريق سامي عنان، هم من الماضي الذي استمر، حتى لحظة ما قبل التخلي من جانب مبارك، ملتزماً بالرئيس. وفي المشهد الحاضر في الذاكرة، داخل غرفة العمليات، قبل يومين من التخلي ما يوضح قولنا.

بعد تغيير حكومة أحمد شفيق، التي حققت انفراجاً نسبياً، والإتيان بصديق «الشباب الثوار»، عصام شرف، رئيساً لحكومة جديدة يرضى عنها الـ «شباب»، من مصلحة «شباب مصر» طي سياسة الاجتثاث، وإعتبار قدرتهم على تعيين من يريدون رئيساً للحكومة هي آخر حلقة في ممارسة الضغوط، ذلك أن الرأي العام، الذي ضاق ذرعاً بطول بقاء الرئيس مبارك، لأنه لم يتفهم ولم يعتبر، مع أن العبر كثيرة، سيضيق ذرعاً بهم إذا هم

حولوا أنفسهم إلى «مراكز قوى»، كتلك التي أشرنا إليها وكانت من أسباب الهزيمة في الحقبة الناصرية، وأسباب حادثة المنصة في الحقبة الساداتية، ثم من أسباب إسقاط حكم مبارك، وعلى أهون السبل، مع أن إستهداف الرجل خلا من جانب «شباب مصر» من أي تشكيك في السلوك الوطني، وأهمه على الإطلاق التسامح الضمني في ما يخص العلاقة مع الولايات المتحدة، والإبقاء على المعاهدة المبعوضة مع إسرائيل في منأى عن الإهتزاز. وكأنما ثقافة الـ «فيس بوك» لدى «شباب مصر» تنحصر في ضرورة التصدي للفسادين والمفسدين، وللحاكم الذي لا يغادر من تلقاء نفسه، وبعد ثماني سنوات مقسومة على ولايتين، على نحو ما انتهى إليه خيار اللجنة القانونية الدستورية التي عدلت بعض مواد الدستور، ومنها ما يحرم البقاء الطويل ويقطع الطريق على التوريث، ويضع مصر على سكة الاستقرار.. وبما قد يعيد الشأن والدور.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 12 مارس (آذار) 2011

بشّار التغيير الفوري

لإستباق التغيير القهري

وجد الرئيس بشّار الأسد في الوصفة الخليجية، السعودية - الكويتية - العمانية بالذات، حتى الآن علاجاً للضيق الشعبي من واقع الحال، فأوكل إلى مستشارته الإعلامية الدكتور بثينة شعبان أمر عقد مؤتمر صحافي تعلن فيه قرارات بعثية، الهدف منها تهدئة خواطر الدعاويين من جهة، وإستباق أي تداعيات قد تحدث بفعل تحضيرات يقوم بها مناوئون للنظام، من جهة أخرى. من بين القرارات التي نفترض أنها أولية، وأن الرئيس بشّار أرادها فورية ومن دون خوض نقاشات الرفاق القطريين في شأنها، رفع الرواتب والمعاشات التقاعدية، ووضع آلية جديدة لمكافحة الفساد، وكذلك وضع دراسة لإنهاء العمل بقانون الطوارئ بالسرعة القصوى وإصدار قانون جديد للإعلام ومشروع قانون للأحزاب وتعزيز سلطة القضاء ومنع الإعتقال التعسفي

وتعديل القانون 39 القاضي بالعمل بإجراءات بيع الأراضي الحدودية (من مطالب أهالي درعا).

في حال كانت هناك مسارعة من جانب الرئيس بشّار لإتخاذ خطوات تنفيذية في هذا الشأن، فإن ذرائع رفع سقف المطالب ستتوقف عند هذا الحد. أما إذا كان سينتظر مجادلات أعضاء هذه اللجنة أو تلك، وتحذيرات هؤلاء الرفاق أو أولئك، والتجاوب مع رغبات هذا الحليف كبير الشأن، أو هواجس ذاك الحليف المتكئ على الصدر السوري، فإنه سيدجد نفسه أمام المزيد من التعقيد في الموقف، خصوصاً أن الظروف قاهرة وضاغطة، فضلاً عن أن وقائع ما حصل في تونس ثم في مصر، ويتوالى حدوثاً في اليمن وليبيا والأردن والعراق وإيران والبحرين والجزائر والمغرب، توضح بما فيه الكفاية أن أسلوب الترقيع يطيل الأزمة، لكنه لا يحلها، وأن الجرعات المتمثلة في تغيير حكومة أو تعديل وزاري أو إقالة محافظ أو ما شابه ذلك من إجراءات، لم تحقق للرئيسين الذين تم ترحيلهما، ولا للرئيسين اللذين هما برسم الترحيل، ما افترضوه من حدوث مداواة بفضل هذه الجرعات.

وبالنسبة للرئيس بشّار بالذات، يستغرب المرء كيف أن كل هذه «الثوابت السلبية» أبقى عليها وهي ليست أصلاً من صنعه، مع أنه في السن التي تتطلع إلى التغيير بدليل أن الثورة الثانية في مصر كانت شبابية، وأنه من المستوعبين تمام الإستيعاب لطبيعة ظاهرة المعلوماتية، إلا إذا كان الإستيعاب هو لجهة الاستفادة من مبتكرات هذه الظاهرة وليس لجهة خطورتها بالنسبة إلى نظام يقوده رئيس عنيد وما حققته «أسلحة» هذه الظاهرة في الثورة الشبابية في مصر، وكيف تبين أن في إستطاعة الإحتجاج والإتصال من «فيس بوك» و«تويتر» تحقيق ما تعجز عنه كتيبة مدرعات تحتل مبنى الإذاعة والتلفزيون ويعلن أحد الضباط من خلالهما البلاغ رقم واحد، تتبعه بلاغات، فاستيلاء على السلطة، فصراعات، فتصفيات منصبية بداية، ثم جسدية أحياناً.

وعندما نشير إلى أهمية إحاطة الرئيس بشّار بأهمية ظاهرة المعلوماتية، فعلى أساس أن الإهتمام بها ومواكبة الجديد في شأنها موجود في بيت الرئيس بشّار لأن زوجته السيدة أسماء معنية بالظاهرة وتتابع عملية تعميمها في الثقافة داخل المجتمع السوري. وإلى ذلك يستغرب المرء كيف أن الرئيس بشّار، وعندما حدثت الواقعة التونسية

كي لا تزلزل الأرض السورية زلزالها

يعيش الرئيس بشار الأسد في ظل عاصفة التغيير العاتية في المنطقة، وضعا فيه كثير الشبه من الوضع الذي عاشه الرئيس (الراحل) أنور السادات في السنوات الثلاث التي سبقت حرب أكتوبر 1973. ومنذ الإنصراف العسكري السوري والأمني الإضطرابي عن لبنان وما إستتبع هذا الإنصراف من إحباطات على الصعيد المعنوي وعزلة على الصعيدين العربي والدولي، بذل الرئيس بشار الكثير من الجهد لتخفيفها من خلال علاقة مع الحكم الإيراني كانت من نوع الحب من طرف واحد هو إيران بطبيعة الحال، كما أنها كانت في بعض ضروراتها مثل الذي فعله الرئيس معمر القذافي عندما يمم جماهيريته العظمى شطر القارة الأفريقية ناقماً على العروبة التي طالما تباهى بأن الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر أهدها بيعة معنوية تمثلت بالقول له إنه أمين القومية العربية من بعده. وهذه المبايعة مثل مبايعة أحمد شوقي أميراً للشعراء ومبايعة أم كلثوم كوكباً للشرق ومثل مبايعة عبد الحليم حافظ عندليباً للأمة.. خطوة معنوية لا أكثر. وكما نال الرئيس بشار من الحب الإيراني بعض التحصين للصمود فإن الرئيس القذافي نال من إخوانه الأفارقة بعض التحصين أيضاً للصمود في وجه عزلة بالغة القساوة فرضها المجتمع الدولي عليه ولم تساعده البيعة التي جاءت من جيرانه الأفارقة والمتمثلة بتتويجه «ملك ملوك أفريقيا»، وإنما الذي كسر حدة القساوة الدولية كانت الصفقة المليارية لتتظيف تداعيات حادثة «لوكوربي».

عندما إستندت تعقيدات الوضع في مصر والناشئة عن احتلال إسرائيلي وتعطيل بسببه لقناة السويس التي هي المصدر الأساسي للعملة الصعبة، بدأ السادات عملية ترقيع للحالة سالكاً أسلوب تغيير الحكومات والوجوه عسى ولعل يهدأ الرأي العام الذي لا يرحم لكثرة الأنتقال النفسية والمعيشية. وفي نهاية الأمر وجد أن الحل الذي لا حل غيره هو توظيف ما كان سلفه الرئيس عبد الناصر بدأه لجهة إعادة بناء القوات المسلحة التي منيت بهزيمة كبرى يوم 5 يونيو/ حزيران 1967 وحدد عبد الناصر هدفاً له بعدما وضعه الرأي العام المصري أمام اختبار حساس برفض التنحي الطوعي. وهذا الهدف هو ما لخصه الشاعر المرفوع منذ المساندة

أولاً وتلتها الواقعة المصرية لم يبادر. فإذا كانت الشكوى في تونس وفي مصر من إستشراء الفساد، فإن هذه الجرثومة موجودة في جسم الدولة السورية. وإذا كانت الشكوى في تونس ناشئة من ضيق هامش التعبير ومن كتم الصوت المعترض ومن بحبوحة الحزب الذي يحكم ومن إثراءات سريعة، فإن الناس في سوريا تتحدث همسا حول إثراءات أيضاً، كما يتحدث الناس في الخارج عن إستشراء هذا الفيروس عند مناقشة عثرات الوضع السوري الراهن وتأثيرها على مستقبل الأجيال.

ولا يكفي أن ينظر الرئيس بشار إلى الأمر على أنه ما دام هو مستقيم السلوك، فإن ذلك يشكل حصانة لمقامه، ذلك أن من هو في المقام الأعلى في السلطة يصبح تلقائياً مسؤولاً عن أي مساوئ تحدث ولا يتصدى لها على وجه السرعة. وإذا كان الرئيس بشار ينظر إلى وضعه على أساس أنه ليس من المعمرين في رأس السلطة، أمثال الرئيس زين العابدين بن علي في تونس وحسني مبارك في مصر وعلي عبدالله صالح في اليمن ومعمر القذافي في ليبيا، لأنه حديث الحكم كرئيس للدولة السورية، كما حال الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، فإنه بذلك لا يأخذ في الإعتبار النظرة إليه بأن سنواته القليلة رئيساً هي امتداد لسنوات والده الرئيس الراحل الكثيرة. وهذه النظرة توجب عليه أن يصحح أكثر مما صحح والده، وأن يضفي على حكمه شمائل تجعل شرعيته الشعبية أهم من شرعيته الحزبية.

خلاصة القول إن الرئيس بشار متمهل أكثر مما قد يتحمله الوضع. وكما أوردنا بعض الإستغراب تجاه عدم المسارعة من جانبه، وبذلك كان سيصبح في غنى عن جمعة تليها جمعة تليها جمعة على نحو المنوال الذي لا يتوقف، حيث بدأت هذه الجمعات، فإننا نستغرب كيف أن الرئيس بشار الذي عزم متأخراً بضع سنوات لا يتوكل مستقبلاً ما قد يجعله رقماً مضافاً في قائمة التغيير. أما العزم فإنه يتمثل في بعض ما سمعناه من مستشارته الإعلامية الوزيرة الدكتوراة بثينة شعبان، وأما التوكل فإنه ليس من خلال مجادلات ومناقشات ولجان وتنظيرات، وإنما من خلال التغيير الفوري، إستباقاً للتغيير القهري.

صحيفة «الشرق الأوسط» - 31 مارس (آذار) 2011

السعودية - الكويتية - الخليجية - الليبية في القمة العربية في الخرطوم: إزالة آثار العدوان.

كان الجيش المصري عند حُسن التقدير، وخاضت مصر الساداتية الحرب بجنرالات متميزين وطيارين أكفاء وقوات شجاعة ومدربة خير تدريب. وإلى هذه المقومات كانت وقفة الرأي العام المصري متميزة، حيث الحماسة للثأر من الهزيمة جمعت المواطن العادي مع المواطن المقاتل وبدأت مصر بذلك أنها في أدق حالات التماسك، مما جعل النصر يتحقق وتسلك مصر طريقها إلى مرحلة التداوي من الهزيمة.

لو لم يفعل الرئيس السادات ذلك لكان نظامه تهاوى أمام التظاهرات الطلابية والعمالية التي لم تُقد أساليب أجهزته الأمنية في كسر إرادة المتظاهرين، كما أن زجه بعشرات السياسيين والمثقفين والصحافيين ورجال الدين في السجن لم يُفده بعد ذلك في شيء. وإذا كان هنالك من يرى أن خوض الحرب جعل نظام السادات لا يتهاوى، إلا أن ما تكتُفت عنه بعض الحقائق بعد ذلك جعلت مكانة مصر تبدأ بالتراجع. وهذا في حد ذاته يحتاج إلى معالجة منفصلة من كاتب مثل حالي عايش ميدانياً وفي الكواليس دقائق ذلك الزمن الصعب، فنحن الآن أمام مقارنة بين حالة مضت (الحالة التي كانت عليها مصر التي تسلم زمام أمرها وأثقالها أنور السادات وحالة تعيشها سورية الآن التي تسلم زمام أمرها مضطراً وليس مختاراً الدكتور بشّار الأسد. هنالك احتلال للأرض السورية منذ العام 1967 وهنالك حالة طوارئ يفرضها الحذر نتيجة بقاء حالة الاحتلال وفي الوقت نفسه الشعور الدائم للنظام بأنه مستهدف. كما هنالك صدمات معنوية وخيبات أمل وإيحاءات بالحلول التي لا تُنفذ. ومن الجائز الافتراض أن الرئيس بشّار وصل إلى المرحلة التي سبق أن وصل إليها قبل 38 سنة الرئيس السادات، لكن الفرق بين الحالتين هو أن مطالب المصريين شعباً وجيشاً كانت قرار خوض المعركة وهذا سهّل على السادات إتخاذ، أما بالنسبة إلى السوريين الآن شعباً وجيشاً فإن مسألة خوض المعركة ليست بالقوة التي كانت في مصر. لكن مع ذلك فإن قرار خوضها هو العلاج ما دامت إسرائيل لا تتسحب طوعاً من الجولان وتسوّق ضمناً فكرة إعتباره مثل إسكندرون أرضاً تتخلى عنها سوريا بالتراضي، وما دامت الإدارات الأميركية لا تقدّم سوى الأقوال وتُجاريها في ذلك

الحكومات الأوروبية.

ولا ريب أن الرئيس بشّار يدرك أن هذه الإتصالات العربية الخجولة وبالذات الإتصال الإماراتي والكويتي والقطري واللبناني به من باب اللياقة ورفع العتب لا أكثر لا تحل الأزمة المتفاقمة. كما لا ريب أن الرئيس بشّار يدرك ضمناً أن خوض مواجهة مدروسة وضمن مبدأ دفع القوات المحتلة والتي هي أحسن إلى خارج الحدود وهذا حق مشروع لنظامه ولا يجوز لأي طرف دولي الاعتراض عليه، يبقى أفضل من عدم الإقدام على ذلك وإبقاء الوضع عرضة للمزيد من التظاهرات والإرتكابات التي قد تؤدي إلى مواجهة دموية تتحكم بها غرائز بعض القوى المدنية وتقاليده بعض القوى الأمنية ولا يعود ينفذ في احتوائها التغييرات الطفيفة ثم الجزرية في بعض المناصب. هذا إذا لم تتطور الأمور إلى وضع أشبه بالوضع الذي إنتهت إليه ليبيا وقتلها العراق. بل إن خوض معركة تحرير أرض محتلة من شأنه توحيد الصف الداخلي وتوسيع مساحة الإنقاذ حول الرئيس بشّار. كما أنه اختبار لمصداقية الحليف الإيراني بحيث إما ينجح بإمكاناته وإمكانات عمقه اللبناني المتمثل بـ "حزب الله" إلى جانب النظام السوري الحليف وبذلك يكون الخيار من جانب الرئيس بشّار الأسد للحفاظ على العلاقة متينة مع النظام الإيراني في محله، أما إذا كان هذا الزج المشار إليه لن يحدث ويتصرف أهل الحكم في إيران كلاً لا تفعيل له فإن الرئيس بشّار يكون إكتشف نوايا تحتاج إلى الكشف عنها، وعندها يسلك الطريق الذي تشكّل العلاقة مع إيران عقبات ومخاطر لسوريا منه.

والى إختبار مصداقية الحليف الإيراني هنالك أهمية معرفة حقيقة نوايا الصديق التركي الذي يُمطر الرئيس بشّار بالنصائح وفي الوقت نفسه يؤازر خصومه، وهذا معناه أن الأردوغانية تلاعب النظام في سوريا على طريقة تلاعبها مع صديقها معمر القذافي. وقوام هذا الملعب هو نوع من المراهنة التي تعود على تركيا أردوغان بالكسب المضمون.. أي زيادة في التوضيح تكسب إذا صمد النظام وتكسب إذا تهاوى أمام خصمه الإخواني. والملعب مكشوف والمجادلة في شأن صحته أم عدمها عقيمة.

ويبقى الأهم من هذا كله هو أن خوض المواجهة المحسوبة سيحقق التفافاً عربياً حول الحكم البشاري الذي

يترجم الممانعة للمرة الأولى إلى فعل، وسيشكّل خوض المواجهة رافعة للسعي المتعثر من أجل قيام دولة فلسطينية طبقاً لـ "مبادرة السلام العربية"، وسيجعل وسطاء التسوية يتصرفون بنزاهة وسيبعد احتمال حدوث الاشتباك الطوائفي داخل سوريا. وبعدها يخوض الرئيس بشار وهو أكثر اطمئناناً غمار البدء بمرحلة تكون الصفحة الجديدة فيها متحررة من صنميات الماضي فكراً وحزبياً وإقتصادياً وإجتماعياً وأمنياً. وبذلك لا تُزلزل الأرض السورية زلزالها ولا يضطر الرئيس بشار إلى معاودة التخصص في طب العيون وفي لندن بعد إنقطاع دام أحد عشر عاماً. وفي عاصمة الضباب يعيش مع عائلته الصغيرة هادئ البال في عاصمة أحبها لمملكة كانت الوطن الثاني لزوجته وما زالت وطن جد وجدة أولاده الذين من حقهم أن يذوقوا طعم العيش المستقر الذي يتوق إليه كل أطفال العالم العربي ومعهم أهاليهم ومن قبل ذلك أجدادهم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 7 أبريل (نيسان) 2011

مسعى عبدالله بن عبد العزيز

من «البيت العتيق» إلى «البيت التوفيق»

ما تأخرت السعودية ما دامت على نحو المثل الشعبي جاءت. وهذه الدعوة التي جاءت منها، بعد التشاور مع الشقيقات عضوات «مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، لإكساب الاقتراح القاضي بدعوة أطراف النزاع في اليمن إلى مؤتمر حواري بهدف التوصل إلى تسوية ينعقد في الرياض، كانت أعقل المحاولات كونها موضع الرعاية من قائد عربي سجّل خلال ست سنوات من القيادة مواقف لمصلحة توحيد الصف فضلاً عن أن الجار أولى بالجار، ولا يمكن للملك عبدالله بن عبد العزيز وإخوانه وللشعب السعودي الذي تربطه أقدم الأواصر بأبناء اليمن شمالاً وجنوباً وجبالاً كانت في زمن مضى مسرحاً لإحتراب، أن يترك الجار اليمني يمعن في العناد والتحدي، ولا تتوقف بالتالي جولات المعارضة رداً على صولات أهل النظام،

الأمر الذي جعل الدم يسيل بغزارة والإهتمام العربي - الدولي لجهة منح اليمن الدعم الذي يساعد على تحقيق تنمية، يتعثر.

طوال أكثر من سنة يكتوي اليمن بنار الإقتتال. وفي الأشهر الخمسة الماضية لم تعد المنازلة دائرة بين «اليمن الحوثي» و«اليمن الصالحي» وإنما اتسعت مساحة الميادين وشملت العاصمة وكثيراً من المحافظات. وفي المحصلة ما قبل النهائية فإن لا أحد «إنتصر» على الآخر، ونضع كلمة «إنتصر» بين مزدوجين دلالة على أن المنازلة ما دامت بين أهل البلد الواحد وأن المتنازلين هم أشقاء وإخوان وأحياناً أبناء القبيلة الواحدة، فإن المنتصر فيها مهزوم، أو على نحو القول الطيب إن القاتل والقَتيل في النار.

ولقد كان لافتاً أن الجار السعودي ومعه بقية قادة الجوار الخليجي لم يسارعوا قبل ثلاثة أشهر إلى إطفاء النار التي تزداد اشتعالاً في اليمن، ربما لإنشغال هذه الدول بأمور داخلية تطلبت الجهود محاصرتها ومعالجتها بما لا يجعل نار الفتنة تتمدد من البحرين وصولاً إلى الكويت مروراً بالسعودية. كذلك ربما كان التريث في المسارعة هو تزك أطراف النزاع اليمني يتأكدون من أن لا أحد سيخرج منتصراً وأن الحالة اليمنية ليست شبيهة بحالات أخرى، وعندما يحدث التأكد وترتاح الحناجر والخناجر مما يحدث ويقتم أصحاب السعي الطيب، وهم هنا الملك عبد الله بن عبد العزيز وبمؤازرة دول مجلس التعاون، ساحة العناد اليمني بالقول ما معناه من خلال الدعوة إن سلامتكم يا إخواننا أبناء اليمن هي في استقراركم وفي التوافق حول ما يحقق الرضى، ثم أليس المعروف عن الحكمة أنها يمانية... إنه عندما يحدث الإقتحام السعودي - الخليجي الطيب على نحو ما إنتهى إليه سيناريو الحل يوم الأحد 15 أبريل/ نيسان 2011 وعلى قاعدة لا غالب ولا مغلوب أو لا متقهقر ولا منتصر أو لا صاحب وجه بات لا ماء له وطيف معارض جفّ الماء في وجه ذلك الخصم، فلأن الوضع في اليمن ما زال في منأى عن «التحرش الأطلسي» على نحو ما جرى في ليبيا وما سبق حصوله في العراق وهذا يُيسر أمر التوفيق.. إنما إذا جاء المتنازلون بنوايا طيبة معتبرين أن جولات النزال إنتهت لتحل محلها جولات الحوار، وإذا علّق رئيس وزراء قطر الشيخ حمد بن جاسم الثاني مفردات التوفيق في خطابه بدل

مفردات التفريق، وهذا أمر يتطلب الترويض من جانب الأمير سعود لنظيره الشيخ حمد.

ما يتمناه المرء هو أن يستعيد رموز النزاع في اليمن الوعي، أو الرشد على الأقل، ويستحضر هؤلاء كياسة حكماء تفتقدهم اليمن المضرجة بالدم والعنف والعناد كما افتقاد الليلة الظلماء للبدر.. بدر السماء وليس بدر الإمامة، ومن هؤلاء الحكماء على سبيل المثال لا الحصر الطيّب الذكر أحمد محمد نعمان والقاضي عبد الرحمن الأرياني. وفي الاستعادة التي نشير إليها تحدث المعاتبات التي تغسل القلوب، تليها مفردات الامتتان العربية للهفة السعودية ونخوة الملك عبد الله بن عبد العزيز تأتي في ضوء نجاح المسعى من اليمن وليبيا والمغرب والأردن ومصر والجزائر وسورية والعراق ولبنان وفلسطين وكل بقعة عربية يسيل الدم العربي فوقها دون وجه حق. وبعد ذلك لا نعود نرى على الشاشات هذه المأساة المضحكة - المبكية المتمثلة بتظاهرات متبادلة يسقط فيها ضحايا وتخطو البلاد اليمنية طريق العودة إلى ما كانت عليه في زمن غابر لا يريده مخلصون لها وبالأذات عبد الله بن عبد العزيز.

وما يتمناه المرء أيضاً هو أن يأتي الأقطاب اليمنيون المتنازعون بالروح التي أتى بموجبها سابقاً أقطاب النزاع الفلسطيني من قادة «فتح» و«حماس» على أن يكون اليمنيون أكثر إحتراماً من إخوانهم الفلسطينيين لما تم الإتفاق حوله في رحاب مكة المكرمة وأقسم قادة «فتح» و«حماس» على إحترامه. لكنهم مع الأسف حنثوا وإستعادوا النزاع كلاماً بالغ السوء والإهانة يتقاذفونه وكما لو أنهم في مباراة يريد كل طرف أن يسجل أمام الشعب الفلسطيني الذي يعاني ويقاسي أنه الطرف الأكثر عناداً وابتعاداً عن جوهر القضية. وبالنسبة إلى إخواننا اليمنيين الذين لا أمل يرتجى للوطن من غرائب تحدياتهم وعنادهم فإن السيناريو الذي إنتهت إليه الدبلوماسية الخليجية تغني عن مزيد من الدم يراق وتُبعد احتمالات الحصار والخطر الجوي على النحو الذي تقاسي منه اللببتان: ليبيا القذافية وليبيا المعترضة.. هذا إلى أن في ذاك السيناريو إقتباساً للحال التي إنتهت إليها الأزمة في مصر: رئيس يتخلى لجيش يحرس الدولة ويحتضن الإنتفاضة وحكومة تملك مقومات العيش والتعايش. هذا في مصر. أما في اليمن فليس يسلم السلطة إلى أبنائه وبذلك لا إستسلام بالكامل ولا إهانة تؤسس للرد عليها

ذات حقبة بإهانات وتنازل المعارضة فرصة قد لا تتألفها إذا استمرت المنازلات.

كما أننا وسط هذه التمنيات نتطلع إلى أن تكون محاولة عبدالله بن عبد العزيز الذي ندعو له بموفور الصحة وطول العمر لرأب الصدع اليمني، بداية محاولات لتحقيق مسعى مماثل لدى أطراف نزاعات عربية أخرى ومنها النزاع الليبي على رغم المرارة التي في نفس خادم الحرمين الشريفين من مواقف سلبية جاءت من الرئيس معمر القذافي.

وهذه التمنيات والتطلعات مبنية على أساس أن «الرياض» التي أميرها سلمان بن عبد العزيز ليست فقط عاصمة مملكة عبد العزيز طيّب الله ثراه وإنما هي أيضاً أو كما يرنو أبناء الأمة إليه في هذه الظروف الصعبة للأمة «رياض التوفيق للجميع». وبعد التوفيق تحدث المعاتبات التي تغسل القلوب. ثم تطمئن القلوب. ونخلص إلى القول إن إخواننا أصحاب الخلاف الفلسطيني الذين طالما تحاوروا ثم اتفقوا وأقسموا على مدى ثلاثة أيام فأشاعوا بذلك التفاؤل في نفوس أبناء الأمة، كانت حالهم ستبدو أفضل لو أنهم تمسكوا بما سعى إليه عبدالله بن عبد العزيز الذي جمعهم في رحاب «البيت العتيق» في مكة المكرمة وتمعنوا أيضاً ماضياً ودائماً في الآية الكريمة «ثُمَّ لَنَقْضُوا نَفَقَهُمْ وَلَيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلَيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ». وما يقال لإخواننا الفلسطينيين يقال أيضاً لإخواننا اليمنيين رموز الصراع الذي لا جدوى من استمراره والذين من شأن جمع شملهم في «البيت التوفيق» الرياض أن يبدأوا معاً مرحلة بناء اليمن السعيد حقاً.. هذه المرة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 14 أبريل (نيسان) 2011

* * *

عن أي أمين عام يبحثون وعن أي قمة يتحدثون!

إن قبل أن تنتهي ولاية عبد الرحمن العطية (القطري) كأمين عام لـ "مجلس التعاون لدول الخليج العربية" كان هنالك توافق بين قادة دول المجلس الست (المملكة

العربية السعودية، الكويت، دولة الإمارات، دولة قطر، سلطنة عمان ومملكة البحرين) على من سيكون الأمين العام الخلف وكان العطية كما الذين سبقوه إلى هذا المنصب من 26 مايو 1981 إلى أبريل 1993 أول الأمناء عبد الله بشارة (الكويتي من 26 مايو إلى 1981 إلى أبريل 1993) ثم فاهم بن سلطان الفكي (الإماراتي من أبريل 1993 إلى أبريل 1996) ثم الشيخ جميل الحجيلان (السعودي من أبريل 1996 إلى 31 مارس 2002) ثم عبد الرحمن العطية (القطري من أول أبريل 2002 إلى 31 مارس 2011) تسلم الأمانة بهدوء وغادرها بتكريم، فالإختيار توافقي، والأمين العام دائماً تحت خط التوازن بحيث لا يقول من عندياته ما لا يكون القادة متفقين عليه، أي أنه أكثر التزاماً ودقة مما كانت عليه حال الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى الذي سجل من المواقف خارج التشاور والتكليف ما أوحى بان الجامعة هي إحدى دول الأعضاء وإنه قائد هذه الدولة وليست الإدارة التي تنظم مؤتمرات وتكلف بمهام.

وطوال سنوات "مجلس التعاون الخليجي" كان الأمين العام يتولى بهدوء وينصرف بهدوء ويلقي التكريم والتعويض السخي ويعود حامداً شاكرًا إلى منزله يؤلف أو يستشار أو يعكف على كتابة مذكرات كما حال الشيخ جميل الحجيلان الذي طال إنتظار عارفي قدراته وقارئ إطلاقاته من خلال "الشرق الأوسط" إلى قراءة مذكراته التي يعكف على تسطير فصولها، والتي ستكون المذكرات المرجع لثلاثة عصور عربية في التاريخ الحديث للأمة.

هذا بالنسبة إلى الأمين العام لـ "مجلس التعاون الخليجي" الذي قلده وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل 3 نيسان 2011 ثم خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز. أما بالنسبة إلى نظيره الأمين العام لجامعة الدول العربية فإنه في إستمرار أما تحت وطأة الصدفة كما حال الأول عبد الرحمن عزام بات ثم خلفه عبد الخالق حسونة باشا، وإما نتيجة مأساة سياسية كما حال محمود رياض ثم حال الأمين العام الإستثنائي الشاذلي القليبي، وإما بفعل إرتباك سياسي للدولة في الخط مثل حال الدكتور عصمت عبد المجيد، وإما وسط إستهانة عربية بالمنصب مثل حال الأمين العام غير المحسوم أمر من سيخلفه لمجرد إنتهاء ولايته في مايو/ أيار المقبل خصوصاً أن التجديد لـ عمرو

موسى غير وارد ما دام البقاء الطويل في المنصب أفرز ثورة في مصر غير محسومة النتائج حتى إشعار آخر. ومن الطبيعي عندما تنوه كرسي الرئاسة المصرية بالرئيس حسني مبارك الجالس طويلاً فوقها، أن لا يبقى عمرو موسى سنوات أخرى في منصب الأمين العام، خصوصاً أن الرجل وهو ما زال أميناً عاماً للجامعة يتصرف كمرشح للرئاسة في مصر وبذلك كان نقيض الطامح الطامع الآخر الدكتور محمد البرادعي الذي سبق عمرو موسى في التصرف كمرشح للرئاسة ومن قبل ما اصطلاح على تسميتها "ثورة 25 يناير" مع الإشارة إلى إنه تصرف بعد ما كان بات خارج منصبه الذي الدولي.

في ظل فراغ ربما يصيب الأمانة العامة للجامعة العربية نتيجة حالة عدم الإستقرار التي تعيشها مصر والتي جرى التقليد على أن يخلف مصري مصرياً في منصب الأمين العام وتتمسك الدولة المصرية بالمنصب وكما لو أنه حق لا يمكن التنازل عنه... وفي ظل الفراغ المحتمل حدوثه جاء الخبر الصاعق لأهل الحكم المصري شبه المتماسك والمنقوص، رئاسية أساسية من أصل المثلث الرئاسي وهما رئاسة الجمهورية ورئاسة البرلمان، في صيغة نبأ نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» في عددها الصادر الثلاثاء 5 أبريل/ نيسان منسوباً إلى "مصادر خليجية مطلعة" ومفاده أن دولة قطر تقدم ترشيح عبد الرحمن العطية الأمين العام لـ «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» على مدى تسع سنوات والذي إنتهت ولايته نهاية مارس/ آذار 2011 (ثم تعيين عبد اللطيف الزباني خلال إجتماع قادة المجلس في أبو ظبي يوم الجمعة أول أبريل 2011 خلفاً له) ثم تأكد النبأ بإيداع سفير قطر ومندوبها لدى الجامعة العربية مذكرة لدى الجامعة تسلمها من أحمد بن علي نائب الأمين العام وتتضمن طلب ترشيح رسمياً وفقاً بالحيثيات الموجبة ومن بينها «إنه إيماناً» من دولة قطر برسالة جامعة الدول العربية وأهدافها السامية ورغبة منها في أن تكون مساهماتها المستقبلية في أعمال الجامعة بقدر أشمل وبما يتيح لها العمل على تحقيق أكبر فائدة مرجوة ومستطاعة من أهدافها فإنها تتشرف بترشيح السيد عبد الرحمن العطية لشغل منصب الأمين العام للجامعة بعد إنتهاء فترة السيد عمرو موسى الأمين العام الحالي».

اللائق أن دولة قطر هي الدولة الوحيدة بين الدول الأعضاء في الجامعة التي سارعت إلى الرد على المذكرة التقليدية التي كانت الأمانة العامة بعثت بها إلى دول الأعضاء تتضمن خلو المنصب وأن كل دولة يمكنها أن تتقدم بمرشح عنها.

ما أقدمت عليه دولة قطر طبعي من حيث المبدأ حيث إن ميثاق الجامعة حفل سجله بعشرات الإخترافات لا ينص على أن منصب الأمين العام هو حكر على مصر، ولكن مكانة مصر كدولة كبرى ومقر الأمانة العامة في عاصمتها القاهرة إنتهى إلى نوع من التسليم وشبه إجماع أن يكون الأمين العام دائماً من مصر. ولم يحدث إختراق لهذا التقليد إلا بعدما أوجبت تداعيات إبرام مصر السادات إتفاقية السلام مع إسرائيل إستكمالاً وتنقيحاً للزيارة التي قام بها السادات إلى القدس وإلقائه خطاب التسوية - المصالحة في الكنيسة، إسقاط أشبه بالتجميد عضوية مصر في الجامعة لبضع سنوات ونقل مقر الأمانة العامة إلى تونس وإختيار التونسي الشاذلي الفليبي أميناً عاماً الأمر الذي عزز ظاهرة منصب الأمين العام لدولة المقر.

من قبل رغبة دولة قطر بأن تكون منصب الأمين العام لدورة من نصيبها حاولت اليمن قبل أن يتولى عمرو موسى وكانت زمناً مستقرة ولم تتل مبتغاها. وحاولت الجزائر قبل أن يتولى عمرو موسى أيضاً لكن مبتغاها أيضاً لم يلق التجاوب. وها هي قطر وفي غمرة المأزق الداخلي الراهن تحاول خطف المنصب من مصر وتعتمد لهذا الخطف ورقة قوية على الصعيد المعنوي كون العطية رجل الستين عاماً صاحب تجربة دبلوماسية عريقة عربياً ودولياً حيث شغل منصب السفير والمندوب في عدة عواصم من بينها باريس والسعودية والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ولكن الأمور لا تقاس بهذا المنظور. ذلك أن إنتزاع المنصب من مصر وفي هذه الظروف بالذات هو نوع تخفيض نسبة النظرة الاعتبارية لها وهو أمر تأخذه المملكة العربية السعودية في الإعتبار ويجوز الإقتراض أنها في نهاية الأمر سنرى أن خير الأمور هو في بقاء شقيق مصري ما أميناً عاماً للجامعة، وأن ترشيح دولة قطر أحد رعاياها للمنصب هو حلقة في مسلسل التعاطي التحرشي من جانب قطر بالشقيقات التي تعاني إضطرابات وحركات تغيير بدءاً بتونس ثم مصر وها هي متواصلة مع اليمن

وليبيا وليس مستبعداً أن تمتد إلى سوريا على رغم خصوصية العلاقة البشّارية - الحمدية.. والبقية من حلقات التعاطي التحرشي قابلة للتواصل.

جاء نبأ ترشيح قطر أحد أبنائها لمنصب الأمين العام للجامعة العربية صادماً وجاء في وقت الأضمال غير الدقيق بأن القيادة الإستثنائية العسكرية لمصر المهمة سحب من التداول فكرة أن يتولى الدكتور مفيد شهاب منصب الأمين العام خلفاً لـ "عمرو موسى" وذلك بعدما كثرت التحفظات من القوى الثورية الجديدة الضاغطة على الرجل كونه من رموز عهد مبارك مع أن كفاءته لا يعلى عليها.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 5 مايو (أيار) 2011

القمة الورطة على بساط الريح بين معمر والمالكي

من غرائب الأحوال العربية أن «رئيس الأمة» العقيد معمر القذافي أو «معمر المحترق» يقاسي ويلات إنتقاضة عليه وأن الدول الشقيقة شبه مجمعة على ضرورة إنصرافه، كما أن المذاهب توحدت حول أن غيابه عن الساحة يحقق هدوءاً تفتقده الأمة. وبالنسبة إلى وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب من القطب إلى القطب فإنها شاركت، وكل وسيلة لدوافع تعنيها أو تعني حكومة بلدها، في حملة غير مسبوقة على القذافي وهو ما لم يتعرض له حاكم من قبل، حتى أصدقاء وحلفاء الماضي لم يساندوا ظروفه بدليل أن الرئيس السوداني عمر البشير قال لصحيفة "الغارديان" البريطانية، التي كانت معلوماتها المستقاة من صحيفة "الخبر" الجزائرية عن الثروة المليارية للرئيس حسني مبارك إحدى أكثر السهام فاعلية التي وجهت إلى النظام فأسقطته وبهدلته، إنه لن يستضيف معمر القذافي لاجئاً سياسياً لأن ذلك يسبب للسودان مشاكل مع الشعب الليبي.

وما نقصده بـ "رئيس الأمة" هو أن القذافي بحكم سيناريو إنعقاد القمة العربية الدورية وفق الترتيب

الأبجدي للدول يتراأس القمة منذ 18 مارس/ آذار 2010 حتى 27 مارس 2011، وإستضاف في «عاصمته» الخاصة به «سرت» القادة العرب في قمة إستثنائية تلت القمة الدورية. وفي القمتين لم يحالف قادة الأمة التوفيق في إتخاذ ما يُثلج الصدر العربي الذي تبين أنه كان وصل إلى مشارف الإحتقان، بدليل أن الذي بدأ في تونس كان مثل قص شريط إفتتاح إنتفاضة الشعب على حكام زاد بقاؤهم عن حدّ التحمل وحانت موجبات إزاحتهم. ومن هؤلاء الذين برسم الإزاحة بعد الرئيسين زين العابدين بن علي وحسني مبارك، الرئيس اليمني علي عبدالله صالح والرئيس الليبي معمر القذافي والرئيس السوداني عمر البشير، من دون أن يعني ذلك أن قطار الإزاحة وصل إلى المحطة الأخيرة، فما هي التطورات في سوريا تترك إنطباعاً بأن الرئيس بشار الأسد إما أن يغير جذرياً أو يجد نفسه في وضع رؤساء لم يحقق لهم التحدي مبتغاهم.

وبالنسبة إلى العقيد القذافي الذي إلتقى الجمهوري مع الملكي والثوري مع المحافظ والسني مع الشيعي على رمي نظامه بحجارة ثقيلة والإبتهاج إلى جانب «الإنساني المستعرب» ساركوزي بالأطراف التي إنتفضت على نظامه. فإنه ما دام لم يقرر الإنحناء ويسلم المقاليد بالرضى أو بالتوافق للمتفضين على نظامه، وضع القمة العربية في ورطة ليس واضحاً كيف ستخرج منها، أو هل أن في الإستطاعة الخروج ما دام ليس في «دستور» مؤسسة القمة ما يوضح التعامل مع حالة طارئة مثل أن رئيس القمة التي ينتهي أجلها ليس في وضع المتمكن من إنجاز ذلك.

زيادة في التوضيح نقول إنه بموجب الترتيب الأبجدي فإن القمة العربية الدورية يجب إنعقادها في العراق، وهناك إستعدادات بدأت في بغداد تحضيراً لإستضافة القمة مع أن الأجواء التفجيرية السائدة في العراق لا تسمح بمثل هذا الإنعقاد، وإذا كان هنالك إصرار عراقي على هذا الحق وصل إلى حد القول ما معناه إما القمة خلال شهر مايو في بغداد وإما لا قمة حتى في عاصمة أخرى، فإن القمة ستكون مجرد اسم بمعنى أن القادة في معظمهم لن يشاركوا. لكن على الرغم من إحتمال حدوث ذاك فإن العراق يتمسك بالإنعقاد وقابل بنوع من الحدة دعوة سابقة من «رئيس القمة» معمر القذافي وكانت الإنتفاضة على نظامه لم

تبدأ بعد، لعدم عقد القمة في بغداد.

وما كان يُبطنه القذافي ومن دون أن يدري أنه على موعد مع وضع أشد خطورةً وتَجَرّاً من الوضع العراقي، هو أنه ما دامت الحالة الأمنية في العراق لا تسمح بإنعقاد القمة العربية الدورية وما دام هو «رئيس القمة» بحكم إستضافة جماهيريته لقمة عربية دورية أفرزت قمة إستثنائية، وما دامت القمة الآتية (أي التي من حيث الموعد تتعقد من 28 مارس 2011 إلى 29 منه) أمامها مهمة إنتخاب أمين عام جديد للجامعة يخلف عمرو موسى (الذي يسرّ أسنانه لخوض معركة الرئاسة في مصر) فليكن في هذه الحال إنعقاد القمة في «سرت» ما دامت الأمور مهيأة ومستلزمات الإستضافة جاهزة، فضلاً عن أن العقيد القذافي ربّما عندما دعا إلى عدم إنعقاد القمة في بغداد، يبطن محاولة من جانبه لتعيين شخص بالتحديد أميناً عاماً للجامعة خلفاً لعمرو موسى، وقيل أن القذافي يرمي إلى أن يكون ابنه سيف الإسلام هو هذا «الأمين العام». من سيقبل بذلك؟

الورطة قائمة. الوضع في العراق سيئاً أمنياً للإستضافة ومع ذلك لم تتوقف عملية تحضير الفنادق وتأهيل بعض الشوارع من المطار إلى قلب العاصمة، وكذلك تجديد أثاث ومطابخ «الفيلات» لإسكان الوفود وهي عملية رصدت حكومة نوري المالكي لها حوالي نصف مليار دولار. وكان لافتاً أنه على رغم ذلك لم ينته التأهيل وفق الخطة المرسومة ثم زاد المالكي الأمر تعقيداً بموقف من أحداث البحرين ليس من الحكمة إتخاذها من جانب حكومة تسعى لإستضافة قمة ومن الطبيعي أن تشارك فيها دول النقل المالي والتأثير لدى القوى الكبرى وبالذات الولايات المتحدة.

والوضع في ليبيا أسوأ بحيث إن من المتعذر على القذافي تسليم الرئاسة إلى جلال طرابلسي فضلاً عن أن ترؤس شخصية كردية للعرب سيكون أمراً لافتاً. والتجديد أو حتى التمديد سنة واحدة لعمرو موسى أمر مرفوض عملاً بمكروهية البقاء الطويل والتوريث كما أنه مستبعد من جانب الرجل لأنه ماضٍ في تطلّعه إلى المنصب الأعلى: رئاسة مصر. وإزاء ذلك إرتأى وزراء الخارجية العرب لدى إجتماعهم يوم الأربعاء 2 مارس 2011 في مبنى الأمانة العامة في القاهرة تأجيل انعقاد القمة من 28 مارس 2011 إلى موعد أقصاه 15 مايو من العام نفسه. ومعنى هذا التأجيل أو القصد منه هو أنه خلال

فترة التأجيل هذه يكون أمر الوضع في ليبيا قد حُسم لمصلحة الإنتفاضة على نحو ما تتمنى الأكثرية العربية ليس حباً بالمنقذين وإنما كرهاً بتعامل القذافي مع القيادات العربية. وفي هذه الحال يسلم رئيس السلطة الجديدة الرئاسة إلى رئيس العراق. لكن الورطة في ظل تأجيل الإنعقاد ما زالت قائمة من حيث إن القذافي هو «رئيس الأمة» وعمرو موسى عالق في فضاء الورطة والعراق لا يملك من الأمر سوى أنه المضيف غير الواثق من أن ضيوفه قادمون أو أنه سيُسدل الستار مضطراً على مضافته لأن القادة العرب تشاوروا فيما بينهم واتخذوا قراراً بتجميد القمة الدورية لدورة واحدة أي لمدّة عام وبذلك تكون الخطوة هذه من جانبهم إلغاء لـ «رؤس القذافي للأمة» إن هو إنتهى إلى أنه مثل البشير تسبّب في أن ليبيا الموحدة باتت إثنين: ليبيا الشرقية وليبيا الغربية كما السودان الشمالي والسودان الجنوبي أو السودان الشماليين وسودان الجنوبيين الأفارقة. وفي الإنقسامين تكمن عقدة النفط. ومثل هذا الإحتمال ما كان وارداً لو أن إجتماع وزراء الخارجية يوم الأربعاء 2 مارس 2011 لم يشهد إختراقاً من جانب أربع دول هي الجزائر وسورية والسودان واليمن التي رفضت مبدأ حسم المأزق الليبي وذلك بالدعوة إلى فرض الحظر الجوي الذي أردته أميركا ودول أوروبا إنما بغطاء عربي رسمي ثم تبين أنها ليست متحمسة لذلك خشية أن تحدث على الرمال الليبية - المصرية حرب كنتك التي خاضها في الزمن الغابر الثعلب الهتلري رومل والذئب الأميركي مونتغمري. أما في الزمن الحاضر فإن الصين وروسيا في أتم الإستعداد للمواجهة إذا قرر قادة الغرب الأميركي - الأوروبي خوض الغمار معتمدين في ذلك على أحوال «معمر المحتر» ما دام مستعداً لأي رهان وأي مغامرة. ألم يقل أنه في حال إعتدي عليه، مستعد للتحالف مع بن لادن وهو الذي كان يرى أن الإنتفاضة مدموغة بـ «القاعدة» وذلك من أجل تخفيف وطأة الضربات الإعلامية تنهال عليه من كل جانب تمهيداً للإنقضاض عليه جواً وبحراً وبراً؟

نكرر القول إن القمة الدورية التي من اليسر عقدها لأنها دورية باتت مثل تلك القمم الإستثنائية التي طالما كان القادة العرب يواجهون مشقة في التوافق على عقدها. على رغم ذلك فإن المضيف العراقي يواصل

السعي لإستضافة القمة حتى إذا تطلّب الأمر عقدها في المطار أو في القصر الرئاسي في المنطقة الخضراء وبحيث يُنقل المشاركون بالهليكوبتر من المطار إلى القصر ومن دون أي مواكب على نحو زيارات المسؤولين الأميركيين للعراق. كما أن المضيف العراقي يرى أن مسألة التسلم والتسليم في حُكم المحلولة لأن عضوية ليبيا في الجامعة العربية معلّقة وبذلك فإن انتقال الرئاسة منها إلى الدولة التالية (أي العراق) يصبح طبيعياً ومن الآن وحتى الإجتماع الإستثنائي لوزراء الخارجية العرب يوم 15 مايو/ أيار 2011 لتحديد موعد جديد للقمة لا يزال العراق على حاله: مواقف سياسية لا تشجع القادة العرب على المشاركة في عاصمة بلد ما زال محتلاً، رغم وعود بعضهم بالحضور لكنها وعود غير محسومة. وأحوال أمنية لا تلائم إنجاز هذه المناسبة في بغداد. والأمانة العامة من دون أمين عام بسبب هذا الوضع. والحكومة العراقية التي تعتبر القمة فرصة لإلتفاف العرب حول العراق ترفض تجيير الإنعقاد إلى دولة أخرى بما في ذلك مقر الأمانة العامة في القاهرة. والقادة العرب لا يجذبون عقد القمة في أربيل حيث الأمن متوفر لأن في ذلك إضفاء شرعية على إستقلال كردستان العراق. والحل هو تفويض وزراء الخارجية تعيين الأمين العام الجديد مصطفى الفقي (المصري) أو عبد الرحمن العطية (القطري). ونقول تعيين لأن الأمين العام لا يجوز أن يكون نتاج منافسة وإنما بالتوافق والتراضي. وأما لقاء القادة فيتم في صيغة قمة بديلة يترأسها العراق وتنعقد في نيويورك في سبتمبر/ أيلول 2011 على هامش إجتماعات الدورة العادية السنوية للأمم المتحدة. إنها ورطة ما بعدها ورطة، أبطالها مورطون ومتورطون، وإساءة إلى العراق المتأمر المتنازع عليه بين إيران وأميركا في غياب الحضور العربي بمثل ما هي إساءة إلى الجامعة العربية كما هو تعليق القطب الشيعي عمّار عبد العزيز الحكيم على مسألة تأجيل عقد القمة في بغداد. اللهم نجنا من مفاجآت ما بعد الورطة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 12 مايو (أيار) 2011

* * *

من المصالحة الروحانية إلى المصالحة المخابراتية

في رحاب مكة المكرمة وبرعاية من الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي انتقل من الرياض إلى مكة المكرمة، ليكون بجوار الحرم الشريف، ويعزز بوجوده مصالحة الشقيقتين اللودين فتح وحماس، اتفق قطبا العمل الفلسطيني على وضع الشقاق وراءهما والوفاق أمامهما، وأقسما في ختام إجتماعاتهما يوم 8 فبراير (شباط) 2007 على مرأى من الملايين الذين تابعوا عبر الفضائيات اللقاء والإتفاق، على أن يلتزموا بما تم الإتفاق عليه. ولقد أثلج ذلك المشهد صدور أبناء الأمتين، وترك انطباعا بأن الدولة الفلسطينية لم تعد على البعد الذي كانت عليه، وإنما هي أقرب إلى المنال في ضوء إتفاق الشقيقتين الفاعلين في ساحة العمل الفلسطيني على التكاتف وتنشيط النضال السياسي، كونه يحظى بالرضا النسبي عربياً ودولياً.

لم تدم الفرحة العربية والإسلامية طويلاً بإتفاق الشقيقتين اللودين، فقد استعاد الإثنان حالة الخصام، وهذه المرة بإستعمال نعوت وأوصاف لقيت الإرتياح في نفوس الإسرائيليين الذين انزعجوا عندما حدثت المصالحة الفلسطينية في رحاب مكة المكرمة، وبدأوا منذ ذلك اليوم يعملون على تقويض ما تم إنجازه على طريق التوحد الفلسطيني، وتلتقي مع هؤلاء الأعداء مصالح أطراف عربية وإقليمية كان من واجبها تدعيم الوفاق الفلسطيني المستجد بدلاً من زرع الشقاق وإعتماد سياسة فرق تتسدد.. وبالتالي تسد. وما رأيناه على مدى أربعين شهراً تلت المصالحة في رحاب مكة المكرمة دليل على ما نقول، كما أن الله سبحانه وتعالى شهيد على أن أسوأ الأحوال الفلسطينية حدثت نتيجة عدم الالتزام بتلك المصالحة، وبالذات لأن حنثاً للقسم وعلى كتاب الله حدث أيضاً. وهذا أمر أشبه بالكبائر.

بعد ثلاث سنوات وثلاثة أشهر يستبدل الشقيقتان الفلسطينيتان اللودان الرحاب المقدسة للإتفاق بالرحاب الأمنية المخابراتية ويتم يوم الأربعاء 4 مايو (أيار) 2011 في مقر جهاز المخابرات المصرية في حدائق القبة بالقاهرة احتفال مثلث أقطابه: الرئيس محمود عباس وبعض كبار الرفاق في فتح، وخالد مشعل

وبعض كبار الرفاق في حماس، ومعهم الحليف الجهادي رمضان شلح، ووزير المخابرات المصري (في عهد ثورة 25 يناير) اللواء مراد موافي، إضافة إلى وزير خارجية تركيا أوغلو ومعظم السفراء العرب في القاهرة يتقدمهم الأمين العام للجامعة عمرو موسى، ووفود تمثل عدداً من الفصائل الفلسطينية ورموز المجتمع المدني السياسي الفلسطيني.

المصالحة الفلسطينية الثانية تدرج تحت بند للضرورة ثلاثة أحكام. فما يحدث في سوريا يستوجب على حماس إعادة انتشار سياسي. وما يحدث في المجتمع الدولي لجهة الاقتناع بتسريع صيغة الدولتين على أرض فلسطين يستوجب إعادة تعديل في النظرة الجهادية. وما حدث في مصر يستوجب مراجعة جذرية من جانب حماس. وما هو حاصل في المجتمع الفلسطيني من أراضي «سلطة رام الله» إلى أراضي «دولة غزة» يشكل عنصر ضغط على الشقيقتين اللودين من أجل الإعترا ف بإخفاق نهجيهما وضرورة التوصل وعلى قاعدة المصالحة أولاً إلى نهج جديد مشترك يتقاسم الطرفان فيه الالتزامات والتبعات، خصوصاً في ضوء الإبتهاج الشعبي غير المسبوق من جانب الرأي العام الفلسطيني بالإتفاق.

لن نتوقف عند الكلام الذي سمعناه من الرئيس محمود عباس نيابة عن فتح وبالذات قوله «إن إسرائيل كانت تتذرع بالانقسام للتهرب من المفاوضات وهي الآن تتذرع بالوحدة للتهرب من التسوية، إن أي إتفاق نهائي لن يسمح لأي جندي إسرائيلي بالوجود على أي أرض للدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة والقطاع والقدس عاصمة لها»، ومن الرئيس المنافس خالد مشعل نيابة عن حماس وبالذات قوله «إن الصفحة السوداء باتت خلف ظهورنا وتحت أقدامنا، وقررنا أن ندفع كل ثمن من أجل إتمام المصالحة وتحويل النصوص إلى واقع». أما لماذا لن نتوقف فلأننا سمعنا بعد المصالحة الأولى في رحاب مكة المكرمة كلاماً مماثلاً من حيث الروحية، ومع ذلك حدثت الصدمة في نفوسنا من الذي جرى بعد ذلك. ثم إنه مثلما أن الأعمال بالنيات فإن الأقوال والوعود بالإلتزام والتنفيذ. ومن الآن وحتى عشية انعقاد الدورة السنوية العادية للأمم المتحدة في سبتمبر (أيلول) المقبل وهي الدورة المؤمل أن تسجل مناسبتها خطوة نوعية على طريق إستيلا د الحل المتوازن

للموضوع الفلسطيني متمثلاً في إعلان مصر قيام دولة فلسطين وبمن يعترف بها من الدول حتى الآن، ستظل الأنظار من جانب أبناء الأمتين، وبالذات الشعب الفلسطيني في الداخل وفي الشتات، شاخصة نحو سلوك طرفي المصالحة الفلسطينية الثانية كي لا يصيبها - لا سمح الله - ما أصاب المصالحة الفلسطينية الأولى في رحاب مكة المكرمة، علماً بأن الالتزام بروحانية الأولى ودعماً غير محدود لها من جانب عبدالله بن عبد العزيز وإخوانه وشعب المملكة، كان سيوفر على القضية وشعب فلسطين بضع سنوات من الهوان، ولا ندري إذا كانت مخابراتية المصالحة الثانية ستعوض ما فات. الله أعلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 1 يونيو (حزيران) 2011

* * *

لحظة مفرحة في مشهد متوحش

وسط ضجيج التطورات السياسية الدموية التي سمتها العناد والأنانية وعدم الحمد والشكر والرضى والإيمان في تبذير ما تبقى من الأخلاقيات في التعامل بين بعض من هم في قمة السلطة والرعية المغلوب على أمرها والتي تحاول أن تسترد بالنضحية والخوف المكسور ما هو حق لها، تأخذ لحظة مفرحة ذات معانٍ كثيرة مكاناً لها في هذا المشهد العربي - الإسلامي الكئيب المتوحش.

هذه اللحظة تعنيني لأن رمزها الذي هو الأمير سلمان بن عبد العزيز حاضر في وجاني ليس فقط كرجل دولة يعطي الكلمة حقها إذا كانت هادفة ومصلحة وينصح من يكتبها إذا كانت جارحة ومسيئة وهو في ذلك يصحح القلم بحيث يبقى ضمن خط التجرد لا يجنح إلى الإفتراء ولا إلى تجاوز حقوق الوطن وكرامة المواطن على صاحب القلم، وإنما لأن هذه اللحظة تقوّض الحزن الدفين في صدر هذا الرجل الذي غلى جانب أنه من صنف رجال الدولة الذين هم بطيئو الغضب سريعو الغفو ومن دون أن تستوقفه مقتضيات المكانة وهذه واحدة من نقاط القوة في شخصية سلمان بن عبد العزيز أكرمه الله بالقدرة على التحمل والصب الجميل. ومن

أجل ذلك فإن رحيل الإبنين الواعدين اللذين، كما الشقيق الرائد والشقيق المثابر والشقيق الناشئ وبقية الأخوة من المستشار.. إلى الطيار.. إلى المصور الذي يصطف بجوار أهل التصوير المتميز الفوتوغرافي إلى السائرين على طريق العلوم والتخصصات، كانا منارتين ضمن منارات عربية - إسلامية في سماء الأمتين شكّل دافعاً لنا ولكل من عرف فهد بن سلمان الذي لا يتساهل في عنفوانه وأحمد بن سلمان الذي كان مجلسه وعزوبة حديثه ورقي تعامله مع الآخرين وتواضعه المستنسخ من تواضع الوالد الكريم، لكي نعتبر أنفسنا شركاء أحزان سلمان بن عبد العزيز والعائلة التي كانت سعيدة بالأبنية وبالأحفاد الأطفال الذين من حقهم التباهي بأن جدّهم هو سلمان بن عبد العزيز، ثم تشاء إرادة رب العالمين أن يرحل فهو ذات صيف كذلك تشاء الإرادة إياها أن يرحل أحمد في صيف لاحق. وهكذا تكون الحقيقة السلمانية شهدت ذبولاً؟؟ الزاهيتين وبات الأحفاد في كف الجد الذي أعطى من الحنان إليهم بقدر عطائه من الأهتمام للمسؤولية الملقاة على عاتقه، وبقدر متابعته وسخائه وإهتمامه عن طريق الأبنين سلطان وفيصل البارئ سلطان رائد الفضاء ورأئد الطفرة السياحية وواضع المملكة الأثرية على خريطة لا أثر فيها الدخان واللهب المتصاعدين من آبار النفط، وإنما لمعالم أثرية وجدت بفعل الجهد والمتابعة الدؤوبة الطريق إلى أخذ مكان في الخارطة الأثرية في العالم داخل متاحف خارج المملكة من بينها متحف «اللوfer» رمز عنوان عاصمة النور باريس متحف «الأرميناج» في روسيا الذي لا يقل رونقه عن الكرملين والذي جعلت مديره وهو الأكاديمي والباحث المستشرق الدكتور بتروفيسكي يستبق الألوof الذين توافدوا لرؤية روائع آثار المملكة العربية السعودية المعروضة ما معنا إن الروائع السعودية المعروضة ستجعل زوار المتاحف الذين طالما شاهدوا الآثار التي تدل على حضارات على مر العصور مثل الحضارة المصرية وحضارة بلاد ما بين النهرين سيعرفون الكثير عن حضارة الجزيرة العربية، كما أن الكثيرين من هؤلاء يجدون أنفسهم يميلون إلى مشاهدة هذه الآثار على الطبيعة وزيارة المملكة لهذا الغرض على نحو شغفهم في رؤية آثار مصر والعراق ولبنان وغيرها. وكلام الأثاري الروسي مدير «الأرميناج» فينسجم مع نظيره الرائد فضاءً وآثاراً وسياحة سلطان بن

سلمان التي يخصصها أمام النخبة من الزوار الروس للمعرض بالقول «ن المملكة ليست طارئة على التاريخ والمكانة التي تتبوأها اليوم هي إمتداد لإرث حضاري عريق». وفيص الذي لم يقتصر دوره في الحفاظ على ما بدأه شقيقه أحمد وإنما أضاف إلى بنیان الشركة السعودية ما جعل دورها الإعلامي يزداد تأثيراً وتصبح «الشرق الأوسط» جريدة العرب الدولية بل وجريدة التنوير في الأمة وعنصراً من عناصر التحفيز من أجل التغيير لمواكبة عصر لا مجال فيه للتبلد.

اللحظة المفرحة التي إستوقفتني ليست في معناها الاجتماعي والمتمثلة في أن العائلة بكبيرها سلمان وحوله الأبناء والأحفاد كانت تنوب عن الحاضر الغائب فهد بن سلمان بزفاف كريمته على الأمير طلال بن عبد العزيز بن بندر وذلك في حفل أقامه يوم الجمعة 27 مايو/ أيار 2011 الرائد الأمير سلطان ذلك الشقيق الذي يفقد وبقيّة الأشقاء والأخوان والشقيق الأكبر الذي رحل وهو في رونق شبابه. ومع أن مناسبات فرح سبقت هذا الفرح إلا أن زفاف الإبنة التي تركها والدها طفلة عندما شاءت إرادة الله إنتقاله إلى رحابه باتت عروساً يحيط بها عشرات الأشقاء والشقيقات من جيلين يسعدون بحنو جدهم سلمان بن عبد العزيز لهم ويسعد هو من جانبه بأن شجرة هذه العائلة تثمر بما يعوض يخفف من مرارة الحزن على الراحلين.

ولعلها من خير الصدف أن الفرح بزفاف أبنة الحاضر الغائب الأمير فهد تلتها المناسبة العربية الإعلامية الرائدة المتمثلة في تخريج الدفقات الأولى من الطلاب الملتحقين بمعهد الأمير أحمد بن سلمان للإعلام التطبيقي وهو المعهد الذي أنشأه الأمير الدكتور فيصل بن سلمان الشقيق البار للحاضر الغائب الأمير أحمد الذي رحل هو الآخر من عز الشباب. وهؤلاء المئة من الخريجين هذا العام سيذكرون بالترحم حامل إسم هذا المعهد الذي دشنه الأمير سلمان قبل ثلاث سنوات وسيشعرون بالطمأنينة لأن الذي دشّن ورعى هو أحد رموز البنيان الإعلامي العربي كوسيلة للتنوير وليس للتخريج والمكيدة وإطلاق الكلام الذي يفرق بدل أن يوحد، ويزيد الجراح نزفاً بدل من أن يلامها. وعندما بادر الشقيق البار الدكتور فيصل وأنشأ هذا المعهد الذي لا معهد مثله في العالم العربي، فإنه كان بذلك يكرس معنى إهتمام الشقيق الراحل الذي يواكب التطور السريع

للحالة الإعلامية في العالم. كما أنه بما فعل كان ينشئ جيلاً من الإعلاميين للألفية الجديدة يتباهون وهم يملأون إستمارات السيرة الذاتية من خريجي "معهد الأمير أحمد بن سلمان بما يعني ان مثل هذا التخرج سيميزهم عن متقدمين آخرين.

وكما ان لحظة الفرح الأولى ذات الطابع الاجتماعي بالإنفاق جيلين من أبناء وأحفاد حول جد كثير التميز كرجل دولة وبالذات عند إستتباط الأفكار التي تساهم في صياغة القرار المتوازن في زمن الأزمات الصعبة، خفتت من النفس شدة الإشتياق إلى الحاضر الغائب الأمير فهد، فإن لحظة الفرح الثانية ذات الطابع الفكري المتمثلة بأن المعهد الحامل إسم الحاضر الغائب الثاني الأمير أحمد بات مشروع منارة تنقيفية إعلامية للحالة العربية تجعلنا نحن الذي فتح لنا أحمد بن سلمان صفحات الشرق الأوسط لأقلامنا مستندين معه إلى أن كبيرنا الأمير سلمان فتح لنا صدره الذي حتى عندما يعتب صاحبه فإنه لا يضيق بما نكتب ونجتهد، نرى في هذا الوقت الذي ينجزه فيصل بن سلمان وآخ الإنجازات القطف الأول لموسم العطاء في معهد الأمير أحمد، إنه يمثلنا وبما يجعلنا نشعر إننا شركاء هذه الفرحوة المزدوجة تحدث بينما حالات التوحش على أشدها من سورية إلى ليبيا إلى اليمن وقبلها تونس ومصر والبحرين والعراق على مدار الساعة وفلسطين ولبنان والأردن والسودان من حين إلى آخر. ومثل هكذا لحظة مفرحة تجعلنا نرى أن بعض التأمل في هذه الدنيا كفيل بجعل بني البشر يقتنعون بالقول المأثور «لا راحة في الدنيا. ولا حيلة في الرزق. ولا شفاعة في الموت. ولا راداً لقضائه».

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ يونيو (حزيران) 2011

قبل أن يفوت الأوان ويندم بشّار

قياساً بطبائع السنّ الشّبابيّة وبنوعيّة النظرة إلى الحياة وأسلوب التعامل مع الآخرين وكذلك الوقوف على تقاليد مجتمعات تنبذ العنف وتؤمن بالديموقراطية وفقاً لقاعدة الحق والواجب من جانب الفرد مواطناً عادياً كان

أو مسؤولاً، ووفقاً لمبدأ الثواب والعقاب يبدأ على من هم في القمة ويصل إلى بقية عباد الله... قياساً بهذه الأمور وغيرها كثير، فإن من المفروض المأمول في الدكتور بشار الأسد أن يكون منتصباً إلى الجمهور العريض الذي يطالب بالتغيير والحياة الكريمة وبسلطة القانون المتجرد بديلاً لسلطة الأمن المتجبر.

وفي تقديرنا إن الترحيب الشعبي السوري والعربي عموماً بتوليّه الرئاسة كان على الأساس الذي نشير إليه. فهو شاب فيما الأنظمة العربية محكومة بقيادات طال مكوثها وتكدست أخطاء إدارتها السياسية وإتسعت مساحة الفساد والإفساد، ولأنه شاب لا يمكن أن تكون عقليته مثل عقلية شُيَاب حُكَّام كثيرين، أي بما معناه إنه سينهج نهج التغيير نحو الإصلاح في الحد الأقصى أو مباشرة التصحيح خطوة خطوة تقادياً للصدمات وربما للمفاجآت. وعندما يفعل ذلك في سوريا فإن حُكَّاماً كثيرين سيحذون حذوه كي لا نقول شعوبهم إننا نريد من حاكم وحكومات وبرلمان بلدنا ما يحدث في سوريا.

الذي فاجأ أبناء الأمة أن الدكتور بشار بعدما بات رئيساً لم يعتمد المأمول منه، لكن نوعية حياته الخاصة وإطلاقاته العفوية على الناس في مطاعم أو مناسبات ذات طابع إجتماعي، وكذلك مشاركة زوجته في نشاطات علمية، تركت إنطباعاً مفاده أن هذا الرئيس الشاب يستحضر بعض ما رآه واكتسبه وعاشه خلال إقامته في لندن فيحاول أن يراه سائداً في سوريا. لكنه يجد على ما يجوز الافتراض نفسه متجاوزاً مع التنظير الأمني الذي يقوم على التحذير مما هو أعظم، مع أن مبدأ الثواب والعقاب وفق سلطة القانون تغني عن هذا التنظير. أليس الذي حدث على سبيل المثال للرئيس عبد الناصر في مصر تأكيداً لما نقول؟

عندما بدأت رياح التغيير في تونس إفتراضنا أن الرئيس بشار سيعيد النظر في أمور كثيرة وذلك على أساس أن واقعة بسيطة حدثت جعلت الهيلمان الأمني لحكم الرئيس زين العابدين لا يشكل الردع للإنتفاضة الشعبية. كذلك إفتراضنا أن الإحتكار العائلي للمكاسب والمناصب لا يشكل دعماً للألوف الغاضبة التي نزلت إلى الشارع. وبعد الموقف الذي إتخذه الجيش في تونس بات واضحاً كل الوضوح أنه حتى الجيش في أكثريته بات يضيق ذرعاً بالحاكم وأنه فقط في حالة إنتظار للسبب الموجب البعيد عن الصفة الإنقلابية لكي يعبر

عن ضيقه. ثم جاءت الإنتفاضة وحقق الجيش مبتغاه: ليس شريكاً في الإنتفاضة لكنه في الوقت نفسه ليس حامياً للحاكم. وفي لمّح البصر بات زين العابدين، الذي مارس من القهر للزعيم السلف بورقيبة ولسياسيين رجال دولة محترمين مثل محمّد مزالي، خارج البلاد غير مأسوف عليه ولا على الحزب الذي وظّفه كغطاء لزعامته وليس من أجل خدمة البلاد والعباد.

وعندما عصفت رياح التغيير بالنظام في مصر إفتراضنا أن الرئيس بشار الذي لم يتأمل بما فيه الكفاية بما جرى في تونس ستكون الحالة المصرية أمثلة من مصلحته التأمل في كلّ نواحيها لا أن يقتصر التأمل على نظرة كيدية إلى حد ما كأن يقال في سياق تنظيرات بعض المحيطين بالرئيس بشار إن الذي جرى في مصر هو بما معناه وضع السياسة العربية لمصر على السكة نفسها للسياسة السورية. وهذا يعني أن المشكلة في سوريا لا تتجاوز ما لخصه عبدالله الدردري نائب رئيس الوزراء عشية اليوم الخامس للتظاهرات المستمرة في درعا بالقول «إن مطالب المواطن هي مطالب بسيطة فهو يريد زيادة الرواتب والعمل وأن يُعامل بطريقة لائقة في أي مؤسسة وأن تكون هناك شفافية في التعامل مع المواطنين». ثم أكّدت ذلك في اليوم التالي الدكتور بئينة شعبان التي أشارت إلى إجتماع للقيادة القطرية لحزب البعث ترأسه الرئيس بشار وإنتهى إلى أن الرئيس في صدد محاربة الفساد ودراسة إنهاء العمل في قانون الطوارئ وإعداد مشروع لقانون الأحزاب وآخر للإعلام. وقرّن الرئيس النية للإصلاح بإصدار مراسيم تشريعية تقضي بزيادة الأجور والرواتب والمعاشات وتعديل معدل الضرائب بحيث يتم رفع الحد الأدنى المعفى من الضريبة من الدخل الصافي. لو كانت هذه هي المطالب التي يتطلع إليها السوريون بأمل إلى الرئيس بشار كي يحققها، لما كان هناك موجب للتطورات المؤسفة والدائمة والتأديبية التي حدثت وبدا فيها منطق السلطة الأمنية والعائلية والحزبية متقدماً على منطق النوايا البشّارية، ولما كانت المطالب تستوجب غرفة عمليات عسكرية وإنما خلية أزمة، ولما كان اللجوء إلى الدبّابات هو بديل اللجوء إلى لقاءات يدعو الرئيس إليها وتحت خيمة الوحدة الوطنية. ومن المؤكد أن هذه اللقاءات كانت ستنتج وفاقاً يؤسّس للعملية الإصلاحية خصوصاً أن بشار الأسد هو بحكم المنصب رئيساً لكل السوريين

وليس لحزب البعث الحاكم فضلاً عن أن التطورات التي سبقت الإضطرابات السورية، في كلٍّ من تونس ومصر حيث الحزب الواحد هو الحزب الحاكم أثبتت أن الحزب المستأثر يتهاوى في لحظة إتساع الغضب الشعبي ولا يعود يفيد الرئيس حتى إذا كانت الحال شبيهة بالظاهرة اليمينية حيث الرئيس علي عبدالله صالح يقاوم الأحزاب المعارضة بحزبه الموالي له والباقي على هذا الولاء حتى إشعار آخر.

يزداد المرء مثل حالنا تأملاً في المشهد السوري ويلأزمه الإستغراب كيف أن الرئيس بشار لا ينحاز إلى الذين رأوا فيه لجهة العمر الفتي والمعاشية خارج التقاليد الموروثة وبذلك لا يعود أسير مفاهيم من شأنها تعقيد الأمور وزيادة منسوب النزف. وقد نجد من يرى أنه قد فات الأوان، لكنني من الذين يرون أن لحظة صحوه كفيلة بجعل هذا الرئيس الشاب ينتقل من سرداب غرفة العمليات إلى التشاور تحت خيمة خلية أزمة يصغي فيها كثيراً ويأخذ بالحل الذي يبقيه رئيساً لكل السوريين وليس لحزب دون سائر الأحزاب وعائلة دون سائر العائلات وطائفة دون سائر الطوائف ودولة في المحيط الإقليمي دون سائر دول المنطقة وخاصة الدول الشقيقة. وبالتأمل العميق لما أصاب زين العابدين تونس ومبارك مصر وصالح اليمن ومعمّر ليبيا وكذلك في المصير الذي إنتهى إليه بن لادن تتأكد حقيقة الحقائق وهي أن في التفهم السلامة وفي العناد الندامة. ومرة أخرى نقول: لا بدّ من وقفة قبل أن يفوت الأوان.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 9 يونيو (حزيران) 2011

جنرالان... وتفريطان

أفترض أن الرئيس علي عبدالله صالح كان في قرارة نفسه، بعدما رأى للمرة الأولى صورة ما أصاب وجهه في حادثة إطلاق قذيفة عليه خلال تأديته الصلاة في «جامع النهدين» داخل القصر الرئاسي في صنعاء يوم 3 يونيو/حزيران 2011، يقول: لعنة الله على الساعة التي غاب فيها التعقل وحلت محلها الغفلة وبقي العناد مُستحكماً في لغة التعبير. كما من الجائز الإفتراض أن الرئيس اليمني كان يلوم نفسه الأمارة بالسلطة والحكم ويقول: ماذا دهك يا رجل. لقد جاءك الحلّ يطرق باب ديوانك مرقفاً

بالتمنيات أن تتقي الله في ما تقوم به وتترك المسألة لليد الأمانة التي إذا ضمنت تلتزم وإذا وعدت تقي، وهذه إحدى شمائل الملك عبدالله بن عبد العزيز كبير الجمع الذي عزّ عليه بقاء الضجيج اليمني على حاله فلا هذا الطيف يتفهم، ولا ذاك يتراجع، وفي ظل عدم التفهم والتراجع نزف دموي ومعنوي ومالي وعداوات قد يصعب مداواة جراحاتها في النفوس. ما الذي جعلك تنقلب وتنسى الحقيقة الأزلية وهي أنها ما دامت لغريك حتى تبقى لك. ثم هل يستحق الحكم مثل هكذا حالة أصابتك؟

كذلك أفترض أن الرئيس علي عبد الله صالح بعدما شاهد على الشاشة في جناحه في المستشفى الشريط التلفزيوني راح يسأل نفسه: إذا كنت يا رجل لا تتحمل رؤية شكك الذي بُتّ عليه، فكيف هو يا ترى ردّ فعل الناس في اليمن الذي كان في مقدورك مداواة علته من خلال تحييد شخصك كرئيس يعتبر السلطة إقطاعاً له والتصرف كموفق بين الناس وإعطاء أمثلة في إثارة الوطني على الشخصي وبذلك كنت ستفقد منصباً شغلته أصلاً بضعة عقود وبات ملولاً منك.. هذا إذا لم تكن أنت بدأت ضمناً تشاطره الملل، لكنك كنت ستبقى كمرجعية تُؤقّق في ما بين المتصارعين على السلطة مستنداً في ذلك إلى خبرة السنين بخلوها ومُرّها.

بعد الذي جرى فإن العودة إلى كرسي الحكم ضررٌ وليست ضرورة. وبعد الذي جرى فإن ساعات بجوار الحرم أو مثوى الرسول الكريم، تبقى أفضل من سنوات رئاسية محفوفة بالمكائد والمكامن والمخاطر. وأما الحديث عن إستعداد لإقتسام السلطة في إطار الدستور وبرنامج مشترك فإنه حديث المضغوط على لسانه من المهدئات والمجملات للوجه والعنق والصدر واليدين التي إمتلأت بها الشظايا والفسفور الحارق.

ويبقى القول إن الرئيس علي عبدالله صالح هو ابن المؤسسة العسكرية، ومن هذه حاله يكون الخطر ماثلاً في إستمرار أمامه والموت وارداً دائماً، ولذا فإن نظريته إلى الدنيا تكون نظرة المتقبل ما يكتبه الله له.. صولة هنا أو كره هناك أو خلال موقعة يكثر فيها الكرّ والفرّ، إصابة خفيفة كان المكتوب أو مقتلاً بفعل قذيفة صاروخية أو لغمّ مزروع. لكنه في الذي جرى له يتصرف كمن نسي النشأة العسكرية وبات كرئيس للبلاد لا يرى الأمور بالنظرة نفسها. وعلى هذا الأساس فإنه إذا عاد سيتعب ويتعب خصوصاً إذا هو عاد لينتقم مما أصاب

الوجه والهيبة معاً.

وأفترض أن جنرال «الإنقاذ» الرئيس عمر حسن البشير أمضى بعض الوقت يوم الجمعة 8 يوليو/ تموز 2011 وربما بعد صلاة الفجر يحاسب نفسه على الذي باتت عليه الحال وخُلاصتها: ختامها بدل المسك إنكسار السودان قطعتين. وقد نجده يُخاطب النفس قائلاً: ما الذي فعلته يا رجل. تحاول إقناع نفسك بأنك فعلت الصواب وتحاول إظهار الروح الرياضية في مثل هذه المناسبة. بل إنك في إحتفالات ولادة السودان الجنوبي تبدو مثل زوج يشارك مطلقة في مهرجان طلاقها منه والذي كان خلعاً أكثر من أن نعتبره طلاقاً. وبهذا التصرف تبدو كمن يريد القول إنه طلاق على طريقة حلفان السوداني اليمين بالطلاق، أو إنه طلاق بالفعل لكن الذي سيحدث لاحقاً هو أن المياه ستعود إلى مجاريها وأن إيجاد «الزوج - الجسر» للعودة ممكن... إلا إذا سَبَقَ الإمام السيد الصادق المهدي إلى «مصاهرة» الكيان الجديد وإلا فما معنى إستباق الأمور بالإعلان عن مهر سخي قوامه إتفاقية من سبعة عشر مبدأ كفيفة بـ «زواج كاثوليكي» بين «أمة» الصادق و«سودان» سيلفاكير الذي يُخشى أن يكون طريدة دسمة للقناص الأميركي - الإسرائيلي وهذا أمر من شأنه تقويض حُلم السيد الصادق.

مهما قيل من تقسيرات من جانب المنظرين في «الإنقاذ» تبقى الحقيقة الأساسية أن هذا «الإنقاذ» تسلم وطناً موحداً لكنه بعثه. وكان وحده المُبعث لأنه أبقى سائر أطيايف السودان بعيدة عن الأمر وبذلك تصرّف وكما لو أنها صفقة شبيهة في بعض جوانبها بصفقة «كامب ديفيد» التي أبرمها الرئيس (الراحل) أنور السادات منفرداً مع إسرائيل وفي اعتقاده أن «خيرات» العم سام ستجعل شعب مصر مُمتناً، كما ستجعل الأشقاء العرب مأمورين بالإرادة الساداتية. وفي أجندة العقود التي أعقبت إبرام الصفقة ما يؤكد أن ما اعتقده السادات سيحصل من أميركا وما يعتقده «الإنقاذ» عند إبرامه إتفاق كسر «القارة السودانية» نصفين، ما يبيّن نسبة ضحالة الحسابات. فهذا السادات هوى في لحظة بدا فيها وهو يحتفل بذكري إنتصار أكتوبر أن «العم سام» سيُصدق عليه ما يجعل بقية العرب يحسدون مصر المحروسة على ما حقّقه «حكمة» رئيسها. وهذا جنرال «الإنقاذ» يُكافأ من أميركا التي زينت لنظامه محاسن السلام مع الجنوبيين، بالمطاردات الجائرة وأحدثها وربما أخيرها عندما يمم الوجه

شطر الصين وأمضت طائرته تجوالاً في سماوات ثلاث دول إسلامية رفضت عبورها، وبإخضاعه إلى خطوات لا يريدونها هو لنفسه ولا يريدونها الشعب السوداني لرئيسه ولتاريخ السودان. ومن هذه الخطوات ما أشرنا إليها وهي مشاركة «مطلقة» أو «خالقة» في مهرجان الخلع وبصرف النظر عما إذا كانت المشاركة سببها أحد خيارين أحلاهما مر.

من التطورات التي أبعدت عن «الفعل الإنقاذي» عتب الغريب وغضب القريب أن فورة شعبية، يطيب للبعض إعتبارها ثورة، حدثت في تونس أعقبتها فورة أخرى في مصر فصار التطلع من جانب الرأي العام العربي منحصراً بالفورتين بدل التفكير بما حدث للسودان وكيف أن وطناً إنكسر إثنين. وهذا التطلع الطبيعي وفق قاعدة الأهم يتقدم على المهم تماماً على نحو ما حدث للبنان الذي أشعلوه في منتصف السبعينات حرباً أهلية بالغة الضراوة فصار من الطبيعي تطلع الرأي العام العربي إلى الصولات والجولات الدموية بين أبناء الوطن الواحد، بدل التعمق في ما يفعله السادات. ومع الحدث السوداني تكررت المسألة. لكن ذلك لا يلغي حقيقة أن الأمة التي طالما عاشت أياماً سوداء في تاريخها المخضرم إستقبلت يومين بالقتامة نفسها هما: يوم الخميس 7 يوليو وفيه أطل الرئيس علي عبدالله صالح عبر شاشة تلفزيونية بعد تسجيل متعوب عليه لإخفاء التشوهات، وكأنما هو صاحب مطحنة يغطي غبار الطحين قسماً وجوه صاحبها والعاملين فيها، ليدعو إلى حل على مبدأ الشراكة. ويوم السبت 9 يوليو الذي إحتل فيه «الإنقاذ» بأول حالة طلاق كيان من نفسه وفي طوقس يحاول «الإنقاذيون» إعتبارها عملاً صالحاً يقربهم من نعيم الآخرة. ويا ليت الإثنان الجنرالان اليمني والسوداني يعتذران على الأقل مما تسبّب به الأول وما فعله الثاني. وكلاهما تفرّط بوطنين في سبيل رهائين خاسرين أصلاً.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 14 يوليو (تموز) 2011

وصفة الحكيم المداوي

كلمة الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى «الأشقاء في

سوريا العروبة والإسلام» يوم الأحد 7 أغسطس (آب) 2011 تأتي بمثابة نصيحة تقال عبر الأثير بعدما لم يحدث الإصغاء المسؤول للنصائح المتتالية عبر الرسل، كما أنها تأتي ضمن روحية نصائح خادم الحرمين الشريفين وتمنياته وتحذيراته، وكذلك نقده للذات العربية على مستوى أهل القرار، بدءاً بالكلمة التي ألقاها لدى افتتاح القمة العربية الدورية برئاسته في الرياض يوم الأربعاء 28 مارس (آذار) 2007 وكذلك «إعلان الرياض» الصادر عن هذه القمة حافلاً بالتنبيه المرفق بالنصيحة، ثم في كلمته في الجلسة الافتتاحية للقمة الاقتصادية العربية في الكويت يوم الإثنين 9 يناير (كانون الثاني) 2009 التي اقتحم بها الجدار الصلب للخلافات، فأحدث بذلك مشاعر من الإرتياح في نفوس الرأي العام العربي الذي ضاق ذرعاً بالتوترات الناشئة عن نوايا لا يتأكد حسننها ووعود لا يتبعها إلزام الواعدين بالتنفيذ. ففي القمة العربية الدورية الأولى يستضيفها وقد بوع ملكاً خلفاً لأخيه طيب الذكر الملك فهد بن عبد العزيز، لم يشأ ترك الكلام غير المسبوق يقوله في الجلسة المغلقة تقادياً لإحراج متعدد الاتجاهات، وإنما تعتمد إبلاغ إخوانه القادة المشاركين في القمة بأنه، ببعض العبارات التي يسمعونها منه، ينوب عن الرأي العام العربي في ذلك.. وبالذات عبارة «منذ أكثر من 60 سنة أنشئت الجامعة العربية لتكون نواة للوحدة العربية الحقيقية، وحدة الجيوش ووحدة الاقتصاد ووحدة الأهداف السياسية، وقبل ذلك وحدة القلوب والعقول. والسؤال: ماذا فعلنا طيلة هذه السنين لحل ذلك كله؟ إن اللوم الحقيقي يقع علينا نحن قادة الأمة العربية؛ فخلافتنا الدائمة ورفضنا الأخذ بأسباب الوحدة.. هذا كله جعل الأمة تفقد الثقة في مصداقيتنا وتفقد الأمل في يومها وغداها». وعبارة «إنني على الرغم من أسباب التشاؤم متمسك بالتفاؤل، وأول خطوة في طريق الخلاص هي أن نستعيد الثقة في أنفسنا وفي بعضنا البعض، فإذا عادت الثقة عادت معها المصداقية». أما العبارة التي تلخص واقع الحال وتعني النظام البشاري فهي: «وإذا عادت المصداقية هبت رياح الأمل على الأمة، وعندها لن نسمح لقوى من خارج المنطقة أن ترسم مستقبل المنطقة ولن يرتفع على أرض العرب سوى علم العروبة».

كما أن الملك عبدالله تعمد أن تكون كلمته في القمة

الاقتصادية العربية أيضاً على الملأ ونيابة عن الرأي العام العربي من المحيط إلى الخليج وليست فقط أمام إخوانه القادة المشاركين في القمة.. بل حتى ليست أمام بعضهم في سياق لقاء تشاوري في الكواليس. وإذا جاز الافتراض فإن الملك عبدالله أراد في تعميم كلمته، ومن دون أن تنتقص المفردات من قامته ومن مقامه، إشهاد القادة المشاركين والرأي العام العربي على ما قاله، وبالذات العبارة التي غدت مضرب المثل في تجاوز الإساءة الشخصية من أجل استعادة التماسك للصف العربي الذي بدأ يتصدع. والعبارة هي: «اسمحو لي أن أعلن، باسمنا جميعاً، أننا تجاوزنا مرحلة الخلاف وفتحنا باب الأخوة العربية والوحدة لكل العرب دون إستثناء أو تحفظ، وأنا سنواجه المستقبل بإذن الله نابذين خلافتنا، صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، مستشهدين بقوله تعالى: «... وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...».

ما قيل عبر الأثير من على منبر القمة العربية الدورية في الرياض ثم من على منبر القمة العربية الاقتصادية في الكويت كان تنبيهاً ونصيحة في الوقت نفسه. وكان التنبيه والنصيحة حاضرين فيما قاله «فلسطين فتح» و«فلسطين حماس» عندما سعى لجمعهما في رحاب مكة المكرمة (6 - 8 فبراير - شباط 2007) على موقف سواء، و«لبنان السوري - الإيراني الهوى» و«لبنان المستقوي بالتفهم العربي الدولي» عندما اصطحب الرئيس بشّار إلى بيروت في لفظة غير مسبوقة في الحياة السياسية العربية، بإستثناء اصطحاب الرئيس جمال عبد الناصر للنجم الفلسطيني النضالي البازغ حديثاً ياسر عرفات لتقديمه إلى قادة الكرملين الذي لم تتل القضية من «قياصرته الحمر» وحتى من الحقبة الروسية الحالية سوى النزر اليسير مما في الاستطاعة تقديمه. ولقد افترض خادم الحرمين الشريفين أن هذا الاصطحاب إلى بيروت هو النهاية السعيدة لتتويج السعي لتبادل التقبل المأمول: تقبل النظام البشاري «لبنان الوطن الهادئ البال» بدل أن يبقى «لبنان الورقة غير المستقر» أو «لبنان السليب» بمفهوم النظرة السورية الأسدية، والذي لن يهدأ بال الرئيس بشّار وبما يمثل إلا في إستعادته عبر قوى لبنانية متهاكة في ولائها الخارجي رخوة في ولائها الداخلي. وتقبل الجمع العربي والمجتمع الدولي للنظام البشاري ما دام إختار هذا التوجه ومساعدته خليجياً

ودولياً على إنجاز حالة نهوض في تنمية المجتمع السوري الذي بدأ يشكو من متاعب معيشية إلى جانب الشوق الدفين إلى حياة سياسية يمارس فيها المواطن حريته المسؤولة ومن دون الخشية المترسخة في النفوس من القبضة الأمنية. ولكي يتأكد النظام من مفاعيل التقبل المتبادل المشار إليه، فإن إستثمارات خليجية أخذت طريقها على وجه السرعة إلى دمشق وبعض المدن السورية وأخذت بعض وفود أميركية وأوروبية طريقها أيضاً إلى دمشق، لكن الذي حدث هو أن النظام استعمل هذا الإهتمام الخليجي - الدولي ورقة للحصول على تعهد من النظام الإيراني الصديق بأنه مقابل أن تستمر العلاقة الإستراتيجية مع الثورة الإيرانية على حالها يستعيد الفضاء السوري طائره اللبناني الذي انتقل في لحظة عاصفة إلى التعزيد في فضاء العم سام وشركائه في السرب الدولي. وفي تقديرات الرئيس بشار فإن الصديق الإيراني قادر على ذلك نتيجة أن ورقة حزب الله هي الأقوى والأكثر تأثيراً في لبنان. لكن التعهد بالإعادة يقابله تعهد بالمقابل من النظام البشاري بالإبقاء على مسافة قريبة من إيران بعيدة مما سعى إليه الملك عبدالله بن عبد العزيز ولخصها وبما لا يكون هنالك أي عسر في تفسيرها، بعبارة «وعندها لن نسمح لقوى من خارج المنطقة أن ترسم مستقبل المنطقة ولن يرتفع على أرض العرب سوى علم العروبة».. قالها في «قمتة العربية الدورية» في الرياض بعدما تسلم مقاليد الحكم. وهنا وجد الرئيس بشار نفسه لا مع نفسه بخير ولا مع الصديق السعودي بخير. كما وجد نفسه أسير معادلة صعبة ليس من السهل حلها على الطريقة التي كان يعتمد عليها والده الرئيس الراحل فكان الاختلال الصاعق المتمثل في الانقضاة المتدرجة على النظام. الآن ونحن نتأمل في الذي يحدث في سوريا مستحضرين مواقف المملكة العربية السعودية من «سوريا الأسد الأب» ثم من «سوريا الأسد الابن» من خلال ما قيل على لسان الملك عبدالله بن عبد العزيز بالذات، نتساءل: لماذا لم يرَ الرئيس بشار في حرص الملك عبد الله ونخوته ما يشكل منذ اللحظة الأولى لتسلمه الرئاسة وريثاً لوالده، الضمانة لتقويم نهج لا بد من تقويمه وتشكل وفاة الرئيس الأب إختراقاً لاستحالة التقويم، في حين أن التقويم من جانب الأسد الابن بشار يشكل تحصيناً لحكمه بحيث لا تعود النظرة إليه أنه امتداد من النقطة

التي بدأت برحيل والده وستتواصل مع توريث ابنه أي (حافظ الأسد الحفيد).. وهكذا؟ وذلك على أساس أن التوريث صعب في البداية، أي عند حدوثه، أما بعد استقرار المحاولة الأولى فإن الناس تعتاد على ذلك. هذا هو الحاصل في كوريا النووية شبه المهجورة في عالم يتطور. لقد قيل للرئيس بشار، وبما لا يتطلب الكثير من التعمق في قراءة الكلام بشكل غير مباشر، ما من شأنه أن يقيه متاعب حدثت وتحولت إلى تعقيدات بعدما اختلطت الهتافات بالقذائف بالدماء وترك الأمر للغوغاء الأمنية تعالج ما يتطلب علاجه بالتعقل. وعندما ضاقت مساحة الصبر وكادت فسحة الأمل تندثر، جاء الملك عبدالله بن عبد العزيز يستدعي السفير وليس يسحب، ويقول كما علاجاته، كحكيم واسع الصدر كاتم الغيظ متجاوز إساءة تأتي بالإنفعال أحياناً وبالأقوال أحياناً أخرى، للأزمات عند إستعصائها وعلى الملأ عبر الرسالة المذاعة ما من شأنه أن يكون علاج مرحلة ما قبل الترنح: «إن ما يحدث في سوريا لا تقبل به المملكة العربية السعودية؛ فالحدث أكبر من أن تبرره الأسباب، بل يمكن للقيادة السورية تفعيل إصلاحات شاملة سريعة، فمستقبل سوريا بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن تختار بإرادتها الحكمة، وإما أن تتجرف إلى أعماق الفوضى والضياع لا سمح الله». وهو لا يطلب ذلك متأخراً، وإنما بعدما بات واضحاً أن الاتي ربما يكون أعظم؛ ذلك أن «أعماق الفوضى والضياع التي ينه من تداعيات حصولها الملك عبد الله بن عبد العزيز» أشقاءنا في «سوريا العروبة والإسلام» مع لفت إنتباه رقيق إلى «مواقف المملكة العربية السعودية في الماضي مع سوريا الشقيقة شعباً وحكومة»، ربما تكون انقساماً عسكرياً ومناطقياً، لا قدر الله. وتلك لحظة زلزل الأرض السورية فيها زلزالها، بحيث تنقسم إثنين، وإذا حدث ذلك فإن نزعة التقسيم في لبنان تصبح بطبيعة الحال محتملة الحدوث. وهذا يفسره انضمام سلاح النفط والغاز تحت الماء مؤقتاً إلى السلاح الآخر على الأرض دائماً، على نحو ما قرأناه بين سطور كلمة الأمين العام حزب الله السيد حسن نصر الله يوم الثلاثاء 26 يوليو (تموز) 2011 في مهرجان «الكرامة والانتصار» لمناسبة الذكرى الخامسة «حرب يوليو 2006»؛ حيث قال أمام حشد ألوف: «يوجد لدى لبنان في مياهه الإقليمية على الحدود بين لبنان وفلسطين المحتلة ثروة هائلة من النفط

والغاز تقدر بمئات مليارات الدولارات. ومن يمكن أن يعتدي (رسالة إلى إسرائيل) على منشآت النفط والغاز للشركات التي تريد أن تأتي وتعرض مناقصات مع لبنان وتبدأ بالتقيب والإستخراج، عليه أن يعلم أن لبنان قادر على حماية ثروته (يقصد أن المقاومة جاهزة للرد)». ومعنى كلام السيد حسن الضمني وتعزيز هذا الكلام من جانب بعض رموز الحزب وعلى إختلاف مواقعهم القيادية، أن مياه البحر حيث النفط والغاز هي امتداد لأرض المقاومة. وكما الأرض في عهدة سلاح حزب الله، فإن المياه وما تحتها هي في عهده أيضاً. وهذا يعني في حال زلزلت الأرض السورية زلزالها وانقسمت سوريا اثنتين ولم تعد سوريا البشارية الممر الإستراتيجي حزب الله والمقر الأمن لغرفة العمليات السياسية والتخطيطات لخريطة المنطقة بالمفهوم الإيراني الطموح، أن ينقسم لبنان اثنتين أو أربعة ويصبح حال ثروة النفط المليارية توأم ثروة النفط السودانية التي بسببها انقسم السودان، وكانت حصة المنقسم وهو الجنوب هي المجزية نفطاً كما ستكون حصة الجنوب اللبناني في حال لا قدر الله حدث الانقسام هي المجزية.. مع إختلاف الطرف المقدر للحماية، حيث أميركا بالنسبة إلى الجنوبيين في السودان بينما هي إيران بالنسبة إلى «لبنان الجنوبي» بافتراض أن إيران ستجوز من المكيدة التي ينسجها المجتمع الدولي في غرفة العمليات الأميركية. والله أعلم. ومن شأن الأخذ وبمسؤولية بالوصفات المتتالية للحكيم المداوي عبد الله بن عبد العزيز يمكن تقادي ما سيحدث بعدما حصل المبعوض المتواصلة تداعياته حتى الآن في ليبيا واليمن وسوريا.. مع ملاحظة أنه في حال شفاء سوريا تتعافى المنطقة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 13 أغسطس (آب) 2011

* * *

مقايضة.. فتعوم «مصر الثورية»

على هامش المتابعة بالكثير من التأمل الممزوج بالكثير من الإحباط والكثير الكثير من مشاعر التفجع، لما يحدث في الأمتين العربية والإسلامية، يستغرب المرء كيف أن

الذين في قمة المسؤولية واتخاذ القرارات لا يراعون أننا في شهر الرحمة والتراحم والشهر الذي من مصلحة من يمسك بمقاليد السلطة أن يستحضر من العبر ما يقلل عن عينيه لاحقاً العبريات. ومن هذه العبر أنها لن تدوم لحاكم كونها لم تدم لغيره، وأن الذي يبقى هو الفعل الحسن والمعاملة الطيبة والإيمان بالوطن ونبذ عبادة الشخص لنفسه والتصرف على أنه فريد زمانه وأنه إحدى نعم الله سبحانه وتعالى (هو يفترض ذلك) خصّ بها شعب هذا النرجسي.

وإذا كان الحاكم لا يراعي في بعض أشهر السنة الأمور التي يؤخذ عليه عدم مراعاتها، فإن عليه بالنسبة إلى شهر رمضان بالذات وكذلك شهر محرم، إعتبارهما الفرصة التي لا تعوض يغسل فيها ذنوباً إذا كان أذنب وهو بالفعل اقترف الكثير من الذنوب لأنه لم يحكم بالعدل، ويعوض بالمبادرات الطيبة نحو الناس وبالذات أولئك الذين كانوا أعزاء قوم وشاءت الأقدار أن يصبحوا أذلاء، أوزاراً تشكل ما يجوز إعتباره ضريبة سوء تعامل ارتبط بشخصه وهو جالس في قمة السلطة التي يملكها وليس بما يمليه التعقل والتصرف الحكيم.

ويأسف المرء كثير الأسف كيف أن رمضان هذه السنة شهد في بعض أقطار الأمة الحاكم غير الحكيم الذي لم يستحضر في إدارته لشؤون البلاد والعباد معاني شهر الصوم وبالذات إضاءات هذا الشهر لجهة الرحمة والتراحم والتسامح وتقديم مشاعر الود على الغرائز الثأرية والرغبة في التعامل الثأري وبشيء من التلذذ. فالذي تابعناه يجري في حق الرئيس السابق حسني مبارك مع بداية شهر الصوم ثم مع حلول العشر الأوائل من الشهر كان صامداً، ذلك أن مشهد الجلسة الأولى للمحاكمة لا يخرج عن كونه جولة ثأرية من رجل كان على مدى عقدين من الزمن المصري رئيساً لا خلاف عليه ثم اقتحمت عقده الثالث بعض الخطايا والكثير من الأخطاء لكن ذلك لا يعني أن تكون محاكمته مثل حلقات بعض المسلسلات الرمضانية. وأياً كان حجم الضغوط على «المجلس الأعلى للقوات المسلحة» من جانب «الأطراف الثورية» فإن ذلك لا يعني أن تتم المحاكمة على نحو ما حدث في الجلسة الأولى. وفي تقديري أن عسكريين كثيرين من أصحاب الرتب القيادية تساءلوا بعد الذي شاهدوه: إذا كان سلوك غير سوي في زمن التروؤس لا يراعي الإستبسال في مهمات عسكرية في زمن مصري مثل زمن حرب أكتوبر 1973 فلماذا إذن الإستبسال إلى درجة التضحية المحتملة بالنفس،

وهو ما كان يمكن أن يصيب حسني مبارك عندما كان يخلق جواً وتحقق طائرات سربه إنتصارات نوعية. ونحن في ما نقوله إفتراضاً لا نخفف من فداحة الخسائر التي منيت بها مصر في السنوات الأخيرة من الولاية الثالثة له، ولكننا في الوقت نفسه نفترض أن دقة التصويب لدى حسني مبارك كطيار شجاع أوجدت في نفسه شعوراً بأنه مهما فعل، بعدما تحقق نصر أكتوبر وورث الرئاسة بفعل إغتيال الرئيس أنور السادات الذي كان كافأه عام 1974 بتعيينه نائباً للرئيس، فإن ذنوبه مغفورة مكافأة مضافة له، إلى جانب المكافأة الأولى، وعلى أساس أن الأمور تقاس بما كانت عليه الحال في مرحلة ما قبل «حرب رمضان» وليس بما آلت إليه الأمور.

المهم أنه في رمضان 2011 يحاكم حسني مبارك الذي كان بطلاً في رمضان 1973. في رمضان ذلك الزمن الماضي كان يخلق في سماء سيناء التي كان كعسكري طيار من بين الذين ساهموا في تحريرها. وفي رمضان 2011 ينقل على نقالة إلى المحكمة في مبنى كان يحمل اسمه وأزيل الاسم في حملة إزالة كاملة لمواقع ومؤسسات تحمل اسمه.. ومن دون أن تكون هناك وقعة من جنزالات المجلس وقضاة المحكمة توازن وفق قاعدة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.. إلا إذا كان الذين ارتضوا المحاكمة والذين أداروها ومعهم أطراف الشعب المصري يرون أن مثقال ذرة الخير ناله حسني مبارك عند ترئيسه وقبل ذلك عند تعيينه نائباً للرئيس دون غيره من جنزالات الحرب البواسل ومنهم الفريق سعد الدين الشاذلي رحمة الله عليه، وأن مثقال ذرة الشر يجب أن يناله، مع أن الأخذ بمعادلة خير هذا بشر ذلك. يكون الأمر أفضل للمحروسة التي كانت سنوات ترؤس مبارك لها مزيجاً من حلاوة الإفتتاح المستعجل والعشوائي الموروث عن سنوات الرئيس (الراحل) أنور السادات ومرارة النهب المنظم والجشعواني تولاه مسؤولون خسروا نعيم الآخرة بسبب جشعهم الذي فاق التخمّة مقابل أطماع الدنيا والثروات المليارية في بلد يتلوى أكثرية أبناء شعبه من وطأة الحياة غير الكريمة وغير الإنسانية.

ومرة أخرى يجد المرء نفسه يتساءل: ألم يكن الأجدى لو أنه بدل هذه الشوشرة التي لا طائل منها أبرمت «السلطة الثورية» صفقة مع المغضوب عليهم. وبموجب الصفقة يتنازل وبالرضا ومن دون تحايل كل المتهمين بدءاً من الرئيس السابق وولديه وكل وزير ومسؤول اكتنز دون

وجه حق أو رحمة أو خوف من رب العالمين ومن حرص على الوطن عن الثروات والممتلكات التي جنوها أو اغتتموها خلال عملهم الرسمي ويتم وضع هذه المبالغ في صندوق دعم الخزينة والمحتاجين ودفع دية لذوي كل من قضى في لحظة عدوان أو غضب أو نتيجة تعذيب.

إن مثل هذه المبالغ المليارية استناداً إلى ما قيل ونشر، وفوقها مليارات السماسرة وتجار سوء كفيفة بتعويم الوضع المالي المتعسر، وإنعاش أحوال ذوي الضحايا.. ومن السهل تحقيق ذلك لأن القابعين وراء الأسوار وقضبان المحكمة سيرون أن كل ليلة سجن أو أيام هروب في الخارج تساوي مال الدنيا وأن التكفير عن الذنوب وما أكثرها يمكن من خلال التنازل عن أموال وممتلكات هي في الأصل حرام. وبالتنكير مع الذي حصل مع السيدة سوزان مبارك التي تنازلت وقوبل التنازل بالموافقة على المقايضة أي المال والممتلكات مقابل عدم المثول أمام محكمة أو الإيداع في السجن، فإن ما نقوله ممكن. وفي استطاعة فتوى من أهل الفتوى واجتهاد قانوني من جانب المستشارين القضاة استنباط التخریجة المناسبة، فضلاً عن أن «الانفجار الثوري» لم يكن لتحفظات على السلوك الوطني للنظام ولا على المعاهدة المبرمة مع إسرائيل وإلا كان من المنطقي محاكمة عهد السادات ومعظم رجال ذلك العهد الذي أورث مصر عهد مبارك، ولم يحدث ذلك «الإنفجار الثوري» إلا بعد الذي قيل في صحيفة بريطانية مهمة (الغارديان) سبق قوله في صحيفة جزائرية على قد الحال (الخبر) عن ثروة مليارية للرئيس مبارك. وبذلك لا تعود مصر حائرة في أمر أحوالها الصعبة مالياً وضميرياً. فالعقاب حصل من خلال حلقات «المسلسل الرمضاني الثوري». وإذا حصلت المقايضة المشار إليها وإنعشت الأحوال عندها يصح القول: كفى المصريين مساوئ التمثيل بأنفسهم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 23 أغسطس (آب) 2011

* * *

الضغط الذي لا يولد الانفجار

عندما تتجح حركة إحتجاج وغضب وضيق صدر وعدم قدرة على التحمل على إسقاط إمبراطورية ضاربة

جذورها في أرض أكبر دولة ومن دون التسبب في إراقة الدماء وتدمير الكرملين على نحو ما أصاب «الكرملين القذافي» أي الحصن الحصين في «باب العزيرية»، فلأن ميخائيل غورباتشوف خرج على القياصرة الحمر حاملاً شعار التغيير «البروسترويكا» ولم يرفع هذا الستيني (زمناك) الناضج والعامل راية «الثورة على النظام» ولا هو إستعمل في أدبيات خطاب حركته المفردات الثورية والثأرية، ولم يترك مجالاً لوسائل الإعلام تتحدث في النشرات الإذاعية والتلفزيونية أو في التعليقات تنشرها صحف العالم حول تطورات الدعوة الغورباتشوفية عن «الثورة» و«الثوار» وموجبات الإجتثاث. وهو بهذا النأي عن المفردات الثورية أوجد في نفوس الناس حالة إرتياح وطمأنينة أي بما معناه تحييد الدولة عن الفوضى والتخريب والإبقاء على المؤسسة العسكرية في منأى عن الدخول في متاهات الإنقسامات.

وإذا جاز القول فإن غورباتشوف إعتد أسلوب «التغيير بالحكمة» الذي هو نقيض «التغيير الضوضائي». وبالحكمة هز أساسات العقيدة الماركسية الذي هو أحد معتققيها الذين خبروا على مدى سنوات تقلد فيها مسؤوليات حكومية وحزبية، الصالح والطالح والسيئ والجيد والحلو والمر، من هذه العقيدة الرابضة طوال أربعة وسبعين عاماً على عقول شعوب جمهوريات الاتحاد السوفياتي الكاتمة أنفاس الملايين الحارمة إياهم من التواصل الروحي مع معتقداتهم الدينية.

ربما كان الإيمان المستيقظ في نفس غورباتشوف هو الدافع إلى الأخذ بالحكمة أسلوباً للتغيير وربما كانت تجربة المهاتما غاندي نقطة الجذب في تفكيره كماركسي يريد إصلاح النظام. وأياً كانت الحثثيات فإن غورباتشوف وضع القاعدة الأصلح للتغيير وأن إنقضااض يلتسي عليه كان إنقضااض شخص سكيرو مغامر ما كان في إستطاعته قبل الذي فعله غورباتشوف أن يمتطي «صهوة» الدبابة ثم يواصل التحرك الانقلابي الذي لم يحقق على يديه ثم على يدي ضامنه فلاديمير بوتين التغيير المنشود الذي أراده غورباتشوف بـ «البروسترويكا» أي إعادة البناء.

لسنا هنا في صدد إعادة قراءة ما حدث بين العام 1988 و 1991 (سنوات غورباتشوف كرئيس للدولة ورئيس للحزب الشيوعي ثم كداعية للإصلاح)، وإنما

مبتغانا من إستحضار تجربة غورباتشوف هو القول إن كثرة الثورات أساءت إلى الأمتين العربية والإسلامية وأضررت أكثر مما نفعت. والأهم من ذلك أن الثورة حزباً حاكماً كانت أو حاكماً مستأثراً بالسلطة، أضرت بالمؤسسة التي هي رمز الإستقرار للدولة والشعب ونعني بها المؤسسة العسكرية، ذلك أن هذه المؤسسة هي للدفاع عن الوطن وليس لإستخدامات النظام.

كما أن «الثورة» باتت مرادفة للكثير من الحالات المعطلة للتطور الإجتماعي والذهني، حيث إنها ضد أن يعبر الإنسان عن رأيه وأنها ضد أن يعترض المحكوم عن الحاكم. بل إنها غدت وسيلة من وسائل التكسب. هذا إلى أننا على مدى خمسة عقود عربية - إسلامية عشنا ظاهرة الحاكم الذي يجد في «الثورة» ما يحمي نظامه. كذلك وجدنا كيف أن العسكريين باتوا هم «الثوار» وأن كل حالة إنقلابية تعتبر نفسها «ثورة»، وبذلك غدت الأوطان من دون السياج الذي يحميه الجيش وفي الوقت نفسه يبقى النظام في مأمن على أساس أنه ما دام حاصراً إهتماماته بـ «الثورة» والتطلعات نحو الأهداف المثالية العvisية على التحقيق فإنه لا يشكل حاجساً للغير.

ما يأمله المرء الطامح بالتغيير على قاعدة التعقل والواقعية والحكمة هو التخلص بعد الآن من التصنيفات والمفردات الثورية والإكتفاء بالتحرك الذي يثمر التغيير. وهذه الحالة التي تعيشها مصر خير مثال على ما نقوله. ولعله ليس تجنياً القول إن تسمية حالة الإحتجاج التي حدثت بـ «ثورة 25 يناير» كانت نوعاً من الشغف بتقليد ما سبق أن حدث في ظروف سابقة مع حكام إعتدوا «الثورة» سلاح ضغط. بل إنها لا تختلف في منطلقاتها عن «ثورة 15 مايو» التي أراد منها الرئيس (الراحل) أنور السادات تصفية رموز النظام الناصري. ولو أن «ثورة 25 يناير» كانت «ثورة» وليس حالة إحتجاج وضيق صدر من ممارسات وإنتهاكات وإستلابات لكانت أنهت العهد المصري - الإسرائيلي وذلك بإلغاء المعاهدة مع إسرائيل. لكن من هو الرمز أو المرجع الذي يمكن أن يفعل ما فعله مصطفى النحاس عندما مزق المعاهدة مع بريطانيا، وأين هو البرلمان الذي من تحت قبته يفعل هذا الرمز أو المرجع بمعاهدة كامب ديفيد ما فعله النحاس باشا، فلا هو موجود ولا هو مقتنع لأن «الإئتلاف الثوري» منذ البداية إلتزم تحييد

التسديد بعد التسليف للملعوب الأطلسي

فعل أو إفتعال الحروب و«النجيدات الرحيمة» بليبيا جعلنا نرى أن الحاكم العربي يتقاسم مع المحكوم استدعاء الأجانب على وجه السرعة والبدء دون أي تريث وكأننا هم مسعفون أتوا بسيارات إسعاف وليس بطائرات تقذف الحمم، تاركة من على الأرض إما من يتلوى وإما من يتخبط في الندم وإما من يلفظ الأنفاس وإما من يرى بحسرة لهيب الحرائق يتصاعد وبني القوم من نساء وكبار سن وأطفال هائمين في الشوارع. والقول بأن الحاكم والمحكوم تقاسما بطاقة الدعوة لـ «أولي الحروب» الأطالسمة الممتدين من ضفاف المتوسط إلى ما بعد المحيط إلى آخر أطراف أوروبا لكي يستعجلوا التلبية ويأتوا على أجنحة القاذفات الحارقات القاتلات، يستند إلى أن الحاكم تأله وتجبر وإعتبر أن المواطن مجرد تلميذ مبتدئ وأنه هو المعلم، وفي هذه الحال فإن واجب التلميذ ومعه ذوه هو ما لخصه الشاعر بالقول:

قُم للمعلم وقَه التبجيلة

كاد المعلم أن يكون رسولا

وما دامت هذه حاله فليس أمام الجمع المحكوم سوى الرضا، وتلك منتهى القسوة وذروة التجبر، خصوصاً أن «المعلم الرسول» أقفل الأبواب أمام الاعتراضات في سياقها الموضوعي. ولأن الحاكم فعل ذلك وكاد المحكوم يختنق وراء الأبواب الموصدة، فإنه وجد نفسه أمام أحد خيارين، أحدهما أكثر مرارة من الآخر. فإما إرضاء ما هو حاصل وعلى نحو إرضاء الكوريين الشماليين بـ «عشيرة كيم إيل سونغ»، أي البقاء داخل الأسر ما دامت هذه «العشيرة» تتناسل وترفد الأبناء والأحفاد لهذه كوريا المعزولة عن العالم، والصلة الوحيدة لحاكمها «الرفيق كيم جونج - إيل» قطاره المصفح ينتقل به مرة كل بضع سنوات بين الأرض الكورية والأرضين الروسية والصينية، والشبيه بخيمة «الأخ القائد معمر القذافي». وإما البدء بمغامرة قتالية وبما يتيسر من أسلحة خفيفة، وفي الوقت نفسه تحضير مستلزمات ما بعد المغامرة وجذب الذين ذاقوا مرارة كؤوس الحاكم يتجرعونها في ظل الخشية من عواقب الاعتراض، كون الأمر لا يقتصر على التجريد من موقع ومنافع وإنما هنالك ما هو عظيم وقد يكون أعظم. ولأن المغامرة لا يمكن أن تجدي، نتيجة أن كفة الميزان للذين اختاروا النزول إلى

المعاهدة كما أن «ميدان التحرير» ليس المكان الصالح والدستوري لمثل هذه الخطوة، فضلاً عن أن المعاهدة التي هي علة مصر بقيت في منأى عن موجة المطالبات في أرجاء الميدان بتغيير هذا وإعدام ذاك. ثم عندما حدثت واقعة العدوان الإسرائيلي الذي قضى في ستة من العسكريين إقتصار التعبير الغاضب على حرق العلم الإسرائيلي والدوس عليه بأقدام محتجين وعلى متابعة النقّاش أحمد الشحات الذي وصل متسلفاً إلى أعلى العمارة الشاهقة التي في إحدى طبقاتها سفارة إسرائيل وأنزل العلم الإسرائيلي ثم تنبّه بعدما أنجز نزع العلم أنه لم يعلّق العلم المصري مكانه فتدارك الأمر بسرعة. كما أن المعاهدة بقيت في مأمن لأن «جُمعة الإختبار لحقيقة النوايا» لم تحدث في الميدان واقتصرت على تظاهرة ألوفين أمام السفارة ردد خلالها متظاهرون هتافات من ابتكار المزاج المصري الشعبي مثل «زنقة زنقة.. دار دار.. إسرائيل حتولع نار». ومثل هذه التظاهرة الاحتجاجية المتواضعة نسبياً والخالية من أي رموز قيادية وسياسية وحزبية وإعلامية ثورية هي نوع من التأكيد بأن المعاهدة هي خارج «جدول الأعمال الثوري».. ولو أن «الإنتلافيين» وجّهوا الدعوة إلى «جُمعة إلغاء المعاهدة مع إسرائيل» لكان الذين سيشاركون فيها مئات ولما كانت الأطياف الإسلامية التوجه ستشارك ولا كل الفرسان المتأهبة لخوض ماراتون الرئاسة ولا الأحزاب الليبرالية والدينية والإسلامية والقبطية يمن في ذلك الذين سيؤسسون الأحزاب الجديدة. وفي هذه الحال سيستوي الذين أبرموا المعاهدة في الثمانينات والذين «سهروا» عليها مع الجماهير «الثورية» الجديدة. فالإلغاء يعني العودة إلى ما قبل أكتوبر 1973 وهذا لا يريده الرأي العام المصري وبالذات جماهير الـ «فيسبوك» التي لم تذق ويلات الحرب وأرادت إثبات وجودها في «ميدان التحرير» عوض ميادين القتال. ولعلّ أفضل فعل ثوري يقوم به هؤلاء ويلقي الإجماع هو المباشرة بالنقل تدريجياً من استعمال كلمة «ثورة» و«ثوار» وإعتماد «حركة 25 يناير» تسمية لتحرك ضمن «بروستروكا مصرية» قادر على إعتقاد أسلوب الضغط الذي يحقق التغيير وليس الانفجار بتداعياته وويلاته.

صحيفة «الشرق الأوسط» - 30 أغسطس (آب) 2011

ساحة الإعتراض أضعف بكثير من كفة القوى الحاكمة، فإن شعورا تولّد وهو طلب العون من الذي لخصه الشاعر بالقول: «... وما من ظالم إلا سيلى بأظلم». ولقد لبي الأظلم نداء الاستغاثة على وجه السرعة، فهو أصلاً متأهب وجاهز ومغطى بشرعية دولية لا يهم أنها منقوصة الإجماع، وبعدم ممانعة عربية، لا يهم أنها غير صادرة بقرار عن جامعة ما زالت لم تبدل ثوب «موسى» وترتدي الثوب «العربي».

المشهد في الفصل الثاني من الملعوب هو كالتالي: المعترضون على الأرض يحاولون ما استطاعوا تحقيق إنتصارات. والناجدون يرمون من القاذفات التي هي كأنها الطيور الأبابل، الصواريخ التي كأنها حجارة من سجيل، وتجعل العصف المأكول يقتصر بسبب دقة الرمي على أسلحة وعتاد ودبابات وطائرات ومنشآت، وأما أهل الحكم فلا يصيبهم مكروه لأن خارطة الطريق الأطلسية تستوجب الإبقاء على الطبيعة الابتزازية للنجدة، ذلك أنها ليست حرصاً على فقاكات الحرية والديمقراطية وعبارات من نوع شعب يستحق الحياة الأفضل، وإنما من أجل أن يكتمل التسليف وفق ما هو مرسوم في دفتر الشروط الأطلسي للبدء بمرحلة التسديد، وأيضاً وفق ما هو مطموع به من الأطالسنة الذين ما زال لعابهم على سيلانه كلما أوضحت تقارير الخبراء لهم حجم ثروات ليبيا وكيف سيتم الجني الذي يختصر الذبول في الوضع المالي والإقتصادي لدول الحلف الحريص على «الحياة الأفضل» للشعب، في دولة يختزن باطنها أجود أنواع النفط.

وإذا جاز الافتراض فإنه مقابل كل تقرير عن العمليات يتضمن عدد الآليات من طائرات ودبابات ومصفحات ومرابض وقواعد ومؤسسات تم تدميرها كان يتم إرساله إلى غرفة العمليات المركزية لـ «الحلف المنقذ»، كان يتم في الوقت نفسه إبلاغ المصانع الحربية وغيرها بأن عليها أن تُدرج في خطتها إنجاز كذا دبابة جديدة وكذا طائرة جديدة وكذا.. وكذا.. من العتاد الذي تم تدميره. وهذا يعني عملياً أن هذه المصانع لن تنتكس، خصوصاً أن خارطة الطريق لم تكتمل والقصف لن يتوقف. وهنا نشير إلى أن لغة الأرقام هي خير توضيح لما نقوله لمناسبة الإستضافة «الكريمة» لإجتماع «أصدقاء ليبيا» يوم الخميس الماضي (الفتح من سبتمبر الساركوزي) من جانب الرئيس الفرنسي مدشن صولات النجدة الأطلسية

للمعارضين الليبيين لإكمال ثورتهم على «ثورة الفاتح». والأرقام التقديرية لبلد المليونى كيلومتر مربع مساحة مقابل سبعة ملايين نسمة سكاناً، وتلك أغرب مفارقة في جغرافيا بلد بالغنى الذي عليه ليبيا، هي أن ترميم ليبيا وتأهيلها مدنياً وعسكرياً وخدماتياً ومنشآت نفطية يحتاج إلى خمسمائة بليون دولار على مدى عشر سنين. وإذا افترضنا أن الموجودات الليبية في الخارج هي في حدود مائة وستين بليوناً لن تسلم إلى الحكم الجديد وإنما سيقتطع منها أثمان مستلزمات الترميم والتأهيل وإعادة الإعمار، تتولاها بطبيعة الحال شركات أميركية وأوروبية، عملاً بمبدأ التسديد بعد التسليف على الدور العسكري، فهذا يعني أن ليبيا ستسدد كالعراق من قبل المبلغ المتبقي من أصل الخمسمائة بليون، وهو ثلاثمائة وأربعون بليون دولار. يا لسوء حظ الجيل الليبي الآتي الذي سيعيش كالجيل الذي أمضى أربعة عقود قذافية مريرة. هذا تماماً حال الذي جرى للعراقيين.

في الوقت نفسه لا يتم إبلاغ غرفة العمليات بأعداد الذين قضوا في «الغارات الصديقة» هذه، فهذا أمر لا يعني الأطالسنة، كما أنه في بعض جوانبه ليس من ضمن مقتضيات «النجدة الإنسانية»، وأن العقابات على العواقب يهتم بها الليبيون لاحقاً، وهو أمر وارد في هوامش خارطة الطريق التي يسير في هديها الملعوب الأطلسي.

رغم كل أيام القصف فإن العقيد معمر القذافي بقي في الصون لا يصيبه أذى، وهذا أمر تستجبه مقتضيات مرحلة الانتقال من التسليف إلى التسديد. وكلما كان «الأخ القائد» في منأى عن الأذى فإن قدرة «الصديق الأطلسي المنجد» على التفاوض في شأن التسديد تكون أقوى. وهي تزداد قوة في حال لم يعد البيت (حصن باب العزيزية) لساكنه وإنما لـ «الثوار» الذين افترضوا أنهم بالوصول إلى طرابلس ينتهي الطواف والمطاف.

خلاصة واقع الحال أن كل شيء بحسابه، وأن الأمور ستبقى عالقة في إنتظار إستكمال توقيع الوثائق والإنفاقات التي تتمحور حول تسديد ما تم تسليفه. هكذا حدث في العراق وبات ليس من اليسير تعديل ما بدأ التفاوض في شأنه قبل إسقاط النظام الصدامي وحتى ما قبل إعدام صدام شفقاً، مع توضيح المتفاوض الأميركي بأن الإسقاط من فعله، أما الشنق فمن فعل العراقيين الذين يحكمون منذ ما بعد غزو العراق، أي بمعنى آخر أن إسقاط النظام «واجب أميركي - أطلسي»، وأما الشنق فإنه مسألة

داخلية يتحمل أهل البلد وزرها. والتسليفات المتفق عليها تتطلب التسديد. ولقد طال العثور على صدام من أجل إنجاز أرقام التسديدات، ويتكرر الأمر بالنسبة إلى ليبيا وإن أخذت الصيغة تعديلات طفيفة.

وبالعودة إلى ما بدأناه نجد أنفسنا أكثر اقتناعاً بأن الذي حدث كان عملياً أن الولايات المتحدة وبعض دول الأطلسي استعادت ليبيا وكأنما كانت على مدى أربعة عقود وديعة لدى حكم كان في أشد الحاجة إلى عقلاء يُسدون إليه النصيحة، لا إلى حواريين يمطرونه بأفكار وبدائل تصلح مادة في جلسة نقاش ولا تصلح لإدارة بلد. وكل ذلك تحت مقولة إنه دائماً يصدر من ليبيا جديد. أما بالنسبة إلى العراق فإن الاستعادة لم تحدث بالكامل، وهي مرتبطة باستعادة سوريا إلى السرب العربي، وذلك لتفادي مواجهة مع إيران، وذلك على أساس أن عزل سوريا عن إيران يجعل شأن الأخيرة ضعيفاً ويجعلها أكثر إستعداداً، ومن أجل البقاء بأمان، للتعايش مع محيطها العربي ومع المجتمع الدولي، فضلاً عن أن العزل يحدّ من طموحها إلى الدور الذي تحلم به ولم يتحقق، وهو أن تشكّل مع العراق وسوريا ولبنان التحالف الذي هو من يتخذ قرار إنجاز إتفاق السلام مع إسرائيل، وهو الإتفاق الذي لا يمانع الأطالس في إنجازه... إنما على أساس أن القبول به هو أيضاً نوع من التسليف الذي له استحقاقات التسديد.

بالعودة أيضاً إلى ما بدأناه يجوز تكرار القول إن الطرفين في ليبيا، الطرف القدافي الحاكم والطرف المعارض، يتحملان وزر ما أصاب البلد. واللوم على الذي حكم لأنه لم يكن مثل المعارض الذي فقد القدرة على التحمل وارتضى ما جرى... وسيرتضي مرغماً لا بطل بقية فصول الملعب.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 3 سبتمبر (أيلول) 2011

* * *

أوباما ومشاركوه المغفور أو عظام الأمور

كان ينقص هؤلاء الذين إستضافهم الرئيس الفرنسي

نيكولا ساركوزي يوم الخميس أول سبتمبر/ أيلول 2011 في باريس في مؤتمر «أصدقاء ليبيا» مشاركة الرئيس الأميركي باراك أوباما إجتماعهم وبذلك يكتمل مشهد «المافيا الدولية» ذات الطبعة الجديدة التي تصطاد الثروات العربية. ولكن إنشغالات الرئيس الأميركي الذي هو عميد الإنقضااض على الصيد الثمين لا تُلغي حقيقة أننا كعرب ومسلمين علينا أن نعترف بأننا منذ تلك الزيارة التاريخية للرئيس أوباما إلى القاهرة وخطابه الشهير الذي بدا فيه وكما لو أنه شيخ أزهر يُلقي خطبة صلاة جمعة.. إنما من على منبر جامعة القاهرة، ونحن في حالة متابعة لسلوكيات هذا الرئيس يحدونا الأمل بأن الرجل لا بدّ سيلتزم بما قاله في شأن تطوير العلاقة المتوازنة بين الولايات المتحدة والأمم المتحدة والإسلامية وبأن عهده لن يكون في هذا الشأن مثل عهود الذين سبقوه وكلهم يندرج في خانة السيئ والأسوأ، عدا العهد البوشي أباً وإبناً الذي كان الكارثة التي نعيش تداعياتها للسنة العشرين على التوالي والمرتبطة هذه التداعيات بتلك المكيدة التي وقع ضحيتها الرئيس (الراحل) أنور السادات على يديّ مولّد صفقة «كامب ديفيد» الرئيس الأسبق جيمي كارتر.

مضت المئة يوم الأولى للولاية الأوبامية وبقينا على تفاؤلنا بأن الرجل يرتب أوراق الدور التاريخي الذي يتطلع إلى ربطه بشخصه. وبعد أسابيع من إنقضاء السنة الأولى بدأت لهجة الرجل وبالذات إزاء الموضوع الأهم الذي يعنينا وأفرخنا قوله بكل الوضوح من على منبر جامعة القاهرة، وهو المتصل بإيجاد حل متوازن للموضوع الفلسطيني، خصوصاً أنه لفظ بملء الفم عبارة «دولة فلسطينية مستقلة قابلة للعيش إلى جانب دولة إسرائيل». لكن الذي حدث هو أن الرئيس أوباما بدأ وبأساليب ملتوية وعبارات يصعب أخذها على محمل الثقة من جانبنا يحاول التملص مما وعد به وراح يتودد إلى «اللوبي» الإسرائيلي ويقول من الكلام ما يبعث مشاعر الصدمة في النفوس.. إلى أن كانت الأعياب مندوبته في الأمم المتحدة و«مبايعة» الكونغرس للذئب الصهيوني بنيامين نتنياهو يوم ألقى «موعظة» تنقصها الزمة والضمير والموضوعية من على منبر الكونغرس، وكان مدعاة للخجل أن هذا الذئب حظي بالتصفيق والتلهيل من الذين هم الأداة الفاعلة في القرار الأميركي. لم يقتصر الأمر عند الرئيس أوباما على أن ينسى

وهو في البيت الأبيض ما سبق أن وعد به. بل نجده يُمطر أصدقاءه أهل «السلطة الفلسطينية» بالنصيحة تلؤ الأخرى أن لا يطرحوا موضوع العضوية خلال الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة. وعلى رغم الإقبال الملحوظ من أكثرية دول العالم وبالذات دول أميركا الجنوبية على الاعتراف بـ «دولة فلسطينية» والإقتران لمصلحة إكتساب فلسطين حق العضوية في الأمم المتحدة، إلا أن هذه الفرصة مهددة ومن جانب إدارة الرئيس أوباما، بالذات شخصياً منه أو نتيجة ضغوط لا فرق، وذلك لأن إستعمال مندوبة أميركا «الفيتو» عند التصويت لن يمكن الفلسطينيين من نيل فرصتهم التاريخية. والذي يرجح إحتمال إستعمال «الفيتو» أن الرئيس أوباما شخصياً تسبب لنا بصدمة مضافة عندما قال في خطاب له إستهدف منه إرضاء الإحتلال الإسرائيلي في مايو/أيار الماضي «إن جهود الفلسطينيين لنزع الشرعية عن إسرائيل ستنتهي إلى الفشل فالأعمال الرمزية لعزل إسرائيل في الأمم المتحدة في الدورة العادية في أيلول 2011 لن تخلق دولة مستقلة»! يا لهذا التذبذب. يا لبشاعة هذه المراوغة.

على مدى سنتين أوباميتين لم تطلب الإدارة الأميركية أمراً من الفلسطينيين مباشرة من السلطة، وبالواسطة من قطر لما يخص «حماس» إلا وتم تنفيذه.. وإن كانت هنالك بعض المواقف اللفظية من رموز في جناح السلطة في رام الله أو رموز في جناح «حكومة حماس» في غزة وهي مواقف تستهدف تقادي حالة إحباط تصيبُ الجمع الفلسطيني في الجانبين. وبعد الذي حدث في سوريا إرتأى إخواننا جماعة «حماس» التخفيف من وطأتهم على الحُكم السوري أو خشية أن يُنهي هذا الحُكم بنفسه الإستضافة الحمساوية لظروف ضاغطة كتلك التي أوجبت إنهاء إستضافة الزعيم الكردي عبد الله أوجلان في زمن الرئيس (الراحل) الأسد الأب، ويمّموا وجوههم شطر المحروسة (مصر) تتقبلهم كمتفهمين وليس غير ذلك، فضلاً عن أن لهم في مصر القوة التي إستيقظت وتتمثل في جماعة "الإخوان المسلمين" مع ملاحظة أن موقف الجماعة لا يتقاطع مع موقف الحُكم المصري بصيغته الراهنة والذي لا يريد تقجيراً للموقف مع إسرائيل ومن أجل ذلك يتقيد بالمعاهدة المبرمة معها. وفي ظل أجواء العلاقة المستجدة بين «حماس» و«مصر غير حسني مبارك» يمكن للرئيس

أوباما أن يكون مقدماً أكثر ويثبت أمام الملأ أنه كان عند كلمته. وحتى إذا كان فك أسر الجندي الإسرائيلي شاليط يساعده في مسألة التحرك فإن مصر تمنون أو باتت كذلك، على حركة «حماس» ويتم الإفراج عن هذه الرهينة - الوديعة.

إننا حالياً في مرحلة العد العكسي لتلك اللحظة التي يتم فيها إختبار حقيقة نوايا إدارة الرئيس أوباما وهل سينفذ ما سبق وقاله في خطابه من على منبر جامعة القاهرة بعد أيام من توليه الرئاسة وعززه في خطاب له قبل ثلاثة أشهر وبضعة أيام (الخميس 19 مايو/ أيار 2011) بالقول الذي لا لبس في تفسير مفرداته «إننا نعتقد أن حدود إسرائيل وفلسطين يجب أن تقوم على أساس خطوط العام 1967 مع تبادل متفق عليه في الأراضي بحيث يتم إنشاء حدود معترف بها للدولتين، إذ يجب أن يكون للشعب الفلسطيني الحق في حُكم نفسه بنفسه ويُحقق كامل إمكانياته في دولة ذات سيادة ومتصلة. إن الموقف الفلسطيني تجاه هذا المبدأ يجب أن لا يكون فقط بالموافقة، بل يجب أن يكون لدينا موقف رسمي يُطلب فيه من الحكومة الإسرائيلية ممثلة برئيس وزرائها بنيامين نتنياهو القبول بهذا المبدأ، أي مبدأ الدولتين على حدود 1967 مع تبادل متفق عليه...».

هذا الكلام للرئيس أوباما يعني أن القدس الشرقية هي ضمن الدولة التي يتحدث عنها الرئيس الأميركي ويعني إستطراداً أن معزوفة القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل يجب أن تتوقف. ومعنى كلام أوباما أيضاً أن الدولة الفلسطينية كما يراها وكما يرتضيها الشعب الفلسطيني وكما تُعزز الرضى المبادرة التي طرحها الملك عبدالله بن عبد العزيز في القمة الدورية في بيروت 28-29 مارس/ آذار 2002 (وكان ما زال ولياً للعهد)، من شأنها أن تحقق السلامة لإسرائيل والسلم في المنطقة وبذلك لا يعود الوضع على ما هو عليه دائماً على شفير الانفجار. وإلى ذلك، وهذا الأهم، إن قيام الدولة الفلسطينية هو الإقرار غير القابل للتعديل من جانب الفلسطينيين بوجود إسرائيل بل إنها الدعامة القوية لـ «وعد بلفور» الذي بسببه قامت إسرائيل مع ملاحظة أن الوعد نفسه الذي جاء في رسالة وجهها اللورد آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1917 إلى اللورد جايمس روتشيلد الذي كان

زمنذاك زعيم الحركة الصهيونية، يلحظ وتعبير رمزي، وجود دولة فلسطينية وهذا يتمثل في عبارة «إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بالعطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وسوف تبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذا الهدف. ويجب أن يكون مفهوماً أن هذا الإعلان لا يمثل تحيزاً ضد الحقوق المدنية والدينية لطوائف غير يهودية موجودة في فلسطين...». والقول إن الوعد يلحظ، وإن بتعبير رمزي، وجود دولة فلسطينية صحيح، وإلا فما معنى الجزء الثاني من العبارة المتعلقة بإعتراف الحقوق لـ "طوائف غير يهودية موجودة في فلسطين" «أي المسلمين والمسيحيين، فضلاً عن أن نص الوعد يتضمن أن يكون هنالك وطن قومي لليهود (أي دولة) في فلسطين ولم يقل أن "تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود". وهذه مفردات برع فيها السياسيون والدبلوماسيون الإنكليز ومن نوع براعة اللورد كارادون مندوب بريطانيا لدى الأمم المتحدة الذي صاغ قرار مجلس الأمن 242 تاركاً بكلمة واحدة ثغرة إستندت إليها إسرائيل في مماطلتها تنفيذ القرار الذي تشاء الصدف أن يصدر هو الآخر يوم 22 نوفمبر 1967 أي بعد نصف قرن وعشرين يوماً من إعلان وعد بلفور (2 نوفمبر 1917). والكلمة الثغرة هي حول الإنسحاب من «أراضي» بدل "الأراضي" وإن كانت هنالك إجهادات لفظية مثل القول إن الكلمة بالنص الإنكليزي غيرها بالنص الفرنسي حيث ترد «الأراضي» ومثل قول اللورد كارادون زمنذاك لوزير خارجية مصر (الراحل) محمود رياض إن الفقرة الأولى من القرار تشير صراحة إلى «عدم جواز ضمّ الأراضي بواسطة الحرب». والذي يثير الإستهجان هو أن إستهانة إسرائيل بروحية «وعد بلفور» وصياغة قرار مجلس الأمن 242، فلا تأخذ بروحية الوعد ولا بروحية الصياغة، لا تلقى الموقف الحازم من جانب جيل «أحفاد» بلفور وجيل «أبناء» كارادون أي أهل الحُكم البريطاني خلال العقود الأربعة المتواصلة، وبالذات من مرغريت تاتشر الحديدية إلى ديفيد كاميرون المتراخي وبينهما طوني بلير المتلاعب، الأمر الذي يجعلنا نضعهم إلى جانب إدارة الرئيس أوباما أمام الإختبار هذا الشهر عندما يتقدم رئيس السلطة الوطنية محمود عباس شخصياً أو ينوب عنه وفدٌ مصغّرٌ يمثل الأمتين وربما ممثل عن القارة الأميركية الجنوبية ضمن الوفد بطلب عضوية دولة

فلسطين على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية. فإذا تصرّف هذان القطبان الدوليان بالذات ومعهما الرئيس نيكولا ساركوزي تصرّف من يهتمهم مغفرة الأمتين لذنوب دولهم ودول أخرى تدور في فلك رعايتهم للعنوان الإسرائيلي، فإن شعوب الأمتين ستتجاوز وإن بغصة ما يمارسونه من إحتلالات للإرادات في بعض دول الثراء العربي وتقويض لما تم إنجازه على مدى أربعة عقود في مجالات البنية التحتية والأرضية والجوية، وذلك بغرض تجفيف ما يمكن تجفيفه من الثروات العربية. وتلك ترضية معنوية على أساس أن القبول بالدولة الفلسطينية يشكل خطوة أولى على طريق إنتقال الشقيق الفلسطيني من دُل العيش وكذلك من إستعماله ورقة في الصراعات إلى العيش الكريم، فضلاً عن أنه يضع نهاية لظاهرة إستعمال فلسطين ورقة للبقاء طويلاً في السلطة أو للترغم على نحو «مكرمة» الأخ التركي المتأخرة بضعة عقود والمتمثلة بـ «الطرد» الإستعراضية، مزيدة على مصر بالذات ومحاولة إصطفاف مع إيران، لسفير إسرائيل لأن دولته لم تعتذر وليس لأنها ليست عدوة الأمتين. وإذا كان المأمول من الرئيس أوباما وشركائه لن يتحقق ويقفون ولو مرة واحدة مع المنطق والحق طمعاً منهم بتجديد الولاية الرئاسية المدعومة من «اللوبيات» اليهودية الراضحة على صدور الشعوب الأميركية والأوروبية، على حساب الإستهانة بالأمتين، فإن البديل للذنب المغفور سيكون على الأرجح عظام الأمور.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 8 سبتمبر (أيلول) 2011

كأنه «الكيف الثوري»

في المحروسة المتسالمة

لا أعتقد بحكم معاشيتي الميدانية على مدى أربعة عقود للوضع في مصر كمراسل ثم كمتابع للتطورات المصرية في مشهدها الإشتراكي الناصري ومشهدها الإنفتاحي الساداتي ثم مشهدها الإستهباكي كما الحال خلال النصف الثاني من سنوات حُكم الرئيس السابق

حسني مبارك، أن إخواننا المصريين ميالون إلى الحرب من جديد. ودليلنا على ذلك أن أبناء المحروسة هللوا للرئيس السادات عندما أبلغهم في واحدة من إطلاقاته عليهم أن حرب أكتوبر 1973 التي قادها هي آخر الحروب، وكانوا قبل ذلك لم ينزعجوا عندما شرع أبواب مصر أمام إستدارة كاملة في إتجاه الولايات المتحدة مبهذلاً لإتحاد السوفيياتي أسوأ بهذلة. وعندما ألقى في البرلمان الخطبة الشهيرة وبحضور رمز النضال الفلسطيني الرئيس (الراحل) ياسر عرفات وألمح فيها إلى إنه مستعد للذهاب إلى إسرائيل من أجل السلام، فإن أبناء المحروسة أصابتهم الدهشة وإحتاروا في أمر عجلة رئيسهم من هذه الإندفاع والتساؤل في الوقت نفسه: ما دام السادات حقق إنتصاراً عسكرياً مبهرًا فلماذا العجلة ولماذا بدل الذهاب إلى إسرائيل العمل على ترتيب لقاء من أجل السلام يستضاف في بلد محايد وبذلك تصان الكرامة المصرية. لكن على رغم الدهشة تركوا الرئيس الذي قاد الحرب بتخطيط جنرالات وبطولات مقاتلين وطيارين تفخر بهم العسكرية المصرية ومن هؤلاء محمد فوزي ومحمد أحمد صادق وأحمد إسماعيل وسعد الدين الشاذلي وحسني مبارك بطل الضربة الجوية ومحمد حسين طنطاوي بطل عملية «المزرعة الصينية» يواصل تنفيذ تطلعاته السلمية ويتابعون مشدوهين ومن دون أي إنفعال ذلك المشهد التاريخي المتمثل بطائرة الرئاسة المصرية تحط في مطار بن غوريون وينزل منها رئيس جمهورية مصر العربية ومعه مسؤولون ومرافقون ليس بينهم إسماعيل فهمي الذي كان وزيراً للخارجية ثم إبتعد معترضاً على زيارة السادات. وهو في أي حال واحد من قلة في أوساط النخبة أظهروا في حدود الممكن إعتراضهم على التوجه الساداتي.

ذهب السادات إلى إسرائيل ذهاب الفاتحين، إنما للتسوية التي تبين أنها كانت لدى الجانب الأميركي في عهدة طهارة ينشطون من أجل فك مصر عن الصراع العربي - الإسرائيلي ليس حباً طبعاً بمصر ولكن من أجل تمديد فرص البقاء الآمن للكيان الإسرائيلي، وهم في مطيبتات طبختهم يزيتون للسادات حالة طالما يتوق إليها وهي أن يكون زعيماً للأمة العربية وتأخذ زعامته العمق الشعبي الذي كان لزعامه السلف جمال عبد الناصر. ومن المطيبتات التي نقصد بها البهاترات السياسية للطبخة الأميركية التي يراها بإهتمام إستثنائي

الرئيس (الأسبق) جيمي كارتر، تزيين فوائد التسوية التي يمكن أن تنعش أحوال مصر إقتصادياً فضلاً عن المساعدات التي ستمنحها أميركا والتسهيلات التي ستقدمها مؤسسات المال الدولية والإعفاءات من الديون المتركمة وفتح الأذرع الدولية أي أميركا وأوروبا لـ «رائد السلام في الشرق الأوسط» الرئيس محمد أنور السادات. ومن جانبها بدأت آلة الإعلام الأميركية والأوروبية تسلط الأضواء على الرئيس السادات وفي خط مواز كانت مؤسسات إستطلاع الرأي تقوم بما يعزز عملية التزيين التي تترجم المقاصد الأميركية. والأهم من هذا كله هو أن محنكين في إدارة الرئيس كارتر أوحوا للسادات بأن خياره السلمي سيجعل كل الحكومات العربية تسير وراءه وبذلك يتزعم العالم العربي.

أبرم السادات معاهدة «كامب ديفيد» وبدل أن تتحقق الزعامة المأمولة فإن العالم العربي إنقسم وبدأ رموز القضية الفلسطينية يبتعدون عن مصر. لكن الرأي العام المصري كان راضياً بما حدث مبتهجاً بأن الأبناء لن يحاربوا بعد الآن وسيعينون أهاليهم في أعمالهم وحقولهم. وإستوعبت دول عربية، وكل واحدة لدوافع خاصة بها، بضعة ملايين مصري توزعوا على ليبيا والعراق والسعودية ومعظم دول الخليج العربي. وهذا الإنتعاش لفرص العمل جاء يرفع منسوب الرضى المصري عن السلام مع إسرائيل.

وحدها الجماعات الإسلامية يتصدّرها «الأخوان المسلمون» وجدوا في هذا الذي أحدثه السادات في المجتمع المصري ما من شأنه إبعاد مخططهم القديم وهو إقامة «الدولة الإسلامية» في مصر. ولقد رأوا أن هذا القبول من جانب الرأي العام المصري بالفعل الساداتي سيقوّض أي فرصة لهم للإنقضاض على الحكم، خصوصاً إذا بقي السادات في الحكم ثماني عشرة سنة على نحو بقاء عبد الناصر الذي حال دون تحقيق خطط الإخوان وبعثر صفوفهم بين الإعتقال والمطاردة والحرمان من ممارسة النشاط السياسي. وهنا نرى «الإخوان» والجماعات التي هي روافد تصب في بحيرة العمل الدعوي الإسلامي ينشط سراً وبالمفهوم اليساري العمل تحت الأرض. ثم تحدث عملية الإغتيال الشهيرة في الساعة الثانية وعشر دقائق من يوم الثلاثاء 6 أكتوبر 1981 للسادات وهو في منصة الإحتفال بذكرى الإنتصار الذي إستند إليه في عملية السلام

متمثلة بزيارة إسرائيل وإلقاء خطاب في الكنيست ثم إبرام المعاهدة في كامب ديفيد مع مناحيم بيغن برعاية كارتر الشاهد الحي على تلك اللحظة والصفقة. وبعد الإغتيال ساد إنطباع بأن جماعة الإخوان هي ضد المعاهدة وستعمل على إلغائها، وهذا كان إنطباعاً إفتراضياً ولم يحدث.

ما فعله السادات سار عليه حسني مبارك، ولم نجد من يقول للرئيس الوارث إن ما فعله سلفك أصاب المحروسة مصر في كبريائها، وأن تجميد عضوية مصر في الجامعة العربية هي طعنة في الهيبة المصرية ولذا فمن واجبك وقد أصبحت الرئيس أن تتصرف بما معناه إن المعاهدة أبرمها رئيس رحل وأن الوضع الجديد يتطلب تعديلات في المعاهدة التي إستعجل السادات إبرامها. لم تطالب أطراف فاعلة في المجتمع السياسي المصري بذلك كما أن الذين صالوا وجالوا في الموضوع كانوا من النخبة الحاذقة في التنظير العاجزة عن التأثير في أوساط الرأي العام.

عزز مبارك أجواء الإنفتاح التي بدأها السادات من دون أن يأخذ في الاعتبار أن مثل هذا التعزيز سينعش أحوال الطبقة الغنية في مصر والتي خرجت من الظلال إلى العلن لمجرد أن نادى السادات بـ «الإنفتاح» لكنها ستلغي بالتدرج الطبقة الوسطى أو إذا جاز القول ستراجع هذه الطبقة وتضطف إلى يمين الطبقة الفقيرة أما يسار الطبقة فإنه مكنظ بالمهمشين المسحوقين إجتماعياً. وبدأ السعي لإنجاز ترميم الهيبة وذلك بإستعادة مقر الجامعة العربية الذي جرى نقله إلى تونس وبالتالي عودة منصب الأمين العام إلى مصر بعدما شغل المنصب في سنوات معاقبة مصر على ما فعله السادات التونسي الشاذلي القليبي. ومن خلال بعض التناور وتجربة إستنباط محور يقوي من عزيمة مصر ويتمثل في مجلس تعاون لم تكتب له الحياة وهو «مجلس التعاون العربي» من مصر حسني مبارك وعراق صدام حسين ويمين علي عبد الله صالح وأردن الملك الحسين، حقق الرئيس مبارك الكثير من عملية الترميم. إستعادت مصر الجامعة والعضوية وهذا جعل الرأي العام المصري، عدا النخبة من جماعة التنظير يرتاح أكثر لما يفعله رئيسهم. ولم يستوقفهم أن مبارك أستعاد العضوية والجامعة لكنه في الوقت نفسه لا يلمس موضوع المعاهدة مع إسرائيل على رغم أن الإسرائيليين

يمعنون عدواناً وإذلالاً بالفلسطينيين وهذا أمر لا يليق بالدولة المصرية الكبرى مصر أن لا تردع العدوان وتضع حداً للإذلال. أما لماذا لم يستوقف المصريين ذلك فلأن أجواء السلام أفضل بالنسبة إليهم. وهذا شجع مبارك على تمتين أساسات المعاهدة ساعياً في الوقت نفسه إلى إنجاز يُقوي من مكانته ويحقق له شعبية فكان نجاحه في إستعادة «طابا» مستكملاً بذلك عملية تحرير سيناء.. إنما من دون المساس بالترتيبات الأمنية المجحفة في حق مصر كونها لا تعطيها حق التواجد العسكري الكريم في مساحات محدودة.

مرة أخرى يؤكد المصريون قبولهم بالسلام ومن دون أن يستوقفهم أن رئيسهم حسني مبارك يبالغ في إتصالاته بالإسرائيليين الذين درجوا على التسوية والمماطلة لأنهم لا يريدون لمصر دوراً فاعلاً في المنطقة. ومع أن المصريين إحترموا في حسني مبارك رفضه زيارة إسرائيل عدا زيارة الساعات القليلة فقط لمناسبة إغتيال إسحق رابين وتشجيعه إلا أنهم بدأوا يرون أن بقاء مصر متسالمة فيما العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين، يتطلب وسيلة ضغط ما على إسرائيل. ولقد حاول أن يفعل شيئاً لكن الفعل بقي دون ممارسة الضغط من خلال إستعمال ورقة التلويح بتعديل المعاهدة. وهو لو كان يرى أن الرأي العام المصري مستعد في حال طرح موضوع التعديل برسم التفاوض وإعتبرت إسرائيل ذلك نوعاً من العودة إلى أجواء الحرب، على إستعداد للوقوف في طوابير الراغبين في القتال، لكان ربما إستعمل ورقة التعديل. لكن المصريين نبذوا الحروب وبالذات بعدما ذاقوا طعم السلام على رغم مرارات تداعياته الإجتماعية. الهاجس الأساسي لدى مبارك كان الخوف أن يصيبه من «الإخوان المسلمين» والجماعات الروافد لهم ما أصاب الرئيس السلف أنور السادات. وخشية أن تتكرر عملية الإغتيال بأسلوب مختلف متعاونين في ذلك مع إسلامي السودان الإنقاذي (حسن الترابي ثم عمر البشير) نجده يطارد القيادات الإسلامية ويعتمد السجن والمعالجة الأمنية أسلوباً لهم. وهؤلاء بعدما تم إسقاط مبارك وتسليم السلطة إلى «المجلس الأعلى للقوات المسلحة» إختاروا كي لا تفوتهم فرصة الحكم بالكامل إذا هم نالوا أغلبية في الإنتخابات أو بالتشارك في حال تقاسم السلطة، عدم التعرض للمعاهدة وقالوا مثلهم مثل بقية الأحزاب والجماعات وكذلك الذين يرغبون في

ترشيح أنفسهم للرئاسة أنهم يحترمون المعاهدات الدولية. وهذا القول تخريجة خجولة للقول إن معاهدة السلام مع إسرائيل في الحفظ والصون.

هذا الذي أوردناه ليس وحده ما يشكّل حثثيات للجزم بأن الرأي العام المصري يتمسك بالسلام الذي تمثّله معاهدة «كامب ديفيد». وعلى هذا الأساس فإن الذي شاهدناه في ليلة الإنفضاض على السفارة الإسرائيلية يبدو بلغة المسرح بمثابة الخروج على النص. وفي تقديرنا أن سور السفارة الذي شيدته السلطات المصرية وأمضى بعض الفتية وبالتكليف أو بحماسة أحدثها التصرف التأديبي الأردوغاني مع إسرائيل لا فرق، ساعات في تدمير ما كان يجب أصلاً ألا يشاد، لا يعني توق هؤلاء إلى زمن الحرب. كما أن تسلق المبنى، الذي تتخذ السفارة من ثلاث طبقات فيه مقراً لها، لإنزال علم إسرائيل ووضع علم مصر مكانه وكذلك بعثرة إضرابات ووثائق وأوراق أُلقيت من طبقة عالية في المبنى وتطايرت في الهواء قبل أن تستقر على أرض محيط السفارة حيث تسببت الفوضى بمئات من المصابين بعضهم قتلى، لا يعني بالضرورة أن المتسلقين توافقوا إلى الجهاد ولا يعني أن فعلهم هو موضع قبول «القيادات الثورية» و«الزعامات الحزبية» فضلاً عن الدولة لهذا الفعل. ومن باب الإفتراض نقول إنه لو طلب المجلس العسكري من قيادات «ثورة 25 يناير» و«ثوارها» ومن الجماعات الإسلامية وقيادات الأحزاب المتناثرة إعداد لوائح بأسماء وعناوين الذين يرغبون في التطوع للمرابطة في سيناء إستعداداً لمواجهة قد تحدث مع إسرائيل فإن هذه اللوائح لن تُجز بسرعة كما أن المتطوعين لهذا الغرض هم بالمئات عكس المليونيين الذين لا يدرون ببعض ما يفعلون أي إساءة يسيئون إلى سمعة بلادهم وأي إهانة يهينون بالهتافات التي تصدح بها حناجرهم ضد الجيش الذي لولا وقوفه المتوازن لكان مبارك وطاقم حكمه ما زالوا في دواوينهم (كما اليمن وسوريا وبعض الشيء ليبيا) وكان «الثوار» في قفص الاتهام.. وبالذات أولئك الذين بفعل الكيف يبتكرون هتافات تصلح لجلسات من إياها في عوامة من نوع تلك الجلسات الدخانية التي أورد طبيعتها نجيب محفوظ في رواياته، أو يضعون كلمة الملابس على إسم وزارة أمنهم بحيث تصبح «وزارة الملابس الداخلية».

ونُخلص إلى القول إن هذا الذي يجري في مصر هو

نوع من المضحكات... ولكنه ضحك كالبكا. بل إنه «مساخر ثورية» وصلت بـ «الثوريين الساخرين المستهترين» إلى أنهم يتصرفون على أساس أنهم «المجلس الأعلى لتدمير مصر» بدءاً بالإساءة إلى جيش المحروسة ومؤسسات أمنها وبحيث إذا إجتاحتها مجتاحون لا قدر الله ذات يوم سيجدون أن المحروسة... من غير حراسة.

ويا ويل أحفاد حضارة السبعة آلاف سنة من شر أفعال «الكيف الثوري» وتمثيلهم بمقامات الدولة مفترضين أن جنرالات مجلسهم العسكري سيقبضون من الكاظمين الغيظ الذين لا ينفون عن المتلاعبين بأقدار الوطن. بل إن هؤلاء الجنرالات سيؤكدون أنهم ليسوا نوابير مصر النائمة عن الثعالب.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 12 سبتمبر 2011

ملك الأخبار الطيبة

هكذا دائماً إعتادت الأمة على الأخبار الطيبة تأتيها من حاضنة الإستقرار المملكة العربية السعودية وكأنما الملك عبد الله بن عبد العزيز في ما يرفده من تلك الأخبار، يبدو كمن يفي نذوراً آل على نفسه أن يفيها منذ أن تسلّم المسؤولية كاملة في الدولة آخذاً في الإعتبار أن الأوضاع السائدة لا تتحمل التأجيل وأن عامل السن والصحة، أطل الله عمره وأسبغ عليه العافية، لا يجيز التباطؤ.. فضلاً عن أن هموم الأمة كثيرة والقضايا العالقة أكثر وأصحاب الهمم والإقدام قلة وبعضهم من أصحاب النية الطيبة لكنهم، نقيض ما هي عليه حال عبد الله بن عبد العزيز، يعملون لدنياهم فيما أبو متعب في ما يفعله في دنياه عينه على الآخرة ووجدانه متصل بما يُرضي رب العالمين.

كانت فاتحة الأخبار الطيبة تلك المتعلقة بتمتين أساسات الإستقرار والإستمرارية التي تواكب ما يحدث في العالم، وبحيث تتعزز دولة إكتسبت خاصية التأسيس ومن جانب شعب اللغة الواحدة والدين الواحد، أي بما معناه لم تكن على سبيل المثال مثل الولايات المتحدة التي إختلط التأسيس لها بين البريطاني والإيطالي

والفرنسي والإيرلندي والمكسيكي والأفريقي وعشرات الأمميين الآخرين. وجاءت الخطوة تتمثل بـ نظام «هيئة البيعة» أصدره الملك عبد الله يوم الجمعة 20 أكتوبر/ تشرين الأول 2006 بعد أربعة عشر شهراً وسبعة عشر يوماً من المباحية (الأربعاء 3 أغسطس/ آب 2005) فقبول الخبر الطيب بإرتياح وإطمئنان إلتقى حولهما وشعر بهما الطيفان: الطيف السعودي المتمثل بجيل الأحفاد من أبناء العائلة التي تقود. والطيف الآخر المتمثل بالمجتمع السعودي بمختلف أحواله. فهؤلاء جميعاً باتوا أمام خارطة طريق روعي في من سيقول المسؤولية فيها أن يكون من نسيج راسم هذه الخارطة عبد الله بن عبد العزيز، أي بما معناه يتسم بالكفاءة والولاء للوطن والإلتزام بأخلاقيات لا بد من التمسك بها، إذ من دونها لا يمكن للإستقرار أن يتكرس كما أن الإستمرارية تصبح عرضة لعواصف تحدث فجأة وتكون تداعياتها مثل تلك التي تنشأ عن أعاصير الطبيعة أو زلازلها.

وقبل إصداره نظام «هيئة البيعة» الذي يجري بكل الثاني تنفيذ الخطوات المتصلة به من تعيينات في مناصب توشّر إلى ما سيحدث لاحقاً ويتولاها الأكفاء والأصالح من بين جيل أحفاد عبد العزيز، هاهو الملك عبد الله يوسّع دائرة التعامل السعودي مع دول كبرى غير مأخوذة أهميتها حاضراً في الحساب من الدول الأكبر مثل الصين والهند ويستحصل من هذه الدول وعوداً فيها من الصدق أكثر بكثير من وعود تبلّغها من رئيس أميركي متقلّب ثم من خلف له متلون، وهي وعود تتصل بمبادرته من أجل التسوية المصلحة للأحوال في المنطقة يرى أن نظام "هيئة البيعة" وما يمكن أن تحققه مضامينه والمبادرة التي إكتسبت إجماعاً عربياً غير مسبوق، هما عنوان عهده الذي يتمناه دائم الحضور في الذاكرة العربية - الإسلامية عموماً وفي ذاكرة الأجيال المتواصلة من أبناء المملكة وبناتها، وليس الأبناء فقط، بحيث يتباهى هؤلاء وهم ينعمون بالإستقرار أن تراث الملك عبد الله بن عبد العزيز طيب الله ثراه كان تأسيساً جمّع بين خير الإنتماء القومي للعروبة وحصانة التمسك بالدين الحنيف لهذا الإنتماء وتلك خير معادلة في زمن الإرهاب العائدي الذي تعيشه المنطقة العربية.

وهنا لا بد من الإقرار بحقيقة أن هذا الذي أنجزته القيادة الفلسطينية في الأمم المتحدة ما كان ليتم إنجاز

لولا الإلتفاف النحوي من جانب عبد الله بن عبد العزيز حول الجمع الفلسطيني من أجل إنهاء معاناة شعب يقاسي الويلات من مغامرات المراهنين عليه بدل الإلتفاف عليه وتوظيفه من جانب المغامرين المراهنين في مخطط يطالب بفلسطين من البحر إلى النهر لكنه عملياً يُبعداها عن شواطئ البحر ووضفاف النهر ويُبقيها في التيه. ومع إن حالة من العتب نشأت في نفس الملك عبد الله بسبب إخلال الجانب الخمساوي في إخلال الجمع القيادي الفلسطيني بما تم عليه، التفاهم وإلى درجة حلف اليمين في لقاء مكة المكرمة (من الثلاثاء إلى الخميس 6-8 فبراير/ شباط 2007) على الإلتزام، إلا أن بومتعب ما قبل اللقاء بقي بومتعب ما بعده. فالقضية هي الأساس وليس أن يرتد هذا الطرف أو ذاك عن عهد وينكث بيمين حلفه على مرأى الملايين الذين تابعوا ذلك على الفضائيات. ولكي لا يبدو الرئيس الفلسطيني الذاهب إلى المنظمة الدولية أسير مخاوف من تأديبات مالية يتم إنزالها به بسبب إصراره على عدم إطاعة مثلث الملعة (أوباما. ساركوزي. كامرون) المغلوب على أمرهم من تأثيرات "اللوبي اليهودي" أو ربما لأن مشاعرهم تجاه إسرائيل صادقة لكنها كاذبة تجاه الفلسطينيين، فإن الملك عبد الله رقد بشكل إستثنائي وعاجل السلطة الوطنية الفلسطينية يوم الأربعاء 21 سبتمبر/ أيلول 2011 (أي قبل يومين من تقديم الرئيس محمود عباس طلب إنضمام فلسطين إلى الأمم المتحدة) بمئتي مليون دولار دعماً لها وكأنما أراد القول للرئيس عباس ورفاقه المصممين على تقديم العضوية: إتكلوا على الله ولا تتراجعوا ولا تخافوا.

وحيث إن حديث الأخبار الطيبة تأتي من الملك عبد الله فإن الإشارة تبدو ضرورية إلى ما فعله من أجل لبنان حتى إستقر حاله غير عابئ بسوء الكلام والنوايا تصدر من البعض، وإلى ما كان سيصيب العراقيين لو أنهم لبوا نصيحته ومبادرته للتوفيق، وإلى ما كانت ستبدو عليه سوريا البشّارية لو أن رئيسها الذي طوى اللحظة التاريخية المتمثلة بالمسامحة له والتي عبّر عنها الملك عبد الله بن عبد العزيز في القمة الإقتصادية العربية في الكويت (الإثنين 19 يناير/ كانون الثاني 2009)، وإلى ما يمكن أن تتأله مصر من تهمّ وعون إن هي أخذت بالتعقل ووقفت مسلسل التمثيل بالأحياء الأموات من رموز تجاربها لأن «ثوارها» عن الفطنة

ساهون، وكيف أن هذا التمثيل يمكن أن يجعلها ونتيجة الإقتصاد السيئ والسياحة الأسوأ والأمن البالغ سوء ومداخل العملة الصعبة المهددة بالنضوب إلى دولة لا أمل يُرتجى من شأنها لأن القوة السكانية تفيد كورقة في حال كان السعي على النموذج الصيني والماليزي والتركي أخذاً بالنصح المتتالي من الملك عبد الله بن عبد العزيز الحادب على مصر المحب كما الشعب السعودي لها.

وأخر الأخبار الطبية وليس أخيرها هو الذي أتى من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم الأحد 25 سبتمبر/ أيلول 2011 والذي طالما سبق وأعطى إشارات لا بد أن السعودي اللبيب فهمها وذلك عندما الملك في الوفد الذي رافقه في إحدى زيارته الدولية من يمثل المرأة وكذلك عندما أحاطت نساء كريمات به ونشرت وسائل الإعلام ذلك وعندما أراد أن تكون «جامعته» للعلوم ملاذاً علمياً مختلطاً. ويتمثل الخبر الطيب الجديد في الإعلان عن قرارين أصدرهما ويقضي الأول بإدخال المرأة السعودية عضواً كامل العضوية في مجلس الشورى ابتداء من الدورة المقبلة (تبدأ العام 2013) ويعطي القرار الآخر الحق للمرأة في الترشيح لعضوية المجالس البلدية وبذلك لن يبقى إلا 816 عضواً موزعين على 285 مجلساً بلدياً من «سي السيد» فقط. وبأهمية طبيعة القرارين نجد الملك يقول في حيثيات قراره إنه إتخذهما «بعد التشاور مع كثير من علمائنا في هيئة كبار العلماء وآخرين خارجها الذين إستحسنوا هذا التوجه وأيدوه»، وأن «ضوابط الشرع الحنيف» هي من شروط الترشيح. وهذه حيثيات معناها أن «الحصانة الدينية» للقرارين حاصلة، وأنه إذا كان صاحب القرار إتخذ قراره والمرجع الديني إستحسن القرار، فإن على المجتمع الذكوري أن يتجاوب من دون هواجس وتهيزات ومن دون الإصغاء إلى الذين سيستندون في إعتراضاتهم إلى أن «الرجال قوامون على النساء» أو الذين سيردون على الخبر الطيب جاء المجتمع من ولي الأمر ب «فتاوى» من على شاشات فضائيات يتقنن مطلقوها بما من شأنه البلبل.

وحيث إن ميزة أعضاء مجلس الشورى أنهم في معظمهم من حملة شهادة الدكتوراه، فإن عضوات مجلس 2013 يتمتعن بالميزة نفسها، ذلك أن اللواتي يحملن هذه الشهادة بالألوف. وسيكون أمر قيادة المرأة للسيارة بعد

الآن من الأمور العادية وبالتدرج... وعملاً بأن الأهم، أي مشاركتهن في مناقشة القرار السياسي، يتقدم على المهم أي قيادتهن بطمأنينة للسيارة بدل ما هو حاصل الآن ومبغوض بعض الشيء.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأحد 2 أكتوبر 2011

رسالة لبنانية لمعاودة السعي السعودي

على غير ما هي المواقف المتصلة بتناقضاتهم ومشاكساتهم وولاءاتهم، فإن رموز القوى والأحزاب والتيارات السياسية في لبنان وجدوا أنفسهم يرون في رحيل ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز أنه المناسبة لكي يعبر الجميع عن مشاعرهم تجاه فقدان لبنان الوطن والشعب والصيغة سندا كان دائم الحرص عليه ودائم الإنحياز إلى صيغته منسجماً في ذلك كل الإنسجام مع ما يريده الشعب السعودي للبنان وما يبذله خادم الحرمين الشريفين من أجل أن تستقر حال لبنان شأنه في ذلك شأن إخوانه الراحلين من قبل الذين كان بند لبنان حاضراً في أجندة حكمهم منذ الملك سعود وحتى الملك فهد مروراً بالملك فيصل والملك خالد رحمة الله على الجميع وطيب ثرى والدهم الملك عبد العزيز الذي أوصى الأبناء بلبنان وأطال الله عمر الملك عبد الله الذي يضاعف السعي ويشدد على وحدة الصف.

ومثلما كان بين الذين إصطفوا في رحاب السفارة في لبنان لتقديم واجب العزاء إلى السفير علي عواض عسيري محاطاً بإخوانه أركان السفارة، من يعزي كمحب للمملكة ممثلاً لما تقدمه للبنان في الأيام الضراء وما يثلج صدور أولي الأمر فيها عندما تصل مسامعهم الأخبار السراء، فإنه كان أيضاً من جاء يعزي ويأمل من وراء مشاركته أن تتناسى المملكة كلاماً كان من الأفضل ألا يقوله عنها متهوراً في إتخاذها سابقاً. وقبل مناسبة التعزية بوفاة الأمير سلطان على مدى ثلاثة أيام غير مسبوق هذا التحشيد والتنوع فيها من كل الأطياف اللبنانية، كان رموز القوى والأحزاب إياهم إغتتموا مناسبة اليوم الوطني الواحد والثمانين للسعودية وأخذوا مهادنة لسانية تشبه قيلولة ما بعد الظهر لمجرد أن تهب نسائم

من الطراوة في الأجواء الشديدة الحرارة، ورأوا في مشاركة سفارة المملكة الداعية إلى الإستقبال التقليدي للمناسبة، خير مناسبة لمعاودة إبلاغ خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز ما معناه ضمناً أنهم هذه المرة سواء بالحضور الشخصي لبعضهم وبمن جاء بتكليف من المرجع الأعلى، يشعرون أن ما إنتهى إليه الوضع في لبنان وما قد يستتبع الذي حدث ما هو أكثر خطورة، يحتاج إلى معاودته السعي، ذلك أن الزمن الذي عولجت فيه الأزمة نتيجة النُصح والتنبية وتجاوز الصغائر من صغار والتقلبات من كبار وعدم الإلتزام من الذي هم أكبر تأثيراً، كان زمن الإستقرار النسبي نتيجة السعي الطيب من المملكة التي من النادر أن يلحظ المرء إساءة، فعلاً كانت الإساءة أو كلمات تعبيراً عن موقف، صدرت من جانبها ضد لبنان، فضلاً عن أن الرفق به وطنياً وشعباً ومؤسسات كان عنوان الموقف السعودي ماضياً وحاضراً ودائماً. وعندما يكون هذا هو الموقف ويحرص سفراء المملكة بدءاً من زمن لبنان الميثاق الوطني في عصر الملك المؤسس عبد العزيز رحمة الله عليه وصولاً إلى عصر الملك عبد الله بن عبد العزيز أطال الله عمره إستكمالاً لعصر الملك فهد بعد إخوانه الثلاثة الملك سعود والملك فيصل والملك خالد طيب الله ثراهم، على تنفيذ تعليمات أولي الأمر بأن يكون بند لبنان ضمن «أجندة» أولويات الإهتمام، فلأن المملكة تدرك تمام الإدراك حساسية الحالة اللبنانية وخصوصيتها وتتصرف إزاء ذلك مع لبنان بما يُبقي الحالة والخصوصية في مأمن من طرف يريد أن يلعب ويستقوي بلبنان، أو من طرف متلاعب يريد توظيف لبنان، أو من معتدٍ يستغل التناقضات النائمة فيوقظها وبذلك تتحول هذه إلى فتنة ويستحق اللعنة من يوقظها.

كانت المشاركة اللبنانية من جانب رموز يمثلون الطوائف والأطياف لافقة. وأهميتها أنها ليست فقط ذات طابع بروتوكولي وإنما لشعور بأن السفينة اللبنانية التي تتلاعب بأشهرعتها رياح «الربيع العربي» يمكن أن تجد نفسها سائرة نحو شاطئ الظلمات وأن سبيل النجاة من هذا المصير المحتلّ الحوادث هو التأمل في ما سبق وسعى إليه الملك عبد الله بن عبد العزيز ووصل إلى حد أنه قام بخطوة لم يَقم بها حاكم من قبل في مواجهة أزمة. والذي يجعل السعي مثمراً ليس فقط جرّص المملكة كنظرة خالية من الأطماع بلبنان وإنما لأن الملك عبد الله يُميز

إزاء ما يحصل بلبنان بين ما يتمناه اللبنانيون ضمناً وبين ما يضغطه الضاغطون، أو للتحديد الضاغطان (النظام السوري والنظام الإيراني) دون ترفُّق به على نفسه والضاغطتان دون تفهم ورحمة (الإدارة الأميركية والرئاسة الفرنسية) على نفسه الآخر الأمر الذي يجعله مادة في سوق المقايضات. ولأن النظرة السعودية على هذا التمييز ومقتنعة بأن الأكثرية اللبنانية قد تكون شكلاً مورّعة على هذا النصف أو الآخر، فإنها لا تترك الوضع اللبناني وبالذات في ذروة التأزم ينأى عن إهتمامها. وزيادة في التوضيح نقول إنه لو كان طرفاً الأزمة ليسا من النوع المثقل بالضغوط المشار إليها لما كانا يريان في ساعة الشدة أن الرؤية السعودية هي العنصر المهدى للأزمة في لبنان وبالذات عند إقتراب تطورات هذه الأزمة من نقطة التفجر. وعلى هذا الأساس رأى الجميع، وبصرف النظر عن مرتبتهم في الطائفة أو الطيف السياسي، في مناسبة اليوم الوطني السعودي أن عليهم إبلاغ صاحب المقام الأعلى في المملكة عبدالله بن عبد العزيز من خلال سفيره في لبنان علي عواض عسيري كما الإبلاغ من قبل من خلال السفير عبد العزيز خوجه الذي إختاره الملك عبد الله ليكون وزير الإعلام في مرحلة صياغة متجددة لمرحلة نهوض شامل تتم بإيقاع قياسي شاملة قضايا أساسية وإجتماعية وتعليمية، أن بعض ما يجري في الفضاء السياسي اللبناني ليس من صنّع أصحابه وإنما للضرورة أحكام.

وعندما يجد السفير علي عسيري نفسه يوم إستقبال الرموز المتعاركين على مدار الساعة لكنهم في رحاب الإحتفال بالمناسبة الوطنية السعودية كما لو أنهم يوقعون على رسالة مشتركة تتضمن بأسلوب الإيحاء المطالبة بمعاودة السعي، محاطاً بهذا الجمع المتناقض، فإنه بذلك يرى أن الذي قاله قبل أسبوعين من حلول ذكرى اليوم الوطني وبعد أيام أمضاها في المملكة وتبلغ من أهل القرار وكذلك ما سمعه من السعوديين من رجال أعمال ومواطنين يستمد حنينهم إلى لبنان المستقر من حنو قيادتهم على لبنان، قد وجد نسبة رحية من الإصغاء، ونسبة أرحب من الإقتناع. والقول المشار إليه تمثّل في عبارة من نوع ما قلّ ودلّ وهي «حان الوقت لينعم اللبنانيون بالأمن والإستقرار» وقصده من ذلك أن كفى مجادلات عقيمة وعناداً لا جدوى منه وأن الحوار البناء على النقاط غير الخلافية يُمهّد الطريق إلى التفاهم على

النقاط الخلافية وذلك خشية أن يعصف عدم التفاهم إزاء ما هو خلافي بما هو غير خلافي.

وهذا الكلام وغيره كثير سمعه لبنان الرسمي والحزبي من السفير عسيري، سبق وقيل بمفردات أخرى نثراً وشعراً من جانب السفير السلف عبد العزيز خوجه الذي ما زالت نصيحته المستقاة من روحية رؤية الملك عبد الله حاضرة في الوجدان اللبناني، والنصيحة النثرية كانت مساء يوم الخميس 19 مارس/ آذار 2009 وهي كالأتي: «على المسؤولين في لبنان تغليب مصلحة الوطن عبر الإنكباب على حوار معمق مسؤول يؤدي إلى حلول مقبولة من كل الأطراف» كما كان للنصيحة نوع من التمني تمثل بالقول: «حافظوا على لبنان بأشفار عيونكم لأن الله عز وجل حباه بخصائص لم يهبها لسواه». أما النصيحة الشعرية فإنها في طيات تلك الأبيات المحزونة ومنها «لبنان في قلبنا نار توترقنا... خوفاً على بلد قد عزّه الأزل».

وعند التأمل في الذي يحدث في سوريا ويستمر الحدوث في ليبيا واليمن وقبل ذلك في العراق وما قد يحدث في أقطار أخرى، نجد أنفسنا كما الذين لبوا دعوة السفير السعودي علي عسيري نتمنى أن يُستعاد المسعى الطيب من جانب الملك عبدالله كي لا ينتهي الجدل العقيم إلى أن لبنان وقع في شر أفعال بعض أبنائه وولاءاتهم الملتبسة. والغرض بين ما ننمناه بصريح العبارة وبين ما يتطلع إليه الذين لبوا دعوة السفير عسيري وحيّاهم أطيب تحية على وقع العرضة، أن هؤلاء عبّروا بالإيحاء لأنهم مضغوطون في حين أننا ننتمي إلى الطيف المتجرد في الأكثرية التي بسبب وطأة الضغوط ترى وبكامل الإقتناع أنه من الخير للبنان الكيان والشعب والصيغة والخصوصية الأخذ بما نصح به الملك عبد الله بن عبد العزيز قبل «الربيع العربي»... وبما يراه بحنكة القائد المستقيم الرأي إزاء العواصف الساخنة في هذا «الربيع» المتواصل.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 8 أكتوبر 2011

* * *

رُبَّ غُضْبَةٍ نَافِعَةٍ

لا ندري لماذا إختار الدكتور عصام شرف رئيس

وزراء مصر «ثورة 25 يناير» فضائية تركية لكي يقول من خلالها الكلام الذي بقي على مدى سنوات حبيس صدور رموز العمل السياسي والحزبي والثوري والإخواني والوفدي واليميني واليساري والأزهري، والأهم من هؤلاء رموز المؤسسة العسكرية المتمثلة بـ «المجلس الأعلى للقوات المسلحة». لماذا من خلال القناة التركية وليس عبر إحدى الفضائيات المصرية، بل والتلفزيون المصري الرسمي الذي أعاد بث المقابلة نقلاً عن الفضائية التركية مع أن منطق الأمور هو حدوث العكس.

وما قاله رئيس الوزراء المصري وبثته الفضائية التركية عصر يوم الخميس 15 سبتمبر/ أيلول 2011 اليوم الذي أنهى فيه أردوغان زيارته لمصر هو «إن معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ليست شيئاً مقدساً وبنودها قابلة للنقاش وذلك بما يفيد مصلحة المنطقة وعملية السلام. وبنود هذه الإتفاقية قابلة للتغيير إذا ما تطلّب الأمر ذلك».

قد يكون الدكتور شرف رأى أن زائر مصر الكبير الشأن رجب طيب أردوغان خطف البريق الوطني لـ «ثورة 25 يناير» بمواقفه من إسرائيل ومن بينها عشية زيارته إبعاد السفير الإسرائيلي لدى تركيا والتمسك بطلب إعتذار إسرائيل عن عدوانها على سفينة السلام التركية والتعويض على المواطنين الأتراك الذين كانوا من ضمن المجموعة المختلطة الجنسيات في طريقهم إلى غزة، وكذلك الإصرار على رفع الحصار عن غزة. كما قد يكون رأى ضرورة تسجيل وقفة وطنية من جانب الحكومة تغطي ما حدث من جانب مجموعات من المصريين الغاضبين الذين إقتحموا أسوار سفارة إسرائيل وتسلق أحدهم وأنزل علم مصر ثم إستطاع أفراد دخول طبقة من الطبقات الثلاث التي تتخذ سفارة إسرائيل منها مقراً لمكاتبها وبعثروا المحتويات ورموا الملفات بما حوت من وثائق من نوافذ الطبقة التي تضم القسم الإداري للسفارة، متسببين بإضطراب رجال الأمن لتنفيذ مهمة تأمين سلامة السفير الإسرائيلي وطاقم السفارة من الخروج بأمان وتسفيرهم إلى إسرائيل تجاوباً مع مسعى أميركي على أعلى المستويات تولّاه الرئيس أوباما شخصياً.

كلام رئيس وزراء مصر حول المعاهدة نوع من الغُضْبَةِ مع بعض الفضفضة، ولا يرقى إلى مرتبة الموقف الرسمي الحاسم، ما دام ليس هنالك توافق حوله،

ذلك أن مصر في مرحلة إنتقالية حيث هنالك سلطة وإدارة إنما ليس هنالك رئيس للبلاد من حقّه إلغاء المعاهدات أو تعديلها وليس هنالك برلمان يتقدم بعض أعضائه بإقتراح إلغاء أو تعديل بنود في المعاهدة لكي تتم المناقشة قبل رفع الأمر إلى رئيس البلاد كي يتخذ القرار. بل حتى إن القائل بعدم قدسية المعاهدة تقتصر مهمته على تصريف أعمال.

لكن مع ذلك حققت الطلقة الغرض. فالحكومة الإسرائيلية إرتبكت وبدأت تستفسر وتنشط لدى الراعي الأميركي لكي يتدخل مع تشديد المدير العام للخارجية الإسرائيلية رافي باراك لدى إجتماعه في اليوم التالي (الجمعة 16 سبتمبر) لمدة نصف ساعة بالسفير المصري ياسر رضا على إبلاغه «إن إسرائيل مستاءة من كلام رئيس الوزراء المصري لأن المعاهدات يجب أن تُحترم حرفياً وأنها من جانبها لا تنوي مراجعة معاهدة كامب ديفيد للسلام لعام 1979 وهي خطوة لا يمكن إتخاذها أحادياً». والحكومة الأردنية بدأت تجد نفسها أمام احتمال أن يتكرر فعل الغضب المصري على سفارة إسرائيل على نحو ما تتضمن من تداعيات، فينصبُ الغضب الأردني الساطع على سفارة إسرائيل في عمان. ومن جانبه فإن الرئيس أردوغان بات رغم وساطة أميركية للتهدئة غير مرحّب بها من جانبه ليس من مصلحة طموحه في أن يكون عبد الناصر الجديد متسيّداً للجمع العربي - الإسلامي من خلال الورقة الفلسطينية، أن يعيد النظر في تحديه لإسرائيل ذلك أن أي إستدارة من جانبه ستجعل معارضيه من الأطياف اليمينية العلمانية يحاولون الإنقضاض على زعامته بالتعاون مع المؤسسة العسكرية التركية التي ضعف ساعدها بعض الشيء لكن تبقى قادرة على رمي الأردوغانية لمجرد أن يشدد الساعد بفعل تعثر خطة أردوغان نتيجة جموحه وإندفاعه الذي ما زال حتى إشعار آخر دون جموح وإندفاع الرئيس محمود أحمددي نجاد الذاهب إلى الأمم المتحدة متأبطاً بالتحديات، والرئيس (الراحل) صدام حسين الذي أودت به ود «العراق البعثي» التحديات أيضاً.

في أي حال قد تُثمر «الغضب الشريفي» سواء كان يقصد إفتعالها أو أنها جاءت عفوية أو نتيجة عدم ترك أردوغان فارساً مقداماً في عيون المصريين الذي بدأ بزيارتهم جولة محاولة إستقطاب العهود العربية الجديدة

في مصر وتونس وليبيا إستعداداً لإستقطاب الجزائر التي تعيش حقبتها البوتفليقية بداية مخاض أدناه ولادة كالتى من المرجح حدوثها في اليمن وأقصاه ولادة ليبية وذلك على أساس أن نفط الجزائر يستحق مغامرة أطلسية كتلك التي خص بها الأطلسة ليبيا ذات الآبار، فضلاً عن أن مغامرة في الجزائر من شأنها أن تحمي الوجود الأطلسي المرتقب في ليبيا بعد إكمال نشر «الديمقراطية» في ربوعها على نحو النشر البديع لهذه «الديمقراطية» في العراق المتفجر على مدار الساعة.

أما الذي قد تثمره الغضب إلى جانب فتحها صندوق المعاهدة المحرّم فتحه منذ أن وقّعها السادات وحتى يوم قول رئيس الوزراء عصام شرف أنها غير مقدسة، فإنها قد تُهدي الإدارة الأميركية وأكثرية دول الإتحاد الأوروبي إلى سواء السبيل فتبيّن هذه أمر طلب الرئيس محمود عباس يوم الجمعة 23 سبتمبر/ أيلول 2011 «إكتساب فلسطين عضوية دولة من دول الأمم المتحدة» وذلك على أساس أن الدول الموافقة سلفاً على الطلب تُجيز للمنظمة الدولية قبول الطلب وعلى أساس آخر وهو أن الرئيس أوباما سبق أن قال في مثل هذه الأيام من على منبر الأمم المتحدة «إنني أريد أن أرى فلسطين دولة في 2011». وما على رئيس أميركا سوى تنفيذ الوعد وليس التملص منه. وهو إذا نفذ سيكون قدّم إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز أفضل تهنئة باليوم الوطني للمملكة. فلولا سعي الملك عبد الله الذي إنتهى مبادرة عربية لما كان للرئيس أوباما أن يقول ما معناه إنه سيصحح ما لم يقم به سلفه الرئيس جورج بوش الابن الذي وُلدت المبادرة العربية في بداية ولايته الرئاسية الأولى وإستمر مراوفاً في شأنها حتى إنتهاء ولايته الرئاسية الثانية، ثم جاء الرئيس الخلف أوباما يصغي إلى نصائح عبد الله بن عبد العزيز وأهمها على الإطلاق أنه بتطبيق المبادرة تتحقق سلة متكاملة من الإنجازات بحيث تقوم دولة فلسطين، ولا تعود القضية الفلسطينية وسيلة للتكسب والتزعّم، وتغسل أميركا ومعها بريطانيا في حال عدم الحسم الشوائب المتراكمة على وجهيهما جرّاء تسامُهما مع ذنوب إسرائيل، ولا تعود نوازع الحروب هي السائدة، وتنحسر رقعة المتطلعين إلى الهيمنة على المنطقة. وكل هذه المكاسب يمكن إنجازها في حال تحققت الخطوة الأولى لقيام دولة فلسطين يوم 23 سبتمبر. كما أن بديل المكاسب يمكن

أن ينتهي كوارث، خصوصاً أن صاحب المبادرة العربية عبدالله بن عبد العزيز سبق أن قال ناصحاً ومُنْبهاً إن المبادرة يمكن أن لا تبقى على الطاولة، ثم ها هو الأمير تركي الفيصل وبأسلوب ما قلّ ودلّ وبقلم العارف بما يريده عمه خادم الحرمين الشريفين من الرئيس أوباما ومن الكونغرس بالقدر نفسه يقول من خلال صحيفة «نيويورك تايمز» المقروءة من الطرفين وبذلك تكون الرسالة وصلت إليهما وإلى صانعي القرار الأمريكي وشعب الولايات المتحدة الأمريكية «إستخدموا الفيتو ضد الدولة الفلسطينية.. إخسروا تحالفكم مع السعودية».

وهكذا فإن كلام رئيس وزراء مصر عصام شرف المتزامن مع دعوة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب، في اليوم نفسه بعد إستقباله الرئيس محمود عباس، الدول العربية والإسلامية لمواجهة احتمال حصول «الفيتو» الأمريكي، ينسجمان مع الكلام المشار إليه للملك عبد الله ومع ما كتبه الأمير تركي وهو مع الذي يؤديه الزعيم التركي أردوغان، كلام من يريدون القول: اللهم فإشهد. اللهم إنا قد بلغنا.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 15 أكتوبر (ت) 2011

إبتسامة أبو خالد

في الزمن الغابر العاصف وفيما حكام كثيرون يتمّ ترحيلهم مُضْرجين بالتصفيات التبشعة وبالكشف عن فظاعات إتسمت بها سنوات إستبدادهم وتعبس سواد صفحات حُكمهم ويمهد هذا الترحيل لنظرانهم في الأمة، يختار الله سبحانه وتعالى الأمير سلطان بن عبد العزيز في يوم فضيل ليكون إلى جوار ربه ويحدث ذلك على خلفية أدعية من الكثيرين إلى المولى عزّ وجل بأن يخفف من أوجاع المرض الذي يعاني منه وبأن يُشفيه فلا تغيب إبتسامة أبو خالد التي كانت تكمل مشهد الطمأنينة من خلال سماحة وجه الملك عبدالله بن عبد العزيز والتي كانت، مثل سماحة وجه خادم الحرمين الشريفين، نادرة في أوساط أهل القرار العربي والإسلامي في زمن إزدهرت فيه ظاهرة قساوة قلوب بعض أهل الحكم وتقطيب الوجوه لدى زعامات كثيرة في الأمتين،

وفي نظر هؤلاء أن تقطيب الوجه وعدم إنفراج الأسارير يؤكد أهمية الشخص، ثم تأتي الإعصارات العربية لتؤكد كم أن هذا التقطيب كان حالة إستقراز أكثر من أن يكون أحد مقومات الأهمية.

على مدى أربعة عقود من العمل الصحافي إعتدْتُ إضافة إلى البحث وجمع المعلومات والتأكد من صحتها قبل المباشرة في الكتابة عن هذا الحدث أو ذاك أو تحليل هذه الواقعة أو تلك قراءتين. قراءة ما بين السطور. وقراءة ملامح وجه المسؤول المعني بالحدث أو الواقعة. وكان الأمير سلطان بن عبد العزيز هو الوحيد الذي ترسم الإبتسامة بشكل عفوي على محياه عندما يزور أو يُزار وعندما يتفقد أبناء المؤسسة العسكرية التي بناها بوقت قياسي وضمن رؤية دفاعية وتزداد إرتساماً عندما يفتح قاعدة عسكرية متطورة أو مدينة طبية أو ي دشّن مشروعاً أو إعادة تأهيل إنجازات مثل مطار جدة الذي يحمل إسم الوالد الملك المؤسس. كما أن تلك الإبتسامة كانت في بعض مراميهما بنداً من بنود الخطاب السعودي عند مناقشة القضايا المتشابكة بين العرب والمجتمع الدولي. وفي كثير من اللحظات الصعبة كانت إبتسامة الأمير سلطان وكما كنا نلاحظها في صور منشورة أو لقطات مبنوثة عبر الفضائيات تتسبب في حيرة الطرف الآخر وبعد الحيرة تتبدل طبيعة المناقشة.

المرّة الوحيدة على الأقل من جانبي كمتابع وراصد للتحرك الرسمي للأمير سلطان التي غابت الإبتسامة عن محياه كانت عندما توفي الملك فهد (الأول من أغسطس/ آب 2005) الذي كان بالنسبة إلى الأمير سلطان وأشقائه بمثابة الوالد الروحي لهم أو على حد توصيف الأمير له بأنه «كان أباً للصغير وأخاً للكبير..». ثم ما لبثت هذه الإبتسامة أن استعادت مكانها على المحيا الذي تزايدت الأعباء عليه بعدما إختاره الملك عبدالله بن عبد العزيز ولياً للعهد لتكتمل بهذا الإختيار المحطة الأهم في مسيرة الأمير سلطان التي تدرجت خطواتها وفق قاعدة التأهيل التي أرسى أساساتها الملك عبد العزيز وتقوم على التأهيل المتدرج وعدم القفز فجأة من الموقع الأدنى إلى الموقع الأعلى على نحو ما زلنا نعيشه في أنظمة عربية وجاءت إعصارات التغيير لتؤكد مخاطر هذا القفز وبصرف النظر عن حيثيات الإضطراب إلى الأخذ بها، كما لتؤكد

أن التوريث ليس غواية أو هواية وإنما له أصول وقواعد ومراعاة لمشاعر الرعية. وعندما لا يتم الأخذ بذلك فإن أنظمة من يرث أو يخططون للتوريث تصبح بنياناً آيلاً للتساقط ومن دون أن يُفيد إزهاق أرواح المعترضين والمتظاهرين في تثبيت أساسات هذا البنيان المشارقي أو ذاك المغربي أو الذي على كتف الخليج. وما نقصده بقاعدة التأهيل بالنسبة إلى الأمير سلطان أنه لم يصل إلى المرتبة الأعلى إلا بعدما اجتاز المراتب السابقة التي بلورت شخصيته القيادية أمنياً وسياسياً فهو في البداية يتراش حرس والده، وهو بعد ذلك يختبر الإدارة أميراً للرياض ثم المنصب الوزاري وزيراً للزراعة والمواصلات ثم رفيق زيارات ومهمات قام بها أخاه الملك فيصل أحد أساتذة الدبلوماسية العربية وبعد ذلك وزيراً للدفاع. وهكذا تكون البداية كبرى حيث هي مسؤولية عن أمن الوالد المؤسس ونهاية المطاف مسؤولية أكبر حيث هي مسؤولية عن أمن البلد الذي أسسه الوالد. واللافت أن هذه المسؤوليات بالذات تجعل حاملها صاحب وجه صارم لكن وجه الأمير سلطان كان نقيض ذلك حيث حباه الله نعمة الإبتسامة التي هي في معظم الأحيان علاج للأزمات كما أنها إذا كانت لا تُشفي بمعنى تجزئة تعقيدات الأزمة، فإنها في أي حال تؤسس لمحاولة لاحقة يتحقق فيها المأمول والمنشود.

نصل إلى القول إن في ذاكرة أهل القلم من صحافيين وإعلاميين وكتاب مساحات لذكريات عن الحكام وكبار المسؤولين وذلك لعلاقة شبه إندماجية بين صاحب القرار وصاحب القلم، أو فنقل لأن كلاً منهما يرتبط بالآخر ويقوم الطرفان بإبصال الموقف وواقع الحال إلى الرأي العام. وبالنسبة إلى الأمير سلطان بن عبد العزيز فإن المساحة الخاصة في الذاكرة كبيرة كونه بات إحدى الظواهر الأكثر تميزاً في حياتنا المعاصرة ليس لجهة متانة الإرادة في المواقف الصعبة ومنها على سبيل المثال لا الحصر الموقف الكثير التعقيد في زمن حرب الخليج الأولى وإنما أيضاً لأن عطاءه المعلن منه وغير المعلن، كان أيضاً من هذه الظواهر التي نشير إليها وهو عطاء كان قبل التوكل، وإستمر خلال وطأة المرض عملاً بالقول الكريم في شأن مداواة المرضى بالكثير من الصدقات وسيستمر بعد الرحيل بهمة الأبناء البررة (الأمير خالد وإخوانه) لأن إحدى شمائل سلطان بن

عبد العزيز هي أن العطاء حالة مستدامة وليست موسمية.

إلى ذلك فإن الأمثلة الأخرى التي طالما تستوقفنا كمتابعين لحالة التوكل القاسي الذي واجهه الأمير سلطان بصبر المؤمن هي ملازمة الأمير سلمان لشقيقه وكأنما هو أحد طاقم التمريض. وهي أمثلة برسم أجيال الحاضر الذين إنحسرت نسبة التراحم في نفوسهم. وأمثلة ملازمة الأمير سلمان لشقيقه الأمير سلطان هي الملمح الآخر من شمائل الأول الذي هنالك حول طريقة تعامله مع والده الملك عبد العزيز وكذلك مع شقيقه الملك فهد حيث لازمه ليل نهار طيلة فترة مرضه، وقائع تترك في نفس المطلع على طبيعتها أبلغ الأثر والتقدير. وتحضرني وأنا أشير إلى ذلك الكلمات العفوية والصادقة للأمير عبد العزيز فهد الذي وردت في سياق مقالة له في «الشرق الأوسط» في العدد الصادر يوم الثلاثاء 15 فبراير/شباط 2009 لمناسبة العودة الأولى للأمير سلطان من رحلة العلاج جاء فيها قوله: «لقد أحبه والدي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز. أحب لطفه ونبله وفراسته وأحب عطفه وكرمه وإنسانيته...».

في ذمة الله هذا الإستثنائي بين رجال الدولة والوحيد بين أولياء العهود في ممالك العالم الذي يمتلك الدور والشراكة في صناعة القرار وتلك إحدى الصيغ التي أرادها الملك عبد العزيز للأبناء من بعده. يرحل بكل الإحترام له والتقدير من جانب كُبراء العالم والتأسف عليه مجللاً بأعمال الخير. وأما إبتسامة أبو خالد فإنها الثانية الحاضرة دائماً في البال، وبالذات عندما يرتفع منسوب الشدة العربية والإسلامية وتكون الأمتان تبحثن عن يبتكر المواقف المغلفة بإبتسامة ستفتقدها الأمتان في الأزمات المستعصية كما إفتقاد البدر في ليالي الظلمة وما أكثرها في هذه المرحلة من حياتنا العربية والإسلامية... وهي مرحلة لطالما تحتاج إلى رموز مفعمة بالروح الوطنية والعقل السياسي الذي يبقي الثوابت الوطنية في منأى عن إجتياحات المغامرين لها.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 22 أكتوبر 2011

أمير الدفاع عن المملكة... وأخواتها

يكتسب تعيين الأمير سلمان عبد العزيز وزيراً للدفاع صفة الحدث المهم، بل لعلها المرة الأولى في تاريخ الحكومات والتعيينات التي يأخذ فيها تعيين وزير مثل هذه الأهمية التي رافقت الخطوة منذ إصدار الملك عبد الله بن عبد العزيز الأمر الملكي يوم السبت الماضي (5-11-2011) بتعيين أخيه الأمير سلمان وزيراً للدفاع ثم جاءت نوعية أداء اليمين أمام الملك في اليوم التالي تضفي المزيد من الأهمية على الخطوة. ونقول ذلك على أساس أن التقليد المتبع في أداء اليمين يكون في ديوان وليّ الأمر وبحضور أفراد قلائل مسؤولين أو إداريين عاملين في الديوان، لكن الذي شأه الملك عبدالله بدا نوعاً من التكريم للأخ الذي رأى في إسناد منصب وزير الدفاع إليه أنه الاختيار الذي ينطبق عليه القول الرجل المناسب في المنصب المناسب، مع ملاحظة أن الأمير سلمان بن عبد العزيز وعلى نحو ما تركه على مدى أربعة عقود في نفوس الذين إجتمعوا إليه أو إجتمع هو بهم خلال زيارات قام بها إلى دول عربية وأجنبية، هو من رجال الدولة الذين تليق بهم المسؤولية ويليق بها أياً كانت طبيعة هذه المسؤولية. فهو صاحب عقل إستراتيجي شغوف بالمعرفة وواسع الصدر من دون أن يثنيه ذلك عن الحزم عند إتخاذ الموقف أو المشاركة في صياغة القرار.

والقول بأن الملك عبدالله شاء طبيعة الأداء غير المسبوبة لليمين بالنسبة إلى الأمير سلمان يتمثل في أنه إختار مناسبة إستقباله لأطيان المجتمع السعودي من مسؤولين وغيرهم من رموز الفعاليات الإقتصادية والمالية والصناعية والعسكرية وكذلك بعض الشخصيات السياسية العربية والإسلامية الذين جاءوا لتهنئة خادم الحرمين الشريفين بعيد الأضحى، لكي يؤدي الأمير سلمان اليمين أمامه وبحضورهم وكأنما يريد من هذه اللفتة القول ما معناه إنك يا أخي سلمان لست فقط الشخص الذي سيبدل كثير الجهد والسعي لملاء فراغ الأمير الراحل سلطان بن عبد العزيز، وإنما أيضاً الشخص الذي سيبقي على وزارة الدفاع مستقرة، وهو أمر بالغ الأهمية في زمن بلغت التحديات على المستوى الإقليمي مشارف المخاطر. كما إستكمالاً يريد الملك عبدالله القول إنك يا أخي سلمان الأكثر إحاطة بالقلق

الذي كان عليه أخانا الراحل والأكثر إستيعاباً للخشية من عاديّات قد تواجه المملكة إضطراباً وليس إختياراً أو مزايده، وإنك بالتالي على رأس وزارة واجبها ليس فقط الدفاع عن المملكة التي أسسها خير تأسيس والدنا طيّب الله ثراه، وإنما أيضاً الدفاع عن أخواتها في الأمتين وشعوبهما ومن دون أن يكون هذا الدفاع عن طريق يتبعها آخرون، وكلما كان ساعد المملكة قوياً بجيشها بعد الإيمان بدينها والحرص على الثوابت كلما كانت الأمتان أكثر ثقة وأقل خشية.

إلى ذلك إن أهل القرار العربي والدولي لن يحثاروا في تقييم وزير الدفاع السعودي الجديد وكيف يفكر وما هي نظرته إلى ما يحدث في ديار الأمتين وعبر المحيط، ذلك أن المسؤولين الكبار عرباً ومسلمين وأجانب يأتون إلى المملكة في مهمات أو في زيارات رسمية كانوا يحرصون على أن يكون اللقاء بالأمير سلمان في ديوانه في إمارة الرياض ضمن "أجندة" نشاطات الزيارة. كما أنه هو وبحصافة المسؤول الذي يعنيه إضفاء المزيد من المعرفة عما يجري في الدول التي يزورها يجعل من لقاءاته بكبار القوم من قادة ومسؤولين سياسيين وعسكريين مناسبة لتوطيد الأواصر أو إزالة اللبس عن مفاهيم لديهم. وبذلك بات سلمان بن عبد العزيز حاضراً في تفكير العدد الكبير من ضنّاع القرار على المستوى العربي - الإسلامي والمستوى الدولي.

وثمة حالة يأخذها في الإعتبار المرء مثل حالنا كمتابعين لمسيرة الأمير سلمان بن عبد العزيز وهو أنه يأتي إلى وزارة الدفاع وقد بلغ المرحلة الأعلى من النضج السياسي، كما أن ملازمته وعلى رغم الملمح الوجداني الحزين فيها نتيجة الظروف الصحية لشقيقه الأمير سلطان، جعلته يقف أكثر على رؤى إعتمدها الأمير الراحل ومن شأن استحضار شقيقه الأمير سلمان أطال الله عمره في اللحظات الصعبة لها أن تجعل مداخل عقول بعض أهل القرار الدولي غير موصّدة، وهو ما كان لا بد سيحصل لو أن شخصاً آخر غير سلمان بن عبد العزيز هو من إختاره خادم الحرمين الشريفين ليكون وزير الدفاع مخففاً عن كاهله المسؤولية المتصلة بالطيران.

وتبقى الإشارة إلى موقف شخصي وهو أنني من بين كثيرين سنفقد الفرصة التي كانت تشكل اللحظة المهمة

لنا في كل مرة نزور المملكة وتتمثل في تخصيص الأمير سلمان لنا بعض الوقت للسلام عليه في مكتبه والإصغاء إليه يوضح ما يحتاج إلى توضيح ويحل مواقف تحتاج إلى تحليل لطالما أفادتنا كإعلاميين في كتابة ما من شأنه أن يهدئ عندما يكون الجو عاصفاً عربياً ودولياً، وما من شأنه أن يخفف من منسوب الإحباط عندما تتقدم خيبات الأمل على مشاعر التفاؤل. وهذه اللقاءات العابرة بالأمير سلمان جعلتنا نعرف أكثر لماذا هو رجل الدولة المناسب في المنصب المناسب أياً كان هذا المنصب وبالذات وزير الدفاع في هذه الظروف التي تستوجب الحكمة بعد الحنكة من كل مسؤول يشارك في صناعة القرار. وبطبيعة الحال فإن ما كان متيسراً لنا مع سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض ربما لن يكون كذلك مع سلمان بن عبد العزيز وزير الدفاع الذي سيخلف الطيب الذكر الأمير سلطان بن عبد العزيز. وكلاهما إكتسب صفة العمادة، فلم يشغل منصب وزير الدفاع لا من قبل ولا من بعد، على ما يجوز القول، أحد كما شغله سلطان بن عبد العزيز. ولم يشغل منصب أمير الرياض لا من قبل ولا من بعد، على ما يجوز القول، أحد كما شغله سلمان بن عبد العزيز. وتلك قياساً بما تحقق في سنوات البقاء المديد للأميرين الشقيقين كل في موقعه علامة من علامات الاستقرار الذي أفرز إنجازات. رحمة الله على أبو خالد وكان التوفيق حليف أبو فهد.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 9 نوفمبر 2011

بشّار الحائر وسط التاءات الثلاث

عند التأمل في ما إنتهت إليه حال سيف الإسلام القذافي وأشقائه وقبلهم حال علاء وجمال مبارك وإحتمال ما ستنتهي إليه حال بشّار الأسد وعلي عبدالله صالح إذا كانت المبادرة العربية ستطوى بالنسبة إلى الرئيس السوري وكانت المبادرة الخليجية ستطوى هي الأخرى بالنسبة إلى الرئيس اليمني، يستحضر المرء عبارة «الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون». الأبناء

الثلاثة حتى الآن علاء وجمال مبارك وسيف الإسلام تحت رحمة الله يرأف بهم إذا كان كل منهم مجرد ضحية والده الذي إلتهم الحصرم أربعة عقود من دون أن يعتبر بشواهد حفلت بها عهود غابرة وفي الوقت نفسه أطعم الأبناء الكثير من حصرمه ظناً منه أن الإبن لن يضرس وسيبقى كتاب ما فعله الوالد طوال سنوات حكمه في منأى عن المساءلة.

حال الأبناء يُرثى لها. وإذا كان الإجهاز على عُدي وقُصي إبنني الرئيس صدام أراحهما من مصير كالذي لقيه إنهاء والدهما شنقاً وربما التشفي المتدرج من كليهما وعلى نحو ما هو حاصل مع علاء وجمال مبارك مع إختلاف نوعية التشفي حيث إن النفس المصرية أقل، حتى إشعار آخر أو إلى أن يثبت العكس، من نظيرتها العراقية لجهة الثأر أو الإنتقام، فإن حال سيف الإسلام ستُشكّل ذروة العذاب لمن كان حتى ما قبل إنهيان النظام يأمل في أن يواصل من بعد والده، وهو ما كان يأمله أيضاً جمال مبارك الذي كان أكثر تفاؤلاً بتحقيق مناه كون والده المريض لن يستطيع حتى تجديد الولاية الرئاسية حاله في ذلك حال صديقه وحليفه لبضع سنوات حافظ الأسد.

ما يدعو إلى الإستغراب هو أن الرئيس بشّار الأسد وعلي عبدالله صالح يديران الأزمة كل في بلده بالطريقة التي إستمر القذافي يديرها حتى الإجهاز عليه وليس في ضوء ما جرى للقذافي نتيجة إصراره على المواجهة ثم جرى لوريثه المفترض سيف الإسلام الذي جاء إصطياده على الطريقة التي حدثت في إصطياد صدام حسين، حيث إن أحد الأدلاء باح بالسر ومن دون الحاجة إلى التقنيات المتطورة أو الغارة الهوليوودية التي إصطادت أسامة بن لادن والتي قام بها "أشأوس" من الجيش الأميركي وكانت إحدى إنتصارات باراك أوباما ثم إصطياد الطريدة القذافية على أهون جهد. وهما بشّار الأسد وعلي صالح لو يتأملا في الذي جرى للقذافي ثم للإبن سيف الإسلام لوجب عليهما بالحصافة القبول بالحد الأدنى من السلامة والحصانة.. من أجل الأبناء على الأقل هذا الوجوب، خصوصاً أن كلاً منهما هو في وضع من تُفرض عليه الشروط وليس من يشترط، أو بالأحرى إن كلاً منهما لا مجال أمامه سوى القبول بما يقم إليه مُكرهاً لا بطل. فالمبادرة الخليجية لم تُطرح لكي تُعدّل وإنما لكي يَعْل علي صالح ويتوكل ويُعلن

القبول. والمبادرة العربية لم تُطرح لكي تُناقش وتكون بفعل الرضى وعدمه عرضة لإعادة نظر في عبارة هنا وبند هناك.

هنا يتساءل المرء: إذا كانت هذه هي طبيعة المبادرة العربية وتلك طبيعة المبادرة الخليجية فلماذا يتباطأ المتباطئان في شأن التجاوب معها.

لعل الرئيس بشّار عندما يستحضر، وبالمقارنة مع واقع الحال الراهنة، كيف كان الشأن في زمن والده وكيف كان أهل القرار العربي والدولي يتعاملون مع النظام، وكيف أنه حتى في مناسبة تشييع شقيقه باسل يوم السبت 22 يناير/ كانون الثاني 1994 والذي كان قضى وفق الإعلان الرسمي في حادث سيارة يقودها في طريقه إلى مطار دمشق يوم الجمعة برفقة ابن خاله حافظ مخلوف مغادراً إلى فرانكفورت، تعامل القادة العرب بأعلى درجات التعاطف وإلى حد أن الرئيس المصري حسني مبارك ومعه أركان الدولة المصرية تقدّم موكب التشييع إلى جانب الرئيس حافظ الأسد عدداً من كبار المسؤولين العرب وأن الدكتور سمير جعجع خط الهجوم الأول حالياً على النظام السوري خف إلى القرداحة على وفد رأس للتعزية شأنه شأن مواكب السياسيين اللبنانيين المتطلعين إلى التظلل بالخيمة الأسدية. ثم إنه عندما يستحضر ذلك الشأن لا يستوقفه أن ذلك الإنلقاف من الأشقاء العرب حول نظام والده حدث في زمن كانت الكفة العربية في الميزان السوري أعلى من الكفة الإيرانية. وهو لو إستوقفه ما نشير إليه لكان تصرّف بغير الأسلوب الذي يعتمد منه منذ إطلاق المبادرة ربما لأن الذين حوله لا يخلصونه المشورة وهذا أمر عظيم أو ربما لأنه كما الفدافي وكما عبد الله صالح لا يستشير وهذا أمر أعظم. وهنا نتساءل: لو أن الرئيس بشّار منذ أن بلغته واقعة الشرارة البسيطة في درعا وفيما التداعيات المصرية والتونسية ماثلة أمامه توجّه بنفسه إلى المدينة وعقد إجتماعاً مبثوثاً مباشرة على الإذاعات والفضائيات مع الدعاويين الذين أساءت السلطة إليهم وإلى مناصريهم الديريين بعدما كتب أحد الفتية كلاماً على جدار وإعتبر أهل الأمن والحزب القائد السائد أن ذلك من الكبائر في قاموس العقاب والثواب البعثي ثم إشتعل الحقل المتصحّر أصلاً لدواعي شراسة الأمن والفوقية والإستئثار، لكانت خطوته هذه ربما تحاصر

الإشتعال وكانت ستشكّل أمثلة في أسلوب الحاكم عندما تحدث شرارة في المجتمع ويصبح من الحكمة الإقدام فوراً على معالجة الأمر بالحكمة وليس بالقبضة ودفع قوات وآليات عسكرية لمطاردة متظاهرين، وعلى إطفاء الشرارة كي لا تمتد وتصبح حريقاً وعلى نحو ما حدث وتتواصل مشاهدته. كما أن الرئيس بشّار عندما يستحضر كيف أنه تسلم «إمبراطورية سورية» وليس مجرد حكم بفعل وفاة متوقعة للوالد الرئيس الذي أكل جصرمها سبقتها وفاة للشقيق الذي يتم إعداده لكي يتراًس، ثم ها هي مكانة «الإمبراطورية» تنحسر على يديه بدءاً بالإنسحاب إضطراراً وليس إختياراً من لبنان، وإنكماش أهمية الدور السوري بعدما طويت صفحة الدور الصّدّامي، فإنه لا بد يتساءل بينه وبين نفسه: وماذا بعد؟ لا إستعادة الأرض المحتلة تمت ولا لبنان السوري صمد ولا العلاقة مع المجتمع الدولي مستقرة ولا الأشقاء العرب وبالذات الذين طالما ساندوا وطالما تحمّلوا ما عادوا على ما كانوا عليه. وأما الجار التركي الأردوغاني فإنه أخذ إعتراضاً رسمياً باللواء السليبي من دون أن يعطي بالمقابل أو حتى ينجح كوسيط مع إسرائيل، فضلاً عن إنه بإفتراض كُتب لـ «الإمبراطورية الخمينية» أن تقوم فإن سورية لن تكون شريكة وإنما تابعة. وعلى هذا الأساس إما إستعادة كل المجد الذي كان وإما التحدي إلى ما لا نهاية. ومثل هذه الرؤية للواقع غير منطقية فالذي مضى مضى و«سوريا الإمبراطورية» حالة إنقضت وأن سورية التي تبقى هي «سورية المتواضعة». وهذا زمن الحكام الذين يقنعون ويهتمون بأوضاع دولهم وأحوال شعوبهم. ومن المؤكد أن الإستدارة التي لا بد منها كانت كفيلة بوضع سوريا على سكة السلامة. وأما الماضي في التحدي فإنه سيُبقى النظام السوري البشّاري حائراً أمام ثلاث تاءات (التعريب والتتريك والتدويل)، أفضلها لسوريا التاء الأولى التي إذا أضاعها النظام، سيجد مهما كانت ثقته بنفسه، أنه يؤسس لمأساة وأنه سيرى أن السنوات القليلة الماضية التي كانت سنوات أكل الحصرم ستليها نهايات وفواجع.

من يتأمل ويقارن يتأكد.. ومن يعيش ير.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 21 نوفمبر 2011

الحكمة أحياناً يمانية.. والنخوة دائماً سعودية

هذا الذي شهدته الرياض يوم الأربعاء 23 نوفمبر (تشرين الثاني) 2011 يجوز تصنيف طبيعته بعبارة: الحكمة أحياناً يمانية والنخوة دائماً سعودية. وكذا نقول «الحكمة يمانية» إستناداً إلى ما هو سائد بالنسبة إلى إخواننا اليمنيين، لولا أن الذي عاشه اليمن طوال سنتين من الكر والفر والدم المراق على جوانب ميادين صنعاء ومدن وبلدات أخرى في الشمال والجنوب على حد سواء، كان يفتقد إلى الحكمة من جانب الذين إنتفضوا وأولئك المنتفضين عليهم، ربما لأن زمن الحكماء ولّى؛ فلا هناك نعمان ولا أرياني يرفع الواحد منهما كتاب اليمن العاقل بين أهل القصر والثكنات وأهل الميادين والطرق، وعلى نحو رفع المصاحف لإتقاء ويلات إقتتال أبناء الوطن الواحد والدين الواحد.

لكن من حسن حظ أهل اليمن أن العناية الإلهية أعانت الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي يزداد صدره اتساعاً كلما ضاقت مساحة التروي لدى الذين يتنازعون، فاعتمد على النخوة المستديمة والنية المستقيمة وواصل السعي والانتظار، آملاً أن يأخذ الوعي طريقه إلى العقول والنفوس، فيقرر أبناء اليمن ما لا يقرره أبناء المحروسة مصر، الذين يمعنون تمثيلاً بتاريخهم وهدوئهم ومقاصدهم، وأبناء العراق الذين لم يحسموا أمر العراق المستقيم يسيرون عليه متوحدين بدل هذا التناذب الذي قد يؤدي إلى تناثر بلاد الرافدين، وأبناء ليبيا المستباحة التي استبدلت مضطرة ما هو الأكثر مرارة نتيجة معاناة طال أمدها بما هو بالمرارة نفسها.

وما قرره أهل اليمن وبما هو متيسر لهم رئيساً ومعارضة من العقد والربط، كان وضع أمرهم بين يدي عبد الله بن عبد العزيز؛ ليس فقط لأن المملكة العربية السعودية هي العمق المطمئن لأهل اليمن في السراء والضراء، وإنما لأن الأحوال اليمنية وصلت إلى درجة أن لا نهاية لتدهورها من دون صاحب نخوة يسدي الرأي المخلص ويداوي الجرح النازف ويتعامل مع أبناء الأمة بما يجعلهم غير قانطين، وبما، في الوقت نفسه، يبقوهم في منأى عن الخوف الآتي مما هو أعظم. والذي يعزز شأن هذا الدور الإنقاذي للملك عبدالله أن إخوانه قادة

دول مجلس التعاون الخليجي يشاركونه المشاعر نفسها تجاه أهل اليمن، ومن هنا فإن اللقاء الذي تم في قصر الملك عبد الله بين اليمن الذي يحكم واليمن الذي يعارض بدا كما لو أن هؤلاء القادة يعالجون أمر العضو السابع في مجلسهم، الذي سبق أن أعطى إشارات بأنه مفتوح أمام انضمام مملكتين (المغربية الراضة على ضفاف الأطلسي والأردنية التي تفصلها ساعة طيران عن الأرض الخليجية) إليه عندما تتضح الظروف وتؤكد حاجة كل منهما إلى ذلك.

كان المتفق عليه من جانب الأمم المتحدة في شخص جمال بن عمر، مبعوث الأمين العام وعبد اللطيف الزباني الأمين العام «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» وأطراف الأزمة اليمنية، من خلال أهل الحكم ورموز من المعارضة، أن يتولى عبد ربه منصور هادي، نائب الرئيس، التوقيع على المبادرة الخليجية إلى توقيع أطراف ثم يبدأ التنفيذ، بل إن بن عمر أبلغ الصحفيين في صنعاء يوم الثلاثاء 22 نوفمبر (أي قبل ساعات) من حصول المفاجأة التي شهدتها الرياض، أن المطلوب منهم التوقيع على المبادرة التي تأخذ طريقها إلى التنفيذ توصلوا إلى إتفاق حول الآلية التنفيذية للمبادرة وأنه يجري حالياً الترتيب لتوقيعها من دون أن يحدد موعداً لذلك، تاركاً في ساحة التكهّنات الكثير من الافتراضات. ومن الواضح أن المبعوث الدولي كان يعرف أن الأمر قد حسم وتحددت ساعة التوقيع ومكانه، إلا أنه اعتمد شيئاً من التموه الإيجابي، تصرف كما لو أنه في غرفة عمليات عسكرية ولا يريد جنراليتها الإفصاح عن موعد التنفيذ، كي لا تفقد الخطوة عنصر المفاجأة فيها أو ربما تحدث عرقلة ما في اللحظة الأخيرة، وأن الأفضل درءاً لذلك هو أن تكون لحظة التوقيع من جانب الجميع وفي المكان الذي تم اختياره، الذي هو قصر الملك عبد الله، هي الإعلان.

لن تكون نهاية المطاف، بالنسبة إلى الدور السعودي المهم بترويض الصراعات والأزمات التي تعصف بمعظم دول المنطقة، هذه الخطوة المتمثلة بوضع الجسم اليمني المبطل بالتحدي في غرفة العناية الفائقة، التي طالما استقبلت ماضياً الجسم اللبناني فأعادت إليه ما جعله قابلاً للحياة، بدليل أنه بعد 22 سنة على إتفاق الطائف لا يجد اللبنانيون صيغة أفضل لكيانهم السياسي في إطار وفاق العاقلين أو المتعقلين لدواعي البقاء

والسلامة، أفضل من ذلك الإتفاق الذي لخص راعي مؤتمره في الطائف على مدى شهر، الملك فهد بن عبد العزيز، يوم الإعلان الرسمي عنه (الثلاثاء 24 أكتوبر «تشرين الأول» 1989)، بالقول: «إذا كان الشعب اللبناني في خير وبحبوحه، انعكس ذلك على المملكة، كما أن العكس صحيح»، أما لماذا لن تكون الخطوة المشار إليها، التي وضعت اليمن على بداية طريق يحتاج إلى تنظيفه من بقايا ألغام سياسية مزروعة، نهاية المطاف، فلأن إنجاز صيغة للجانب الأصعب من الأزمة اليمنية، يستحضر إحياء المسعى السابق الذي كان بمثابة وضع حجر الأساس من جانب الملك عبدالله لترويض الصراعات والأزمات التي تمنع أكلاً في الجسم العربي. والمسعى الذي نشير إليه هو المتمثل بمحاولة جمع الشقيقتين الفلسطينيتين اللودنتين «فتح» و«حماس» للتعایش داخل البيت الواحد وإنهاء نزاع بينهما لم يسبب لقضيتهما سوى الوليات والمزيد من الإنهاك لجوهر القضية الفلسطينية. وإذا جاز القول فإن ركني الموضوع الفلسطيني باتاً في ضوء استرشادهما بالذي جرى للموضوع اليمني، وبعد المسعى المصري الذي انتهى إلى جمع محمود عباس وخالد مشعل على بداية كلمة فلسطينية سواء يأمل المرء التزام الجانبين بها إلى حين، يأملان في أن تشهد الرياض معاودة اللقاء الذي يراه عبد الله بن عبد العزيز كما رعايته للموضوع اليمني. كما أن رموز الوضع المرتبك في العراق سيفتحون ولو بعد حين صفحة كتاب أزمته التي فيها دعوة عبدالله بن عبد العزيز إليهم لكي يجتازوا الحدود إلى الرياض ويبدأوا التحاور فيما بينهم مستنديين إلى روحية «نداء الغيور»، الذي أطلقه الملك عبدالله قبل ثلاثة عشر شهراً (السبت 30 أكتوبر 2011)، ودعا فيه قادة العراق وفعالياته السياسية إلى لقاء تستضيفه الرياض مباشرة بعد موسم الحج تحت مظلة الجامعة العربية.

وإذا كان الشقيقان الفلسطينيان حضرا إلى مكة وإتقاً وأبديا من الإمتنان ما أوحى بأنهما سيلتزمان إحتراماً للكلمة وللعهد، لكنهما أخفا، أو أن أحدهما هو الذي أخلف علنا، والثاني أخلف صمتاً، لم يكونا عند حسن الظن الطيب بهما من المملكة الساعية إلى التوفيق بينهما ومن شعبهما بجناحيه وأضاعاً وقتاً لمصلحة القضية، فإن الأطياف العراقية رحبت عموماً في

أكثريتها، لكن دخول الجار الإيراني والحليف البشّاري على خط رغبة غزة الحمساوية في تحقيق مصالحه، ودخول الجار إياه وبتشجيع الحليف البشّاري على خط الرغبة العراقية المتطلعة إلى الرد على «نداء الغيور»، بما من شأنه أن يشجع مطلق النداء على البذل المضاعف حتى يتحقق التآلف، ضيع على الحاليتين فرصة إنجاز تسوية كتلك التي حظي بها الموضوع اليمني. ولتصور المرء كم روحاً بشرية أزهقت في بلاد الرافدين، وكم ارتفع عدد اليتامى والأرامل والمقعدين خلال ثلاثة عشر شهراً انقضت على إطلاق «نداء الغيور».

ما نريد قوله إن الأمور مهما تعقدت داخل أقطار الأمة تبقى تحت السيطرة في حال بادر صاحب مسعى طيب إلى التوفيق. وما هو المسعى الذي بذل من أجل الموضوع اليمني، وقبله الموضوع الفلسطيني، وقبل 22 سنة الموضوع اللبناني، المثال على ذلك. وحيث إن مسلسل الصراعات والأزمات داخل أقطار الأمة لم ينته؛ فإن علاجاً سعوديً للموضوع السوري بمبادرة شبيهة بالمبادرة الخليجية لليمن، ومسعى من نوع آخر للموضوع المصري، هو ما يتمناه أبناء بعض أقطار الأمة الذين كانوا يخشون عاديّات الزمن وباتوا يخافون انهيار الكيانات.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 29 نوفمبر (ت) 2011

* * *

كي لا تُفاجأ بـ "الجمهورية العربية السورية - التركية"

في حال بقي العناد سيد الموقف والتعامل مع الأزمة وكأنما هي سلعة بين بائع يريد تسويق بضاعته وبين تاجر يتشاطر لكي يشتري بأفضل الأسعار، فإننا قد نُفاجأ ذات يوم بقيام «الجمهورية العربية السورية - التركية» وعلى نحو مفاجأة سابقة حدثت وما تزال مستمرة وهي «الجمهورية العراقية - الإيرانية - الأميركية». ونحن هنا لا نتوقف عند التسميات وإنما الذي يعنيننا أن العناد هو الذي يسبب هذا التبدل في

الهوية السياسية والواقع. فلولا العناد البعثي العراقي الذي إتسمت به إدارة الرئيس صدام حسين للأزمة لما كانت الأمور تطورت ثم تفاقت ووصلت إلى أن إرادة التغيير لم تعد قراراً عراقياً وإنما فعل أميركي إبتهج بحصوله الحكم الإيراني متجاوزاً تسمياته ونظرته للولايات المتحدة بحيث بات «الشيطان الأكبر» من ملائكة الأرض وذلك عملاً بمبدأ عدو عدوي صديقي. وهكذا بات الحرام حلالاً ونطق الحكم الإيراني قبولاً بالغزوة البوشية للعراق، وفي الوقت نفسه كان يرسم خارطة طريقه للتوغل في العراق وبحيث ما أن ينصرف الإنكليز يليهم الأميركيان يمسك الحكم الإيراني بزمام الأمور في العراق ويحقق ما كان يتطلع صدام حسين إليه عندما غزا الكويت، ذلك أن شأن العراق عندما كان مستتباً الكويت هو مثل شأن إيران مستتابة العراق. هذا من حيث الشأن النفطي. أما من حيث الشأن السياسي فإن شأن الحكم السوري عندما كان مُستتباً لبنان يصبح بأهمية أحد هذين الشأنين.

القول بأن صدام حسين سهّل بالعناد وتغييب البعدي النظر الذين إذا هو إستشارهم وأخلصوا التحليل والرأي الواعي، مخطط إنتهاء بلاد الرافدين «جمهورية عراقية - أميركية - إيرانية»، مع أن الإصغاء إلى تمنيات البعض من إخوانه القادة العرب كان كفيلاً بتصحيح الخطأ وهو هنا إجتياح الكويت فلا يصبح بسبب العناد خطيئة أفرزت خطايا وإنتهت إلى كوارث بحيث إن العراق ليس فقط لم يعد رقماً صعباً في المعادلة العربية والإقليمية وإنما ها هو الآن كيان كبير على أهبة أن يتناثر كيانات أو ربما «الولايات المتحدة العراقية» كحل وسط لتفادي إستقلالية الكيانات.

الآن تتكرر ثقافة العناد بالنسبة إلى الموضوع السوري على رغم أن الذين نصحوا كانوا من الحريصين على أن لا ينتهي أمر سورية على النحو الذي إنتهى إليه أمر العراق. فكما لا يستطيع الناصحون إعتبار الإقرار بأن تعامل النظام مع المعارضين عليه هو مسألة داخلية ومثل تعامل كبير الأسرة مع أفراد العائلة وليس من حق أحد أن يتدخل في شأن تأديب هذا الإبن أو معاقبة تلك الإبنة.. وخلاف ذلك، فإنه لا يجوز لهذا النظام عدم إستحضار ما أصاب غيره، كما لا رؤية واقعية لديه بالنسبة إلى أن اللذين يقودان التنبه ثم التحذير هما من كان النظام يعول عليهما الكثير بل ويعتبرهما من أوراق الدعم الفاعل سياسياً ومالياً لموقفه.

ولكن هذين الصديقين الحليفين وجدا كما غيرهما من قبل أن النظام في سورية يريد إستعمالهما وبأن يصغيا إليه بدل أن يصغي إليهما.

وعندما تعود بنا الذاكرة إلى طبيعة العلاقات السورية - التركية والعلاقات السورية - القطرية طوال ست سنوات مضت وكيف أنه خُيّل لنا لبعض التأمل أن محوراً بالغ الأهمية يشق طريقه للتصدر تمهيداً لإختراق بالغ الخطورة في العمل العربي الإسلامي يكون موضع رعاية المجتمع الدولي له بدءاً بالإدارة الأميركية وصولاً إلى الحكومات الأوروبية، ثم نتأمل في ما إنتهت إليه العلاقة بين الرئيس بشّار الأسد وكل من الرئيس رجب طيب أردوغان والشيخ حمد بن خليفة آل ثاني... إنه عندما تعود بنا الذاكرة ونتأمل في الواقع المستجّد نفترض أن هناك من كان يُضمّر غير ما يقول أو يفعل. كما أننا في إطار الإستحضار نتوقف عند حقبة الإزدهار النوعي للعلاقة السورية - التركية وكيف أنها نمت بين النصف الثاني من العام 2003 كما نمو بعض أنواع الخضار والفاكهة في البيوت البلاستيكية وبلغت القمة في النصف الأول من العام 2004 ثم توالى إزدهاراً حتى قبل أن تبدأ إنتفاضة 2011. ومن علامات هذا الإزدهار أن الرئيس بشّار طوى إلى غير رجعة الإستحضار من جديد ورقة الإسكندرون المسلحة كأرض سورية شأنها إلى حد ما شأن الجولان كأرض سورية محتلة، وذلك بقيامه يوم الثلاثاء 5 يناير/ كانون الثاني 2004 بزيارة رسمية إلى تركيا الأردنية هي الأولى (حتى ذلك التاريخ) منذ إستقلال سورية قبل ستين سنة. وعندما تكون الزيارة رسمية وتسبقها إتفاقات وتشكيل لجان تشمل السياسة والإقتصاد والأمن ثم يحرص الرئيس السوري الزائر على إبلاغ إحدى الفضائيات التركية بأن سوريا ضد قيام دولة كردية في العراق وهو ما ترتاح له تركيا، فهذا معناه أن نوعاً من التسليم بـ «شرعية» تركية للإسكندرون، وكل ذلك بأمل أن تحصل سورية البشّارية على حل متوازن على يد إسلامية تركية - أردوكانية مسنودة بيد خليجية قطرية حمّدية وكلتاها موضع الدعم الأميركي لهما إلى جانب أن خطوطهما زمنذاك سالكة مع إسرائيل وفي الوقت نفسه مع إيران وحركة «حماس». لكن الرياح جرت بما لا يتوقع أو لا يتمنى أو لا يقهم الرئيس الظروف وهكذا بات الحليف التركي يستعجل رحيل بشّار الأسد وبات الحليف القطري يجاريه في

ذلك. وببدل أن يوظف الرئيس بشّار هذا التحول في موقف الحليفين الصديقين لجهة الإقدام على خطوات نوعية تنقيه وتشكّل حيثيات لتفكيك مراكز القوى في النظام، فإنه يواصل التحدي وبأسلوب الشاري المتشاطر في التعامل مع البائع المتحاذق، ومن دون أن يستوقف الرئيس بشّار أن الإكثار من تأجيل الحسم معه وكذلك إضافة المزيد من الأسماء السياسية والعسكرية والأمنية في نظامه إلى لائحة المغضوب عليهم معناهما في جانب من اللعبة أن بقاءك وارد إلى حين لكن من دون الحاشية العائلية والأمنية والسياسية. وعندما لا يتجاوب الرئيس بشّار مع هذا التوجه فإن ما قد يحصل هو أن الانقسام وارد والإقتتال أيضاً وأن «لجمهورية العربية السورية - التركية» احتمال وارد هو الآخر. أليس هذا ما إنتهى إليه أمر بلاد الرافدين التي باتت واقعياً «الجمهورية العربية العراقية - الإيرانية».

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 11 ديسمبر (ك) 2011

* * *

مطالب عرب «اللوبى المصري»

صحيح أن في مصر من المضحكات وأن الضحك هنا أشبه بالبكاء. وغالب الظن أن الشاعر العربي عندما أورد القول المشار إليه في صيغة بيت يُجسد بالصدر وبالعجز واقع الحال إستوقفه أمر تعيشه مصر نعتد أنه مثل الأمر الذي تابعناه يوم الجمعة الماضي (16 ديسمبر/ كانون الأول 2011) بأسف بالغ وكان إمتداداً لحالات الأسف الماضية على ما يقترفه مصريون في حق بلادهم ومستقبلهم.

لقد حُبل إلينا أن الإستحقاق الإنتخابي للبرلمان الأول في عهد مصر بعد مبارك وسعة صدر جنرالات «المجلس الأعلى للقوات المسلحة» وتحملهم إساءات لفظية غير مبررة ثم بعد ذلك إستبدال حكومة الدكتور عصام شرف العاجزة رغم ثورتها بحكومة الدكتور كمال الجنزوري العجوزة وفي الوقت نفسه الواعدة بحكم الخبرة والتجربة، أن المصريين سيحمدون ويشكرون ويعقلون وبالتالي يتم الجلاء عن ميدان التحرير ويستعيد بالتالي هذا الميدان هيئته خالياً من الخيام والفوضى، وينصرف

كل طيف مصري إلى تأدية الواجب المُلقى عليه تجاه بلده بدءاً بجنرالات السلطة العسكرية الإنتقالية مروراً بالحكومة المُستحدثة وصولاً إلى كل من إعترض وإعتصم.

ولكن الذي تابعناه في تلك الجمعة كان أفعلاً أشبه بتلك التي تصدر عن مهلوسين فقدوا تحت تأثير ما يتناولونه شماً أو يدخنونه جوزة، البوصلة فتصرفوا بتحريض أو إيعاز من مجنّديهم المحليين أو الأجانب بما يؤذي بلادهم ويشوه تاريخهم ويحرق تراثهم ويضع هؤلاء الذين تسببوا بما نشير إليه في خانة الذين يحتاجون إلى عملية تأهيل. ويكفي للتدليل على ما نقول أن ما حدث لمبنى «المجمع العلمي» و«الجمعية الجغرافية المصرية» وكيف أن نرق المتعاطين أو المهلوسين، تسبّب في إحراق تراث تاريخي حيث أكلت النيران ألوف الوثائق والخرائط النادرة والمخطوطات والرسوم من بينها أجزاء كتاب «وصف مصر» بخط اليد وهي أعمال لو عرضتها إحدى دور المزادات العالمية لعادت على مصر بالمليارات ولكانت كافية لتأمين حلول لبعض الأزمات التي يعاني منها تسعون في المئة من السبعين مليون مصري.

وهذه السلوكيات تستوجب، وبما هو سائد من إجراءات، حماية دولية لتراث مصر من آثار ومتاحف ومخطوطات بل وإسناد هذه المهمة إلى «الأونيسكو» خشية أن تتكرر المأساة في أماكن أخرى من مصر ما دام «مجتمع الإعتصام» من جهة وجماعات البطجة من جهة أخرى يفتعلون بمصر ما هو أشبه بالإغتصاب للسمعة والكرامة والتراث.

ويستوقفنا ونحن نقول ذلك كيف أنه في الوقت الذي يزداد «متحف الفن الإسلامي» في الدوحة أحد إنجازات عهد أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني إزدهاراً وتتطلع متاحف عريقة في أوروبا إلى رفد قاعاتها بتراثيات إسلامية وعربية بل حتى أن إحدى دور المزادات إهتمت بمخطوطات حديثة نوعاً ما وهي عبارة عن مقالات أو قصص أو بداية روايات مكتوبة بخط اليد للروائي المصري النوبلي الراحل نجيب محفوظ كانت تنوي بيعها لمن يدفع أعلى سعر... إنه في هذا الوقت يصيب مبنى «المجمع العلمي» و«الجمعية الجغرافية المصرية» إحراقاً لا يجد من يطفئ نيرانه لثروة تراثية عربية - إسلامية - دولية تماماً كما أصاب الثروة التراثية العراقية إغراقاً على أيدي المغولي هولاكو، وهكذا فإن مياه نهر دجلة التي

تنوعت ألوانها بفعل أنواع حبر المخطوطات التي رماها الغزاة لعنة الله عليهم في النهر، هي مثل الدخان الأسود الذي غطى سماء القاهرة وكان عبارة عن وثائق ومخطوطات ورسومات وخرائط أنتت عليها النار بفعل حرائق من مهلوسين أو متعاطين أو شمامين مندسين مجندين لتخريب مصر.. ألا شُلت أيديهم.

ومن حق أحد أفراد «اللوبي المصري» في العالم العربي مثل حالي أن يحزن كثير الحزن وهو يتابع هذا المسلسل التدميري لمصر التاريخ والتراث والسمعة على أيدي بعض أبنائها. كما من حقه أن ينادي وبنبرة المحزون على حال المحروسة مصر بـ «ممر دولي آمن» لتراثها يحميها من شرور الذين بلغوا من العقوق والجهالة أعلى الدرجات ومن دون أن تقلل «الثورية» من هذا الوزر. ومن هنا الإشارة إلى دور منظمة «الأونيسكو» وحدها أو بمشاركة نظيرتها الإسلامية «الأليسكو» من أجل إنقاذ التراثيات. ألم ينشغل العالم ذات يوم في الخمسينات من أجل إنقاذ آثار أبو سمبل.

كما أن من حق أحد أفراد «اللوبي المصري» في العالم العربي مثل حالي أن يستهجن إتساع مساحة إنحدار تعيشه مصر مقابل إلتنام كثير الرقي للجرح التونسي تتولاها أطرافها السياسية والعسكرية بحيث تتم إنتخابات برلمانية وفق الأصول وتسفر عن نتائج على قاعدة التنوع وتتشكل حكومة بالتوافق ويتم إنتخاب رئيس للجمهورية بالتراضي ورضى المؤسسة العسكرية، وكل ذلك من دون أن يمتن التوانسة التخيم في الميادين والشوارع كما من دون أن يحولوا التظاهرة المشروعة إلى إعتصام، ومن دون أن تبلغ بهم الإنفعالات «الثورية» حد منع رئيس حكومتهم من دخول مكتبه وبكل إحترام ورعاية لكي ينصرف إلى إدارة شؤون البلد بما يعيد إليها الرونق ويحافظ على الهيبة. ثم أليس من الطبيعي أن نحزن عندما نرى التوانسة يمارسون بإحترام وهدوء واجب إحياء الذكرى السنوية لشهيد الحرية بو عزيزي فيها بعض المصريين المغرر بهم أو الذين لا يدرون ماذا يفعلون ولا يستحقون مغفرة أبتاه، يستحضرون ظاهرة الإنتفاضة الفلسطينية وكيف كان يتم رشق جنود الإحتلال الإسرائيلي بالحجارة مع التتويه بفعل الفتية الفلسطينيين كون نضالهم مشروعاً وموضع تقدير لأنهم كانوا يرمون عدواً يحتل أرضهم بعدما إغتصب وطنهم. لكن رمي أفراد الجيش المصري الذي يحمي مصر وأنهى ببطولات مشهود لها

إحتلال إسرائيل وحمى إنتفاضة 25 يناير ولولاه لكان نظام مبارك سحق هذه الإنتفاضة... لكن رمي الجنود المصريين بالحجارة هو نكران للجماثل وتحريض على عسكرة مصر وإنتقاص للسمعة والهيبة ومدعاة للحزن.

كما يشمل حزننا كيف أنه حتى إخواننا أهل اليمن تصرفوا بعد التغيير المستند إلى المبادرة الخليجية بما يبشر بالتهدة وإن كانت تواصلت بعض الشيء حالات الإعتراض المتأثرة بالمضغ المبغوض كما حال التعاطي المكروه في مصر من جانب البعض وكلاهما يجعل دماغ المرء يتصرف بما هو ليس لصالح نفس صاحبه ومصصلحة وطنه. وحيث إن «اللوبي المصري» في العالم العربي يتسم بالفردة بمعنى أن ليس لتونس ولا لليمن ما لمصر لدى العرب، فإن القلق على مصر والخشية مما قد يصيبها من مكاره هو نوع من الشعور التلقائي والوجداني.

والقول بأن هناك «اللوبي المصري» في العالم العربي يعود إلى أن أكثرية أبناء الأمة من المحيط إلى الخليج ومن قبل إزدهار الأحوال بفعل طفرة الغاز بعد النفط، إما تعلموا في جامعة مصر أو أزهرها أو معاهدها، وإما إقتدوا بها سياسياً، وإما طلبوا الأمان في ربوعها.. فضلاً عن أنها ساهمت في إنجاز إستقلال أقطار عربية خليجية ومغربية. وهذا بالنسبة إلى النخبة العربية المثقفة والسياسية والوطنية، ولذوي الإقتدار نسبياً ممن لا إمكانات كافية لهم لطلب العلم في جامعات أوروبا وأميركا. أما بالنسبة إلى العوام فإن الإرتباط بمصر لجهة أفلام السينما والغناء أوجد حالة من العلاقة الوجدانية جعلت العربي يشعر أن مصر وطنه الثاني، أو إنه مصري الهوى في بلده. وبطبيعة الحال فإنه عندما تعصف بمصر عاصفة هوجاء يجد نفسه متفاعلاً مع مصابها. لكنه بأسف كثير الأسف عندما يجد أن المصائب تأتيها من بعض بني قومها ومن الطيف الأهوج في المحروسة التي ينزف كبرياؤها ويتم إحراق تراثها... ومن دون أن يفيق بعض أبنائها من أوهام الدخان الأزرق. ويا لويل هؤلاء إذا هم عن التعقل غافلون وعن الإيمان ساهون وإلى ما لا يرضاه رب العالمين سائرون.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 25 ديسمبر (كانون الأول) 2011

المقالات من يناير 2012 إلى ديسمبر 2012



[illegible][illegible]

Joe Hill

[illegible]

David L. Forster

[illegible]

الحوار المر

[illegible][illegible][illegible]

1. *...the ...*
 2. *...the ...*
 3. *...the ...*
 4. *...the ...*
 5. *...the ...*
 6. *...the ...*
 7. *...the ...*
 8. *...the ...*
 9. *...the ...*
 10. *...the ...*
 11. *...the ...*
 12. *...the ...*
 13. *...the ...*
 14. *...the ...*
 15. *...the ...*
 16. *...the ...*
 17. *...the ...*
 18. *...the ...*
 19. *...the ...*
 20. *...the ...*
 21. *...the ...*
 22. *...the ...*
 23. *...the ...*
 24. *...the ...*
 25. *...the ...*
 26. *...the ...*
 27. *...the ...*
 28. *...the ...*
 29. *...the ...*
 30. *...the ...*
 31. *...the ...*
 32. *...the ...*
 33. *...the ...*
 34. *...the ...*
 35. *...the ...*
 36. *...the ...*
 37. *...the ...*
 38. *...the ...*
 39. *...the ...*
 40. *...the ...*
 41. *...the ...*
 42. *...the ...*
 43. *...the ...*
 44. *...the ...*
 45. *...the ...*
 46. *...the ...*
 47. *...the ...*
 48. *...the ...*
 49. *...the ...*
 50. *...the ...*
 51. *...the ...*
 52. *...the ...*
 53. *...the ...*
 54. *...the ...*
 55. *...the ...*
 56. *...the ...*
 57. *...the ...*
 58. *...the ...*
 59. *...the ...*
 60. *...the ...*
 61. *...the ...*
 62. *...the ...*
 63. *...the ...*
 64. *...the ...*
 65. *...the ...*
 66. *...the ...*
 67. *...the ...*
 68. *...the ...*
 69. *...the ...*
 70. *...the ...*
 71. *...the ...*
 72. *...the ...*
 73. *...the ...*
 74. *...the ...*
 75. *...the ...*
 76. *...the ...*
 77. *...the ...*
 78. *...the ...*
 79. *...the ...*
 80. *...the ...*
 81. *...the ...*
 82. *...the ...*
 83. *...the ...*
 84. *...the ...*
 85. *...the ...*
 86. *...the ...*
 87. *...the ...*
 88. *...the ...*
 89. *...the ...*
 90. *...the ...*
 91. *...the ...*
 92. *...the ...*
 93. *...the ...*
 94. *...the ...*
 95. *...the ...*
 96. *...the ...*
 97. *...the ...*
 98. *...the ...*
 99. *...the ...*
 100. *...the ...*

the 1990s, the U.S. Supreme Court has been the focus of intense public scrutiny. The Court's decisions on abortion, affirmative action, and federalism have been widely debated. The Court's composition has been a subject of intense political maneuvering, with the Clinton administration's appointment of Justices Souter and Ginsburg, and the Bush administration's appointment of Justices Scalia and Thomas, all drawing significant public attention. The Court's role in the federal government has also been a topic of debate, with some arguing for a more active role in checking executive power and others arguing for a more passive role. The Court's decisions on federalism, particularly in the areas of state sovereignty and the limits of federal power, have been a major focus of public debate. The Court's role in the federal government has also been a topic of debate, with some arguing for a more active role in checking executive power and others arguing for a more passive role. The Court's decisions on federalism, particularly in the areas of state sovereignty and the limits of federal power, have been a major focus of public debate.

1. *...the ...*
 2. *...the ...*
 3. *...the ...*
 4. *...the ...*
 5. *...the ...*
 6. *...the ...*
 7. *...the ...*
 8. *...the ...*
 9. *...the ...*
 10. *...the ...*
 11. *...the ...*
 12. *...the ...*
 13. *...the ...*
 14. *...the ...*
 15. *...the ...*
 16. *...the ...*
 17. *...the ...*
 18. *...the ...*
 19. *...the ...*
 20. *...the ...*
 21. *...the ...*
 22. *...the ...*
 23. *...the ...*
 24. *...the ...*
 25. *...the ...*
 26. *...the ...*
 27. *...the ...*
 28. *...the ...*
 29. *...the ...*
 30. *...the ...*
 31. *...the ...*
 32. *...the ...*
 33. *...the ...*
 34. *...the ...*
 35. *...the ...*
 36. *...the ...*
 37. *...the ...*
 38. *...the ...*
 39. *...the ...*
 40. *...the ...*
 41. *...the ...*
 42. *...the ...*
 43. *...the ...*
 44. *...the ...*
 45. *...the ...*
 46. *...the ...*
 47. *...the ...*
 48. *...the ...*
 49. *...the ...*
 50. *...the ...*
 51. *...the ...*
 52. *...the ...*
 53. *...the ...*
 54. *...the ...*
 55. *...the ...*
 56. *...the ...*
 57. *...the ...*
 58. *...the ...*
 59. *...the ...*
 60. *...the ...*
 61. *...the ...*
 62. *...the ...*
 63. *...the ...*
 64. *...the ...*
 65. *...the ...*
 66. *...the ...*
 67. *...the ...*
 68. *...the ...*
 69. *...the ...*
 70. *...the ...*
 71. *...the ...*
 72. *...the ...*
 73. *...the ...*
 74. *...the ...*
 75. *...the ...*
 76. *...the ...*
 77. *...the ...*
 78. *...the ...*
 79. *...the ...*
 80. *...the ...*
 81. *...the ...*
 82. *...the ...*
 83. *...the ...*
 84. *...the ...*
 85. *...the ...*
 86. *...the ...*
 87. *...the ...*
 88. *...the ...*
 89. *...the ...*
 90. *...the ...*
 91. *...the ...*
 92. *...the ...*
 93. *...the ...*
 94. *...the ...*
 95. *...the ...*
 96. *...the ...*
 97. *...the ...*
 98. *...the ...*
 99. *...the ...*
 100. *...the ...*

بعضی از این مسائل را می توان با استفاده از روش های مبتنی بر مدل های ریاضی حل کرد. در این روش ها، مدل های ریاضی از سیستم های واقعی ساخته می شوند و با استفاده از این مدل ها، می توان به بررسی و تحلیل سیستم ها پرداخت. در این روش ها، می توان به بررسی و تحلیل سیستم ها پرداخت. در این روش ها، می توان به بررسی و تحلیل سیستم ها پرداخت.

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

[illegible][illegible]

الإتحاد الأمنية.. والحل المتيسر

لولا الدعوة الطيبة من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز للإنتقال بدول الخليج من حالة التعاون إلى الإتحاد، لكان العام 2011 سينقضي وقد كَلَل التفكك والفوضى وتدمير النفس والتغيير العشوائي أيامه. ثم جاءت دعوة الملك عبدالله بن عبد العزيز تؤكد ما معناه إن خير العرب هو بعد تألف القلوب وتوحيد الصف والتنبيه إلى ما ينسجه الطامعون بالأمة من مؤامرات، بإعتماد التوحد كوسيلة لمواجهة من لا يريد خيراً للعالم العربي. والإتحاد كما يراه خادم الحرمين الشريفين ليس بالعدد وإنما هو بالموقف الواحد. وبهذا الموقف تكون هنالك سياسة خارجية واحدة من دون أن يعني ذلك حُجُب وجهات النظر، كما يكون هنالك ردّ واحد موحد الصيغة الواضحة على تهديد من هنا وتهديد من هناك، هذا إلى جانب زرع ثقافة الدفاع الواجب وليس الدفاع الإضطرابي أو المسايرة.

والأهم من هذا كله أنه عندما يكون هنالك توحد في الموقف وفي القرار وفي المشاعر وفي الإيمان بالواجب يصبح من الصعب على أي طرف حاسد أو طامع، إقليمياً كان هذا الطرف أو خارجياً، إحداث ثغرات وبحيث لا يعود وارداً القول إن الدولة الفلانية لها خطوات سالكة مع الدولة الحاسدة أو الطامعة أو المُتدخلة، أو أن دولة فلانية أخرى تتصرف على نحو إخراج شركاء لها في «مجلس تعاون» فتدعو رئيس دولة طامعة إلى المشاركة وإن بصيغة المراقب في مؤتمر لذلك المجلس. كما لا يعود وارداً إقدام إحدى دول المجلس على الإدلاء بتصريحات لها صفة الموقف، وذلك من دون التشاور والتفاهم على نص لا يحتمل الكثير من التفسيرات.

وفي تقديرنا أن الدعوة من أجل إنتقال دول «مجلس التعاون» إلى صيغة التوحد ستسهل مستقبلاً وربما في المدى غير البعيد تحريك فكرة كانت واردة قبل الإنتفاضات العربية التي يصنّفها البعض ثورات وغدت ضرورية في ضوء ما آلت إليه الأحوال في الدول التي شهدت تلك الإنتفاضات. ومن قبل دعوة الملك عبدالله بن عبد العزيز في القمة الخليجية في الرياض يوم الإثنين 19 كانون الأول/ديسمبر 2011 قادة دول «مجلس التعاون» إلى إحداث نقلة نوعية في الكيان

الخليجي أي «الإتحاد» بدل «التعاون» كانت مسألة إنتساب اليمن قيد البحث ووزن الأمور بميزان السلبيات والإيجابيات ثم تقدمت الهموم والإهتمامات بتداعيات الإنتفاضة ضد حُكم «الإمام الجمهوري» علي عبد الله صالح على وزن الأمور، كما أن مسألة ضم المملكة الأردنية الهاشمية برغبة من ملكها عبد الله الثاني ودعوة المملكة المغربية إلى الإنضمام برغبة من خادم الحرمين الشريفين إلى «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» موضع تساؤلات كثيرة من بينها أن التركيبة الإجتماعية للمملكة الأردنية الهاشمية والتنوع المذهبي وأسلوب الحكم فضلاً عن ارتباط الأردن بمعاهدة سلام مع إسرائيل، تشكّل نوعاً من التناقض مع الخصوصية الخليجية عموماً ولا يلغي هذا التناقض علاقات وثيقة على مستوى أهل القمة أو حضور أمني أردني في بعض دول الخليج أو مصاهرات أردنية - خليجية بعضها على مستوى أهل القمة مثل مصاهرة العرش الهاشمي (ابنة الملك حسين) لدولة الإمارات (الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم). كما من التساؤلات أيضاً أن دعوة المملكة المغربية إلى الإنضمام إلى «مجلس التعاون الخليجي» وهي التي لم تفعل بما يمكنها كدولة كبرى في الجناح المغاربي من الأمة دور هذا المجلس الذي إستمر في حالة إعاقه فلا هو يُلغى على نحو ما حصل لـ «مجلس التعاون العربي» الذي أعلن الرئيس حسني مبارك وفاته كواحدة من إجراءات إتخاذها رداً على غزو شريكه في «مجلس التعاون العربي» الرئيس صدام حسين الكويت.. ومما قاله مبارك في لقاء إستثنائي يوم الخميس 27 أيلول/سبتمبر 1990 مع جنود وضباط الفرقة الثالثة مشاة وذلك على متن إحدى السفن المتجهة من مصر إلى السعودية «إن الرئيس العراقي يريد أن يسيطر على المنطقة ويريد أيضاً أن يأخذ الزعامة من مصر وهذا مستحيل. ومجلس التعاون العربي جعله صدام مجلس التآمر العربي». كما هو لا يتحرك بحيث يصبح فاعلاً ككتل لدول المغرب العربي، وهذا سببه أن ثلاثة حكام خاضوا سباق الإصرار على زعامة هذا الإتحاد هم الملك الحسن الثاني ثم وريثه الملك محمد السادس، ومعمّر القذافي، وعبد العزيز بن سعود. ونتيجة هذا الماراتون الزعامي بقي «مجلس التعاون المغاربي» مجرد إسم بلا فعل ولا من يُفعلون. والتساؤلات في شأن دعوة المملكة المغربية لا تقتصر

على الأوساط الخليجية التي ترى ما معناه إن بين الخليج وضفاف الأطلسي والمتوسط حيث تتربع المملكة المغربية بضع ساعات من الطيران وأن الجو بالتالي هو وسيلة الإتصال الوحيدة أما البر والبحر فلا مجال لذلك كما الحال مع الأردن واليمن، وإنما كانت أوساط سياسية وحزبية كثيرة داخل المملكة تقول ما معناه إن الروابط الشخصية بين المملكتين تفوق بكثير المقومات الموضوعية لكي تنتسب المملكة المغربية التي هي على ضفاف المحيط إلى مجلس في قلب الخليج له خصوصية إجتماعياً وسياسياً ووزناً مالياً. لكن في الوقت نفسه كانت الفكرة مغرية لجهة أن إنضمام المملكة المغربية إلى المجلس الخليجي كفيل بإيجاد حلول لمشاكل صعبة لجهة توفير فرص عمل لعشرات الألوف من المغاربة ذلك أنهم كما أبناء الأردن ستكون لهم الأفضلية بحكم العضوية المفترض حدوثها في المجلس عند التوظيف وخصوصاً أن التوجه نحو الزراعة في دول الخليج يحتاج إلى خبرة الفلاح المغربي والفلاح الأردني بدليل أن العراق الزراعي إزدهر نوعياً في بعض سنوات حُكم الرئيس الراحل صدام حسين بفعل علاقة جيدة بين البلدين وخبرة الفلاحين المغاربة الذين إستقدمهم العراق الصدامي بالألوف.

الآن وفي ضوء دعوة الملك عبدالله إلى الإنتقال بدول المجلس الخليجي إلى «الإتحاد» بدل «التعاون» من شأن التساؤلات أن تتراجع، ذلك أن خادم الحرمين الشريفين وعلى ما يجوز الإعتقاد يؤسس بالدعوة التي أطلقها إلى عالم عربي جديد يتكون في مرحلة ما بعد هدوء إعصار الإنتفاضات. كما يجوز الإعتقاد أن «مجلس التعاون» لن يصبح على سبيل المثال لا الحصر «إتحاد دول الخليج» لأنه في ذلك يكون الذي حدث هو تعديل طفيف في المفردات وإنما الذي يتوقع المرء حدوثه هو قيام إتحاد عربي شامل وفق رؤية واقعية تدور في خاطر الملك عبد الله بن العزيز على ما يتمنى المرء ويستلهم فيها النهج الذي إتبعه والده المغفور له الملك عبد العزيز لتوحيد مملكة كان توحيد نجدها مع حجازها مع سائر فيافيها أصعب بكثير من ظروف توحيد أقطار الأمة في زمن الإستقلالات المنقوصة إرادات بعضها. لكنه مع ذلك نجح ويستحق نجاحه التأمل. ولعل هذا ما يتطلع إليه الملك عبدالله بن عبد العزيز من فكرته التي يعتبرها متيسرة والتي نربطها

بدعوته إلى التسامح وطرحه مبادرات الوفاق من مبادرته الفلسطينية إلى مبادرته العراقية إلى مبادرته السورية وقبل ذلك مبادرته اللبنانية السورية وكلها ومعها وقبل ذلك المبادرة السعودية الرائدة لتحقيق وحدة حال اللبنانيين من أجل الإبقاء على وحدة بلادهم ووضع نهاية للإقتتال. وبموجب روحية الدعوة الجديدة والتي هي من النوع المتيسر لا يعود هنالك إستهجان ولا تكلّف بوجود هذا الكيان الواحد الذي يراعي الخصوصيات والخالي من كوابيس الهيمنة في مسألة إستضاف الخليج إلى جانب الفلسطيني والشامي إلى جانب المغربي والمصري إلى جانب الجزائري والعراقي إلى جانب القطري والتونسي إلى جانب السوداني والأردني إلى جانب الموريتاني والحيوتي إلى جانب الإماراتي إلى جانب إخوانه بمن فيهم أبناء جزر القمر، واليميني إلى جانب الكويتي والجميع من دون إستثناء إلى جانب السعودي والبحريني المحتضنين أخيه اللبناني. وفي هذه الحال لا يعود أمر إعادة النظر في الجامعة العربية كتسمية وكإستثمار لمنصب الأمين العام من المحرمات ويتم الأخذ بصيغة التداول كما هي حال تجربة «مجلس التعاون الخليجي» في شأن إشغال منصب الأمين العام. كما يصبح ميثاق الدفاع المشترك عملياً كما هو الحال في ضوء تجربة النجدة الخليجية لمملكة البحرين.

إنها مجرد خواطر في شأن دعوة جاءت من جانب الملك عبد الله بن عبد العزيز بمفردات تتسم بالرقّة كقوله «تجاوز التعاون إلى الإتحاد» في لحظة عتمة عربية وخشية من أن يتبعثر البنيان العربي الذي أساساته الآن شبه آيلة للتساقط. وأهمية هذه الدعوة في أنها جاءت من أحد رموز العمل الجدي كما سائر مبادراته وإقتراحاته وقوبلت بالنبني الفوري من إخوانه قادة دول الخليج. كما أنها ما كانت لتأتي من غيره ولو أتت فإنها لن تلقى الإهتمام من جانب الرأي العام العربي قبل بعض أهل الحكم في الأمة. وهذا عنصر قوة للدعوة التي ندعو لعبدالله بن عبد العزيز بطول العمر لكي يرى النبتة التي تتمثل بإقتراحه خلال القمة الخليجية الثانية والثلاثين في الرياض يوم الإثنين 19 ديسمبر/ كانون الأول وقد باتت شجرة مخضرة الأغصان على مدار السنة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 1 يناير (كانون الثاني) 2012

* * *

السلامة لصاحب «القلب العجيب»

عندما جاءنا النبأ الصاعق عبر صحيفة «الشرق الأوسط» حول عملية جراحية ستجرى للدكتور عبد العزيز خوجه وزير الثقافة والإعلام، جزعنا على هذا الدبلوماسي الراقي والشاعر المتألق الذي بعدما أتعبت قلبه كثير التعب أمزجة أهل السياسة والرموز الحزبية في لبنان لكنه تعامل مع تداعيات الأزمة ورموز الأمزجة تعامل الطبيب النفسي المنفذ بكل الدقة والرقعة توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز، كان إختياره وزيراً للثقافة والإعلام بعد تكريم له بتسميته «سفير أول».

ولقد وجدت نفسي بعد الدعاء إلى رب العالمين أن يحيط عبد العزيز خوجه بعنايته وأن تراعي أدوات الجراح شرايين هذا «القلب العجيب» حسب توصيف أبو محمد له، الذي يتحمل أكثر مما يحتمل، أنأى من باب مهابة الحالة الصحية عن المواقف والرؤى السياسية للأخ أبو محمد، وأستحضر عبد العزيز خوجه الشاعر منقبا بين أبيات قصائده الجميلة فأراه يلخص شجون قلبه على أنواعها بالقول: «لا تغمضي عينيك عني تلكما بحرا صفاء.. هذا بديع الحسن جمع ما يشاء لمن يشاء.. كيف إلتقى البدر المنير مع الصباح، مع المساء.. لا بد يا قلبي تفر بأنها: أحلى النساء». كما أراه يقول «وسألت القلب: ما هذا الشجن.. ثار جمرا في ضلوعي.. وسكن». ويقول كذلك «أقبل الحسن دلالا فأنبرى الشوق الدفين.. وتلظى القلب نارا وبدا الحب المبين»، و«تمرد شوقي علي فضيع مني صوابي.. وفاضت شجوني بقلبي وحن إليك شبابي.. ويوم أراك يرق فؤادي ويصفو شعوري ويهفو ودادي»، و«يا من هواك أنيني رفقا بقلبي الحزين.. بالله لا تتركيني فاضت بقلبي شجوني»، و«يا أحلى حب في الدنيا حبي زوبعة تتطلق.. تقتلع القلب وتتركه كالطير ذبيحا يصطفق»، و«أحبك حبا يفوق الغرام ويسمو بعيدا وراء الستر.. فمكك عرفت أصوغ الحروف لهيبا يحرق قلب البشر.. وما كل قلب كقلبي العجيب يلاقي الهناء بنار سقر»، و«أغمضت عيني كي يراك فؤادي فسمعت آهاتي عليك تنادي»، و«تعب الهوى أم إن قلبي من هواه قد تعب؟»، و«ماذا جرى يا أضلعي للخافق الواهي العتيق؟»، و«التقينا يا فؤادي.. وكفانا ما لقينا.. قدرني في الحب أن أحيا حزينا»،

و«ليس عندي الآن قلب، بل جراح.. وبقايا طائر دامي الجناح»، و«يا بنت لبنان المرصع بالألق.. قلبي الذي يصبو إليك قد احترق. قيدت قلبي في الهوى لكن خفق.. لما رأى بحريك حن إلى الغرق»، و«هذا الفؤاد الصب أرهقه المسير.. حيران لا يدري إلى أين المصير.. يا خافقي لم يبق في الأغصان إلا بعض أوراق الخريف»، و«أهرب منك ولكن إليك.. وأشطر قلبي إلى خافقين.. جذبت الفؤاد لدرب الغرام.. فصرت عليه من السالكين»، و«كأن الدمع ينبوع بقلبي.. إذا ما فاز لم يصل العيوننا»، و«يمضي بنا العمر يا قلب، جذبا فلا العشب ينمو ولا الزرع يرجو هطول المطر.. كأن السماء جفاها السحاب وجف على الأرض ماء البحر»، و«هذا الشتاء مؤبد بدمي وهذا القلب يسكن في الباب»، و«بين قلبي وحروفي جف ترتيل النزيف»، و«كن مثل تلك القوس يا قلبي.. ضياء أو سرابا سرمدًا»، و«أكنت تسر برؤية دمعي جداول تجري بخدي الجريح.. لتترك فكري أسير الظنون وتترك قلبي كطير ذبيح؟»، و«أقلب خافقي خلف المدى حيران في كف الضياع.. كأن القلب رف الجفن خفقا في مدارات الشراع»، و«الأغاني في فؤادي باليات.. وضلوعي في سكون تتألم.. أيها الحب ترفق بفؤادي.. ليس في صدري حنين يتكلم»، و«أنت في صدري، ولكن لست مني يا فؤادي»، و«يا قلب لا هرب فالسهم قد نشب.. يا قلب تحترق لا لوم أو عتب»، و«آه من قلبي ومني شوقه يحرق أمني»، و«تهت في الإبحار يا قلبي طويلا وشراعي أخطأ الأفق الجميلا»، و«هذا قدر القلب المخبوء على الزهر.. يتفتت من لمسة يتحرق من همسة يتناثر شوقا من دفقة عطر»، و«حان الرحيل فهل أودعها يا قلب قل يا أدمعي انهجري»، و«إني لأعرف والفؤاد بصير.. أن الهوى قدر إليه أسير.. لبنان يا أهداب فاتنة لها قلبي يصعق عاشقا ويمور.. بيروت يا أبهى الحسان ترفقي.. قلبي بك الولهان والمبهور.. أوغلت في حبين سحرك والصبأ.. وتركت قلبي للشباك يسير»، و«لبنان في قلبنا نار ترقنا.. خوفا على بلد قد عزه الأزل».

لكن الذي يبهنا في صاحب «القلب العجيب» ليس فقط القلب الذي يخفق غزلا ومشاعر وأحاسيس في سنوات التأمل والهوى على نحو بعض ما نلمسه في أبيات له ثبتناها في سطور سابقة، وإنما كيف يوظف خافقه في تكوينات تجمع بين المفردات الصوفية وأكاد

والعذوبة والنفحة الإيمانية، ندعو له بالسلامة وسرعة التعافي لكي يستأنف رحلة الخفقان والأسفار في ما بعد البدء وما قبل المنتهى.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 15 يناير (كانون الثاني) 2012

* * *

الكر والفر بين السودان وليبيا

كنا في الماضي، نحن الصحفيين، نحتار في أمر العناوين التي نتوج بها الصفحة الأولى من أعداد الصحيفة، ذلك أن الأخبار التي تبثها الوكالات عادية في معظمها، أو هي رتيبة بالنسبة إلى مواضيع لا تعنينا كثيرا كعرب.

ولقد حدثت بعض الإستثناءات، وهي إما تتعلق بانقلابات أو بصدمات من نوع الهزيمة البالغة المرارة، التي حدثت يوم 5 يونيو (حزيران) 1967، فضلاً عن أحداث مفاجئة رافقت سنوات الاحتراب في لبنان. وهناك الأحداث المتعلقة بإغتيالات وتصفيات واحتلالات وغزوات. لكنها إستثناءات لا تصل إلى ما وصلنا إليه طوال عام 2011، حيث بات الصحفي يجد نفسه في اليوم الواحد في حيرة من أمر أي من الكم الهائل من الأخبار المهمة يأخذ طريقه إلى عناوين رئيسية للصفحة الأولى من الصحيفة. ولا يكاد يمر يوم إلا ويجد محرر الصفحة الأولى من الصحيفة أمامه عشرات الأخبار التي يصلح كل خبر منها لكي يتصدر الصفحة.

وبقدر ما إن ذلك يبهزنا كصحفيين، بالقدر نفسه لا نجد عموماً في أي من هذه الأخبار المهمة سوى المسميء منها إلى الذات، أو المستفز، أو الذي يتسم بالتشغي.

وعلى سبيل المثال، لا الحصر، هناك أمامنا الخبر الذي ينطبق عليه ما نشير إليه، وهو حول قيام الرئيس السوداني، عمر حسن البشير، بزيارة إلى ليبيا، أراد منها تحدي المحكمة الدولية التي أصدرت منذ سنتين (4 مارس/ آذار 2009) مذكرة اعتقال في حقه، واتهمته بـ «ارتكاب جرائم حرب وإبادة جماعية» في منطقة دارفور في غرب السودان. ومع أن الرئيس البشير سبق أن زار دولاً عدة أفريقية وعربية، من بينها مصر وقطر،

أقول الابهتالية والراثية مثل خشوعياته في حضرة مكة المكرمة وترك قلبه هنا هو الذي يخاطب ويرسم في المشهد لوحة لم نألف مثل هذا الرونق الذي اتسمت به بعض أبياته، ومنها «إيه يا مكة الهدى للبرايا وجذوري في روضك المعطار.. إيه يا كعبتي أطوف نحوك بروحي صبا بعيد المزار.. يا رفاقي في حب طه خذوني.. فربيع القلوب في الأذكار.. يا رفاقي من حل في روض طه بشروه بحوزة الأوطار..» كما أن قلبه كان الذي يناجي رب العالمين قبل لسانه من خلال القول «أتيتك يا رب عطشان حبا لتشفي غليلي وتطفي حريقي.. ومن لي سواك يدل فؤادي.. ويهدي الشريد لنور الطريق؟»

ويبقى استكمالاً لاستحضاري بعض خفقات صاحب «القلب العجيب» عبد العزيز خوجه تساؤل له صفة الإستغراب: كيف أن أشعار هذا المثلث العلمي الشعري الدبلوماسي السياسي لم يصحح بها الطيف المحترم من أصحاب الأصوات الجميلة؟.. مع ملاحظة أن كوكب الشرق أم كلثوم لو كانت بيننا لكانت ستري في بعض قصائد عبد العزيز خوجه أنها ما تحتاج إليه حنجرتها الذهبية فتغدو ماسية.. وبالمقارنة بين بعض أبيات أوردناها وقصائد غردت بها كوكب الشرق يتأكد لنا ذلك. كما أن التساؤل الأخير ونحن نعيش مرحلة ثقافة إسلامية سياسية مستجدة في معظم الدول العربية وستشمل ولا بد تراجع موجة ما هو هابط من الغناء، هو: هل يا ترى سيبادر بعض كبار الفنانين المحترمين إلى تحويل قصيدة «سراج الأكوان» ذات الستة والستين بيتاً، كأنها ست وستون وردة مقدسة فواحة على مدى الدهر، إلى عمل فني؟

وحيث إن الأمة تعيش حقبة بالغة الخطورة وتبدو معالمها وكأن الزمن العربي «المائل» أصلاً سيتحول في لحظة غفلة من الذين يحكمون لكن لا يتعظون إلى كوارث، بدليل ما هو حاصل في سوريا والعراق واليمن حتى الآن، فإنني أختتم هذا الإستحضار لبعض أشعار عبد العزيز خوجه بتسجيل بضعة أبيات تعكس بمفردات رثائية حال الأمة، هي: «ظلمات لجية الظلمات.. أي ماض يا أمتي؟.. أي أت؟.. أي حال يا أمتي نحن فيه.. أي وجل طما على الخطوات.. كيف صرنا مليون ألف فريق.. فأضعناك في هوى النزعات».

من كان هذا قلبه.. أبيض بنصاعة ثلج لبنان، وعجيب، على حد توصيفه هو له، جامع بين الرقة

من دون أن تتجاوز سلطات تلك الدول مع طلب المحكمة الأوكامبوية، فإنه في زيارته إلى ليبيا تم إستقباله من أركان نظامها الجديد بحفاوة، من نوع حفاوة الشعب الليبي بالرئيس (الراحل) عبد الناصر عندما زارها وتوج فيها معمر القذافي «أميناً للقومية العربية» من بعده مدشناً بهذا التتويج مرحلة نمو ظاهرة العنفوان الطاعى في نفس ضابط لم يبلغ بعد الثلاثين من العمر. وهذا العنفوان، كما إنتهت إليه ثلاثة عقود ونصف العقد من حكم القذافي، ساهمت فيما آلت إليه أحوال ليبيا والنهائية المأساوية للعقيد القذافي وأفراد عائلته وقبيلته، ومعهم تدمير وانتهاكات وتشريد الألوف في طول البلاد وعرضها.

وهذا الإستقبال من حيث الحفاوة يضيف أهمية إستثنائية على الزيارة، بإعتبار ليبيا تبدلت بفعل دعم أطلسي بالغ الفعالية، إنتهى إلى إسقاط نظام العقيد معمر القذافي أفجع إسقاط، وبالتالي فإن ليبيا تسير المجتمع الدولي الذي يهيمن عليه الحلف الأطلسي، في حال كانت دول هذا الحلف ترى أن يتم القبض على الرئيس البشير، أو أن يحظى بالسماح، بإعتباره، بعد دوره في اقتسام السودان بين شمال حائر وجنوب حائر يضطر رئيسه سلفا كير إلى زيارة إسرائيل صادما بذلك الأمتين، شارك البشير الأطالس في إسقاط نظام القذافي، وذلك من خلال مده المنتفضين بالسلاح، وربما بما هو أكثر من السلاح.. أي أنه حارب إلى جانبهم، وجعل من حدود السودان مع ليبيا منافذ للدعم اللوجستي والبشري.

وكتدليل على أهمية دور النظام السوداني في إسقاط الحقبة القذافية جاء ذلك الإستقبال المدني والعسكري الرسمي له، وكذلك إبلاغه الليبيين فور وصوله أنه شريكهم في المعاناة من نظام القذافي، وقوله بالحرف الواحد: «لقد عانينا كلنا من نظام الحكم السابق؛ سواء الشعب الليبي أو الشعب السوداني، إلا أننا نقول إن الشعب الليبي كان الأكثر معاناة، وكنا نحن رقم اثنين في المعاناة من ذلك النظام، وإن ثوار ليبيا قدموا أكبر هدية للشعب السوداني بإزالة نظام القذافي، وهو إنجاز بكل المقاييس، وزيارتي هي لتقديم التهئة لثوار ليبيا على إنتصارهم على قوى البغي والعدوان».

وردا على جمائل البشير، وعد أهل الحكم الليبي الجديد رئيس المجلس الانتقالي، مصطفى عبد الجليل،

بالإستثمار الزراعي والعقاري الهائل في السودان، وذلك في إطار رؤية عامة لمراجعة كل الإستثمارات في العالم العربي وبعض الدول الأفريقية والأوروبية وغيرها من دول العالم. وأضاف موضحاً: «إن العقل والعدل يتطلبان من ليبيا توجيه إستثماراتها الزراعية بالقرب من ليبيا، بدلا من الشرق الأقصى أو آسيا الوسطى». لكن الرد يبقى في نظر السودانيين مجرد وعد إلى حين التنفيذ، كما أن «البشير الإنقاذي» عرض على حكام ليبيا الجدد تقديم خبرته في دمج عشرات الميليشيات الليبية، وصهرها في الجيش الذي تتم إعادة تكوينه.

الحالة السودانية - الليبية هذه تذكرنا بمثلتها في زمن نظام الرئيس جعفر نميري، الذي بدأ حليفا للقذافي ثم انتهى إلى خصام، لأن القذافي الذي كان أسهم في إحباط انقلاب ضد نميري قاده الشيوعيون، أسهم بعد ذلك في عملية غزو لعناصر مسلحة تابعة للمعارضة السودانية، انطلقت من الأراضي الليبية ووصلت إلى الخرطوم، وكادت تتجح في إسقاط نميري، لولا أن مذبة استهدفت عددا من الضباط داخل أحد المعسكرات أجهضت العملية برمتها. ومساندة القذافي لهؤلاء الغزاة هي تماما مثل مساندته لاحقا للمتمردين في دارفور، وجاءت زيارة البشير إلى ليبيا بعدما كان نجح في تصفية زعيم حركة التمرد؛ إبراهيم خليل، وكأنما هي الترجمة لعبارته التي أوردناها في سطور سابقة من أن الشعب السوداني كان رقم اثنين في المعاناة من نظام القذافي. كما أنه يريد القول ما معناه لحكام ليبيا الجدد إن المعارضة التي يشكو منها في السودان كانت حليفة القذافي، ولذا فإن مساندة ليبيا الجديدة للسودان، الذي يترأسه، يجب أن تستبق أي خطوة من جانب معارضين سودانيين لتجديد العلاقة مع ليبيا.

ونستحضر هنا واقعتين تعكسان جانبا من المشاعر لدى أهل الحكم في كل من السودان، الذي هو شبه قارة صغرى في قلب القارة الأفريقية، وليبيا، التي هي شبه قارة في الجناح المغربي من الأمة. وتتمثل الواقعة الأولى في أن القذافي طالب نميري بتسديد قرض سبق أن قدمته ليبيا القذافية للسودان، الأمر الذي حمل الرئيس السوداني على التوجيه بحملة لجمع المبلغ من تبرعات الشعب السوداني، وتحت شعار «قرش الكرامة». وهذه الواقعة تكررت أيضا مع البشير، الذي أصر القذافي على استرداد قرض حصل عليه «سودان

الإنقاذ»، وعندما لم يتيسر الأمر، فإن ليبيا استردته من خلال الاستحواذ على أثمن قطعة أرض في الخرطوم، وشيدت عليها فندقاً ضخماً على شكل بيضة، وبذلك بات السودانيون يسمونه «فندق بيضة القذافي».

وما تشير إليه هو على سبيل المثال لا الحصر، لأن العلاقة السودانية - الليبية كانت في استمرار في زمن القذافي في حالة مد وجزر، أو فلنقل: في حالة كر وفر. الكر بالمعنى الإيجابي والتقاء مصلحة الجنرالين السودانيين نميري ثم البشير، والفر بمعنى التأزيم، بحيث إن كلا منهما يحلف بالطلاق من العلاقة مع ليبيا، وينتظر اللحظة المواتية لتنفيذ اليمين. وفي الحالتين، هناك تسرع ورغبة في التشفي وحسد سوداني من ليبيا، الثروة النفطية، يقابله حسد ليبي من السودان، الثروة المائية والزراعية.

وثمة نقطة لافتة هنا، وهي أن الحفاوة الليبية بالرئيس السوداني المطلوب من المحكمة الجنائية الدولية قد تخرج الحكم الليبي الجديد في شأن التعامل مع حالة سيف الإسلام القذافي، المطلوب هو الآخر من تلك المحكمة.. إلا إذا كانت الحفاوة المشار إليها من شأنها إستنباط تخریجة لعدم الإنشغال كثيراً بموضوع سيف الإسلام، والاكتفاء بما جرى له، وللنظام الذي كان يقوده والده، وانتهى في شكل فاجعة شخصية وعامة. لكن في الوقت نفسه، فإنه بالتزام المجلس الوطني الانتقالي بحقوق الإنسان وحكم القانون، سيجد نفسه يشقى في توضيح هذا التلاقي مع الرئيس السوداني، الذي ربما يراهن على مرونته إزاء القبول بانسلاخ الجنوب، مما أثلج صدر المجتمع الدولي، وأشعل ناراً في صدر الرأي العام السوداني، لأن السودانيين فقدوا السودان كـ «عميد» للدول العربية من حيث المساحة، وباتت «العمادة» من نصيب الجزائر، وستجعل الملاحقة له لعبة مسلية ومطاردة أشبه بمطاردة توم لجيري أو العكس.

ونعود إلى ما بدأناه، لنقول إننا كصحافيين نتحير، منذ أكثر من سنة، في أي من الأخبار التي أمامنا نتوج به العنوان الرئيسي للصفحة الأولى. فهي كلها أخبار لا تبعث في النفس سوى الخشية مما هو أعظم، كما أنها في معظمها تستهدف الإستقراز والتشفي. ولكننا على الرغم من ذلك نبقي في إنتظار الخبر الذي يسر خاطر، وهو أن يوماً مضى من دون تهديدات إيرانية بإشغال المنطقة حرباً، رداً على العقوبات المتتالية على إيران من أميركا وحلفائها،

يقابل هذه التهديدات رد أميركي بمثل مضمونها، ومن دون أن ينقضي يوم ليس فيه سفك دم إنسان عربي، أو إزهاق روح طفل بريء. وهذا أمر ممكن في حال صدور قرار يحمل توجيه الرئيس بشار الأسد في الدرجة الأولى إلى مرؤوسيه؛ بأن الصفحة المؤلمة ستطوى.. وإلا فسينصرف هو وعائلته الصغيرة من تلقاء نفسه.

وهذا ما نتمناه قبل أن يحدث التدويل، لا قدر الله. كذلك نتمنى أن لا يستتسخ أهل الحكم في إيران تلك الواقعة، التي كان العراق في غنى عنها، المتمثلة في إصرار الرئيس صدام حسين على إعدام الصحافي البريطاني الإيراني الأصل، فيرزاد رباطي بازوفت، العامل في صحيفة الـ «أوبزرفر» بعد إدانته بتهمة التجسس وتصوير منشآت عسكرية. ولم يتجاوب صدام في حينه لا مع المناشدات ولا مع التمنيات ولا مع تحذيرات رئيسة الحكومة البريطانية، مارغريت ثاتشر، التي انتصرت لبازوفت؛ ليس تعاطفاً معه فقط، وإنما لأن الظروف، زمنذاك، كانت تستوجب خلق ذرائع للانقضاض على الحكم الصدامي، وهذا ما حدث. وهو لم يتجاوب فحسب، وإنما رفع منسوب التحدي، وذلك بقوله: «إن الدور الذي يعتدي سيقطع العراق رأسه وذنبه، وإن أي جاسوس يمر بالعراق ويتصور أن خلفه دولة عظمى سيجري تقطيعه إلى أربعة أجزاء».

هذه الواقعة والكلام حولها، حدثت في أبريل (نيسان) 1990، وما نحن بعد 21 سنة نجد أهل الحكم الإيراني يستسخون تلك الواقعة، ويصدر في طهران حكم بالإعدام على أمير ميرزائي حكمتي، وتعتبر المحكمة الثورية أن هذا الشاب (28 سنة)، الذي كان يزور جدته في إيران «مفسد في الأرض».

والمهم ألا تكون نهاية حكمتي، مثل نهاية بازوفت، وذلك كي لا يكون إعدامه على وقع التصريحات الحادة، والتهديد بإغلاق مضيق هرمز الذي قال قائد البحرية الإيرانية: «إن إغلاق المضيق سهل ومثل شربة ماء» وذلك، من دون التبصر بما جرى لمصر عبد الناصر، بعدما أغلق مضائق تيران، ذريعة مضافة إلى مجموعة ذرائع لإنهاء الحكم في إيران، على نحو إنهاء الحكم الصدامي في العراق.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 24 يناير (كانون الثاني) 2012

الإنصراف بالتي هي أمكن برسم بشار

إذا كان العام 2011 هو عام التغيير العربي الجزئي «المضمخ» بأنفاس أطلسية ومن دون أن يتم حسم ما جرى هل كان إنتفاضة أم ثورة أم فورة أم على حد ما قاله مواطن مصري عبر إستطلاع فضائية مصرية «كان الذي جرى عورة»، فإن العام 2012 سيدخل التاريخ العربي المخضرم على أنه عام إيقاف موجة التغيير عند حد «حاجز حفظ ماء الوجه» الذي هو مثل الحواجز الإسمنتية التي يتم إستحداثها لدرء إندفاع إعصارات كذلك الذي حدث على الشاطئ الياباني جارفاً الحجر والبشر وكل ما هو على الأرض بما في ذلك الطائرات والشاحنات. وبفعل «حاجز حفظ ماء الوجه» وجذنا الموجة تصطدم بالحاجز ونجد بالتالي ظاهرة التغيير تراوح مكانها فلا قدرة لها على مواصلة الإندفاع ولا هي موضع رضى الناس على إستمرارها.

نستند في هذا الذي نقوله إلى ما حصل في مصر وتحديداً مفاجأة الدكتور محمد البرادعي الذي هو رائد تيار المواجهة الكلامية الفاعل ضد حُكم الرئيس حسني مبارك والذي إستطاع تحقيق إلتفاف حوله في فترة زمنية قياسية، خصوصاً أنه حديث العهد في المواجهة حاله حال مواطن مغترب حقق نجاحاً مالياً في بلاد الإغتراب وعاد بعدما تقدّم به العمر إلى بلده ليستثمر ما جناه في مشروع يعتاش منه. كذلك نستند إلى ما إنتهت إليه المنازلة اليمينية وكيف أن ما تحقّق للرئيس علي عبدالله صالح كان أشبه بالعلاج السحري لإنقاذ حالة مَرَضِيَّة مستعصية، فضلاً عن أن النهاية السعيدة للمنازلة حفظت ماء وجه اليمن الوطن والشعب والرئيس في وقت واحد، وإلى درجة أن الرئيس حسني مبارك كان يتمنى لو حصل له ما حصل للرئيس علي عبدالله صالح، بدل أن يبقى على النحو الذي هو عليه منذ أن تقررت محاكمته، ممّداً على نقالة تحمله من سرير في المستشفى إلى طوافة تنقله إلى مبنى المحكمة ثم يتم إنزاله ممّداً على النقالة ووضعه داخل قفص المحكمة ثم تبدأ رحلة العودة إلى سرير المستشفى، وهو مشهد مسيء إلى مصر الدولة والشعب ومهين إلى رئيس بالغ ملايين المصريين في تعظيمه يوم كان في سدة الرئاسة وها هم يبالغون في إهانته الآن ولا ندري كيف ستكون عليه حالهم إذا حدثت في اللحظة الأخيرة مفاجأة بحيث

تأخذ المحكمة في الإعتبار المطالعات المثيرة للمحامي فريد الديب كبير المدافعين عن مبارك ونطالع في الصحف وعبر الفضائيات ما يفيد بأن مبارك الظالم إنتهى مظلوماً وفي هذه الحال سنرى الأطياف التي رمتها بكل أنواع الذم تعاود الإشادة به. فهذه مع الأسف طبيعة شخصية المصري لا يحبذ الوقوف إلى جانب الآخر، فإما أمامه وإما وراءه. كما نفترض أن الرئيس الآخر زين العابدين بن علي والذي حاله جسدياً أفضل بكثير من حال مبارك، خاطب نفسه وهو يتابع ما حصل لعلي عبد الله صالح بالقول: يا ليت هذا الذي جرى له حصل معي.

الذي فعله البرادعي والذي كانت أفكاره ونسبة الإلتفاف الشعبي حوله من شأنها أن تحقق احتمال فوزه بالرئاسة، قرر فجأة الإنصراف وذلك بعدما وجد أن السلطة التشريعية باتت في عهدة الإسلاميين (الإخوان والسلفيون) وأنه لكي يحظى بتأييدهم له رئيساً للجمهورية عليه أن يجاريهم في أفكارهم وهذا معناه أنه ينقلب على ما كان يبشر به. وهو لو قرر الإنصراف قبل أن تبدأ النتائج الأولية للانتخابات البرلمانية لكان بدا في ذلك أنه غير مرتاح لما يحدث وأنه بالتالي لن يحقق برنامجه وأن انصرافاً بالتي هي أمكن أفضل وأكرم له من هزيمة متوقعة على أساس أنه إذا فاز للإسلاميون لن ينال منهم التأييد إلا في حال نالوا منه المجارة، وإذا مدد المجلس العسكري فترة البقاء فإنه لن يكون قادراً على مواجهة الجذالات. وهكذا نراه يوم السبت 14 يناير/ كانون الثاني 2012 قبل عشرة أيام من حلول ذكرى «ثورة 25 يناير» وفيما معركة السلطة التشريعية حُسمت لمصلحة الإسلاميين وإختار «الإخوان» لرئاسة «مجلس الشعب» الدكتور سعد الكتاتني يُصدر بياناً يعلن فيه إنسحابه من سباق الرئاسة محمّلاً «المجلس العسكري» وزر إصرار الجذالات الحفاظ على النظام السابق مضيفاً «إن الربان - يقصد المجلس الأعلى للقوات المسلحة - أدخلنا في متاهات وحوارات عقيمة وإنفرد بصنع القرارات وبأسلوب ينم عن تخبط وعشوائية في الرؤية...»، وفي الوقت نفسه لا يسمح «أن يُحمّل ضميره بالترشح للرئاسة أو أي منصب رسمي آخر إلا في إطار نظام ديمقراطي حقيقي يأخذ من الديمقراطية جوهرها وليس فقط شكلها». وفي حين عزى البرادعي في بيانه «الشهداء الأبرار وآلاف الضحايا من المصابين» فإنه لم يعتذر عن قراره

بالإنسحاب من سباق الرئاسة الأولى من عشرات الألوف الذين إلتفوا حوله وساندوه في معركة الرئاسة وهو بذلك ترك وراءه خصومة دائمة مع المؤسسة العسكرية وحالة إرتباك في أوساط الذين وقفوا معه سيتشتت شملهم بين هذا المرشح أو ذاك أو النأي عن تأييد أحد كنوع من التعزية غير المعلنة لـ «مرشحهم البرادعي» الذي بدا عزوفه وهذا الأسلوب في الإنصراف نوعاً من الأنانية بمعنى أن الذي يعنيه كان شخصه وليس حماسة أطراف عريضة من المصريين لترؤسه. وعند التأمل في ردود الفعل على ما فعله نجد أن هنالك ما يشبه خيبة الأمل به أكثر من الإعجاب بما إرتآه في لحظة الحاجة إلى بقاءه.

وبالعودة إلى الإنصراف الآخر فإننا نرى أن الرئيس علي عبدالله صالح حقق ما يشبه حال فوز أحد المساكين الذين ضاقت بهم سُبل العيش وفجأة يجد أن أرقام ورقة اليانصيب التي إشتراها بمبلغ زهيد ربحت الجائزة الكبرى وبات يملك ملايين. وبالمقارنة يمكن القول إن ذلك المساكين هنا هو الرئيس علي عبدالله صالح الذي باتت هنالك إستحالة لبقائه في الحكم كما لتحقيق تطلعاته من حيث توريث إبنه، وأن ورقة اليانصيب ذات الستة أرقام هي المبادرة الخليجية التي أوضحت أن الرجل ليس فقط لم ينته كما إنتهى الرئيس حسني مبارك ومن قبل الرئيس زين العابدين بن علي وبينهما الرئيس معمر القذافي، وإنما نال أفضل إنصراف ذلك أنه لم يغادر إلا بعدما حصل على الحصانة التي تنجيه من ملاحقة كتلك التي ستطول وتنتشعب بالنسبة إلى بن علي ومن مطاردة منقطعة للرئيس عمر حسن البشير ومن محاكمة مهينة للرئيس حسني مبارك بقدر ما هي مسيئة للسمعة المصرية. وهذه الحصانة معناها أن الإقامة ممكنة خارج اليمن في الولايات المتحدة التي سافر إليها بغرض العلاج وفي أي بلد خليجي ما دامت المبادرة الخليجية والأخذ بالحصانة نتيجة نصيحة خليجية - دولية وهذا يعني أن لا محاكمة له ولا أحكام عليه مما يجعله طريدة لمحاكمة دولية أو سواها، وفي هذه الحال فهو موضع القبول إذا لم نقل أنه موضع الترحيب. لكن المهم أن يرضى عبد الله صالح ويَقنع بالدهر الرئاسي الذي ناله فلا يعتبر أن الحصانة هي بمثابة حق مشروع يُجيز له أن يحذو حذو نظيره الباكستاني برويز مشرف الذي يصر على العودة إلى باكستان بأمل أن يستأنف

الرؤس غير عابئ بالتحذيرات له من أنه سيلقى نهاية بنظير بوتو أو سيتم القبض عليه لمجرد نزوله من الطائرة التي ستنقله من لندن إلى إسلام آباد. ولعل تطلعات علي عبد الله صالح إلى أن يستأنف سببها أنه سيثار من الذين تسببوا بالقذائف الحارقة أطلقوها عليه وهو في المسجد بتشوّهات في يديه ووجهه. كما أن هذه التطلعات يمكن أن نقرأها بين سطور كلامه الإعتذاري من الشعب اليمني أو نلاحظها في سمات وجهه وهو يتلفظ بالإعتذار الذي كان رغم كل الإفتراضات يؤكد ظاهرة الحضور المنحّي للحداثة السياسية لدى رجل الدولة. وبهذا الإعتذار الطفيف يطفئ بعض الشيء من النار التي تركها مشتعلة في صدور نصف اليمن أو أكثر نتيجة أنه إعتبر كما سائر جنرالات حكموا أن الوطن كما الشعب هما الحاكم.

ونخلص إلى القول إن بداية العام 2012 كانت لافتة لجهة الذي ينصرف تسلاً مثل الدكتور محمد البرادعي ومن دون أن يعتذر والذي ينصرف محصناً ومعتزلاً مثل الرئيس علي عبد الله صالح في إنتظار أن يقرر الرئيس بشأن أن الإنصراف بالتالي هي أمكن مع الإعتذار على نحو ما فعل الرئيس اليمني هو أكرم تسوية خصوصاً أن صيغة التسوية هنا عربية - دولية. لكن الأمر مرهون بمن يَعتبر ويصغي إلى النصيحة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 4 فبراير (شباط) 2012

* * *

المضافات الممكنة لـ بشأن المتنحي

على وقّع المكاييدات في كواليس مجلس الأمن وكيف أن «دبلوماسية الإشمئزاز» و«دبلوماسية الذهول» و«دبلوماسية الخذلان» و«دبلوماسية التذبذب» و«دبلوماسية المكر» أدخلت إلى «موسوعة لغة التعامل في أروقة المنظمة الدولية»، وباتت من حيث التصنيف مثل مفردات ذاع إستعمالها خلال الخمس عشرة سنة ومنها على سبيل المثال لا الحصر «الدولة المارقة»... على وقّع هذه المكاييدات وإخفاق مجلس الأمن الدولي في جلسته المنعقدة يوم السبت 4 فبراير/ شباط 2012 في التوصل إلى قرار بالإجماع حول الأزمة السورية،

يسير الكلام وفي خط مواز حول أي دولة يمكن أن تستضيف الرئيس بشار الأسد وأفراد عائلته الصغرى ومن دون أن يؤتى على ذكر آخرين من أفراد النظام ربما لأن الأكثر أهمية بين هؤلاء الآخرين سبق وأدرجت أسماؤهم كمنوعين من دخول بعض الدول. وهذا الوضع بشقيه، أي المكايمة في كواليس مجلس الأمن والكلام حول «الملاذ الآمن» للرئيس بشار وعائلته الصغرى، يجعلنا نستحضر بعض ملامح حالات تحقق للبعض اللجوء مثل لجوء زعامات يمنية إلى سورية ومصر وسلطنة عُمان وزعامات جزائرية إلى أبو ظبي وزعامات عربية وغير عربية إلى السعودية أحدثها الرئيس زين العابدين بن علي، وأضاع البعض الآخر هذه الفرصة على نحو تضييع الرئيس صدام حسين للإستضافة الإماراتية في حمى الشيخ زايد رحمة الله على الإثنين. مع ملاحظة أن الحالة السورية هي الأكثر غرابة. ونقول ذلك على أساس أن الملاذ الآمن في حال بات لا بد من إزعان الرئيس بشار الأسد للتحكي وليس للتخلي لأن تجربة مصر في موضوع التخلي تكاد تُورث احتراباً ألهياً في مصر، هي بريطانيا كون السيدة أسماء زوجة الرئيس سورية بريطانية وكون حافظ الأسد الحفيد وشقيقته وشقيقه لديهما في بريطانيا الجد والجدة والمنزل اللائق، إلى جانب أن الرئيس بشار كما الأكثرية من العرب الذين عرفوا بريطانيا طلاباً أو مقيمين وإن بالإضطرار، يفضلون لندن وبقية مدن الريف البريطاني على غيرها من مدن أوروبا وأريافها. لكن بعد قسوة الموقف البريطاني على الرئيس بشار وإلى درجة أنه بات صنوالموقف الأمريكي والموقف الفرنسي، فإن إستضافة الرئيس بشار بكامل العائلة ستكون مستعربة، أو فلنقل مُستعبدة، وأن الافتراض الطبيعي هو أن تكون زوجة الرئيس وأولادها (حافظ. زين. كريم) في ضيافة الأهل كونها تتمتع بحق المواطنة شأنها شأن أي بريطانية بمن في ذلك زوجة رئيس الحكومة كامرون.

الملاذ الآمن الآخر هو من باب الافتراض إسبانيا كون العلاقة الشخصية والأسرية بين الرئيس بشار وزوجته أسماء والملك كارلوس وزوجته الملكة صوفيا قوية. وكان عمل على تقوية الأواصر بين الجانبين الدكتور محسن بلال الذي شغل لبضع سنوات منصب السفير لدى إسبانيا قبل أن يتم تعيينه وزيراً للإعلام. ولقد ساعد عنصر التميز لعلاقة الرئيس بشار بالدكتور

محسن أن الأخير كان لفترة أحد أساتذة بشار الذي يدرس الطب. وبعدما وقف أهل الحكم الإسباني على نقطة التميز هذه فإن العلاقة تزايدت وثوقاً. لكن هذه العلاقة بعد الذي جرى في سورية على مدى سنة والموقف المتشدد للإتحاد الأوروبي من النظام السوري تجعل أهل الحكم الإسباني محزجين في حال أنهم إستضافوا صديقهم الذي سبق أن تبادلوا معه أرفع أنواع الحفاوة خلال تبادل الزيارة الرسمية والإتصالات والمشاورات.

عدا إسبانيا لا يعود هنالك ملاذ آمن أوروبي سوى روسيا (توأم سوريا من حيث الحروف العربية) التي هي منفى أكثر من أن تكون مضافة حاكم صديق جار عليه الزمن. ثم أن روسيا التي وقفت مع نظام الرئيس بشار وعطلت مرتين قراراً يصدره في مجلس الأمن حول الأزمة السورية المتفاقمة ستبذل جهوداً إستثنائية مع أهل الحكم الذين سيأتون بعد الرئيس بشار، وخصوصاً إذا كان الآتون هم الذين لم تترفق الدبلوماسية الروسية بهم بل إصطفت إلى جانب الرئيس بشار ضدهم. وفي هذه الحال فإن الحكم الجديد سيتعامل مع روسيا بالكثير من التحفظ ولا نستبعد أن يحصل مع كرمين بوتين - ميدفيديف، هذا إذا هما استمرا ذلك الثنائي الحاكم روسيا، ما حصل مع كرمين بريجنيف - كوسيجن من جانب الرئيس (الراحل) السادات الذي أذل الإتحاد السوفياتي اخص إذلال حيث إنه إعتد قاعدة الطرد والإلغاء، طرد الخبراء السوفيات العاملين مع القوات المسلحة وإلغاء معاهدة الصداقة والتعاون الذي سبق أن أبرمها بدافع الإضطرار، بل قد يجوز القول إنه أبرمها لكي يلغيها وتلك إحدى وسائل الإذلال التي كانت موضع ترحيب الإدارات الأميركية المتعاقبة وإحدى القذائف الفاعلة في تقويض الإمبراطورية السوفياتية كون القذيفة الساداتية التي صفق وهلل لها المصريون من عسكريين ومدنيين بإستثناء بعض المنظرين اليساريين كانت إحدى طلقات الإهانة للدولة العظمى التي تهاوت لاحقاً على أيدي غورباتشوف ثم ما لبث أن تحايل عليه يلتسين سالباً النصر منه ثم إنتهى هذا الأخير غارقاً في السكر مورثاً المجد بضمان عدم المحاسبة لعهد لأحد ثعالب ال "كي. جي. بي" فلاديمير بوتين الذي وجد في الأزمة السورية أنها لعبة "البوكر" الوحيدة التي قد تعود عليه، كمطلع إلى العودة رئيساً - قيصراً هذه المرة،

ومن خلال "الفيتو" بعوائد مليارية. ومن هنا قد ينتهي أمر الإتكال السوري البشّاري على روسيا بأنه كان أسوأ الإتكالات وأن إرتضاء المبادرة العربية كان هو الأفضل والأكرم والطريق الآمن إلى إقامة في المملكة العربية السعودية التي لم تقف أي دولة شرقاً وغرباً مثل وقفتها بالذات مع العائلة الأسدية.

بطبيعة الحال لا تبدو الصين ملاذاً آمناً للرئيس بشّار. وهي خيار غير موضوعي بالنسبة إليه، خصوصاً أن الصين التي في حال لن تتخلى في التصويت الآتي عن إستعمال «الفيتو» ستفقد أسواقاً ومشاريع وصفقات مع الدول العربية أكثر مما ستربح جرّاء ذلك الإستعمال وكان من شأن الإمتناع عن التصويت أن يخفف من مخاطر فقدان المشار إليها لولا أن عقدة الكرملين دائماً تتحكم بها.

بين المضافات الممكنة هنالك فنزويلا تشافيز لكن الرجل الذي يصارع مرض السرطان قد لا يعيش طويلاً ويأتي بعده من لا تربطه بالرئيس بشّار تلك العلاقة التي هي حالياً بين تشافيز وبشّار. كما أن الحال ينطبق على كوبا الكاستروية التي لا بد ستتقلب على نفسها بعد كاسترو الأول الذي هو في الوضع الصحي الصعب وكاسترو الشقيق الذي يدير لكنه لا يحكم. ثم إن المضافة الأميركية اللاتينية تبعث في النفس السورية شعوراً بالخشية وتذكّر الضيف بالذي جرى ذات يوم للعقيد اديب الشيشكلي الذي ظن أنه بالإبتعاد إلى آخر نقطة في القارة اللاتينية لا يمكن أن يطاله أحد.

إستناداً إلى واقع العلاقات الراهنة وتجارب التعامل بين بشّار الأسد الرئيس ومعظم الدول العربية فإنه لا مجال للإستضافة في أي من هذه الدول. وحتى الدول التي رحبت بإستضافة شخصيات وعائلات من حقبة الحكم الصّدّامي في العراق تعيش منذ أن حصل «الربيع العربي - الأطلسي» أوضاعاً يصعب على أي منها إستضافة من ليس من مناوئي ذلك الربيع، وهذا يحدث للمرة الأولى لأن الأبواب العربية دون تحفّظ إستقبلت العراقيين الصّدّامين وغير الصّدّامين وحققت لهم الأمان النفسي والعيش بكرامة أو بالحد المعقول المحسوب منها.

قد يظن البعض أن نوعاً من السهو حصل لأننا لم نأت على ذكر إيران ولبنان، وفي هذا الصدد يمكن القول إن ملاذاً آمناً في إيران مستبعد لأن معناه اختيار الرئيس

بشّار للنظام الذي هو عملياً السبب في الذي جرى له. وأما لبنان فإنه من حيث مقومات الإستضافة مثالي إنما في غير هذه الظروف. وهنا يحتاج الأمر إلى بعض التوضيح. ففي الزمن الغابر أي من العام 1975 رجوعاً إلى الأربعينات وما تلاها وبالذات في زمن الإنقلابات العسكرية في سورية ثم الوحدة المصرية - السورية كان لبنان هو الملاذ الآمن لكبار أهل الحكم يلقون فيه الإقامة الهادئة والإهتمام الأخوي عدا حالات من الإعتيال تفرضها مقتضيات الإنقلابات والمنقلبين على الشرعيات الدستورية وعلى بعضهم البعض. إستضاف لبنان شكري القوتلي وخالد العظم وأكرم الحوراني وصلاح البيطار وميشال علق.. والقائمة طويلة. وفي ذلك الزمن لم يكن هنالك «الوبي الأسدي» الذي بات عليه متمثلاً بـ «حزب الله» أقوى قوة عسكرية في لبنان و«حركة أمل» أقوى قوة سياسية شيعية و«المردة» القوة المارونية الشمالية التي تتبادل زعامتها المتمثلة في شخص سليمان فرنجية الجد الرئيس ثم بعد ذلك في شخص سليمان فرنجية سليمان الحفيد النائب الوزير، الإحتضان السياسي مع عائلة الأسد، و«حركة الإصلاح والتغيير» التي يتزعمها الجنرال النائب ميشال عون الذي كان عدواً لوداً للأسد الأب فبات صديقاً صدوقاً للرئيس بشّار بموجب تحالفات إضطرارية من أجل تطلعات ترئيسية. هذا إلى جانب قوى سياسية ومذهبية متناثرة تصطف حول الحكم الذي يقوده الرئيس بشّار. وبمقياس النسبية فإن للرئيس بشّار في لبنان ما دام ممسكاً بزمام الأمور في سوريا ثلثي الأطياف والقوى السياسية الفاعلة في الساحة اللبنانية. لكن مع ذلك لا يمكن الجزم بأن الرئيس بشّار يمكن أن يرى الملاذ الآمن في لبنان، لا في بقاعه المحاذي للحدود مع سورية ولا في جنوبه في حمى «حزب الله» ولا في شماله في حمى الحليف سليمان فرنجية تقادياً لمفاعيل الغضب العكاري والطرابلسي السني الذي يشكّل ما يشبه الخط المكهرب الذي يفصله عن الجمع العلوي اللبناني وبالتالي عن الشاطئ السوري العلوي ومعه الجبل العلوي. أما لماذا ليس لبنان مع أن ثلثيه معه كرئيس، فلأن تعديل المواقف يستتبع التغيير الإضطراري الذي سيحصل في حال أفتعت الدبلوماسية الروسية في شخص رئيسها سيرغي لافروف ورئيس مخابراتها ميخائيل فرادخوف، الرئيس بشّار بأن جزءاً مما فعله الرئيس علي عبدالله صالح قد يكون الحل الذي لا

حل غيره ولا مجال أمام روسيا بوتين أن تفعل أكثر مما فعلته وفي هذه الحال فإن اللجوء إلى الطائفة وإعلان دولة منها ليس حلاً لأنها في هذه الحال دولة لا تحظى بإعتراف أحد، وأن الإصرار على الحل الأمني لن يؤدي سوى إلى النهاية الليبية وأن المراهنة على فوضى في لبنان من شأنها أن تؤدي لكنها مرفوضة حتى من روسيا التي تفضل أن يتم التخلي عن السلطة إلى مجلس عسكري لا يشمل قادة ممنوعين دولياً. وفي هذه الحال لا يسود الإنطباع بأن صفحة الطائفة العلوية طويت وحلت محلها صفحة الطائفة السنية. فالمجلس العسكري يضم جنرالات من كل الطوائف كما أن هذا المجلس كفيل بحفظ العلاقات التاريخية لجهة التعاون العسكري مع روسيا وهي علاقات أقوى بكثير من العلاقات السياسية والحزبية. وهكذا نخرج جميعاً من المأزق وكفى المعاندين عواقب العناد.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 12 فبراير (شباط) 2012

* * *

حكاية قمة سيئة حظ الإنعقاد

حتى يوم الإثنين 25 مايو/ أيار 2011 لم يكن مصير قمة عربية المحدد في الأصل بالشهر والسنة واليوم موعد إنعقادها وهو 28 مارس/ آذار 2012، محسوماً ذلك إن الإجراء الثاني لهذه القمة التي هي من نصيب العراق وفق الترتيب الأبجدي كان وارداً نتيجة الدواعي التي تسببت في التأجيل الأول لعقد القمة يوم 28 مارس 2011 إلى يوم 11 مايو، وهي الدواعي الأمنية المتفجرة من جهة وبقاء العراق رسمياً في حالة إحتلال. ومن الطبيعي ألا يلبى القادة العرب دعوة أهل الحكم العراقي إلى المشاركة في القمة العربية الدورية، هذا إلى جانب أن العلاقات متوترة بين بعض أهل الحكم العراقي ومعظم القادة العرب.

وتدليلاً على أنه حتى يوم الإثنين 25 مايو 2011 وكان إنقضى على يوم الإنعقاد المقرر للقمة التي أرجئت شهران وعلى التأجيل أسبوعان، أن نائب الأمين العام للجامعة العربية السفير أحمد بن حلي أبلغ «الشرق الأوسط» أن مجلس الجامعة سيقدر مصير القمة في

الاجتماع الذي سينعقد يوم 8 مايو/ أيار 2011 مشيراً إلى ما يشبه حالة الإحباط لدى المسؤولين العراقيين، وبات كمن يقول توصيفاً للحالة إن أهل الحكم كانوا مثل أهل عروس إستكمل الأهل جهازها على أزهى ما يكون الجهاز واختاروا أفضل الأنواع لجهة المآكل والمشارب لكن العريس لم يصل وغادر المأذون الشرعي وإنقضت أهل العروس منزعين مما حدث.

في خطوة لتخفيف وطأة الإحباط قام وزير الخارجية العراقية هوشيار زيباري بجولة مع عدد من الصحفيين ومصوري الفضائيات على المجمع المخصص لإقامة ضيوف القمة إلى جانب تأهيل أهم فنادق العاصمة مثل «فندق الرشيد» و«فندق فلسطين» و«فندق شيراتون» و«فندق بابل» و«فندق بغداد» لإقامة الوفود المرافقة والإعلاميين، مع ملاحظة أن كل هذه الفنادق كانت في إستمرة تحت مرمى تفجيرات بالسيارات المفخخة، لكن من أجل القمة خصصت الدولة حول خمسين مليون دولار لكي يكون تأهيل هذه الفنادق على الوجه الأفضل. أما المسألة الأمنية فليست أكثر من كلام وتعهدات وتبين لاحقاً أن مسلسل التفجيرات إستمرة على الوتيرة نفسها وأخترق محيط هذه الفنادق وصولاً إلى مشارف المنطقة الخضراء. ودخلت حادثة مقتل عامل عراقي نتيجة عشرات الكيلوغرامات من المخلفات سقطت عليه من الطبقة العليا من «فندق فلسطين» خلال عملية تأهيل الفندق للإستضافة، على أجواء الإحباط حيث إنها بدت نذير شؤم. واللافت للإنتباه أن أهل الحكم العراقي لم يكونوا موحد في الرأي إزاء تحليل موجبات التأجيل، إذ أن الرجل الأقوى في النظام أي رئيس الحكومة نوري المالكي لا يعترف بأن بعض مواقفه إضافة إلى الأوضاع الأمنية هي السبب في التأجيل وأنه لكي تتعقد قمة من المفترض بمضيفها أن يكون موضع إرتياح الضيوف. لكن وبسبب المواقف المشار إليها ليس هنالك إرتياح. كما ليس هنالك وضوح رؤية لأهمية القمة كتلك التي يراها أهل الدبلوماسية العراقية ويرها أيضاً السيد عمار الحكيم أحد أبرز زعماء الطائفة الشيعية الجامع بين الرؤية الفقهية والرؤية السياسية والذي يعتبر أن تأجيل القمة يشكل عنصر إحباط للشعب العراقي الذي كانت تساؤلات أطراف كثيرة فيه حول الجدوى من إنفاق نصف مليار دولار على قمة عربية يتحمل مسؤولية عدم إنعقادها وفق الموعد المحدد لها، أسلوب تعامل بعض

أهل الحكم مع هذا الحدث.

لم يقطع الرئيس المالكي الأمل من إنعقاد القمة التي يرى أنها تعزز مكانته السياسية ومكانه في قمة السلطة، وأوكل إلى وزير الخارجية هوشيار زيباري أمر إجترار المعجزة لأن هذا الوزير موضع إرتياح معظم وزراء دول «مجلس التعاون الخليجي» كونه نأى قدر المستطاع عن حدة الموقف السياسي للنظام في العراق وبالذات ما يتعلق بالموقف من إيران ومن العلاقة مع سوريا. وحتى في موضوع الأزمة التي عاشتها مملكة البحرين ولم تنته فصولاً، كان موقف الوزير زيباري غير موقف الرئيس المالكي. وهذا النأي حقق بعض الانفراجات. ومن دلائل الانفراج أنه قبل لقاءاته بنظرائه الخليجيين وبعد هذه اللقاءات كان يقول ما من شأنه إشاعة أجواء من الطمأنينة. بل إنه عندما كانت الأزمة في البحرين في درجة الخطر وكان هنالك كلام عراقي - إيراني عن الدور العسكري السعودي الذي يستهدف محاصرة الأزمة قال زيباري في لقاء أجرته «الشرق الأوسط» معه: «نحن من محبي السعودية ونكن كل الإحترام والتقدير لدور السعودية العربي والإسلامي بقيادة خادم الحرمين فالسعودية دولة مهمة في المنطقة ومهمة لنا...». وهذا الكلام الكثير اللطف من جانب زيباري هو من أجل أن تعيد دول الخليج النظر في الدعوة التي أطلقتها قبل أسبوع من الموعد المحدد لإنعقاد قمة بغداد وذلك رداً على الموقف غير المتفهم من جانب حكومة المالكي لما يحدث في البحرين. وحيث إن كلمة المجموعة الخليجية هي الأقوى في المرحلة الراهنة فإن مجلس الجامعة قرر في البداية إرجاء عقد القمة إلى أجل غير مسمى مع أن إحدى مهمات هذه القمة اختيار الأمين العام الجديد للجامعة العربية خلفاً للأمين العام المتجدد الولاية مرتين عمرو موسى والذي كان زار بغداد يوم السبت 8 يناير/ كانون الثاني 2011 وعقد خلال الزيارة التي إستغرقت ثلاثة أيام لقاءات مع أركان الحكم (رئيس الجمهورية جلال طالباني ورئيس الحكومة نوري المالكي والمرجع الشيعي الأعلى آية الله علي السيستاني) ثم مع رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني في أربيل، وخرج من هذه الزيارة الطويلة بتصريحات أكد فيها أن القمة ستعقد في بغداد مضيفاً أنه رأى «أن العراق بدأ يرتاح وأن عملية الإقصاء والطائفية بدأت تنتهي» وهو تشخيص أثبتت أسابيع ما بعد الزيارة أنه لم يكن دقيقاً.

وتأكيد موسى حول أن القمة ستعقد في بغداد ثم تأكيد التأكيد من جانب وزير الخارجية زيباري جاء رداً سريعاً على فكرة استجدت وتقوم على أنه من الممكن وبسبب الظروف الأمنية البالغة الصعوبة عقد القمة في عاصمة عربية أخرى، لكن ذلك كان في نظر أهل الحكم العراقي أنهم غير قادرين على تأمين حماية ضيوفهم فضلاً عن أن ذلك إسقاط لقدرة العراق على إستضافة مؤتمر يتوق قاداته إلى إنعقاده كي لا يبدو هؤلاء أنهم أقل شأناً من الرئيس صدام حسين الذي إستضاف بدل القمة الواحدة إثنين: عام 1978 قمة مقاطعة مصر السادات لإبرامها إتفاقية «كامب ديفيد» وعام 1990 قمة مناصرة العراق الذي كان بعد خروجه من الحرب مع إيران منتصراً نسبياً يخوض مواجهة مع المجتمع الدولي ثم بعث صدام حسين الإلتفاف العربي حوله نتيجة الغزوة الملتبسة الدافع للكويت يوم الخميس 2 أغسطس/ آب 1990.

لم ينته الأخذ والرد إلى نتيجة وقارب مبلغ النصف مليار دولار للتأهيل على الإنتهاء. وكانت التصريحات حول أن القمة ستعقد في بغداد لا تشكل حسماً للأمر. ثم جاءت الإنتفاضة في سوريا لتضيف بنداً جديداً إلى بنود التعسر في عقد القمة وهي الحالة الأمنية ثم من يترأس كما من سيشارك. بالنسبة إلى سورية هل يدعى الرئيس بشار وهو «المعزول» و«الفاقد الشرعية» في نظر أكثر القادة العرب إنسجاماً مع موقف دولي غير مكتمل من النظام السوري. لكن إقتراب موعد الإنعقاد جعل الخطاب العراقي يقترب من الموقف العربي العام تجاه سورية ويصدر عن مصادر أهل الحكم العراقي ما يفيد بأن الدعوات التي تم إرسالها إلى القادة العرب لم تشمل الرئيس بشار وربما هذا التصرف لتحفيز هؤلاء القادة على المشاركة، وأن مسألة من يترأس القمة تكون بصيغة أن يترأس طالباني (العراقي الكردي) جلسة الافتتاح ثم يكلف المالكي (العراقي العربي) ترؤس الجلسة المغلقة.. أو العكس، وبذلك تتراجع عقدة من يترأس القمة العربية، مع ملاحظة أن الأمين العام للجامعة السابق عمرو موسى (المرشح المحتمل لرئاسة الجمهورية في مصر) كان أفتى بالآتي: «إنه تم تعديل الدستور العراقي الذي تنص إحدى مواده على أن الشعب العربي في العراق جزء من الأمة العربية وأصبحت المادة تنص على أن العراق عضو مؤسس لجامعة الدول

العربية ملتزم بميثاقها، وبالتالي فإن الرئيس العراقي هو رئيس العراق الدولة العضو في جامعة الدول العربية، ثم إن هذه ليست جامعة عنصرية. هذه جامعة تجمع الدول العربية وكل دولة منها، شعبها متعدد الأعراق والديانات».

(هنا نلاحظ الآتي: هل كان طبيعياً لو حدث قبل انفصال الجنوبيين أن السودان إستضاف القمة وأن الجنوبي سيلفاكير ترأس القادة العرب؟).

خلاصة القول إن موعد إنعقاد القمة في مرحلة العد العكسي. العسير في مسألة عقدها يوم 28 مارس 2012 أكثر من اليسير. وليس في الأفق سوى تساؤلات: هل تتعقد بمن حضر؟ وهل تتعقد فقط لمجرد ديمومة صيغة دورية الإنعقاد؟ وما فعالية قمة قد تكون مشاركة الكبار فيها قليلة جداً وبذلك تتعقد على مستوى وزرا خارجية وما هم أدنى منصباً. وهل مضموناً قول الرئيس المالكي قبل شهر من الموعد المقرر أن 14 زعيم دولة سيشاركون وأن بقية المشاركين على مستوى رئيس حكومة ووزير خارجية؟

وكيف ستكون حال هذه القمة في حال إستقبال التفجيريون قبل ساعات من الإنعقاد المناسبة بعمليات من النوع المألوف. يا لسوء حظ قمة العراق.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 17 مارس (آذار) 2012

* * *

يوم إنقلابت سوريا للمرة الأولى

في مثل هذا الشهر الربيعي قبل ثلاثة وستين عاماً، وتحديداً يوم الأربعاء 30 مارس/ آذار 1949 كان الصباح الدمشقي على موعد مع حدث غير مألوف. وعلى نحو رواية سمعتها من بعض إخواننا الدمشقيين الذين عايشوا تلك المرحلة فإن الذي فاجأ الناس الذاهبين إلى متاجرهم أو وظائفهم وفاجأ التلاميذ الذاهبين إلى مدارسهم صباح ذلك اليوم كان منظر الإنتشار العسكري في الساحات العامة وأمام مداخل البرلمان الذي كان برلماناً بجدارة ورئاسة الحكومة التي كان من يترأسها لا يُفرض وفق إرادة الشخص الواحد في الحزب الواحد كما الحال على

مدى نصف قرن لاحق. لم يألّف الدمشقيون مثل هذه المظاهر العسكرية من قبل وبالذات الدوريات المتحركة من شارع إلى شارع. وكان الإنطباع الأول أن هذه المظاهر ربما تتصل بمحاكمة مقدم في الجيش بتهمة علاقته بشبكة تجسس صهيونية وفضيحة مركب محمل بالأسلحة إلى سورية كان من المفترض وصوله إلى اللاذقية لكنه لم يصل وقيل إنه غرق في مياه اليونان ثم يتبين أن المركب وصل إلى تل أبيب وبمعرفة ذلك الضابط السوري الذي كانت بدأت محاكمته.

الواقعة شبيهة بفضيحة الأسلحة الفاسدة التي أسقطت الملك فاروق في مصر وكانت حيثياتها نقطة إنطلاق «حركة الضباط الأحرار» لاحقاً للقيام بـ «ثورة 23 يوليو 1952».

لم تستغرق دهشة الدمشقيين كثيراً، فبعد بضع ساعات بدأ جنود يلصقون على بعض جدران الشوارع أوراقاً مطبوعاً عليها نص البلاغ الأول من «القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة» حاملاً تاريخ 30 آذار 1949 متضمناً موجبات قيام الجيش بالإنقلاب العسكري الذي كان الأول في مسلسل إنقلابات سورية وعربية لاحقة. والموجبات هي: «مدفوعين بغيرتنا ومتألمين مما آل إليه وضع البلاد من جرّاء إفتراءات وتعثّفات من يدعون حكامنا المخلصين، لجأنا مضطرين إلى إستلام زمام الحكم مؤقتاً في البلاد التي تحرّصت على المحافظة على إستقلالها كل الحرص، وسنقوم بكل ما يترتب علينا تحرّص وطننا العزيز غير طامحين بإستلام الحكم، بل القصد من عملنا هو تهيئة حُكم ديمقراطي صحيح يحل محل الحكم الحالي المزيف. وإننا لنرجو من الشعب الكريم أن يلجأ إلى الهدوء والسكينة، مقدّماً لنا كل المعونة والمساعدة للسماح لنا بإتمام مهمتنا التحريرية. وأن كل محاولة تخل بالأمن والتي يمكن أن تظهر من بعض العناصر الهدامة الإستثمارية تُقمع فوراً دون شفقة أو رحمة».

بعد البلاغ رقم واحد صدر الثاني داعياً الشعب إلى الهدوء محذراً «كل من يتجول حاملاً أسلحة مهما كان نوعها بالإعدام فوراً». ثم صدر الثالث الذي يمنع التجول من السادسة صباحاً وحتى إشعار آخر. وعلى نحو ما فعله جنرالات «المجلس الأعلى للقوات المسلحة» في مصر بعد توليتهم إدارة شؤون البلاد بتفويض من الرئيس حسني مبارك الذي بات متهماً

وتحولت محاكمته إلى مهزلة، فإن القائد العام للجيش الزعيم حسني الزعيم دعا عدداً من نواب البرلمان إلى مكتبه وأحاطهم بالأسباب التي حدثت بالجيش إلى القيام بالإنقلاب موضحاً أنه سيعقد إجتماعاً مع رئيس البرلمان (فارس الخوري وهو مسيحي) للتشاور معه في تشكيل حكومة جديدة. وبعد هذا الإجتماع حدّد أمام عدد من الإعلاميين تم استدعاؤهم إلى وزارة الدفاع الأسباب الموجبة للإنقلاب على النحو الآتي:

أولاً - الهجوم المتكرر على الجيش من مجلس النواب.

ثانياً - إظهار الجيش في مختلف المناسبات بمظهر غير لائق بسمعته كجيش عربي فتي. وآخر تهمة وُجّهت إليه هي إتهام فريق من رجاله بالسارقين... ما إلى ذلك.

ثالثاً - ما لمسناه من الشعب عامة وهو عدم رضاه عن الحالة في البلاد بوضعها الحاضر. (وضرب مثلاً على ذلك بعض الضباط الذين زجّوهم في السجون بتهمة السرقة بيد أن التحقيق أظهر براءتهم وإتضح انهم فقط مهملون لواجباتهم الرسمية...).

وأضاف: «لقد اضطررنا لإحتجاز حرية بعض الأشخاص من الرسميين مؤقتاً. أما الآن فإننا ندرس الموقف ونعمل على تشكيل حكومة بالتشاور مع رئيس مجلس النواب. وستكون هذه الحكومة دستورية وقد يكون أعضاؤها من المجلس أو من خارج المجلس كلهم أو بعضهم. على أن هذا لن يمنع الحكومة المقبلة من إجراء إنتخابات جديدة تُستفتى فيها الأمة لتعرب عن إرادتها إذا رأت ذلك ضرورياً. إن حركتنا التي قمنا بها تحريرية، وهي حركة داخلية محض. نحن جماعة عرب مؤمنون، وإننا لنعلن بأن كل دولة، عربية كانت أم أجنبية، تفكر في الإعتداء على حدودنا، سنقاومها بقوة السلاح. كما أنه ليس هنالك أي إتصال بهذا الشأن أو غيره مع الحكومات الأجنبية، لقد نَبّهنا المسؤولين إلى مغبة التشهير بالجيش والتكيل بسمعته ولكنهم لم يستمعوا إلى نصائحنا. وأكرر أمامهم أن ما قمنا به هو عمل مؤقت وهو ليس ديكتاتورياً بأي وجه من الوجوه...».

وكان لافتاً نأي الانقلابيين عن العنف وتفادي أسلوب القمع وكذلك عدم إهانة الزعامات المدنية التي تحكم البلاد في ظل مناخ ديمقراطي وصحافة متنوعة

وحياة حزبية راقية. ومن دلائل ما نشير إليه أن قائد الإنقلاب حسني الزعيم كان توجّه قبل إجتماعه بأصحاب الصحف والمراسلين إلى منزل رئيس البرلمان فارس الخوري برفقة القطب الدرزي الأمير عادل ارسلان وبعض النواب وتبادل معه في إجتماع مطول وجهات النظر في شأن تشكيل حكومة جديدة ثم عاد إلى مكتبه في وزارة الدفاع لمتابعة تطورات الموقف. كما أن حسني الزعيم أطلع المجتمعين على خطوات تم إتخاذها قبل إعلان البلاغ رقم واحد ومن بينها أن قوة من الشرطة العسكرية توجهت في الثانية والنصف فجر يوم الأربعاء 30 مارس 1949 إلى منزل رئيس الجمهورية شكري القوتلي حيث جردت أفراد حرس الرئيس (وهم من الذرك) من أسلحتهم ونقلت الرئيس القوتلي في سيارة عسكرية إلى المستشفى العسكري في المزة. في الوقت نفسه إتخذت إجراءات مماثلة حول منازل رئيس الحكومة وزير الخارجية والدفاع خالد العظم، ووزير الداخلية والمعارف محسن البرازي، فضلاً عن بعض كبار الموظفين من مدنيين وأمنيين. وفي المستشفى العسكري كان هنالك تعامل محترم نسبياً مع الزعامات الوافدة شبيه إلى حد ما بالتعامل الذي أراده المجلس العسكري في مصر بالنسبة إلى الرئيس حسني مبارك بعد 63 سنة من الواقعة السورية. فقد تم تخصيص خمس غرف في المستشفى العسكري للقوتلي والعظم والبرازي. وعندما طلب الرئيس القوتلي وآخرين بعض الكتب والأدوية التي يتناولونها تمت التلبية على الفور.

بالعودة إلى ما حدث بعد البلاغات العسكرية الأولى والثاني والثالث، وقبل إستحضار ما جرى لاحقاً في حق الزعماء وبقية المتحقّظ عليهم من مدنيين وعسكريين نشير إلى أن أربعة بلاغات أخرى صدرت وأغلق الانقلابيون بالبلاغ رقم 7 ملف إصدار البلاغات والإنتقال إلى إصدار المراسيم التي بموجبها يتم ترتيب البيت الانقلابي. وفي حين كان البلاغ رقم 4 عبارة عن تحذير لأصحاب الأفران وتجار المواد الغذائية من رفع الأسعار تحت طائلة أقصى العقوبات، فإن البلاغ رقم 5 حذّر من «أي شائعة مغرضة يراد منها صبغ الحركة الوطنية التي قام بها الجيش بغير صبغتها الحقيقية، ذلك أن مهمة القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة في الوقت الحاضر تتحصر في تهيئة حُكم ديمقراطي صحيح في البلاد ينقذها من المحنة التي مرت بها...».

أما البلاغ رقم 6 فكان التأكيد من جانب القيادة الانقلابية بأنه سيتم تسليم مقاليد الحكم إلى أول حكومة دستورية يتم تشكيلها. ثم كان البلاغ رقم 7 ختام البلاغات وفيه دعوة الموظفين إلى ممارسة أعمالهم تحت إشراف أمناء الوزارات وذلك إلى أن يتم تشكيل الحكومة.

في اليوم الثاني للحركة الانقلابية تأكد الناس من هوية أقطاب الحركة، ذلك أن وسائل الإعلام بدأت تُرفق إسم قائد الجيش بالآتي: «سعادة القائد الزعيم حسني بك الزعيم». كما أن الوسائل كانت تنشر أن «جناب المقدم بهيج بك الكلاس» يستقبل الوفود الطلابية والشبابية كما يستقبل الملحق العسكري الأميركي ونظيره البريطاني. ورداً على الإشاعات بأن الحركة الانقلابية تنفقد إلى الشعبية فإن حسني الزعيم طلب وضع الرئيس شكري القوتلي ورئيس الحكومة خالد العظم في سيارة مصفحة مقلدة طافت بهما ثالث يوم الانقلاب (الجمعة أول أبريل/نيسان 1949) الشوارع الرئيسية في العاصمة وشاهداً التظاهرات المؤيدة التي خرجت من المسجد الأموي بعد صلاة الجمعة. وفي نطاق توظيف الوضع الانقلابي أطلع حسني الزعيم أصحاب الصحف ووسائل الإعلام على استقالتين كُتبتا بخط اليد لكل من رئيس الجمهورية (مؤرخة 6 أبريل) ورئيس الحكومة (7 أبريل). ما كتبه الرئيس القوتلي كان على النحو الآتي: «أقدم للشعب السوري الكريم إستقالتي من رئاسة الجمهورية راجياً له العزة والمجد». وما كتبه خالد العظم كان على النحو الآتي: «أعلن إستقالتي من رئاسة الحكومة السورية».

وفي الوقت الذي بدأ قادة الانقلاب ينشطون عربياً ودولياً لتثبيت سلطتهم كانت هموم الداخل ما تزال تؤرق بال حسني الزعيم الذي كان لافتاً قوله يوم الإثنين 11 أبريل رداً على سؤال وجهه إليه أحد الصحفيين «لقد أصدرت الأوامر المشددة إلى الجهات المختصة بمنع الإتجار بالرقيق في منطقة اللاذقية، وحظرتُ القيام بذلك تحت طائلة العقوبة بعد المحاكمة. كما أننا نعمل الآن لإجراء تنظيم إجتماعي في سوريا يتناول توحيد الأرياء ومنع العقال والكوفية والشروال الخ... بغية النهوض بالبلاد نهضة إجتماعية تتفق مع البلاد المتمدنة من هذه الوجهة. أما أهل القرى فإنهم بحاجة إلى تنظيم فني وصحي وجمع كل أربع قرى

بقرية واحدة نموذجية...».

ما جرى لاحقاً وبالذات ما يتعلق ببناء سوريا المنقلبة للمرة الأولى نتابعه في مقالة لاحقة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 31 مارس (آذار) 2012

* * *

إنقلاب بلا دماء... ولا «شبيحة»

عند التأمل في الطريقة التي تعامل بها الزعيم حسني الزعيم الذي لقيت حركته نوعاً من الرضى الشعبي، مع الرئيس شكري القوتلي، نجد أن قيادة «ثورة 23 يوليو 1952» إقتبست الطريقة نفسها، أي أن البكباشي جمال عبد الناصر ورفاقه من «الضباط الأحرار» مارسوا الأصول مع الملك فاروق حيث إنهم لم يفعلوا ما فعله الرئيس الراحل حافظ الأسد عندما قام بما سماه «الحركة التصحيحية» التي كانت آخر الانقلابات العسكرية في سوريا إلا إذا كنا سنفاجأ بأن الحليف الروسي لسوريا البشّارية إغتتم فرصة الوضع الراهن الذي يعيشه الحكم السوري ورتّب إنقلاباً عسكرياً يقوم به عدد من الضباط الذين سبق وأنهم دورات في روسيا وبالذات في قطاع الإتصالات والطيران الحربي. هذا الأمر وارد وسيلقى التأييد الشعبي وذلك على أساس أن المؤسسة العسكرية تضم السني والدرزي والعلوي والمسيحي. وهذا الخيار من شأنه أن يحفظ النظام ورأسه.

والقول بأن عبد الناصر ورفاقه تعاملوا مع الملك فاروق على الطريقة التي تعامل بها حسني الزعيم مع رئيس الشرعية شكري القوتلي، يستند إلى أن الملك غادر من دون إيذاء وأدى له الضباط قبل إنتقاله إلى يخته (المحروسة) التحية العسكرية وبذلك حافظت «ثورة 23 يوليو» على كرامة الذي كان سيد البلاد ثم لم تنم له وأصبح مقيماً حتى وافته المنية في جزيرة إيطالية. أما بالنسبة إلى الرئيس شكري القوتلي فإن التعامل معه كان كالاتي: في الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم الإثنين 27 يونيو/حزيران 1949 كان الرئيس القوتلي في مطار دمشق ومعه زوجته وابنته وابنه وهما صغيران يلقي الوداع الرسمي من رئيس حكومة العهد الانقلابي الأول الدكتور محسن البرازي والعقيد بهيج كلاس ممثلاً الرئيس

حسني الزعيم. وقد أدت للقوتلي قبل صعوده إلى الطائرة التابعة للخطوط الجوية الاسكندنافية والمتجهة إلى جنيف عن طريق روما كتيبة من الشرطة العسكرية برئاسة ضابط.

وفي الوقت نفسه كان الزعيم حسني الزعيم يركز على لبنان والعراق والسعودية في إتصالاته من أجل الإعراف بإنقلابه.

كان لبنان (بشارة الخوري ورياض الصلح) أول الدول المعترفة بالزعيم حسني الزعيم رئيساً للبلاد بموجب إستفتاء شارك فيه 730031 من أصل 816321 لهم حق الإنتخاب وعبر عن الشكر للبنان بالقول «سأدافع عن إستقلال لبنان كما أدافع عن إستقلال سوريا، فنحن ولبنان نؤلف وحدة إقتصادية وتجمع بيننا مصالح مشتركة». وكانت مصر الملك فاروق متفهمة بدليل قول حسني الزعيم «علاقتي بمصر وجمالة الملك فاروق على خير ما يرام منذ الساعة الأولى فقد سلكت مصر وجمالة مليكها نحوي مسلكاً نبيلاً ولا يسعني إزائه إلا أن أعلن شكري على رؤوس الأشهاد». وأما بالنسبة إلى السعودية فإن الموقف الذي إتخذته يتضح من خلال قول حسني الزعيم: «كان صنيع الملك عبد العزيز آل سعود معي صنيع الأبطال ولن أنسى قط ما قطعه على نفسه من عهود». وبالنسبة إلى العراق فإن بذرة التوتر الذي بلغ الذروة في عهد الرئيس (الراحل) حافظ الأسد في مواجهة الرئيس (الراحل) صدام حسين كانت إذا جاز القول بدأت النمو في عهد الحكم الملكي بقطبيه العنيدين الوصي على العرش عبد الإله ورئيس الحكومة نوري السعيد. ومن خلال كلام قاله الزعيم يتبين لنا سبب التوتر. فهو رداً على سؤال من صحيفة سويسرية أجاب: «بمجرد أن توليت مقاليد الأمور قُدم إليّ نوري السعيد يهنئني، ولا شك أنه كان يظن أنه سيطفر مني بالموافقة على ضم سورية إلى العراق في ظل العرش الذي يتولى الوصاية عليه الأمير عبد الإله ولكني أعارض وسأظل أعارض في قيام سوريا الكبرى. ولقد ظن نوري باشا أيضاً أن يخيفني بحشد قوات عراقية على الحدود السورية لكنه إضطر إلى سحبها آخر الأمر. وإذا أراد أيضاً أن يخيفني فهو يعلم أنني أعرف كيف أتحداه. ويجب ألا ينسى أن قلوب العراقيين شعباً وجيشاً هي مع سوريا وليست معه...».

لم تستقر الأمور كما يجب. فالصحافة العراقية تهاجم

الإنقلاب. وهو من جانبه يعلن على الملأ مناهضته وبقوة لأي حركة شيوعية في البلاد ولذا كان الحذر شديداً من جانب الكرملين معه يقابله ود مع الإدارة الأميركية والحكومتين في كل من بريطانيا وفرنسا.

وعلى وقع إطرءات لحركته الإنقلابية في الصحف وفي إحداها القول «إن حسني الزعيم أنشأ في خلال ثلاثة أشهر دولة وضع ميثاقها بكلمات موجزة هي المجد والطموح والجيش والنظام»، ومن على منابر المساجد وقول أحد الشيوخ في خطبة أول جمعة (8 يوليو/ تموز 1949) أداها حسني الزعيم «إن حركة الإنقلاب التي قام بها فخامة الرئيس غمرت الكهول بالحماسة والتوثب فكيف بالشباب. لقد قضى الزعيم المحبوب على الميوعة والتخنث وأعاد عهد الرجولة وسيعيد تاريخ البطولة وإن كثيراً من البلدان العربية تتمنى أن تكون لها مثل نعمة الإنقلاب التي ظفّرنا بها. إن فخامة حسني الزعيم أصبح مهوى قلوب الشعب السوري، فهو الذي قهر عدونا في فلسطين وسيكون له مع هذا العدو موقف أعظم وأكبر وسيعيد رواء الإمبراطورية العربية. لقد كان داهية الألمان بسمارك يقول: أعطوني مائة ألف مقاتل مسلم وأنا أقاتل العالم وأغلبه، وفخامة الزعيم يريد أن يعيد مجد العرب الأول في فجر الإسلام بهؤلاء المؤمنين...».

من دون أن يخطط لها حدثت كبة في مسيرة الإنقلاب العسكري الأول في سوريا والذي بعد سلسلة إنقلابات حدثت وكان آخرها كما ذكرنا الإنقلاب الذي قاده الفريق حافظ الأسد، هو الوحيد الذي كان التعامل فيه مع المنقلبين كثير الرقي وإحترام المكانة وتحقق، وهذا هو الأهم، من دون نقطة دم واحدة أريقَت ومن دون قناصة يصطادون المتظاهرين كما هي الحال مع الحكم الذي يقوده الرئيس بشّار، كما من دون «شبيحة» وصمت عهد الرئيس أبو حافظ بأبشع النعوت. وتتلخص الكبة بأن زعيم السوريين (حسني) سلم لبنان زعيم القوميين السوريين (أنطون سعادة) الذي كان استطاع إجتياز الحدود إلى الأراضي السورية بعد أحداث خطيرة تضمنت مهاجمة المخافر والإستيلاء على أسلحة الجنود. وأما طرفاها: فهي الدولة اللبنانية برئيسيها (بشارة الخوري الماروني ورياض الصلح الشني) والحزب القومي السوري. وبعد القبض على أنطون سعادة وتسليمه إلى السلطات اللبنانية حوكم الأخير أمام محكمة عسكرية قضت بالأكثرية وليس بالإجماع (كما كان يريد الرئيسان الخوري

والصلح) بإعدامه رمياً بالرصاص.. وتحولت رباطة جأش أنطون سعادة وإبتسامته للجلاد ورفضه أن يموت راکعاً (هذا ما حصل تماماً مع الرئيس صدام حسين الذي لقي المصير نفسه شنعاً) إلى أسطورة دفع ثمنها حسني الزعيم الذي نشرت الصحف السورية يوم الخميس 11 أغسطس/ آب 1949 أنباء حول مشروعه للتغيير مفادها أن الحكومة ستنتشر الدستور الجديد وتضعه برسم المناقشة قبل الإستفتاء عليه من قبل الشعب مقدمة للتصديق عليه ثم الدعوة إلى إنتخابات نيابية تُسفر عن برلمان جديد يمكن إجتماعه في سبتمبر/ أيلول 1949، كما أن الرئيس حسني الزعيم سيدلي قريباً ببيان شامل يوضح فيه للشعب السوري أموراً لم تُعرف بعد عن الأسباب التي أهابت به للقيام بإنقلاب عسكري.

لكن لا الدستور نُشر ولا البيان أذيع ولا «الجندي الشجاع» الذي كان قال في أول مقابلة صحافية معه «لا بد من جامعة عربية تزيل سوء التفاهم الذي يفرّق بين أعضائها، وإذا لم تنشأ هذه الجامعة فإنني سأتجه إلى عقد حلف مع مصر والمملكة العربية السعودية ولبنان»، بقي على قيد الحياة، ذلك أنه في اليوم نفسه (الخميس 11 أغسطس/ آب 1949) صدر بلاغ رقم واحد آخر يحمل توقيع الزعيم سامي الحناوي الذي كان أحد أقرب العسكريين إلى حسني الزعيم. ولم يكن الحناوي يقلب حسني الزعيم وإنما حاكمه على نحو المحاكمة اللبنانية العسكرية والسريعة التي قضت بإعدام أنطون سعادة. كما أن نوعية الإعدام كانت مثلها أيضاً: رمياً بالرصاص للزعيم حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي. وهنا دخلت سوريا مرحلة الانقلابات المتلاحقة والتصفيات على أنواعها.

... وللظاهرة تداعيات. هذه هي سوريا من عصر التعقل في الحكم إلى عصر التوريث والعناد وعدم التفهم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 23 أبريل (نيسان) 2012

* * *

دمشق المُنقلبة وبِروت المحتضنة

لم يجد شكري القوتلي رمز سورية المستقلة والذي إنقلب عهده بفعل حركة قادها الزعيم حسني الزعيم

ملاذاً حنوناً عليه مثل بيروت التي شاءت الأقدار أن تقيض روحه فيها يوم 30 يونيو/حزيران 1967 عن 76 سنة. وكانت الغصة الناشئة عن هزيمة صديقه وحليفه جمال عبد الناصر سبباً مضافاً إلى الوضع الصحي الذي يعيشه. كما أن رمز وصول البعث إلى الحكم في سورية ميشال عفلق لم يجد الملاذ الحنون عليه مثل بيروت التي آمنته من إخافة الرئيس حافظ الأسد له. وكانت بيروت غير المتسلط عليها الواحة لأي سياسي سوري يرى فيها الملاذ الآمن له أو لأفراد عائلته. كما أن هذه العاصمة الصغيرة حجماً الكبرى من حيث الدور المتفوقة في كل ما يخص الطبابة والدراسة والنشر، كانت تلبي ما يرنو إليه أصحاب تجربة سياسية جار عليهم الزمن فتساقطوا أو أُسقطوا بفعل الانقلابات العسكرية المتلاحقة، من نُشر مذكرات لهم يهدفون منها إلى إنصاف تجربتهم على نحو ما حصل بالنسبة إلى رئيس الحكومة السورية خالد العظم الذي سقط مضرراً بإتهامات وجَّهها إليه الزعيم حسني الزعيم الذي إستقاله كما إستقالهم شكري القوتلي أول رئيس للدولة السورية المستقلة مدشناً بإقالة الإثنين بداية حقبة الانقلابات العسكرية السهلة الحدوث وكان أكثرها سهولة ذلك الانقلاب على دولة الوحدة السورية - المصرية والتسبب لزعامه جمال عبد الناصر بصدمة إكتملت فصولها بصدمة هزيمة الخامس من يونيو/حزيران 1967.

وعلى نحو ما رواه خالد العظم في مذكراته التي لولا المنارة الثقافية بيروت لما كان لهذه المذكرات أن تبصر النور، فإن الذي حصل له وللرئيس شكري القوتلي بإنقلاب عسكري قادة الزعيم حسني الزعيم، كان بفعل فاعل أجنبي إستغل الظروف الداخلية المرتبكة والتي تشبه في بعض جوانبها ما يحصل منذ سنتين في العراق والسودان ولبنان وفلسطين والأردن وبدأ يشق طريقه في سورية.

ويروي خالد العظم الوقائع التي سبقت الانقلاب العسكري الأول في سوريا يوم الأربعاء 30 مارس/ آذار 1949، بصيغة الإتهام دفاعاً عن الذات السياسية. وفي هذا الصدد يتهم حسني الزعيم بأنه «رجل أحقق متهور» ثم يضيف «إن الحركة الطائشة التي قام بها هي لحماية نفسه من العزلة والإحالة على المحاكمة بتهمة الإشتراك في صفقات مريبة وخاسرة تعاقدت عليها مصلحة التموين في الجيش مع بعض الملتزمين الذين قدّموا

بضاعة فاسدة وقبضوا ثمنها مضاعفاً».

أما روايته عن إكتشاف أمر الصفقات فيوجزها بالقول إنه دعا رئيس الجمهورية شكري القوتلي إلى حضور «تجربة الأسلحة والذخائر التي إشتريناها حديثاً»، وتبيّن أن المدافع غير صالحة والذخيرة فاسدة وأن الرئيس القوتلي توجّه إلى مستودعات الجيش وكانت السيارة التي نُقل الزعيم تسير وراء سيارته. ويضيف: «دخلنا أحد العنابر وبدأ الرئيس يتجول بين أكياس وصناديق يسأل عن محتويات كل منها، وكانت الفاصوليا اليابسة تتكدس إلى جانب قمر الدين والزيت. وكان الرئيس القوتلي يتظاهر بالإرتياح كلما شاهدنا نوعاً من الأنواع، حتى وصلنا إلى مجموعة من التتكات المعبأة سمناً فطلب فتح إحداها ففتحت وإذ بنا نشاهد لون السمن أقرب إلى السواد، فأظهرنا إستغرابنا. ونظرث إلى حسني الزعيم فرأيته ممتقع اللون بادي الإضطراب. وطلب الرئيس من أمين المستودع أن يُحضر «واپور كاز» ومقلاة وبيضاً ففعل ووضعت قطعة من السمن ضمن المقلاة فلما حميت تصاعدت منها رائحة كريهة حتى أننا إضطربنا إلى سد أنوفنا بمحارمنا. وكان حسني الزعيم يزداد إضطراباً وإمتعاضاً. وطلب الرئيس أن تُحمل تنكة السمن إلى سيارته ليأخذها معه لفحصها ثم برحنا المكان...».

بقية الواقعة أن حسني الزعيم إزاء هذا الذي حدث وإنكشاف أمر الفساد سلاحاً وذخيرة وسمناً، وجد نفسه موضع مساءلات في مجلس النواب فإستيق ما قد يحدث من إعفاء له من منصبه وكذلك بالنسبة إلى ضباط آخرين فأعد مذكرة تحمل تواقع كبار الضباط تطلب من الرئيس القوتلي تحقيق مطالبها وأبرز هذه المطالب عدم بحث الأمور العسكرية في جلسات برلمانية علنية وخصوصاً بعد إتهام بالخيانة والتآمر على سلامة الدولة وجّهه النائب فيصل العسلي إلى قائد الجيش حسني الزعيم.

حول الذي حدث بعد الإنقلاب العسكري الأول في سورية وما تبعه من إنقلابات لاحقة يروي لنا المعاشون لنصف قرن من الأحوال السياسية العربية الكثير من الوقائع التي تعكس حقيقة أساسية وهي أن سوريا محكومة بعقلية أمنية منذ إسقاط الجمهورية الأولى وتشتمت رموز العمل السياسي، وأنه إذا كُتب للإنقضاة الراهنة المزيد من الصمود فإن الجمهورية الثانية ستنتقل

سوريا من نظام العقلية الأمنية إلى النظام التعددي والذي يمارس الجيش فيه دوره كمؤسسة عسكرية واجبها حماية الحدود وليس مطاردة الناس في الشوارع لأنهم ينادون في تظاهرات بمطالب وقفت العقلية الأمنية دون تنفيذها.

ومن المؤكد في حال حدوث ولادة الجمهورية الثانية في سوريا أن تصبح حال العلاقة السورية - اللبنانية على درجة من الود المتبادل بين شعبين فلا يعود لبنان على الإستهداف الذي هو عليه الآن وحتى إشعار آخر من التطلعات السورية، وإنما يكون المتآلف رسمياً وشعبياً مع الدولة الجارة التي قررت إسقاط الورقة الأكثر حساسية من كتاب العلاقات، وهي الورقة التي طالما أصرت العقلية الأمنية على التمسك بها وهي الإستقواء بلبنان الدولة على لبنان الشعب. وفي هذه الحال تستقيم الأمور الملتبسة ويرى الرئيس بشار الأسد أن لبنان الذي إحتضن ومن دون حساسيات الزعيم السني شكري بن محمود بن عبد الغني القوتلي وإحتضن ومن دون حساسيات أيضاً كبير البعث ميشال عفلق وبينهما العشرات من القياديين والسياسيين والعسكريين السوريين المتباعدين أو المطازدين من حكومات أمنية تعاقبت على سورية، يحتضن بترحاب آخر الرؤساء المحكومين بطقوس أمنية أي الرئيس بشار بن حافظ بن علي بن سليمان الأسد. وأي خيار غير هذا الذي نشير إليه سيبقي رهاناً على المجهول... الذي لا نريده مأساوياً.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 30 أبريل (نيسان) 2012

الملاذ الآمن.. غير آمن

تعيش ليبيا الجديدة حالة إرتباك ومخاوف من أن تنتهي الأوضاع فيها إلى التجزئة على نحو ما حصل للسودان وما ربما سيحصل للعراق وسوريا في حال سقوط النظام السوري وإعتصم الرئيس بشار ورموز الحكم الذي يقوده بإستثناء السنة من هؤلاء، في سوريا العلوية ساحلا وجبلا، أو يغادر إلى حيث يعيش مع عائلته الصغرى في ملاذ آمن قد يكون إحدى ضواحي موسكو الواقعة معه بثبات حتى إشعار آخر، أو إحدى

ضواحي كاركاس مع ملاحظة أن الوضع الصحي لصديقه الرئيس هوغو شافيز لا يشجع على هذا الخيار أو إحدى ضواحي طهران التي ما زال قادة الجمهورية الإسلامية متمسكين بضرورة إعطائه الفرصة لتحقيق الخطوات الإصلاحية التي أعلن عنها.

وعندما يكون الحديث حول الملاذ الآمن، يتجدد السؤال حول لبنان ولماذا لا يكون الملاذ هو هذا البلد الذي ما زال ثلثه مع الرئيس بشّار ويشاركه أقطاب هذا الثلث تصنيف الانتفاضة ضد النظام على أنها «عمليات إرهابية» وأن هؤلاء الألوّف من مثقفين وسياسيين ومحامين ومهندسين وضباط في الجيش ومسؤولين سابقين في النظام وطلاب جامعات «هم مجموعات من الإرهابيين المنضوين تحت راية ميليشيات».

وهذا التساؤل كان حتى أمس القريب مجرد اجتهادات، إلا أنه في ضوء قراءة مستجدة للموقف مبنية على معلومات، قد يتقدم على بقية الحديث حول الملاذات الآمنة. وخلاصة هذه المعلومات أن أهل النظام في إيران سيشجعون فكرة طالما تراودهم وتراود رموز القوى اللبنانية المرتبطة بهم وهي أنه في حال وصلت الأمور في سوريا إلى أنه لا مجال لإنقاذ النظام البشّاري الحليف تبادر هذه القوى وفق خارطة طريق جاهزة سلفاً إلى إحداث إنقلاب في لبنان، أو بالأحرى استكمال وضع الرئاسة الأولى بين هذه القوى وذلك على أساس أن الرئاستين الثانية والثالثة مضمونتان بدافع الإضطراب أو الاختيار لا فرق. وبموجب الخارطة هذه يكون الجنرال ميشال عون الحليف الماروني القوي هو الرئيس الانتقالي ضمن عملية تخريجة دستورية حاذقة وتصويت على هذه العملية وفوزها ولو بأكثرية الصوت الواحد على نحو ما جرى عند انتخاب سليمان فرنجية الجد أو بحكم الأمر الواقع الذي نجد فيه نواباً من الطيف السياسي الآخر يساقون إلى انتخاب المرشح الذي اختاره الرئيس (الراحل) حافظ الأسد ونعني به إلياس سركيس كما ساق سالفون للانتخاب و«نعم» القيادي الفلسطيني (الصاعقة) زهير محسن. وأما بالنسبة إلى المسألة الأمنية فإن تفوق القوة الضاربة «حزب الله» المعلن أصلاً عنها تجعل الحركة الانقلابية تطلب من قائد الجيش أن يبقى «محيداً». وفي حال حدث هذا الإنقلاب يصبح الطريق سالكاً إلى الوطن

الثاني لبنان أمام الرئيس بشّار ومن يصطحب وعلى أساس أنه يخوض لاحقاً من «لبنانه» معركة إستعادة نظام لم يكن التعامل من جانبه مع الذي حدث في مستوى الحنكة والحكمة.

وإستكمالاً لهذا الذي نشير إليه يجوز الافتراض أن إحاطة الإدارة الأميركية من جانب «اللوبي الأمريكي» في لبنان بزيارة يقوم بها الدكتور محمد رضا رحيمي إلى لبنان أو إحاطة الرئاسة الإيرانية من جانب «اللوبي الإيراني» الممسك بالخارجية وغيرها من المفاصل ذات الأهمية في مؤسسات أمنية بزيارة يقوم بها جيفري فيلتمان مساعد وزيرة الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأوسط، هي التي جعلت زيارة الإثنين رحيمي وفيلتمان تتم في وقت واحد وكما لو أنها مطاردة من النوع الذي يتفنن في تجسيدها صنّاع الرسوم المتحركة.

وقد يجوز كذلك الافتراض أن فكرة الإنقلاب كما أوجزناها هي الدافع الأساسي من جانب رحيمي ليطمئن على الخطة الموضوعية، ومن جانب فيلتمان لتهيئة أقطاب «اللوبي الأمريكي» إلى ما هو مطلوب منهم لمواجهة الخطة.. وخصوصاً إزاء ما يتصل «لبنان الملاذ الآمن» للرئيس بشّار وأركان نظامه، ذلك أنه في حال حصل ذلك فإن الذي سيحصل في سوريا التي تريدها أميركا والإتحاد الأوروبي ودول الخليج والدول العربية المتعاطفة مع الانتفاضة السورية وأبرزها تونس في العلن والأردن من وراء الستار، لن يصمد وهنا تصبح الحرب الأهلية واردة ويصبح لبنان المقلوب هو المغذي والمزود والمستشفى والمرفأ والمطار للانتفاضة المضادة التي قد نجد الإبن الأسدي الآخر ماهر هو المتصدي لأن الموقف يتطلب قسوة أكثر بكثير من قسوة شقيقه الرئيس بشّار.

يحدث ذلك أو إنه غير قابل للحدوث؟ الإجابة هي أنه ما دامت التصرفات غير العاقلة هي السائدة والحكمة غير قائمة والرأفة بمن يعترض لا مجال لها والتظاهر مرفوض وكذلك الاعتصام مع أنه في مصر مسموح من جنرالات المجلس العسكري رغم أنه مكروه، فإن ما هو مستبعد الحدوث يصبح ممكناً وفي أي لحظة لغياب الوعي تماماً.

وبالعودة إلى مسألة الملاذ الآمن نجد أنفسنا هنا نستنتج أن الملاذ يكون آمناً في حال كان من سيطرته نظيف الكف وليس في عنقه أرواح صغار وكبار ولا

لغيره حتى تدوم له. ولذا عليه أن يخاف ربه فيحترم بالتالي شعب ويحرص على الوطن.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 8 مايو (أيار) 2012

* * *

تأملات في "أسلحة" عربية راقية وإنسانية

كان سلاح النفط هو الوحيد في اليد العربية عام 1967 وأمكنه تحقيق ما يعوّض الخيبة الناشئة عن السلاح السوفياتي في اليد المصرية. بل إن قراراً شجاعاً ولا يخلو من المخاطرة إتخذه الطيب الذكر الملك فيصل بن عبد العزيز جعل أهل الإقنتار المالي النفطي زمناً ومنهم الملك إدريس السنوسي الذي «كافأت» الثورة العربية نخوته بالإنقضاض على حكمه وهو خارج ليبيا التي أنهكها الثوار الذين حكموا بعد ذلك بنزوات فكرية وسياسية على مدى أربعة عقود وكان ختامها بالفواجع والدمار والانتقام والإرتباك نقيض ذلك الإنقضاض الذي لم تُسفك خلاله دماء بشر ولا تهاوى فيه حجر.

بعد إستعمال سلاح النفط للمرة الأولى وتأکید فعالية هذا السلاح لجهة تماسك الموقف الوطني جاء سلاح الحجارة، على أيدي الفتية الشجعان في بعض بلدات الضفة الغربية يرمون بها خلال إنتفاضاتهم جنود الإحتلال الإسرائيلي، يؤكد فعالية سلاح إنتجته وطأة القهر والإذلال يمارسها الإسرائيليون وليس نتاج مصانع أسلحة خفيفة تابعة لمؤسسات عسكرية. ثم أحييت الضرورة، بإستعمال سلاح الحجارة، الحجر مجد لعبة فنية من طبقة فقراء الناس يصطادون بواسطتها الطيور ومن دون الحاجة إلى البارود وهي تلك «المصنوعة» من قطعتي مطاط مربوطتين بقطعة خشبية أو من فرع صغير لغصن شجرة. وأما الرصاصة فعبارة عن بعض الحصى يضعها الفتى مع "سلاحه" المتواضع هذا في جيبه.

بعد سلاح الحجارة رمز الإنتفاضة الفلسطينية والذي أصبح موضع تقليد إنتفاضات كثيرة في عدد من دول العالم، جاء سلاح تمنينا لو لم يتم إعتماده وهو سلاح الإستشهاد الذي كان في معظم الجولات يقتل من جملة

إغتصاب نساء ولا تدمير بيوت الناس وأحياناً بعض بيوت الله. كما ليس في ذاكرته أرقام حسابات سرية متصلة بصفقات مليارية قائمة على الإفساد والفساد. أما عدا ذلك فإن الملاذ لا يعود آمناً على الإطلاق. أليس هذا ما حدث للرئيس أديب الشيشكلي في أقصى الملاذات (أميركا الجنوبية). وأليس هذا ما حدث لرجل السياسة والأعمال أشرف مروان في قلب لندن. وأليس هذا ما حدث قبل أيام للخبير النفطي الأكاديمي شكري غانم أحد أهم الوزراء غير الأمنيين في عهد العقيد معمر القذافي والذي كان يمسك بأهم ملفات الجماهيرية وهو ملف النفط. فقد اعتقد الرجل إن إنفصاله عن النظام وتأييده للإنتفاضة بعد ثلاثة أشهر من بدئها يشكل حصانة له من أجل إقامة هادئة في الملاذ الأكثر أماناً وهو فيينا حيث الروائع الكلاسيكية تشنف آذان الجميع حيثما ساروا، لكن المسكين أنهى على ما يجوز الإعتقاد، وليس إنتهى، غريقاً في مياه نهر الدانوب وهو بكامل ثيابه مما يعني أن الرجل تلقى ضربة خفيفة على الظهر عند الشاطئ رمت في لجة مياه نهر الحلم الجميل لكل موسيقار يطمح إلى وضْع سيمفونية خالدة تُدخل السعادة إلى قلوب محزونة ونفوس مكتئبة.

وهذه النهاية المأساوية التي لقيها شكري غانم وأعلن رسمياً عنها يوم الأربعاء 2 أبريل (نيسان) 2012 تجعلنا نستحضر واقعة مماثلة حدثت يوم السبت 27 أبريل 1996 عندما أُذيع أنه تم العثور على الزورق الصغير الذي يملكه وليم كولبي المدير الأسبق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية منقلبا في مياه نهر «بوتوماك» أحد الأنهار في ولاية «ماريلاند» وإعتبار الرجل مفقوداً ثم الإعلان بعد ذلك أنه تم العثور على جثته بعد عشرة أيام في أحد روافد النهر على بعد 64 كيلومتراً إلى الجنوب من العاصمة واشنطن وأن زوجته تعرفت على الجثة. وكلاهما وليم كولبي وشكري غانم يملكان من الأسرار ما تجعل الإثنين في ملاذهما الآمن عرضة للنهاية المأساوية. عائلة شكري غانم - وبالذات إبناته - تبكيه في الشقة التي اختارها في فيينا ليقضي فيها مع العائلة حياة هائلة لا صخب فيها ولا ضغوط. وأرملة كولبي استسلمت للأقدار. أما الأسرار فلم تجرفها مياه «الدانوب» ولا مياه «بوتوماك».

يا لسوء حظ من تضعه الظروف في مثل منصبيهما أو في المنصب الأول وكان لا يقتنع بأنها ما دامت

ما يقتل دون وجه حق أرواحاً حَرَّمَ الله قتلها، خصوصاً أرواح أناس أبرياء. وفي كل مرة كنا نتابع عملية إستشهادية وبالذات التي تتولاها إحدى الزهرات الفلسطينيات كنا نحزن في الإتجاهين. حزن على الزهرة التي تقطع جسدها وتتأثر مع أن بقاءها على قيد الحياة يمكن أن تغيد القضية أكثر. وحزن على أرواح أشخاص فاضت بفعل العملية الإستشهادية وهؤلاء إما أطفال أو نساء أو رواد أسواق للتبضع وتمضية بعض الوقت في جولة داخل «السوبر ماركت» أو «المول».

قبل السلاح الذي نعيش منذ أسابيع فصوله ونعني به "سلاح الأمعاء الخاوية" كان سلاح حرق النفس التي أيضاً حَرَّمَ الله حرقها لكن ضيق ذات اليد من جهة وعدم القدرة على تحمّل الإهانة من جهة أخرى هي التي جعلت الشاب التونسي البوعزيزي يشعل النار في جسمه ويقضي محترقاً وفي الوقت نفسه مُشعلاً النار في هيبة نظام مغرق في الغرور والعنجهية. ثم يتحول رماد جسد البوعزيزي إلى إعصار أسقط النظام بكل أساساته وإلى نهاية غير كريمة لرئيس هذا النظام، كما يتحول إلى تحريض للآخرين الكثيرين في الأمة على أن يخوضوا غمار التغيير ولو بإيذاء النفس، ففي نهاية الأمر لا بد من التضحية.

لكن "سلاح الأمعاء الخاوية" يبقى أرقى أنواع الأسلحة من حيث تحمّل أذى الجوع على أن يصاب بريء بسوء في عملية إنتحارية المنتحر فيها في النار، وهذا بالنسبة إلى العمليات التي لا تستهدف مواقع عسكرية أو إستراتيجية للعدو وإنما سوقاً تجارية أو حافلة ركاب.

والسلاح الأرقى هذا فيه الكثير من روحية أسلوب المهاتما غاندي في مقارعة الذين احتلوا الهند فقاوم تلك الإمبراطورية البريطانية التي كانت تتباهى بأن الشمس لا تغيب عنها، بالثبات على المبدأ والتمسك بالإرادة وإعتماد بساطة العيش إلى جانب الصوم. كما أن في إستعمال هذا السلاح إسقاط أي ذريعة للعدو، بل أن فيه إهانة لأجواء العظمة التي يعيشها. ولكن كما سلاح النفط حقق غرضاً في حينه وكذلك سلاح حجارة الإنتفاض فإن "سلاح الأمعاء الخاوية" لا نريده أن يتحول إلى ظاهرة. فهو حقق الهدف المزدوج: إزالة الإنطباع السيئ الناشئ عن ظاهرة العمليات الإرهابية التي هنالك طابور من المجندين فيها وأحدثها إيلاماً

على النفس العملية التي حدثت في دمشق يوم الخميس 10 مايو/أيار 2012 وأعادت صورة الانفجار التي تابعتها عبر شاشات الفضائيات وصفحات الصحف إلى أذهاننا المشهد الرهيب لواقعة تفجير موكب الرئيس رفيق الحريري وكيف تناثرت الأجساد وإحترقت. كما أن واقعة دمشق جعلتنا نتساءل ما سبق أن تساءلناه إزاء واقعة تفجير موكب الحريري. وخلاصة التساؤل: إذا كانت ليست هنالك جيوب في الدولة اللبنانية المحكم الإمساك أمنياً بها وتعمل هذه الجيوب لأطراف غير لبنانية، هي التي قامت تخطيطاً وتنفيذاً بعملية التفجير مطمئنة إلى أن أجهزة في الدولة اللبنانية تؤمّن لها التغطية وهذا من دون أن يخطر في البال أن محكمة دولية ستتشكل، أليس في إستطاعة الطرف الممسك أمنياً بالوضع اللبناني أن يكشف مسبقاً العملية ويمنع وقوعها على نحو ما فعل الأمن السوري بالنسبة لعملية كانت ستتفّذ في اليوم التالي (الجمعة 11 مايو) شبيهة بعملية دمشق التي لم يتم كشفها مسبقاً وحدث الذي حدث. وفي ضوء هذا التساؤل نشأت المقارنة بين العملية التي إستهدفت موكب الرئيس الحريري والعملية التي حدثت في دمشق. ومن شأن الإستغراق في التخمينات أن يصاب المستغرق مثل حالنا بصدمة مقرونة بتردد قول الإمام علي: أذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك.

وقد نجد ونحن نسرد هذه التأمّلات في أنواع أسلحة إرتبط إستتباطها وإستعمالها بعرب ومسلمين من يقول: وماذا عن السلاح النووي الذي تقترب إيران من الإعلان بأنها امتلكتّه. والإجابة الشخصية عن ذلك هي أنه إذا وُجد فلن يُستعمل وإذا هو إستعمل فيصيب الأمتين بمكارة وأن تجربة باكستان العاقلة في الموضوع النووي دليل على ذلك حيث إن هذه الدولة تعيش هواجس إمتلاك هذا السلاح الذي قد يخطفه خاطفون أو يستعمله مغامرون. وفي الحالتين إنه سيؤخر في مستقبل أجيال. ومن هنا تبقى الأسلحة الواقعية والواعية والراقية من سلاح النفط إلى سلاح إنتفاضة الحجارة إلى "سلاح الأمعاء الخاوية" هي ما يجب أن نحافظ عليه ونستعمله من دون غيره في ساعات الشدة... التي نتمنى أن تزول بتفعيل "مبادرة السلام العربية" وإقتناع إيران بها بدل الصولات والجولات الكلامية للرئيس محمود أحمددي نجاد ومنها أن الجزر الإماراتية الثلاث "حق تاريخي لإيران"

مع ملاحظة أن هذا "الحق" من فعل الشاه وليس من فعل الثورة الخمينية، ومنها أيضاً "إن إسرائيل بعوضة وإن إزالتها لا تكون بالحرب وإنما بقطع دول المنطقة علاقاتها مع الصهاينة". وإذا كان الأمر كذلك فلماذا ولمن كل هذه الترسانة الصاروخية الإيرانية، ولماذا الإصرار على إمتلاك السلاح النووي؟ كما أن ساعات الشدة على الأمتين تتحسر عندما تقتنع إيران وقبل فوات الأوان بأن إستقرارها من إستقرار جارها العربي وأمنه. وعدا ذلك فكل التحديات إلى خراب.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 21 مايو (أيار) 2012

كوابيس ثورية من سوريا إلى ليبيا

في حال إستمرت المأساة - الملهاة السورية على النحو الذي هو حاصل للشهر الرابع عشر على التوالي، بإفتراض أن التخريجة اليمنية لإخراج الرئيس بشّار الأسد من الرئاسة ومن البلد المطروحة بجدية أميركياً - روسياً صينياً لم تتحقق، فإن الذي سيصيب السوريين هو تماماً ما أصاب العراقيين، وما سبق أن أصاب اللبنانيين من قبل. ستفقد الدولة هيبتها. وسيحزم المقتدرون حقائبهم متوجهين إلى أمكنة تستقبلهم وبأقصى شروط في ديار الله الواسعة. ومن هو ليس مقتدراً سينام على الضيم وسيستشئت شمل الأسرة. وستنعكس الآية شيئاً فشيئاً بحيث «لا يزهق الحق ليأتي الباطل». وفي القليل من الإستحضار للذي جرى في لبنان وجرى في العراق ويجري الآن في سورية يتأكد لنا كم أن لغة العقل معطلة وكما أن الشغف بالإنقاذ في خط بياني متصاعد. ويحزن المرء كثير الحزن عندما يرى أن لا أحد يتعظ ويفضل غريزة الإنقاذ بأنواعه تعذيباً في الزنازين (وبالذات في سورية والعراق) أو تهميشاً بصيغة الإجتثاث أو إبادة باردة، على فضيلة التراجع والتسامح. وعندما نسمع شكاوى البعض مما يصيبه من جراء قوانين ظاهرها إصلاح الحال لكن باطنها الإنقاذ وأحياناً الحسد من النجاح، فإننا نقول بصيغة التساؤل: لماذا لا يستحضر واضعو هذه القوانين إستسباباً أو إجتهاداً أو تنفيذاً لأوامر من سلطات أعلى لا تحبذ المناقشة وإنما

التجاوب الفوري، القول المأثور للإمام علي بن أبي طالب: «ما أكثر العبر وأقل الإعتبار». وعندما لا يستحضر هؤلاء ذلك القول وأقوال أخرى تتسم بالتعقل والحكمة والنصيحة فلأنهم مبتلون بغرائز الإنتقام لا أكثر.

وهناك من الوقائع والحالات المتعلقة بإجراءات وقوانين جائزة الكثير. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن بعض القوانين التي أصدرتها ثورة 23 يوليو 1952 وقضت بتأميم أراضي عدد من المصريين بذريعة أنهم إقطاعيون كانت متسارعة وأسست لحالة من التوتر الإجتماعي والعداوة غير المعلنة بين طبقة وطبقات. ولو كانت الخطوة متأنية لما كان العهدين التاليين لعهد عبد الناصر ونعني بهما عهد السادات ثم عهد مبارك وظفًا للإلغاء النسبي والمتدرج للتأميمات من أجل خدمة عهديهما. وهنا نرى أن التوتر الإجتماعي والعداوة غير المعلنة بين من استعادوا الأموال والمصانع والممتلكات وبين الذين سبق أن نالوا مكاسب من التأميمات قد حصل أيضاً. وهذا مؤشر إلى أن ما اعتبره عهد التأميمات علاجاً إجتماعياً لم يخرج عن كونه في بعض جوانبه إجراءات تعكس مشاعر إنتقامية من جانب الذين لا يملكون ضد الذين يملكون. وبعد الذي حدث في زمن الوحدة المصرية - السورية وكيف أن إجراءات التأميم تفاعلت وإنتهت إلى أنها شكّلت واحداً من موجبات الانقضاء على تجربة الوحدة وإفشالها أسوأ إفشال، بات واضحاً كم أن التأميم والحجر السياسي على ألوف الأشخاص كانا في جانب منهما خطوة على طريق الإنتقام وليس فقط الإنصاف الإجتماعي لشرائع عريضة من الناس. وعندما لجأت الثورة الجزائرية إلى التأميم تقليداً لمصر الناصرية وليس لضرورات إعتقاد هذا النهج، فإنها بما فعلته وكيف أن التأميمات شملت صالونات حلاقة على حد قول شهود من تلك المرحلة، جعلت شرائح من الجزائريين ينفرون من الحالة الثورية الجديدة.

وما هو أخطر من التأميمات بالنسبة إلى الإلفة المجتمعية، يتجسد في إقدام عهود مستجدة على حذف الألوف من عهود سابقة. في العراق أدخلوا مفردة «الإجتثاث» فباتت حال المجتث مثل حال الزنجي في أميركا الأربعينات والخمسينات. وفي مصر أدخلوا مفردة «الفلول» فباتت حال المفلول مثل حال الزنجي من أبناء

جنوب أفريقيا وهم الأكثرية المنبوذة من الأقلية البيضاء، أو ربما مثل حال اليهود السود من فلاشة وغيرهم الذين يعاملهم البيض والشقر معاملة السيد للعبد. ومثل هذا الأمر سيقوض الأسس التي يقوم عليها العيش المشترك. ويبدو أن إخواننا في ليبيا لا يريدون الأخذ بقاعدة «ما أكثر العبر وأقل الإعتبار» مع أن المشهد في كل من مصر لجهة التأميمات والمصادرات والنزب وفق تسمية «الفلول» وفي العراق لجهة السلوك نفسه وتكريس الإجتثاث والتمثيل بمقامات سياسية سابقة وإلى درجة عدم تقدير الظروف الصحية لهؤلاء بات كما لو أنه شريعة تكاد تشكّل مادة في «دستور» من يحكمون مرادف لدستور البلاد. وفي ضوء ما إنتهت إليه الجولة الرئاسية الأولى فإن المرء يخشى أن يكون محمد مرسي «الإخوان» في موضوع «الفلول» وفي الأحكام المؤجل إصدارها إلى حين في حق مقامات سياسية ووطنية، في حال كان التروؤس من نصيبه في جولة الإعادة، أشد قسوة من نوري المالكي في موضوع «الإجتثاث» وبالذات بالنسبة إلى الذين يموتون ببطء داخل الزنزانات. وعندما نقول ما نقوله بالنسبة إلى رموز الحكم الجديد في ليبيا فلأن «المجلس الوطني الإنتقالي المؤقت» فاجأنا قبل أيام بقانون فيه مسحة إستتساخ عن إجراءات وقوانين سبق أن صدرت في مصر وفي العراق وفي الجزائر وفي سوريا وأنتجت عداوات وصراعات مجتمعية فضلاً عن أنها إتسمت بما يجوز إعتباره إنتقاماً أو حسداً أو الأمرين معاً. وبموجب القانون المشار إليه والمسمى «قانون إدارة أموال وممتلكات بعض الأشخاص» وهم بالمئات حتى الآن «توضع تحت إدارة حارس عام أموال وممتلكات هؤلاء الأشخاص وكذلك أموال وممتلكات أزواج وأبناء الأشخاص الطبيعيين منهم، كما يجوز بقرار من مجلس الوزراء أن تضاف إلى هؤلاء أية أموال أو ممتلكات أخرى يرى لزوم خضوعها للحراسة، وكذلك إضافة بعض الأشخاص الموجودين في الخارج». كذلك يجوز لـ «الحارس العام» أن يبيع أموال وممتلكات وتصفية الأعمال الصناعية والتجارية لهؤلاء الأشخاص. كما ليس من حق هؤلاء الأشخاص رفع أي دعوى مدنية أو تجارية أمام المحاكم... الخ!

من حق العهد الجديد الذي يأتي بفعل إنقلاب أو إنتفاضة أو ثورة يسميها القائلون بها «ثورة» أن يتخذ من الإجراءات والقوانين ما يؤكد فيها أنه سيصحح لأن

العهد الذي إنقضى كان على درجة من السوء والظلم. لكن في حال كانت الإجراءات والقوانين من النوع الذي يندرج ضمن صفة «الكوابيس الثورية» فإن الجديد يتساوى في هذه الحال مع الذي قبله. ومن خلال متابعة لأحوال البلاد والعباد على مدى نصف قرن من مصر إلى سورية إلى العراق إلى السودان إلى الجزائر إلى ليبيا التي عاشت عقوداً في ظل عهود ثورية تتأكد لنا حالة الكوابيس التي صوّروها على أنها أحلام. وبالنسبة إلى ليبيا بالذات فإن إستتساخ إجراءات وقوانين بمفردات تثير الدهشة لن تخدم عملية التغيير المأمولة في الإتجاه الإيجابي، وخصوصاً أن من بين المئات الذين شملهم قانون المصادرة رجال أعمال لم يسلموا من قساوة ظروف عاشوها في بعض سنوات ليبيا القذافية من بينها السجن ومصادرة الممتلكات ومنع السفر (رجل الأعمال حسني بي على سبيل المثال لا الحصر)، ثم ها هو العهد الجديد يفعل الشيء نفسه بذل أن يعزز دورهم في التنمية وإستقرار الأسواق. كما أنه يفعل الشيء نفسه مع رموز ذات حضور لا فت في الأمة أمثال رجل القانون والمفكر الإسلامي المستنير الدكتور إبراهيم الغويل.

ويبقى القول إن التغيير الصحيح هو التغيير الذي ينصف ويعيد الحقوق إلى المسلوبة منهم. أما إذا كان سيأخذ صفة «الكوابيس الثورية» فإنه عند ذلك يكتسب صفة الإنتقام والحسد. وقى الله الأمة من شر الحاسد إذا حسد ومن مزاج الحاكم إذا هو إتخذ من الإجراءات وإستصدر من القوانين ما يجعل رقعة الظلم تتسع ومساحة الإنصاف تتحسر... وأمنية تثبيت الإستقرار تتباعد.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 31 مايو (أيار) 2012

* * *

الهموم اللبنانية والإهتمامات السعودية..

رسالة فزيارة فلقاء

كانت رسالة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى رئيس الجمهورية اللبنانية ميشال سليمان لفته في قمة النخوة، وجاءت تشكل دعامة

لمساعاه الذي يستهدف تنشيط وصفا الحوار على المستويين الرسمي والحزبي بأمل تفعيلها. واستنادا إلى ما هو حاصل في الساحة السياسية وبالذات المفردات غير الراقية في التصريحات التي يتبادلها في لبنان رموز العمل الحزبي والنياري والحركي ثم تهبط المستويات بدخول مصرحين ومستصرحين من الصف الأدنى لهذه الرموز على خط التخابط وعندما يختلط التأذب بقلته كما إختلاط الحابل بالنابل؛ إستناداً إلى ما هو حاصل فإن رسالة الملك عبد الله بن عبد العزيز وما أضافه خلال لقاء تسليمها السفير علي عواض عسيري المحب للبنان كما السلف الطيب الدكتور عبد العزيز خوجه من عبارات ظاهرها الحرص والتمنيات بأن يسلك الحوار بين الأقطاب المتبارزين على مدار الساعة بالكلام الذي يفرق بدل أن يوفق، الطريق نحو الحل المتوازن، وباطنها الخشية من أن تتطور الأمور نحو ما هو أسوأ ولا يعود الأمر مقتصر على خسارة موسم إصطياف يتوزع بين أسابيع تسبق شهر الصوم المبارك وشهرين بعد عيد الفطر، ولا على تحذيرات وإجراءات أشد مرارة وتتمثل في أن الحكومات الخليجية وجدت نفسها تطلب من الرعايا حذف لبنان الذي هو مناهم في كل فصول السنة، من برنامج السفر إليه كما دعوة من هم فيه إلى الحيلة.. فالمغادرة.

ما نريد قوله أن خادم الحرمين الشريفين المهمت بإستمرار بأحوال الأمتين والمهموم بالحالات الصعبة التي تعيشها أقطار في الأمتين، إرتأى بالرسالة التي نقلها السفير علي عسيري إلى الرئيس سليمان والحرص على أن يزوره مرتديا الزي السعودي، إضفاء مسحة إهتمام سعودية رسمية - شعبية بمعنى الدولة والشعب بلبنان الذي يكتوي بعناد وتطلعات أطراف خارجية توظفه كساحة لمناطحة قوى دولية بدل التعامل معه كأخ في مقدوره القيام بالدور الإيجابي الذي يفيد الجميع. ومن ملامح هذا الدور إقناع أهل الحكم في سوريا بأن أساليبهم المتبعة ماض ليس بالبعيد وحاضر نعيش فصول مأسية، لن يعود على سوريا الوطن والشعب بغير أحقاد تتراكم وعزلة تتسع رقعتها واحتراب بين جيش تزداد حالات الإنقسام فيه وشعب يعيش حالة انقسامات مشوبة بالقلق على المصير.

وأهمية الرسالة في الذي أرسل وفي ما تعنيه بعض المفردات التي تعكس معانيها بكل الوضوح. ولعل القراءة

المتأنية من جانب الرئيس ميشال سليمان للرسالة التي هي في قمة النخوة جعلته يستنبط أسلوباً على درجة من الفريدة، وهو أن يرد على الرسالة بزيارة كثيرة الرقي والعفوية وأن يكون رفيق زيارته الوزير غازي العريضي الذي هو أحد قلائل يحللون بفهم المسؤول المستنير الموقف السعودي. وإقتصار الرفقة على «الرفيق» غازي العريضي وليس على وزراء آخرين وبالذات وزير الخارجية عدنان منصور، ليس تقليلاً من شأن هؤلاء، وإنما لأن في النفس السلبيانية مرارة مما هو حاصل في لبنان المتنازع على قراره بين الطيف اللبناني - السوري الهوى من جهة، والطيف اللبناني - الإيراني - السوري الهوى والطيف الذي يتطلع إلى أن يكون لبنان متصالحاً مع الجميع وعلى مسافة تحفظ له خصوصيته وسيادته وإستقلالية قراره في منأى عن ضغوط السلاح والمال والمذهبية.

وهذا «لبنان» ينتسب إليه الرئيس ميشال سليمان ويدفع ثمن هذا الإنتساب إستهانات من بعض بني قومه الموارنة يؤازرهم ضمناً حلفاؤهم المحلقون ضمناً في الفضاء السوري. والمرارة لا تقال في حضرة هؤلاء الوزراء. كما أنه ليس من تقاليد التراسل بين الحكام الإفاضة في الشكاوى، خصوصاً أن الرسائل الجوابية كما الواردة تأخذ طريقها إلى إضبارات يتوارثها عهد بعد آخر ومن شأن تضمينها مر الشكاوى أن تقوض مبدأ «المجالس بالأمانات» أخرج تقويض.

وإلى المرارة التي في النفس السلبيانية هنالك الرغبة في أن يسمع الرئيس من الملك ما من شأنه إرواء الموقف التاريخي الذي سبق أن اتخذه عندما اصطحب في طائرته الرئيس بشار الأسد من دمشق التي كان يزورها زيارة المهتم بترميم الصف العربي إلى بيروت لكي يضع نهاية للتعامل المزاجي السوري مع الوضع اللبناني. واعتبر الرئيس ميشال سليمان زمناً أن النهاية المتوازنة للعلاقة بين لبنان وسوريا بدأت خطوتها الأولى وأن الرئيس بشار لا بد سيلتزم إحتراماً منه للوعد الذي قطعه وتوقيراً لمقام الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي نخوته تجاه سوريا الأسدية ابناً عن أب متجددة.. إلى أن اختار الرئيس بشار انحيازاً غير محسوب التداعيات إلى جانب إيران، وهو إنحياز افتقد فيه المنحاز الرؤية البعيدة المدى فضاعت منه البوصلة إلى أن دخلت سوريا في النفق التي تراق فيه دماء الضحية

والجاني ويترافق مع إراقة الدم نزف في السمعة والخزينة، بحيث إنه في حال استمر الأمر على ما هو عليه أن تصبح سوريا مثل لبنان النصف الثاني من السبعينات وطوال سنوات الثمانينات.

إن الملك عبدالله بن عبد العزيز قلق من بشاعة هذا المشهد الذي كانت سوريا في غنى عنه لو أن الرئيس بشار أصغى إلى ما كان يسمعه من الملك عبدالله من نصائح وتحذيرات، وما كان والده الرئيس الراحل يقوله أمام العائلة والأبناء عن السعودية السند في ساعات الشدة.. فإن الأخذ بالنصح علاج. هذا بالذات ما احتاجه الرئيس بشار عندما حدثت الشرارة الأولى بجوار الجامع الأموي لكنه لم يقرأ الموقف جيداً. ثم هذا ما كان سينقذه لو أنه بدل تعليق الآمال على مساندة روسية - صينية عابرة وعلى تهويلات إيرانية ضررها الآتي أكثر من نفعها البعيد المدى، توجه بطائرتة إلى الأشقاء العرب بدءاً بدول الخليج طالبا المساندة في ضوء رؤية عربية عاقلة بدل التهكم على هذه الدولة أو تلك على طريقة الرئيس الراحل أنور السادات الذي عندما أراد الأشقاء العرب إنقاذ مصر من ورطة «صفقة كامب ديفيد» وأرسلوا إليه رئيس وزراء لبنان زمناك الدكتور سليم الحص، أمد الله بعمره وعافاه، ووزير خارجية العراق طارق عزيز، فك الله أسره من الزنزانة العراقية بعد الأميركية، ووزير خارجية دولة الإمارات زمناك أحمد خليفة السويدي، فإنه لم يكتف برفض إستقبالهم وهم الذين جاءوا حاملين عرضاً لتقديم الدعم المالي السخي الذي يعين مصر على بلواها الإقتصادية مقابل تخلي السادات عن الصفقة، وإنما أوعز إلى المسؤولين ووسائل الإعلام بالتهكم على نحو التهكمات البشارية الحالية على دول الخليج وكل طرف عربي يسدي النصيح كي لا تتساقط سوريا على نحو تساقط العراق وبذلك يسهل الإنقضاض الإيراني عليهما وبالتالي على لبنان.

نختم بالقول إن الزيارة التي حانت ضرورات حصولها ومع ذلك فإنها مرجأة للسنة الثالثة على التوالي، فإنها زيارة رئيس مجلس النواب رئيس حركة «أمل» الأستاذ نبيه بري للسعودية. وهنا نتساءل: لو أن الزيارة التي تمت كانت ثنائية أو فنقل ثلاثية بانضمام رئيس الحكومة نجيب ميقاتي إلى الرئيس ميشال سليمان ونبيه بري، ألم تكن في هذه الحال ستثمر ما دام المثلث

الرئاسي معتصر القلب على المأزق الذي يعيشه الرئيس بشار الأسد ومقتنعا بأن رؤية الملك عبدالله بن عبد العزيز للوضع السوري كانت سديدة وأكثر إقتناعاً بأن الرئيس بشار أضاع فرصاً كثيرة وأنه في نهاية الأمر سيضيع لبنان؟! وإذا كان المثلث الرئاسي لا يفصح عن ذلك، فهذا لا يعني أن ما يصرحون به يعكس تماماً ما هو حبيس صدورهم. والله أعلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 13 يونيو (حزيران) 2012

الأمير نايف ضامن الأمان لحجاج بيت الله الحرام

في الوقت الذي بدأ عشرات الألوف من المسلمين في الأمتين الإستعداد منذ الآن لشهر الصوم (من 20 يوليو إلى 18 أغسطس 2012) ثم بعد ذلك ببضعة أسابيع التوجه إلى تأدية فريضة العمر وهي الحج إلى بيت الله الحرام والتبرك بزيارة مثوى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، يأتي هؤلاء النبأ الذي أدخل مسحة من الحزن في نفوسهم والمتمثل برحيل الأمير نايف بن عبد العزيز ولي العهد وزير الداخلية السعودية ورجل الدولة التي كانت أيام الفريضة وأمن حجاج بيت الله الحرام ضمن أولويات أجندة سنواته المديدة كوزير للداخلية.

كان رحيل الأمير نايف (78 سنة) من حيث الزمن والظروف الصحية التي إنتهت بالوفاة يوم السبت 16 يونيو/حزيران 2012 قريب الشبه برحيل أخيه الملك خالد بن عبد العزيز طيب الله ثراه، ذلك أن ثالث الملوك الأبناء توفي عن 71 سنة قبل ثلاثين سنة وفي الثالث عشر من الشهر نفسه (يونيو 1982) بعد معاناة مع أوجاع القلب وحالة سرطانية خضع للعلاج منها في بريطانيا وأميركا ثم عاد ليلقى وجه ربه وهو يصلي الصبح جالساً على كرسي حيث كانت أجريت له عملية في ركبته في الطائف التي جاء إليها من الرياض. ومن خلال متابعة إيقاعات المسؤوليات التي تولاها الأمير نايف خلال السنة الوحيدة التي شغل فيها منصب

أمير الرياض في زمن أخيه الملك سعود ثم نائباً لوزير الداخلية في زمن أخيه الملك فيصل ثم وزيراً للداخلية في زمن أخيه الملك خالد وبعد ذلك شقيقه الملك فهد (رحمة الله على الجميع) ثم في عهد أخيه الملك عبد الله بن عبد العزيز أطل الله عمره والذي إختاره بعد رحيل الأمير سلطان ولياً للعهد مع إحتفاظه بمنصب وزير الداخلية، نرى أن الأمير نايف هو أحد المجلين في ثلاث مدارس في الحكم، إقتبس منها وأثراها. ولم يقتصر ذلك على الواقع المحلي وإنما زرع في أوساط أهل الأمن العربي ما يجوز إعتبارها رؤية للتعامل مع حالات المخاطر تجمع بين التآني وإستمالة من أصابتهم لوعة العنف إلى سواء السبيل وبما سُمي "المناصحة" التي دخلت قاموس التعامل بين صاحب السلطة والمواطن كأسلوب غير مألوف ونقيض ما يجري في الأمتين حيث المواطن المقبوض عليه بالشبهة أو للإحتراز في نظر جلادي تلك الأقبية هو مجرم ومن دون أن يثبت العكس.

وثمة ما يستوجب التأمل في طبيعة نظرية الأمن العربي وفق رؤية الأمير نايف لها. فهو قبل تتويجه عميداً لوزراء الداخلية العرب بحكم توليه المنصب في المملكة طوال ثمانية وثلاثين عاماً أي أقل ثماني سنوات من إجمالي سنواته كحامل مسؤوليات في الدولة، كان دائم الحرص على نحو ما سمعناه من وزراء داخلية عرب على تحييد هؤلاء بصفة كونهم مسؤولين عن أمن شعوبهم وأوطانهم، عن الخلافات التي بين الحكومات. ومن هنا فإنه في الوقت الذي يكون التآزم في أوج حدته بين الحكومات تكون هنالك مساحة تشاور من جانب وزراء الداخلية العرب في أكثر من مناسبة مع الأمير نايف طلباً للتوسط أو النصح أو حتى، إذا جاز القول، للتحكيم. وبعدما إستقر أمر العلاج بوصفه «المناصحة» وأثمرت هذه الوصفة حالات شفاء بالمئات أصاب بعض أهل الحكم في دول عربية الندم لأنهم لم يسارعوا إلى إعتقاد هذه الوصفة تاركين لـ «دولة الأقبية» تعالج على طريقته فينتهي الأمر عداوة مستحكمة بين المواطن والدولة. كما أن حالات تساقط حدثت وكان ما نشير إليه أحد المسببات.

إلى ذلك كانت رموز أمنية كثيرة في دول ذات علاقات وثيقة مع المملكة تحرص على أن تقف على هذه التجربة المتميزة في دنيا الأمن التي بات الأمير

نايف بن عبد العزيز رمزاً لها والتي تتشابه من حيث الإستمرارية في المنصب الواحد مع تلك التجربة الدبلوماسية للشيخ صباح الأحمد والتي كان التكريم للحالتين نوعاً من التكريم للثبات والوضوح والمواكبة بواقعية لما يحصل في العالم وينعكس على منطقة الخليج. وما نقصده بالتكريم كان إسناد منصب أمير البلاد في الكويت للشيخ صباح أطل الله عمره وإسناد ولاية العهد في المملكة العربية السعودية للأمير نايف بن عبد العزيز رحمه الله.

تبقى الإشارة إلى أمرين. الأول هو أن مواراة جثمان الأمير نايف «مقبرة العدل» في مكة المكرمة تبدو كما لو أنها تجاوب مع رغبة حبسية في صدور ملايين مسلمين أدوا فريضة الحج بكل الأمان الذي حققه لهم الأمير نايف الذي كان الحج الماضي شهادة مسك الختام لجهود طالما بذلها من أجل حجاج بيت الله الحرام، وكذلك رغبة ملايين لاحقين سيؤدون الفريضة وقد بنى لهم الأمير نايف بن عبد العزيز الأساس الأمني الذي يجعلهم في غاية الرضى. ولطالما كانت بعض أقواله في المؤتمر الصحفي السنوي الذي يعقده خلال موسم الحج بصفة مسؤوليته رئيساً للجنة الحج العليا وبالذات خلال أربع عشرة سنة عصيبة عاشتها الأمتان (بين 1415 و1429هـ) توضح لماذا تلك الرغبة حبسية في صدور الحجاج وفحواها أن يكون مثوى أميرهم العزيز في رحاب مكة المكرمة.

وهذه الأقوال تستحق لوحدها نوعاً من التحليل الذي كنت بدأت كتابته عن تجربة الأمير نايف ليكون فصلاً في الجزء الثاني من ثلاثيتي حول «النهج السعودي في ترويض الأزمات والصراعات» والتي صدر الكتاب الأول منها في العام 2011 بعنوان «خادم الحرمين حارس الأمتين. أمر الله يا عبد الله». ثم جاء النبأ الحزين وبالتالي يسجل القلم هذه الكلمة - التحية - الشهادة حول رحيل رجل دولة كثير التميز ومقدام كُتب له أن يوارى الثرى في أرض مقدسة وفي رحاب حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا ماضياً ودائماً حاضرين في "أجندته" التي تشكّل إنجازاتها علامات ذات دلالات في التاريخ العربي والإسلامي الحديث.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 18 يونيو (حزيران) 2012

ال «الدينوقراطية».. الحل المستقر

لمصر وغيرها

يجوز تشبيه فوز الدكتور محمد مرسي برئاسة جمهورية مصر من حيث المفاجأة غير المتوقعة بفوز باراك أوباما برئاسة الولايات المتحدة. كما يجوز القول إن البساطة في الحياة العادية وفي مخاطبة الناس وكذلك في المفردات التي تتسم بها أقوال الإثنين، شكّلت العنصر الأهم في فوز كل منهما. وبتعبير أكثر وضوحاً إن كلاهما كان يمثّل المهمشين والفقراء والطبقة الوسطى عموماً التي إنحسرت مساحة وجودها نتيجة الحروب والتحرشات البوشية التي دمرت ولم تعمّر ما دمرته وأساءت في معرض الإكثار من الوعود البراقة بدل أن تحقق الوعود.

ويستحضر المرء مثل حالنا وهو يشير إلى هذا الملمح من المقارنة خصال الأنقياء من زعمات وصلت إلى مراتب القمة على طريق الزهد والإعتقاد الراسخ بأن الإقتراب من الناس ومشاركتهم المخاوف من عادات الزمن وممارسة المسؤولية بالنسبة إلى ذوي الحاجة علاجاً أو طعاماً أو بيتاً أو تعليماً أو تأميناً لشيخوخة، هي الضمانة لمن يتولى القيادة. النهج السعودي الذي إعتمه الملك عبدالله بن عبد العزيز وسيزيده وليّ عهده الأمير سلمان بن عبد العزيز حيوية وتفعيلاً، خير مثال على ذلك.

ما يعيننا هنا هو هذا الفوز المبهر للدكتور محمد مرسي برئاسة مصر التي كانت على مدى ستة عقود حكراً على المؤسسة العسكرية وكأنما لا ثقة لهذه المؤسسة بالمدنيين. وعندما تحدّث المفاجأة وتدفع أصوات المهمشين والفقراء بالدكتور محمد مرسي إلى رئاسة مصر ليكون بذلك، كما توجب عليه بسبب الفتية نسبياً ومعرفة الموضوعية بالمجتمع الدولي وكفاءته العلمية، محمد علي آخر، فإنه بذلك ينتشل مصر من وهبتها خصوصاً أن الأشهر الأربعة عشر بين إسقاط نظام ال «ديكتوقراطية» الذي حاول الرئيس حسني مبارك أن يدخل من خلاله التاريخ فإذا بهذه التوليفة ترمي به أسوأ رمية وتجعله ملفوظاً عليه بشتى أنواع الإهانة على ألسنة بضعة ملايين من المصريين رأوا أن النصف الأول من سنوات حكمه كانت لكل مصر والمصريين

لكن النصف الثاني كان للعائلة الصغيرة وللحاشية وللمتسلقين على حساب الجمع الهائل من المحتاجين.

وعندما نقول إن نظام مبارك كان نظام ال «ديكتوقراطية» فلأن رئيس المحروسة هنا مزج السلوك الدكتاتوري بجرجات من حرية التعبير والممارسة الديمقراطية يشهد له بهذا الخصوم، بدليل أن صحافة مصر مبارك كانت تنشر ما شاء لها الكاتبون وتنتقد كما الفضائيات الخاصة ما شاء لها الإنتقاد شاملة بذلك أهل السلطة من قاعدتها إلى قمته. لكن مقابل ذلك كانت المطاردات القاسية لبعض هؤلاء، وإن جاءت هذه المطاردات أقل قسوة مما جرى وما زال في أنظمة عربية إتمدت نظام ال «عسكراطية» مثل السودان «الإنقاذ» الذي ما زال لا يتعظ فيعتبر حالة الإحتجاج فعل أشرار أو «شدّاذ آفاق» ولا يترقب بطلاب الجامعة التي طالما أنتجت أصحاب قيم فيعاقب ب «الجلد» من يحتج مع أنه نظام إسلاموي وأن من أدبيات الدين الحنيف أن الإحتجاج من جانب من يجوع أو سيجوع حق مشروع لا يقتصر على النظاهر وإنما على الخروج شاهراً السيف فكيف إذا كان الجوع هنا سودانياً وفي بلد الخيرات المحجوبة بفعل مغامرات الانقلابيين الذين سجلوا «إنجازاً» جديداً في خارطة السودان حيث فصلوا جنوبه عن شماله فباتت هنالك عداوة جديدة في تاريخ العداوات التي تؤسس لحروب في المنطقة. كما أن مطاردات نظام ال «ديكتوقراطية» الذي إعتده مبارك كانت أقل قسوة من المطاردات التي تعيشها سوريا ال «جمهورية» وهو تصنيف واقعي لها بعدما إتضح أن الرئيس بشّار ومن معه وحوله من قيادات أمنية أفسدت إنضباطيتها سنوات الجني غير المشروع من لبنان المستضعف المستباح، يقود مواجهة بعقلية الوارث الذي عليه المحافظة على ملك ورثه ومن الواجب توريثه للأبن الحامل إسم جده المورث ويريد له والده أن يكون مثل الحسين الثاني الذي بات ولياً للعهد الهاشمي. وكلاهما حافظ الحفيد ابن بشّار وأسماء والحسين الحفيد ابن عبدالله وrania في سن متقاربة.

في خضم هذا الواقع وما حوته في طياتها «عسكراطية» جنرالات «الإنقاذ» في السودان و «ديكتوقراطية» نظام مبارك و «جمهورية» نظام سوريا والذي كان سيكرر لو قُبِض للعقيد معمر القذافي أن ينتصر على «الجرذان» الذي تبين أنهم مؤمنون شجعان

وأصحاب حق نالوه بالمثابرة متمنين لو أن الأطالسة لم يشاركوهم حظوة التغيير المرتبك إلى حين، جاءت المفاجأة المصرية تؤكد من خلال الفوز والمبهر للأمر الواقع الديني أن الـ «دينوقراطية» ربما ستكون الحل الوسط المقبول شعبياً ودولياً رغم كثرة التحفظات والإعتراضات في إنتظار توضيح بعض المواقف لـ «الإخوان» في مصر، مع ملاحظة أن إرتياح الإدارة الأميركية لما حصل لا ينقصه الوضوح وإلا فما تفسير قول هيلاري كلينتون وزير الخارجية الأميركية يوم الأربعاء 27 يونيو/ حزيران 2012 ومن قبل أن يؤدي الرئيس الدكتور اليمين الدستورية «إن الإدارة الأميركية ستمضي قدماً في دعم عملية التحول الديمقراطي في مصر، ومن دواعي سرور الإدارة أن الرئيس المصري الجديد تعهد بإحترام المعاهدات والالتزامات الدولية التي من شأنها الحفاظ على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل. كما إن الجيش المصري يستحق بالفعل الثناء على دوره الرائد في إجراء إنتخابات حرة ونزيهة وذات مصداقية...».

مضمون كلام هيلاري كلينتون يجيز لنا الإفتراض أمرين:

الأول، هو أن الإدارة الأميركية تعاملت مع الموضوع المصري على أساس أن الأطراف الثلاثة تريد أطيب العلاقة مع الولايات المتحدة. جنرالات المجلس العسكري يريدون. والفريق الدكتور أحمد شفيق يريد. والإخوان الذين إختاروا من هو الأدرى بالعقلية الأميركية، أي الدكتور محمد مرسي عندما كان طالباً ثم أستاذاً في إحدى جامعاتها، طالبو الود والعلاقة مع أميركا. وهذا ليس وليد الصدفة أو وليد الساعة وإنما بعد علاقة بدايتها فكرية عميقة لتثمر علاقة سياسية مستقبلاً. ثم إن «الإخوان» لو كانوا لا يريدون هذه العلاقة وبالتالي لا يكون هنالك «فيتو» على رئاسة أحدهم للجمهورية لكانوا خاضوا الإنتخابات بـ «الحزب» وليس بـ «الحركة» وهذا يقلل من تحفظات الآخرين عليهم.

الأمر الثاني، هو إن الإدارة الأميركية وفي ضوء ما حوته السطور السابقة لا بد أبلغت جنرالات المجلس العسكري، لأن لغة الكلام معهم لم ولن تتعطل، أنه في حال كانت هنالك رغبة شعبية لترؤس الدكتور محمد مرسي أن لا توضع حواجز في طريقه. وهذا ما حصل. الآن هناك حالة جديدة في مصر تحت عنوان

عريض للنظام هو الـ «دينوقراطية» أي الرئيس الآتي من بوتقة دينية عريقة لكنه مقتنع أو مؤمن بأنه بعد الذي حدث في مصر لابد من تحقيق مناخ ديمقراطي سليم ومن دون محاولات قمع ومطاردات كتلك التي حفل بها نظام الـ «ديكتوقراطية» في النصف الثاني من سنوات مبارك. ومثل هذه «المصاهرة» بين الدين والديمقراطية يمكن أن تحقق الإستقرار في مصر كما يمكن أن تجد طريقها إلى التطبيق في سوريا ويترأس أحد «إخوانها» الجمهورية التي تنزف دماً منذ أشهر. ولبعض الصبر الدولي يصل هذا الحل إلى دول عربية حائرة في أمرها، لكن هذا لن يتضح قبل أن تميل كفة الدكتور محمد مرسي الرئيس على كفة الدكتور محمد مرسي ابن العقيدة الدينية العريقة وبالذات في ما يتعلق بمعاهدة السلام مع إسرائيل بحيث إذا سلم شيوخ «الإخوان» و«منظروهم» بتعهد رفيقهم الرئيس بإحترام المعاهدات المعقودة مع دول العالم ولا يلغيها على نحو ما فعل الرئيس أنور السادات بالمعاهدة التي أبرمها هو شخصياً مع الإتحاد السوفياتي، فإن الأحوال ستسير بطمأنينة وينصرف رفيقهم إلى تقديم الأهم من المطالب (الأحوال المعيشية والعشوائيات والمرتبات والوظائف والأمن والشفافية والنزاهة والأمانة وإعادة البناء... الخ) على المهم الذي هو المعاهدة مع إسرائيل لجهة الإلغاء في الحد الأقصى والتعديل في الحد الأدنى، من دون أن تعني أي تعديلات أن مصر ليست متسالمة مع إسرائيل. لكن إذا أصر الشيوخ و«المنظرون» على أن يأخذ رفيقهم بالأصول وليس بالإجتهادات، فعندها قد نجد أن الرئيس الدكتور محمد مرسي المقتنع بأن الشعب المصري لا يريد حرباً جديدة مع إسرائيل وأن إلغاء المعاهدة قد ينتهي إلى ذلك وهذا ما تتمناه إيران، يستحضر أسلوب الرئيس حافظ الأسد في التبرؤ من القيادة التاريخية لـ «البعث» صاحب «الرسالة الخالدة» وأسلوب الرئيس صدام في إنهاء الرفاق غير المطواعين، ويمضي قدماً يحاول، وعلى قاعدة الـ «دينوقراطية»، إيجاد حلول لثمانين مليون مصري من المرجح أن يصبحوا مئة مليون خلال خمس سنوات. أعانه الله.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 1 يوليو (تموز) 2012

ما يحدث في السعودية ويتمناه العرب

ليست أحوال الأمتين حاضراً أفضل مما كانت عليه في الزمن الذي أسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود المملكة العربية السعودية. بل إن أحوال الزمن الحاضر أكثر سوءاً من تلك التي كانت قبل التوحيد عام 1932 فما عادت التسمية مملكة «الحجاز ونجد وملحقاتها» بعد مبايعة النجديين للملك عبد العزيز عام 1927 وإنما «المملكة العربية السعودية». وعند إستحضار بعض الأحداث وأساليب هيمنة الدول الكبرى على المنطقة وتحويل أقطار منها إلى ميادين صراعات سياسية لا تلبث أن تتطور إلى مواجهات فإلى حروب أحياناً بين قطبين وفي معظم الأحيان بالوكالة بمعنى أن يتم تحويل أطراف أو طوائف إلى أعداء تقاتل بعضها بعضاً الآخر، نجد أن الذي جرى في الزمن الغابر هو في بعض جوانبه مثل الذي يجري في الزمن الحاضر ونجد مساحة كبيرة من بُعد النظر في صيغة للإستمرارية إتسم بها النهج الذي إتبعه الملك عبد العزيز في إستكمال إرساء التأسيس الأول وهذا جعل المملكة العربية السعودية تصمد أمام الإعصارات المتتالية، وذلك من خلال الصيغة التي تُحقق الإنتقال الهادئ للقيادة الخالي من المفاجآت والتكهنات والإستطلاعات والمغامرات غير المحسوبة والإعتصامات التي تدفع بإستقرار الوطن نحو المجهول. وفي المشهد العربي الراهن عموماً سواء المتحرك منه أو النائم إلى حين، الدليل على ما نقوله.

كما نجد إستحضار راحة ما في كتاب الله وأحاديث رسوله (ص) والصحابة من آيات بينات وأقوال طيبة حول التواضع والعطاء والعفو والتسامح والعمل والعقاب والقصاص والعلم والشجاعة والشرف والتضحية والشهادة والشيخوخة والشباب والضمير والخبث والطمع والطموح والمشورة والحياة الدنيا والآخرة والواجب والخير والشر والرضى والسلاح والتنمية والغنى والفقر والفضيلة والعيب والقناعة والقوة والتراحم والعدالة والثقافة والفكر وكذلك التبصر والتأمل والإصغاء إلى الشكوى من شكاة وإلى الفكرة تأتي من أصحاب الرأي السديد، تشكّل في مجملها صراط الصلاح المستقيم والإصلاح الشامل لمن يحتاج ومن يريد. وأنصوّر أن ألوف البيوتات العربية والإسلامية في دول ينام فيها المواطن على خبر دموي

ويصحو على خبر تخريبي وتدميري ويندم بالتالي على إبتهاجه المتعجل بـ «فورة» إعتبروها «ثورة»، أو على بيانات أو تصريحات تستيق كلمة أهل القانون في إعلان نتائج إنتخابات، وعلى إرتباكات في الأسواق والبورصات ناشئة عن مليونيات طالما شعر البعيد كما القريب بالملل من تكرارها ومن الشعارات والممارسات التي تحدث في ساحات الإعتصام والتجمهر... أتصور أن ألوف البيوتات وبالذات كبار السن والراححة عقولهم من رجال ونساء إنبهروا وهم يتابعون الإنتقال السلس والمحترم في المواقع القيادية والذي إمتزج الحزن فيه على من يرحل بالمسرة إزاء من يخلف. وكيف أن عفوية المبايعة هي إستفتاء يختلف عن الإستفتاءات إياها ذات التسعين في المئة وما فوق، وأن هذا الإستفتاء يتمثل بتصريحات وإشادات ومراثي من كُتاب وشعراء نبطيين أحدهم الأمير نواف بن فيصل بن عبد العزيز أو مسؤولين، وصفحات ترحيب إعلانية تتمحور حول خير خلف لخير سلف وكيف أن الأسى على وليّ العهد الراحل الأمير نايف بن عبد العزيز إلتنقى مع الإبتهاج بإختيار الأمير سلمان بن عبد العزيز لكي يواصل كولي للعهد مسيرة شقيقين ودعهما بدمعة حزن شبيهة بتلك الدمعات التي إنسابت من مقلتيه على شقيق الجميع الملك فهد وعلى الإبنين البارئين فهد ثم بعد سنة أحمد اللذين كانا بارئين كما حال والدهما الأمير سلمان مع والده المؤسس طيّب الله ثرى الجميع وثرى الزوجة الكريمة أم فهد وأحمد وسلطان وعبد العزيز وفيصل وحصّة. ومع تصوّر المشهد الذي أشير إليه أفترض أن هذا الأب أو الأم وهذا الجد أو الجدة في تلك البيوت العربية يقول كل منهم: يا لنعمة الإستقرار لدى إخواننا أهل المملكة وبالذات في ربع القرن العربي الأكثر خطورة. تشاء إرادة الله أن يرحل الملك فهد الذي كان مالى الدنيا العربية إقداماً وحُسن تطوير فيتسلم القيادة وليّ عهده عبد الله بن عبد العزيز الذي أضفى على الصيغة التي ارتأها الوالد المؤسس نهجاً لا يتسبب الرحيل بأي عثرات، ويرحل وليّ عهده الأمير سلطان بن عبد العزيز فيأتي إختيار الأمير نايف لولاية العهد بالسلاسة إياها التي عليها الصيغة، ويرحل الأمير نايف فيأتي إختيار الأمير سلمان ويستحضر أبو فهد في مفردات تصريحاته الأولية الشقيقين الغائبين الحاضرين أبو خالد وأبو سعود كما يفيض وجدانه إستحضاراً لكبير

الأشقاء أبو فيصل، والثلاثة كان الأمير سلمان مواكباً لا يهدأ له بال لإحوائهم الصحية ملبياً خير تلبية توجيهات وليّ الأمر عبدالله بن عبد العزيز الذي رأى أن الأمير سلمان كرئيس لمجلس العائلة ينوب عنه في رعاية الشقيق إلى أن يبرأ وتخفيف أعباء المسؤولية الإستثنائية عن كاهل والد الجميع.

وفيما الأرض السياسية تهتز لدى دول عربية عدة ولا تتقطع المجادلات العقيمة في شأن من يتّأسس هنا؟ وهل أن الذي يتّأسس هناك يجب أن يبقى؟ ومتى يرحل المترسّون هناك... وهكذا، ومع إهتزاز الأرض السياسية وما يرافق ذلك من دم يراق على جوانب أطرافها وطوائفها وكرامات تُنتهك بأقذع المفردات ويرتفع منسوب القلق على الحاضر والخوف من المستقبل، يواصل الإستقرار مسيرته في المملكة ويؤدي أهل المسؤولية الجديدة الذين تم إختيارهم واجب ثقيل التعزية بمن رحل وفي اليوم نفسه أو الذي يليه واجب التهنة بالمسؤولية الجديدة وتعم النفوس طمأنينة ما أحوج المواطن المغلوب على أمره في دول عربية عدة إلى مثل هذه الطمأنينة التي يغبط شقيقه السعودي عليها.

لولا متابعتنا على مدى أربعة عقود لمسيرة الأمير سلمان بن عبد العزيز وكيف يدير شؤون «دولة الرياض»، أو فنقل إمارة بحجم دولة، على هدى تتقيف فكري - ديني - عروبي - إسلامي مستحضراً في كل خطوة يخطوها والده، وكذلك كيف أن أبواب ديوانه ليست موصدة أمام أحد، وكذلك أيضاً كيف أن أهل القرار العربي والإسلامي والدولي عندما يزورون المملكة شديداً الحرص على أن يصغوا إليه كرمز للمستقبل السعودي وكرجل دولة يعينهم الوقوف على رؤيته، كما أنهم يحرصون على أن يزورهم في دولهم وتكون الزيارة والمحادثات إستكمالاً لرؤية الأمير بينون في ضوءها سياسات أو يُعدّلون أفكاراً... إننا لولا هذه المتابعة التي تشمل أعمال خير نوعية ترفع من معنويات المحتاجين إليها وبالذات ذوي الحاجات الخاصة، ولولا التواضع والحرص على عدم التقصير إزاء أي محنة إنسانية عربية وإسلامية من فلسطين إلى قلب أوروبا وبصرف النظر عن الظروف السياسية، كما الحال مع إخواننا قادة العمل الفلسطيني، لكان قلقنا كمحبين ومقرّرين للأمير سلمان كبيراً. إلا أن الرجل صاحب تجربة غير مسبوقة بهذا الشمول وشكّلت روافدها ما يجوز إعتبار

«السلمانية» مدرسة لطالما رفدت المجتمع السعودي بمثأثرين بها. بل حتى يجوز القول إن رفيق الحريري ك «رجل أعمال»، والذي طالما كنا كإعلاميين مثله من زوار ديوان الأمير سلمان، إكتسب من أسلوب أبو فهد في إدارة شؤون الناس ومن تواضعه ومن متابعته ومن نخوته ومن نوعية إهتماماته في ما يتعلق بالعلم وأعمال الخير ما جعله يتأهل لكي يتّأسس حكومة تعيد إلى لبنان رونقه وهو رونق لم تكتمل مراحلها بعدما إستشهد وهو كونه وافداً نزيهاً ومنزهاً على مجتمع ميليشياوي «محروس» من شقيقة حاسدة وشقيقات ثوريات مستهترات بالخصوصية الوطنية والسيادات. ومن كان يتحلّى بالصفة المتعددة الجوانب لجوهر أولويات «السلمانية» التي هي مدرسة للمعرفة السياسية المتزنة والواقعية في زمن الإنفعالات والخطوات غير المحسوبة التي طالما أوقعت كثيرين في شر رهاناتهم، لا يعود القلق عليه من الإعصارات المتتالية التي تعيشها المنطقة كبيراً. لكن الخشية تبقى في أي حال واردة ومشروعة. فالأمير سلمان يتولى المسؤولية المتقدمة فيما المشهد العربي والإسلامي مدعاة للرهبنة. أمامه مصر المأزومة كما لم تتأزم بهذا الشكل من قبل والمؤمل في ضوء حل معضلة ملء فراغ رئاستها بالإخواني الدكتور محمد مرسي إنفراج تأزمها وهذا ما يثلج قلب الأمير سلمان الذي يحبها والتي كما الشقيق الغائب الحاضر سلطان بن عبد العزيز كانت لو طالت المواجهة وتطورت الأمور في زمن العدوان الثلاثي عليها عام 1965 ستجد أن الشقيقين اليعربيين سلطان وسلمان بين المتطوعين دفاعاً عنها. وأمامه لبنان الدائم في خاطره والذي وصلت الحالة فيه إلى أنه أشبه بقارب «إتفاق الطائف» يحاول جاهداً الإبحار إلى شاطئ الأمان متخطياً عاصفة لا ترحم ولا يقتنع أصحاب هذه العاصفة أن من يحفر الحفرة لأخيه يقع فيها. وأمامه السودان الذي لا تُصدق الأمة، كيف أن «الإنقاذ» و«الإنقاذيين» تسلّموه لحماً وعظماً ثم ها هو جسد صريع الهزال بعثروه شر تبعثُر يحاول كبير زعمائه الشعبيين الصادق المهدي إنقاذ ما سيكون من المستعصي إنقاذه وتحت مطلب أساسي يتلخص في عودة السودان إلى أهله، أي إليه وإلى أحزاب نالت في منتصف الستينات فرصة أن تحكم فيما لم يستقر قادتها على رأي فتصدى لهم الجنرالات وجعلوهم كعصفٍ شبه

ظل الأمان والأمن... وتتمنى لو أن الشيء نفسه يحدث في دولهم.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 8 يوليو (تموز) 2012

* * *

من الصهر المحظوظ حسين إلى الخُل الوفي مُناف

إستضعف الرئيس صدام حسين الكويت فغزاها يوم 2 أغسطس/ آب 1990 تحت «حيثية» تاريخية بأن الكويت جزء من العراق. وما لبثت «المحافظة التاسعة عشرة» أن استعادت سيادتها بحرب عربية - إسلامية - دولية قادها الرئيس جورج بوش الأب ورئيسة الحكومة البريطانية مارغريت تاتشر وأعادت العراق كما وعد بوش إلى العصر الحجري، ثم جاءت صولة بوش الابن وحليفه البريطاني رئيس الوزراء طوني بلير (مستشار العقيد معمر القذافي لاحقاً) تلغي دور العراق كرقم صعب في المعادلة الإقليمية. وكان الإنطباع العفوي لدى إخواننا الخليجيين ولأطراف العاقلة من أبناء الأمتين أن الذي أصاب العراق هو «لعنة الكويت» شبيهة «لعنة الفراعنة» التي قيلت كقصاص يصيب العابثين بالثواب أوطاناً كانت أو شعوباً أو خصوصيات. وإستضعف الرئيس حافظ الأسد لبنان فإقتحم نقاط الضعف فيه وكذلك ضعفاء الولاء الوطني وذلك تحت «حيثية» إنقاذ طائفة من أطياف ساهم النظام الذي يقوده في شد أزرها وتوظيفها ضمن رزمة من الشعارات لعل أبرزها الممانعة للجشع الإسرائيلي الذي سبق أن ضم الجولان إلى خريطة إحتلالاته للأرض العربية. ولم يجد لبنان من يسانده ويعيده دولة لها رئاساتها وصيغتها سوى «إتفاق الطائف» الذي ساء الحكم السوري أن يؤخذ به، فكانت الجولة الثانية من التعامل السوري مع لبنان أكثر تعقيداً من الجولة الأولى، الأمر الذي أوجب حدوث ضغوط دولية تلازمت مع حدوث إغتيالات أبرزها تصفية رفيق الحريري أحد أهم أربعة أقطاب من الطائفة السنية شغلوا منصب رئاسة الحكومة اللبنانية إلى جانب الزعامة الشعبية وهم حسب التسلسل رياض الصلح

مأكول. وأمامه البحرين المستضعفة من إيران الإستكبار والإحتلال لجزر الإمارات، والكويت التي يدفع بها بعض زعاماتها إلى هاوية التأسلم و«الدينوقراطية» متناسين تراثها الديمقراطي العلماني بنقهم الإسلامي بخشوع. وأمامه دول الجناح المغاربي من الأمة التي أحوالها في علم المجهول. وأمامه اليمن التي هي بين حشَم الأمر وعدمه مما يعني أنها مثل المتعنت الذي أراد السباحة من شاطئ إلى شاطئ مقابل وعندما إجتاز نصف المساحة شعر بإجهاد ثقليل ولذا فهو لا العودة ممكنة ولا مواصلة السباحة متيسرة. وأمامه العراق يا لسوء حظ بلاد الرافدين من الذي جرى لها ولما يجري فيها والمرشحة لأن تصبح جمهورية متعددة الروافد السياسية الطائفية وليس المائية. وأمامه الأردن الذي ملكه لا هو مع الثوريين بتوافق ولا مع الإسلاميين بتهادن ولا مع «الأردن الفلسطيني» بالأمان المطلوب.

تلك هي أحوال الأمة التي تنتظر الرأي السديد والحكيم في إصلاح الحال وذات البين وهذا ما بدأه الملك عبدالله بن عبد العزيز مسترشداً بما فعله الوالد المؤسس من قبل حيث لم تنته أحوال المنطقة زمنذاك على أن يؤسس بما يحقق الإستمرارية والإستقرار وبما يُسعد الناس، وبصرف النظر عما إذا كانت تطلعات هؤلاء دون ما تستوجبه متطلبات الإستقرار. وطوال خمس سنوات كانت الظروف الصحية حاضرة في المشهد القيادي السعودي وكان الرحيل المتتابع في فترة زمنية قصيرة للركنيتين الأساسيين في القيادة ولي العهد الأمير سلطان ثم ولي العهد الأمير نايف. وكانت الظروف التي نشير إليها هي التي جعلت على ما يجوز الإعتقاد تقديم الإنشغال بالتطورات العربية العاصفة على تسريع إنجاز خارطة طريق للإستمرارية وفق ما يشبه الدستور بتسمية نظام «هيئة البيعة». ومن الجائز الإفتراض أن وجود الأمير سلمان في المقام الجديد ولياً للعهد سيكون ملء فراغ في عملية نظام تفعيل الهيئة، وأنه سيكون الساعد والمساعد لخدام الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في رسم معالم الإشراف المتأني للأصلح من جيل أحفاد الملك عبد العزيز الذين تقع عليهم مسؤولية أن يكونوا في مرحلة التأسيس الثاني للمملكة عند حُسن الظن بهم من شعب المملكة ومن شعوب الأمتين التي تتأمل ما يحدث في السعودية وكيف أن الإستقرار يلزم الرخاء وكلاهما يسودان في

وصائب سلام ورشيد كرامي ورفيق الحريري. وبعد الإغتيالات وبسببها كان الخروج القسري للوجود العسكري السوري من لبنان ليحل محله وبالتدرج الترحش بكافة أنواعه وإبتكاراته إعتقاداً على «اللوبي السوري» في لبنان الذي جمع رمزيّ الزعامة الشيعية نبيه بري رئيس حركة «أمل» وصاحب البرلمان الذي لا قدرة لغيره على الإستحواذ به والسيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» إلى إثنين من الرموز السياسية الشعبية هما طلال أرسلان المتقاسم مع وليد جنبلاط زعامة الطائفة الدرزية ثم لاحقاً العماد ميشال عون الذي قلل إصطفاه إلى جانب «حزب الله» وحماسه المفرطة للرئيس بشّار الأسد بعد عداوة مفرطة هي الأخرى ضد النظام السوري، من السند الماروني الأساس لهذا النظام ونعني به سليمان فرنجية الحفيد.

بعد الذي حدث وما زال يتواصل حدوثه في سوريا دماً ودماراً وإنشقاقاً ولهعاً منذ سنة ونصف السنة وتشبه وقائعه في بعض مراحلها تلك الوقائع التي سبق وحدثت في لبنان بين منتصف العام 1975 وحتى إعلان «إتفاق الطائف» يوم 22 أكتوبر/ تشرين الأول 1989، فإن الإنطباع العفوي لدى إخواننا العرب وكذلك لدى اللبنانيين سواء الطيف الخصم للنظام السوري أو الطيف الساكت على الحق المعروف بـ «الشيطان الأخرس» أن ما يصيب سوريا هو «لعنة لبنان» والتي هي عند التأمل في ظروفها وتداعياتها توأم «لعنة الكويت» التي أصابت العراق.

لم تنته «اللعتان» فصولاً. ذلك أنه ما بين غمضة عين وإلتفاتتها وضع الصهر المحظوظ حسين كامل ما خف وزنه وغلا ثمنه ومعه زوجته رغد إبنة الرئيس صدام وبقية أفراد العائلة، في سيارة رئاسية بطبيعة الحال. ووضع شقيقه صدام (على إسم الرئيس) وعائلته في سيارة رئاسية مماثلة وغادر الركب بغداد تحت جنح الظلام متوجهين إلى الأردن حيث إستضافهم الملك حسين حليف الرئيس صدام ومن دون أن يدري (وتلك مصيبة) أن الشقيقتين الصهرين (صدام كامل هو زوج رنى الإبنة الثانية للرئيس صدام) أو كان يدري وتولى ترتيب المسألة (وهنا المصيبة أعظم) جاء من أجل اللجوء السياسي تاركين العم الرئيس صدام يحاول جاهداً درء تداعيات العقوبات والحصار ومداوة خيبة الأمل من التعامل العراقي مع المملكة العربية السعودية وبقية دول

الخليج المصدومة من أسلوب تعامل الرئيس صدام معها وبالذات كيف أن حلاوة الكلام الذي طالما سمعه بعض قادة دول الخليج منه وبالذات الملك فهد بن عبد العزيز والشيخ جابر الأحمد والشيخ زايد بن سلطان، كان نقيض النوايا التي جسدها غزو الكويت. وهذا النوع من الحلاوة للكلام طالما سمعناه من الرئيس حافظ الأسد من خلال كلامه عن الشعب الواحد في بلدين. ولم يقتصر فعل حسين كامل على اللجوء وإنما أعلن بصريح العبارة أن إعتراضاته على النظام كثيرة وقدم نفسه ضمناً للرأي العام الدولي على أنه رجل المرحلة المقبلة في العراق من دون أن يتذكر، أو تذكر لكن لم يُذكر، أنه قبل لجوئه إلى الأردن كان يزيد في عشاء إستثنائي لرموز العشيرة أقامه الرئيس صدام وأراده مناسبة لمحاسبة الذات والممارسات وإصلاح ما يمكن إصلاحه وإنتهاج سياسة جديدة لترطيب الأجواء مع الإدارة الأميركية والأشقاء العرب. وتمثلت المزايدة، كما سمعناها من الخصم اللدود له برزان التكريتي بأن حسين كامل، الذي كان حتى هذا «العشاء السري» الرجل الأقوى برضى العم الرئيس لذلك في النظام ما دام ممسكاً بـ «هيئة التصنيع العسكري» ذات الميزانية الخارقة السخاء وغير الخاضعة للمساءلة والتدقيق وما دام حقق بفعل المصاهرة ترقية من رتبة متدنية إلى رتبة فريق (هكذا دفعة واحدة وخارج سياق المؤهلات وعدم مراعاة الجنرالات أصحاب الخبرة والكفاءة والأوسمة الكثيرة)، بقوله إنه يرى أن الإدارة الأميركية تريد إركاع العراق وإنه في ضوء تجربته كمسؤول عن التصنيع العسكري يرى أنه «بالمزيد من التحمل والكثير من الصبر يمكن إفشال المؤامرة الأميركية». في نهاية الأمر حدث الإركاع وإنهزم أبو علي، أي حسين كامل.

مغامرة حسين كامل كانت شبيهة بمغامرة غزو الكويت من حيث النتائج. فالإدارة الأميركية التي إستدرجت الرئيس صدام إلى الغزو هي نفسها التي وضعت النهاية المأساوية له وللنظام وللعراق. وأما حسين كامل فإن العم صدام إستدرجه للعودة من الملاذ الأردني عن طريق رفيق آخر وأوكل إلى العشيرة أمر محاسبته وكان الحساب العسير تصفية الرجل والد أفعاده إعداماً.

ما فعله حسين كامل، الصهر المحظوظ وكما لم ينل هكذا حظوة صهر آخر عدا آصف شوكت صهر

المذاق كعقيدة يبرع الرفاق فيها حتى طلوع الفجر في التنظير. لكنه بطعم العلقم كحكم ونظام. حمى الله سورية من بقية المكاره وهدى العراق إلى سواء السبيل.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 15 يوليو (تموز) 2012

* * *

كأننا أمام حرب «فيتنام» بطبعة سورية

يقترّب المشهد السوري من الحالة الفيتنامية يوم كانت هنالك مواجهة طاحنة بين فيتنام الشمالية (عاصمتها هانوي)، المدعومة من الإتحاد السوفياتي الذي كان زمنذاك أي في ستينات القرن العشرين في ذروة الشأن العسكري وإلى حد أن الغرب الأوروبي كان يخشى قضم دول من شرقه وأن الولايات المتحدة كانت تحسب له الحساب، وبين فيتنام الجنوبية (عاصمتها سايجون) التي كانت متحالفة مع الولايات المتحدة. وطوال تسع عشرة سنة إستغرقتها هذه المواجهة قبل أن تتجح قوات الشمال في إلحاق هزيمة بالجنوب وتضطر القوات الأميركية التي كان وصل تعدادها على مراحل إلى نصف مليون عسكري إضافة إلى حوالي سبعين ألف جندي من حلفاء صغار الشأن للولايات المتحدة (نيوزيلندا، الفلبين، تايلاند، على سبيل المثال) إلى الانسحاب ثم تستغل قوات الشمال الإرتباك الذي حدث في التاسع من شهر أغسطس/ آب 1974 والمتمثل بأن فضيحة التنصت التي عُرفت بـ «ووترغيت» أجبرت الرئيس ريتشارد نيكسون على الإستقالة، فيبدأ الجنرال جيب بطل فيتنام الشمالية الإنقضاض على العاصمة الجنوبية سايجون ويضطر جنرالات القوات الأميركية إلى المغادرة فراراً بطائرات الهليكوبتر التي كانت تحط على سطح مقار القيادات لتبدأ بعد ذلك في داخل الولايات المتحدة تداعيات فواجع التدخل الأميركي في فيتنام وهي تداعيات مستمرة على الصعيد النفسي إلى الآن، علماً بأن الرئيس جورج بوش الأب ثم الرئيس جورج بوش الابن إفترضا إنهما بـ «إنتصار» يحققانه في العراق قد يجعل الجرح الفيتنامي يلتئم لكن ذلك على ما يبدو لم يتحقّق في العراق ولا نظن أنه سيكون أفضل حال في ليبيا، تاركين الأمر إلى الرئيس باراك أوباما عسى ولعل في إعتقادهما

الرئيس حافظ الأسد وأشرف مروان صهر الرئيس جمال عبد الناصر وجبران باسيل صهر العماد ميشال عون، يندرج في شكل ما ضمن «لعنة الكويت» قريب الشبه بما فعله الخُل الوفي العميد مناف طلاس ويندرج أيضاً ضمن «لعنة لبنان». فكما أن حسين كامل كان عملياً وبفعل المصاهرة الرجل الثاني في نظام العم صدام، فإن العميد مناف طلاس كان يشكل حالة داخل نظام صديقه الرئيس بشّار الأسد لا ترتاح له الحلقات المتكاثرة حول الرئيس. فهو يصطفيه ويطيب له ولزوجته تناول العشاء معه ومع زوجته. ولأن من هو في قمة السلطة وتضطره الظروف أحياناً للفضفضة فإن العميد مُناف على نحو ما هو متيسر لنا كمعلومات كان الخُل الوفي كاسراً بذلك مقولة المستحيلات الثلاث التي أولها الغول وثانيها العنقاء. وعندما تتطور الأمور ويتسع هامش المحنة السورية ولا يعود صدر العميد الرستتي التحمل فإنه بحكم نوعية العلاقة يجد نفسه إما يصارح فتنتفض بعض رموز الطائفة والعائلة الأسدية عليه، وإما يسكت على الضيم السوري عموماً ومأساة الرُبع في الرستن وسائر مناطق حمص والشمال ومعها المناطق القريبة من عاصمة الأمويين التي ساهم والده العماد مصطفى في تقوية أواصرها كوزير دفاع وخُل وفي أيضاً لتبقى طوع إرادة صديقه الرئيس حافظ الأسد فيحتفظ بالمنصب ويرتضي إنتزاع مشاعر النخوة منه، وإما ينصرف طوعاً بعد توضيح ومن دون لجوء أو حمل ما خف وزنه من المال لأنه لا يحتاج ويلتئم الشمل، بما في ذلك الزوجة والابن بعدما إنتهت السنة الدراسية في الجامعة الأميركية في بيروت وبكل حرص على تفادي ما يزعج الرئيس الذي يعاني في دمشق، في رحاب الشقيقة ناهد المستقرة في باريس المستضيئة الوالد مصطفى الذي كما الابن إنسحب بهدوء مكموداً على الفاجعتين، الفاجعة الشخصية بما آلت إليه حال الرئيس بشّار الأسد الذي كما الرئيس صدام بقي يعاند حتى لحظة النهاية، فها هو بعدما لم يصحح العلاقة مع لبنان يخسر سوريا بالتدرج والسند السعودي والخليجي والعرب عموماً ومعظم دول العالم عدا إيران وفنزويلا. والفاجعة الرستنية - الحمصية خصوصاً والسورية عموماً حيث لا يفيد بعد الآن أي توضيح ولا حتى أي إعتذار.

يبقى إنني بهذه الخواطر أعرض ملامح من جديد - قديم «المآثر» البعثية مع التأكيد بأن «البعث» حلو

بيرئ الجرح بـ «إنتصار» يحققه على «إيران النووية» وذراعها الصاروخية في لبنان والتي جدد الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله مساء الأربعاء يوم 18 يوليو/ تموز 2012 يوم فاجعة الحزب والمقاومة بـ «شهداء الجيش العقائدي» في عملية التفجير النوعية في دمشق، التأكيد على القوة الصاروخية كماً ونوعاً مضيفاً أنها مهداة من «الجيش السوري» الذي حقق تقدماً نوعياً في التصنيع العسكري الصاروخي تهابه إسرائيل.

هذا الإيجاز لما حدث في فيتنام يأتي في ضوء إقتحام «سوريا الشمالية» إذا جاز التصنيف أي تلك التي تخوض للشهر السادس عشر على التوالي في المنطقة الممتدة من المحافظة الأكبر حمص، حاضنة رستن مصطفى ومُناف طلاس، إلى حلب والمدن والبلدات المتاخمة للحدود مع الأردن وتركيا والعراق، لعاصمة الأمويين (سايغون سوريا الجنوبية) تشبيهاً وليس تحديداً جغرافياً. وهذا الإقتحام المدعوم عملياً من حلفاء محافظين ومن خارج الحدود وكانوا ذات سنوات السند القومي لسوريا الأسد الابن بعد سوريا الأسد الأب جاء يؤكد أنه ليس أمراً عصياً على «سورية الشمالية» تحقيق الإختراق الأكثر خطورة في القلعة الأمنية للنظام. وهو تماماً مثل المحاولات الحثيثة الكثيرة من جانب قوات هانوي للبدء بالسيطرة المتدرجة على «سايغون» عاصمة الجنوب الفيتنامي المحروسة من قوات أميركية وكما لم تحدث حراسة بهذه الدقة من قبل. وهذا الإصرار على محاولات السيطرة يعود إلى أنه مهما حققت قوات الشمال إنتصارات فإنها من دون إثبات وجودها عسكرياً في العاصمة «سايغون» تكون خاسرة. ومن هنا فإن الإختراق الأمني الذي حدث يوم الأربعاء 18 يوليو/ تموز 2012 في مبنى الأمن القومي في دمشق يندرج في السياق نفسه حول ما نشير إليه من أهمية أن أي سيطرة للمنتفضين على النظام الذي يقوده الرئيس بشار، خارج العاصمة تبقى منقوصة الفاعلية.

وعلى رغم نوعية الإختراق المشار إليه يبقى صمود النظام عنصر تمديد للصراع مع أن ضحايا التفجير غير المحسوم أمر فاعله كانوا قيادات الصف الأول في الإدارة الأمنية للصراع في سوريا (وزير الدفاع العماد داوود راجحة ونائبه أصف شوكت - زوج الابنة الوحيدة للرئيس حافظ الأسد، شقيقة الرئيس بشار وشقيقة العميد

ماهر - ووزير الداخلية اللواء محمد الشعار والعماد حسن تركماني رئيس «خلية الأزمة السورية»).. هذا إلى البعض من القيادات الأمنية الذين نُقلوا إلى المستشفى وبقيت أسماؤهم وحالتهم الصحية طي الكتمان عدا رئيس الإستخبارات هشام بختيار الذي خضع لجراحة.

قد تبدو المقارنة بين الذي جرى في فيتنام وبين العام 1956 وحتى العام 1975 وبين الذي بدأ يحدث قبل سنة وأربعة أشهر في سوريا ونأمل أن لا يستغرق المزيد من الزمن، مقارنة تدعو إلى الإستغراب. ولكن هنالك الكثير من أوجه الشبه. هنالك موقف روسيا مع النظام (عدم تيسير التسوية السياسية) لا يبدو حتى الآن نزيهاً تماماً كموقف أميركا هاري ترومان وجون كينيدي وليندون جونسون وريتشارد نيكسون مع فيتنام الجنوبية ومشاركة القوات الأميركية للقوات الجنوبية في معارك ضد الشماليين تخلصها حدوث مجازر مثل مجازر إرتكبها قوات من النظام السوري في أكثر من بلدة سورية أكثرها بشاعة تلك التي حدثت في «تريمسة» إحدى بلدات ريف مدينة حماه. ومن الجائز القول إن هذه المجازر التي تكررت وكان من الممكن عدم تكرارها لو أنها لقيت إدانات قوية من جانب الحليف الإيراني والحليف الروسي والحليف اللبناني للنظام السوري وبقوة مشاعر الحزن على «شهداء تفجير مبنى الأمن القومي» التي أبدتها هؤلاء وبالذات السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» في خطاب «الذكرى السادسة لإنتصار المقاومة في تموز»... من الجائز القول إن مسلسل التدمير الممنهج لبيوت الناس وعمليات التهجير التي أوجدت ظاهرة «السوري اللاجئ» والمجازر المشار إليها والتي تشبه في تفاصيلها تلك المجزرة التي إرتكبها عام 1968 في قرية فيتنامية ضابط أميركي يدعى وليم كالي وذهب ضحيتها عشرات الأشخاص العزل وبينهم نساء وأطفال، وكذلك الإستيلاء البوذي من إستثنائر الكاثوليك في حكم فيتنام الجنوبية وإلتهام أفراد في طائفة واحدة لمكاسب البلاد على حساب مصالح العباد والقبضة الأمنية لجنرالات وضباط جماعة الحكم في العاصمة «سايغون»، هي في مجملها دوافع إلى المزيد من الإنشقاقات التي أوصلت الحاكمين الجنوبيين إلى السقوط وبالذات بعد إنصراف أميركا عنهم التي خسرت حوالي ستين ألف قتيل وحوالي نصف مليون جريح ومُقعّد ومشوه نفسياً. كما أن المجازر والتدمير المتواصل

والإستتشار من جانب الطائفة (في فيتنام الطائفة الكاثوليكية مقابل الأكثرية البوذية وفي سوريا الطائفة العلوية مقابل الأكثرية السنية) هي التي أوجبت البدء بنقل المواجهة إلى دمشق (سايفون السورية) الأمر الذي يعني في ضوء ما حدث يوم الأربعاء 18 يوليو/ تموز 2012 وكيف أن رموز التخطيط في المواجهة الأمنية قضوا وبفعل تفجير له صفة اللغز لجهة الفاعل وأسلوب التنفيذ، أن الحلفاء الأساسيين وبالذات الروسي والإيراني واللبناني سيعيدون تقييم الموقف. بل إن الروسي سيفضل الإنصراف على نحو ما فعل الأميركي في فيتنام تاركاً أهل الشمال يقتحمون جنوبهم ويوحدون بفضل شجاعة جنرالهم جياب وملهمهم "هوشي منه" البلاد مستبدلين تسمية العاصمة «سايفون» بإسم الملمم. وبعد عقدين من الزمن بدأ المسؤولون الأميركيون يحطون الرجال بين الحين والآخر بطائراتهم المدنية في مطار العاصمة الفيتنامية «هوشي منه» لبناء علاقات مستقيمة بأمل إبراء جراح الماضي.

عسى ولعل لا تطول محنة «سوريا الفيتنامية» أو الطبيعة السورية من الحالة التي عاشتها فيتنام ثم إنتهى الأمر إلى أنها دولة مستقرة وذات تاريخ مشرف.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 22 يوليو (تموز) 2012

* * *

كي لا تسقط سوريا ليبقى النظام..

قراءة في حوار

كانت الإطلالة الأولى للعميد مناف مصطفى طلاس من على شاشة فضائية «العربية» يوم الثلاثاء 24 يوليو (تموز) 2012 تحتاج إلى الكثير من التوضيحات، ذلك أن العميد مناف لم يعلن من خلال إطلالته «البلاغ رقم واحد»، ولم يظهر مرتديا الزي العسكري، وإنما كما يظهر خارج الخدمة أو كما كان يراه الناس في أوقات مضت بصحبة صديقه الرئيس بشار من دون إستعمال المشط، تاركا التسريحة «الشبليكية» على ما هي عليه، والتي كانت تغطيها في الواجب الوظيفي القبعة العسكرية لمن هم في رتبة عميد. ففي تلك الإطلالة بدأ الكلام

مترحما على «شهداء هذه الثورة العظيمة» على نحو ما يفعل معارضو الخارج ونشطاء الداخل خلال الإتصال الهاتفي أو عند الإستضافة في استوديوهات «العربية» و«الجزيرة» و«المستقبل»، الفضائيات الثلاث التي تشكّل إلى جانب إفتتاحيات زميلنا رئيس تحرير «الشرق الأوسط» طارق الحميد طليعة مواجهة نظام الرئيس بشار بالتعليق والصورة إلى أن يسقط. وذلك كان حال هذا «الكوماندوز» الإعلامي منذ أن بدأ الرفض البشري للمسعى العربي لإختصار الأزمة خشية أن ينتهي الأمر كما هو الحال بعد أكثر من ثمانية عشر شهرا إلى أن سوريا تتساقط لكي يبقى النظام، أو بتشبيه أدق لواقع الحال أن سوريا تتساقط في ظل نظام يتصدع.

في الإطلالة التلفزيونية الأولى للعميد مناف طلاس دعا إلى «سوريا جديدة لا تقوم على الإنقام أو الإقصاء أو الإستتار»، وإلى «الثورة على الفساد والطغاة»، وإلى «الحفاظ على مؤسسات إختطفها أفراد أو أفقدها مكانتها..».

الكلام في مجمله نصائحي، والمتحدث هنا بات خارج الثوب العسكري، إذن فهو يبعث برسالة مفادها أنه منشق، إنما بلباقة إصلاحية الغرض وعلى طريقة غورباتشوف مع ملاحظة أن «بيروسترويك» التي رفع رايتها هذا الأخير، وتتمحور حول إعادة النظر، زلزلت أرض الإمبراطورية السوفياتية، فتناثرت الجمهوريات بالتدرج، وما عاد في اليد الروسية سوى العناد والمكابرة واقتناص تعقيدات أزمات خارجية من نوع الأزمة السورية لكي يصطاد الثنائي بوتين - ميدفيديف، بعد ميدفيديف - بوتين، في مياهاها العكرة، دافعين بسوريا إلى اللحاق بالعراق كبلد يمعن النظام فيه تدميرا للحجر والفتك ببعض البشر بدل أن يزيد البنيان إرتفاعاً ويقترّب من الناس ومطالبهم المشروعة. ثم لا يتنبه النظام إلى ما يقوله فيعلن «المتحدث الجهادي» أن إمكانية إستعمال الكيماوي والجراثومي واردة إنما في حال تعرّضت سوريا لعدوان خارجي! وفات هذا «الجهادي المقدسي» أن الكلام هنا ليس زلة لسان يمكن تجاوزها، وإنما قرينة تؤذي النظام وكل الشعب السوري بما فيه شعب الساحل قبل الطرف الموجه إليه هذا التحذير غير الموفق.

كلام العميد مناف - أو فلنقل بعد الآن «مناف مصطفى طلاس» فقط، وذلك لأن هذا الفتى المقدام تخلى عن المجتمع العسكري لينتسب إلى المجتمع

المدني - في الإطالة الأولى كان - إذا جاز القول بالأسلوب الإعلامي - أشبه بعنوانين لمقالة مطولة قيد الإعداد، أو برسم الكتابة. ثم جاء المزيد من التوضيح ووضّح نقاط كانت الحروف خالية منها في الحوار الكثير التميز معه، في مدينة جدة التي جاء إليها شاكرًا ومعتزًا ومتحدثًا بنسبة عالية من الصراحة المحسوبة.

وأهمية هذه المقابلة أن الذي أجراها كان طارق الحميد، لأنه كما أسلفنا أحد شجعان مواجهة النظام البشاري وحلفائه من إيران إلى لبنان وبينهما روسيا، ولأنه يرى أن الفترة بين إنضمام مناف إلى الوالد في باريس، والذي سبقه إليها ببضعة أشهر، أكسبت العميد المنشق الكثير من الخبرة في الكيفية التي سيخاطب بها السوريين بمختلف أطيافهم، أي زيادة في التوضيح إن الإبن العميد هنا يجاور الأب العماد. وكلاهما - كما ليس لآخرين من المحلقين في فضاء المعارضة، ربما بإستثناء عبد الحليم خدام المقيم هو الآخر في باريس - من بين الأدرى بحقائق الأمور داخل النظام في سوريا، ومن شتى الأجنحة، وبالذات المربع الأكثر أهمية والممسوكة خيوطه بانتقائية لا تبدو الحكمة ولا الحنكة واردتين في جداول أعمالها.

وهذه الأجنحة هي: جناح الرئاسة والعائلة، وجناح «البعث» والرفاق، وجناح الأمن الذي ما خفي من ممارساته هو الأعظم، وجناح المؤسسة العسكرية التي عمّر الأب فيها كوزير للدفاع وشغل فيها الإبن أحد مواقعها الأكثر حساسية. وعلى ضوء ذلك فإن لدى مناف طلاس أفضل مستشار هو والده في أروق مكان، أي منزل الشقيقة ناهد في باريس، خصوصاً أن عنصر الأبوة هنا يسمح للمستشار بأن ينصح إلى درجة الإقناع، وينهى بصيغة الأمر، وأن عنصر الأبوة لا يعطي لابن حق عدم الأخذ بالنصيحة أو النهي عن أمر غير مستحب.

في حوار طارق الحميد مع مناف مصطفى طلاس كانت الأسئلة خالية من المجاملة وكانت مباشرة. ومن جهة مناف الذي جاء ليعلن في سياق الحوار مع «الشرق الأوسط» الشكر لخدام الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على استضافته في المملكة معتمراً ومشيداً بنخوة المملكة تجاه سوريا والشعب السوري عموماً، بمن في ذلك الطائفة العلوية ومنذ زمن الأب الراحل حافظ الأسد، كلمة حق لطالما عتب ضمناً

على صديقه الرئيس بشار لأنه لا يستحضرها، ولو أنه فعل لما كان حاله وحال البلاد وصلاً إلى ما وصلاً إليه، حيث إن سوريا الوطن تكاد تسقط من أجل أن يبقى النظام الذي يقول عنه العميد مناف في الحوار مع طارق الحميد «لا أرى سوريا بشار الأسد. بقاء الأسد في السلطة بعد كل هذه الأعداد من القتلى يعني أن الاحتمالات باتت ضعيفة، وهو لم يسلك السلوك الأمني ليبقى في السلطة، لكن الأجهزة الأمنية التي كنت أخالف رؤيتها شوشت الرأي لديه، والأخطاء في السياسة أحياناً قاتلة».

من المؤكد أن مناف مصطفى طلاس سيسدي دفعا قويا للحراك المتواصل في حال ارتأى أن يتخلى عن الكثير من التردد في الإضاءة على قضايا وردت تلميحاً في الحوار خصوصاً حول الـ «هناك من الدائرة المحيطة به الذين سهّلوا له حجم الأزمة، وبالتالي فإنه فضّل أن يتعامل معها بالإطار الأمني»، وحول الدور الإيراني الذي يعرف عنه ولا يعرف، بمعنى أن الحديث حالياً من جانبه لا يخلو من مخاطر يفضل النأي عنها لأنه «طالبُ أمان لعائلته وأولاده»، ولأنه أيضاً «عميد مدني» في أي سعي «لتوحيد شرفاء داخل سوريا وخارجها من أجل وضع خارطة طريق تُخرج سوريا من الأزمة»، وفي منأى عن الاجتثاث، الذي ما زال مع الأسف بنداً في جدول أعمال حكومة الرئيس نوري المالكي في العراق والذي - أي الاجتثاث - موضع هوى الحكم الجديد في ليبيا، وإلا فما معنى النكران المباغت لدور بالغ الأهمية قام به الرائد عبد المنعم الهوني الذي كان أول من اتخذ موقفاً معترضاً من رفيق الثورة معمر القذافي يشبه إلى حد كبير موقف العميد مناف طلاس من صديق العمر بشار، في ذروة إزدهار التفرد القذافي على مدى عقود في إدارة البلد، وارتضاء هذا الضابط المقدم منصب ممثل ليبيا لدى الجامعة العربية، إلى أن ارتأى الحكم الجديد الإستغناء عنه مع أنه يستحق، كما أحد رموز التنوير الإسلامي المرجع القانوني إبراهيم الغويل، أن تكون هنالك إصغاءات إليهما وإلى آخرين كثيرين، وفي منأى عن أوهام الإصلاح بالإنقاذ والاجتثاث. عسى ولعل ينحى النجم الليبرالي الدكتور محمود جبريل في حال ترؤسه الحكومة المنحى نفسه الذي سلكه الدكتور إياد علاوي، خصوصاً أن الجامع المشترك بينهما أن فوزهما في الانتخابات كان مبهراً، وأنهما نتاج معترض

من نظام سقط.

يبقى القول إن مناف مصطفى طلاس أجهد لسانه لجهة ضبط كلام سييء إلى رفيق صباه بشّار الأسد. فتلك قاعدة «العيش والملح» التي إلى جانب الحفاظ على المكانة الأرفع التي إعتدها والده مع الرئيس حافظ الأسد تستوجب «حفظ الجمائل». أما بالنسبة إليه فالأمر ينحصر في ذكريات بقيت حلوة وموضع حسد الحاسدين إلى أن فقد القدرة على تحمل ما يجري فقرر أن يقول ما معناه وداعاً أيها الرفيق الصديق الذي ستكتشف أن نصيحة مني، ومن ناصحين آخرين إذا هم وجدوا بمن فيهم المخضرم «أبو جمال» الذي ما عدت أنت ومن حولك تتحملون تخريجاته، كانت ستغنيك عن عذاب الضمير، وتذكرك، وسط هذا الميدان الذي يمتلئ بالدمار وضحايا أبرياء، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «الحكمة ضالة المؤمن، فكل كلمة وعظمتك وزجرتك ودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم»، وقول الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): «ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك فإن عليه ممرك».

ولو أن الرئيس بشّار، هكذا نستخلص من مجمل حوار مناف مصطفى طلاس مع زميلنا طارق الحميد، استحضر القولين الكريمين اللذين أوردناهما لكانت الأمور في أي حال أفضل مما هي الآن، وأفضل بكثير مما ستؤول إليه في حال تواصل التعامل مع الأزمة وفق قاعدة: فلنسقط سوريا ليبقى النظام.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 29 يوليو (تموز) 2012

الوحدة الوطنية بمفهوم سلمان بن عبد العزيز

كنا في إستمرار عندما نتاح لنا فرصة لقاء الأمير سلمان بن عبد العزيز كأمر للرياض، سواء في ديوانه في قصر الحكم أو على هامش زيارات له خارج المملكة، نسمع منه الكلام الذي يقال بعفوية عن أهمية الوحدة الوطنية التي يحتاجها كل بلد عربي، مع تركيز على ضرورتها القصوى بالنسبة إلى لبنان وفلسطين ذلك لأن صفة التنوع لدى هاتين الحالتين تستوجب تعميق

مفهوم الوحدة الوطنية.. هذا في حال إستعصى الحل الذي نبديه أمام الأمير في لحظة فقدان الأمل بالإستقرار وهو أن لا علاج أفضل لهما من أن يتبنى المجتمع الدولي إعلان كل من لبنان والدولة الفلسطينية دولتين محايدتين مكفولتي الأمن والإستقرار دولياً شأنهما في ذلك شأن سويسرا المحايدة بإمتياز والمستقلة بإرادة دولية ومزدهرة إلى درجة أنها خزينة أغنياء العالم. وبهذه الوضعية لا يعود شبح التقجير يُخيم عليهما كما لا يعود السلاح في أيدي طيف يشكل أداة ضغط على بقية أطراف الوطن، بل وعلى مؤسسة الحكم نفسها وهذا ما يعيشه لبنان في ظل معضلة "سلاح حزب الله". كذلك لا يعود هنالك طيف فلسطيني يتنقل وفق "أجندة" دولة خارجية ودولة إقليمية، عربية كانت هذه الدولة مثل سوريا أو إسلامية مثل إيران وإنما يوحد الصف ويأخذ الذين إنقسموا على بعضهم في الإعتبار أن فقدان القضية عنصر الوحدة الوطنية هو أحد مقاتل هذه القضية.

والوحدة الوطنية كما استوعبنا معانيها من أفكار الأمير سلمان تبدأ بعدم الأخذ بأسلوب الإلغاء، أي بما معناه لا يلغي طيف طيفاً آخر وتلك هي الظاهرة التي إتسمت بها معظم الأنظمة الثورية الحزبية العسكرية أو العسكرية التي تحزبت بعد ذلك لكي تعطي الحكم شرعية ذات صبغة عقائدية. وهذه الأنظمة إحتكرت الدور الوطني بمعنى أن هذا الدور بقي مغيباً إلى أن تسلمت هي الحكم، بل إن استقلال البلد نفسه بقي في رأيها منقوصاً إلى أن بدأ عهداها. وبسبب هذه النظرة أصبحت الوطنية والإستقلال والبناء الصحيح من صنّع طيف وأما بقية الأطراف فلا دور لها يُذكر.

بعد الذي حدث في مصر وليبيا والعراق والسودان واليمن وتونس وما هو يتواصل حدوثاً في سوريا، ونسمي هذه الدول على سبيل المثال لا الحصر، نلاحظ أن العلة الأساسية هي في أن مجموعة من طائفة أو من طيف حزبي ما أن تصل إلى الحكم حتى تنكر على الآخرين دون إستثناء دورهم الوطني، هذا إلى جانب إرفاق الإنكار بممارسات بالغة الإساءة.. وبالنسبة إلى سوريا بالذات حيث إنكار دور الآخرين أو آخرين في العملية الوطنية وإختصار هذا الدور في شخص يقود النظام بفعل ظروف الأمر الواقع المقتد إلى الديمقراطية أو إلى التشاور، كان الدافع إلى هذه الإنتفاضة التي

جرى التعامل معها بأسلوب التأديب ومن دون التعمق في المخزون الهائل من الغضب والعتب في النفوس لأن النظام يرى أنه وحده الوطني ووحده الجدير بالحكم وأن الإعتراف غير وارد بمساهمات قدامها الآخرون. وفي هذه الحال فإن المواطن عندما يرى أن نظره حاكمه هي على النحو الذي تشير إليه فهذا يعني أنه ملغى. ومثل هذا الشعور إضافة إلى ضغوط معيشية تثقل الكاهل وإلى تضيق على حرية التعبير والتنوع وتحريم للنقد حتى إذا كان الهدف منه التنبيه، يجعل المواطن بطبيعة الحال يرى الخلاص في التغيير الذي يأتي بفعل إنتفاضة أو ثورة أو ما هي بين الإنتفاضة والثورة، أي فورة غضب جامع على النحو الذي حدث في مصر وكان إحتكار النظام للدور الوطني وما يتنوع عن هذا الدور من إيجابيات وعدم الإعتراف بمساهمات الآخرين من أبرز أسباب تلك الفورة التي إنتهت بأن غير المعترف بمساهماتهم في العمل الوطني وبناء الدولة أي "الإخوان المسلمون" فازوا برئاسة مصر. وما هو وارد حدوثه في سوريا لن يختلف كثيراً عن الذي حدث في مصر لجهة حتمية التغيير.

بالعودة إلى مفهوم الأمير سلمان للوحدة الوطنية نستحضر كلاماً قاله أمام نخبة فكرية وفي رحاب الجامعة الإسلامية في بقعة مقدسة هي المدينة المنورة قبل بضعة أشهر (الثلاثاء 29 مارس/ آذار 2011) ولخص فيه مفهوماً للوحدة الوطنية بعيداً عن التظلمات العقيمة، التي يشتهر بها الثوريون والحزبيون. ففي المحاضرة التي ألقاها يومذاك قال: "قبل تأسيس الدولة السعودية الأولى كان في كل إقليم دولة، وفي كل قبيلة دولة، وداخل كل دولة من هذه الدول دول متناحرة". وأضاف: "لا يوجد أسرة أو قبيلة في هذه البلاد إلاً ولأبائها أو أجدادها مشاركة فاعلة في توحيد البلاد وبنائها وتعزيز قوتها ورسالتها. والجميع في هذا الوطن جزء لا يتجزأ من هذا الإنجاز التاريخي لهذه الدولة المباركة وأسهم حقيقة في بنائها ووحدها وتماسكها...".

هذا الكلام يكتسب أهمية نوعية كونه إحدى الوصفات العلاجية للأوضاع العربية وبالذات للدول العربية التي بدأت براكين غضب وإحتقانات في نفوس أطراف عريضة من أبنائها تنفث تحركات في الشارع تطورت في سوريا إلى مشروع حرب أهلية بعد تحويل النظام نفسه إلى طرف يعادي شرائح من الشعب. ونقول

إنه إحدى الصفات لأن النظام نأى عن أكثرية الشعب وإكتفى بإحتضان من له ومن يريد الإصطفاف حوله ومن هو في حزبه وطائفته. وهو بذلك لم يحرص على الوحدة الوطنية الواقية. كما أننا نستحضر مفهوم الأمير سلمان وقد بات ولياً للعهد إلى جانب أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي تحمّل ما لم يتحمّله صديق متعاطف مع سوريا من خيبات أمل بالرئيس بشار الذي لم يأخذ بنصائح الملك الصديق وتسامحه. كما أن بشار الأسد كفائد مسلم لم يستوفقه قول الرسول (ص) "أشد الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه". كما لم يستوفقه كأحد أبناء الطائفة العلوية قول الإمام علي (رضي الله عنه) نثراً "يوم المظلوم أشد وطأة من يوم الظالم على المظلوم" وشِعراً "تنام عينك والمظلوم منتبه... يدعو عليك وعين الله لم تتم".

ووسط هذا الإستحضار نتابع العراك السوري بجانبه عراك النظام مع المنتفضين عليه. والعراك الكلامي المستجد بين طيف يعارض بالتنظير ويستبق موجة المخاطر نصيبه من الكعكة ومن دون ركوب موجة المخاطر وطيف إعتد المواجهة متحملاً أقسى أنواع التضحيات. وهنا تستوقفنا مصادفة تسمية الطرف المستبق "مالح" (هيثم المالح) وأن الطرف المتصدي على الفور له "أسعد" (العقيد رياض الأسعد) مما يعني أن الغالبية في أطراف الإنتفاضة على النظام تميل إلى ما يسعد النفس والبلد مستقبلاً ولأنها ذاقت الكثير من الملح على مدى أربعة عقود من الحكم الذي لا يعترف الجالس في القصر بأدوار الآخرين الذين هم بناء الوطن والذين من دونهم يبقى أي نظام عرضة للزلة، وهذا ما يحدث في سوريا منذ سنة ونصف السنة ومن المأمول أن تكون نهايته الكفيلة بإبعاد شبح الحرب الأهلية من خلال إلتفاف المجتمع الدولي حول الخطوة السعودية أمام الأمم المتحدة والتي هي إخراج ووسيلة ضغط أشبه بالإنذار الملطف للقطينيين الدوليين المتلاعبين بالشأن السوري (أي روسيا والصين) وتصحيح لمسار مصادرة حزب وعائلة وسلطة أمنية لبقية مكونات المجتمع السوري، وكيف أن سوريا باتت نتيجة هذه المصادرة رافقة من ممارسات غير إنسانية وغير متعلقة في حق الرأي الآخر، فاقدة عنصر الوحدة الوطنية، مع ملاحظة أن فقدان هذا العنصر يعني حقاً مشروعاً للأكثرية في

ليبيا.. إنتقال للسلطة وتوق إلى الإتحاد «الخامل»

أدى مصطفى عبد الجليل قسطين بدلا من القسط الواحد للمسألة الليبية، وليس واضحا ما إذا كان سيخلد للنوم بمعنى الابتعاد عن الساحة السياسية، أم أن ليبيا الجديدة التي بات «المؤتمر الوطني العام» المنبثق عن انتخابات 7 يوليو (تموز) 2012 هو رأس السلطة الذي سيتولى أعضاؤه المائتان العمل على اختيار الحكومة الجديدة وإعداد دستور للبلاد ثم بعد ذلك التحضير للانتخابات البرلمانية والرئاسية في عام 2013، ستكافئه خير مكافأة، بحيث لا ينتهي مثل نهاية الفريق سوار الذهب في السودان.

يوم الأربعاء 8 أغسطس (آب) الذي سلم فيه مصطفى عبد الجليل الأمانة، والتي هي رئاسة المجلس الانتقالي إلى المؤتمر الوطني (أي البرلمان)، الذي انتخب بعد ساعات محمد المقرير رئيسا له، كان بأهمية يوم 7 يوليو 2012 الذي جرت فيه إنتخابات «المؤتمر الوطني العام» من حيث سلاسة الإجراءات والحماسة إلى حد الانفداع في أداء الواجب الانتخابي، كون مثل هذا الأمر يحدث بعد أربعة عقود ازدهرت فيها ظاهرة الرأي الواحد. وفي تلك الإنتخابات سجل التوجه العلماني الذي يقوده محمود جبريل مفاجأة كتلك التي سبق أن سجلها في الإنتخابات العراقية إباد علاوي، الأمر الذي حقق توازنا قد يصمد في حال كان هناك تفهم له وبما ينتهي إلى ما هو أكثر من التوافق بين التيار الديني والتيار الليبرالي على أن الإستقرار هو في إعتداد ما يجوز تسميته من جانبي، كصاحب قلم متابع بدقة للأحوال العربية على مدى أربعة عقود، «الدينوقراطية»، وهي صيغة تطمئن لها الجماعات الدينية والإشتراكيون بيساريهم المتشدد والمتعقل والعروبيون بمن في ذلك الأطياف الرومانسية، وخصوصا الطيف الناصري الذي ما زال حاضرا في المشهد الليبي على الرغم من تحطيم تمثال جمال عبد الناصر قبل شهور في بنغازي التي كانت ذات يوم أحد أعماقه الشعبية.

وشمة ما يلفت الإنتباه في التحول الليبي، وهو أن رموز المعارضة في داخل نظام العقيد معمر القذافي هم

خوض العراك على أنواعه من أجل التصحيح. كلام الأمير سلمان لا يحتاج إلى الكثير من التفسير لأنه عفوي وواضح ومضمونه أن كل مواطن في السعودية شريك وله سهم في التوحيد الذي أسس وحدة وطنية. وعندما يسمع المواطن مثل هذا الكلام ومن الأمير سلمان بن عبد العزيز بالذات فإنه ضمناً يتباهى ويصبح الجد في الزمن الحاضر يرفع الرأس عالياً بأن والده وجده من قبل شريك في إرساء الأساسات المتينة لهذه المملكة. أليس سلمان بن عبد العزيز رجل المرحلة والأمل المرتجى في عملية التأسيس الثاني للمملكة هو الذي يقول ذلك وعلى الملأ وفي محاضرة أمام نخبة فكرية وجامعية. كما أن أحفاد الزمن الراهن يتباهون أيضاً عندما يسمعون الأبناء وهم يشمخون يقول الواحد منهم: هل تعرفون يا أولاد أن جدكم ووالده وجده من قبل كانوا من ضمن الجمع الذي شارك في توحيد هذه المملكة التي تتعمون بخير الله عليها وبنعمة الاستقرار الذي يسهر عليه قادة مخلصون من بينهم سلمان بن عبد العزيز. وإذا سأل الأحفاد: ومن يجزم بذلك؟ فإن جواب الآباء: يا أولادنا إن القائل هو أميرنا سلمان بن عبد العزيز الذي يشهد عارفوه ومتابعو حركته في مؤسسة الحكم أميراً ووزيراً وولي عهد حاملاً مسؤولية أمن الوطن كوزير للدفاع وفي الرعاية بعمق رؤيته للأمر وتقييمه الصحيح للأوضاع.

وهو بهذا المفهوم للوحدة الوطنية يبعث في نفس أبناء المملكة الطمأنينة مادام الجميع شركاء في بناء التوحيد والذي على هديه تأخذ الوحدة الوطنية مكانتها المستقرة. وهذا المفهوم هو برسم كل من يحكم في دنيانا العربية، أو إنه يتطلع إلى الحكم ويريد لبلده الأمان ولحكمه الإستقرار ووفق رأي فلسفي من الزمن الغابر قاله أرسطو وهو: "إعتبر بمن مضى قبلك ولا تكن عبرة لمن يأتي بعدك".

وليس مثل الرئيس بشَّار الأسد من لم يعتبر ووضع نفسه إلى جانب الذين لم يعتبر بما جرى لهم من رؤساء ثوريين وعقائديين فلا أفادت البلاد ثورتهم وعقيدتهم الحزبية. لعل الآتي أفضل... ويعتبر.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء أغسطس 2012

رموز عملية التحول بدءاً بمحمد المقريف المنشق الأول على حكم القذافي، والذي خاض من خلال إقامته في أميركا وتقلاته في عواصم أخرى مواجهة القذافي رفيق «ثورة الفاتح من سبتمبر (أيلول)» بالبيانات ثم بكتاب توثيقي مع ملاحظة أن إنشقاق الرفيق الآخر عبد المنعم الهوني هو بالأهمية نفسها على الرغم من أنه انشقاق بالتراضي عكس حالة المقريف، يليه مصطفى عبد الجليل الذي شكل إنشقاقه حالة صحوة ليبية، كون الرجل كان الوجه المدني الأعقل في التركيبة القذافية، وبعده محمود جبريل الذي ساد الاعتقاد لدى الليبيين بأنه يقوم داخل النظام في اتجاه إحلال سيف الإسلام محل والده معمر بالدور الذي مارسه في السننيتين الأخيرتين من حكم الرئيس المصري السابق حسني مبارك أحمد عز وآخرون في اتجاه توريث جمال مبارك. المحاولتان مستحيلتان وسادجتان.

وها نحن بعد إسقاط نظام القذافي نرى أن المرحلة الانتقالية، فالمرحلة التأسيسية يتولاها المنشقون الثلاثة: مصطفى عبد الجليل الذي قاد المجلس الإنتقالي بأمانة ونزاهة وتعمل بحيث تقادي أي سقطة كلامية أو مالية بدليل أنه بقي وسطياً كما أنه رفض العرض الساركوزي بتحويل أموال ليبيا المودعة في فرنسا خشية أن تتبعثر ولا يدري أحد أي يد إختطفت ما إستطاعت منها بذريعة ثورية أو حاجة إنسانية.

ومحمود جبريل الذي ترأس الحكومة الأولى ثم إنصرف عنها تحت وطأة إعتراضات الإسلاميين ليرد على الإستهانة به من خلال الإنتخابات التي تفوق فيها على الإسلاميين، وها هو بعد أن تستقر الأمور في عام 2013 سيأخذ على الأرجح مكانته نتيجة الشأن الشعبي الذي حققه.

ومحمد المقريف الذي إرتأى المائتا عضو «المؤتمر الوطني العام» أي البرلمان، تقدير مخاطرته في أصعب الأوقات وتحديه العملي للنظام، ترئيسه للبرلمان الذي لن يعيش سوى بضعة أشهر وبعدها تخضع الأمور لمعطيات جديدة.

وأما التقدير الأهم فكان حرص مصطفى عبد الجليل على تضمين وثيقة «التسليم والتسليم» عبارة تؤكد براءة الذمة مقرونة بتسجيل الشكر للذين أمطروا ليبيا صواريخ أدت إلى زعزعة نظام القذافي وتمكين المنتفضين عليه من إسقاطه فتصفيته في أبشع عملية انتقام. والعبارة

هي: «لا بد من القول إن المجلس الوطني الإنتقالي المؤقت لم يدفع لقوات التحالف درهما واحداً نظير أعمالها، كما لم يحمل الشعب الليبي بأي التزامات مستقبلية نظير ذلك العمل الجبار الذي قام به المجتمع الدولي. وأقول عن نفسي وعن زملائي، إننا نشكر كل من وقف معنا وأيضاً نسامح كل من أساء إلينا...». يا ليت إخواننا في العراق كانوا أقل إستعجالاً وأكثر تنبهاً وبذلك لا تقع بلاد الرافدين في فخ ألعيب بريمر.

ونشير هنا إلى أن دول قوات التحالف لم تأخذ دراهم، لكنها إستعادت ليبيا هذه الإوزة التي تبيض ذهباً والتي في صحرائها ثروات لم يتم إكتشافها بعد. وفي الوقت نفسه، حجبت المكاسب عن روسيا التي تنتقم لذلك بأفعالها الـ «فيتوية» إزاء المحنة السورية.

وما يلفت الإنتباه هو أنه في يوم «التسليم والتسليم» يدعو الرئيس الحالي للحكومة الليبية عبد الرحيم الكيب وهو ليس من الفريق الذي إكتسب الأهمية بانشقاقه عن حكم القذافي (أي محمد المقريف. مصطفى عبد الجليل. محمود جبريل. عبد المنعم الهوني الذي لم ينل الحظوة من النظام الجديد) إلى «اتحاد مغاربي جدي وفاعل». وهو أطلق الدعوة خلال زيارة إلى المغرب يوم «التسليم والتسليم» الأربعاء 8 أغسطس 2012 على رأس وفد ضم عشرة وزراء إجتمع خلالها بالملك محمد السادس وعقد محادثات سياسية - عسكرية مع مسؤولين مغاربة تناولت مصير أموال ليبية مودعة في المغرب ومشاريع إستثمارية تجارية وسياحية أقامها نظام القذافي في المملكة الجارة. وبعد اللقاء والمحادثات قال حول الإتحاد «إن الإتحاد المغاربي هو الوعاء الذي يحوينا جميعاً، بل ويحوي الكثير من أحلامنا ونريد لهذه الأحلام أن تتحقق. ولن يحصل ذلك إلا إذا كان هناك إتحاد مغاربي جدي وفاعل وعنده برامج عملية مدروسة واضحة ونريد لها أن تتحقق وبشكل سريع...».

هنا نجد أنفسنا نقول إن مشكلة هذا «الإتحاد المغاربي» أنه يفتقد إلى حماسة الدول الأعضاء، وأنه منذ تأسيسه كان موضع تجاذب بين الملك الحسن الثاني والعقيد القذافي، كلاهما يريد عمادة هذا الإتحاد. القذافي من خلال ورقة الثروة النفطية. والحسن الثاني من خلال مهابة الملك، فضلاً عن صفته كـ «أمير المؤمنين». كما أن الجزائر كانت لا تتحمل جواراً هادئاً مع المغرب، فضلاً عن حسد ضمني تجاه ليبيا القذافية. وبقيت تونس

وموريتانيا في حالة تجاذب. وهكذا فإن «الإتحاد المغربي» بات إذا جاز التوصيف مثل ذوي الحاجات الخاصة، أي أنه فكرة معاقة ولا خير يرتجى من تحويلها إلى كيان فاعل مثل «اتحاد دول الخليج العربية». ولقد حدثت محاولات إيقاظ «الإتحاد المغربي» من غيبوبته إلا أن المحاولات كانت شكلية وكادت توقظها في لحظة يأس من ضмор الدور الإقليمي للمحروسة، وكذلك الحاجة إلى تأمين أسواق رحبة للعمالة المصرية وخلاف ذلك من الفوائد، فكرة راودت الرئيس المصري السابق حسني مبارك وأخرجها إلى العلن في سياق تصريح وتقضي بأن تنضم مصر إلى «الإتحاد المغربي»، لكن سرعان ما تراجعت الفكرة أمام تحفظات وتساؤلات من بينها: قبل أن تفكر بانضمام مصر إلى «الإتحاد المغربي» الحائر لماذا لا تحقق إتحاداً مع السودان الخائر.

الآن ربما في ضوء الانتشار اللافت للإسلاميين في مؤسسات الحكم في كل من ليبيا وتونس والجزائر وموريتانيا والمغرب يعاد الأمل في إحياء «الإتحاد المغربي»، وقد تنتظر مصر التي تخطو حثيثاً في اتجاه الصفة الإخوانية في مسألة الانتساب إلى هذا الإتحاد وبحيث يكتسب تسمية «الإتحاد العربي الإسلامي». لكن المهم أن يؤكد الإسلاميون، سواء الذين وصلوا إلى قمة السلطة في مصر وتونس وليبيا وإلى مشارف القمة في المغرب وعلى طريق الصعود في الجزائر وموريتانيا، أن حسابات الماضي كانت العلة في أن «الإتحاد المغربي» كان مضيئاً كفكرة، لكنه كان في حالة من الخمول، بل في عتمة دائمة في إنتظار من ينقله إلى النور.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 12 أغسطس (آب) 2012

بشار وبوتين.. رد الجميل المكروه

كانت روسيا بوتين تعيش في صيف عام 2008 ظروفًا تشبه بعض الشيء ظروف سوريا بشار الأسد في عام 2011 - 2012. ففي جمهورية جورجيا التي في إحدى بلداتها وُلد ستالين، والتي كانت قبل إنهيار

الإتحاد السوفيياتي إحدى جمهوريات الإمبراطورية السوفيياتية الماركسية، حدثت أزمة كتلك الصحوات المتواصلة التي حدثت في درعا ودير الزور وحمص وحماء ودمشق وحلب، وإن كانت المنطلقات اختلفت، فاختار بوتين لإسكات هذه الأزمة ما اختاره الرئيس بشار، حيث بدأ الجيش الروسي برا وجوا يلاحق الدولة الجورجية، من دون أن يخالجه شعور بالشفقة على أطفال ومسنين كانوا يتساقطون ولا سبيل لسحب جثثهم من الشوارع أو من تحت أنقاض بيوت دمرها القصف البوتيني الشبيه بالقصف البشاري لمناطق في سوريا، مع فارق أن بوتين يستهدف شعباً لا ينتمي إليه، في حين أن بشار الأسد هو رئيس الدولة، وأن الذين تستهدفهم مدفعية وحدات من الجيش السوري وطائرات من السلاح الجوي هم أبناء الشعب السوري.

وكمثال على بشاعة القصف الروسي الجورجي فإن المراسلين الذين كانوا يغطون الهجمة البوتينية على جورجيا ذكروا في تقاريرهم لوكالات الأنباء والصحف والفضائيات رسائل جاء في بعضها الآتي «إنه أمر مروع. إن الشوارع ملأى بالإنقاض والزجاج المحطم. الجثث لا تزال متناثرة هنا وهناك، كما أن العشرات ما زالوا مدفونين تحت الكتل الخرسانية والمعدنية. ومع تدمير الجزء الأكبر من البنية التحتية تدافع السكان للعثور على الماء والطعام في الوقت الذي ظلت فيه نيران المدفعية تدوي. ونقل الأطباء في مستشفى محلي المرضى إلى قيو خافت الضوء بعد أن أحدثت الانفجارات فتحات كبيرة في الطوابق العليا. وقال أحد الأطباء: (ليس لدينا ما نعطيه لهم ليأكلوه. نقدّم ما لدينا من خبز قليل إلى المسنين لأنهم الأشدّ احتياجاً. لقد تعرض كل شيء للدمار ولا شيء يعمل، حتى المشرحة لا تعمل)».

هذا الذي بدأه بوتين حرباً شرسة على جورجيا يتكرر فصولاً في سوريا، وإنتهى إلى جولات من التشاور في مجلس الأمن. وفي هذا الصدد قال المندوب الروسي لدى الأمم المتحدة رداً على ما إذا كانت روسيا تسعى إلى تغيير النظام في جورجيا «إن هناك زعماء (رئيس جورجيا ساكاشفيلي) باتوا يمثلون عقبة، وأحياناً يتعين على هؤلاء الزعماء التفكير بشأن مدى فائدتهم لشعبهم».

مناسبة هذا الإستحضار للفعل البوتيني بجورجيا

فإنه من النوع المكروه، لأن الجمائل تكون لدرء الخطر عن البلاد والعباد، وليس لإشعال الأوطان حرائق.

صحيفة «الشرق الأوسط» - السبت 18 أغسطس (آب) 2012

يومان إسلاميان بامتياز

أمضيّ يومين في رحاب مكة المكرمة أتابع عن قرب مؤتمر القمة الإسلامية الإستثنائية التي دعا الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى عقدها فيما الأزمة السورية تزداد إشتعلاً وفيما الإرتباك الدولي - الإقليمي - العربي في شأن هذه الأزمة يراوح مكانه فلا النظام في سوريا يتجاوب مع محاولات لتسوية الأزمة بالتالي هي أعقل ولا قادة الجماعات المنتفضة على النظام يخففون من دعوتهم إلى إسقاط الرئيس بشار الأسد. وفي نهاية كل يوم ومن دون أن يأخذ التعقل طريقه إلى أسلوب التعامل مع الأزمة تكون عشرات الأرواح فاضت نتيجة إعتقاد الحل الأمني منذ الشهر الأول قبل سنة ونصف السنة الذي أثبت عدم جدواه هذا عدا الدمار الذي ينشأ عن صواريخ تنطلق من راجمات أرضية أو من طائرات ومروحيات وهو مشهد لم يسبق حدوثه بهذه الشراسة من قبل. ومن المؤكد أن الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي حاول بداية بما أعطاه الله من رجاحة العقل وحُسن التدبير والحرص على أن تتجو الأمة من شر ويلاتها وبالذات الويل السوري الراهن، رأى وفي هدى الآية الكريمة (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أن يحاول من خلال إستنفار الأمة الدعوة إلى مؤتمر يستنهضها ويقال منه بالصوت الأعلى للنظام السوري الممعن إقفالاً للقلوب (بمعنى العقول): كفى تغيباً للعقل تفعله مع شعبك. وكفى إراقة دماء وتدمير أحياء. وبدل الإصغاء إلى كلام أثبتت الممارسة عدم جدواه، إعمل كمسلم بأقوال السلف الصالح في أهمية أن يكون وليّ الأمر متعقلاً وبذلك يسلم من التهور وينقذ البلاد من الويلات إقتتالاً كانت هذه الولايات أم تأسيساً لإنقسام الشعب على نفسه والجيش جيشين.. وبالتالي حدوث الويل الأكبر الذي هو الحرب الأهلية.

هنا إستحضر كباحث وكاتب من التراث المضيء ما

التي تجرأت على الزعامة الروسية، ليست فقط بعض أوجه التشابه بين الذي فعله بوتين وما كرره بشار الأسد بعد أربع سنوات في سوريا، وإنما لأن الرئيس السوري وقف زمناً مؤيداً الفعل البوتيني، معتبراً على ما بدا كثير الوضوح أن جورجيا بالنسبة إلى روسيا مثل لبنان بالنسبة إلى سوريا: فهما دولتان منسلختان وكل منهما (بوتين وبشار) يتطلع إلى استعادتهما. ولم يقتصر الأمر على التأييد السياسي وإنما أهدى بشار الأسد صديقه بوتين بحر طرطوس لتكون فيه بضعة أميال تستقر وتجوب فوقها وربما تحت الماء قطع من الأسطول الروسي. وهذه الهدية البشّارية باتت المنشأة الوحيدة لروسيا في المنطقة، ذلك أن مرفأ طرطوس يجعل سفن الأسطول الروسي التي تجوب مياه المتوسط لا تضطر للعودة إلى الموانئ الروسية على ضفاف البحر الأسود، وإنما تجد الملاذ تحت الشمس الدافئة في سوريا وفي قاعدة متطورة على ضفاف البحر الأبيض.

في ضوء ذلك، هل الموقف الروسي الراهن من المحنة التي يواجهها الرئيس بشار، وهو موقف معطل من خلال إستعمال «الفيتو» عند كل تصويت على أي مشروع قرار لتسوية متوازنة، هو رد جميل روسي على موقف الرئيس بشار، وهو ما يعني أنه كان يدرك ومنذ أكثر من خمس سنوات أن الأزمة الداخلية في سوريا واردة لا شك في ذلك؟ أم أن التعطيل هو للمزيد من التوغل الروسي في الأزمة السورية، وبالتوافق مع الرئيس بشار، وبحيث ينطبق على ذلك قول الأخير في مقابلة مع التلفزيون الإيراني قبل أربع سنوات «إن الحرب الباردة قائمة بالفعل، وإن على روسيا ألا تواجه هذه الحرب من داخل حدودها فقط؟..».

بصرف النظر عما هي عليه الإجابة، وهل هناك عملية إستدراج تمت، بمعنى أن بشار الأسد إستدراج بوتين من خلال أزمة جورجيا وأن الرئيس الروسي يوظف الأزمة السورية لمزيد من إستدراج بشار الأسد إلى معاهدة يتحول الساحل السوري بموجبها إلى خط روسي متربص للوجود الأميركي - الأوروبي في دول الخليج... بصرف النظر عن الإجابة فإن وقوف الرئيس بشار مع بوتين في أزمة جورجيا كان ضد مصلحة سوريا، وأن الموقف الروسي طوال الأزمة التي يعيشها نظام الرئيس بشار الأسد كان لمصلحة روسيا وليس دعماً له. وأما إذا كان الأمر هو مجرد تبادل رد الجمائل

من شأنه أن يهدئ من روع الرئيس بشّار فيخفف من ترويع شعبه وبذلك فرط بعلاقات طيبة مع المجتمع العربي وبإمكانية تطوير علاقات مستقرة مع المجتمع الدولي، كيف كان السلف الصالح قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة يرى أهمية العقل عند التصرف وعند إدارة شؤون الرعية. إستحضر كيف خاطب الإمام علي (رضي الله عنه) ربه بالقول: «رَبِّ مَنْ وَهَبَهُ الْعَقْلَ فَمَاذَا حَرَمْتَهُ، وَمَنْ حَرَمْتَهُ الْعَقْلَ فَمَاذَا وَهَبْتَهُ». وقل للمتقين في ديوان نظامك أن يقرأوا على مسمعك وبأعلى صوت الحديث القدسي (الذي رواه الرسول (ص) عن لسان ربه: «إن الله لا يقبل صلاة عبده ولا صومه ولا زكاته ولا صدقته ولا حجه ولا عمرته ولا قولاً من أقوال البر يقوله إذا لم يكن يعقل، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال له: إسمع فسمع. إفهم ففهم. أقبل فأقبل. أدبر فأدبر. ثم قال له: وعزتي وجلالي وعظمتي وسلطاني وقدرتي على خلقي ما خلقت خلفاً أكرم منك عليّ ولا أحبّ منك إليّ ولا أعلى منزلة عندي، لأنني بك أعرف وبك أعبد وبك أحمد وبك أعطي وبك أعاقب ولك الثواب...».

جاء إلى مكة المكرمة الذين يمثلون المليار ونصف المليار نسمة في العالم وهي نسبة تؤهل الأمة الإسلامية لكي يكون لها مقعد سادس في نادي الخمسة الكبار مالكي سلطة «الفيثو» الذي تتواصل الأزمة السورية دماً ودماراً وتعتيداً بسبب إستعماله من جانب الدولتين اللتين تدعيان وصلاً بسوريا، أي روسيا والصين. ولولا أن مكان إنعقاد القمة الإسلامية الثانية عشرة في تاريخ القمم الإسلامية ليس مكة والداعي هو خادم الحرمين الشريفين لما كانت المشاركة حدثت على مستوى القادة عدا إستثناءات إضطرابية في معظم حيثياتها. ولقد رأينا بضعة قادة بثياب الإحرام بدل لباس الأبهة الذي يظهرون به على شعوبهم أو خلال زيارات خارجية لهم، وبهذا اللباس لم يعد هنالك تمييز لدى المشاهد بين محمد مرسي وصاحب الجلالة عبدالله الثاني والرئيس الشاغل البال الإسلامي محمود أحمددي نجاد وسمو الأمير حمد أو الشيخ صباح والجنرال البشير.

ولكن ما هو الأهم في ما شاهدناه هو ما فعله الملك عبدالله بن عبد العزيز لجهة ترويض المواقف حيث إنه وفي لفظة أخذت شكل رسالة إلى أطراف كثيرة إستبق الساعة التي سبقت إنعقاد القمة بعد تناول طعام الإفطار مساء يوم الثلاثاء 14 أغسطس/ آب 2012 بأنه في

القاعة التي جلس فيها لإستقبال القادة المشاركين في القمة سجل الرسالة اللافتة وهي انه لم يكتف بمصافحة الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد الذي عن مصادفة أو عن سابق ترتيب بروتوكولي كان أول الواصلين وإنما أجلسه إلى جانبه فبدأ في ذلك كمن يمهّد لترجمة دعوته في الكلمة الإفتتاحية للقمة إلى تأسيس مركز للحوار بين المذاهب الإسلامية يكون مقره الرياض، أي بما معناه ضمناً إن ركّني هذا الحوار معقودان عملياً للسعودية تمثيلاً لأهل السنة ولإيران تمثيلاً للمذهب الشيعي. وفي ضوء إنجاز هذا المركز في حال إنشائه أن يساعد على تحقيق ما يراه الملك عبدالله على نحو ما قاله أيضاً في الكلمة الإفتتاحية «إن الحل الأمثل لإنشالنا لا يكون إلا بالأقوياء...»، مضيفاً مخاطباً الذين يمثلون 56 دولة المشاركين في المؤتمر «أستحلفكم بالله أن نكون على قدر المسؤولية وأن نكون جديرين بحملها وأن ننصر الحق مستدركين قول الحق تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)». نلاحظ هنا أن الملك عبدالله لم يستثن شخصه بحيث يقول «أن تكونوا» بدل «أن نكون». وهو بذلك قال ما معناه إن المطلوب هو من القادة المسلمين دون إستثناء، وبذلك نأى عن التفرد والتميز بأن الواجب مطلوب من الجميع. إلى ذلك بدا الملك عبدالله في عبارة «إن الحل الأمثل لإنشالنا لا يكون إلا بالتضامن في زمن لا يعترف إلا بالأقوياء...». كمن يوجه الكلام إلى الرئيس نجاد وبما معناه إن دولة إسلامية واحدة لا يمكنها أن تحقق الهدف حتى إذا كانت نووية وصاروخية خصوصاً عندما تكون بذلك مستقوية على جيرانها بدل أن تكون قوية بهم ويكونوا أكثر قوة بها. كما أنها بهذا الإستقواء تضع المزيد من الحطب في أتون الإحتقان الطائفي والذي يرى الملك عبدالله أن الحوار بين المذاهب هو الوسيلة الأكثر فعالية لتخفيف منسوب هذا الإحتقان.

لفتة الملك عبدالله إزاء الرئيس نجاد كانت كما بدا للمراقب المتابع تحتاج إلى المزيد من الرسائل وذلك كي لا يبدو أن الرئيس الإيراني هو المتميز الوحيد في القمة الثانية عشرة لـ «منظمة المؤتمر الإسلامي» التي إستبدلت تسميتها بـ «منظمة التعاون الإسلامي». وهنا وفي أقل من بضع دقائق رأينا الملك عبد الله يطلب من الرموز الذين طالما أتعبتهم المشاكسات الإيرانية الجلوس حوله وحول نجاد يمينا ويساراً. وهكذا بعد مصافحة ربما

تقنقد إلى الدفء من جانب أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد وأمير قطر الشيخ حمد بن خليفة وملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى للرئيس الإيراني باتت الرسالة كثيرة الوضوح ومضمونها أن هؤلاء القادة يمثلون الخليج الذي يحتاج إلى خطوات تبعث في النفس الشعور بالاستقرار وتأتي من الجمهورية الإسلامية في إيران. وفي السياق نفسه يستغرب المراقب مثل حالي كيف أن الرئيس المصري الآتي إلى القمة مثقلاً بارتباكات ناشئة عن أنه في خطوة مستتسخة من خطوة أردوغانية وأخرى بوتفليقية تجاه مصر المؤسسة العسكرية لم يأخذ مكانته في القمة وإلى حد أنه كان مشاركاً عابراً.

يبقى تعليق عضوية سوريا في «منظمة التعاون الإسلامي» وهو قرار حظي بإجماع 99 في المئة في القمة، أحد أهم القرارات التي إنتهت إليها القمة الإسلامية الثانية عشرة مع ملاحظة أن التعليق يبقى دائماً نوعاً من التأديب الملطف للنظام الذي يتم إنزال عقوبة التعليق به. هذا ما حدث مع مصر الساداتية عام 1979 وشمول التعليق العضوية في الجامعة العربية ونقل مقر الأمانة العامة إلى تونس وإستبدال الأمين العام المصري بأمين عام تونسي. وبقي التعليقان قائمين وعلى وقع عبارة شهيرة للسادات هي «خليهم ياخذوا الجامعة أنا مش عايزها. أنا والسودان (نميري) نص الأمة العربية»، إلى أن قضى السادات إغتيالاً واستعادت مصر حسني مبارك العضويتين ومقر الأمانة العامة ثم حق أن يكون الأمين العام مصرياً. وتدلّياً على أن المسألة مجرد تأديب من دون فعالية أن التعليقين كانا على الأرجح سيستمران لو لم يقض السادات إغتيالاً. ذلك أن التعليق كان ضد انفراد السادات بعقد معاهدة مع إسرائيل وها هي المعاهدة مستمرة. وبالنسبة إلى النظام السوري فإن التعليق في حال بقي تأديباً ملطفاً لن يشي الرئيس بشأراً عن مواصلة رهانه الأمني وبحيث ستتأثر سوريا بشراً وحجراً إلا إذا هو إرتأى وفي صحوة مفاجئة الأخذ بإعتقاد العقل سراجاً منيراً وعلى نحو ما أشرنا إليه في سطور سابقة وبالذات ما قاله الإمام علي بن أبي طالب وما يتضمنه الحديث القدسي.

في أي حال كانت القمة الإسلامية الثانية عشرة هي قمة تسجيل حجم المعاناة التي تعيشها الأمة. وكانت ظروف إنعقادها بدعوة من الملك عبدالله بن عبد العزيز وفي مكة المكرمة مثل ظروف القمة الأولى التي

إستضافها والده الملك عبد العزيز عام 1927 وفي مكة المكرمة. طيب الله ثرى الوالد المؤسس الأول وأطال الله عمر الإبن الذي هو رمز التأسيس الثاني. وبين قمة الأب وقمة الإبن قمم إستضيفت في الرباط ولاهور والدار البيضاء والكويت ودار وطهران وماليزيا، ولكنها قمم إفتقدت إلى المسحة الروحانية، إلى أن جاءت القمة الثانية عشرة في مكة بيومها الناجحين بإمتياز (14-15 أغسطس 2012) بروحانية القمة الثالثة في مكة أيضاً عام 1981 تضي على تعامل المسلمين مع قضاياهم ضرورة أن يعتمدوا العقل في ما يفعلون وأن يعود كل منهم إلى الآية الكريمة (ونُخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً). صدق الله العظيم

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 26 أغسطس (آب) 2012

الإبراهيمي الحاضر.. والنصاح المغيبون

لو أن الرئيس بشار الأسد إستحضر يوم وليّ الحكم وريثاً لوالده الرئيس الراحل حافظ الأسد قول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) للجمع المبايع له: «إن أحسنْتُ فأعينوني وإن رُغْتُ فقوموني» لكان تقادى هذه البلية التي إنتهى إليها حكمه ولما كانت وصلت الحال بسوريا إلى أنها باتت محظية ثلاث دول ذات أحلام إمبراطورية هي إيران الثورة الخمينية التي تتطلع إلى إنبعاث الإمبراطورية الفارسية الماقدة لكل ما هو عربي وروسيا بوتين التي لا تزول غصة قيصرها الجديد من حلقه ويتطلع إلى إستعادة شأن الكرملين الحاضن لجمهوريات مغلوب على أمر شعوبها، والصين التي تزداد تضخماً ويتطلع ورثة ماوتسي تونغ نحو الإنتقال إلى مرتبة القيادة في المجتمع الدولي. وليس هنالك مُهرة يمتطون صهوتها سوى المُهرة السورية التي فاجأهم أنها تريد الإنتلاق من عتمة الإسطبل إلى الهواء الطلق. إنه تشبيه قد يبدو على شيء من التجريد، ولكن تطورات المحنة السورية وتداعياتها والمشاهد المفزعة على مدار الساعة منذ عشرين شهراً تجعل التشبيه ليس فعل تجريد وإنما هو المأساة في أفجع حالاتها، إذ يكفي أن ينفذ

العسكري البشري ومن دون تردد إلا في حالات صحو، التعليمات بقصف مواقع ومن دون رحمة أو إستفسار وهو ما يحصل في زمن الحروب مع أعداء لكن ليس مع أبناء الشعب الواحد. كما يكفي أن يهمل الطيف المنتفض على النظام ويكثر بأنه دمر دبابة لجيش البلاد أو أسقط طائرة مروحية أو فجر مستودعات ذخيرة وأسلحة. إنها ذروة المأساة تصيب نظاماً لم يستحضر رئيسه الوارث عندما حظي بانتخاب له صفة الأمر الواقع قول الخليفة أبو بكر مخاطباً الجمع المبايع «إن أحسنن فأعينوني وإن زغت فقوموني» فكان أن بادر المنتفضون بعد سنوات وبأسلوب الديري والإدلي والدمشقي والحلي وبقية ديار الإنتفاضة إلى إستحضار ما قاله الجمع المبايع للخليفة أبو بكر «والله لو وجدنا فيه إوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا».

في الزمن الغابر كان ولي الأمر يخاف ربه ويهتدي بما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مجالسه مثل "عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة" و"أشد الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه". ونحن هنا نتحدث عن ولاية الأمر الصالحين المصلحين الذين يأخذون بمبدأ النصح على قاعدة «وأمرهم شورى بينهم». كذلك نتحدث عن زمن كان ولي الأمر يستند بأهل النصح والحكمة يرفدونه بالرأي السديد الذي يقيه المخاطر. وهؤلاء كانوا حتى عندما لا يستدعيهم ولي الأمر يبادرون من تلقاء أنفسهم إلى طرُق باب ديوانه فيقول هؤلاء لهذا الممسك بالسلطة العليا ما من الضروري أن يقال له وبذلك يتقي مصيراً عبّر عنه الرسول بالقول «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا». ومن مصلحة هذا الممسك بالسلطة أن يصغي فلا يبقى الحقد عليه أسير أسلوب معالجته وذلك عملاً بقول المقتنّع الكندي أحد شعراء الزمن الغابر «... وليس رئيس القوم من يحمل الحقد». كذلك من مصلحة الممسك بالسلطة أن يصغي أحسن الإصغاء إلى أهل النصح والحكمة ذلك أن هؤلاء يأخذون في ما يفعلون بالآية الكريمة «وما ربك بغافل عما تعملون» ويستأنسون في أدائهم واجب النصح بقول الإمام علي (رضي الله عنه): من حذر كمن بشرك.

إنطلاقاً مما أوردناه، نجد أنفسنا ونحن نتابع تطورات المحنة السورية وتداعياتها نتساءل: هل أفاد سوريا في شيء هؤلاء الذين يتعاملون مع سوريا الفاجعة

والمفجوعين على أنها المحظية التي تُحقق لهم نشوة التحول من الدولة المنتفضة العضلات إلى الدولة القادرة على الهيمنة على نحو ما هي عليه قدرات الولايات المتحدة، علماً بأن الإخفاقات الأميركية بجناحيها الجمهوري والديمقراطي وبالنجوم الـ «الكومبارس» في أوروبا تشكل حيثة لكل دولة وتحديداً هنا للدول السائرة على طريق التنمية مثل إيران وروسيا والصين للنأي عن خوض سياسة التلاعب بمصائر الآخرين وبالذات سوريا التي جعلوها تتزف على لحن ثلاثي مشترك لخصه علاء الدين بروجردي يوم الأحد 26 أغسطس/ آب 2012 أمام الرئيس بشار في دمشق بالقول «أمن إيران من أمن سوريا» قابله الرئيس بشار بما معناه إنه سيواصل الفعل الأمني مهما كلف الثمن متكللاً على وهم إن حدود روسيا تبدأ في طرطوس وأن ترسيم حدود الصين مع المنطقة العربية سيبدأ ذات يوم من قلب عاصمة الأمويين.

كما نجد أنفسنا نتساءل: هل من المعقول إنه ليس في أهل العقيدة البعثية المتمكنة من سوريا من يدعو إلى التصحيح ليس على نحو ما سبق أن فعله الأسد الأب، لأنه لو صحح كما هي أصول التصحيح وإعتمد هو الآخر ما قاله أبو بكر: «إن أحسنن فأعينوني وإن زغت فقوموني» وأجابه سامعوه الذين بايعوه «والله لو وجدنا فيه إوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا» لما كان للأسد الابن الوارث أن يمعن عناداً فتخطياً، وكان هو بنفسه إستتفر العقلاء في العقيدة البعثية فخرج هؤلاء عليه شاهرين النصيحة، وكان سأل النصّاح في مجتمع الطائفة إستتباط الحلول الحكيمة للمأزق الذي وضع نفسه فيه غير متبته للآية الكريمة «وما ربك بغافل عما تعملون» وإلى الحديث الشريف «إنقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» المكمل للحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

ومثل هكذا دواء من حروف مضيئة كان كفيلاً بتبديد الظلام السوري المستديم الحامل في ثناياه ظملاً لا عهد للأمتين بقسوته. عسى ولعل في ضوء المسعى الذي أخذه الأخضر الإبراهيمي على عاتقه تحدث بعض الإنفراجات فيأخذ الحل السياسي فرصته عوضاً عن الحل الأمني الذي لا جدوى منه. ونجيز لقلنا التسطير إستناداً إلى ما نعرفه في الأخضر من مزايا بأن إمكانية تحقيق الإنفراج ليست مستحيلة في حال إنتقل الرئيس

حد تسيّد القضية»...

ومرة أخرى نحدد التساؤل إنما بصيغة الإستهجان إزاء الهلع الحاصل وكيف أن قطاف الرؤوس يتم بالأسلوب الحجاجي وتدمير البنیان بالأسلوب التتري: أليس في أهل العقيدة البعثية عقلاء وأليس في الطائفة العلوية نصّاح أم أنهم كثيرون لكنهم مغيبون.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 2 سبتمبر (أيلول) 2012

* * *

سوريا المغلوبة على أمرها

كنا نتمنى وقد إشتدت المحنة السورية وبات حديث القتل والقصف واكتشاف المجازر المتنقلة وما يتلزم مع هذا المشهد من لقطات خاطفة لأطفال ينفون وأمهات يندبن فلذات الأكباد هو السائد، أن تكون القمة السادسة عشرة لحركة عدم الإنحياز في طهران مناسبة لإستدارة ذات الهدف الإنساني من جانب الدولة المضيفة، بحيث تغتنم مشاركة مائة وعشرين دولة في المؤتمر فترفع الحظر المفروض على رموز المعارضة الإيرانية وتحفز بذلك الرئيس بشار الأسد على أن يعيد النظر في رؤيته للأزمة وتصنيفاته الظالمة بعض الشيء لبعض أطراف المعارضة السورية وفي علاجه الأمني الذي أضاف المزيد من الضرر بعدما اعتقد أنه سيكون مجرد علاج تأديبي للخارجين على طوعه لا يلبث المنتفضون أن يلوذوا بالصمت والصبر معاً على نحو ما حدث سابقاً في زمن والده إزاء الانتفاضة الحموية في الثمانينات. كما كنا نتمنى لو أن أهل الحكم الإيراني أثبتوا وبما لا يدع مجالاً للشك بعد الآن أن مشروعهم النووي سلمي كما سائر المشاريع النووية في دول كثيرة. والإثبات الذي نقصده هو دعوة المؤتمر بكامل رؤساء الوفود أو بمن ينتدبون ومن بينهم الأمين العام للأمم المتحدة وسائر أمناء المنظمات الإقليمية المشاركة إلى القيام بجولة على المنشآت النووية. لكن ذلك لم يحدث فأضيف إلى الانطباع السائد بأن المشروع النووي الإيراني إنما هو سلمي لفظاً وتبريراً لكنه السلاح الذي تُسرّع إيران الخطى في إنجازه كما استعجالها لإنتاج كل أنواع الأسلحة ذات الطابع الإستراتيجي وصولاً إلى إمكانية إطلاق قمر

بشار من فضاء التحدي إلى فضاء الواقعية وأدخل رموز مثلث التدعيم (إيران. روسيا. الصين) تعديلاً جذرياً في مسألة التطلعات الإمبراطورية والهيمنة. وبالأهمية نفسها هنالك المؤهلات المتوافرة في شخص الإبراهيمي وليست متوافرة في السلف الطيب النية كوفي أنان. فالأخضر الإبراهيمي يعربي ومتدين وابن الجزائر التي أبدى رئيسها عبد العزيز بو تليقة من المراعاة لظروف النظام السوري ما جعل قرارات العزلة عربياً أو تعليق العضوية إسلامياً لا تؤخذ بالإجماع، فضلاً عن أن أخلاقيات الأخضر وماضيه الدبلوماسي المنزه عن التلاعب تجيز له أن يصارح الرئيس بشار ويصارح بالمنطق نفسه رموز أطراف الإنتفاضة، وأن يرفق المصارحة بالنصيحة. وأما في الموضوع الثوري ومتطلباته وظروفه فإن الأخضر قادر على أن يقول للرئيس بشار وفي معرض النصح والتنبية ما معناه إن الجزائر دفعت من أجل إستقلالها مليون شهيد على مدى عقود من المقاومة الباسلة للوجود الفرنسي، لكنكم في سوريا تقتلون دون وجه منطق أبناء شعبكم وتدمرون بالآلة الحربية بيوت الناس وهو ما لم يفعله نظام ضد حالة إعتراض إذ حتى في إيران التي تحثكم على مواصلة العلاج الأمني الحربي لم تذهب في التصدي للإنتفاضة الموسوية - الكرومية إلى ما وصلت إليه. وفي إستطاعة الأخضر أن يضيف بأن الحل السياسي لا يبدأ من دون عودة الجيش إلى ثكناته والآليات والطائرات إلى قواعدها والإعتذار من الشعب وإعتبار الضحايا شهداء ومخاطبة المجتمع الدولي والأشقاء العرب بمفردات غير تلك التي أعتدت عليها يا أخ بشار فأضرت ونقلت سوريا من دائرة الإنتفاف حولها إلى دائرة الإنتفاف عليها.

وعلى هامش ضرورة المصارحة ووجوب النصح في إستطاعة الأخضر أن يقول للرئيس بشار ما معناه إن مهمته لن تكون أفضل من مهمة أنان إذا كنت مقتنعاً يا أخ بشار فعلاً بتوصيف الحليف الصديق الإيراني بروجدي للموقف وقوله «إن سوريا وإيران كالفولاذ الصلب لن تستطيع القوى الخارجية مهما بلغت مؤامراتها النيل من دورهما المقاوم في المنطقة». وبتوصيف إحدى وسائلكم الإعلامية (صحيفة «الثورة» عدد الأحد 26-8-2012) لصديقكم السالف أردوغان بالقول: «لم يعد شر البلية يُضحك ما دام كومبارس الإرهاب الأميركي والإسرائيلي أردوغانياً ويتنطح في إدعاءاته إلى

صناعي في حال كان محللاً شرعاً.

لم يفعل أهل الحكم الإيراني ما يأمله الرأي العام العربي والإسلامي والدول الصديقة، وظهروا سواء من خلال المداولات أو التصريحات التي رافقت إنعقاد المؤتمر، أنهم يفضلون الإنحياز على عدمه. والإنحياز إلى التعقيد بدل حلحلة الأزمات.

زيادة في التوضيح نقول إنه لو كان أهل الحكم الإيراني يريدون للسوريين استقراراً وبحيث تكون سوريا دولة صديقة وليست على الحال التي هي عليه، لكانوا أخذوا بنصيحة الإمام علي (رضي الله عنه) التي لخصها بالقول: «صديقك من نهاك وعدوك من أغراك». لكن عندما لا ينهي أهل الحكم الإيراني الرئيس بشّار ويصدر عن كبيرهم المرشد آية الله خامنئي الذي كان ترؤسه للقمة مناسبة لمئات المشاركين من كل دين ولون وقومية كي يتعرفوا عن قرب على هذا الوحيد في العالم الذي يحكم باسم الدين ولا راد لأمره، يصبح من الطبيعي أن يقول الرئيس المصري محمد مرسي وقد لاحظ تجاهل كل من المرشد خامنئي والرئيس أحمد نجاد للأزمة السورية في كلمتي الافتتاح ما قاله حول الموضوع الملتب، وبعبارة لا لف فيها ولا دوران وهي: «الثورة في سوريا هي ضد النظام الظالم وأن الوقوف مع نضال أبناء سوريا ضد نظام قمعي فقد شرعيته واجب أخلاقي مثلما هو ضرورة سياسية وإستراتيجية». وكأنما مرسي، الحديث العهد في الرئاسة والذي جاء إلى القمة مؤكداً صلابته أمام المؤسسة العسكرية المصرية العريقة ذات الدور الوطني والبطولي إزاء مواجهة إسرائيل، أراد بما قاله إفهام دول عدم الإنحياز بأن إيران التي ستنترأس القمة لمدة ثلاث سنوات لا تقوم بالسعي الذي يهدئ الوضع في سوريا وأنه بما قاله أراد إخراج أهل الحكم الإيراني من لامبالاتهم هذه من دون إضمار نية الإحراج لهم، أو لعله أراد إلقاء علامة إستفهام في شأن تأجيجهم للصراع من خلال المساندة الميدانية والمالية والعسكرية للنظام السوري التي تجعل المواجهة حالة نزف يومي ومن خلال التصريحات التي يدلي بها مسؤولون وتحمل في طياتها تشجيعاً للرئيس بشّار على أن يتصرف بما تحبزه الثورة الإيرانية وليس بما من واجبه القيام به لإطفاء اللهب المتزايد إحراقاً للبلد ناساً وعباداً.

وفي إستطاعة الرئيس مرسي الرد على الذين

إعترضوا على كلامه حول المحنة السورية وتوصيفه للنظام بأنه «ظالم» ورأوا فيه أنه إحراج لها أمام مؤتمر طالما تآقت الثورة الإيرانية إلى انعقاده في عاصمتها كونه يخفف من وطأة العزلة الدولية المفروضة عليها بسبب تطلعاتها النووية وتدخلاتها في دول الجوار، بالقول إنه من قبل أن يأتي إلى طهران كان زار الصين وأنه عشية انتهاء تلك الزيارة كانت وكالة الأنباء المرموقة «رويترز» تبث عبر شبكتها الإخبارية مقابلة معه هي الأولى التي يجريها مع وكالة أخبار دولية منذ أن فاز برئاسة مصر في يونيو (حزيران) 2012، قال فيها: «أن الأوان لكي يقف هذا النزيف في سوريا لكي ينال الشعب السوري حقه كاملاً ولكي يذهب من المشهد هذا النظام الذي يقتل شعبه...» ولم يُد أهل الحكم الصيني إعتراضاً على قوله هذا كما الإعتراض الضمني من جانب الثورة الإيرانية التي صدمنا ذلك التلاعب بكلام مرسي بحيث عند ترجمتها الفورية تم إستبدال كلمة سوريا بكلمة «البحرين» ولم يخفف من مهزلة هذا التصرف إعتذار إيران لاحقاً.

لقد إنتهى أمر القمة في طهران إلى أن ما كان الرئيس بشّار يتوقع حصوله عليه لم يحصل، بل إنه بدل أن يوظف الحكم الإيراني - بما لديه من قدرات - المؤتمر لإدراج موقف يخفف وطأة العزلة عن الحكم السوري فإن القمة انتهت عملياً إلى أنها قمة التبرؤ من أي مساندة لموقف النظام مقابل وقفة بالغة الأهمية عبر عنها الرئيس المصري الذي جاء رد وزير الإعلام السوري عمران الزعبي عليه لاحقاً (الأحد 2 سبتمبر/ أيلول 2012) إنفعالياً وغير ذي تأثير. بل إن الذي سمعناه من الوزير هو أشبه من حيث النتائج بما تتسبب به إحدى الطلعات الجوية لطائرة حربية تأمرها غرفة العمليات بعلم الرئيس بشّار أو بتفويض سابق وشامل بقصف أحد الأهداف في واحدة من المدن والبلدات السورية الخارجة على الطوع، ذلك أن القصف يحقق الأذى بالفعل لمن هم في بيوتهم أو متاجرهم أو حقولهم إلا أنه يضيف المزيد من الإساءة إلى سمعة النظام لأنه يطارذ بالسلح الجوي إلى جانب الأسلحة الأرضية منتفضين عليه، مع أن الأمر لا يستوجب مثل هذه الجسارة التي دخلت شهرها العشرين ولا بوارد حسم لها سوى في كواليس كبار اللاعبين في الساحات العربية - الإقليمية - الدولية.

وكما كنا نتمنى أن تفعله إيران ولم يحصل وبذلك بقي النظام البشاري في ورطته وبقيت سوريا الوطن والشعب مغلوقة على أمرها، فإننا كنا نتمنى أن يخرج الوزير الزعبي على أهل الإعلام الداخلي والخارجي بكلام لا يندرج في الأسلوب نفسه الذي سبق أن اعتمدته المتحدث الرسمي المغيب الدبلوماسي جهاد المقدسي فكان المردود مثل كلام الوزير الزعبي من حيث إلحاق الأذى بالهوية بنسبة إلحاق صاروخ من طائفة حربية على أرض سورية الأذى بأفراد سوريين. ونقول ذلك على أساس أن الوضع ليس بالتبسيط الذي قرأناه في كلام الأخ عمران كما أنه ليس مناسباً اعتماد سياسة التهزيء والكيدية في هذه الظروف ضد الأشقاء العرب ومنهم الشقيق لبنان المستضعف ماضياً وحاضراً إنما ليس دائماً على ما يأمل المرء. إذ يكفينا تعكيراً لصفو العلاقات ذلك التشبيه الذي صدر ذات يوم بفعل «زلة لسان» من الرئيس بشار حول «أشباه الرجال». هذا إلى أن ردا يأتي من الرئيس بشار على موقف الرئيس مرسي في قمة طهران ربما يكون مقبولاً إنما ليس من وزير في حق رئيس. وإلى ذلك، فإن الوضع السوري بتداعياته المأساوية لا يتطلب سوى الأخذ بالتسوية العاقلة على نحو ما حصل في اليمن، وها هي الدول المانحة ترفد عهد «يمن التسوية الخليجية» بالمليار دولار الأول من أصل الستة مليارات، وفي اليوم نفسه (الثلاثاء 4 سبتمبر 2012) ها هو الرئيس السابق علي عبدالله صالح الذي تحدى لكنه لم يغادر البلاد يترأس (كما الرئيس السوداني الراحل جعفر نميري فعل بعد إنحائه) إجتماعاً للحزب «المؤتمر الشعبي العام» الذي ما زال رئيسه - والرئيس حزبياً - لرئيس الدولة عبد ربه هادي الذي بمقتضى التسوية العاقلة ترأس البلاد، وبصرف النظر عما إذا كان الرئيس السابق يفعل ذلك لإثبات الوجود أم لتأكيد أن الحكمة يمانية وتتفع في ساعة الشدة يقاسيها الحاكم كما أنها خير وصفة كان من مصلحة الرئيس بشار الأخذ بها ما دام جاءه العرض مرة وثانية وثالثة على صينية من الضمانات، لكن الحليف الإيراني أحبط المحاولة.

أما كلام الوزير الزعبي فيكفي التأمّل في مفردات عباراته للإستنتاج بأنه كلام يقال في غير زمانه وغير ظروفه. ومن هذه العبارات إلى مسألة «الliche» التي أشرنا إليها قوله: «الدم السوري برقبة الرئيس المصري

محمد مرسي» و«أين مصر من إغلاق البوابات بوجه الفلسطينيين ومن الإرتهان الأميركي وأين هي من كامب ديفيد، وأين مرسي من الغاز المصري المصدّر إلى إسرائيل ومن القضايا القومية» و«هناك قنوات فضائية شريكة في سفك الدماء» و«إن المعارضة السورية تمتلك أسلحة إسرائيلية الصنع وهناك العديد من الإغتيالات نُفذت في سوريا مستهدفة شخصيات وخبراء وعلماء تحمل بصمات الموساد الإسرائيلي» و«إن نجاح مهمة المبعوث الأخضر الإبراهيمي يتوقف على قيام دول محددة كالسعودية وقطر وتركيا بالإلتزام علناً بنجاح خطة النقاط الست والتوقف فوراً عن إرسال السلاح وإغلاق معسكرات التدريب والإيواء للمقاتلين وعندها سنختبر نوايا الجميع...».

نخلص إلى القول: إن إستحضار الرئيس بشار لسنوات الماضي الجميل يوم كان موضع رعاية الأشقاء العرب وإهتمام المجتمع الدولي كان يكفي يوم بدأت الإنتفاضة من درعا للمبادرة إلى اتخاذ إجراءات لتدارك الموقف حفاظاً على رونق تلك السنوات وبشائر عوائدها الوفيرة. لكنه لم يتصرف كرجل دولة ولم يستجد كمسلم بالآية الكريمة «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن». وبذلك تسير سوريا على طريق الدولة المغلوقة على أمرها.. أو ما هو أخطر من ذلك. عسى ولعل يُصلح الأخضر الإبراهيمي هذا العطار الوسيط الأممي العربي المسلم عند قدومه إلى دمشق بعد أيام، ما أفسده العناد السوري المشترك (النظام والمعارض)، وعلى هذي الآية الكريمة «إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما». وإننا لننقاع بالخير لعلنا نجده ومعنا الشعب السوري الذي لا يستحق قساوة هذه المعاناة ومذلة هذا البلاء.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 11 سبتمبر (أيلول) 2012

الحوار المرفوض والصراع المقبول

عملاً بالتقليد غير المستحب والذي يشكّل جزءاً من سلوكيات أكثرية دول الأمتين العربية والإسلامية، ونعني بذلك النفور من الحوار الذي هو خير علاج بالنسبة إلى

الثلاث «طمب الكبرى» و«طمب الصغرى» و«أبو موسى».

هل في إستطاعة الأخضر تحقيق فكرة الحوار مدخلاً للبحث في تفاصيل التسوية أم أنه سيعتذر كي لا يحرق شرع مركبه في رحاب «عاصمة الأسديين».. الأمويين سابقاً، أم أنه كحل وسط يأخذ بصيغة واقعة «حوار الأخوة الأعداء» التي سبق حصولها قبل أربع وعشرين سنة بين العراق وإيران. وفي ضوء الظروف، الراهنة أجد نفسي كصحافي واكب وقائع تلك الصيغة، متقلاً بين بغداد والقاهرة والرياض وجنيف ونيويورك، أستحضر وقائع المشاورات والاجتماعات لتحقيق تلك الصيغة وكذلك المعلومات التي تيسرت لي بحكم المتابعة للإضاءة على التقليد العربي - الإسلامي غير المستحب وهو أن الصراع هو المقبول وأن الحوار هو المرفوض الأمر الذي جعل الأزمات العربية من لبنان إلى الفلسطينيين إلى مصر والسودان وليبيا واليمن والعراق وتونس والجزائر، على سبيل المثال لا الحصر، تتفاقم ويتساقط على جوانب هذه الأزمات المزيد من الخسائر المادية والبشرية ثم تأتي الأزمة الراهنة في سوريا لتؤكد حجم الفواجع الناشئة عن أن الحوار لا يعطى فرصته.

وبالعودة إلى عدم إحتمال حدوث معجزة الحوار بين سوريا النظام البشاري وسوريا المعارضة، أو المعارضات المنتشرة في الخارج والمحظية بدعم إعلامي لا ينقذ أحداً من الموت ولا داراً من التدمير، وتفضيل الأخضر الإبراهيمي لصيغة حوار من زمن مضى عوض الاعتذار والإنصراف بكرامة، أعرض بإيجاز كيف جرى الحوار العراقي - الإيراني لتحقيق الإتفاق بعد إقرار الخميني بضرورة وقف الحرب.

في البداية أعلنت إيران يوم 18 يوليو/ تموز 1988 القبول بقرار مجلس الأمن 598 وأبلغت الأمين العام للأمم المتحدة دي كويار قبولها رسمياً. وبعد القبول بدأت الإجراءات لعقد جلسات حوارية بين الطرفين وذلك على وقع إحتفالات عراقية بإنهاء الحرب وموقف رسمي إيراني يؤكد على «أن وقف إطلاق النار لا يعني إنهاء الحرب ولا التآمر على الثورة الإسلامية». ثم إنتهت اتصالات دي كويار إلى ترتيب جلسات حوار في المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف بين وفد عراقي يترأسه وزير الخارجية طارق عزيز (ما زال في السجن وفي

الأزمات، فإن أحد أبرز تعقيدات الأزمة الراهنة في سوريا أن الحوار مرفوض. فالنظام البشاري لا يحاور معارضين، عدا الذين يرتاح إليهم. وقادة المعارضة الموزعين على عدد من عواصم العالم وبعض دول الجوار يرفضون الحوار مع النظام.. أي بمعنى واضح إن كلا منهما يلغي الآخر، وفي هذه الحال أي حوار هذا الذي سيأخذه على عاتقه الأخضر الإبراهيمي المرحّب به من معظم اللابعين بالموضوع السوري عدا الطرفين المتلاعبين: النظام والمعارضة الخارجية كونهما برفضهما الحوار وإلغاء الآخر للآخر، يبدوان متلاعبين أكثر من كونهما لاعبين.

بداية وقد دخلت الأزمة السورية مرحلة مسعى جديد للتهدة آملين أن يكون الدخول في الهواء الطلق وليس في نفق، نتمنى للأخضر الإبراهيمي السلامة فلا يصيبه لا سمح الله مكروه مثل ذاك المكروه الذي أصاب ابن بلده الدبلوماسي محمد الصديق بن يحي حيث إنهم (المجهولون المعلومون) أسقطوا طائرته يوم 3 مايو/ أيار 1982 على الحدود الإيرانية - التركية عندما بدا أن مسعاه كوسيط بتكليف من رئيس الجزائر زمنذاك الشاذلي بن جديد للتوفيق بين عراق صدام وإيران الخميني على أهبة أن يحقق بعض التقدم الأمر الذي يجرح أطرافاً إقليمية ودولية لا تريد للحرب العراقية - الإيرانية أن تتوقف ما دامت هنالك حيوية لدى الجانبين لتحقيق المزيد من الإستنزاف وبحيث يسقط الطرفان صريعاً العناد وفوق ساحات ملأى بالحطام والجثث فضلاً عن منازل لدى عائلات في البلدين الجارين إتسحت بالسواد لكثرة فقدان الأبناء أو الأزواج في حرب عبثية طرفاها في النار.

والقول بأننا نتمنى السلامة للأخضر الإبراهيمي يستند إلى أن الرجل يريد مخلصاً لتحقيق تهدئة سورية - سورية بأمل إنجاز تسوية، تماماً كابن بلده الذي سعى لكسر حاجز رفض الحوار من أجل وقف الحرب مدعوماً بالإرث الحميد لجزائر الرئيس هواري بومدين الذي على يديه تحقّق عام 1975 إتفاق شط العرب بين صدام رجل العراق الجمهوري القوي والشاه محمد رضا بهلوي رجل إيران الإمبراطورية ومن قبل أن يكون هنالك نضوج للثورة الخمينية التي ورثت من العهد الشاهاني سياسة العناد ولم تجد من «مكارم» عهده سوى «فضيلة» واحدة تتمسك بها وهي الإبقاء على إحتلال الجزر الإماراتية

حال صحيحة بالغة السوء يرفض الرئيس نوري المالكي الإفراج عنه) ووفد إيراني يترأسه وزير الخارجية على أكبر ولايتي (يشغل الآن منصب مستشار المرشد آية الله خامنئي للشؤون الدولية). تم التفاهم أولاً على أن يكون الكلام في جلسات التفاوض باللغة الوطنية، يتحدث طارق عزيز بالعربية ويجلس مع أعضاء من الوفد المرافق (16 عضواً) إلى يمين طاولة أعدت ومقاعدتها وفق أسلوب في غاية الدقة، ويجلس مقابله ولايتي وأعضاء من الوفد الإيراني (16 عضواً). ويتوسط وفد الأمم المتحدة الوفدين. وبموجب الترتيبات يدخل الأمين العام دي كويار قبل الوفدين ويجلس وحوله أعضاء الوفد الأممي ثم يدخل الوفدان في وقت واحد وكل من غرفة خاصة به. عند الكلام لا يخاطب طارق عزيز نظيره الإيراني وإنما بموجب سيناريو الحوار المتفق عليه الكثير البرودة أو الجفاف يخاطب دي كويار وكأنما هو ولايتي، ويفعل الشيء نفسه ولايتي عندما يتحدث. وكما هنالك من يترجم كلام كل منهما بلغته الوطنية إلى الآخر فإن هنالك من يتولى ترجمة كلام الإثنين إلى اللغة الإنكليزية لكي يعرف دي كويار ماذا يقول كل منهما. وإستحضر الجانبان أمثلة شعبية وأقوالاً مأثورة لدعم موقفيهما مثل عبارة «ما قل ودل» التي إستعملها طارق عزيز تعليقاً على مطولات ولايتي، ومثل المثل الفارسي الشائع «لكل مقال مكان ولكل أمر موضع» رد به ولايتي على الغمز العزيزي. أما دي كويار فكاد يغفو من شدة الملل والإستغراب لهذا الجدل العقيم بين طرفين من مصلحة كل منهما التفاهم مع الآخر وليس إستعمال مفردات الصراع في اللقاء الذي يتطلب مفردات الحوار الذي يحقق نتائج لمصلحة الشعبين. وعندما يعتذر دي كويار عن مواصلة البقاء في جنيف والسفر إلى لشبونة لإرتباطه بموعد عشاء إلى مائدة رئيس البرتغال يتبين لنا مدى ضيق الأمين العام للأمم المتحدة من التفكير غير المجدي يتسم به أسلوب الطرفين العراقي والإيراني اللذين إنتقلا بعد ثلاث جولات في جنيف إلى التحادث في رحاب المنظمة الدولية في نيويورك. وفي هذه الرحاب لم يتبدل الموقف كثيراً بإستثناء وعود بالمزيد من التعاون في حال إستئناف جلسات التفاوض في جنيف التي أوضح طارق عزيز تفضيله لها بسبب قربها الجغرافي من بغداد وطهران معاً وبحيث إذا دعت الحاجة إلى مجيء مسؤولين لتعزيز الوفدين أو تغيير

بعض الأعضاء على نحو ما يحدث في مباريات كرة القدم، أو ربما لتفادي التنصت على إتصالات الوفد بالمركز، فإن ذلك لن يستغرق أكثر من أربع ساعات طيران بدلاً من 12 ساعة طيران تستغرقها الرحلة من بغداد وطهران إلى نيويورك. أما ولايتي فرأى أن يبقى التفاوض في نيويورك. لماذا؟ ربما لأن طارق عزيز فضّل جنيف ولو أنه إختار نيويورك لكان ولايتي سيقول إنه يفضل جنيف. إنه أسلوب المكايدة.

ذلك ما حدث قبل 24 سنة وكان دون جدوى وتوتعت التداعيات المأساوية للحرب العراقية - الإيرانية. وهذا مرشح للحدث بالنسبة إلى الأزمة السورية أو بالأحرى الحرب السورية - السورية إذا كان العناد سيبقى سيد الموقف. ومرة أخرى ندعو للأخضر الإبراهيمي بالسلامة وللوعي السوري المشترك بإستعادة سريعة. وأما أي روح سورية فاضت أو طفولة تشوهت أو نزفت وأي عجائز أضناهم اللجوء، فإنها في رقاب المتسبب إذا تسبّب عن سابق عمد، والفاعل إذا فعل وأمعن بالفعل، والقادر على درء الخطر لكنه لا يبادر، والمستبد برأيه دون أن يأخذ في الإعتبار أنه في نظر الإمام علي (رضي الله عنه) يهلك شر تهلكة.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 16 سبتمبر (أيلول) 2012

* * *

تلاقي الفرحتين في يوم الوطن

ماذا يعني اليوم الوطني أو العيد الوطني لدولة بالنسبة إلى الذي في قمة السلطة وللمواطن الذي هو أحد شرابين الوحدة الوطنية التي هي بمثابة القلب في الجسم والدم في العروق.

بالنسبة إلى من يدير شؤون البلاد ويرعى أحوال العباد فإن حلول ذكرى اليوم الوطني هو لحظة من لحظات الفرح المضيئة له لكي يؤكد للرعية أنه كان عند حسن الظن به فلا هو متهاون في أمر يعينها ولا هو مقصر في واجب يؤديه ويستهدف مصلحتها. كما أنه في حالة اليقظة لمواجهة أي إهتزازات تؤثر على الإستقرار وتحد من إنطلاقة مسيرة الإزدهار. وإلى ذلك فإنه الحارس الأمين للقلعة التي تزداد مناعة.

وبالنسبة إلى من يدير شؤون البلاد ويرعى أحوال العباد فإن حلول ذكرى اليوم الوطني هو لحظة تنبيه له بأن يستقصي، بل ويكثر من الإستقصاء، خشية أن يكون في الوطن مغلوبون على أمرهم ومظلومون دون تدقيق في حالات أوجبت التأديب، وكذلك خشية أن يكون هنالك من هم في حالة من العوز، أو أصحاب حاجة لا تقضى، أو مبتلون بمرض لا يجدون سبيلاً للعلاج، أو عاطلون عن العمل لا يفضلهم الأرباب عن الأغراب، أو مغرر بهم قادمهم التغرير إلى ارتكاب ما هو ضد وطنهم فضلاً عن أنه ليس موضع رضا رب العالمين ورضا الوالدين والعشيرة، أو أعزاء قوم جار الزمن عليهم ويحتاجون إلى من ينتشلهم من هذتهم، أو أشقاء من عرب ومسلمين إستبد بهم العناد وبات لا علاج لهم سوى النصح والتنبية، أو أصدقاء أجنب ارتكبوا من الأوزار ما بات من الضروري تحذيرهم أو حتى رفع منسوب مفردات الغضب أمامهم مواجهة أو عبر الرسائل ينقلها من هم أهل ثقة، أو حلفاء وعدوا لكنهم لم يَصُدَّقُوا وتلفظوا في لحظة غرور بما يتجاوز آداب التخاطب ولا طريق لردعهم سوى إعادة النظر في التعامل معهم وإن ببعض القسوة شرط أن لا تنعكس على الشعوب.

تلك هي القلائل من كثريات يتزامن حضورها في بال من يدير شؤون البلاد ويرعى العباد عندما تقترب ذكرى اليوم الوطني للبلاد الذي في عهده مسؤولية عنه. أما بالنسبة إلى المواطن فإن هذا اليوم هو لحظة فرح حقيقي ما دام الأمان سائداً والكرامة محفوظة والدولة مستقلة والاستقرار ثابتاً والمطالب مستجابة والضمانات حاصلة والخوف على المستقبل الشخصي مصوناً، كما أن صون مستقبل الأجيال هو من أولويات «أجندة» الحكم. وتزداد لحظة الفرح هذه عند المقارنة بين أحوال بلده وأحوال الآخرين الذين يمارسون القيادة بروحية الاستبداد في زمن تنتشر فيه التغييرات النوعية على مستوى المنطقة، وفي مرحلة تبحر خلالها سفينة القائد الحكيم والربان الماهر عبدالله بن عبد العزيز التي هي من نوع سفينة نوح التي تتسع لمن خلاصه في الإنسحاب إلى كتيبة الصلاح والإصلاح لكن المستبدين لا يبادرون إلى ما يحقق الإنقاذ من أفعال السوء والإساءة. وبطبيعة الحال فإن المواطن المحنّي بذكرى جديدة لليوم الوطني لبلده عندما يكثر من التأمل فيما يحصل في المنطقة

ويقارن بين هذه الأوضاع المزرية والأحوال الطيبة في بلده أن يشعر بالإعتزاز ويلتقي اعتزازه وفرحته مع اعتزاز وفرحة وليّ الأمر الذي هو الربان البعيد النظر الذي يقود البلاد والمتمكن من إبقاء السفينة تواصل الإبحار في سكة السلامة نحو الهدف المنشود الذي هو إضافة المزيد من المناعة إلى البنيان الصامد. وهل هنالك فرحة تغمر النفوس أكثر من هذه الفرحة، وبالأذات نفس خادم الحرمين الشريفين الذي خاطب الشعب ذات يوم بعبارة «أنا من دونكم لا شيء» ونفس وليّ عهده الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي في كل مناسبة يتحدث فيها يستحضر أهمية الوحدة الوطنية التي هي العنصر الأهم في جوهر اليوم الوطني، وأحدث أقواله في هذا الشأن «نحن والحمد لله شعب واحد وأسرّة واحدة لا تفرقة بيننا ولا تمييز. والحمد لله أن المملكة من غربها إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها تنعم بالأمن والاستقرار». كما أن الذي قاله الأمير سلمان خلال لقائه بنخبة فكرية يوم الثلاثاء 29 مارس (آذار) 2011 ما زال حاضراً في وجدان من سمع ومن قرأ. وفي ذلك اللقاء الذي جرى في رحاب الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة قال في سياق محاضرة ألقاها: «لا يوجد أسرة أو قبيلة في هذه البلاد إلا ولأبائها أو أجدادها مشاركة فاعلة في توحيد البلاد وبنائها وتعزيز قوتها ورسالتها. والجميع في هذا الوطن جزء لا يتجزأ من هذا الإنجاز التاريخي لهذه الدولة المباركة وأسهم حقيقة في بنائها ووحدها وتماسكها..».

يبقى القول إن هذه السطور هي قليل الكلام من الكثير الذي يمكن قوله عن الأحوال في المملكة العربية السعودية، وهي تحية من قلم أتعبه كثرة الكلام عن فواجع الأمة ويأمل أن يخفف من وطأة التعب فرح المملكة العربية السعودية شعباً وقيادة بذكرى اليوم الوطني وكيف أن الطيب الذكر القائد المؤسس الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وضع منذ البداية الأساس الصحيح للبنيان المتين. وهذا الفرح نشعر أنه يخص الأمتين كشعوب. أما القيادات فهذا أمر محكوم بالسلوكيات التي لا تخفى على المراقب المتجرد.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 23 سبتمبر (أيلول) 2012

* * *

الفيلم السوري السيئ والفيلم الأميركي الأسوأ

كادت هيبة الأمتين العربية والإسلامية تضيق بين الفيلم السوري السيئ المتواصل عرضه للشهر التاسع عشر على التوالي والمحقق خسائر للبلاد والعباد لا مثيل لها في ويلات الخسائر المادية والبشرية الناشئة عن الرهانات يمارسها أشخاص في قمة السلطة، والفيلم الأميركي المنشأ الأكثر سوءاً الذي رماه في صيغة فخ أرباب السوء إستباقاً لأحداث ربما تشكل حسماً لقضايا كثيرة عالقة من بينها موضوع الدولة الفلسطينية الذي بات لازماً على المعنيين بالموضوع فلسطينيين وعرباً وأجانب إنجاز خطوات في شأنه خلال الدورة الجديدة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة هذا الشهر (سبتمبر 2012)... إننا بين هذا الفيلم المسيء للرسول العربي الكريم وذاك الفيلم المسيء لفكرة الوحدة الوطنية والعيش المشترك ومبادئ تعامل الذين في السلطة مع المواطنين والأخذ في الاعتبار شكواهم ومطالبهم وكذلك التأمل في إنتقاداتهم، رأينا الأمتين ومعهما الدولة الأعظم أميركا تعيش أكثر الإرتباك في صفوف صانعي القرار. وعلى الطريق إرتباك محتمل الحدوث في فرنسا بعد الفخ الكاريكاتوري المنشور في شكل رسوم مسيئة لمشاعر المسلمين نشرتها يوم الأربعاء (19 سبتمبر) مطبوعة غير ذات أهمية إسمها «شارلي إبدو».

بل قد يجوز القول إن الفيلمين أحدثا جراحاً عميقة في النفوس، تكاد الآلام الناشئة عنها تتساوى مع الآلام التي تسببها قذائف تأتي بتوجيهات أهل السلطة ضد مواطنين أصحاب مطالب مشروعة وإحتجاجات محقة.

ما زلنا بالنسبة إلى الفيلم السوري نرى أن المنتج، وهو هنا النظام البشاري، غير موفق في فيلمه هذا وأن الرهان على الحليف الإيراني الخائر ومورد السلاح الروسي المتشاطر والصديق الصيني الحائر لن يحقق له مبتغاه، وأن هذا المثلث لا يقدّم للنظام البشاري سوى المزيد من الإحراجات، ذلك أنه مع إنقضاء كل يوم والأزمة تراوح مكانها يزداد الوضع السوري تعقيداً، ويتواصل رجحان كفة التعامل بالعنف مع أزمة لا مجال لغير المرونة وتعديل المفاهيم في علاجها. وعندما لا يخرج الوسيط الأخوي والدولي في وقت واحد الأخضر

الإبراهيمي من لقائه بالرئيس بشار الأسد بغير الإنطباع السوداوي الذي خرج به فهذا معناه أن الرئيس بشار الذي لم يأخذ سابقاً بتمنيات الصديق الإفريقي الدولي كوفي أنان لم يأخذ أيضاً بنصائح الأخ العربي الدولي الأخضر الإبراهيمي. وهنا تصبح كل المسالك مغلقة في إتجاه التعقل ولا يعود وارداً التوقع بأن الرئيس بشار سيتخذ على الأقل نصف خطوة في إتجاه وقف العنف أي بما معناه يبقّي الآليات في الشارع لكنه يأمر بوقف الظاهرة المخيفة والمخجلة والمتمثلة في إشراك السلاح الجوي في قصف أبنية أو تجمعات. لكن لا بادرة تصدر عنه كما لا رحمة في تعامل غير شجاع مع أزمة طرفاها أبناء من الوطن.

ويكاد يخالجننا شعور بأنه كلما إشتدت الأزمة فإن رؤية الرئيس بشار من جهة ورؤية الأطياف المعارضة من الجهة المقابلة لن تقودا إلى تسوية ينتهي بموجبها هذا النزف اليومي بحيث إن الحال باتت مثل حال البورصة التي يرتفع الخط البياني ويهبط بين عملية وأخرى. ففي الصباح يكون عدد القتلى عشرة على سبيل المثال وفي آخر النهار يصبح فوق المئة أو تحتها وهذه هي الحال يومياً، عدا الخط البياني الآخر المتعلق بالبنيان الذي يتم تدميره قصفاً من الجو أو من الأرض، وعدا الخط البياني المقابل من جانب الطيف المعارض المتمثل بـ «الجيش السوري الحر» الذي يتباهى هو الآخر مع شديد الأسف بأنه يحقق مكاسب ضد رفاق السلاح وأبناء الوطن، ومن دون أن يأخذ جنود وضباط جماعة النظام والجماعة المنشقة في الاعتبار أنهم يقاتلون أخوة في السلاح ودون أن يأخذوا في الاعتبار أيضاً أن نهاية المطاف مأساوية للطرفين.

وكم كنا نتمنى بالنسبة إلى الفيلم السوري أن يكتب الأخضر الإبراهيمي من خلال المسعى الذي يقوم به، مادة المشهد الأخير من هذا الفيلم، وبما معناه أن يكون الأخضر هو المخرج الناجح الذي يحد من خسائر النظام البشاري المنتج المغامر والسيئ للفيلم المراهن في ميدان إختلطت فيه العلاقات والأوراق والمصالح أغرب إختلاط، على جياذ متعبة (بفتح العين) داخلياً بقدر ما هي متعبة (بكسرها) لسوريا الوطن والشعب ولذا فلا أمل لها بكسب الجائزة التي هي سوريا والتي أيضاً باتت كتلة من التعب المادي والنفسي والإقتصادي بعد التدمير الذي ترافق مع إزهاق للأرواح وتشريد لعائلات وبحيث

إن ظاهرة اللاجئين السوريين باتت شبيهة بظاهرة اللاجئين الفلسطينيين وربما قد تصل الحال ذات يوم إلى أن المجتمع الدولي - العربي الذي أخفق في حسم الموضوع السوري يقرر إستحداث «أونروا» للملايين من السوريين الذين دفعهم العلاج الأمني البشري إلى حياة اللجوء المذلة على أعتاب أراضي تركية وأردنية وعراقية ولبنانية هذا عدا الذين بدأوا يخططون لهجرة شبيهة بهجرات لبنانية ومصرية على سبيل المثال لا الحصر، وهؤلاء من الميسورين الذين تركوا المنازل بما فيها وغادروا حاملين جوازات السفر غير المرحب أصلاً بها في بعض بلاد الله الواسعة، إلا إذا كانت كندا وأميركا وأستراليا ودول أوروبية خاب ظنها في النظام البشري سترحب بإستيطان هؤلاء السوريين كونهم أعزاء قوم أذلهم العلاج الأمني للأزمة التي كانت تحتاج إلى العلاج يأتي من حاكم متعقل لا يركب مركب العناد والتحدي. وهو لو إعتد التعلل لكانت هانت الأمور ولما كان للمشهد السوري المتكون من جماعات هائمة على وجهها وجثث مرمية على الطرقات وأبنية تحولت إلى ركام، أن يكون على نحو ما بات عليه. وما قاله الشاعر العربي في الزمن الغابر (ربما يوم بكيث منه فلما... صرث في غيره بكيث عليه) هو خير توصيف للحال والمآل.

وثمة ما يخشاه اللبنانيون والأردنيون وإلى حد ما الأتراك وهو أن يلجأ النظام البشري وربما في ضوء نصائح المستشارين من الحرس الثوري الإيراني الذين أتوا للنجدة إلى سوريا ولبنان وكان الإعتراف رسمياً من جانب إيران بإبتعائهم مستهجنأ كل الإستهجان وبنسبة إستهجان الخطوة نفسها إلى توسيع دائرة المغامرة كأن يُفاجئ سكان بيروت وسكان عمان وسكان بلدات في تركيا أو إسطنبول نفسها بصواريخ تتساقط عليهم، وهو إحتمال بقي مستبعداً إلى أن فعل النظام البشري الشيء نفسه في مناطق سورية عدة. وعندما يفعل النظام ذلك في بلاده المؤتمن بموجب الدستور على حمايتها ورعاية شعبها لا يعود هنالك ما يمنعه من تكرار الأسلوب نفسه على جيران يعملون من أجل التسريع في إسقاط نظامه، وبالذات في حال إشتداد الطوق على العنق وتحديدأ الطوق الإقتصادي والمالي والمواصلاتي والنفطي والتمويني الناشئ عن العقوبات التي لا يقتنع الناس بأطروحات تظمينية في شأنها تأتيهم بأسلوب التعبئة من

وسائل الإعلام الرسمي سواء في إيران حيث ينحدر سعر العملة أسوأ وأسرع إنحدار أو في سوريا التي ينضب إحتياط عملاتها وتجف أسواقها شيئاً فشيئاً. وعندما يصل الإنحدار ونضوب الإحتياط إلى ما هو أدنى من القدرة على التحمل فإن الذراع الروسية ومثيلتها الصينية لا تعودا كما الحال الآن. ففي نهاية الأمر إن الدولة تكون قوية بإقتصادها وإحتياطها النقدي إلى جانب طمأنينة المواطن وإحساس النظام الحاكم بالمسؤولية المشتركة، مسؤوليته أمام الشعب ومسؤوليته تجاه المجتمع المنتسب إليه أو المجاور له أو المتعاطي معه. ومن خلال التأمل نجد أن المسؤولية المشتركة هذه ضامرة إلى حد الوهن.

وبالنسبة إلى لبنان تحديداً فإن الذي يتمناه المرء هو أن لا يقتصر النظام البشري ما نشير إليه، أي أن لا تهز الإستقرار النسبي الذي تعيشه العاصمة بيروت رسالة صاروخية كتلك التي يفاجئ بها من حين إلى آخر بلدات الجوار اللبناني بقاعاً وشمالاً، ذلك أن رسالة من النوعية المشار إليها من شأنها وضّع الحليفين القويين «حزب الله» و«حركة أمل» ومعهما الحليف شبه القوي في طائفته الجنرال ميشال عون في وضّع كفيل بإحراج الأطراف الثلاثة أمام الناس وأمام المجتمع الدولي الذي سيعتبر لبنان دولة من الضروري وضّعها تحت وصاية دولية. ومن الجائز الإفتراض أن إطلالة الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله شخصياً وليس عبر شاشة تلفزيونية على الجمع الأولي وهذا يحدث للمرة الأولى منذ يوليو/ تموز 2006 عندما بات ضرورياً إتخاذ الإجراءات الأمنية الوقائية خشية تمكين إسرائيل وعملائها من إلحاق الأذى بسيد المقاومة، لها أكثر من هدف أهمها أن المناسبة جليلة ما دامت لإستتكار الإساءة للرسول الكريم ومن الطبيعي عندما سيقول السيد حسن في الكلمة التي ألقاها ويطلب من الجمع الهائل الترداد معه «يا رسول الله، فداك يا رسول الله نفسي ودمي، وأبي وأمي، وأهلي وولدي، وكل مالي، وما خولني ربي، فداء كرامتك وعرضك وشرقك...» أن لا يعلن ذلك عبر شاشة تلفزيونية كما أعتاد أن يفعل من باب الوقاية، وإنما يخاطر وبهذا كان في قمة الشجاعة، لأنه مهما أحاط به الحرس المدرب أفضل تدريب فإن الدقائق الإثني عشرة تكفي لعمل غادر يأتي من إسرائيل التي ترصد كل تحركاته. وإلى ذلك إن المناسبة من

السوري السيئ ولا يتكرر الفيلم الأميركي الأسوأ... كما لا يضاف إلى الفيلمين فيلم فرنسي بالسوئية والسوقية اللتين إتسم بهما الفيلم الأميركي.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 30 سبتمبر (أيلول) 2012

* * *

بشار ومشعل: ختامها فراق

هذا السهم البشاري - الإيراني في وقت واحد الذي جرى إطلاقه على الرجل الأول في حركة «حماس» خالد مشعل يوم الثلاثاء 2 أكتوبر/ تشرين الأول 2012 ما كان ربما ليتم إطلاقه لو أن هذا الحليف الذي إرتد على الملاذ السوري والملعب الإيراني طوال سنوات، إكتفى منذ أن دخلت الإنتفاضة السورية شهرها الثالث بمواصلة الإبتعاد الصامت خطوة خطوة عن حلفي الأمس ولم يقف يوم الأحد 30 سبتمبر/ أيلول 2012 خطيباً في مهرجان أردوغاني في أنقرة معيّناً للنظام البشاري عازفاً على الوتر الأردوغاني شأنه شأن الخطيب الثالث المعين هو الآخر الرئيس المصري محمد مرسي. فالذي فعله الزعيم الحمساوي كان صامداً وربما غير متوقع حدوثه من جانب الحليف السوري - الإيراني وشكّلت وقفة خالد مشعل إلى جانب «الأخوين الإسلاميين اللدودين» للرئيس بشار: الرئيس محمد مرسي الذي حسم الأمر مع جنرالات حقبة الرئيس حسني مبارك ثم أكرم بلفتة مباغته الرئيس السادات من باب المكيدة لعهد عبد الناصر فبات أقوى شأنًا، ورجب طيب أردوغان المتوّج حديثاً من حزبه بزعامة عملية الطموح والتطلعات وعلى خلفية عملية تأديب للجنرالات المتربصين له وذلك بإصدار أحكام بالسجن بالغة القساوة في حق عشرات حاولوا إحياء مجد القبضة العسكرية على العنق المدني العلماني وغير العلماني في تركيا. والقول إن الفعل المشعلي كان صامداً لأن الحليف السوري - الإيراني فقد عملياً ورقته الفلسطينية ذلك أنه كان بفضل هذه الورقة يقول ضمناً ما معناه إن نصف فلسطين تحت جناحيه وأن النصف الآخر أي السلطة الفلسطينية المحتكرة من جانب حركة «فتح» وأطراف مقاومة فلسطينية حائرة ورموز من الجمع

حيث ظروفها وجوهرها تتطلب من السيد حسن بالذات الذي طالما إعتاد في مناسبات عدة ترداد عبارة «فداك يا حسين...» وغدت العبارة هذه ومثيلتها على لسان كل شيعي وشيعية، أن يستحدث ما يجوز إعتباره توازناً يقطع الطريق على إجتهاادات الأطياف الشيعية في شأن تعظيمات الأدوار ويقلل من ظنون غير الشيعة التي طالما أوجدت في مفهوم الإسلام الموحد الكثير من التنظيرات المذهبية والفتاوى. كما إن إطلالة السيد حسن أحدثت حالة نفسية طيبة في نفوس جماهير الطائفة التي ما تزال تعيش هاجس إحتمال أن تفقد المقاومة سيدها الثاني بعد سيدها السابق عباس الموسوي الذي سبق أن جرى إغتياله. وبالإضافة إلى الحالة المشار إليها فإن إطلالة السيد حسن تركت إنطباعاً بأن إحتمال العدوان الإسرائيلي بات مستبعداً بدليل أن رمز المقاومة تخطى عن ضرورات الإختفاء. كما أن «ظهور السيد حسن» كان ضرورياً في نظر أبناء الطائفة لكي يتساوى حضور الشأن الشيعي مع الحضور الطاغي للشأن المسيحي خلال زيارة البابا بنديكتوس السادس عشر للبنان.

وبالعودة إلى الفيلم الأسوأ وما رافق تعميمه ونتج في صفوف الأمتين من تداعيات لهذه الإساءة، فإن الذي كان يتمناه المرء هو أنه بدل رد الفعل الغوضائي (بمعنى نصفه غوغاء مكروه ونصفه الآخر ضوضاء مشروع) تدعو منظمة المؤتمر الإسلامي إلى إجتماع إستثنائي لوزراء الأوقاف الإسلامية يشارك فيه المفتون وعلماء ويصدر عنه موقف موحد يتحول إلى ترشيد روحي إسلامي، مثل «الإرشاد الرسولي» الذي أعلنه من لبنان رئيس الكنيسة الكاثوليكية البابا بنديكتوس السادس عشر. وب «الترشيد الإسلامي» يُرفع إلى الأمم المتحدة كوثيقة يتم إعتماها لا يعود هناك موجب للتعبير الإحتجاجي كما عايشناه وما رافقه من فواجع وتشوهات للسلوكيات التي لا تتسجم إطلاقاً مع «خير أمة أخرجت للناس»، فضلاً عن أنه بموجب الترشيد - الوثيقة الممهورة من الجمعية العامة تصبح الإساءة إلى الأنبياء والديانات في نظر الدول جُرمًا يستحق أقصى العقاب وليس مجرد إساءة تحمل المزيد من التأويل والتبرير.

والله الهادي إلى سواء السبيل وبالذات لمن هم في حاجة إلى الهداية كي يتوقف نهائياً عرض الفيلم

الفلسطيني المستقل لا مصلحة لهؤلاء بتوسيع دائرة التحدي للنظامين السوري والإيراني.

ما فعله خالد مشعل طبيعي من حيث المسارعة إلى الإنتساب إلى قبيلته الدينية أي «الإخوان المسلمين». وهو لولا الكتف المصرية التي تتكئ عليها «دولة غزة الحمساوية» لكان ربما أرجأ الإبن الإخواني تلك العودة إلى كنف ربه مشكلاً بهذه العودة هراً إخوانياً قوياً مقابل الهرم البشاري - النجادي المتصدع.

وحيث إن مقتضيات الإنتساب تتطلب تأشيرة كلام لا يحتمل التأويل فإنه في الكلمة التي ألقاها في مؤتمر المبايعات المشهودة لزعامة أردوغان قال: «رحبنا بثورة مصر وتونس وليبيا واليمن، ونرحب بثورة الشعب السوري نحو الحرية والديمقراطية والكرامة والإستقلال الحقيقي ونريد أن يتوقف سيل الدماء الزكية من هذا الشعب ونرى أنه لا تعارض بين أن نتبنى الديمقراطية والإصلاح وبين دعم المقاومة...».

ومن تحصيل الحاصل أن يقول مشعل هذا الذي قاله ما دام إرتضى، بطلب أو ربما سعى إلى ذلك، أن يكون ثالث الخطباء بعد أردوغان الذي قال مخاطباً روسيا والصين «إن التاريخ لن يعفو عن المساندين للنظام الظالم في سوريا» ومرسي الذي قال: «لن نهذا ولن نستقر حتى تتحقق إرادة الشعب السوري في أن ينال حريته وأن تزول هذه القيادة. نحن مع الشعب السوري وبجانبه نؤيده ونؤازره ونقف ضد الظالم الذي يقتله وسوف ينال بإذن الله حريته قريباً. وما ذلك على الله ببعيد...».

ومثلما كان من تحصيل الحاصل أن يفعل خالد مشعل ما فعله مع ملاحظة أن مفردات كلمته كانت دون نارية مفردات كلمة كل من رفيقيه في الإخوانية رجب طيب أردوغان ومحمد مرسي ربما من أجل الأمان لجماهير «حماس» في مخيماتهم داخل سوريا وربما من أجل الأمان الشخصي له كي لا يصيبه مكروه مثل ذلك الذي أصاب حلفاء للنظام الأسدي (الأب ثم الإبن) أمثال الزعيم الدرزي كمال جنبلاط والزعيم السني رفيق الحريري جاهدوا بالإقتناع بأن ديمومة العلاقة اللبنانية - السورية تكون بغير الإطباق على الإرادة والأخذ بأسلوب التفهم والحرص المتبادل المنزه من جانب النظام السوري عن الهيمنة. لكن هذه المفردات المنتقاة بحساب دقيق من جانب مشعل الصادم، لم تمنع الحليف السوري -

الإيراني المصدوم من أن يصب جام الغضب على خالد مشعل وتكليف مذبة بإبلاغ الغضب تلفزيونياً إمعاناً في الإهانة بمعنى أن الرد يأتي على لسان امرأة مذبة وليس على لسان رجل مسؤول مع ملاحظة أن الذي قالته المذبة جاءها مكتوباً من ذلك المسؤول. ويتأكد إفتراضنا هذا عند التأمل في المفردات هذه وبالذات قول تلك المذبة «تذكر يا مشعل تشردك وتسكعك في الأجواء حتى جاءتك رحمة الشام...» و«ما دمت يا مشعل قد أدمنت على القسمة وما فيها من مغامرات السلطة والجباية فلن نسألك عن الشعب الفلسطيني المظلوم في الأراضي المحتلة عام 1948 ولا عن القدس التي تناسيتها انتم ثلاثي الهراء (أي أردوغان. مرسي. مشعل) ولا عن الضفة، بل نسألك عن عذابات أهلنا المحاصرين في غزة...». وأضافت صحيفة «كيهان» إلى مفردات المذبة السورية المزيد من المفردات التي تنزع عن خالد مشعل ماضيه الثوري النضالي وذلك من خلال قولها: «إن مشعل الذي نسي السنوات التي كان يعيش فيها تحت الحماية السورية خلال إقامته وعمله في دمشق يتصرف وكأنه عميل صهيوني، فهو مستعد للتضحية بشعب فلسطين مقابل طموحات شخصية...». هذه السهام السورية - الإيرانية على مشعل جاءت أيضاً في وقت أوحى الرجل بأنه لن يجدد ترؤسه لحركة «حماس» الأمر الذي ينفي عنه صفة التطلع نحو المصلحة الشخصية، كما أنها جاءت أيضاً في وقت حل إشكالية غير محسومة عنده وربما تفرق وجدانه أكثر من ثورته وهي أنه زعيم سني تحت عباءة زعامة علوية في سوريا وزعامة شيعية في إيران. وبطبيعة الحال فإنه عندما يحدث ال «تسونامي» الإخواني من تونس إلى مصر إلى ليبيا فضلاً عن تمللات إخوانية في الأردن والمغرب والجزائر والسودان الترابي أن يستحضر «الإخواني الفلسطيني» العريق طيف المؤسس الراحل الشيخ أحمد ياسين ويقرر تبعاً لذلك أن يرفرف في الفضاء الإخواني، خصوصاً أنه في علاقته مع النظام في سوريا كان كإخواني في حالة تأنيب ضمير حيث إن النظام منذ أيام الأسد الأب (الرئيس حافظ) هو الممعن قصصة أجنة وتشتيماً وبمختلف الوسائل لبني ملته الحزبية إخوان سوريا، فضلاً عن أنه في ظل الحماية السورية له كان يعيش حالة من حالات النفاق بمعنى أنه وسط نظام يحاول من خلال المفاوضات غير

الهادي لمن يريد الهداية.. وإن في اللحظة ما قبل الأخيرة من الإستحقاق.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الخميس 11 أكتوبر (ت) 2012

سوريا «الرجل المريض» في عهدة «أطباء مرضى»

من تركيا التي استطاع الرئيس بشار الأسد تسديد إحراج جديد لها عندما أطلقت قواته بضع قذائف قاتلة ومن دون أن يتعامل رجلها القوي أردوغان مع هذا التسديد بحجم تصريحاته وتهديداته ومنها قوله «إن اختبار قدرتنا على الردع خطأ فادح ولا نريد حرباً لكننا لسنا بعيدين عنها» يطلق المنظر الأردوغاني وزير الخارجية أحمد داود أوغلو فكرة أن يتنحى الرئيس بشار لنائبه فاروق الشرع لأن يديه «غير ملوثين بالدم». ثم يرفع أردوغان منسوب التشنج لشخص صديقه القديم بشار الأسد الذي أهده مضطراً أو مختاراً في زمن الوفاق بينهما ورقة لواء الإسكندرون منزوعة من كتاب القضايا القومية العالقة في الوجدان السوري، فيقول عنه «إنه يقف على عكازات» مضيفاً القول: «إننا نصحنه لكنه تجاهل نصائحنا. والده قتل في حماه 30 ألف إنسان، والآن يحاول نجله (أي بشار) كسر رقمه القياسي»، مضيفاً أيضاً «إن الشعب السوري أمانة أجدادنا في أعناقنا...».

كلام أردوغان من جهة وكلام وزير خارجيته من جهة أخرى يوضحان بعض نوايا تركيا تجاه المحنة السورية، حيث إن الزعامة الأردوغانية التي ما زالت تراوح مكانها لجهة الدور الطموح تنظر إلى سوريا على أنها «الرجل المريض» الجديد في المنطقة حالها مثل حال تركيا عندما كان يتم توصيفها بأنها «الرجل المريض» وأن مساندتها لشخص مثل فاروق الشرع ستحقق لها التعامل مع سوريا مثل تعامل إيران مع رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي الذي دفعته دفعا في اتجاه إبرام علاقة متطورة مع روسيا وتحليمه بأن يكون لاحقا زعيما قويا للعراق وسوريا معاً بإعتبار أن

المباشرة مع إسرائيل إنهاء تعقيدات متصلة بالصراع العربي - الإسرائيلي ويتأكد النفاق في ضوء المضافة القطرية المصموت على إنفتاحها إزاء الحوار مع إسرائيل المحلل بموجب فتوى سورية - إيرانية من جانب أهل الحكم ما دام الصفاء كان زمنذاك قبل الإنتفاضة السورية في أحلى حالاته بين إيران وسوريا وقطر و«حماس»، ومثل هذا الأمر يبدو في غاية الإستغراب ويؤكد أن إستضافة النظام السوري لجماعة «حماس» هي بغرض إستعمال هذه الحركة كورقة ضغط مزدوجة؛ ضد إسرائيل من جهة لتعديل مرغوب في شروطها للتسوية وضد «فتح» أيام عرفات ثم طوال أيام خليفته محمود عباس. وهنا يجوز التذكير أن الذي يلقيه الآن خالد مشعل من النظام السوري أصاب من قبل، وتبعاً لمقتضيات ظروف ودوافع مختلفة، الزعيمين الفلسطينيين الراحلين الرئيس ياسر عرفات والدكتور جورج حبش.

وتبقى النقطة الأهم في هذه العلاقة بين الرئيس بشار ورئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» خالد مشعل وهي أن هذه الردة المشعلية تضع الحليف الأهم المتمثل بـ «حزب الله» أمام إستحقاق بالغ الحساسية. فالذي قاله مشعل لجهة الترحيب بـ «ثورة الشعب السوري نحو الحرية والديمقراطية» وأنه «لا تعارض بين أن نتبنى الديمقراطية وبين دعم المقاومة» هو الموقف المأمول أن يقوله الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله. وهو عندما لا يفصح عنه ثم يأتي الموقف اللافت من جانب خالد مشعل فهذا يعني أن السيد حسن سيشارك عن إضطرار وليس عن إختيار في توجيه سهم من جانبه إلى حركة «حماس». وبذلك سنعيش بعد الآن أياماً من خلط الأوراق في المنطقة.

عسى ولعل ونحن ما زلنا نعيش تداعيات الفيلم الأميركي المنشأ المسيء للنبي العربي الكريم صلوات الله عليه، ويتواصل في الوقت نفسه الهلع والذعر من النزف الناشئ عن الفيلم السوري الذي بات يتساوى من حيث السوء مع الفيلم الآخر... عسى ولعل يتأملون عرباً وفُرساً وعجماً وبالذات «أبطال» الفيلم السوري من بشاريين وسيداويين - غليونين - أسعديين ونجّاديين ومشعلين وأردوغانيين ومُرسيين في الكلام العطر للرسول: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها». والله

النظام البشاري لا بد سينصرف لأن مستلزمات البقاء تتناقص ولن يكون في الإمكان بعد الذي جرى التفاهم مع الناس. وعندما سيزور الرئيس محمود أحمددي نجاد قريباً دمشق فإن زيارته ليست بهدف التدعيم وإنما للتفاهم مع صديقه الرئيس السوري المثخن بالأهوال والخيبات على المرحلة المقبلة وكيف يتم قطع الطريق على فكرة أن يكون فاروق الشرع هو البديل.

ولعبة «الرجل المريض» في المنطقة ليست جديدة ولكنها لعبة فاشلة لم تحقق للاعبين أحلامهم. فعندما دخلت مصر مرحلة «الرجل المريض» نتيجة الهزيمة التي مُني بها زعيمها القوي داخليا وعلى مستوى المنطقة جمال عبد الناصر، بدأ العقيد معمر القذافي من جهة والرئيس صدام حسين من جهة أخرى يمنيان النفس ببناء زعامة قوية للعراق الصدامي وليبيا القذافية على أنقاض زعامة عبد الناصر التي تضمّر شيئا فشيئا، لكن في نهاية الأمر دفع كل منهما ثمن هذا الطموح الذي له صفة الطمع. ونقول ذلك على أساس أنهما ما داما حريصين على مصر على نحو ما أبديا من كلام طيب من نوع قول أردوغان «إن الشعب السوري أمانة أجدادنا في أعناقنا» كان من الواجب الأخلاقي والوطني عليهما الوقوف مع مصر إلى حين إسترداد عافيتها بالكامل.

هنالك وقائع كثيرة تؤكد ما نشير إليه. لكن الحالة السورية هي أكثر الحالات مأساوية ذلك أن المنازلة التي تجري فيها غير مسبوقه من حيث إبتهاج الطرفين المتبارزين بما يقومون به. ومن هنا ونحن نتأمل فيما يقترحه «الطبيب التركي» وما يخطط له «الطبيب الإيراني» وغيرهما من «أطباء مرضى» بشراهة الهيمنة على غيرهم، من أجل الانقضاض على «سوريا المريضة» نجيز لأنفسنا القول إنه إذا كانت هنالك نية حقيقية للإنتقال بـ «المريض السوري» من ساحة الاقتتال الذي لا جدوى منه إلى غرفة العناية الفائقة التي قد يجد فيها بعض الشفاء، أن يتم تفاهم الذين يساعدون عرباً وتركياً وعجماً ومعهم أميركا وروسيا والصين والدول الأوروبية على أن يتتحى الرئيس بشار وبالتفهم والتفاهم إلى مجلس إنتقالي مدني عسكري يؤسس لعهد جديد وبحيث يقرر السوريون بأنفسهم مصيرهم لا أن يكون الحل وفق الاقتراح التركي الذي جدد إحياء الحديث حوله وزير الخارجية أوغلو. ونقول

ذلك على أساس أن هذه الصيغة هي مثل حطب يرمى على نار مشتعلة في حين أن المطلوب بعض الماء يطفئ اللهب. فالمناداة بترئيس فاروق الشرع تعني إسقاط الرئيس العلوي أي بشار الأسد متتحيا لنائبه السني وهذا ما لا ينهي الأزمة على الإطلاق في حين أن المجلس الإنتقالي الذي يضم شخصيات مدنية - عسكرية - بعثية - إخوانية - إشتراكية - مستقلة، سنية وعلوية ودرزية وكردية ومسيحية، كفيل بطمأنة الطائفة العلوية الممسكة بسوريا منذ أربعة عقود. وفي هذه الحال لن تبقى الطائفة على سكونها إزاء ما يحدث تحت وطأة الخشية من أن يكون تتحي ابن الطائفة الرئيس بشار الأسد مقدمة للقضاء عليها. وإلا فما معنى قول أردوغان «إن الرئيس حافظ الأسد قتل في حماه 30 ألف شخص وإن الإبن الرئيس بشار سيضرب الرقم القياسي».

في ضوء ذلك يبدو من المستحسن لإبداء حسن النية سحب الاقتراح التركي من التداول رحمة بسوريا التي من الواجب علاجها بغير وصفات «الأطباء المرضى بشراهة التهام الجيران» بعدما غدت حاضرا بالفعل «الرجل المريض» الثاني مثل حالة تركيا ماضياً، والتركيز على حل يطمئن الجميع بمن فيهم دولة الإمارات التي استوقفتنا دعوة وزير خارجيتها الشيخ عبد الله بن زايد يوم الإثنين 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2012، إلى التنبيه وذلك بقوله «إن فكر الإخوان المسلمين لا يؤمن بالدولة الوطنية ولا يؤمن بسيادة الدول ولهذا السبب ليس غريباً أن يقوم التنظيم العالمي للإخوان المسلمين بالتواصل والعمل على اختراق هيبة الدول وسيادتها وقوانينها...».

وكأننا بالشيخ عبد الله يستحضر الحالة السورية وهو يقول كلامه هذا. ومثل هذه النظرة من شأنها تغليب صيغة المجلس الوطني المدني - العسكري الموسع المستوعب كل الطوائف على صيغة ترئيس فاروق الشرع بحيث يكون كما يريده أردوغان بضعف حالة الرئيس المنصف المرزوقي في تونس: كثرة في التصريحات وقلة في الفعل.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 14 أكتوبر (تشرين الأول) 2012

* * *

تحليقات «أرزات الدولة»

وتحويلات «طيارة السيد»

حتى مساء يوم الخميس 11 أكتوبر/تشرين الأول 2012 كان اللبنانيون وعلى مختلف أطرافهم وطوائفهم ما زالوا على تباهم بطيرانهم المدني المقتصر على شركة واحدة إسمها «طيران الشرق الأوسط» وشعارها الأرز. وهذا التباهي كان يعوّضهم عن أنهم لا طيران آخر لهم عدا بضعة مقاتلات رابضة في قاعدتين جويتين من دون أن تكون لها أي واجبات قتالية ضد إسرائيل وذلك عملاً بمعادلة قائمة على إتفاق هدنة سرعان ما كسرهما «حزب الله» بمقولة «قوة لبنان في مقاومته» رداً على مقولة «قوة لبنان في ضعفه». والتباهي الذي نشير إليه من جانب اللبنانيين بـ «سلاحهم الجوي المدني»، يعود إلى أن الشركة الواحدة كانت في زمن الرمزين المتميزين لتطورها الرئيس الراحل صائب سلام والإداري الراحل نجيب علم الدين، مثلاً لكفاءة الطيارين ومثالاً للدقة في المواعيد ونموذجاً للباقة في تعامل الطاقم مع الركاب، كما كانت سخية في المأكّل والمشرب الأمر الذي جعل إخواننا الخليجيين ومن قبل أن تخطف الدور منها دبي الشيخ محمد بن راشد المكتوم ثم لاحقاً دوحه الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني يعتبرون مطار بيروت على بساطته أفضل محطة «ترانزيت» يرتاحون فيها ليلة أو أكثر ثم يتابعون السفر نحو عواصم دول أميركا شمالاً وجنوباً وعواصم دول الشرق الأقصى وعواصم دول أوروبا وأفريقيا. ثم حدثت الصدمة الكبرى للشركة مع إدخال لبنان في أتون الصراعات وتحويله إلى ساحة إحتراب ووصاية إمتدت من ساحله إلى جبله إلى بقاعه ومن جنوبه إلى شماله. كما أن مطار بيروت خلا من بعض طائرات تلك الشركة الرائدة حيث تم تأجيرها بطواقمها إلى شركات عربية. وبذلك لم يعد مطار العاصمة بيروت على رونقه كما أن العناصر الأمنية السورية جعلت منه معلماً سياسياً أمنياً وتصدرت قاعاته صور الرئيس حافظ الأسد. وباتت الرحلات الجوية القليلة إليه ذات طابع لا علاقة له بالسياحة فضلاً عن أن اللبنانيين لم يعودوا على حيوية السفر إلا في الحالات الإضطرابية. وفي ظل هذا الواقع المحزن بات إدخال المحظورات وتسفير الممنوعات أمراً مألوفاً

ولمصلحة أطراف لبنانية تلقى الحماية والغطاء من الوجود السوري.

بعد «إتفاق الطائف» بدأ مطار بيروت يستعيد خطوة بخطوة بعض الرونق ثم كانت المبادرة النوعية من جانب الرئيس رفيق الحريري الذي أعاد ترميم المطار شكلاً وموضوعاً فحمل بالتالي إسمه عن أحقية والتأم شمل الطواقم التي غادرت والطائرات التي استؤجرت. وحتى عشية إعلان الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله عن إشراك «طيران دولة الحزب» في أجواء «طيران لبنان الدولة» كان تباهي اللبنانيين بالأسطول الجوي لدولتهم يشق طريقه إلى نفوسهم وكانوا سعداء بذلك ومن دون أن يسأل السائلون منهم: لماذا لا يكون عندنا طائرات حربية ولماذا الإكتفاء بالبيانات الخجولة عن إختراق متواصل من جانب الطائرات الحربية الإسرائيلية للأجواء اللبنانية من جنوبه إلى شماله إلى بقاعه إلى ضاحيته معقل «حزب الله» وبمحاذاة منطقة القصر الرئاسي ومنطقة سراي الحكومة ومربض برلمان الرئيس نبيه بري.

ثم وفيما اللبنانيون على موعد مع محاولة حوار وطني يستهدف قونة خطة دفاعية أعلن السيد حسن من على شاشة فضائية الحزب عن طيرانه الحربي مربكاً بذلك أمنية اللبنانيين بإمكانية التناؤل بإستبطاط الخطة التي عزز إمكانية إجترح معجزتها جنوح رئيس الجمهورية ميشال سليمان نحو الصيغة الوفاقية وذلك مع إقتراب إنصرافه بادئاً الرسم في المشهد اللبناني في لوحة الرئيس المنحاز للسيادة ولغلبة الشرعية على ظواهر الأمر الواقع وتخفيف منسوب المسايرة لصديقه الرئيس بشّار الأسد.

إعلان السيد حسن عن أن الطائرة التجسسية من دون طيار التي أسقطها الإسرائيليون قبل يومين من الإعلان كانت طائرته وأنها من صنع إيران وتم تجميعها في «لبنان دولة الحزب»، أحدثت بطبيعة الحال رعشة خوف في نفس الرئيس سليمان، ذلك أن الطائرة هذه سلاح وقامت بتصوير مواقع إسرائيلية إستراتيجية. وإذا كان هو كرئيس للبلاد لم يعرف سلفاً بأمر هذه الواقعة فما الذي سيقوله للناس وللجيش الذي من صلاحيات قيادته القيام بعمليات من هذا النوع.. هذا في حال توفرت لديه الطائرات من دون طيار. والخطر في الأمر أن السيد حسن أعلن عن وفرة في هذه الطائرات ما دام

التصنيع في لبنان وصناديق المعدات في المخازن.. هذا إلى جانب عنصر المباغثة من جانب الحزب المشارك في الحكومة وفي هذه الحال من واجبه إحاطة رئيس الحكومة ووزير الدفاع وكلاهما من حصة رضى السيد حسن عليهما، بما ينوي الحزب القيام به. لكن ذلك لم يحدث كي لا ينكشف الأمر وبذلك لا تتم العملية ولا يعود في إستطاعة الحزب، لتفادي إحراج الرئيس وليس لعدم الإمكانية، إرسال المزيد من الرحلات - التحويمات.

بصرف النظر عن رأي الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بأن واقعة الطائرة «إستفزاز متهور يدفع باتجاه تصعيد خطير يهدد زعزعة الإستقرار اللبناني» وذلك تتاعماً وتطابقاً مع تحفظات أبقاها قبل ساعات لبنان المعارض وعلى لسان فؤاد السنيورة (رئيس الحكومة السابق) لخصها بالقول «إن ما قام به حزب الله توريط للبنان كما أن القرار ليس لبنانياً بل إنه عمل إيراني أدخل لبنان في الصراعات الإقليمية والدولية»... بصرف النظر عن الرأيين المشار إليهما وتفهّم ما يقوله الرئيس السنيورة كونه لم يبرأ من الذي حدث لـ «لبنانه» عام 2006 عندما خطف «حزب الله» الجنديين الإسرائيليين وترتبّ على الخطف عدواناً كارثياً، فإن إحتمال أن يتكرر العدوان وارد يقوم به ننتياهو مطمئناً إلى غطاء دولي من الأمم المتحدة يتمثل برأي أمينها العام الذي أوجزناه ويكون العدوان ورقة تدعم إمكانية فوزه في إنتخابات ستنتم يوم 22 يناير/ كانون الثاني 2013. وعندما يقول الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد تعليقاً على عملية «طيارة السيد» إن الشعب الإيراني «سيكون دوماً إلى جانب الشعب اللبناني الشجاع والمقاوم وسيستفيد من الطاقات المتاحة» ويقول وزير الدفاع الإيراني الجنرال أحمد وحيد «إن إطلاق حزب الله طائرة الاستطلاع من دون طيار في الأجواء الإسرائيلية يثبت القدرات العسكرية لطهران، وأن لـ «حزب الله» الحق في إطلاق الطائرة في أجواء الدولة العبرية إذ أن الأخيرة تنفّذ دورياً طلعات إستكشافية في الأجواء اللبنانية...»، فهذا يعني أن تحويمة «أيوب» كانت إختباراً أولياً لكن التحويمات ستتكرر وأن العدوان المحتمل حدوثه هو لقطع الطريق على المزيد من التحويمات. وفي الإطار نفسه يجوز الإفتراض أن الغرض من التحويمة كان

تحريضاً لإسرائيل على أن تشن عدواناً على لبنان وفي هذه الحال ينشغل المجتمع الدولي بتداعيات هذا العدوان وينصرف عن إنشغاله بالموضوع السوري الذي يزداد تفاقماً وقد تزداد أكثر فأكثر حدة التناقض إلا إذا تم الأخذ بـ «هدنة عيد الأضحى» التي دعا إليها الأخضر الإبراهيمي مع ملاحظة أن الدعوة سبقت حلول يوم العيد بأحد عشر يوماً، ولا ندري لماذا لم يحدد الإبراهيمي البدء على الفور بالهدنة خصوصاً أنه في خلال الأحد عشر يوماً سيكون وفق الحصيلة اليومية للقتلى سقط حوالي ألف ومئة مظلوم وأضعاف الرقم جرحى وعشرات المباني دُمرت وألوف الناس هاجروا أو لجأوا. في المقابل فإن من المكاسب التي حققتها تحويمة «أيوب» لـ «حزب الله» أنها أدخلت الخوف إلى نفوس الإسرائيليين والإرتباك إلى حكومتهم وقيادتهم العسكرية كون التحويمة رفعت معنويات جمهور الحزب في وقت تراخت هذه المعنويات بعض الشيء لكن في الوقت نفسه أدخلت الخشية إلى نفوس أطياف كثيرة من أن يكون الرد الإسرائيلي على العملية خطيراً وأن إستباق ذلك بإعادة إنتشار للناس أمر وقائي لا بد منه. من مكاسب التحويمة أيضاً أنها تمت من حيث عنصر المفاجأة والتحدي بأسلوب في غاية التبسيط مثل عبور القوات والدبابات المصرية قناة السويس في حرب 1973 على جسور من خشب وتدميرها خط بارليف بمضخات إبتكرها العقل المصري.

وأما خيبة الرئيس ميشال سليمان والمؤسسة العسكرية من الذي جرى فإنها تزداد تفاقلاً إلا إذا إنتقل رئيس مجلس النواب ورئيس حركة «أمل» النصف الثاني للطائفة الشيعية من المتحفظ صمتاً إلى اللائم قولاً. وفي هذا ما يطمئن جمهور الطائفة من مخاطر قد ينجم «حزب الله» بصواريخه الألوفية في الرد عليها بمخاطر تصيب المعتدي. لكن في نهاية الأمر سيدفع لبنان واللبنانيون من دون تمييز الثمن الباهظ ولا تكسب القضية الفلسطينية شيئاً ملموساً ما دام المجتمع الدولي وبالذات أميركا بالرأسين الجمهوري والديمقراطي وروسيا بالنفاق البوتيني وأوروبا بالثقلية المخجلة والفاثيكان المتساهل المتسامح والأمة الإسلامية الصارخة في الوادي، على موقفه المحتضن لإسرائيل معتدية ومحتلة. وبالعودة إلى ما بدأناه فإن اللبنانيين عموماً يريدون وفي هذه الظروف بالذات أن

تكون الأجواء مقتصرة على تحليلات «أرذات طائرتهم المدنية» ليس ضيقاً بالمقاومة... وإنما من أجل أن تنتهي ظاهرة إستعمال لبنان ساحة مشرعة الأبواب لتحقيق مآرب الآخرين.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 21 أكتوبر (تشرين الأول) 2012

* * *

الهدنة.. الهدنة.. ولو كمن يتجرع السم

ليس جديداً على الأمة أن عيد الأضحى ومن قبل عيد الفطر وعيد المولد النبوي وذكرى عاشوراء لا تلقى من جانب بعض الأطياف العربية والإسلامية المتصارعة وقفة تهيب أمام هذه المناسبات الكريمة فلا يتوقف إقتال هذه الأطياف ولا تتبدل لغة التخاطب، مع أن أبسط الأمور أن يغتنم هؤلاء وبالذات الأطراف الأقوى سلطة وقوة مثل هذه المناسبات فيبادرون إلى إبداء حُسن النية وتسجيل إشارة توحى بالرغبة في طي صفحة الإقتال وبدء صفحة التصافي وذلك ضمن أجواء تحققها هدنة غير مقيدة بفترة زمنية.

في زمن الحرب اللبنانية لم يحدث ما نشير إليه وكان من المحزن جداً أن أصوات المؤذنين في المساجد تتراقق مع طلقات الرشاشات وأحياناً يحجب هدير الصاروخ صوت المؤذن وإبتهالات المبتهلين عند صلاة الفجر. كذلك كان يحدث ما هو أكثر إيلاً على النفس وذلك عندما يكون هنالك مصلون يؤدون صلاة الجمعة ثم يفاجئهم صاروخ يأتي على الكثيرين وتختلط دماء المصلين بالمصحف الشريف. وما رواه شهود على حالات من هذا الذي نشير إليه يدمي القلب.

وخلال سنوات الحرب العراقية - الإيرانية سعى أصحاب نوايا طيبة إلى إقناع المتقاتلين بإعلان هدنة طويلة والتحدث في ما يمكن التفاهم حوله لكن السعي لم يثمر. ولقد مرت مناسبات الأضحى والفطر والمولد النبوي وعاشوراء طوال ثماني سنوات من دون أن تلقى من طرفي تلك الحرب بعض التهيب، خصوصاً أن الهدنة تتيح لهذا المقاتل أو ذاك أن يزور أهلاً ويحتضن ولداً ويطمئن شعباً.

أما لماذا كانت هذه الهدنات في المناسبات الروحية

الكريمة لا تحدث، فلأن العناد وقساوة القلوب والغلو في التطلعات المستحيلة كانت تتقدم على المشاعر الروحانية. وفي نهاية المطاف لم يبق العناد هو سيد الموقف وإضطر المتقاتلون إلى الأخذ بمبدأ التفاوض في ظل هدنة، كان الجانب العراقي للإنصاف يريد لها لكن الجانب الإيراني كان رافضاً الأخذ بها وفي اعتقاده أن الهدنة هي في بعض معانيها إقرار بالعجز عن مواصلة التحدي. وبسبب التأجيل المتواصل لإعتاد هدنة يتم في ظل أجوائها الحوار الذي يختصر سقوط أرواح وتدمير مدن، فإن فرصة إنهاء الحرب تضاعفت وفاضت أرواح ألوف الناس، وبقي العناد يشق طريقه إلى أن كانت لحظة الإقرار بالخطوة متمثلة بإعلان الإمام آية الله الخميني وبما يشبه الفتوى القبول بوقف إطلاق النار وأنه يرتضي ذلك كمن يتجرع السم. ويا ليت لم يقرن القبول بهذه الحثيثة، ذلك أن إختصار فواجع الإقتال وسقوط الضحايا وتدمير المدن هو فعل خير يتباهى به من يقرره وليس إثماً لكي يتم تشبيهه بجرعة سامة.

المهم أن وقف القتال حدث على رغم تفسيرات لاحقة بأن ذلك لا يعني إنتهاء الحرب وإنما هو هدنة. ولو أن تلك الخطوة لم تحدث لكانت الحرب طالت ولكانت جثث العساكر من الطرفين العراقي والإيراني منتشرة لا سبيل لجمعها ودفنها. وبعد قرار وقف القتال الأشبه بتجرع السم، على حد قول الإمام الخميني، حدثت جولات من التفاوض الذي لم يحقق نتيجة. ثم كثرت حدة التداعيات التي عاش الجاران اللودان مرارة الفواجع التي فاقت التصور.

في ضوء تلك الأمثلة نجد أنفسنا ونحن نتابع المسلسل الدموي والتدميري اليومي الذي يحصل في سورية وللشهر الثاني والعشرين على التوالي ومن دون إنقطاع نقول إن الهدنة بأمل وقف الإقتال هو الأمر المستحب وخصوصاً أن الدعوة إلى ذلك جاءت لمناسبة روحانية، فضلاً عن أن طرفي الإقتال مسلمون وأنهما يخوضان مواجهة ينطبق عليها القول الذي لا جدال في معناه وهو إن القاتل والقتيل في النار. وحتى إذا بدا للطرف القوي في المواجهة، وهو بطبيعة الحال النظام وليس المنتفضون عليه، أن الهدنة هي كمن يتجرع السم بتوصيف الإمام الخميني لها، فإنها مستحبة ما دامت قد تتطور إلى وقف نهائي للإقتال فإلى علاج ما واقعياً

كان هذا العلاج على نحو علاج «إتفاق الطائف» للمحنة اللبنانية أو العلاج الخليجي - الدولي للمحنة اليمنية، أو علاجاً على قاعدة ما لعمر و لعمر و ما للناس للناس.

وثمة خطوة حدثت فجأة ونفترض أن نظام الرئيس بشّار الأسد والنظام الإيراني، الحليف الثالث المعطل للتهدة ونكاد نقول للتسوية إلى جانب الحليفين الروسي والصيني، استوقفتها وتعكس حقيقة أساسية وهي أن هذين الحليفين العضوين الرابع والخامس في مجلس الأمن الدولي يتفاهمان عند الضرورة مع الأعضاء الثلاثة الآخرين أميركا وبريطانيا وفرنسا على مسألة عادية وهي المتعلقة بعدم تغيير الحكومة اللبنانية التي يترأسها نجيب ميقاتي والتي إنقضت المعارضة الحريية عليها فور إغتيال رئيس شعية المعلومات اللواء وسام الحسن وتشجيع جثمانه كبطل أمني مثل التشجيع الذي جرى للرئيس رفيق الحريري ثم دفنه بجوار الرئيس الشهيد. وكان لافتاً قيام سفراء الدول الخمس المالكة حق «الفيتو» بالتوجه إلى القصر الجمهوري لإبلاغ الرئيس ميشال سليمان الموقف الموحد الذي لا «فيتو» عليه من جانب دولهم وإسناد مهمة الإعلان عن ذلك إلى ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في لبنان. وبطبيعة الحال تم الأخذ بالطلب وأدى الرئيس ميقاتي فريضة الحج وبما يعزز ذلك ديمومته على الأرجح رئيساً للحكومة. وما نريد قوله إن مصلحة الدول الخمس كانت في ما فعلته بالنسبة إلى لبنان بينما مصلحة القادة فيها، وكل له أسبابه، أن تبقى السنة اللهيبة مشتتة في الفضاء السوري. أميركا تريد ذلك لأن رئيسها يتطلع إلى تجديد الرئاسة بعد أسابيع ومن شأن موقف حازم تجاه النظام السوري والنظام الإيراني التسبب في تعطيل للفوز. وما تريده الإدارة الأميركية لا تعترض عليه حكماً بريطانيا وفرنسا. أما روسيا والصين فتري كل منهما أن الهدنة قد تنتهي في لحظة صحو واستعادة الضمير الغائب إلى تسوية ثم إلى حل ينطبق عليه قول الشاعر «وإن الذي بيني وبين بني أبي.. وبين بني عمي لمختلف جداً. إذا أكلوا لحمي وفرث لحومهم.. وإن هدموا مجدي بنيث لهم مجداً». وعندما يحدث ذلك فإنه بطبيعة الحال لا تنال روسيا والصين من العهد السوري الجديد الوفاقي سوى اللوم وربما النأي عنهما.

من هنا يجيز الحريصون على سوريا الرقم الصعب

في المعادلة الإقليمية في حال إستدارت وإهتم نظامهما بقضايا الداخل وفي مناخ من الأمان النفسي والإجتماعي وفي ظل سياسة إحترام سيادات الآخرين وإعتماد الديمقراطية بدل القبضة الأمنية والعدالة بدل الهيمنة وعدم التحرش بلبنان وغيره، وكذلك الحريصون على الحليف الثالث لها الجمهورية الإسلامية المعول عليها كدولة قوية حريصة على أوامر الصداقة والجوار وليست على نحو ما تفعله وترمي إليه وتضمه متسببة لجيرانها بحالة من القلق... يجيز الحريصون بالذات على سورية، كما على إيران، ونحن منهم القول إن الإقتراح الذي إنتهى إليه المبعوث الأممي العربي المسلم الأخضر الإبراهيمي كان وصفة علاجية وفي إعتقاده أن سوريا المقتتلة ستتعامل مع هذا الإقتراح بما يستوجب الأخذ به وحتى إذا رأى الطرف الأقوى الذي هو النظام أن القبول هو كمن يتجرع السم. وأما تخريجة القبول الإختياري الإفرادي بالإقتراح فإنه مثل حالة الحب عندما يكون من طرف واحد.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 28 أكتوبر (تشرين الأول) 2012

* * *

غزة الشيخ حمد وموزة..

ولبنان الشيخين أحمد وعبدالله

أماننا مشهدان لافتان بطلاهما شيخان من جيلين وقضيتان من زمنين. وفي التعبير عن تعاطف كل من الشيخين مع قضيته وبأسلوب والإمكانات التي يعتمدها في هذا التعاطف ما يجعل قلم الكاتب مثل حالنا مطواعاً مع الكلمات بحيث تأتي المفردات عفوية.

الشيخ الأول هو حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر الذي يمارس دوراً سياسياً يتجاوز بكثير حجم دولته الذي ذاع صيتها كحاملة إنذارات أحياناً مغلفة بالنصيحة والتمنيات مع بعض الإغواءات وهذا حصل خلال صولات وجولات حمد الشيخ الأمير وحمد الشيخ الوزير في ربوع أهل الحكم العراقي الصدامي ثم في ربوع أهل الحكم السوري البشاري. وهكذا بدا الشيخ الأمير صاحب إختصاص في التعامل مع التوازن البعثي إضافة إلى

تعامل لم يصل إلى خواتيمه مع التَّوَرَّان النجادي الأكثر الأهمية من التَّوَرَّان الفلسطيني الحماوي وإلى حد أن الشيخ الأمير أوجد معادلة من العسير فكفكة حلقات ألغازها وتتمثل في أن المضافة القطرية للرجل الأول في «حماس» خالد مشعل ولرفاق آخرين من الحركة المستأثرة بقطاع غزة كانت لا تصطدم بالغضب الإسرائيلي كما الغضب على سوريا البشّارية وحديثاً السودان البشري، بل إنها كانت تلقى كل الرضى من جانب إسرائيل تقديراً لجسارة الإنفتاح القطري عليها والذي كان إذا جاز التوصيف «الإنفتاح المنفرد» شبيه «الصلح المنفرد» الذي أبرمه الرئيس أنور السادات مع إسرائيل برعاية الرئيس جيمي كارتر، الذي إنتهى إلى أنه بات بعد الإنصراف من الرئاسة واحداً من «حكماء» هذا الزمن العربي والدولي غير السوي، فيما أنور السادات قضى إغتيالاً ومناحيه بيغن إنتهى وفاة، والإثنان مع ثالثهما الأميركي هم رموز تلك الصفقة التي بعثت الصف العربي وكاد التبعر يتحول إلى تصفية إفلاسية للقضية الفلسطينية لولا «المبادرة العربية» التي إستتبها الملك عبدالله بن عبد العزيز في القمة العربية الدورية في بيروت (كان ولياً للعهد) ولا تزال أعقل صيغة لحماية القضية من السقوط في الهاوية.

من السابق لتبتيته كحقيقة الإفتراض أن الشيخ الأمير بزيارته المحروسة من جانب الشيخ الرئيس محمد مرسى إلى قطاع غزة يوم الثلاثاء 23 أكتوبر/ تشرين الأول 2012 مصحوباً بزوجه الشخة موزة بنت ناصر المسند لإضفاء طابع عائلي على الزيارة، أي عائلة آل ثاني وعائلة آل حماس هنية، يتطلع إلى دور تاريخي شبيه بالدور الذي قام به الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر، أي تحقيق مصالحة فلسطينية - إسرائيلية ويتم إطلاقها من الدوحة العاصمة المتألثة ثواراً معارضين من كل فجٍ ثوري حاكم، ويكون هذا الإطلاق من الإمارة المحروسة بوجود أميركي نقيض ذلك الوجود السالف في العراق، متلازماً من حيث رفعة الشأن القطري مع إستضافته «المونديال» عام 2022 (في عِلْم الغيب من يبقى ومن ينصرف قبل هذا الحدث الكروي العظيم) وبحيث تتزامن الدولة الصغرى ذات الغاز الكثيف والنفط الغزير وفضائية «الجزيرة» ذات الوجهين والأبراج العالية والثوار ومعارضهم من كل عقيدة ولون مع دول كبرى مثل المملكة المتحدة التي لن يقلل من تأثيرها إحتمال

إنفصال اسكتلندا عنها وإحتمال لحاق أيرلندا بها كما إنفصال السودان إثنين، شمالي في الحزن الإيراني تحميه المدمرات الإيرانية الصديقة الحليفة وجنوبي يرفرف في فضاء ننتيا هو - ليبرمان، ومثل روسيا التي ستفق على «مونديال 2018» تستضيفه للمرة الأولى من أموال ذات أصول إيرانية مقتطعة لقمة العيش من أفواه الإيرانيين الذين سيعتادون بعد اليوم على «صُنع في إيران» لمواجهة مستلزمات الحياة رداً على العقوبات الدولية الجائرة المتواصلة، ورفضاً من جانب أهل الحكم لإعادة النظر وتفضيل الواقع والإهتمام بقضايا الداخل على المضي في مشروع السلاح على أنواعه صواريخ عابرة لحدود إيران وحدود الجيران وطائرات بلا طيار تملأ سماء المنطقة من لبنان إلى حيث يراد لها وذخيرة من كل نوع «صُنع في إيران وفي يرموك الخرطوم».

زيارة الشيخ حمد وزوجه موزة للجناح الحماوي من فلسطين المتبقية لافتة من حيث الدوافع إذ ربما هي لمكافأة خالد مشعل على رده مستبدلاً سوريا البشّارية بتركيا الأرذوغانية عملاً بتقاليد ذوي العقيدة الواحدة، وهي تحفيز للشيخ حمد من جانب الشيخ الآخر يوسف القرضاوي الذي يتولى التنظير والإفتاء السياسي إلى جانب الفتاوى المذهبية المثيرة للجدل. وإلى الدوافع هنالك الجانب النُخوي من الزيارة لأن بضغ مئات من ملايين الدولارات المحسوب إنفاقها لإعمار غزة كفيلاً بتخفيض درجة حرارة الغليان الثوري وجعل الغزاويين يستديرون بالترج فلا يواصلون التطلع نحو تحويل غزة إلى «إمارة» مثل «إمارة موناكو» لكنها غير حاسرة الرأس ولا موبقات أو كازينو فيها مثل الذي هو في «مونت كارلو» أو مثل الذي أجاز إستحداثه الرئيس الراحل ياسر عرفات في زمن نضوب المال العربي المتدفق عليه ورأى التعويض عن ذلك بأموال المقامرين الإسرائيليين الذين يهوون الميسر إلى جانب العدوان على العرب الفلسطينيين بوجه خاص لكن حاخاماتهم حرّموا القمار والكازينو في فلسطين التي إحتلوا وأنشأوا على أطلالها دولة العدوان على مدار الساعة المغفور لها دولياً عدوانها. لكن أبو عمار أعاد النظر وألغى ذلك الكازينو ومن دون إعتذار عن فعلته الميسرية.

في أي حال كانت زيارة الشيخ حمد إلى غزة ستبدو مثل لحظة تاريخية في الحياة الفلسطينية لو أنها لم تقتصر على غزة الحماوية وأقنع الرئيس محمود عباس

المكتوي منذ أشهر بجمر الضائقة المالية والإقتصادية أن ينضم إلى لقاء غرة أو يحدث العكس بمعنى إنعقاد هذه القمة بين الشيخ حمد والشيخ إسماعيل هنية في رحاب أبو مازن في رام الله، وإن كانت تجربة جمع اللدودين «فتح» و«حماس» وبأشخاص محمود عباس وخالد مشعل وإسماعيل هنية في رحاب البيت العتيق (مكة المكرمة) من 6 إلى 8 فبراير/ شباط 2007 وبرعاية خير الحادبين الملك عبدالله بن عبد العزيز لم تكن مشجعة لأن اللدودتين تصرفتا كتصرف الضرائر، ضرة لا تطبيق شريكتهما في الزواج من القضية.

ما بعد الزيارة الحمدية من تطورات سيؤكد صواب الخطوة لجهة أنها بالفعل ستنتهي الحصار الإسرائيلي والذي قال هنية إنه إنكسر بزيارة الشيخ حمد، وكذلك لجهة موقف حماسوي أفضل نحو العمل تحت مظلة فلسطينية غير مثقوبة، أو إنه سيؤكد مسألة الاستعجال في القيام بالزيارة. لكن الأمر في النهاية وبصرف النظر عن كثرة الإقتراض هو تعبير عن التعاطف مع حالة عربية يدمي التلاعب العربي الدولي بها وجدان الأخيار من الناس.

ومثلما أن لكل من الأخيار قدرته وإمكاناته ومشاعره فإن هنالك من يعبر عن الحالة المماثلة التي هي حالة لبنان على طريقة «لا خيل عندي أهديها ولا مال... فليضعف النطق إن لم تحسن الحال». وهذا ما فعله رمزان عربيان أصيلان بالنسبة إلى المحنة اللبنانية المتواصلة إنحداراً للعقد الرابع على التوالي. ولقد صادف أن هذين الرمزين الشيخين أمضيا ردهة من الزمن في لبنان عندما كان في الستينات ينعم بأجواء من التعقل والهدوء فيما العواصف الثورية تهب من كل صوب عربي قبل أن يلتقي العواصفيون على غرض واحد وهو تحويل لبنان الجميل إلى ساحة صراعاتهم يحاول كل طرف إظهار مفاعيل عضلاته، فإنتهت الصراعات إلى أن نسائم العروبة كفكرة إنتهت نيراناً حارقة.

الشيخان هما أحمد نعمان الشخصية اليمنية الذي أفاض حكمة أيام النضال ونزاهة بعد ممارسة المسؤولية السياسية رئيساً للحكومة ووفاء بعدما إختار العزلة كمكوداً من أفعال كثيرين في بلده الذي كان يريده مع كوكبة من أهل الحكمة والحصافة سعيماً بالفعل. والشيخ الآخر هو عبد الله القصيمي الذي شارك الشيخ النعماني تشخيصه لأهمية لبنان هذا الوطن الكبير المستصغر الذي إستضعفه

المستضعفون وأدخله الأسد إلى عرينه بأمل إتهامه. والإثنان طالما خففت إستفسارات الشيخ الجليل الوفي عبد العزيز التويجري عنهما بالإتصال وباللقاء وبالتراسل من معاناة عزلتهما وخيبة الأمل النعمانية خصوصاً بالذي إنتهى إليه نضال الأحرار من أجل يمن سعيد حقاً.

وفي الوقت الذي كان الشيخ حمد ومعه الشبيخة موزة يؤديان في غرة الواجب النحوي ومن دون أن نُكثر من البحث تنظيراً عما يريده الأمير الميسور من ذلك، كان الزميل الكاتب لطفي نعمان أحد أحفاد الأستاذ أحمد نعمان يبعث إلي من صنعاء بقصيدة للقصيمي يرثي فيها لبنان أو ربما يواسيه قالها في حضرة صديقه النعمان الذي، على نحو شغفه بتدوين ما يستحسنه من شعر ونثر، كتبها بخط يده وبقيت ضمن مقتنياته ومخطوطاته وإرتأى لطفي الحفيد وهو الأدرى بعلاقتي الوطيدة بمثلث الفكر كموهبة من رب العالمين وليس من خلال مقاعد الدراسة الشيخ عبد العزيز التويجري والأستاذ أحمد نعمان والشيخ عبدالله القصيمي، أن يبعث بها إلي. وأنا من جانبي أضعها أمام قارئ «الشرق الأوسط» وبالذات أولئك الذين نفوسهم حزينة على بلد أحيوه فإذا بصراعات العروبيين ومعهم حديثاً التُرك والفُرس إلى جانب الدول الكبرى المتلاعبة بأقدار الشعوب، تخطف منهم فرحتهم بهذا البلد كما إختطاف جارتنا العظمى إيران والجارة الحاسدة والطامعة سورية لثلاث الفلسطينيين (أي حماس ومثيلاتها) من كياناتهم الناحل أصلاً وتشجيعهم على إقامة «دولة» من الشهداء والباحثين عن منقذين لهم من الحصار الظالم.

والقصيدة ذات النطق القصيمي والتدوين النعماني عنوانها «كنت يا لبنان» وهي على النحو الآتي:

كنت يا لبنان زهراً.. في عباوات العروبة • كنت يا لبنان فجراً.. في دياجير العروبة • كنت يا لبنان طهراً.. من وقاحات العروبة • كنت يا لبنان عطرأ.. فوق أوحال العروبة • كنت يا لبنان جسراً.. فوق صحراء العروبة • كنت يا لبنان كبراً.. فوق أوثان العروبة • كنت يا لبنان شعراً.. لم تؤلفه العروبة • كنت يا لبنان رفضاً.. لفرعدين العروبة • كنت يا لبنان حباً.. فوق أحقاد العروبة • كنت يا لبنان شيئاً.. لم تجربه العروبة • كنت يا لبنان ضوءاً.. راع فئران العروبة • كنت يا لبنان عقلاً.. فوق أبواق العروبة • كنت يا لبنان نجماً.. فوق هامات العروبة • كنت يا لبنان شـدواً.. فوق أنات العروبة • كنت يا لبنان نبضاً.. هال ثوار العروبة • كنت يا لبنان طقساً.. ليس

للعروبة لأنها ليست العلة وإنما العلة في العروبيين.. بعض العروبيين وليس كل من آمن بهذه الفكرة النبيلة.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 30 أكتوبر 2012

* * *

أمثلة من تاووضروس إلى الراعي والسيستاني والقرضاوي وغيرهم

في عملية إنتخابية يتمنى المرء لو يتأمل أهل السياسة في نقاء ديمقراطيتها وبساطة إجراءاتها وعمق معانيها، إختار أقباط مصر أسقف عام البحيرة الأنبا تاووضروس بطريركاً للأقباط الأرثوذكس والكراسة المرقسية خلفاً للأنبا شنودة الثالث الذي توفي مساء يوم السبت 17 مارس/ آذار 2012 عن 89 سنة كانت أواخرها سنوات قاسية صحياً على هذه الظاهرة الدينية الذي رؤى العمل السياسي والسلفية القبطية المحدودة التأثير لكنها مقلقة في أي حال متحماً تداعيات هذا الترويض على المقتضيات الدينية. وكان تشييع البابا شنودة وتعامل الإعلام الرسمي والخاص وهو إعلام في معظمه إسلامي التأسيس والإنتاج والكتابة وكذلك الإعلام الفضائي، مميزاً إختلط فيه الأسف على رحيل البابا شنودة بالخشية مما هو آت بعده، ذلك أن رحيل الرجل حدث في زمن تمثّد الإسلاميين من الميدان إلى مؤسسات الحكم وقصر الرئاسة. ومن علامات الأسف أن العناوين الرئيسية في الصفحات الأولى للصحف القومية عن يوم التشييع (الثلاثاء 20 مارس) كانت: في «الأهرام» مصر تودع البابا بصلوات السلام.. مسلمون ومسيحيون يبيتون أمام الكاتدرائية لتشييع البابا. وفي «الأخبار» جنازة القرن.. مليونية مصرية في وداع البابا شنودة. وفي «الجمهورية» المسلمون والمسيحيون معاً في يوم الوحدة الوطنية. وإلى هذا الأسى الذي خفف من وطأة القلق المسيحي على مستقبل العلاقة بين أكرثية إسلامية في حدود تسعة وثمانين في المئة وأقلية مسيحية غير محسومة رسمياً نسبته وإن كانت لا تتجاوز 12 في المئة، أن المستبشرين من علماء مصر ومعهم الشيخ الأكثر حراكاً على صعيد

طقساً للعروبة • كنت يا لبنان حراً.. لم تحمك العروبة • كنت يا لبنان غيظاً.. لزعامات الجهالة • غاظهم منك إنتصار.. قاهر كبر الزعامة • فجروك اليوم حقداً.. إنه حقد السفالة • هم أردوك بدابة.. هم أردوك عبادة • لم يطيقوك حضارة.. لم يطيقوك كرامة • هم أردوك نذالة.. لم يطيقوك شهامة • هم أردوك عداوة.. لم يطيقوك صداقة • هم أردوك بلادة.. وأردوك كهانة • هم أردوك ذبابة.. لم يطيقوك سحابة • كانت الغصة صعبة.. كانت الضربة ضربة • كانت الخطة هجمة.. كانت الهجمة خطة • واضعوها همج.. نفذوها بشراسة • رفضوه أمة.. وأردوه عصابة • رفضوه عزة.. وأردوه مهانة • رفضوه زهرة.. وأردوه قمامة • رفضوه منطقاً.. وأردوه سفاهة • رفضوه فطحاً.. وأردوه كآبة • رفضوه شرطاً.. وأردوه نذالة • راعهم منتصراً.. فأردوه هزيمة • راعهم مزدهراً.. فأحالوه حريقة • عاقبوه حسداً.. لمزاياه الأنيفة • لم يطيقوه حواراً.. وأردوه بذاة • لم يطيقوه عماراً.. وأردوه خرابة • لم يطيقوه جمالاً.. وأردوه دمامة • لم يطيقوه إنفتاحاً.. واهباً للحب بابيه • بل أردوه انغلاقاً.. وأردوه عداوة • لم يريدوه رخاء.. بل أردوه تعاسة • بل أردوه حماقة.. وأردوه بشاعة • آه من عاري بقومي.. إنهم للعار قادة • آه من سادات قومي.. إنهم مجد الجهالة • دع لهم مجد الوقاحة.. زدهمو مجد الكراهة • آه من أمجاد قومي.. إنها أبداً إشاعة • آه من تاريخ قومي.. إنه أغبي رواية • آه يا تاريخ قومي.. أنت عار للرواة.. أنت عار للرواية.

* * *

تلك هي القصيدة التي فاضت بها القريحة القصصية قبل أربعة عقود، لأن لبنان كان في حالة إحراق عروبي. وما هي الحالة اللبنانية للمتأمل فيها تنذر بعودة الإحراق مع تنوع هويات رماة الحطب على النار المشتعلة وربطها بالذي يجري في سورية وبالموقف السياسي الراهن في ضوء «البلاغ رقم واحد» من جانب نصف اللبنانيين متمثلاً بما يسمى «لبنان 14 آذار» الحريري الهوى المعارض لـ «لبنان 8 آذار» السوري - الإيراني الهوى الحاكم وتضمنين بيانهم الصادر عن إجتماعهم الإستثنائي يوم الثلاثاء 30 أكتوبر/ تشرين الأول إعلان «الحرب السياسية» على النصف اللبناني الآخر. وهذا يعني كما القول المأثور (الحرب أولها كلام). مع إعتذار قلبي

الإفتاء المجتمعي والسياسي الشيخ يوسف القرضاوي المستقر في قطر سجلوا بعض الكلام الذي له صفة المراثي لنظيرهم الذي لاقى وجه ربه. وهؤلاء ركزوا على حرص شنودة على الوحدة الوطنية وإطفاء نار الفتنة التي كادت تحدث خصوصاً في العاصمة القاهرة وتطويق أفكار انفصالية قبطية رداً على الإصرار من جانب تيارات إسلامية متشددة على تضمين الدستور نصاً ملزماً بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية. كما أن وزير الأوقاف الأسبق الدكتور محمد الأحمد أبو النور إستحضر لمناسبة رحيل البابا شنودة واقعة أراد من إستحضارها ردع بعض المفترين والمسيئين إلى شنودة. وخلاصة هذه الواقعة أنه ذهب مرة مع أعضاء الحكومة للإفطار في الكاتدرائية تلبية لدعوة البابا شنودة الذي فاجأهم بأنه دعا إلى رفع أذان المغرب وإقامة صلاة الجماعة داخل الكاتدرائية وهذا لم يحدث من قبل ومؤشر إلى رؤية البابا شنودة للتسامح والحرص على عيش مستقر للديانات. أما الشيخ القرضاوي فإنه في بيان التعزية من جانب «الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين» رثى شنودة «الواعظ الذي قال عن مصر أنها ليست مجرد وطن نعيش فيه، بل هو وطن نعيش فيها كما أن للبابا شنودة كلمات لا تُنسى في تأييد الشريعة الإسلامية وله مواقف مشكورة في نصرة القضية الفلسطينية والوقوف ضد زيارة القدس في ظل الإحتلال...».

وهذه المواقف للبابا شنودة كان يرفدها وبهدف التعميم بحيث يعرف القاصي والداني من المسلمين والمسيحيين في مصر وخارجها ما الذي يجعله يشدد على التسامح والوحدة الوطنية، بتقليد مستحب وغير مسبوق يتمثل في مقالة ينشرها كل يوم أحد في «الأهرام» وبذلك بدت مقالاته هذه وكأنما هي «عظات دينية - علمانية» مطبوعة على الورق يكمل فيها عظاته الشفاهية الدينية من على المنبر الكنسي. وأجد نفسي أشير هنا إلى أنني كنت كمسلم عربي من خارج مصر المتابع ميدانياً شؤونها وشجونها وزلازلها السياسية على مدى أربعة عقود أحرص على قراءة ما يكتبه البابا شنودة قُدر حرصي على ما كان يكتبه الشيخ محمد مهدي شمس الدين والمطران جورج خضر والسيد محمد حسين فضل الله والمستثير كثير الإستتارة عائض القرني. وهؤلاء أناروا ونبّهوا وشكّلوا ما يشبه الرادع لإقتحامات السياسة وألغى السياسيين في العقيدة

الدينية. وفي مقالاته «الأهرامية» كان البابا شنودة يعالج مسألة المديح والكرامة وإنكار الذات وأصول الجدية والتدقيق ومعاني الصوم «الذي هو غذاء الروح» وفضيلة الصمت مستحضراً قول النبي داوود «فاض قلبي بكلام صالح... إذا كان هناك كلام نافع مفيد...»، ومعنى ميلاد السيد المسيح «الذي كان في تجواله يصنع خيراً ويشفي كل مرض وضعف في الشعب ويهتّم بالضعفاء والمساكين وبالخطاة والعشارين». كما كان في مقالاته يتحدث عن «حاجة العالم إلى السلام وإلى الهدوء على قاعدة على قُدر طاقتكم ساعدوا جميع الناس». وعندما لاحظ ما يحدث في زمن الإنتفاضة على نظام الرئيس حسني مبارك كتب مخاطباً الناس «لا تخافوا ولا تنزعجوا إعتدوا على الله وقدرته ونعمته». وأما في مجالسه التي كنت في بعض المرات من جلسائنا نصغي إليه متحدثاً نثراً وشعراً على نحو ما هو معروف عن الإمام الخميني وخليفته آية الله خامنئي والسيد محمد حسين فضل الله، فكان دائم الحرص على إستحضار مآثر كرام الحقب الإسلامية وبالذات حقبة الخليفة عمر بن الخطاب وحقبة الخليفة هشام بن مروان وكيف أن هؤلاء الكرام أشركوا مسيحيين في دواوينهم ك مترجمين أو فقهاء أو أطباء أو شعراء أو مهندسين معماريين، وعلى التذكير بأن القدس خط أحمر وبأنه لا يجوز للمسيحيين الحج إلى مقدساتهم ما دامت تحت الإحتلال الإسرائيلي ولم تتكون دولة فلسطينية معتبرة زيارة عدد من الأقباط إلى القدس المحتلة عام 1995 بأنهم «عصاة وغير مطيعين وعليهم أن يتوبوا، ونحن لا ندخل القدس إلّا مع العرب جميعاً. ثم إن إسرائيل التاريخية كانت مجرد رمز وإنتهى».

الآن ولمجرد إختياره بطريقاً للطائفة الأرثوذكسية والكراسة المرقسية يعلن الأنبا تواضروس أنه سيكون رجل دين فقط وأن لا علاقة بين الدين والسياسة. ثم يضيف بأن الربط بين الدين والسياسة «يفسد الدين ويفسد السياسة». وهذا الموقف من جانبه له دلالاته. فهو يريد طمأنة مصر الإسلامية بأن ضجيج الدعوات إلى «مصر قبطية» لن يكون وارداً بعد الآن. كما أنه سترك لفتنة الشرعية متمثلة بالرئاسة وروافدها أمر تصحيح قضايا كثيرة ملتبسة. وهو في ما أراده نهجاً منذ اللحظة الأولى يسجل في مشهد القيادات الدينية العربية والإسلامية عموماً أمثلة خلاصة مضمونها أن المرجع

الديني عليه حضر إهتمامه في القضايا الدينية فلا يقتحم ميدان السياسة على نحو ما يلمسه المرء في قيادات روحية كثيرة وصل بها التعاطي مع الشأن السياسي إلى أن المرء يشعر أنه أمام رئيس حزب وليس أمام مرجع أعلى للطائفة. وعلى سبيل المثال لا الحصر هنالك في لبنان حالة البطريرك الماروني بشارة الراعي ومن قبله سلفه البطريرك صفيير ومن قبل الإثنين حالة الإمام موسى الصدر الذي سر تغييبه وربما لغز تصفية الرئيس رفيق الحريري وغيره كانا في علم اللواء الشهيد وسام الحسن. كما هنالك حالة آية الله السيستاني في العراق وحالة الشيخ يوسف القرضاوي بدءاً من عرينه القطري في الدوحة شاملاً برؤاه وفتاويه كل ديار المسلمين.

وقد نجد من يقول إن خشية البابا الجديد للأقباط الذي كان زكاه بقوة أستاذة الأنبا باخوميوس قائم مقام البطريرك منذ وفاة شنودة، تعود إلى أن مصر تعيش الآن مخاضاً من الصعب التكهن بطبيعة الشاطئ الذي ستنتهي إليه أمواج الصراع الراهن حول هوية مصر بحيث تكون دولة دينية بدل أن تكون الدولة المتدينة. وفي الدولة الدينية من الصعب أن تستقر أحوال الأقباط ومن هنا رؤية مرجعهم الجديد حامل الرقم 118 في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية الذي إرتأى الحياد بين الدور الديني والدور السياسي. وهو كصيدلي سابق يمتلك خبرة تحضير الدواء ربما يرى أن الحياد هو خير دواء على الأقل في المرحلة الراهنة التي قد تطول. وهذا الحياد هو كما نرى أمثلة قبطية مستحبة من جانب البطريرك تاوذكروس المولود في سنة قيام ثورة 23 يوليو 1952 تحت إسم وجيه صبحي باقي سليمان، برسم مراجع دينية كثيرة أوردنا أسماء بعض الرموز منها ويحتار المرء في أمر ممارساتها حيث الواجب الديني يختلط في ما تقوم به مع الدور السياسي.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012

* * *

تأملات ومطالب في الذكرى العاشورية

كاد لبنان يشتعل يوم الأحد 11 نوفمبر/ تشرين الثاني

2012 بسبب لافتات خاصة درج «حزب الله» و«حركة أمل» على تعليقها لمناسبة حلول الأول من محرم. وهذه المناسبة العاشورية عزيزة على قلوب المسلمين عموماً وعلى أبناء الطائفة الشيعية بوجه خاص. وفي الزمن اللبناني الغابر قبل ثلاثين سنة خلت ويوم كان «حزب الله» لم يخرج على الإسرائيليين شاهراً مقاومته وتجاريه «حركة أمل» لجهة رص الصف الشيعي، كانت مراسم إحياء الذكرى الإستشهادية تتم وفق طقوس متوسطة الحماسة أو إذا جاز التوصيف كانت تتم في إحتفالية تتسم بالهدوء يحرص رموز الطوائف والعمل السياسي على المشاركة فيها ويخرج المشاركون وقد باتت مشاعرهم الوجدانية مثل مشاعر أبناء الطائفة الشيعية لجهة الحزن على الذي أصاب سيد الشهداء وبقية أفراد قافلة الإستشهاد. وكان الحزن على الإمام الحسين ومن إستشهد من آل البيت عفوياً من جانب السني والمسيحي وذلك لأن ما يقال في المناسبة من على المنبر نثراً أو شعراً كان يوحد المشاعر. بعد الثورة الخمينية باتت الإحتفالية بالمناسبة العاشورية ذات طابع تعبوي. وبسبب تأثير الظاهرة الخمينية على جموع الشيعة في بعض الدول العربية وبالذات لبنان حيث عدد الشيعة أكبر من عدد السنة الأمر الذي يجعل الورقة العاشورية بالغة الأهمية لجهة التعبئة النفسية السياسية، فإن الطقوس التقليدية الهادئة ماضياً أصبحت طقوساً تعبوية، وبات التعبير عن الأحران يأخذ طابعاً غير مألوف من حيث اللافتات التي يتم رفعها والصور التي يتم تعليقها. وهذا الأسلوب طرح تساؤلات عدة في أوساط أهل السنة، وكذلك في أوساط بقية رموز الأطياف والطوائف التي كانت ماضياً تعتبر المناسبة تخصها بقدر ما تخص أبناء الطائفة الشيعية.

وعندما تمددت الإحتفالية بالذكرى العاشورية إلى درجة رفع اللافتات والصور في ساحات أو شوارع أو ميادين أو مناطق غالبية سكانها من الطائفة السنية فإن هذا التمدد بات ذريعة لدى رموز حديثة العهد في ظهورها داخل المجتمع المذهبي الإسلامي توظيفها من أجل تعزيز هذا الظهور. ثم جاءت واقعة صيدا قبل ثلاثة أيام من حلول المناسبة العاشورية (حلت الخميس الأول من محرم 1433هـ) تؤكد حقيقة أساسية وهي أن رفع اللافتات والصور كان لغرض تعبوي أكثر منه لتعميق مشاعر الحزن على الإمام الحسين. وبدل أن تكون الأيام العشرة ذات طبيعة وجدانية فإنها تحولت ونتيجة سقوط قتلى

وجرحى إلى مساجلات سياسية حافلة بأنواع غير مُستحبة من المفردات والتحديات الثأرية.

إلى ذلك فإن ظاهرة رفع اللافتات والصور من جانب «حزب الله» و«حركة أمل» وكذلك من جانب تنظيمات وحركات مذهبية وحزبية وسياسية مسلمة ومسيحية على حد سواء، كانت في البداية من مستلزمات التعبير في مناخ ديمقراطي يتسم به لبنان. لكن هذه الظاهرة تحولت شيئاً فشيئاً إلى أنها باتت في بعض جوانبها قنابل موقوتة من شأن انفجار إحداها على نحو ما حصل في صيدا أن تُشعل حرباً خصوصاً أن النفوس معبأة وأن المذهبية باتت راسخة إلى حد أنه في بعض أوساط أهل السنة وأهل الشيعة في لبنان لا يجوز الزواج من غير الطائفة.

وبالنسبة إلى واقعة صيدا بالذات فإن دلالاتها تتسم بالخطورة لجهة أن ما هو مُعلن من نظرة إلى هذه المدينة يختلف عما هو غير مُعلن. وزيادة في التوضيح نقول إن «حزب الله» يرى ضمناً أن صيدا هي عاصمة «جنوبه» وأن شأن «جنوب الحزب والحركة» يبقى غير مكتمل ما دامت المدينة الأهم صيدا هي إمتداد «بيروت الحزبية». وهذه النظرة كثيراً ما يعبر عنها الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصرالله بعبارة «صيدا عاصمة الجنوب» وهو يقصد بطبيعة الحال «جنوبه» وليس الجنوب المصنّف مجرد محافظة وأقضية، أي «الجنوب الدولة» في حال بات تقسيم المنطقة إلى دويلات بدءاً بسورية وصولاً إلى بقية بقاع الخريطة من المحيط إلى الخليج.

بصرف النظر عن هذا الإحتمال الذي ربما يحدث في بقاء غمضة العيون العربية عما يُرسم للمنطقة على إغماضها، فإن ظاهرة رفع اللافتات والصور في شوارع وميادين ومناطق وبالذات في عواصم الصراع اللبناني بيروت وطرابلس وصيدا، تستوجب وقفة تأمل من جانب الحكم في لبنان، وبحيث يخضع رفع هذه اللافتات والصور إلى رقابة ومواقف مسبقة بل وإلى دفع رسوم كتلك التي تجبها البلديات من الذين يرفعون لافتات دعائية على محلاتهم التجارية. هذا مع مساءلة عفوية من جانب كاتب مثل حالي لإخواننا في «حزب الله» و«حركة أمل» ومعهما عشرات الحركات ذات الطابع المذهبي جُله من السنة: هل من الجائز خلط صور سيد المقاومة ورئيس الطيف الشيعي الآخر مع صور ولافتات يتم تعليقها لنجوم غناء وطرب ورقص وحفلات لمناسبة الأعياد. وهل من الجائز إعتبار ذكرى المولد النبوي من جانب حركات مذهبية سنية

مناسبة لرفع لافتات كُتبت عليها عبارات إختارها مترمتون وكان الغرض منها إستفزاز الذين من الشيعة رفعوا لافتات كُتبت عليها عبارات تعبوية وجرى تعليقها أو رفعها في غير مناطق الشيعة.

بطبيعة الحال هذا ليس جائزاً. وفي مقدور وزير الداخلية ورؤساء بلديات عواصم الصراع إما التمني على رافعي اللافتات والصور عدم إعتقاد هذا الأسلوب أو إنزال ما يتم رفعه وتعليقه إنما من جانب أهل الأمن الرسمي وإرفاق الإنزال بغرامات كتلك التي يتم إنزالها بأصحاب السيارات المخالفة.

وقد يبدو هذا المطلب ساذجاً. لكن كيف هو ساذج مع أن حرباً كانت ستتدلع جرء واقعة صيدا يوم الأحد 11 نوفمبر 2012 بسبب رفع لافتات وصور في غير مكانها الطبيعي، كتلك التي حدثت يوم الخميس 13 أبريل/ نيسان 1975 بسبب حادثة مرور حافلة في شارع منطقة مسيحية أي في غير مكان طبيعي بالنسبة إلى فلسطينيين عاندين من الإحتلال واستمرت خمس عشرة سنة إلى أن قُيِّض الله وهمة الملك فهد بن عبد العزيز وإخوانه لهم السعي والمثابرة إلى أن حدث إجتراح معجزة التوصل إلى حل من خلال «إتفاق الطائف».

عسى ولعل ما يبدو في نظر البعض مطلباً ساذجاً من جانب كاتب هذه السطور يكون موضع تنفيذ. فكما أول الحرب كلام فإن ثانيها هو رفع لافتات وصور وأن ثالثها هو التعامل غير الضابط للمشاعر مع هذه الظاهرة.

ومن باب التمني نتطلع إلى إستعادة طقوس إحتفاليات الزمن الماضي بالذكرى العاشورائية. وكفى المؤمنين تداعيات المذهبية.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012

* * *

كأنها إستنساخ لـ «حرب السادات»

و«ثغرة كيسنجر»

تكاد الموقعة الحمساوية - الننتياهوية التي وضعت بعض أوزارها يوم الثلاثاء 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2012 بعد جولات إستغرقت أسبوعاً صاروخياً بإمتياز

ومن طرفي المواجهة (قطاع غزة المستحوذ عليه من حركة «حماس» وشقيقتها لجهة الوالدة «حركة الجهاد الإسلامي» وإسرائيل المعتدية ماضياً وحاضراً ودائماً) تشبه في بعض ملامحها وظروفها ومساراتها حرب أكتوبر 1973. فكما أن الحرب الساداتية بدأت بعد خدعة بالغة الذكاء من جانب الرئيس أنور السادات فإن المغامرة من جانب مثلث العدوان الإسرائيلي على غزة (نتنياهو - ليبيرمان - باراك) حدثت على خلفية خدعة. وللتذكير فإن الرئيس السادات سُرّب إلى وسائل الإعلام فيما ساعة الصفر محددة والأبطال جاهزون للعبور من الشاطئ الحر إلى الشاطئ المحتل من قناة السويس وحيث خط بارليف المكهرب الذي طالما حذر محذرون أبرزهم الأستاذ محمد حسنين هيكل من مخاطر إقتراب الجنود المصريين منه، نبأ مفاده أن مئات من القيادات العسكرية المصرية ستتوجه إلى الديار المقدسة في مكة المكرمة لتأدية العمرة، فإن نتنياهو وطاقم الخارجية والدفاع في إسرائيل عمموا وبشكل لافت معلومات بثتها الإذاعات ونشرتها الصحف ومفادها ما معناه أن إسرائيل وضعت في إضبارات أمر تنفيذ القضايا الملحة مسألة التعامل العسكري مع «حماس»، وعزز هذا التعميم أن الرئاسة المصرية في شخص «أخ» الغزاويين الحمساويين محمد مرسى ومعه جهاز المخابرات الذي هو من إختيار العهد الإخواني الجديد في مصر نشطت من أجل تحقيق تهدئة بين «حماس» وإسرائيل تغنيها عن تعقيدات التدخل مضطرة كنصيرة لـ «حماس» في حال حصل تصعيد في الموقف.

قادة إسرائيل في العام 1973 بلعوا الطعم الساداتي وكانت المباغلة التاريخية التي إنتهت بأن مصر بدأت المرحلة العملية لإزالة آثار العدوان. وقادة «حماس» ومعهم أهل الحكم في مصر إطمأنوا إلى أن الموقف لن ينفجر إستناداً إلى ما عممته إسرائيل وترك إنطباعاً بأن إسرائيل ستحترم كلامها فلا تفجير للموقف وبالتالي لا إخراج للحكم المصري الذي لم تستقر أموره بعد فضلاً عن أن مشكلة المتشددين في سيناء مصدر قلق له وإلى درجة أن انطباعات استشرت ومفادها أن إسرائيل ستدفع بالغزاويين إلى سيناء وهذه تصبح بالتالي دولة لهم بموجب توافقات دولية في هذا الشأن.

في المحصلة النهائية خرج الطرفان مثخنين بأنواع من الجراح والخيبات. ودخل الجانب الأميركي على خط

المعضلة كي لا تضطر مصر إلى أن تضع موضع التنفيذ ما قاله رئيسها حول أن مصر الحالية هي غير مصر الماضي وبما معناه أن محمد مرسى هو غير محمد حسني وأن النجدة من جانب «إخوان مصر» لـ «إخوان غزة» بمثابة واجب لا بد من تأديته وإلا فإن أدبيات الحركة التي ينتمي الجانبان إليها وكذلك شعارات العقيدة لا تعود أكثر من هتافات في مسيرات. ولقد جاء الدخول الأميركي وفي شخص وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون في لحظة بدا فيها أن جراح الغزاويين تتحول إلى صمود مضاف وأن ورقة الصواريخ طويلة، بدليل أن الذي يطلق ألف صاروخ لا بد يمتلك أضعاف هذا العدد وأن الوعيد بـ «نار جهنم» ليست مجرد كلام من دون فعل. ومن الجائز الافتراض أن هيلاري كلينتون استحضرت في لحظة تأمل مبنية على تحليلات للموقف ومعلومات دقيقة تلقتها من وزارة الدفاع ومن إدارة الإستخبارات ومن السفارة في تل أبيب، الأجواء التي عاشها الدكتور هنري كيسنجر عندما أمضى لحظات من التأمل كوزير للخارجية في زمن حرب أكتوبر 1973 بين مصر السادات وإسرائيل في ما لديه من معلومات ورأى أن الموقف قد ينتهي إلى أن القوات المصرية لن تكنفي بسيناء وإنما قد تتوغل أكثر وأكثر وفي هذه الحال لا يعود في إستطاعة إسرائيل أن تبقى على تفوقها وتسيدها، بل وربما ينتهي بها الأمر إلى انها ستصبح مجرد جالية مضمونة حق البقاء والحماية في مجتمع فلسطيني استعاد حقه. وفي ضوء هذا الافتراض جاءت «ثغرة الدفرسوار» لتنتهي حرب السادات منقوصة النصر الأكبر. وبالنسبة إلى الحالة الجديدة فإن «ثغرة الدفرسوار» الجديدة تتمثل في مسارعة هيلاري كلينتون إلى لوي عناد نتنياهو وليبيرمان وباراك وفرض مبدأ القبول بالتهدة.

وبصرف النظر عن التبريرات التي قيلت في هذا الشأن فإن إسرائيل مثلث العدوان الجديد نتنياهو - ليبيرمان - باراك خرجت مثخنة بالإحراجات والخيبات وهي من النوع الثقيل الوطأة على نفس الجيل الإسرائيلي الحالي الذي لا بد ستتبدل رؤاه بالنسبة إلى وجوده. وهذا الجيل يريد أن يستقر ويهنأ بالعيش وحسن الجوار وهذا ما يمكن أن تحققة له «المبادرة العربية» التي واصلت الإستخفاف بها ثلاث حكومات إسرائيلية متعاقبة منذ أن حظي صاحب المبادرة الملك عبدالله بن عبد العزيز

بموافقة كل الدول العربية عليها. وفي هذه الأيام حيث يتعافى خادم الحرمين الشريفين من عملية جراحية أجريت له في عموده الفقري واستغرقت إحدى عشرة ساعة يدعو الغزاليون، كما سائر الوطن الفلسطيني المحتل وشعوب الأمتين العربية والإسلامية وبالذات الشعب اللبناني الممتن للمساعي الطبية من أجل الوفاق والرفق بالوطن يبذلها، كما السلف الطبيب الدكتور عبد العزيز خوجة بتكليف من ولي الأمر، دون كلل السفير المتميز علي عسيري وتتمثل بزيارات وتمنيات ونصائح لمن يحتاجها وهم كثيرون، بالمزيد من التعافي وطول العمر للملك عبدالله لكي يسقي بالحنكة والحكمة المبادرة التي كان من شأن الالتفاف الحكومات الإسرائيلية حولها بدل الالتفاف عليها، أن توفر على المنطقة هذه الفوضى التي لا طائل تحتها. ففي نهاية المطاف لا بد من القدس عاصمة لدولة فلسطين وإن طال زمن النضال بشقيه السياسي والعقلائي والإيماني وحتى بعد دخول المواجهة الصاروخية بنداً في مقتضيات المواجهة.

وتبقى المسألة الأهم وهي أن المكسب الحقيقي للفلسطينيين مما حدث هو في الإستفادة من الدروس وعدم تبديد الفرص المتاحة لتوحيد الصف وبلورة الرؤية. ونجد أنفسنا نتساءل هنا: هل لو أن الطرفين الفاعلين في الصف الفلسطيني التزما بما تحقق لهما في لقاء مكة المكرمة (من 6 إلى 8 فبراير/ شباط 2007) الذي رعاه الملك عبدالله بن عبد العزيز شخصياً فلم يترد هذا الطرف على ذلك ويتبعثر تبعاً لذلك الصف والتكرر لحلفان اليمين، كان سيصيبهما ما هو حاصل لهما الآن حيث يُعتدى على «حماس» ويتوعد المعتدي بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا كان رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس سيطرح موضوع الدولة الفلسطينية كعضو مراقب في الأمم المتحدة.

جوابنا أن ذلك كان على الأرجح لن يحدث. وفي حال حدث هذا الذي يحدث فإن الأمتين ستكونان سياسياً ونفطياً بالنخوة التي كانت عليها حالهما في القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم عام 1967.

عسى ولعل يستخلص أهل المأساة الفلسطينية العبرة وعسى ولعل يترجم الرئيس أوباما ورموز القرار في المجتمع الدولي وعودهم إلى تنفيذ وبذلك لا يتكرر العدوان وتراجع لغة الصواريخ أمام لغة التوافق التي بموجبها تعيش شعوب المنطقة في سلام وهذا ما أبلغته

هيلاري كلينتون وبإسم رئيسها باراك أوباما إلى مثلث العدوان الإسرائيلي بعدما إستحضرت أجواء السبعينات واقتنعت بأن الأسبوع الصاروخي بين غزة الحمساوية وإسرائيل المتجنبة كان يستوجب التهذئة التي جاءت مثل «ثغرة الدفرسوار» الكيسنجرية علاجاً لتداعيات احتمال قوي بنصر كبير للجيش المصري في معركة مهد لها الرئيس السادات بخديعة. لكن خديعة السادات محقة ونبيلة المقاصد فيما خديعة مثلث العدوان الإسرائيلي على غزة كانت من النوع الساذج... أو هي إحدى ألاعيب المحتالين.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012

* * *

المحرم على مرسي المحلل لمن سبقوه

لم يحدث في تاريخ مصر الجمهورية الرئاسية العسكرية أن عومل رئيس من جانب المعارضين، أو فنقل غير المحبين له أو الناقمين على حكمه، ما يناله الرئيس الحالي محمد مرسي من إستهانات تصل أحياناً إلى درجة الإهانات. فطوال ثماني عشرة سنة رئاسة ناصرية لم يتح لأي معارض أن يوجه إلى الرئيس جمال عبد الناصر إهانة ولا حتى إستهانة، رغم أن الناقمين على حكمه كانوا رموز البرجوازية المصرية لأنه أمم ممتلكات من مصانع ومصارف ومساحات شاسعة من الأراضي، و«حركة الإخوان المسلمين» التي حاولت منذ السنة الأولى لـ «ثورة 23 يوليو» وضع نفسها بقوة في المشهد السياسي كما حاولت إغتيال الرئيس لكي تحل محله معتمدة في ذلك على بعض ضباطها داخل الجيش والشرطة. ومن الناقمين أيضاً بعض القيادات الماركسية التي كانت زمنذاك مثل سائر القوى الشيوعية في العالم العربي وبالذات في لبنان وسوريا والسودان مسنودة من الإتحاد السوفيياتي القوي إلى درجة أن الولايات المتحدة تهابه وأوروبا الغربية تتفادى إقلاقه ما دام متحكماً بأوروبا الغربية من تشيكوسلوفاكيا إلى رومانيا إلى ألمانيا الشرقية إلى المجر هذا فضلاً عن وجود شيوعي مؤثر في بعض دول أوروبا الغربية إنما تحت مظلة الاشتراكية بدل الماركسية. وعلى رغم أن الناقمين على

عبد الناصر كانوا يعيشون حالة نفسية وشديدة القسوة من سنوات حكمه إلا أنهم آثروا السلامة حفاظاً على حياتهم وكرامتهم. وبإستثناء بعض النقد من خلال ما بين سطور كتابات أو لقاءات يشوب عاقدتها الحذر الشديد، وجل هؤلاء من الإسلاميين، فإن سنوات الرئاسة الناصرية خلت من النقد المرير أو الذم المعلن، بإستثناء صحوه أقلام نشأت بعد هزيمة 5 يونيو 1967 ومن بينها قلم الكاتب الروائي توفيق الحكيم الذي نشره (جهة ما ربما هو مستضيفه في «الأهرام» الأستاذ محمد حسنين هيكل) كراساً يحمل عنوان «عودة الوعي» وبدا فيه هذا المفكر المخضرم كمن يريد القول إن الهزيمة ما كانت لتحدث لو كان هنالك وعي وشورى ونقد وديمقراطية وتحجيم لسلطة المباحث والمخابرات وترشيد لمراكز القوى الذين ابعدوا ببعض سلوكياتهم شرائح كثيرة من الناس عن الولاء للنظام. وعلى رغم براعة توفيق الحكيم في صياغة نقده ومطالبته بعودة الوعي إلى العقل.. عقل الذين يقودون في الدرجة الأولى وعقل أطراف الرأي العام المسكون بالخشية من نطق النقد وإبداء التحفظات، فإن النظام الناصري لم يتقبل تنظيرات توفيق الحكيم. ولولا الحماية الهيكلية له لكان أصابه ما أصاب كثيرين من أهل الفكر رماهم النظام إلى جانب قيادات بعض الشيوعيين والإخوان المسلمين في السجن.

بعد رحيل عبد الناصر ورث الرئاسة العسكرية المصرية أنور السادات الذي عمل منذ اللحظة الأولى على إستمرار موالاة أقطاب عهد عبد الناصر له، ولتأكيد هذا الإستمرار فإنه توجه مصحوباً برئيس البرلمان الذي أبلغه أن 353 نائباً من أصل 360 وافقوا على ترشيحه رئيساً للجمهورية، إلى البرلمان مساء يوم الأربعاء 7 أكتوبر/ تشرين الأول 1970 لتأدية اليمين من على منبره وقال مخاطباً النواب «لقد جئكم على طريق عبد الناصر. إنني أعتبر ترشيحكم لي هو توجيهه بالسير على طريق جمال عبد الناصر وإذا أيدت جماهير شعبنا رأيها في الإستفتاء العام ب (نعم) فإنني سوف أعتبر ذلك أمراً بالسير على طريق جمال عبد الناصر الذي أعلن أمامكم بشرف أنني سأواصل السير فيه على أي حال ومن أي موقع...».

إعتبر السادات موافقة البرلمان بالإجماع (6 نواب من أصل 360 إعتدروا ونائب لم يؤدّ اليمين بعد ولذا لا يحق له التصويت) ثم نتائج الإستفتاء على رؤوسه كما

ينص الدستور على ذلك (عدد الموافقين على ترشّحه 6,432,587 وعدد غير الموافقين 711,253 أي 90,04 في المئة من العدد الإجمالي للمشاركين في الإستفتاء وهو 7,157,653 ناخباً من أصل 8,420,768 ناخباً المقيدة أسماؤهم) أنه بات زعيماً يحق له أن يقرر ما يشاء ويتخذ من الخطوات ما لا موجب لمناقشة الغير فيها، ولا يحق لأي طيف سياسي أن ينتقده أو يعترض على قرارات يتخذها. وتحصيناً لمقامه فإنه بادر إلى قصصاً أجحة الذين يعتبرهم مراكز القوى في عهد سلفه جمال عبد الناصر وأظهر بذلك نفسه أمام من يبغى إعتراضاً أو نقداً له أن مخالفه يمكن أن تؤذي من يعترض أو ينتقد وأن إستمرار العطف الناصري كان لغاية في نفس انور. وهو عندما حدثت إنتفاضة شعبية محقة ناشئة عن ظروف إجتماعية ومعيشية فإنه إستبق مفردات الرئيسين معمر القذافي ثم بشار الأسد، في تصنيفهما للمعترضين المنتقدين المتظاهرين، وإعتبر تلك الحالة أنها «إنتفاضة حرامية». والغرض واحد للثلاثة معمر الذي إعتبر المنتفضين «جرذانا» وبشار الذي إعتبر المنتفضين «عصابة» والسادات من قبلهما الذي إعتبر الإنتفاضة رغم أنها لدواع إجتماعية أنها «إنتفاضة حرامية». ولم يقتصر الأمر عند السادات على ذلك، فهو رمى في السجن العشرات من رموز النخبة الفكرية والدينية والسياسية. ولعل ذلك أيضاً إستباقاً لما تبين أنه أعظم وهو إبرام صفقة مسالمة مع إسرائيل خرج بموجبها السادات على إجماع الأمتين وأخرج مصر من حلبة الصراع. ولو أن سنوات حكم السادات كانت أكثر (من أداء اليمين الدستورية يوم السبت 17 أكتوبر/ تشرين الأول 1970 إلى لحظة الإغتيال في المنصة يوم 6 أكتوبر 1981) لكان على الأرجح لن يتحمل أي نقد أو إعتراض مع أن الجمهور الناصري تحوّل عنه بعد الأحكام الثأرية من جانب قضاة في جمهوريته على رموز عهد عبد الناصر وعلى إخوانيين إعتبروا أن ما لم يتحقق لهم في سنوات عبد الناصر يمكن أن يتحقق في ظل رئاسة السادات من دون أن يستوقفهم أن الرئيس الخلف رفع شعار «الرئيس المؤمن» صفة له، قاطعاً بذلك الطريق على تطلعات الإخوان.

على عكس الرئيسين عبد الناصر والسادات رأى الرئيس مبارك أن تتعزز ظاهرة الأحزاب التي كان الرئيس السادات بدأها إنما تحت تسمية منابر محتفظاً

أو بالأحرى محتكراً في البداية الشرعية الحزبية لـ «الحزب الوطني» وفي حساباته أن يكون هذا الحزب هو المناهض للوفديين والإخوان واليساريين الذين بدأوا يلملون صفوفهم غير مقتنعين بصيغة المنابر واقعاً حزبياً. وإلى ذلك ابتكر مبارك حالة مغيبة عن المجتمع السياسي المصري وهي حالة الصحافة المتحررة من القيود والرقابة المشددة فكانت تسمية «الصحف الخاصة» مقابل «الصحف القومية» التسمية الرسمية لـ «الجمهورية» إلى مجلات أسبوعية وشهرية وصحيفة للحزب الحاكم. وبدأ الرأي العام المصري يرى أن ما هو محرم نقداً وإعتراضاً في زمن عبد الناصر والسادات محلل في عهد مبارك بدليل أن الصحف الخاصة دأبت على توجيه أقصى أنواع النقد للنظام شاملة الرئيس مبارك وأفراد العائلة بالنقد المرير وأحياناً بالإتهامات. وأما بالنسبة إلى رؤساء الحكومات المتعاقبة والوزراء والمحافظين ورؤساء الشركات المملوكة من الدولة فإن الصحف التي أجاز عهد مبارك إصدارها نشرت الغسيل غير النظيف لبعضهم وتركت للصحف القومية الثلاث حجب الغسيل هذا والإكتفاء ببعض النقادات المحسوبة وهو أمر ألقى ظلالاً على الإنطباع السائد بأن الرئيس مبارك يريد حقاً للديمقراطية أن تأخذ طريقها. ثم جاءت أحكام قضائية وممارسات عادلية (نسبة إلى وزير الداخلية حبيب العادلي) وإجتياحات لا حصر لها من جانب البطانة وبطانات البطانات على أراضي الدولة فضلاً عن إستشراء ظاهرة الإثراء غير المشروع وخطط التوريث غير المستحب تأخذ من بريق المحاولة الخجولة من جانب مبارك لجعل النقد والنزاهة من المحللات. لكن التاريخ سيذكر له أن المحرم في زمن السلفين الأول (عبد الناصر) والثاني (السادات) لجهة حرية التعبير كان محللاً وإن بنسبة محسوبة بدقة في النصف الأول المقبول من رئاسته وذلك على أساس أن النصف الثاني كان حافلاً بتراكم الإرتكابات والإرتباكات.

لكن المحلل في زمن مصر المدنية غير الوارثة مصر العسكرية وهو العهد الرئاسي الإسلامي الأول ويأمل أصحابه ألا يكون الوحيد، لـ «حركة الإخوان المسلمين»، لم يبلغه أي من العهود الثلاثة المتوارية. فلم يسبق أن وصل الإعتراض على رئيس وإنتقاد سلوك إعتمه في إصدار قرارات إلى ما وصل إليه الإعتراض

على الرئيس الأول في جمهورية «مصر الإسلامية» محمد مرسي حيث الدعوة على المكشوف بأن الرئيس يتفرعن وأن على الرئيس أن يمحي في النهار قرارات إتخذها في الليل كما عليه أن يعتذر من الشعب لأنه أقسم اليمين من دون أن يكون هنالك دستور وأنه أقسم أمام ثلاث مصرات كما أنه حنث اليمين وبالتالي يكون فقد شرعيته كرئيس للبلاد وأنه بما يفعله يضع مصر ذات الثمانين مليوناً على شفير إحتراب أهلي يمكن أن يمارس فيه «إخوان مصر» ما يمارسه النظام البشاري في سورية خصوصاً بعدما باتت حال الجيش السوري مثل حالة الجيش اللبناني في بعض سنوات السبعينات أي عدة جيوش. لكن الأمل معقود في المحروسة مصر على التهذئة لأن جيشها بكامله هو جيش الوطن وليس الجيش الذي مهمته حماية النظام ومسايرة أطروحات الرئيس. والموقف من مبارك يؤكد ذلك.

ونخلص إلى القول إن هذا المحلل قوله في حق رئيس البلاد ما كان على الأرجح أن يحدث لولا أن الرئيس مرسي أراد في لحظة ذات دوافع ثارية لا قدرة له على إعتراض الدافع لها أي المرشد الذي لا راد لمشيتته، أن يفعل كما السالفين العسكريين. وهنا تبدو الحنكة غائبة عن رئيس سيبقى مستهزئاً إذا تمسك بنهجه ومستضعفاً إذا هو تراجع عن قرارات ينقص إصدارها التمعن كثيراً والحصافة أكثر.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 2 ديسمبر (كانون الأول) 2012

مصر تتشقق وسوريا تنتشر وفلسطين تتوالد

فيما مصر تتشقق وتلوح في فضاء مجتمعه المتخلي بالتدرج عن سماحته وطيبته غيوم السورنة وربما اللبنة، وسوريا تنتشر يوماً بعد آخر دماراً ودماء، وما يعكسه هذا التشقق والتناثر يصيب الدولتين الرقمين الصعبيين في المعادلة الإقليمية من عذاب في النفس وخشية مما يمكن أن تؤول إليه الحال من تداعيات تراوح بين الإحتراب الأهلي وإنبعاث ظاهرة الأنظمة العسكرية، فإن الذي تحقق على الصعيد الفلسطيني يشكل لحظة طمأنينة للنفس العربية التي أثقل عليها التشقق والتناثر اللذان

نشير إليهما، مع ملاحظة أن الأمر لا يقتصر على الدولتين العربيتين الكبيرتين وإنما هنالك بقية دول في الأمة يدفع بها القيمون عليها إلى مهاوي التشقق والتناثر. وما نراه يتواصل في العراق والسودان وتونس والبحرين ولبنان والكويت والأردن وليبيا يندرج بنسب متفاوتة في أجندة التشقق والتناثر.

وحيث إن نفوس أبناء الأمة تكاد تختنق من صولات التحزب والتعصب والعناد والفتاوى الإستفزازية والجروح نحو التفرد والتسلط بذريعة صناديق الانتخابات، فإننا نقف متأملين وآملين بإرتياح أمام نسمة تفاؤلية في الجو الخانق تتمثل في جديد الحالة الفلسطينية، حيث جاء فوز فلسطين بالعضوية المتواضعة في الأمم المتحدة دولة بصفة مراقب يؤكد حقيقة أساسية وهي أنه ما ضاع وطن، كما الحق، وراءه مُطالب حتى إذا بلغ الصبر عامه الخامس والستين، ثم ها هي فلسطين الدولة التي إغتصبها المجتمع الدولي وأهداها إلى بضع عصابات صهيونية حوّلتها هذه بدورها إلى دولة إسرائيل أعلنت عن قيامها يوم 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1947، تبدأ الخطوة النوعية في اتجاه أن تُطوى بضع صفحات من كتاب القضية مكتوبة بدماء كوكبات من الشهداء وممهورة بالتشرد والإذلال والإرتهان وعذابات كانت حتى إصطفاف عذابات اللبانيين في السبعينات والثمانينات إلى جانب عذابات العراقيين في التسعينات فالعذابات الراهنة للسوريين، رمزاً لقسوة العذاب تقاسيها النفوس البشرية قبل الأبدان.

وعندما نرى أي فرح غمر نفوس أبناء الشعب الفلسطيني لنيل فلسطين العضوية المتواضعة في الأمم المتحدة يتأكد لنا كم أن هذا الشعب الصابر على الضيم تواق إلى لحظة لا تعود فيها القضية أداة إستعمال لأغراض في النفوس وغايات لتحقيق مآرب أطراف باحثة عن أدوار تعزز من خلالها مكانتها. كما يتضح لنا ما كان يوحي به الرئيس الراحل ياسر عرفات من خلال أبيات من الشعر وضعها في إطار وعلقها على أحد جدران بعض مقراته الممتلئة الكثيرة وطالما سألناه لماذا هذه بالذات من سائر ديوان العرب إصطفائها له رديفاً لعبارته المأثورة «ثورة حتى النصر». وهذه الأبيات هي: سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري... وأصبر حتى ينظر الله في أمري. وأصبر حتى يعرف الصبر أنني... صبرْتُ على صبر أمُر من الصبر». أبيات

تُعبر تماماً عن شخصية هذا القائد الذي تصدّر المسيرة الفلسطينية وفق قاعدة من تأتّى نال ما تمّنى ومن صبر ظُفر. وبموجب هذه القاعدة لم يترك عرفات طيفاً عربياً أو دولياً إلاّ وبنى معه أفضل علاقة. كما لم يترك وجنة أو رأس أحد من القادة العرب والمسلمين وكبار المسؤولين في الدول الأوروبية إلاّ وطبع عليها قبلة، بمن في ذلك خد وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت. وحتى بعدما خذله رهانه على الإصطفاف مع الرئيس صدام حسين في غزوته الكويتية فإنه بذل من السعي الكثير لكي يستعيد طبيعته مغدقاً على عاتبيه الكثير من الاعتذارات والقبلات على الرأس. ولكنه في معرض تبريره أمامنا لذلك الإصطفاف كان يرى أن القائد العربي الذي يكسر حاجز الخوف (يقصد الرئيس صدام) ويرمي إسرائيل ببعض الصواريخ يمكن أن يساهم في تحويل بعض الكوابيس الفلسطينية إلى أحلام بالعودة ولو بعد حين. وها هي صواريخ «حماس» تجرب بعد ثماني سنوات من رحيل عرفات العلاج الصاروخي وتساعد بما حققته هذه الصواريخ من هلع داخل المجتمع الإسرائيلي في تسهيل حصول فلسطين على العضوية المتواضعة في الأمم المتحدة، وهو إنجاز يوجب علينا الإشارة أيضاً إلى ذوي الفضل وإن بنسب متفاوتة في إنجازه بدءاً بتقديم الرئيس جمال عبد الناصر إلى أصدقائه السوفييات في الستينات الرمز الحديث الولادة للنضال الفلسطيني ياسر عرفات ثم بعد ذلك للمبادرة العربية التي صاغها الملك عبدالله بن عبد العزيز وإكتسبت إجماعاً عربياً غير مسبوق عليها ونقهماً دولياً منقوص إلى حين الترجمة إلى التبنّي الفعلي، نتيجة التوازن في الصياغة وبحيث إذا إستعصى الحصول على المستحيل فليكن هنالك السعي للحصول على الممكن. وفي تقديرنا إنه لولا تلك المبادرة التي وضعت حداً للإجتياح التصالحي مع إسرائيل ومن قبل أن تكون هنالك خطوات على قاعدة الرد على الرغبة في التسوية تتمثل في التعهد بالنأي عن العدوان، لربما كان من غير الممكن حدوث هذا التحول في مواقف عشرات الدول الأوروبية وغيرها، بحيث تعاطفت مع الطلب الفلسطيني المتعلق بالعضوية المتواضعة... أي دولة بصفة مراقب في الأمم المتحدة.

وبقدر ما يتلج الصدر الفلسطيني والعربي عموماً أن 138 دولة اعترفت وبعضها كان في تصويته إلى جانب

قرار العضوية متحدياً العناد الإسرائيلي ونعني بهذا البعض الدول الأربع عشرة الأوروبية التي صوتت مع قرار العضوية وبينها معظم الدول الأوروبية التي تعتمد الحياد والسلوك العادل في التعامل أمثال سويسرا....
بالقدر نفسه يستغرب المرء كيف أن بريطانيا التي هي رمز العلة في تسليم فلسطين لليهود من خلال ما عُرف بـ «وعد بلفور» إمتنعت عن التصويت مع أن المناسبة تستحق منها التكفير عن الذنب البلفوري والتصرف بنوع من الحنكة على نحو ما فعلته فرنسا وإيطاليا رغم ضغوط إسرائيل عليهما وما فعلته أيضاً روسيا التي هي شريكة بريطانيا في موضوع إهداء فلسطين العربية المسلمة المسيحية إلى الصهيونية. ويزيد إستغرابنا من إشتراط بريطانيا على الرئيس عباس لكي لا تمتنع عن التصويت لمصلحة مشروعه التعهد بعدم لجوء «دولته» إلى مقاضاة إسرائيل لدى المحكمة الجنائية الدولية مع أن شخصيات رسمية مدنية وعسكرية إسرائيلية تقادت زيارة بريطانيا ودول أوروبية عدة لتفادي محاكمتهم بتهم جنائية، ولذا فكيف تمنع حقاً عن الطيف الفلسطيني المظلوم مع أنها تجيز لمحاكمها بموجب قوانين ثابتة القبض على أي مسؤول إسرائيلي في حال كان مداناً بجناية وبصرف النظر عن هوية المجني عليه بريطانياً كان أم فلسطينياً. وكيف لا تتذكر بريطانيا الحاضر قول الملك عبدالله بن عبد العزيز خلال زيارة له كولي للعهد لبريطانيا عام 1988 لرئيسة الحكومة مارغريت تاتشر: «إن وعد بلفور عار يجب على الجيل الحالي في بريطانيا أن يصححه...». لكن على من تقرأ نصائحك أيها القائد الحكيم.

كما أن ما يثلج الصدر هو أن أي صوت فلسطيني بعد الآن، كما تتطلب الحنكة، من المصالحة ألا يعلو على صوت التركيز على تحقيق المصالحة التي لم تعد موضوعاً يتبارى القادة الفلسطينيون في الإكثار من النقاش حوله، خصوصاً أن عقدة المصالحة باتت، أو هكذا يجب أن تصبح، ليست من المستحيلات. فكما أن صواريخ «حماس» أدت الواجب فإن ما فعله الرئيس محمود عباس وعلى مدى ثلاث سنوات كان نوعاً من الصواريخ التي لا تقتل بشراً وإنما تذلل عقبات وتجعل فرصة التفهم للموقف الفلسطيني أفضل. ولولا هذه الصواريخ العباسية التي لا تقتل ولا تدمر لما كان للصواريخ الحماسية التي تبعث الهلع في النفوس وتقتل

عندما تصيب أن تثمر تهدة. وإذاً فإن الطرفين أديا الواجب وإن كان ذلك من دون تنسيق. وكانت التأدية فاعلة بدليل أن المجتمع السياسي والحزبي الإسرائيلي إنقسم بين من يرى أن محمود عباس راهن وحقق مكاسب وأن نتائجه هدد ولم يجرؤ على إستكمال ما كان ينويه إجتياحاً وأن وزير الدفاع إيهود باراك أثر الخروج من المشهد السياسي بعد العسكري إلى الأبد تأكيداً لإخفاق المخطط العدواني الذي لم يحقق إستسلاماً فلسطينياً، بل على العكس أسقط ظاهرة الإستحالات من إستحالة التوافق الفلسطيني إلى إستحالة القبول الأممي بالدولة الفلسطينية وإن هي جاءت في صيغة «دولة مراقب».

ويبقى الآن ما هو الأهم متمثلاً بتوديع لغة السلاح والترحيب بلغة الدبلوماسية المستندة إلى الرؤية الإستراتيجية وحداقة أهل القانون في مقاضاة إسرائيل التي تحتل وإجبارها على دفع التعويضات المالية التي هي أكثر ما تزعج الشخصية اليهودية التي اعتادت بذريعة الشعب الذي لا وطن له والمضطهد من النازية أن تجني من المال الأميركي والأوروبي ما يعزز بقاءها وعدوانها وإبتزازها. وعندما نقول وداعاً أيها السلاح وأهلاً أيها التفهم فهذا لا يعني أن القضية وصلت إلى خواتيمها. لكن الذي نريد قوله هو أن المجتمع الدولي سيكون بعد الآن متعاطفاً أكثر مع الموضوع الفلسطيني وسيكون الطيف العربي وبالذات دول الخليج المقننة مالياً شديدة الحرص على تشجيع الفلسطينيين للتطبيع مع النهج الجديد لقضيتهم. وأما رد الفعل الإسرائيلي المتمثل بتجميد أموال عائدة للفلسطينيين وإقرار خطة لبناء ألوف الوحدات السكنية، فإنه رد فعل يتسم بالخبية. وحتى إذا نقذ نتائجه خطة البناء هذه رغم الإعتراض الأوروبي والأميركي الخجول فإن ساكني هذه الوحدات مستقبلاً هم عائلات فلسطينية تنتقل إليها من المخيمات داخل الأراضي المحتلة وخارجها. ولن ينزعج المجتمع الدولي من ذلك لأنه يريد أن يرتاح من البكاء الإسرائيلي الدائم ومن الإبتزازات التي ما أن تتوقف لبعض الوقت حتى تُستأنف من جديد. بل إن أميركا وأباما الولاية الثانية سترى أنه قد آن الأوان لعدم تجديد بوليصه الأمان المالي والعسكري من جانب الولايات المتحدة لإسرائيل ما دام الشعب الفلسطيني إرتضى صيغة «الدولة المراقب» كخطوة نوعية على طريق «حل

الدولتين» وهذا ما نادى به الرئيس أوباما في مطلع ولايته الأولى وما بات، وقد كسب رهان الشعب الأميركي، من حق المجتمع الإنساني عليه مطالبته بأن يقتحم غمار الخطوة التاريخية وتقوم بذلك الدولة الفلسطينية وفق مبادرة الملك عبدالله بن عبد العزيز الذي نتمنى له موفور الصحة ليشهد مع وليّ عهده الأمير سلمان بن عبد العزيز والشعب السعودي الذي أزر القضية كما لم يؤازرها آخرون إستكمال قيام الدولة المأمولة وعاصمتها القدس الشريف. ومثل هذه اللحظة تعوّض الأمة ما تقاسمه النفوس من المشهد الراهن حيث مصر تتشقق وتصبح حالها الحزبية والسياسية مثل حالها الكروية المنقسمة تعصباً عميقاً بين زملكاوية وأهلية، وحيث سوريا تتناثر بعد إتساع رقعة العزلة عربياً ودولياً على نظامها الذي أضاع الفرص الإنقاذية، وحيث دول عربية أخرى لا مستقر لها إلا إذا تعقلن أولو الأمور حكماً ومعارضين.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 9 ديسمبر (كانون الأول) 2012

الحلال المبعوض... «دولة شمال العراق» و«دولة جنوب لبنان»

مع بداية العد العكسي لإنقضاء المحنة السورية وإننتال سوريا من دولة الشخص الواحد والحزب الواحد إلى دولة تشاركية، وعودة المؤسسة العسكرية إلى ما من الطبيعي والواجب الوطني أن يكون الإسم «حماة الديار» على المسمى بدل هذه الجحافل من «الجيش الحر»، تلوح في أفق المشهد العربي احتمالات الإنتقال الجدي في الحديث حول «الدولتين المستحبتين المبعوضتين» من التنظير إلى التطبيق المتدرج.

«الدولتان» هما «دولة جنوب لبنان» في ضوء ما سمعناه من زعامة شيعية كبيرة الشأن قال إنه للمرة الأولى منذ نصف قرن يشعر بخطر داهم يهدد الكيان اللبناني ويشطره. أما الأخرى فإنها «دولة شمال العراق». وإستناداً إلى واقع الحال فإن الدوافع والمقومات متوافرة. كما أن سابقة الحدث تمت ومن دون أي

مقومات أو شعور بالإثم الوطني ونعني بذلك إنشطار السودان إثنين ووضع هذا البلد الأشبه بالقارة على قائمة احتمال حدوث المزيد من حالات الإنشطار. فالأمر الصعب هو الإنشطار الأول، أما بعد ذلك فيصبح الأمر من البديهيات. والأمر الأصعب هو أن يعتبر أولو الأمر أو الحكم أو الحزب أن إثم التفريط هو حل وطني وليس إنشطاراً للكيان إثنين، مع ملاحظة أن هذا الفعل المبعوض تم من دون حدوث ظروف كذلك التي حدثت في الزمن الماضي وأدت إلى أن تكون ألمانيا إثنين غربية وشرقية وكوريا شمالية وجنوبية وفيتنام مثلها. وفي ضوء ما جرى لاحقاً فإن فعل الأمر الواقع جرى تصحيحه بأن سقط الجدار الفاصل بين الألمانيتين وعاد البلد موحداً وأن تأثيرات النضال والتضحيات أوجبت إستعادة فيتنام دولة واحدة. وأما كوريا فهذه مسألة فيها نظر إلى حين.

ما فعله أهل الحكم السوداني المكنى بـ «الإنقاذ» أنهم تخلوا عن جنوبهم مكلّين فعلهم هذا بتنظيرات تتمحور حول إحترام حق الشعب في تقرير مصيره، علماً بأن ذلك ينطبق في حال كان الشمال يحتل الجنوب لكنه لم يكن كذلك وإن كان يقاتل التمرد في الجنوب. وخلاصة القول إن فعل الفصل الطوعي هذا يفنقر إلى الإقتناع به، وحتى إذا كان حُكم «الإنقاذ» يعتبر جنوبه المسيحي - الوثي في أكثريته السكانية عقبة أمام تحقيق برنامجه في قيام دولة إسلامية يقود «أمير المؤمنين» فيها «أمة الإسلام الأفريقي». وهذه بعض أحلام اليقظة «الإنقاذية».

الآن وفي إكتمال إمكانية السابقة التي هي «دولة جنوب السودان» تتزايد احتمالات أن نسمع فجأة عن خطوات جدية لتحوّل الإقليم الكردي في العراق إلى «دولة شمال العراق» ويقوى هذا الإحتمال عند التأمل في طبيعة الشراكة بين أهل الحكم في العراق ورموز صانعي القرار في الإقليم الذي يتطور بسرعة وينمو على أسس واقعية وبات ملاذاً للسياسيين العراقيين المضطهدين أو المبعوض عليهم وربما لاحقاً لحكام منصرفين خلعاً في بعض دول العالم الثالث، كما أنه ملاذ للعراقيين الباحثين عن لحظات من الهدوء والطمأنينة على أسس واقعية كونه يعيش حالة إستقرار تشبه في طبيعتها تلك الحالة التي كانت سائدة في العراق الصّدّامي ولا يحدث في العراق الشمالي البارزاني

وبالذات في اربيل والسلیمانیة ما يحدث يومياً في بغداد ومعظم المدن والبلدات الرئيسية في العراق المالكي من تقجيرات. وإلى ذلك إن الشعور بالإستقلالية الكاملة يتزايد في المجتمع الكردي وإلى درجة أن النزعة الإستقلالية العسكرية تنمو بسرعة ولا يتجاوب «زعيم الشمال» مسعود بارزاني مع إصرار الزعامة المالكية على أن يكون عسكريو الشمال جزءاً من المؤسسة العسكرية المركزية. كما أن مرحلة الإعتزاز بأن رئاسة دولة كل العراق هي للأكراد ورئاسة الدبلوماسية لهم أيضاً وعشرات المناصب المتقدمة في الدولة هي الأخرى لهم، لم تعد السبب الذي يحول دون الجنوح نحو الإستقلالية، وذلك لشعورهم غير المعلن بأن تلك الصيغة جاءت ضمن سيناريو بريمر وليست عن توافق وطني وأن «الملك الحقيقي» في العراق هو رئيس الوزراء وليس الرئيس جلال الطالباني كما أن صانع السياسة الخارجية هم «المالكيون» في الوزارة وليس الوزير هوشيار زيباري مع ملاحظة أنه مارس الواجب بكل اللياقة والتفهم وعدم إحراج الموقف العام للدولة. هؤلاء في شعورهم هذا يرون أن صيغة الحكم في السودان ما قبل الإنشطار لم تقنع الجنوبيين بأن نائب الرئيس كان سيلفاكير وأن رئاسة الدبلوماسية ومناصب أخرى متقدمة كانت في عهدة جنوبيين. فالشعور بالخصوصية أمر لا تفك ألغازه مناصب عابرة ومن أجل ذلك كان السعي الدؤوب للانفصال وقيام «دولة جنوب السودان» التي كما المحتمل حدوثه في العراق بإستحداث أو بإنتاج دولة مستقلة فيه هي «دولة شمال العراق»، ما كانت لتتم لولا الرعاية الدولية لها وإلى درجة أن دبلوماسية دولة كبرى مثل أميركا وبريطانيا وفرنسا أدرجت «دولة جنوب السودان» في الصفحة الأولى من «أجندة الإهتمامات» ويجوز الافتراض بأنها ستفعل الشيء نفسه في حال إنتقال الحديث حول إستقلال الإقليم في العراق من مجرد بعض التحديات ذات الطابع المرحج لأهل الحكم في بغداد إلى إتصالات تؤدي إلى خطوات. وعندما يقول مسعود بارزاني في إحدى تصريحات له إن جيشه المسمى «البيشمركة» مستعد للرد «على أي إعتداءات من جانب الجيش العراقي» فإننا نستحضر ما كان يقوله سلفاكير أو جنرالات جيشه يوم كان ما زال نائباً أول للرئيس عمر البشير. كذلك عندما يقول عضو البرلمان العراقي عزة الشابندر المنتمي إلى «إئتلاف

دولة القانون» بزعامة الرئيس نوري المالكي في إحدى تصريحاته «إن ممارسة أكراد العراق حق تقرير مصيرهم مشروع جداً وأعتقد أن كل السياسيين العراقيين أو غالبيتهم يؤمنون بذلك بمن فيهم رئيس الوزراء، وأن من حقهم المشروع إعلان دولتهم الكردية...» ثم يستدرك «لكن الظروف أو الشروط الوطنية والإقليمية والدولية غير مناسبة لذلك حالياً»... إنه عندما يقول هذا البرلماني ما قاله ومن دون أن ينبري مالكي ما إلى نفيه أو حتى تلطيف مفرداته فهذا يعني أن الجمع العراقي عرباً وكرداً في إنتظار «الظروف أو الشروط الوطنية والإقليمية والدولية» كما أن الكلام الشابندري وبذلك النبرة يجعلنا نستحضر ما كنا سمعناه على مدى سنتين سبقتا قيام «دولة جنوب السودان» بالتراضي من أن للجنوبيين الحق في أن ينفصلوا. هكذا وكأنما الكيان قالب حلوى يلتف حوله حملة السكاكين لتقطيعه في إحتفالية وعلى أنغام الموسيقى وبحيث يتذوق أو يلتهم كل حامل سكين القطعة التي تلبى شهيته وتنسجم مع مقومات بقائه في سدة الحكم.

ما نقوله بالنسبة إلى أكراد العراق وإحتمال أن تنتهي السجلات والتحديات إلى المستخب من زعامات في الجانبين المبعوض من الناس، كما الطلاق الذي هو أبغض الحلال، ربما سنجده يتبلور في المشهد الجغرافي والسياسي للمنطقة في لبنان بعد أن يتوارى النظام البشّاري وتقوم دولة السوريين وفق رؤى جديدة تقوم على التشاركية. وهذه الدولة ستفصل سوريا عن إيران الأمر الذي سيجعل هذه الأخيرة أمام إحتمال نشوء الشوكة الكردية في الخاصرة الشمالية لـ «عراقها».. العراق الإيراني الولاء والهوى وفقدان أهم محطة «ترانزيت» سياسية وعسكرية في تاريخ المحطات ونعني بذلك سوريا تلعب الورقة الأخيرة وهي الإستئثار بما يمكن تسميتها «دولة جنوب لبنان» يتولى أمرها «حزب الله» بالإختيار و«حركة أمل» بالإضطرار. وتُبرم هذه الدولة معاهدة مع إيران وروسيا وتكون ملاذاً للحكم البشّاري المنصرف. ولدى هذه الدولة من القوة العسكرية ما يجعلها أقوى من الدولة المركز. وحول مسألة التسليم بقانونيتها وشرعيتها فإن ذلك سيكون ضمن صفقة دولية بين الكبار. وأما أن لا مطار لها ولا مرفأ فهذا أمر يتم إيجاد الحل له على قاعدة تبادل الأراضي. أما مسألة أن الناس يرتضون ذلك أو لا يرتضون فهذا غير وارد لأن ما يمكن أن

يحدث هو أن الكلمة الأعلى هي لولي الأمر وأن الرعية مقدر لها أو مكتوب - مفروض عليها أن تطيع. الحالتان مجرد احتمالين ترتسم في أفق المشهد السياسي ملامح حدوثهما. والذي يدفع في اتجاه الحدوث أن حالة أكراد العراق وحالة «حزب الله» في لبنان ومن قبل ذلك جنوبي السودان وصلت إلى حد أن الثلاث عبارة عن أن كلاً منها «دولة ضمن الدولة» مع فوارق في الشأن والأهمية والقوة والإرتباطات الدولية والعوامل المذهبية.

وحيث إن زعامات هذه الحالات ترى أنها يجب أن لا تكتفي بالبقاء شبه دولة رسمياً أو كما آلت إليه الحالة الفلسطينية في الأمم المتحدة «دولة مراقب»، فإن الطريق سالكة على ما هو حاصل أمام ركوب موجة الفعل المستخب... المبعوض وهو الإنشطار وتحت تسمية «الاستقلال». وما دام جنوبيو السودان غامروا معتمدين في ذلك على «فتوى إنقاذية» تحلل ما هو محرّم وتكتفي بإعتباره مبعوضاً فلماذا لا يحذو المغامرون الآخرون حذوهم. يالسوء حظ الوطن العربي الأكبر.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 16 ديسمبر (كانون الأول) 2012

* * *

بعد «خرباب سوريا»..

«خرباب البصرة» من قبل

إختار الرئيس بشار الأسد يوم الخميس 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012 فضائية روسية ليقول من خلالها كلاماً من شأنه أن يكون مادة للنقاش المستفيض، وبالتالي يتم التوصل إلى بعض التوافق عليها، لولا أن التوقيت كان متلازماً مع ارتفاع مقلق في منسوب الدم الذي أريق والدمار الذي تكاثر.

وقبل ذلك ببضعة أسابيع إختار الرئيس بشار فضائية العائلة (الدنيا) ليقول من خلالها كلاماً كنا نتمنى لو أنه تريث في جزمه لبعض الأمور التي أشار إليها من خلاله.

في الإطالتين بدا أن الرئيس بشار غير مدرك ما

الذي فعله خياره الأمني الذي إعتبره علاجاً لمعضلة، وكيف أن الخط البياني دما ودماراً في ارتفاع يوماً بعد آخر، مما يفرض تعديلاً في الرؤية وفي العلاج. كما أن الرئيس بدا كمن يفكر وحده ويقول ما يعتبره الصواب في حين أن مناقشة الأمور مع عدد من المستشارين، المجاز لهم المناقشة وليس فقط إطرار ولي الأمر، كان من شأنها إضفاء مسحة من الواقعية على كلام الرئيس الذي هو ماضٍ، كما الرئيس المصري لاحقاً وحاضراً محمد مرسي وكما بقية المنتفض عليهم من الرؤساء، زين العابدين بن علي وحسني مبارك ومعمر القذافي، في أشد الحاجة إليها.. وبالذات إذا قال هذا المستشار أو ذاك أو أولئك الرأي الذي يجر أو يعط أو يدعو إلى مكرمة أو ينهى عما هو ضلال. وها هي أمامنا تداعيات ما أصاب الرؤساء الذين انصرفوا، والرئيس المتأرجحة رئاسته محمد مرسي، مع ملاحظة أن هذا الأخير لكونه إخوانياً ومكتنزا ثقافة دينية إلى جانب التحصيل العلمي كان سينجو من الخدوش المستمرة لولايته الرئاسية التي لم يهنأ بها بعد وقد لا يهنأ أبداً لو أنه استحضر بعضاً من آيات الكتاب الكريم ومن الحديث الشريف ومن الأقوال المأثورة للعرب قبل الدعوة لهم وللمسلمين كافة بعد أن ودّع الرسول أمته وترك للذين اصطفاهم القيام بالواجب.. فهو ما كان من المؤكد أنه سيتخذ من القرار أصوبه، وبالتالي فإنه كان سينجو من التهلكة في الحد الأقصى ومن التقريع إلى حد البهذلة وهو حي يرزق راقداً على سرير المرض أو داخل جدران بيت الإقامة الجبرية فيما العائلات مشتتة ومطلوبة لدفع الثمن ثأراً بالأبناء من آبائهم. فالله سبحانه وتعالى يقدم التشاور في الأمر على البدء في التنفيذ (وشاورهم في الأمر فإذا عزمته فتوكل). والنبي (صلى الله عليه وسلم) يرى أن «الدين النصيحة» وأن «المستشار مؤتمن» وأن الهداية لإرشاد الأمور هي في التشاور، كما أن الإستشارة «عين الهداية» كما يراها الإمام علي (رضي الله عنه) الذي يضيف إلى ذلك القول «إن من أعجب برأيه ضلّ ومن إستغنى بعقله زلّ». وقبل الدعوة كان العرب متفقين على أن «أول الحزم المشورة» وأنها «حصن من الندامة وأمن من الملامة».

وما هو أكثر غرابة في الأمر أن الذين يتأسسون بعد انقلاب أو ثورة أو بفعل توريت يفرضه الأمر الواقع الخالي من دستور مستقيم المواد التي لا تخضع

لتعديلات تفرضها أمجة هذا المترئس أو ذاك، يحرصون أكثر الحرص على إظهار تدينهم وإسلاميتهم، فنراهم يختارون للخطب التي يلقونها في المناسبات شواهد من القرآن الكريم، كما يختمون الخطبة بآية أو آيات. لكن الذي يحدث هو أن هؤلاء، أو كتبة خطبهم الذين يحرصون على إضفاء المزيد من التعظيم لولي الأمر، يختارون آيات بعينها لتعزيز ما يريد هذا الرئيس أو ذاك من خلال الآية تدعيم رأيه فيه أو التوجه الذي يريده، مع أن في الكتاب الكريم من الآيات ما من شأن العمل بموجبه إنقاذ المترئس من فعل مبعوض.

وبالعودة إلى ما بدأناه حول كلامه قاله الرئيس بشار الأسد ولم يحقق الغاية لأنه كان في رؤيته يتصرف كمنتقم وليس كرئيس للبلاد، نختار هنا نماذج من هذا الكلام الذي كانت تنقصه الفطنة بسبب فقدان الاستشارة. ففي إطلالته عبر الفضائية الروسية قال «المسألة لا تتعلق ببقائي أو رحيلي فهذه تعود إلى الشعب»، و«أنا لم أكن المشكلة بأي حال من الأحوال، فالغرب يخلق الأعداء دائماً. في الماضي كان العدو هو الشيوعية ومن ثم أصبح الإسلام ثم صدام حسين، والآن يريدون أن يخلقوا عدواً جديداً يتمثل في بشار...»، و«أنا أتمتع بالسلطات بموجب الدستور»، و«هناك العديد من السوريين مؤهلون لهذا المنصب»، و«واجبي أن أكون الرجل الذي يستطيع إنهاء الصراع واستعادة السلام»، و«المشكلة ليست بيني وبين الشعب فأنا ليست لدي مشكلة مع الشعب»، و«إذا كان الشعب السوري ضدي فكيف يمكن أن أبقى الرئيس؟» و«إذا كان جزء كبير من العالم ضدي والشعب ضدي وأنا هنا فهل أنا سوبرمان؟»، و«هناك إنقسامات تحدث في سوريا، لكن الانقسامات لا تعني حرباً أهلية»، و«علينا أن نقاتل لأننا لا نستطيع ترك الإرهابيين يقتلون ويدمرون»، و«يعتقد أردوغان أنه السلطان العثماني الجديد ويستطيع السيطرة على المنطقة»، و«أغلبية الحكومات العربية تدعم سوريا ضمناً لكنهم لا يجرؤون على قول ذلك علانية لأنهم يتعرضون لضغوط من الغرب ومن البترودولارات».

وفي معرض إبداء الرأي في الدور غير المستحب للجيش السوري قال «لو أراد الجيش أن يرتكب جرائم في حق شعبه فإنه سينقسم ويتفتت، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك جيش قوي وموحد وفي الوقت نفسه يقوم

بقتل شعبه، كما لا يمكن للجيش أن يصمد لمدة عشرين شهراً في هذه الظروف الصعبة من دون أن يحظى بإحتضان الشعب السوري». ويختم الرئيس بشار كلامه الذي ربما لا يجد الاقتناع الكافي لدى الجمهور الروسي الذي يتابع ما يجري على الأرض السورية من قتل وتدمير وإنقسامات ونزوح وقصف بالطيران - ولذا فإنه كلام لا يفيد في شيء - بالقول عما إذا كان يلوم نفسه «في بعض الأحيان خصوصاً خلال الأزمات لا تستطيع رؤية الصحيح من الخطأ إلا بعد أن تتجاوز الأزمة...».

وهذا التفسير البشاري للملامة يجعلنا نستحضر القول الشائع «بعد خراب البصرة»، كما يجعلنا نقرأ بإهتمام الرأي المستجد للرئيس بشار إنما هذه المرة على لسان نائبه المستكين فاروق الشرع، بعد ثلاثة أسابيع من إطلالته الروسية، وعبر الصحيفة اللبنانية السورية الهوى «الأخبار»، والتي أوحى فيها هذا الدعاوي المستكين بأن ما كان مرفوضاً بات مقبولاً، وأن ما لا يقوله بشار الأسد حفاظاً على مهابة الرئيس وخشية من عدم التجاوب مع مضمون القول يمكن أن يأخذه السيد النائب على عاتقه، ومن ذلك قوله «كل يوم يبتعد الحل عسكرياً وسياسياً. نحن يجب أن نكون في موقع الدفاع عن وجود سوريا ولسنا في معركة وجود فرد أو نظام. لقد تعددت مشاكل سوريا وتعددت إلى حد لم يعد فيه ممكناً فصل الأعمال العسكرية الجارية عن حياة المواطنين العاديين»، و«هناك مسائل كثيرة يمكن العمل عليها من أجل إيجاد حل، ولا أحد واهم بإعادة الأمور إلى ما كانت عليه لأننا مقتنعون بأنه لا عودة لعقارب الساعة إلى الوراء»، و«من موقعي لا أعرف تماماً إلى أين سيفضي الخيار بنا. ورئيس الجمهورية شخصياً قد لا يعطي الجواب الشافي مع أنه يملك في يديه كل مقاليد الأمور في البلد»، و«ما يجري في سوريا معقد ومركب ومتداخل»، و«كثيرون في الحزب والجبهة والقوات المسلحة يعتقدون منذ بداية الأزمة وحتى الآن أنه لا بديل عن الحل السياسي. والحل لا يكون واقعياً إلا إذا بدأ من أعلى المستويات. فرئيس الجمهورية هو القائد العام للجيش والقوات المسلحة، وهو الذي يعين رئيس مجلس الوزراء ويقود الحزب الحاكم ويختار رئيس مجلس الشعب»، و«لا الائتلاف الوطني ولا مجلس إسطنبول

الرد على التحية بمثلها فعندها سنرى أن عناد المعارضة السورية كما عناد النظام، مجرد منطحة ستجعل مقولة «بعد خراب البصرة» تُستبدل بها مقولة «بعد خراب سوريا». والله المنجي.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 23 ديسمبر (كانون الأول) 2012

الخليجيون يتحدون قولاً وفعلاً والآخرين يتقاصفون كلاماً ورصاصاً

بددت رسالة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى القادة المشاركين في القمة الخليجية الثالثة والثلاثين التي إستضافتها يوم الإثنين 24 ديسمبر/ كانون الأول 2012 المنامة عاصمة المملكة البحرينية التي تواصل موجات التحرش الإيراني السائدة في المنطقة إقلاق إستقرارها، مشاعر الخشية من إستشراء ظاهرة التشقق في بعض المجتمعات العربية وأكثرها خطورة بدأت رقعة حدوثه في مصر تتسع ويتواصل حدوثه بشكل فاجع في سوريا فضلاً عن إحتمال حدوثه بشكل صادم في تونس وليبيا والعراق ولبنان والجزائر والسودان والكويت والأردن. ففي الرسالة التي أضفت مشاركة ولي العهد الأمير سلمان بن عبد العزيز للمرة الأولى كرئيس لوفد المملكة إلى المؤتمر المزمع من الطمأنينة في نفوس القادة الخليجيين وشعوب دول المجلس على الإستقرار في المنطقة المستهدفة كما لم تُستهدف بهذه الحدة من قبل، إصرار على إحداث النقلة النوعية في الكيان الخليجي الموسع بحيث يحل التكامل محل التعاون. وبهذا الإصرار الذي سيتم وفق ما هو متفاهم عليه في القمة الخليجية في الرياض فإن فقدان الأمل بأي عمل وحدوي عربي سينحسر. وفي حال كُتب للقمة المشار إليها الإعلان على الملأ العربي أن تجربة 32 سنة من التعاون الخليجي باتت إتحاداً كما الإتحاد الأوروبي، فإن شعوب الأمة ستضغط على الحكام من أجل أن تحذو حذو القادة الخليجيين وبذلك يقوم إتحاد مغربي وآخر مشارقي وتبقى كما حال التجربة الخليجية لكل دولة خصوصيتها. وهذا ما جاء واضحاً في الرسالة

ولا هيئة التنسيق كمعارضة داخلية متعددة الأقطاب ولا أي مجموعات معارضة سلمية أو مسلحة بإرتباطاتها الخارجية تستطيع أن تدعي أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري. كذلك فإن الحكم القائم بجيشه العقائدي وأحزابه الجبهوية وفي مقدمتها حزب (البعث العربي الإشتراكي) بخبرته الطويلة وبيروقراطيته المتجذرة لا يستطيع وحده بعد سنتين من عمر الأزمة إحداث التغيير والتطور من دون شركاء جدد يساهمون في الحفاظ على نسيج الوطن ووحدته أراضيها وسيادته الإقليمية».

أما كيف الحل، فإن الشرع، أو الرئيس بشّار بلسان الشرع، قال إنه يكون على النحو الآتي «إن أي تسوية سواء انطلقت من اتصالات أو إتفاقات بين عواصم عربية أو إقليمية ودولية لا يمكن لها العيش من دون أساسها السوري المتين. الحل يجب أن يكون سوريا ولكن من خلال تسوية تاريخية تشمل الدول الإقليمية الأساسية ودول مجلس الأمن. هذه التسوية لا بد أن تتضمن أولاً وقف العنف ووقف إطلاق النار بشكل متزامن وتشكيل حكومة وحدة وطنية ذات صلاحيات واسعة. إن المشكلة تكبر وتتعمق عندما يعتقد البعض أن الحسم أو الكسر ممكن. ليس صحيحاً على الإطلاق أن بإمكان كل هذه المعارضات أن تحسم المعركة على أساس إسقاط النظام إلا إذا كان هدفها إدخال البلاد في فوضى ودوامة عنف لا نهاية لها...». عند القراءة المتأنية لكلام السيد النائب بعد بضعة أسابيع من كلام السيد الرئيس يستنتج المرء أن الرئيس بشّار اقتنع إنما «بعد خراب البصرة» بأن الذي فعله كان مغامرة من النوع غير المألوف العواقب، وأنه في نهاية الأمر أجاز لنائبه المستكين أن يقول من الكلام ما يبدو فيه وكما لو أن النظام إرتأى أن يرفع الراية البيضاء سلاماً وتسليماً وليس إستسلاماً.. سلاماً لما لم يهدر من دم ولم يدمر من بنيان.. وتسليماً بحقيقة لا جدال في صوابيتها وهي ما قاله الشرع بنسبة من الصراحة وفي صيغة إشارات لا تخفى على اللبيب، وهي أن النظام البشاري بحزبه وجيشه بات لا يستطيع متفرداً تحقيق التسوية. وعلى هذا الأساس فلتكن هناك خطوة من جانب الطيف المعارض خصوصاً أن الشرع في ما قاله تفادى ما أمكنه النقادي إعتبار أن ما يجري يمثل مواجهة النظام للإرهاب. وأما إذا كان لن يأتي

التي تابعت الأمة عبر الفضائيات ولي العهد الأمير سلمان بن عبد العزيز يتلوها نيابة عن خادم الحرمين الذي تمنى له المشاركون كما شعوب الأمتين إستكمال التعافي. وفي رسالته يقول الملك: «إن قيام إتحاد قوي متماسك من شأنه أن يلبي آمال مواطنينا من خلال إستكمال الوحدة الإقتصادية وإيجاد بيئة إقتصادية وإجتماعية تعزز رفاه المواطنين وبلورة سياسات خارجية موحدة وفاعلة تُجيب دولنا الصراعات الإقليمية والدولية وبناء منظومة دفاعية وأخرى أمنية مشتركة لتحقيق الأمن الجماعي لدولنا وبما يحمي مصالحها ومكتسباتها ويحافظ على سيادتها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية...».

هذه الخطوة تخلص من الإرتجال حال محاولات جرت في الماضيين القريب والبعيد وإتسمت بالتطلع من جانب الحلقة الأقوى لإستيعاب الحلقة الأضعف وإستعمال العمل الإتحادي كورقة تعود بالنفع للأقوى على حساب الأضعف. كما أن محاولات حدثت في زمن مضى لم تأخذ في الإعتبار الحساسية التي تنشأ نتيجة عدم مراعاة سيادة الدولة وخصوصيتها وإمكاناتها وثرواتها ناهيك بلعبة المكيدة. ولأنها حدثت على نحو ما نشير إليه فإنها لم تصمد بل إن بعضها لم يُبصر النور وتحول الإخفاق إلى صراع دفع الشعب من جرائه الثمن الباهظ، أو فلنقل إن أهل القرار الذين نشطوا لتحقيق إتحاد أكلوا الحصرم لبعض الوقت تاركين الشعب يضرس بل ويصاب بحالة من الإحباط بلغت درجة اليأس من كلمة الإتحاد وعدم أخذ قائلها على محمل الجدية.

وإلى ذلك إن ضرورة الإنتقال من التعاون إلى الإتحاد تأتي في ضوء إستخلاص النتائج والعبر من إنجازات 32 قمة بدأت أولاها في أبوظبي عام 1981 لينتظم بعد قمة الإنطلاق هذه عقد القمم من دون مناكفات كما الحال بالنسبة إلى القمم العربية. وخلال ثلاثة عقود من الإنعقاد تصاعدت وتيرة المعاناة والتحديات ووصلت في بعض المراحل إلى أن الكيانات عرضة للتهديد. وهذه التهديدات لم تتوقف وكانت تتخذ في كل مرحلة شكلاً لم يبعث عموماً على الإرتياح. وعند التأمل في الذي جرى غزواً للكويت يوم الخميس 2 أغسطس/ آب 1990 وامتد بضعة صواريخ في إتجاه المملكة العربية السعودية ثم في الذي حدث للبحرين في عام «الربيع العربي» الذي تبين أنه في بعض سلوكيات رموزه كان منقوص الرؤية

الصحيحة والتقدير السليم بل انه كان إذا جاز التوصيف «الربيع المعاق»... إننا عند التأمل نستنتج لماذا هذا الحرص من جانب الملك عبد الله بن عبد العزيز على أن يطلق في العام 2011 الدعوة إلى ضرورة دفع «التعاون» بإتجاه «الإتحاد» وأن يحدد في رسالته إلى القادة الذين إجتمعوا في المنامة وكذلك من خلال إفاضة ولي العهد الأمير سلمان خلال اللقاءات الجانبية موعداً لإعلان قيام الإتحاد ومن الرياض. وكأننا بالملك عبدالله يقول ما معناه إنه إذا كانت ظروف الثمانينات أوجبت مجلساً متعاوناً فإن ظروف الزمن الحاضر والخشية على جيل الأبناء والأحفاد من عاديات الصراعات التي تعصف بالمنطقة توجب إتحاداً مدافعاً وردعاً. وتلك هي القضايا التي نفترض، تبعاً لما يصدر عنه، تشغل بال الملك عبد الله من المبادرة إلى إستحداث نظام «هيئة البيعة» إلى مبادرات التسامح مع ناكري الود والجمائل إلى السعي لدى قطبي التباض الفلسطيني «فتح» و«حماس» إلى إستتخاء الرئيس أوباما ومعظم قادة الدول الأوروبية لكي يغلدوا في مسألة الموضوع الفلسطيني إلى التمنيات المتلاحقة على أقطاب الصراعات العربية غير المتعقلين وبالذات في سوريا واليمن من أجل أن يتقوا الله في الوطن والشعب.

وعندما نرى أي مسار إنتهت إليه الطبعة المصرية من «الربيع العربي» وكذلك الطبعة الليبية وقبل ذلك الطبعة التونسية وما هو مستمر الحدوث في الصف الفلسطيني بنسبة أقل من ذي قبل وعلى أهبة الحدوث في العراق ولبنان والسودان والأردن وكاد يحدث في الكويت، فإننا نتفهم هذا الحرص من جانب الملك عبد الله متجاوزاً ضرورات الراحة من تداعيات الظروف الصحية على عدم التباطؤ في مسألة إنتقال المجلس الخليجي من مرحلة التعاون إلى مرحلة الإتحاد وكيف أن هذا الحرص يحدث فيما دولة مثل سوريا تتفكك تحت وطأة التقاصف المتبادل أفاظاً بكل أنواع المفردات السيئة ورصاصاً ينطلق من كل أنواع السلاح ومن دون أقل شعور بالرحمة والخشية من رب العالمين ولا يترك الرئيس بشّار فرصة أمام الأخ العربي الأخضر الإبراهيمي الذي يحاول تحقيق تهدئة تتطور إلى تسوية لكي ينجز ما يسعى إليه، بل إن الرئيس بشّار يعتمد عدم الإجتماع المنفرد بالإبراهيمي ويشارك في الإجتماع آخرين الأمر الذي يجعل المبعوث الأممي - العربي

أصابتنا من بعض مفاعيل وممارسات كُبراء «الربيع العربي» الذي صبغ العام 2012 بالدم والدمار والكلام الذي يفتقد إلى الأصول وبالذات في مصر التي فيها من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا وسوريا التي تعاظمت فيها الفواجع، مما جعلنا نرى أن هذا الربيع كان يقطر المأسى بدل أن يكون مزهراً ليصبح مثمراً، وأنه في بعض جوانبه كان معاقاً... وبإمّتيّاز.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 30 ديسمبر (كانون الأول) 2012

* * *

يتهيب الموقف فلا يصارح الرئيس بشّار بما يجب أن يصارحه به وهي مصارحة يمكن أن تحدث لو أن الاجتماع كان ثنائياً وطويلاً بحيث يستغرق ساعة أو أكثر يصارح فيها الإبراهيمي ومن دون تردد الرئيس بشّار، في حين أن اللياقات المعروف عن الأخضر الإبراهيمي بحكم تاريخه السياسي - الدبلوماسي تفرض عليه ألا يقول أمام الرئيس بشّار، وما دام محاطاً بوزير الخارجية وليد المعلم والمستشارة الدكتورة بثينة شعبان واثنين من المساعدين لوزير الخارجية وتغيب لافت لإشراك فاروق الشرع وبحضور مساعد للإبراهيمي الذي بات ضمناً أكثر إقتناعاً بأن أي منتصر بقوة السلاح في الصراع لن يجد دولة قائمة، سوى الكلام الذي سمعناه الممتلئ تحذيراً وإحباطاً والخالي من المصارحة الشديدة الوضوح والذي لا يوقف جنون التدمير والقتل وإبتهاج الأطياف المعارضة بأنها من جانبها تدمر وتقتحم وتُسقط طائرات ومروحيات وتأسر جنوداً وتستولي على مخازن ذخيرة. لا حول ولا قوة إلا بالله. كما أن الحرص نفسه من جانب خادم الحرمين الشريفين يحدث بينما تعيش مصر صراعاً غير مسبوق من حيث طبيعة التباغض الناشئة عنه وإلى درجة أن مصر يمكن أن تصبح اثنتين وعلى قاعدة العداوة وليس اللعبة الديمقراطية وهذه حالة يخشاها الملك عبدالله كثير الخشية. ومن محاسن الصدق أن العضد للملك عبدالله في هذا الزمن العربي الصعب ونعني بذلك وليّ العهد نائب رئيس الوزراء وزير الدفاع الأمير سلمان عبد العزيز ينظر بالعين المتعاطفة والحكيمة كما وليّ الأمر، مع كل من مصر الوطن والشعب والدور، وسوريا الشعب الذي يصون الكيان وينأى بنفسه عما يمكن أن يجعل الصراع يتحول إلى إحتراب أهلي لا يسمح الله، وهو ما تحبذ حدوثه بعض الأطراف الإقليمية والدولية غير النزيهة التي تبدي من التعاطف الكلامي مع النظام في سوريا ما يجعله يشتد عناداً فلا يضع بنفسه نهاية للمشهد الذي ربما من الصعب على مدى سنين محوه من ذاكرة الأجيال.

ونخلص إلى القول فيما النفس تشعر بالإرتياح والطمأنينة من النسمة الطيبة المتمثلة بأن الأمة على موعد مع حالة إتحادية سيتم الإعلان عنها في العام 2013 من الرياض، إن هذه الخطوة تعوّضنا بعض الشيء الصدمة الكبرى الناشئة عن الصدمة الأكبر التي

